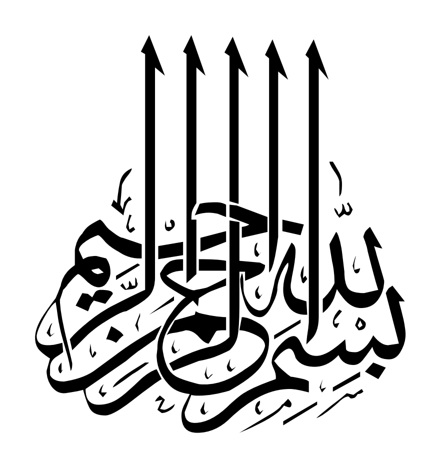
دعـــــوة
المقاومة الإسلامية العالمية

الجذور والتاريخ والتجارب

الجزء الأول

بقلم الباحث الفذّ
عمر عبد الحكيم "أبو مصعب السوري"





1438 هـ - 2017 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

الناشر



دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



الجزء الأول

بقلم الباحث الفذّ

عمر عبد الحكيم " أبو مصعب السوري"

¤¤

بيت المقدس

المقاومة الإسلامية العالمية

الجزء الأول

(الجذور– التاريخ – التجارب)

(فصول تمهيدية في التاريخ والتحليل السياسي والفقه الجهادي الحركي)

- الفصل الأول: واقع المسلمين اليوم.
- الفصل الثاني: أحكام شرعية في ضوء هذا الواقع.
- الفصل الثالث: جذور النظام الدولي ومسار الصراع من قابيل إلى جورج بوش.
- الفصل الرابع: الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ.
- الفصل الخامس: خلاصة مسار الصحوة الإسلامية (1930– 2004 م).
- الفصل السادس: خلاصة مسار التيار الجهادي المسلح (1965–2004م).
- الفصل السابع: الحلول التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة.

الفصل الأول
واقع المسلمين اليوم

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه:124)

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة).

(يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن:

- ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.
- وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.
- وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.
- ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.
- وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديداً).

((لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل، ويخون الأمين ويؤتمن الخائن ، وتهلك الوعول ، وتظهر التحوت ، قالوا يا رسول الله وما التحوت والوعول ؟ قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم . والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس ليس يعلم بهم)).

الفصل الأول
واقع المسلمين اليوم

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾.

وقد روي عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي صححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري أنه قال : (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**).

والحقيقة ليس أوجز لوصف واقع أكثر المسلمين اليوم من هذه الآية وهذا الحديث..

إذا يمكن تلخيص واقع المسلمين اليوم تحت عناوين رئيسية ثلاثة:

أولا: ذهاب الدين عند أكثرية المسلمين.

ثانيا: ذهاب الدنيا لدى الغالبين الساحقة من المسلمين.

ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين.

ولنقف على نبذة من التفصيل في هذه العناوين.

أولا: ذهاب الدين

فإن الأمة كادت تفقد معظم مقومات دينها، ويتجلى ذلك في مظاهر انهيار الحياة الدينية وفسادها لدى معظم المسلمين ، وكذلك فساد أحوالها وضياع مقدساتها ، وأهم ذلك غياب الحكم بشرع الله عنها. ويمكن إبراز أهم وجوه ذلك فيما يلي:

1- غياب الحكم بشرع الله عن كافة بلاد المسلمين:

فكما روي عن رسول الله ﷺ قوله: (**لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة**) (رواه أحمد 21139).

وقد تحقق إخبار رسول الله ﷺ بذلك. ونقض الحكم بشكل متدرج إلى أن اندثر بالكامل. فقد كانت الثلمة الأولى بانصرام الخلافة الراشدة التي سارت على هدي النبوة بعد ثلاثين سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم. وعقب ذلك تحول الحكم إلى نظام الملك العضوض الوراثي على يد بني أمية ، ثم استمر ذلك في ملك بني العباس ومن تلاهم من الملوك الطوائف. مع ما يتبع ذلك مما يلازم نظام الملوك في الحكم حيث تدرجت القصور -وهي مراكز الحكم المركزي- في الفساد حتى بلغت من ذلك مبلغا عارما ..

وبتسلل الضعف إلى خلافة بني العباس نهايات القرن الثالث الهجري ، تفككت الممالك في أطراف الدولة الإسلامية لتقوم بذلك سلطنات ومملكات وإمارات تعتمد القهر والجبروت ، وتتفاوت فيها وتختلط مظاهر الصلاح والفساد. وتحولت الخلافة شيئا فشيئا إلى رمز شكلي أكثر منه نظام حكم وسلطة.

وكلما أوغل الحكم مع الوقت بعدا عن شريعة الله الكاملة ، بسبب تلاعب أهواء الملوك وتدليس علماء السلطان ، دبت بسبب ذلك مظاهر الفساد في كافة مرافق حياة المسلمين. إلى أن وصلت الأحوال إلى اجتياح التتار لمشرق بلاد الإسلام وغزو الخلافة في عقر دارها ، بعد أن نشطت الهجمات الصليبية على يد الروم والممالك المسيحية الأوروبية وتمكنت من إقامة مستعمرات صليبية على سواحل الشام ، إلى أن تواصل التردي ليبلغ قمته في سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هجرية ، وتقطع أوصال الخلافة العباسية لتدخل كافة بلاد الإسلام تحت وطأة سلاطين الحكم الجبري بالكامل. ولكن مع بقاء مبدأ الحكم بالشريعة كأساس في معظم تلك الممالك بشكل عام.

ثم حصلت نهضة استثنائية ولفترة محدودة بقيام الدولة العثمانية التي نقلت الخلافة إليها ، وأعادت إليها هيبتها المركزية ردحا من الزمن. ثم ما لبثت أن دب إليها الانحلال. وبدأ الفساد يطال مجال التشريعات والحكم بما أنزل الله. ثم تكالبت عليها الدول الاستعمارية الأوربية ،

وتآمر عليها اليهود كي يصلوا إلى فلسطين، حيث تمكن حلف الخصوم من إسقاط الخلافة العثمانية سنة 1924 ميلادية وتبع ذلك سقوط كافة البلاد الإسلامية تحت استعمار مختلف الدول الأوربية الصليبية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وروسيا وغيرها. وخلال فترة الإستعمار نشأت مذاهب العلمانية في بلاد الإسلام وانتشرت في أوساط الطبقات المثقفة من أبناء المسلمين برعاية المستعمر الذي أنشأ على عينه منها أحزابا سياسية وشخصيات وأسر مالكة مهد لها استلام السلطة من بعده في مرحلة ما بعد الإستعمار، أو ما أطلق عليه اسم (الاستقلال). ليقوم بذلك حكم الطواغيت بغير ما أنزل الله في كافة بلاد الإسلام برعاية وإشراف الدول الاستعمارية.

وهكذا مر الحكم الذي نقض عروة عروة بالمراحل التي أخبر عنها رسول الله ﷺ فيما روي عنه من حديث حذيفة: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت) رواه مسلم. وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه قال: (إنها نبوة ورحمة ، ثم

خلافة ورحمة ، ثم ملك عضوض ، ثم جبرية ، ثم طواغيت). وهذا الذي حصل في بلاد المسلمين منذ رحيل الإستعمار وقيام حكومات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا. حيث تجاهر معظم حكومات بلاد المسلمين بحكمها بغير ما أنزل الله ، بل وتجاهر أكثرها بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم في العصور الحديثة ! بل وتنسب تخلف المسلمين الحالي ومشاكلهم إلى الشريعة ذاتها !.

وهكذا وضعت الدساتير ، وسنت في ضوئها آلاف القوانين التي تحارب الله ورسوله ودين المسلمين ، وتعاكس شريعة ربهم بكل صفاقة ودون أي مواربة ولا حياء.

ففي كثير من بلاد الإسلام أزيلت حاكمية الشريعة نصا من تلك الدساتير، وأبقيت في بعضها مجرد عنوان ممزوج بالشرك الصريح بقولهم (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) جاعلينها مصدرا إلى جانب مصادر أخرى. في حين زعمت بعض البلاد كما (السعودية) (أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع) ولكنها جعلت إلى جانب المحاكم الشرعية محاكم مدنية أو وضعية أو مختصة بحسب ما أسموها وكلها تحكم بتشريعات وقوانين ولوائح تنظيمية مستمدة أو مستوحاة من تشريعات أوروبا أو من تلك التي ابتدعها كفار العلمانيين والمشرعين المنتسبين لهذه الأمة بالأسماء والأشكال. فاستعلنت تلك التشريعات وصارت لها المحاكم والهياكل

الإدارية والقوانين التي تنفذ وتحكم في رقاب المسلمين إلى جانب ما بقي في بعض البلاد من قوانين الشريعة الإسلامية في بعض مجالات الأحوال الشخصية. حيث تتولى السلطات الكافرة الحاكمة بالحديد والنار إنفاذ قوانين الكفر وإخضاع الناس لها.

وهكذا اكتمل نقض الحكم في كافة بلاد الإسلام بلا استثناء. وهذا البلاء هو أهم مظاهر ذهاب الدين ، وأساس كافة أنواع البلاء الأخرى من مظاهر فساد الدين وذهاب الدنيا وتسلط الأعداء. ولا جرم أن كل ما نحن فيه مما سنورد بعضه في هذا الفصل متفرع عن هذه الطامة العظمى وهي: (**الحكم بغير ما أنزل الله وتبديل شرائعه على يد حكامنا المرتدين الخونة وولايتهم لليهود والنصارى من أسيادهم الكافرين**).

۞۞۞۞۞۞۞

2- احتلال المقدسات الثلاثة في ملة الإسلام:

وهي مكة المكرمة وفيها الكعبة والمسجد الحرام ، والمدينة المنورة وفيها مسجد رسول الله ﷺ. والقدس الشريفة وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

فعلى عكس ما هو شائع ومعروف من أن القدس كانت أول المقدسات ذهابا وذلك سنة 1967م. وأن مكة والمدينة وجزيرة العرب عقر دار الإسلام قد وضعت تحت نفوذ الأمريكان وقوات التحالف الصليبي التي أطبقت عليها إبان حرب الخليج الثانية سنة 1991م ، ثم الثالثة سنة 2003م.

فإن الحقيقة أن مكة والمدينة كانت قد ذهبت ووضعت تحت نفوذ الصليبيين قبل ذلك بكثير. وأن ذهاب القدس كان تبعا لذهاب مكة قبله. وأن قوى الردة التي سيطرت على مكة كانت صاحبة دور أساسي في ذهاب القدس على أربعة مراحل رئيسية ، وهي: (1936- 1947 -1967- 2002م).

وذلك أن بريطانيا الإمبراطورية كانت قد احتلت منذ مطلع القرن السادس عشر وعبر القرون الثلاثة التي تلته كثيرا من أطراف العالم الإسلامي ، وبسطت سيطرتها المباشرة عليها ، ومنها أطراف جزيرة العرب (سواحل اليمن وعمان وإمارات الخليج والكويت).

وقد تنبهت بريطانيا لما تشكله بلاد الحجاز من قدسية لدى المسلمين وما تميزت به بلاد نجد من الإستقلال الذاتي حتى عن مركزية الخلافة العثمانية. فعمدت إلى مكر خبيث منذ مطلع القرن التاسع عشر من أجل السيطرة عليها. وذلك بالتعاون مع عميلهم الأكبر عبد العزيز آل سعود مؤسس الدولة السعودية الثالثة الحالية. حيث كان

والده عبد الرحمن وأسرته وأولاده قد لجؤوا إلى الكويت فارين من نجد بعد انهيار الدولة السعودية الثانية.

تلقفت وزارت المستعمرات البريطانية بإشراف مندوبها وعميلها الجديد عبد العزيز آل سعود سنة (1898م) وكان قد جاوز العشرين من عمره بقليل ، ورأت صلاحيته للمهمة التي نفذتها بحذاقة. فقدمت له الدعم العسكري والذهب البريطاني وأوحى إليه مستشاروه باستغلال الدعوة الوهابية وحماس دعاتها المجاهدين من (الإخوان).

وتمكن عبد العزيز من السيطرة على الرياض ثم نجد عبر عدة حملات منذ (1902م) ثم وقع الخيار من قبل بريطانيا عليه لمشروعها في جزيرة العرب ، بعد أن خدعت (الشريف حسين) عميلها الآخر في الحجاز. وتمكنت بريطانيا من إعلان عبد العزيز سلطانا على نجد والحجاز، بعد أن ضموا إليها مناطق نجران اليمنية ، سنة (1932م). حيث عقدوا معه صك ضمان لملكه لتلك البلاد تحت المسمى الجديد الذي أقامته بريطانيا وهو (المملكة العربية السعودية). وضمنت بموجب ذلك بريطانيا العرش لعبد العزيز وأولاده من بعده مقابل نفوذها على تلك البلاد ، وأخذت عليه ألا يعقد عقدا ولا يبرم أمرا ولاسيما في علاقاته الخارجية بغير إذنها ومشورتها. وقد أصبحت هذه الاتفاقيات الآن وثائق منشورة معروفة تناولتها الكتب التي أرخت لتلك الفترة ،

وهي مثبتة فيما نشر من وثائق وزارة الخارجية البريطانية التي تنشر بعض أرشيفها كلما مر عليها ثلاثين سنة.

وبقيام حكم عبد العزيز آل سعود وسيطرته على بلاد الحجاز بعد المذابح التي أقامها جيشه بمساعدة الطيران الإنجليزي (للإخوان) في معركة (السبيلة) ، قضى على قوى الخير التي أوصلته إلى الملك بعد أن خدعها بتبنيه المزعوم للدعوة الوهابية. وهكذا صفا الجو لعبد العزيز وأولاده من بعده ، ليضعوا مقدرات الأمة المالية ومقدساتها الدينية تحت هيمنتهم وسلطانهم الذي تعهدوا أن لا يخرجوا فيه عن مشورة التاج البريطاني.

منذ ذلك الحين ومكة والمدينة وجزيرة العرب تحت سيطرة الإنجليز. ومن ثم الأمريكان الذين ورثوا العرش السعودي ونفط جزيرة العرب والإشراف على مكة والمدينة ضمن ما ورثوه من ممتلكات التاج البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية (1945م) التي أزالت سيادة أوروبا الاستعمارية ، لتتقاسمها سيادة أمريكا وروسيا. وكانت جزيرة العرب وأمراء محمياتها البريطانية ومنهم آل سعود ضمن ما ورثت أمريكا من بريطانيا. والتقى الرئيس الأمريكي (روزفلت) بالملك (عبد العزيز) على ظهر سفينة حربية أمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. ونقلت في ذلك اللقاء كفالة ذلك العرش السعودي الخائن إلى الأمريكان بعد البريطانيين مقابل سمعهم وطاعتهم ، فصار يتلقى المدد من الأسياد

الجدد (الأمريكان) ، ويعطيهم الولاء كما كان الحال مع أسلافهم الإنجليز.

ومما نشر من وثائق تلك المرحلة موافقة عبد العزيز على برامج الإنجليز في الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وعدم الاعتراض على إعطائها لليهود. وموافقته على وعد بلفور.

وفي عام (1936م) قامت الثورة الكبرى التي أشعلها الشيخ عز الدين القسام – رحمه الله – في فلسطين ضد المستوطنين اليهود ، الذين بدؤوا يزحفون على فلسطين بإشراف الإنجليز الذين كانوا قد تعهدوا بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود عبر وعد بلفور رئيس وزراء بريطانيا سنة (1917م). وعجزت بريطانيا عن إخماد الثورة ، فاستنجدت بعميلها (الملك عبد العزيز)، الذي أرسل ولده ووزير خارجيته (فيصل) ليتحايل على عرب فلسطين وزعماء ثورة (1936م) ، من أجل إيقافها بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بريطانيا) على حد وصفه ، فأوقفت الثورة ثم أخمدت ، وكان ذلك أول خطوات ضياع القدس.

ثم أشرفت الجيوش العربية السبعة وحكام بلادها على الانسحابات الشكلية للجيوش العربية بإشراف بريطانيا ، لتقوم على إثر تلك الهزائم المبرمجة دولة إسرائيل سنة (1947م) على أكثر أرض فلسطين ، وليضيع معها النصف الغربي للقدس.

وعبر مؤامرة شبيهة سنة (1967م) تم لإسرائيل احتلال القدس الشرقية وفيها مسجد الصخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلت من الضفة الغربية وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

ثم تتالت فصول المؤامرة – وليس هذا الكتاب محل تفصيلها - لتمر بمحطة مؤتمر مدريد للسلام سنة (1991م) من أجل التطبيع مع اليهود حيث شاركت فيه السعودية وصدرت الفتاوى التاريخية بإباحة ذلك والتدليل عليه بالآيات والأحاديث من قبل هيئة كبار العلماء في السعودية ورئيسها – أبوهم الوالد - الشيخ (عبد العزيز بن باز). بعد أن كانوا قد أفتوا بإباحة دخول جيوش الصليبيين الأوربيين والأمريكان لجزيرة العرب بدعوى ضرورة مواجهة خطر صدام حسين!

ثم تابع قطار المؤامرة والكوارث مسيره ليصل إلى (مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ولي العهد السعودي ، والحاكم الفعلي الحالي للرياض أواسط عام (2002م) ليعرض التطبيع الكامل مع اليهود والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلته سنة (1967م) متنازلا عن باقي فلسطين ! ولينعقد مؤتمر القمة العربي الذي حول مبادرته إلى مشروع عربي كان الغرض منه إجهاض الإنتفاضة التي انطلقت بعنف وقوة في رجب (1423هـ) أي قبل المبادرة بسنة. وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السعودية بتسويق المبادرة عربيا وعالميا ليكمل ما قام به أبوه وعمه وجده من قبل .. رغم أن إسرائيل قبلت نصف المبادرة

(التطبيع والاعتراف بها) ورفضت نصفها (الانسحابات مما احتلته سنة 1967م) وتوجت ذلك بالإطاحة بالسلطة الفلسطينية وإعادة احتلال ما خولتها إياه من الضفة الغربية وقطاع غزة. وصعدت مجازرها للفلسطينيين منذ ذلك الحين.

وخلال تلك السنين وفي أواخر (1990م) وأوائل (1991م) زحفت جيوش التحالف الدولي وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لتنزل في جزيرة العرب مليون جندي بمعداتها وآلياتها العسكرية وبوارجها وطائراتها تحت ستار تحرير الكويت ليبدأ الإحتلال والتمركز المنظم للأمريكان والهجمة الصليبية الحديثة على الشرق الأوسط (جزيرة العرب والشام ومصر والعراق). وهكذا وضعت مقدسات المسلمين الثلاثة (مكة والمدينة وبيت المقدس) تحت الإحتلال الصليبي المباشر بإشراف حكام آل سعود وأمراء جزيرة العرب التي توفي رسول الله ﷺ وهو يوصي المسلمين وينشدهم بقوله (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب). وبوجود (القدس) تحت احتلال اليهود بمساعدة الأمريكان وتعهد الإنجليز تكون مقدسات المسلمين الثلاثة قد وضعت تحت احتلال اليهود والصليبيين وهذا من أظهر مظاهر فساد الدين لدى المسلمين الذين خلوا بين أعدائهم وأقدس مقدساتهم وللأسف.

۞۞۞۞۞۞

3- فساد عقيدة التوحيد لدى معظم المسلمين وانتشار البدع واندثار السنة:

فإن الناظر في أحوال المليار وربع المليار من المنسوبين لملة الإسلام اليوم يجد أن أغلبهم لم يعد لديهم من الدين إلا رسمه ، بل ربما إلا اسمه. ويجد أن الملتزمين بالشعائر منهم وهم في أهل الإسلام قلة في هذا الزمان ، قد توفروا على عقائد مشوهة، ليس فيها مما كان عله سلف هذه الأمة ورعيلها الأول إلا النذر اليسير.

فقد درست معالم العقيدة السمحاء التي جاءنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف أصحابها خلاصة بقوله (ما أنا عليه اليوم وأصحابي). قد وهت هذه العقيدة في نفوس أكثر من ينسبون إلى الالتزام بل إلى الإنتماء للصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة. وحصل ما أخبر به ﷺ من افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين شعبة كلها في النار إلا واحدة ، كما تحقق ما أخبر عنه من قيام دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها. وقد تدرج اندراس هذه العقيدة لدى المسلمين منذ القرن الثاني الهجري ، وما زال البلاء والبدع والانحرافات تطرأ تدريجيا عليها بما أفسد الملوك وفجار القراء من هذا الدين. كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها.

والناظر في أحوال العلماء اليوم وتلاميذهم وأحوال المنسوبين لقيادة مدارس الصحوة الإسلامية ..لا نجد ممن يدعوا إلى ما كان عليه الرعيل الأول إلا أحاد الغرباء هنا وهناك. فمن نجا من (ترهات) المبتدعة والضلال والمنحرفين وأهل الأهواء والملل والنحل المختلفة ، لم ينج في الغالب من البلاء العام في زماننا هذا وهو عقيدة الإرجاء، وهو دين الملوك في زماننا هذا وكل زمان. فلا تجد في أكثر قادة وعلماء ورموز من ينسبون للصحوة الإسلامية والعمل الإسلامي والدعوة ، من أقصى المتصوفة إلى أقصى السلفية مرورا بمعظم رواد الحركات الإسلامية والدعوية ، إلا مسبحا بحمد السلاطين ، مواظبا على موائد الحكام ومجالسهم ، مستجديا لرضاهم. مما أضعف مكانة الدين كله في نفوس العامة. فقد مسخت عقيدة الإرجاء توحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية في ضمير أكثر الأمة. حتى أصبح الحكام المرتدون العملاء الحاكمون بغير ما أنزل الله ، الظالمون لرعيتهم وأهل ملتهم ، الفاسقون في سلوكهم وأحوالهم ، الكافرون بشريعة ربهم أصبحوا لدى أغلب علماء اليوم وكأن القرآن – حاشاه – قد نزل فيهم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المؤمنون الصالحون !! وليس كما نزل بالحق والعدل والصدق ﴿ **فأولئك هم الكافرون** ﴾ ﴿**فأولئك هم الظالمون** ﴾ ﴿**فأولئك هم الفاسقون** ﴾.[كما عبر عن ذلك شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله].

وهذا من أعظم مناحي فساد العقيدة لدى العامة والخاصة. ناهيك عما انتشر بين من بقي في أنفسهم للدين مكانة ، من أنواع الخرافات والبدع و(الخزعبلات) والتعلق بالأموات والقبور والمزارات و شعوذات المشعوذين. هذا عند أكثر من ينسب للتدين.

أما الدهماء والعوام ، فقد نسي معظمهم الله فأنساهم أنفسهم. وأصبح أكثرهم يعبد الحكومات ، أو يعبد المال ، أو يعبد أهواء نفسه، أو يعبد القنوات الفضائية وشاشات التلفزيون يقوم عليها الليل ويعتقد بكل ما تدسه في رأسه من سموم ..

وصارت إله العصر(أمريكا والغرب) وثقافتهم وأفكارهم ، تعبد وتقدس ويُعتقد بها أكثر مما يتعبد الناس لله بعقيدتهم الصحيحة. وصار أكثر الناس يعتقدون في رؤسائهم وكبرائهم وأغنيائهم أنهم ينفعون ويضرون ، ويرزقون ويحرمون ، ويعطون ويمنعون ويرفعون ويخفضون ، بل يحيون ويميتون ... فأي معنى وأي إيمان بقي لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى في نفوس أئمة وعلماء هؤلاء ناهيك عن عوامهم؟! ، وأي طعم بقي لزعمهم تصحيح العقائد..

وأما أكثر من يسمون (طلاب علم) فقد تفشى في أكثرهم داء عبادة الأحبار والرهبان الذين أحلوا لهم الحرام فتبعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فصدقوهم ، ونافقوا لملوكهم ورؤسائهم فاقتدوا بهم .. ونشروا

فيهم بدعا وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ... على أنها دين الله فتبعوهم.

وأما (دعاة للإسلام) والعاملون في الحركات الإسلامية فقد أنزلوا أحزابهم وقياداتهم ، مثل ما أنزل طلاب العلم مشايخهم من الإتباع والطاعة العمياء. رغم علمهم بأن ذلك مناف لأبسط مقومات عقائد الولاء و البراء ، وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ثم لا تجد إلا متمحكا لتبريرات ، ومتعسفا لتعليلات من أجل تسويغ الإتباع الأعمى وعبادة الرجال. إلا من رحم الله وقليل ما هم.

والمصيبة أن كثيرين منهم يظنون أن تصحيح العقيدة هو مجرد التوغل في بحوث الأسماء والصفات ، ومحاربة القبور والموتى والمزارات. وما دروا أن صحة الاعتقاد تشمل كافة مناحي الحياة عقيدة وعبادة وسلوكاً واتباعاً.

حتى صار الداعي إلى الله ، وإلى حقيقة العودة إلى دينه غريبا بين الناس ، قابضا على جمرة الصبر، منطويا على حرقة المعاناة تماما كما وصف رسول الله ﷺ. فقد انتشرت البدع ، واندثرت كثير من السنن حتى عند الملتزمين من المتدينين وهم القلة في الأمة. وأما أكثر باقي الأمة ، فما هم في السنة ولا في البدعة لقد أصبح أكثرهم يستن بسنن المغنيين والمغنيات والراقصين والراقصات والرياضيين والرياضيات ، الأحياء منهم والأموات .. وأصبحت دور الأزياء ورموز الفن

والمجلات، ونجوم الشاشات الصغيرة والكبيرة نموذجا للتقليد والإتباع. ولم يعد عند هؤلاء من النسبة لأهل الإسلام إلا التسمي بالأسماء والتمسك ببعض العادات والتقاليد ذات الأصول الدينية مع بعض رسوم العبادات والمواسم الدينية.

۞۞۞۞۞۞۞

4- انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمنكرات:

فقد صار هذا سمت أغلب المنسوبين للإسلام. وماذا نسوق من الأمثلة وعن ماذا نعرض؟! فالبلاء عام ، والكوارث طامة.

فإذا جئت لدنيا المال والأعمال ومعايش الناس ، لرأيت أكثر الناس لا يبالون هل حصلوا رزقهم من حلال أم ومن حرام ، ولرأيت التعامل بالربا قد حل في كل زاوية ، وأن الناس يأكلون أموال بعضهم بالباطل، بالغش والخداع وبيع العينة ونظام البنوك والتعاملات، وأما معاملات الأسواق فقائمة أصلا على الحرام، هذا ناهيك عن تفشي الرشوة والفساد والسرقات والاحتيال والنهب.

وإن جئت لوسائل الإعلام من الفضائيات والدشوش وشاشات التلفزيون إلى محطات الإذاعة إلى شبكات الانترنت والمعلومات الدولية إلى الصحف والمجلات ، إلى المنتديات والمراكز الثقافية... إلخ، لرأيت

غالبيتها مصدر البلاء وبوابات الشياطين على بني البشر. فإن سمتها الأساسية قائمة على أنواع المحرمات والموبقات. من الموسيقى والطرب إلى اللهو والعري وعروض الاختلاط وبرامج الزنا والدعارة .. إلى نشر الرذيلة وأفكار الفساد وموديلات الأزياء الغربية الفاضحة. هذا ناهيك عن نشر فلسفات الإلحاد وأفكار العلمانية والثقافات المحاربة لله ورسوله ودين المسلمين. هذا فضلا عما ابتدعوه حديثا من عرض ما أسموه (الإسلام المعتدل) ونموذج حياة أصحابه وطرق تفكيرهم ، وقد صار لبوابات الضلال هذه فقهاء ومفتون وأسسا تؤطر للكفر والمروق من الدين باسم الإسلام (المعتدل) بدعوى مواكبة العصر وعدم إعطاء الحجة لأعداء الدين بتهمتنا بالتطرف والإرهاب. ويكفيك أن تتابع على الفضائيات برامج (فتاوى على الهوا) ولو صدقوا لكتبوها بالألف المقصورة لتصبح (فتاوى على الهوى) على هوى كفار الحكام وفساق المحكومين.

وأما حياة أكثر المسلمين الاجتماعية والأخلاقية ، فلم تعد تقوم على أصول الإسلام من الحياء والحشمة والصدق والإخلاص والرحمة والتعاون على البر والتقوى ... فحياة أكثر العامة قائمة على الرياء والنفاق والغيبة والنميمة ، وقطيعة الرحم ، والتدابر والتناكر، والتحاسد والكذب ، والغش والمكاسب الحرام .. هذا ناهيك عن انتشار السفور حتى صار الحجاب نادرا ومحاربا على الصعيد الرسمي والاجتماعي ،

كما أدت حياة الاختلاط وعمل المرأة في أوساط الرجال في كل مجال إلى انتشار الفساد والرذيلة والخيانات الزوجية ، وتفشى الزنا ، وانتشار الطلاق .. مما أورث المجتمعات أمراضا خطيرة لم تكن فيها من قبل .. هذا فضلا عن مصائب السياحة وشواطئ العراة ، وأندية الرذيلة ومقاهي الفساد ، وصالات الأفراح، وملاهي المجون، وانتشار الخمور والمخدرات وصالات القمار ومختلف أنواع المحرمات..

وأما عن الحياة الثقافية والفكرية ! فثقافات مستوردة من شرق وغرب ، وفلسفات قائمة على الإلحاد والعلمانية والتنكر لدين هذه الأمة وهويتها وأصالتها في كافة مجالات الفكر والثقافة والأدب والفنون. وكأنه لم يكفنا ما حصل لنا عبر العقود المتوالية منذ الإحتلال وما تلاه من بلاء حكومات الإستقلال، فها هي أمريكا اليوم تطاردنا بمخططات تغير مناهج التعليم والإعلام والتدريس الديني على كل صعيد. وتصنع لنا برامج التغيير الثقافي لتطال كل مجال .. في اللغة والتاريخ والدين والثقافة وكل مكوماتنا الحضارية والدينية ..

وأما عن الحياة السياسية ... فمجال أخصب للفساد والبعد عن الدين ، فقد انتشرت الأحزاب والتيارات والتجمعات السياسية القائمة على معتقدات وأفكار مناهضة لدين الإسلام. ويكفي أن تستعرض الشرائح السياسية في بلاد المسلمين داخل ما يسمى (البرلمانات). ويكفي أن تطلع على قوانين تشكيل الأحزاب وسير الإنتخابات ،

حتى تعلم أي نوع من البشر صار هؤلاء الذين يسمون (مسلمين)! ولتدرك أن بينهم وبين كل أمة نسب إلا مع أمتهم ودين آبائهم وأجدادهم!.

فقد صارت (الديمقراطية) ونموذجها الغربي دينا يعتقد وتسيل في سبيله الدماء في المظاهرات وعلى صناديق الاقتراع ..، وأما الأحزاب التي تسمى (إسلامية) فبرامجها السياسية قائمة على مزيج من الأصول الإسلامية والديمقراطية الغربية مع كم من الفكر المستورد ومنوعات من الإنحرافات والبدع التي اخترعها أصحابها ومزجوها ببعض أصول الدين ليسموها (برامج إسلامية) و (أحزاب إسلامية) ... بل ليطلقوا على ضلالها مصطلح (فقه برلماني)!

وهكذا دب الفساد في كافة مرافق الحياة ... السياسية ، والدينية، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والفكرية ، والثقافية ... إلخ.

وكيف لا ينتشر الفساد والرذيلة ومقومات الصلاح في أمة الإسلام قد دب فيهما العطب: فكما روي في الأثر: (**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ، العلماء والأمراء**).

كيف لا ينتشر الفساد ويجاهر بالمنكرات ؟ والحكومات القائمة في كافة بلاد الإسلام مشجعة على ذلك ؟! تنفق ميزانياتها ومصادر ثرواتها في وجوه الفساد والإفساد .. كيف لا والقيادات السياسية

والأمراء من الملوك والرؤساء والسلاطين وحاشيتهم ووزرائهم ومشرعيهم وقياداتهم العسكرية والأمنية والسياسية ، هم أئمة الرذيلة والفساد ، وهم من أكابر رواد مراتع المنكر وهم المستخفّون بلا حياء بشرائع الدين وشعائر الإسلام ؟! إنهم باختصار: أئمة الكفر والفساد.

وكيف لا وعلماء المسلمين ومشايخهم وقادتهم قد هجروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصار أكثرهم مجرد (ديكور) يكمل به الحكام موائدهم ومنصاتهم وصالوناتهم. في الإجتماعات والحفلات والمناسبات ! كيف لا والصالحون منهم اكتفوا بالسكون في جحور العجز وأعذار الرخص والتقية ! حتى صغر شأنهم وهيبتهم في أعين العامة ولم يعودوا قدوة تحتذى بل زهدوا الناس في أمور الدين وصار كثيرا منهم نموذجا للضعة والتخلف والعمالة والجهل.

۞۞۞۞۞۞۞

غربة أهل الحق ..

ومن جراء مظاهر فساد الدين واستعلاء أهل الضلالة ، وكون أكثر أكابر الناس في مجتمعات المسلمين هم أكابر المجرمين ممن قدمنا أحوالهم من أعيان رجال السياسة والتجارة والفنون والفساد ومن في حاشيتهم من المنحرفين.

فقد أصبحت الفئة المتمسكة بدينها ، الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر ، الداعية إلى تغييره ، صارت غريبة في المجتمع. وأصبحت الثلة المؤمنة المتمسكة بالاعتقاد الصحيح والسلوك الملتزم بقواعد الدين غريبة في تلك الفئة الصالحة ، وصارت القلة المجاهدة في سبيل الله ، المواجهة لأعداء الله في الداخل والخارج من أجل تصحيح هذه الأوضاع ودفع هذا البلاء ، صارت هذه القلة غريبة في تلك الثلة. وصار حالها إلى ما وصف رسول الله ﷺ مما قدمنا له في فصل الغربة والغرباء والظاهرين على الحق.

وعلى هذا الحال انصرم القرن الميلادي العشرون ودخلنا في القرن الحادي والعشرين، لتجد أن أكثر الناس وكأنهم يتهيئون لإتباع المسيح الدجال ، لا يحول بينهم وبين ذلك إلا خروجه. والعياذ بالله ونسأل الله السلامة في ديننا وأعراضنا وأنفسنا وذرياتنا وكل أمرنا.

ثانيا: ذهاب الدنيا ..

وأما عن ذهاب دنيا أكثر المسلمين. فإن الأكثرية الساحقة للمليار وربع المليار من المسلمين تعيش في هذا الزمان معيشة ضنكا، من سوء حال دنياها ، وضيق معايشها ، فضلا عما قدمنا من فساد دينها وبعدها عن ربها. ويكاد يطابق حال أكثرهم ما وصف رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن ماجة وصححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**) فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة الله وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا المسلمين وأسبابها في أمور كثيرة لعل أهمها ما يلي:

1- سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم الأساسية:

فمن المعلوم للقاصي والداني أن منطقة الخليج العربي تحتوي على أكبر احتياطي للنفط المعروف في الكرة الأرضية. وهو خزان النفط الأول في الأرض كما أن الكشوف الحديثة أثبتت أن الخزان الثاني في الأهمية على مستوى العالم هو في منطقة جمهوريات وسط آسيا

الإسلامية ، والمنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى القفقاس. بالإضافة إلى أن ثروات نفطية وغازية هامة أخرى تتركز في بلاد العراق والشام ، وهنالك بحيرة نفطية أخرى في جنوب السودان والقرن الأفريقي وثالثة ممتدة من مصر إلى الجزائر.. هذا على صعيد الثروات الأساسية في العالم الحديث وهي مصادر الطاقة التي تشكل الثقل الأساسي اقتصاديا وسياسيا بل واستراتيجيا على كل المستويات .. فإذا ما أضفنا إليها أن العالم الإسلامي الممتد من أفغانستان والباكستان والفلبين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وسواحل المغرب وموريتانيا والسنغال غربا ومن أوسط آسيا والقفقاس والبلقان وشمال إفريقيا شمالا وإلى جنوب آسيا وجزر أندونيسيا وأواسط إفريقيا السوداء جنوبا إذا علمنا أن هذا العالم الإسلامي يمتلك من الثروات المعدنية المختلفة مخزونا هائلا استراتيجيا ، بحيث أن عددا من دوله تعتبر من الدول الأولى المصدرة لمعادن صناعية هامة وإذا أضفنا إلى ذلك الثروات الحيوانية والزراعية التي تتوفر عليها هذه المناطق. بالإضافة لما توفره مصادر المواصلات البرية والبحرية والجوية وحقوق (الترانزيت) لهذه المنطقة التي تحتوي على أهم أربع مضائق ومعابر مائية عالمية من أصل خمسة هي مضيق هرمز، وباب المندب ، وقناة السويس ، ومضيق جبل طارق وتشكل أجواؤها عقدة مواصلات بين الجهات الجغرافية الأربع في العالم، لعجبنا كيف أن هذه المنطقة تشتمل على بلاد قد تصدرت

قوائم الدول الأكثر فقرا وتخلفا وجهلا وأمية في العالم !! وأن الأكثرية الساحقة لشعوب هذه المنطقة بما فيها شعوب دول نفطية ذات عضوية في منظمة الأوبك تعيش تحت خط الفقر. رغم أن الإحصائيات الإقتصادية المنشورة علنا من قبل مراكز الدراسات العالمية، تشير إلى ثروات خيالية ، تفوق الحصر وتذهل المطلع.

ويكفي على سبيل المثال أن نعلم أن 65 % من استهلاك أوروبا للغاز الطبيعي يأتي من الجزائر مرورا بالمغرب. وأن نعلم أن جزيرة العرب وهي عقر دار الإسلام وبيت مالهم الأساسي تحوي 75 % من احتياطي النفط المعروف في الأرض. وأنها تنتج نحو 16 مليون برميل نفط يوميا !! وأن أحد حقول النفط في جنوب العراق قادر على إنتاج 5 مليون برميل نفط يوميا هذا عدى ما ينتج من الغاز فيها.. هذا عدا ما هو معلوم من احتياطي النفط والغاز في بلاد مثل إيران والجزائر وسوريا والسودان .. وعن ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم في محيط ببحر قزوين ..

فكيف اتفق هذا ؟! أن تكون شعوب أغنى بقعة في الأرض ، هي أفقر شعوب الأرض !.

يزول العجب إذا اطلعنا على آلية السرقة التاريخية الأسطورية التي يمارسها الغرب بدوله المختلفة، وعلى رأسها أمريكا ودول أوروبا الناتو وروسيا .. وهم العدو الصليبي الزاحف علينا اليوم .. حيث يمول

حروبه التي تزهق أرواح أطفالنا بأموالنا وثروات بيت مالنا .. إنهم ببساطة يأخذونها ويذبحوننا بها ! يأخذون بترولنا ليحركون به طائراتهم وأساطيلهم ودباباتهم الآتية لقتل أطفالنا ونسائنا، ولتعود أرباحه على شعوبهم لتعيش رفاه العيش.

إن الثروات تسرق من مصادرها ، لأنها تستخرج كلها عبر شركات أجنبية تشرف على مراحل الاستخراج والتسويق والتجارة، وتدير البنوك الدولية حيث تستقر الأرصدة ، فتستكمل دائرة السرقة من البداية إلى النهاية!!

ذلك أن السرقة تبدأ من عقد العقود مع الحكومات الخائنة عميلة اللصوص المستعمرين الذين يمتلكون ويديرون تلك الشركات. حيث يذهب ما بين 40-60 % إليهم عبر عقود الشراكة ، وهذه أول مراحل السرقة ! ثم تأتي المرحلة الثانية من السرقة بتزوير كميات المواد المستخرجة لأنهم هم المشرفون على استخراجها بواسطة مهندسيهم وخبرائهم ، فضلا عن رشوتهم للمشرفين من حاشية حكامها على هذه الثروات من أجل تزوير الكميات في العديد من البلاد. ثم تأتي ثالث مراحل السرقة ، في تحديد أسعار هذه المواد وتسويقها عالميا بأبخس الأثمان. ويكفي أن نعرف أن السعر الحقيقي المفترض أن يكون لبرميل النفط الخام إذا ما قيس بأسعار المواد المصنعة ، ودوره في تشغيل مصانعها هو بحسب بعض مراكز الدراسات الإقتصادية العالمية في

بلاد الغرب ذاته 26 يجب أن يكون 260 دولار للبرميل الواحد. في حين لم يتجاوز في الحقيقة سعره عالميا في تاريخه 45 دولار!!. وقد تراوح في معظم وقته حول 20 دولار للبرميل! وانخفض في بعض الأحيان عن 10 دولار!! كل ذلك لأن أسياد البورصة العالمية التي تلعب باسعار البضائع الأساسية ، وقيمة العملات الدولية ، هم من اليهود ومن كبار الرأسماليين الصليبيين ، أي نفس المحتل المستعمر لبلادنا ! ثم نضيف للمأساة فصلا جميلا حين نعلم أن حكومات بلادنا العميلة ، واللصوص المحليين من حكامنا وملوكنا وأبنائهم وإخوانهم وكبار حاشيتهم ... يحصلون من هذا البترول على هبات من خارج الحصص المقرر إنتاجها عالميا في تلك البلاد ، فيبيعوه بنحو3 دولار للبرميل الواحد في المياه الدولية وأعالي البحار ، فيخسفون بسعر النفط عالميا ، ولكن ناقلة صغيرة من نصف مليون برميل تكفي عائداتها (1.5 مليون دولار) لتغطية مصاريف نزواتهم من الزنا والفجور والقمار لعدة أسابيع!!!

هذا مثال واحد من عالم النفط وقس عليه كافة الثروات وطرق سرقتها...

ثم تأتي المرحلة الرابعة من السرقة ... حين تنتقل حصة بلادنا من ثمن هذه المواد إلى بنوكهم ، لتتحول إلى أرقام وأصفار الكترونية متراكمة عندهم في الحسابات يشغلون بها اقتصادهم ولا يسمحون

لحكوماتنـا أن تسـحب منهـا إلا كميـات محـدودة ومحسـوبة، لتـذهب معظمها في شراء المواد الصناعية والأسلحة واحتياجاتنا مما نستورده من عالمهم المصنع ، حيث يفرضون أسعار موادهم كما يحبون ويشتهون ! بـل يفرضـون علـى بـلادنا نـوع وكميـات السـلاح والـذخائر الـذي نسـتورده! وسـعره طبعـا ! يكفـي مثـالا أن أحـد نـواب مجلـس الأمـة الكويتي قد فجر فضيحة حين كشف عن فاتورة بمليارات الدولارات الـتي تحاسـب بهـا أمريكـا الكويـت عـن نفقـات قواتهـا هنـاك ، حيـث سـجل في مصـاريف الطعـام ثمـن (الخسـة) مـن الخضـار المسـتخدمة في السلطة 30 دولار أمريكي !!.

لتكتشف في نهاية المطاف أننا لا نحصل من ثرواتنا إلا على نسب مئوية مضـحكة يذهـب معظمهـا للحسـابات السـرية لحكامنـا وجلادينـا في البنـوك السويسـرية والأوروبيـة والأمريكيـة ذات الإدارة اليهوديـة. ولا يصل للشعوب إلا ما يغطي نفقات تلك الحكومات وبعض مشـاريعها الأساسية. أما معظم الثروات المعدنية فهي تسرق بنفس الطريقة وتنقل غالبا على شكل فلزات وأحجار ومواد خام للتصدير، بحيث لا تصنع وتستخلص محليا حتى لا يكون في أكثر تلك البلاد بنى تحتية صناعية ولا تستعمل اليد العاملة المحلية فيها إلا على صفة حمالين من المناجم إلى موانئ التصدير.!!

وهكذا تحولت تلك الثروات والنعمة العظيمة التي منحها الله بلاد عباده المسلمين ، إلى نقمة صارت سببا لتصارع الحكومات والانقلابات السياسية والعسكرية محليا من أجل تولي السلطة ، والإشراف على نهب هذه الثروات وتسليمها للسيد المستعمر من قبل الحكام المرتدين المتعاقبين على حكم بلادنا. وسببا في النهاية للغزو الأجنبي والحروب والموت ولباس الخوف والجوع. هذا ناهيك عما تفرضه أمريكا على معظم حكومات بلادنا ولاسيما في عقر دارهم وبيت مالهم (جزيرة العرب) من فواتير تكاليف غزواتها في بلادنا على شكل نفقات قوات (حفظ السلام) و (المساعدات العسكرية) المزعومة !! وهو الاسم الملطف للاستعمار العسكري الحديث. كما فعلت أمريكا بالسعودية عندما قدرت تكاليف (عاصفة الصحراء/ تحرير الكويت) بـ (560 مليار دولار)! فاستولت على ميزانية السعودية لديها وجعلت ما عجزت عنه على شكل ديون ربوية جعلت السعودية – أكبر مصدر للنفط في العالم – دولة مدينة ربويا لصندوق النقد الدولي !! هذا بعض ما كشفته وسائل الإعلام ، والمخفي عنا أدهى وأعظم وأمر.

2- سوء توزيع الثروة في بلادنا الإسلامية:

لا تنتهي مأساة سرقة بيت مال المسلمين وثرواتهم عند حد سرقتها، فالمصيبة الأعظم هي أن ما يسلم من الثروات المحلية وما يصل منها لبلادنا يتولى سرقة معظمه حفنة من الحكام الفراعنة المسيطرين على مقدرات البلاد والعباد لينهبوا معظمه، وليتقاسموا بعضه مع المقربين من حاشيتهم وشركائهم وعملائهم وكبار التجار والقائمين على أجهزتهم السلطوية والطاغوتية ! فيكفي أن تعلم أن ثروات بلاد الخليج النفطية والغازية التي تجاوز مواردها المليار دولار يوميا.. يتقاسمها أسر حاكمة ومالكة لا يتعدى تعداد أفرادها في بعض الدول العشرات من الأمراء. وهم بمجموعهم في دول الخليج العربي لا يزيدون على بضعة مئات من الملوك والأمراء وكبار أبنائهم.. يتقاسمون ثروة الأمة الإسلامية بكاملها.. فيكفي أن تعلم مثلا أن المصروف اليومي للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لملك ما يسمى بـ (المملكة العربية السعودية) يبلغ 3 مليون دولار يوميا بحسب بعض مراكز الدراسات الملمة بإحصائيات دنيا المال والأعمال وحياة الأغنياء! حيث تغطي هذه المبالغ خدمات قصوره الممتدة من سواحل أمريكا إلى أوروبا إلى شرق آسيا بما فيها من خدمات اللهو والدعارة والقمار والفساد.

وقس غيره عليه ، ومن الطريف المحزن أن تعلم أن الأخبار قد نشرت أن فيصل بن فهد ملك السعودية مات فجأة بسكتة قلبية لأنه خسر على موائد القمار في بعض معاركه على طاولة الميسر (10 مليار دولار) يعني عشرة آلاف مليون دولار.. وقس عليه حكام باقي بلاد العالم الإسلامي المنكوب حيث يتولى أبناء الملوك والرؤساء وكبار أعوانهم وقواد جيوشهم وأجهزة استخباراتهم تقاسم ثروات البلاد ، بحيث يعيش معظم أفراد الشعوب الإسلامية عمليا تحت خط الفقر بموجب إحصائيات دراسات اقتصادية واجتماعية يتفطر لها القلب ويندى لها الجبين فسوء توزيع الثروة يتدرج على كل المستويات..

فثمة سوء توزيع للثروة بين البلاد الإسلامية ذاتها بحكم التقسيم السياسي الاستعماري لبلاد العالم الإسلامي وتوزيعها بين دول غنية متخمة ودول فقيرة هالكة .. ففي حين يصل متوسط دخل الفرد في بعض البلاد الإسلامية مثل بنغلادش وأفغانستان وبعض البلاد الأفريقية الإسلامية ليقل عن 100 دولار في السنة للفرد ! أي نحو ربع دولار يوميا يصل متوسط دخل الفرد في البلاد الخليجية إلى عشرات آلاف الدولارات سنويا للفرد الواحد حيث تسجل بعضها –مثل الكويت وقطر– أعلى معدل لدخل الفرد في العالم. ثم هناك سوء توزيع ثروة داخل كل بلد..

ففي حين تصل ثروة بعض الأفراد في بعض البلاد الإسلامية حتى الفقيرة ولاسيما في طبقات السلطة العليا في كل بلد إلى مرتبة المليارديرات .. حيث يتصدر بعض حكام بلاد المسلمين وبعض أبنائهم وإخوانهم قوائم أغنى عشر مليارديرات في العالم .. تجد بعض أفراد رعيتهم يموتون جوعا وتسحق البطالة معظم أفراد شعوبهم.

كل هذا علما أن من أساسيات ديننا أن أمة الإسلام واحدة ... وأن ذمتهم واحدة ، وتكاملهم واحد. حتى أن رسول الله ﷺ .. أخبرنا بأنه ما آمن من بات شبعا وجاره جائع. (الحديث).

فثروات المسلمين هي ملك المسلمين ، بمعنى أن جميع الثروات لجميع المسلمين.

ولكن تقسيمات وزارات المستعمرات الغربية لبلادنا قسمت الثروات ووزعت الفقر والغنى. فأين حال الأمة مما كان عليه الأمر الأول؟!.

فقد روت الآثار أن الصحابة رضوان الله عليهم لما فتحوا العراق وكثرة الغنائم والمال .. نظر عمر في سعة الأرض بعد فتوح العراق وما أفاء الله على المؤمنين .. فجمع الصحابة وناظرهم في أنه يرى ترك أراضي سواد العراق لبيت مال المسلمين، ثروة لمن يأتي من بعدهم رغم أن بعض الصحابة احتج وطالب بأن تقسم على المجاهدين الذين غنموها، وكان لهم في ذلك أدلة ونصوص من كتاب وسنة.

ومما جاء من الآثار في ذلك:

(عن أسلم: قال: سمعت عمر يقول: اجمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه وإني قد قرأت آيات في كتاب الله. سمعت الله يقول: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ – إلى قوله – ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال أُعطي منه أو منع حتى راع بعدن).[1]

فقد فكَّر ﷺ في الذين جاؤوا من بعدهم ، وقال رضي الله عنه : (والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل من صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه)[2].

وقال ﷺ: (ما على وجه الأرض مسلم إلا وله في هذا الفيء حق أُعطيه أو منعه إلا ما ملكت أيمانكم)[3].

وقد ضرب عمر ﷺ المثال بحق فقير يمني بما فتح الله في العراق ، وهي من أبعد ما كان يصل إليه حكمه من ديار الإسلام عن مكان الثروة والمال الجديد. فجعل لأهلها نصيبا مما دخل بيت المال من الثروات حتى الزراعية وهي أرضي سواد العراق ... فما بالك بثروات باطن الأرض الطائلة ؟! ولكن السياسات الاستعمارية قسمت البلاد وأذلت العباد ، حتى تمكنت من سرقة الجزء الأكبر ، وجعلت المسلمين يتفاضلون فيما بقي منه في أسوء مثال لتوزيع الثروة في التاريخ والواقع.

---

[1] كنز العمال ص **561**

[2] كنز العمال ص **524**

[3] كنز العمال ص **525**

وبذهاب الثروة وضياعها وسوء توزيع ما تبقى منها، نتجت نتائج خطيرة جدا على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في بلاد المسلمين ، وانعكست بالإضافة لما نتج عن غياب شرع الله والحكم به مما قدمنا، لتولد باقي أعراض ذهاب الدنيا نكد العيش على كل صعيد. ومن بعض وجوه ضياع الدنيا ونكد العيش على سبيل الذكر وللإشارة ..

۞۞۞۞۞۞۞

3- الظلم:

إن غياب عدالة الشريعة ، وغياب عدالة توزيع المال ، جعل أكثر الناس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا. والناظر في تسلسل مراتب الظلم والمظالم يجده طابعا أساسيا لعيش المسلمين .. فأمريكا والدول الاستعمارية تظلم بلاد المسلمين حكاماً ومحكومين وتخضعهم لجبروتها. والحكام الفراعنة يظلمون من تحتهم من أعوانهم وشعوبهم ويقهرونهم. وكبار الأعوان يظلمون صغارهم بحسب تفاوت قربهم وبعدهم من السلطان، وبحسب مناصبهم وصلاحيات طغيانهم ..، وهم بجملتهم يظلمون باقي الناس بحسب قدرتهم أيضا أغنياءَهم

وفقراءَهم على حد سواء ، ويبتزون أموالهم وينتهكون حرماتهم .. وحتى داخل طبقات الشعب ؛ فإنك تجد القوي يظلم الضعيف ، والغني يظلم الفقير ، وهكذا.. ، حتى أن الظلم كاد أن يكون عرفا مقبولا ، لا تكاد تجد عليه اعتراضا من أحد، وكأنه قدر مقدور لا طاقة ولا قبل لأحد بإزالته، حتى أصبحت المحاكم وهي ما تسمى (بيوت العدالة) أصبحت دورا لأخذ الرشوة وأكل الحقوق .. فأين ينتصف مظلوم من ظالم.. ؟!

۞۞۞۞۞۞۞

4- القهر والذل :

وهكذا ألبس الناس ثياب الذل والانكسار، كل ضعيف تجاه من هو أقوى منه، وكل فقير تجاه من هو أغنى منه، وكل محكوم تجاه من بيده شيء من السلطان أكثر منه. وأصبحت الضغائن ومشاعر القهر تسيطر على معظم الناس تجاه حكامهم خاصة ، وفيما بين أكثريتهم عامة ، وأورث هذا الناس أمراضا اجتماعية مستعصية من الرياء والنفاق والتحاسد والتباغض ..

۞۞۞۞۞۞۞

5- الخوف :

وأما لباس الخوف فهو سربال يتسربل به أكثر المسلمين منذ نعومة أظفارهم بسبب ما تقدم من العوارض. فالمسلمون حكاما ومحكومين يخافون من سيطرة وسلطان الأعداء وعدوانهم، والشعوب تخاف حكامها، وكل ضعيف يخاف من هو أقوى منه.

ففي ظل الأنظمة البوليسية حيث تتعدد أجهزة الإستخبارات ، ويتفنن الجلادون في صنوف التعذيب ، وتنفق الحكومات قسطا كبيرا من ميزانيتها في بناء السجون ، يسيطر الرعب على كافة طبقات الناس ، فالموظف يخاف المدير ، والأستاذ يخاف المخبر من التلاميذ ، والسائق يخاف شرطي المرور ، والمواطن يخاف المخابرات، والمتظاهر يخاف القمع.. وخطيب الجمعة يخاف الجاسوس بين المصلين .. والكتاب يخافون الرقابة.. وهكذا.. إلى الحاكم العميل الذي يخاف من أمريكا ، ويواليها خوفا وطمعا كي تُبقي عليه، وتضمن توريث ملكه لأبنائه أو ذويه وأتباعه ..

6- الجوع والأمراض:

وبسبب سرقة بيت مال المسلمين الأساسي (نفطهم وثرواتهم)، وبسبب سوء توزيع ما تبقي ونهبه من قبل الكبراء. ألبس الناس لباس الجوع مع لباس الخوف. فالأكثرية الساحقة للمسلمين تعيش تحت خط الفقر، وتثبت هذا إحصائيات المنظمات المحلية والعالمية ذات العلاقة بهذا الشأن. كما أن كثيرا من بلاد المسلمين مثل بلاد القرن الأفريقي وبنغلادش وسواها تجتاحها المجاعات والأمراض والكوارث .. التي تحصد مئات آلاف البشر كل سنة. ومعظم بلاد المسلمين نتيجة اختلال موارد الثروة تعيش حياة متدنية على مستوى الخدمات الصحية. مما نشر الأمراض المزمنة والأوبئة وجعل إمكانيات الحكومة دون مستوى التصدي لها ، كما جعل تكاليف العلاج بعيدة عن متناول معظم العائلات الفقيرة.

وقد أودى الفقر بكثير من الشباب والرجال إلى الرحيل عن بلادهم طلبا لموارد الرزق ، حتى صارت كثير من بلاد المسلمين كالباكستان ودول شمال إفريقيا وتركيا وسواها.. بل معظم بلاد المسلمين مصدرا لتصدير العمالة الرخيصة المهاجرة إلى كافة أنحاء العالم ليضيع الرجال شبابهم بعيدا عن أسرهم ونسائهم وأطفالهم من أجل كفاف العيش. أما عن الجهل فحدث ولا حرج ، ويكفي على سبيل

المثال أن نعلم أن الإحصائيات تشير إلى وجود (65 مليون) أمي في العالم العرب فقط ، علما أن تعداد السكان فيه يناهز الـ300 مليون نسمة !!.

۞۞۞۞۞۞۞

7- القتل الجماعي:

تتعرض كثير من بلاد المسلمين اليوم لحملات للإبادة الجماعية من قبل المستعمر الغربي في ظل النظام العالمي الجديد. وتكاد لا تخلو نشرة أخبار يوميا من خبر أو أكثر عن تلك المجازر. فخلال العقدين الأخيرين فقط ... حصدت المجازر مئات آلاف المسلمين في البوسنة، والشيشان ، وكوسوفو، وكشمير، والهند ، والفلبين ، وأفغانستان ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان ، والصومال ، وأندونيسيا ، ونيجيريا ، وبورما ، وإريتريا ، وكردستان العراق ، ... وغيرها.

بل إن حملات القتل المنظم والتجويع نالت ملايين الأطفال كما في العراق ، حيث لم تكتف أمريكا بقتل أكثر من 300 ألف مدني وعسكري في حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) .. فقتلت عبر 10 سنوات من الحصار أكثر من مليون ونصف طفل من سوء التغذية

وانعدام الدواء. وملف المجازر الجماعية وعمليات الإبادة العرقية والتصفية الجسدية الحاصلة للمسلمين اليوم تحتاج إلى مجلدات قائمة بذاتها ومؤرخين متفرغين يتابعون تفصيلها وإحصائياتها !!.

هذا ناهيك عن عمليات القتل والإبادة عبر أنظمة وبرامج تحديد النسل ، والأدوية المعقِمة والفاسدة والناشرة للأمراض ، التي يرسل بها الغرب عبر شحنات الأغذية والمساعدات التي تدخل بلاد المسلمين المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائية !!.

ناهيك عن عمليات التصفية والمجازر التي تقوم بها الحكومات وأنظمتها الطاغوتية لشعوبها ، وخاصة للشباب المسلم في حال شعورها بأي خطر. وقوائم جرائمهم طويلة، فقد قتل صدام خلال حكمه في العراق أكثر من مليون إنسان ، وقتل الملك حسين في الأردن في أيلول الأسود 1970م عشرين ألف فلسطيني ، وقتل حافظ أسد مطلع الثمانينات أكثر من 40.000 من الشعب السوري وفي تل الزعتر في بيروت – لبنان نحو 60.000 من الفلسطينيين ، وفي طرابلس كذلك أكثر من 20.000 لبناني ، كما حصد النظام الجزائري بعد الإنقلاب ب العسكري 1991م وإلى اليوم أكثر من 150.000 إنسان ... وهلم جرا.

۞۞۞۞۞۞۞

8- التهجير الجماعي :

كذلك وفي كل مناطق الحروب والكوارث ، وفي مناطق المجازر آنفة الذكر ، نجد أن كثيرا ممن سلموا من القتل ، خرجوا في أفواج هجرة جماعية فارين من عمليات الموت الزاحف. كما حصل في البوسنة و الشيشان وأفغانستان والصومال وإرتريا وفلسطين وكشمير وكوسوفو ... ويكفي أن تطلع على إحصائيات المنظمات الدولية لرعاية اللاجئين ، لتكتشف أن عشرات الملايين من المسلمين يعيشون مهجرين عن بلادهم في مخيمات تفتقر لأدنى مقومات حقوق الحيوان فضلا عن حقوق الإنسان.

۞۞۞۞۞۞۞

9- انتهاك الأعراض :

وفي كل تلك المناطق المنكوبة بالحروب وعدوان الدول والعصابات الصليبية والهندوسية والملحدة وغيرها من أنواع الكافرين، لم تسلم أعراض المسلمين من أبشع عمليات الانتهاك والاعتداء من قبل

الكفرة، بل بلغت مدى مرعبا في بعض مناطق البلاء كما حصل في البوسنة حيث سجلت منظمات حقوق الإنسان أكثر من 50.000 حالة اغتصاب للمسلمات هناك. فضلا عما ترصده الأخبار هنا وهناك من هذه الجرائم. هذا من قبل الأعداء الخارجيين ، فضلا عما تقوم به أجهزة الحكومات البوليسية الفاجرة ورجال استخباراتها في بلاد المسلمين من العدوان على أعراضهم في سجونها بلا حسيب ولا رقيب...

هذا عن الانتهاك الإجباري للأعراض ، ناهيك عما فشا في المسلمين من انتهاك طوعي للأعراض بفضل سياسات الحكومات وأجهزة إعلامها الداعرة في نشر الرذيلة والفساد وسوء الأخلاق ، حتى انتشر الزنا في المسلمين انتشار الوباء..

۞۞۞۞۞۞۞

10- القلق والضياع النفسي:

وهو النتيجة الطبيعية لكل ما سبق ، فإن أمة تعيش بعيدة عن دين ربها ، غريبة عن معتقداتها ، محكومة بشرائع أعدائها ، قد هجرت دينها ولم تنسجم في دين أعدائها ، فبقيت مغربة لا هي تعيش

الإسلام، ولا هي تذوب في دين غيره. يعيش أفرادها انعكاسات كل ما قدمنا من ألوان البلاء .. من الفقر والجوع ، والخوف والمرض والقهر والذل والظلم والفساد ، وتسلط الفراعنة الحكام ، وطغيان الأعداء وعدوانهم. بكل ما أورث ذلك من الأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية والنفسية .. لا شك أن أمة كهذه سيعيش أفرادها التيه والضياع والقلق. فلا هي في دنيا مريحة ، ولا هي تتسلح بدين يسعفها بالصبر والتوكل والقدرة على مقارعة الخطوب. وهذا ما أثبتته دراسات مطلعة ، وإحصائيات مقلقة ، من ازدياد معدلات الانتحار، والطلاق ، والأمراض النفسية والاجتماعية ، وانتشار كثير من مظاهر الهستيريا وأعراض الإكتئاب. وبالخلاصة ، وكما عبر القرآن عن ذلك بكل اختصار وصرامة .. ، وصدق الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه:126-124)

وما أوجز العبرة فيما روي عن رسول الله ﷺ فيما روي عنه: (**إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة**).

۞۞۞۞۞۞۞

ثالثا: تسلط الأعداء وتحكمهم في كافة مناحي حياة المسلمين ..

تماماً وحرفياً ، وكواحدة من أنصع دلائل النبوة، حل بالأمة ما أخبر بحصوله صل الله عليه وسلم ، فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**).

فالعالم الإسلامي اليوم يعيش حالة من التسلط الكامل للأعداء على جميع مقدراتهم وسبل حياتهم بشكل فظيع ما مر في تاريخهم مثله. ويتجلى ذلك في مظاهر عدة من أهمها:

1- تحويل بلاد المسلمين إلى ميدان لنهب الثروات وسوق لتصريف منتجات الأعداء:

أما نهب الثروات فقد مرت نبذة عنه، وخلاصة ذلك إشراف الإستعمار وعلى رأسه أمريكا وأوروبا الغربية على عمليات استخراج

الثروات النفطية والمعدنية وغيرها من الموارد ، ثم الإشراف على نقلها وتحديد أسعارها والتجارة بها والاستيلاء على أثمانها في بنوكهم الصليبية اليهودية.

وفي مقابل ذلك يقوم الغرب المستعمر في بلادنا التي تضم نحو خمس سكان الأرض ، بتحويلها إلى سوق لتصريف منتجاته بدءً من الأسلحة والآليات والكمبيوترات ومختلف منتجات التكنولوجيا ، وانتهاء بالصناعات الاستهلاكية العادية من أنواع الأطعمة والملبوسات والمواد الاستهلاكية المصنعة...

فالمسلمون يستوردون من الغرب حتى الملابس الداخلية والشباشب .. بل حتى الخبز والورق الناشف، وبالرغم من أن العدو المستعمر يفرض على الدول المستعمرة ومنها العالم الإسلامي أسعار ثرواتها المعدنية ومنتجاتها الزراعية والحيوانية. وهي عصب صناعاته وموارد غذائه ، بل يفرض عليها قيمة عملاتها الشرائية ، فإنه في الوقت ذاته يفرض أعلى الأسعار والرسوم على منتجاته المصدرة إلينا، بل وتبلغ المأساة مداها إذا علمنا أن الغرب ذاته وعلى رأسه أمريكا يقوم بعملية منع انتشار التصنيع الحديث والتكنولوجيا ، بل وحتى التصنيع المتوسط في معظم بلاد العالم الإسلامي ، كي نبقى سوقا لتصريف منتجاته بل إنهم يفرضون حتى السياسات الإقتصادية وبرامج التنمية وخطط الزراعة والإنتاج الحيواني ، التي يتحكم بها بالتفصيل

صندوق النقد الدولي ، بحيث لا تصل بلادنا إلى الاكتفاء الذاتي من الأغذية الأساسية كالقمح والسكر والأرز وغيره. وهناك أمثلة كثيرة صارخة على هذا. فقد منع صندوق النقد الدولي السودان – مثلا – من البدء بمشروع اكتفاء ذاتي بالقمح بعد وصول حكومة (البشير) إلى السلطة ، ولما أصرت هددها بوقف المساعدات. وأغرتها أمريكا بإمدادها بالقمح لمدة عشر سنوات بقروض غير ربوية. وبكميات من المنح الغذائية على شكل هبات بدون مقابل! وكان الغرض واضح. وهو تحويل الأراضي الخصبة إلى أراضي بور لا تصلح للزراعة. وربط رغيف الخبز في السودان بالقرار الأمريكي.. ويكفي أن نعلم أن مصر التي كانت في العهد الروماني تكفي الإمبراطورية الرومانية من القمح ، تعيش اليوم على احتياطي من القمح الأمريكي يكفي المصريين من الخبز لمدة ثلاثة أشهر .. وليس هنا محل سرد الإحصائيات والتقارير. فباختصار يمكن القول بأن الحال الاقتصادي والغذائي والصحي للشعوب الإسلامية مرعب بسبب هذه السياسات.

❖❖❖❖❖❖❖

2- تسخير اليد العاملة الإسلامية لخدمة صناعات الأعداء:

فبسبب سياسات التجويع والحصار وحكومات الظلم ... هاجر من بلاد المسلمين ملايين العمال. ومئات الآلاف العلماء والمثقفين وحملة الشهادات إلى بلاد الغرب ولاسيما أوروبا وأمريكا ، ليسدوا ثغرات ضخمة في البنية التحتية لمصانعهم بأبخس الأثمان ... وفوق ذلك فإن الدول الرأسمالية الغربية جميعها ولاسيما الأوروبية قد أنشأت مصانعها المتخصصة في لصناعات البسيطة والمتوسطة في بلاد المسلمين، ولاسيما في مجالات الأغذية والملبوسات والمواد الإستهلاكية تحت مسمى (الماركات) العالمية الشهيرة التابعة لها. لتستفيد من رخص اليد العاملة في بلادنا دون أن تخل بالقاعدة الصارمة المفروضة من قبلهم بأن لا تكون تلك الصناعات من مستوى التكنولوجيا حتى لا تستفيد تلك البلاد من الخبرات الصناعية.

بل إن نظام التسخير للعمالة - شبة المجانية - من قبل الغرب لليد العاملة في البلاد الإسلامية وبلدان العالم الثالث ولاسيما غير المسيحي، دخل المجال العسكري منذ الحرب العالمية الأولى والثانية .. ويكفي أن نعلم أن وقود المعارك الضخمة التي دارت رحاها في شمال إفريقيا وغيرها من ساحات المواجهة بين دول الحلفاء ودول المحور – كمعركة العلمين وغيرها - كانت من الجنود المجندين من دول

المستعمرات ومعظمها دول عربية وإسلامية .. وأن نعلم أن فرنسا خسرت في فيتنام في معركة سقوط (دان بيان فو)، أكثر من 16000 من القوات الخاصة كان منهم الآلاف من الجزائريين والمغاربة وجنود المستعمرات الإفريقية وكثير منهم مسلمون ... واليوم تشكل قوات الأمم المتحدة وقوات حفظ السلام في مختلف مناطق التوتر ولاسيما في البلاد الإسلامية من جنود ومرتزقة ومتطوعين من المسلمين ، أو من قطعات عسكرية ساهمت بها حكومات نوابهم الطواغيت في بلادنا ! وها هي أمريكا اليوم تقوم باستخدام جنود بعض بلادنا لغزو بلاد أخرى ، ولما تفتحها ، تشكل من أبنائها شرطة وعساكر ، تجعلهم درعا واقيا لعساكرها ، وتستخدمهم في ذبح أبناء بلدهم المستعمَر ذاته !! كما يجري الآن في العراق.

بل إن نظام الاستعباد والعمالة المسخرة لخدمتهم وصل إلى مجال الدعارة والترفيه في استيراد نساء المسلمين للترفيه عن جنود المستعمرين الغزاة لبلادنا كما حصل وذكرت بعض الصحف ووسائل الإعلام عن استخدام القوات الأمريكية والغربية في حرب الخليج الثانية لما يسمى بعاصفة الصحراء أو تحرير الكويت لمئات العاهرات من بعض الدول العربية استقدمن بالاتفاق مع حكومات تلك البلاد للترفيه عن القوات الأمريكية والغربية في استراحات معارك عاصفة الصحراء ، وهم يحررون الكويت !

فهذا النظام الاستعبادي الجديد هو اختراع جديد لإعادة نظام العبودية بأسلوب معاصر يتناسب مع العقلية العبقرية لحضارة ما يسمونه الجنس الأبيض الأوربي الأمريكي...

۞۞۞۞۞۞۞

3- سلب الإرادة لصالح العدو:

في ظل أنظمة الفراعنة القائمة في بلاد المسلمين ، فإن المواطن العادي مسلوب الإرادة. مقهور من قبل السلطة. وحتى رجال الفكر والثقافة والفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإنهم مسلوبي الإرادة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة. ولا تنتهي هذه المصيبة هنا. فإن حكوماتنا ذاتها مسلوبة الإرادة لصالح إرادة العدو المستعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النظام العالمي الجديد.

فلا عقود تجارية ولا نظام تسليح ، ولا نظام تحول للسلطة ، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكرية إلا بإشراف السيد الخفي الظاهر (أمريكا وحلفائها).

والأمثلة كذلك تحتاج لمجلدات متخصصة بالتاريخ السياسي للمنطقة العربية والإسلامية .ومن ذلك على سبيل النموذج: هلك

حافظ أسد في سوريا سنة (2000م) ، فحضرت (أولبرايت) وزيرة الخارجية الأمريكية - اليهودية - وأشرفت على نقل السلطة ، وراحت تتنقل بين القاهرة وعمان ودمشق وتل أبيب ، ولم تغادر المنطقة إلا بعد أن صرحت في مؤتمر صحفي بكل وقاحة بأن أمريكا مرتاحة لعملية انتقال السلطة في سوريا! وذلك أن حافظ أسد كان قد رتب خلافته لولده الأكبر باسل ورتبت عقود النفط المستقبلية ، كما وقعت اتفاقية التطبيع السرية مع إسرائيل وغير ذلك من المؤامرات باسمه ، ولكن باسل اختطفه القدر وهلك في حادث تحطم سيارته فجأة ، وتطلع عمه (رفعت الأسد) للاستيلاء على السلطة ودعمه بعض رؤوس النصيرية ، وكذلك تطلع بعض ضباط السنة من حزب البعث الحاكم للسلطة. ولكن حافظ أسد وبترتيب مع أمريكا وحلفائها استدعى ولده الأصغر بشار الذي كان يدرس في بريطانيا. حيث جرى تعديل الدستور لتخفيض عمر الرئيس من 40 سنة إلى عمر بشار 36 سنة وصوت البرلمان السوري في جلسة عاجلة استغرقت نصف ساعة فقط ليحصل الإجماع على ولاية بشار لما مات أبوه! بإشراف أولبرايت رغم أنف الأكثرية من الطائفة السنية المحكومة، والأقلية من الطائفة النصيرية الحاكمة على حد سواء. ومثل ذلك دون أن ندخل في التفاصيل الخارجة عن موضوع الكتاب، نذكر ما حصل من ولاية عهد الملك حسين رغم أنف الأسرة الهاشمية، حيث

استبعد أخاه وولي عهده لأكثر من أربعين عاما (الأمير حسن) وعين ابنه (عبد الله) وعدل الدستور كذلك لإزالة شروط تقف في وجه تعيينه ملكا ، وتم كل ذلك خلال الدقائق الأخيرة من حياة الملك حسين.

ومن ذلك قتل الملك فيصل في السعودية لما لم يلتزم في بعض مواقفه بما تعهد به أبوه من الولاء فوق سطح البارجة الأمريكية لروزفلت !

ومن ذلك اغتيال الرئيس الباكستاني (ضياء الحق) والإشراف على تعيين القيادات المتوالية في باكستان وصولا إلى الإنقلاب الأمريكي الذي جاء بـ (برويز مشرف) ليشرف على الإطاحة بطالبان ، ثم أشرفت أمريكا على إعادة نموذج أمريكي للديمقراطية في باكستان لمتابعة لعبة غزوها لباكستان ووسط آسيا والشرق الأوسط. وكما قلنا فالأمثلة كثيرة يضيق عنها المجال. ويكفي أن نعلم أن من المعلومات التي حصل عليها الطلاب الإيرانيون عندما احتلوا السفارة الأمريكية بعيد ثورة (خميني) سنة 1979م أن المخابرات الأمريكية (CIA) كانت تدفع أكثر من 250 ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشرق الأوسط تتراوح مراكزهم من رؤساء دول .. إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسية حاكمة ومعارضة على حد سواء ..

وتتسلسل المراتب من العملاء ، لتصل إلى تجار و فنانين وكناسين في الشوارع !!! هذا من عالم السياسة.

ومن الأمثلة من عالم الاقتصاد بعد السياسة:

فقد أرادت الحكومة السعودية سحب مبالغ كبيرة من ودائعها لبعض مشاريعها الداخلية ، فاعترضت الحكومة الأمريكية بحجة أن الاقتصاد الأمريكي لا يحتمل ذلك ، ولم يستطع (فهد) خلال زيارة قام بها لأمريكا أن يحصل على موافقة من (ريغان) وعاد خائبا ، في حين أن إدارة (ريغان) أرادت خفض عائدات إيران من النفط إبان حرب الخليج الأولى مع العراق ، فطلب (ريغان) من (فهد) هاتفيا خفض سعر برميل النفط من (40 دولار) إلى (15 دولار) للبرميل. ومن أجل أن تحافظ السعودية على وارداتها – أو بالأحرى أن تحافظ البنوك الأمريكية اليهودية على مداخيلها من ودائع السعودية – فأمره بزيادة الإنتاج اليومي من (5 مليون) إلى (10 مليون) برميل. وهكذا خسرت السعودية 10.000.000 × – 25 = (ـــ 250) مليون دولار. هذا عدا آلاف الملايين من الدولارات التي سببتها من الخسارة لكل الدول الإسلامية المصدرة للنفط، كلما أشرقت الشمس وغربت من أموال المسلمين الذين يموت الملايين منهم جوعا ، بل خسرت

معها كل الدول المصدرة للنفط في العالم، ولم يكلف ذلك (ريغان) إلا هاتفا فقط !!

وأما تدخل المؤسسات المالية الدولية في السياسات المالية والاقتصادية للدول العربية والإسلامية فأشهر من أن ننقل الأمثلة عليه ..

وقد وصل الأمر اليوم بفقدان الأمة الإسلامية لإرادتها ، وسلب العدو لهذه الإرادة ، أن يصل ذلك لمجال أخص خصوصيات الأمة ، وهو مناهج التربية والتعليم التي تتدخل أمريكا والغرب اليوم فيها ، وتملك القدرة على أن تحذف وتضيف فيها ..! ووصل الأمر حتى للخطب في المساجد..! والحبل على الجرار.

فالأمة الإسلامية مسلوبة الإرادة أمام حكامها ، وحكامها لا إرادة لهم أمام أعدائها.

❖❖❖❖❖❖❖

4- الإحتلال العسكري المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإسلامي:

العالم الإسلامي اليوم محتل من قبل مختلف أنواع الكفار ، من اليهود ، والصليبيين ، والهندوس ، والملحدين، والوثنيين ... إما مباشرة وإما بصورة غير مباشرة.

فبقاع كثيرة ترزح تحت الإحتلال المباشر كالفلبين ، وأجزاء من أندونيسيا وبورما ، وأجزاء من الهند وكشمير ، وتركستان الشرقية، والمقاطعات الإسلامية في روسيا ، والقفقاس والشيشان ، والبلقان والبوسنة وكوسوفو، وفلسطين وأجزاء من بلاد الشام ، وبقع من المغرب الأقصى ... والعراق أخيرا وليس آخرا..، والسودان التي يبدو أنه قد حان دورها ..، والإشارات بوضع سوريا ومصر ، وبقاع من جزيرة العرب على القائمة أيضا..

وأما باقي بلاد العالم الإسلامي قاطبة ، فهي تحت الإحتلال غير المباشر من قبل دول الغرب الصليبية بنيابة الحكام المرتدين ، وباستحكام الإحتلال الاقتصادي للاحتكارات الرأسمالية الكبرى. وبانتشار القواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية في جميع أجزائه ، وبشبكة مكاتب الإستخبارات الأجنبية ولاسيما (CIA) و(FBI) التي

انتشرت في جميع بلاد المسلمين بشكل علني أو بستار المنظمات والمؤسسات المتنوعة.

5- التبعية الثقافية والفكرية للعدو:

بسبب مظاهر الإحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي والأمني التي ربطت الأمة بعجلة العدو الصليبي اليهودي الكافر في كافة المجالات، جاء دور الإستعمار الفكري والثقافي والاجتماعي .. حيث تسن القوانين وتوضع المخططات وتعقد المعاهدات وتبرمج وسائل الإعلام والتربية والتعليم والثقافة لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المستعمر. فتارة باسم حقوق الإنسان، وتارة باسم تحرير المرأة ، وتارة باسم التطبيع الثقافي ، وتارة باسم التطوير الاجتماعي ، وأخرى لتحديث المناهج التعليمية ، ولبرامج إعادة صياغة المجتمعات .. وهكذا..

حتى طال تدخل العدو برامج تدريس الأطفال في المرحلة الابتدائية فما فوقها. حيث تتدخل الأمم المتحدة وبرامج اليونسكو ، فضلا عن سفارات الدول الغربية في تقرير ما يجوز وما لا يجوز في مواد الدراسة. بل بلغ تدخل الحكومات الطاغوتية بأوامر أسيادها في تحديد ما يقال

وما لا يقال في خطب الجمعة حتى منعوا فيها ذكر اليهود والنصارى بالسوء ، حتى في السعودية ! بلاد التوحيد المزعومة.

ناهيك عن ما يسمح بنشره وما لا يسمح في الصحف والمجلات وجميع أوجه النشاط الفكري والأدبي. وقد أجبر الغرب حكومات بلادنا على توقيع معاهدات على برامج اجتماعية تتنافى مع أسس ديننا وأعرافنا وتقاليدنا. ولم تعد أخبار حرب الأفكار التي أعلنها وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد) بخافية على أحد ..، هذا ناهيك عما استفحل في مجتمعاتنا من حمى تقليد الغرب اختيارا ، في أساليب تفكيره وعيشه وطرق طعامه ولباسه بل وحتى بناء حماماته ودور خلائه!.

۞۞۞۞۞۞۞

والخلاصة:

باختصار، فإن هذا بعض من واقع المسلمين خلال العقود السبعة الأخيرة من القرن العشرين ، والذي تدرج فيه البلاء منذ سقوط الخلافة وتجزئة بلاد المسلمين على شكل مستعمرات تحت الإحتلال الصليبي ، ثم ما تلا ذلك من مرحلة ما سمي (حكومات الإستقلال) إلى أن بلغ البلاء قمته بعد انهيار لإتحاد السوفييتي وتفرد أمريكا وحلفائها في أوروبا الناتو بإطلاق ما سمي (النظام العالمي الجديد) منذ مطلع التسعينات وإلى اليوم.

وكان من المفروض أن يقف لكل هذه الانهيارات حملة الإسلام وحراسه من العلماء والدعاة وما سمي بجماعات الصحوة الإسلامية والحركات الجهادية .. ولكن وكما سنفصل في الفصول القادمة ، فقد شهدت العقود الأربعة الأخيرة مخاضا صعبا ، كانت خلاصته أن معظم علماء الهيكل الديني المعروف لأهل السنة في كافة بلاد العالم الإسلامي قد توزع إما في متاهات النفاق للحكام والدخول في تبريرات عرجاء من أجل تسويغ خياناتهم للدين وعمالتهم للمستعمرين الجدد ، وإما في جحور العجز والتسويغات المعتسفة ، من أجل تفادي دفع ضريبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقولة الحق عند سلاطين جائرين فسقة ظلمة كافرين.

وأما ما سمي بالصحوة الإسلامية التي انطلقت بعيد سقوط الخلافة بقليل ، فقد خرجت من مصادماتها مع حكومات بلادها مقلمة الأظافر مدجنة ، تتقاسمها التشكيلات السياسية والحزبية المسماة (إسلامية) ! لتجد لها أمكنة في منتصف الطريق مع الجاهلية، بعد أن انسلخت عن معظم مبادئها وشعاراتها وبرامجها وأفكار مؤسسيها الأوائل رحمهم الله. ليتحول شعارها من كونه (الله غايتنا والرسول قدوتنا ، والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) ليتحول وكأنه صار (البرلمان غايتها ، والديمقراطية الغربية قدوتها ، والدستور العلماني دستورها وعليه قسمها ، والانتخابات سبيلها ، والفوز بالمقاعد في حكومات الكفر أسمى أمانيها !!).

وأما الصحوة العقدية لإعادة المسلمين إلى ما كان عليه السلف الصالح ، فقد توزعت جهودها في جدليات الأبحاث والانشغال بمكافحة أنواع البدع ومكافحة القبور والأموات. وانتهت إلى الإرجاء وتقديس الملوك وأولياء الأمر ومكافحة مناوئيهم ، وأخذت بحظها من السعي للبرلمانات أيضا.

وأما الجماعات الإصلاحية والصوفية والتبليغية .. فقد ازدادت عبثية وبعدا عن واقع المسلمين.

وأما التيار الجهادي المسلح وتنظيماته في بلاد عربية وإسلامية كثيرة. فقد أبلت بلاء حسنا وقدمت وسعها منذ مطلع الستينات ،

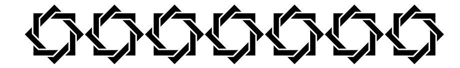
وضحى أفرادها في أجواء قعود الصحوة وخذلانها، وقعود عامة الأمة وضياعهم وتيههم ، فانفرد العدو بها وسجل روادها ومجاهدوها أسمائهم في سجلات الشهداء والأسرى والمشردين في سبيل الله ، ليكونوا شهود أخدود جديد على أمة مقهورة قاعدة مفككة. أمة نسي معظم شعوبها الله فأنساهم أنفسهم وأعقبهم نكد العيش، وحكومات كافرة بالله محكمة لشرائع أعدائه، وعلماء كانوا السبب الأساسي في تخدير هذه الأمة من بين منافق وعاجز .. ودعاة لما سمي صحوة إسلامية ، انتهى كثير منهم دعاة على أبواب جهنم. وهكذا انفردت حكومات الفراعنة بشراذم الجهاديين ذبحا وسجنا وتعذيبا وتشريدا وقهرا.

وانهارت بؤر الجهاد واحدة تلو الأخرى ولم ينصرم القرن العشرون إلا ومعظم المحاولات الجهادية مفككة مشتتة ، تتقاسم من بقي من روادها ثابتا على الطريق متاهات الهجرة والتشريد والغربة ، يعيشون أكبر مطاردة لأهل الحق عرفها تاريخ البشرية.

وانصرم القرن العشرون ، وانصرمت الألف الثانية للميلاد ، لنستقبل القرن الحادي والعشرين وألفيته الثالثة ، ولتفتتحه أمريكا وحلفاؤها من أوروبا الناتو بمخططات جعلت من الإسلام والمسلمين عدوها الإستراتيجي والتاريخي القائم والقادم. ولتتبنى سياساتها على مبادئ صراع الحضارة الغربية النصرانية مع حضارة الإسلام والمسلمين. ولتنطلق الحملات الصليبية الثالثة صراحة وعلنا.

وصحا العالم على دوي انفجارات الحادي عشر من سبتمبر ، قبل أن ينصرم العام الأول من القرن الحادي والعشرين. وابتدأنا ما سمي (عالم ما بعد سبتمبر).

فما هو واقع المسلمين اليوم في ضوء ظروف هذا العالم ؟؟.



واقع المسلمين اليوم في عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 م

كما أسلفت في التقديم فإن ما نعيشه اليوم من أوضاع في العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، ليس أبدا نتيجة لذلك الحدث المحدود وإن كان عظيما. فما نحن فيه هو مرحلة جاء دورها وفق مخططات الأمريكان والأوروبيين وأسيادهم اليهود. وهي فصول من مقتضيات النظام العالمي الجديد الذي انطلق مطلع التسعينات ، بعد تفكيك حلف وارسو وإدخال مكوناته في حلف الناتو ، وبدء مرحلة القطب الواحد (الأمريكي اليهودي) الذي يريد إدارة شؤون العالم.

ولذلك فإن قولنا (واقع المسلمين بعد سبتمبر) هو من باب التأريخ الزمني وليس قناعة بما تريد أمريكا إقناع العالم به من كون ما نحن فيه نتيجة لسبتمبر.

ويكفي من الأدلة على ذلك ما نشر من المخططات الصهيونية عن عزم اليهود على استكمال احتلال فلسطين وهدم المسجد الأقصى ، وطرد من تبقى من الفلسطينيين منها ، وفرض سياسة التطبيع الشامل مع جيرانها من حكام العرب والمسلمين. هذا التطبيع الذي أعلنت خططه في مؤتمر مدريد 1991م.

ومن الأدلة على ذلك أيضا ما نشر عن برامج الأمريكان لإعادة احتلال الشرق الأوسط والسيطرة على منابع النفط فيه وفي وسط آسيا. وتشكيل قوات التدخل السريع في أمريكا من أجل ذلك منذ أيام كارتر سنة 1973م. وما تبع ذلك من سياسات استعمارية أمريكية معلنة.

وما العاصفة الأمنية الحالية التي تثير هياجها أمريكا وما أسمته (الحرب العالمية لمكافحة الإرهاب) إلا تنفيذا لبرامج المؤتمرات الأمنية التي انطلقت منذ 1990م وتتابعت بمعدل مؤتمر عالمي أو إقليمي كل ثلاثة أشهر، مثل مؤتمرات برشلونة، وباريس، وميلانو، وشرم الشيخ.. واجتماعات وزراء الداخلية العرب في تونس وجدة والقاهرة كل ستة أشهر. والمؤتمرات الأمنية لدول المتوسط التي شاركت فيها أوروبا وحكام العرب وإسرائيل وأمريكا رغم بعدها عن المتوسط ! ثم تتابع المؤتمرات الأمنية في آسيا وإفريقيا ..

ومن الأدلة على هذه الحملة قبل سبتمبر، أن عدد مكاتب الـ (FBI) العلنية قد بلغ في الشرق الأوسط إلى ما قبل سنة 2001م، (23) مكتبا ، في الرياض وعمان والخرطوم وتونس والمغرب.. وغيرها. هذا عدا مئات المكاتب السرية للـ (CIA).

وكما قلت، فنحن نعيش الآن حالة استغلال إعلامي أمريكي يهودي مبرمج. وتضخيم إعلامي لسبتمبر وتداعياته وأصحابه، من

أجل تبرير عدوانهم وإقناع العالم بعكس الحقيقة التي تدل على أن سبتمبر وغيرها من العمليات، وكذلك الإنتفاضة وسواها من أعمال المقاومة .. ما هي إلا ردود أفعال على عدوان وليست عدوانا ابتدءا كما أقنعوا معظم العالم بذلك وحتى كثيرا من المسلمين.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول عن واقع المسلمين اليوم بعد سبتمبر 2001م فإننا نقول بأن أحوالهم قد ازدادت سوء وتماديا تحت كافة العناوين التي أوردناها سابقا ، من ضياع دينهم ودنياهم وتسلط الأعداء عليهم.

ففي ضياع دينهم ، ازداد إصرار الحكومات ومبرراتها لتبديل الشرائع ومحاربة الإسلام. كما ازدادت حالة احتلال المقدسات صراحة. وتفاقمت موجة إفساد العقائد ونشر البدع وسعار الفسوق والضلال ، بسبب شراسة الهجمة الإعلامية وانتشار الفضائيات الهادفة إلى سياسات الإفساد. وازدادت غربة المؤمنين والمجاهدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بفعل شراسة الهجمة الأمنية.

وأما تحت عنوان ذهاب الدنيا : فنحن اليوم لسنا أمام تمادي سرقة الثروات بالحيلة والنيابة، وإنما أمام حالة إعادة احتلال لمصادر الثروات. وأما سوء توزيع الثروة والظلم والقهر والذل والخوف والقتل وانتهاك الأعراض فازدادت معدلاته المخيفة ، وانتشرت حيث لم تكن قائمة قبل سبتمبر. في مجتمعات كانت أكثر أمنا واستقرارا كمجتمعات

الخليج العربي وبلدان المسلمين البعيدة عن مركز الشرق الأوسط كبلاد آسيا وإفريقيا الإسلامية.

وأما تسلط الأعداء فهو سمة عالم ما بعد سبتمبر المعلنة الموغلة في العدوانية .. فلم يعد هناك إرادة حكومات وخصوصيات شعوب... والبرنامج اليوم عبارة عن إعادة احتلال شامل ... هذا إذا أردنا الإجمال. ولكن يجدر بنا تسليط الضوء من باب التأريخ الموجز، ومن باب التوصيف المفيد ، من أجل تحريك دواعي المقاومة لدى الأمة. وذلك بذكر بعض ما حل بالمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م. ومن أهم ذلك باختصار:

1- تدمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان:

فقد كانت أمريكا وحلفائها قد أعلنت سياستها وإرادتها بإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذ أواسط 1997م. وتزايدت وتيرة نواياها ظهورا مع الوقت واتخذت لذلك إجراآت اقتصادية وسياسية من الحصار والعقوبات والتلويح بالغزو والحرب. إلى أن جاءت أحداث سبتمبر فوضعت نواياها موضع التنفيذ. وبتعاون غربي ولاسيما من بريطانيا وأوروبا الناتو. ووسط سكوت دولي وخيانة صريحة من الحكومات العربية والإسلامية ، ولاسيما حكومات باكستان والسعودية وإيران ، تم إسقاط حكومة طالبان في ديسمبر 2001م عبر

حملة عسكرية أمريكية. تحركت في طليعتها على الأرض قوات المرتدين العملاء في أفغانستان، الذين دخلوا كابل بحماية الطائرات الأمريكية. وهكذا تم إجهاض التجربة الوحيدة الوليدة لإقامة الدولة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية. ونصبت أمريكا حكومة عميلة في كابل لتحول أفغانستان إلى قلعة أمريكية تسيطر منها على كافة المنطقة في وسط آسيا ذات الأهمية الإقتصادية والإستراتجية.

۞۞۞۞۞۞۞

2- محاولة إبادة خلاصة الصحوة الجهادية في العالم الإسلامي:

من المعلوم أن قيام الإمارة الإسلامية ورسوخ حكم طالبان، في ظل أوضاع دولية كانت تتصاعد فيها هجمة الغرب وحلفائه على التيار الجهادي المسلح ، منذ انفراط عقده في أفغانستان 1992م، وما تبع ذلك من تصفية جيوبه في البوسنة والشيشان، وإغلاق ملاذاتهم الآمنة مؤقتا في أوروبا والسودان واليمن وتركيا وبعض البلاد العربية، جعل ما تبقى من خلاصة التيار الجهادي تفيء طبيعيا إلى أفغانستان، التي لجأ إليها أيضا كثير من المجاهدين من وسط آسيا.

وقد اتخذت أمريكا من أحداث سبتمبر ستارا، ومن دمار الإمارة الإسلامية وسيلة. من أجل تحقيق هدفها في ذبح ما تبقى من خلاصة هذا التيار المجاهد الذي يمثل آخر خطوط دفاع أمة الإسلام عن نفسها في هذا الزمن المؤسف.

وعبر معارك القصف الجوي المتوحش. والهجمات الضارية للمرتدين الأفغان الذين أسقطوا الحكومة الإسلامية ، أنزلت أمريكا وحلفاؤها بالمجاهدين العرب والمجاهدين من وسط آسيا والباكستان خسائر فادحة قتلا وأسرا. وقد أضافت الحكومة الباكستانية برئاسة (مشرف) فصلا مروعا إلى المذبحة. حيث قتلت على أراضيها العشرات وأسرت عدة مئات من المجاهدين وسلمتهم لأمريكا. وسط صمت وبلادة مخجلة من الشارع الإسلامي في باكستان ، رغم ما أبداه بعض الصالحين من الإخوة الباكستانيين من تعاون أنقذ ما يمكن إنقاذه ممن تشردوا عبر باكستان وإيران ، وتمكنوا من إعادة الانتشار في الدنيا يلتقطون أنفاسهم بعد المعارك الطاحنة والمطاردة العمياء. (راجع تفاصيل ذلك في كتاب: (**باكستان مشرف – المشكلة والحل والفريضة المتعينة**) للمؤلف).

وقد ترافقت هذه الهجمة على أفغانستان ، مع هجمة شرسة وتعاون أمريكي روسي لتصفية المجاهدين في الشيشان. والتي نجحت إلى حد كبير. بعد أن كانت حملة غربية أمريكية أخرى قد نجحت في

تصفية المجاهدين في البوسنة سنة 1995م. وتابعت أمريكا الحملة في محاولة لتصفية الجيوب المسلحة في الفلبين واليمن والقرن الأفريقي وحيثما استطاعت بعد أن خضبت شوكتهم الرئيسية في أفغانستان. وما تزال المواجهة مستمرة مع اليهود في أكناف بيت المقدس منذ نحو ثلاث سنوات.

۞۞۞۞۞۞۞

3- العاصفة الأمريكية الأمنية على الإسلام والمسلمين في جميع أنحاء العالم بدعوى مكافحة الإرهاب بعد أحداث سبتمبر:

وهذا عنوان يكتب تحته كتب بل مجلدات بكاملها. لإحصاء تاريخ وأحداث هذه الهجمة البربرية الظالمة على الإسلام والمسلمين ، والذي برمجوا له عبر العقود الثلاثة الماضية مستغلين أحداث سبتمبر .. ولا يتسع المقام هنا للتفصيل ، وإنما أورد أهم ما حدث في عناوين:

تصفية معظم التيار الجهادي المسلح على مستوى الجماعات والقيادات والرموز والهيئات والمؤيدين والموالين .. عن طريق الاغتيالات المعلنة والسرية وعمليات الخطف والأسر، ونقل المعتقلين إلى سجن غوانتانامو الأمريكي في كوبا، أو سجونها المتناثرة في قواعدها الأمريكية في أفغانستان وفي مختلف أنحاء العالم. أو بالتعاون

مع حكومات الردة وسجونها الكبرى المشرعة الأبواب للشباب المسلم في هـذا الزمـان. ولاسـيما الحكومـات العريقـة في مكافحـة الجهـاد والإسـلام والمسـلمين كحكومـات السـعودية ومصـر والأردن والمغـرب وسـوريا وتركيا وباكستان وتـونس والجزائـر و...إلخ. وقـد طالـت هـذه الحملة كثيرا من الأبرياء حتى من (التهمة الجهادية) إن جاز التعبير.

محاولة تصفية كامل طيف الصحوة الإسلامية السياسي والدعوي والاجتماعي بإطاره العريض العام ، تحت دعوى مكافحة الإرهاب، وقطع جذور الأصولية التي تكوّنِ محضنا له. بل لقد طالت الحملة كل ما نسب للإسلام والإسلامية .. مؤسسات إغاثية إسلامية إنسانية .. هيئات اجتماعية .. شركات تجارية .. بنوك إسلامية .. جماعات .. أحزاب .. حتى بنوك إسلامية – نصف ربوية ! بل لقد نال البلاء حتى شخصيات عادية ، نالها الاعتداء الأمريكي لأنهم مسلمون أثرياء يشـكلون صـيدا للصوصـية الأمريكيـة. كـل ذلـك باسـتغلال مسـمى الإرهاب والحملة لمكافحته ..

البدء بخطة متدرجة لتصفية الجاليات الإسلامية والعربية ووجودها في الغرب. فقـد سنت أمريكـا وكافة الـدول الأوروبية قـوانين لمكافحة الهجرة واللجوء السياسي، بل وأحكاما عرفية تتيح لها اعتقال الأجانب وتوقيفهم وسحب جنسياتهم إن كانوا مجنّسين وإلغاء إقامتهم الرسمية إن كـانوا مقيمـين. واعتقـالهم لمـدد مفتوحة دون توجيه أي تهمة .. قـوانين

عرفية أشرس بكثير من الأحكام العرفية التي تسنها الحكومات الانقلابية العسكرية في العالم الثالث. ولم تسلم من هذا حتى أعرق بلاد الديمقراطية كبريطانيا والدول الإسكندنافية وفرنسا. وفي ظل هذا السعار والكلب الذي رافقه موجة إعلامية موجهة من وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود والصليبيون عبر التلفزيونات والصحف والأفلام وكافة وسائل النشر والإعلام. كما تزايدت أعمال الجرائم العنصرية حتى ذكرت إحدى الإحصائيات في أوروبا أن هذه الاعتداءات العنصرية على المسلمين قد تزايدت بعد سبتمبر خلال سنة 2002م بمعدل 66 % عن السنة السابقة. وخلال هذا الأسبوع الذي أجري فيه التصحيحات ، والإضافات الأخيرة على الكتاب ، ونحن في (نوفمبر 2004م) أحرق في هولندا عشرين مسجدا ومركزا إسلاميا في غضون عشرة أيام !!

فقد أحرقت مساجد ، وانفجرت قنابل على مراكز إسلامية ، وقتل أفراد من الجاليات المسلمة وجرح آخرون ، واعتدي على محجبات. حتى أنه قتل بعض الهندوس في أمريكا اعتقادا من الرعاع هناك أنهم مسلمون لأنهم يلبسون عمائم هندوسية! هذا فضلا عن انتشار ما دون ذلك من العدوان من السب والشتم والضرب في الطرقات وإرسال رسائل التهديد.. إلخ.

أجـبرت أمريكـا كافـة دول العـالم بالترغيـب والترهيـب بكافـة الوسـائل، علـى الـدخول في حملتهـا لمكافحـة الإرهـاب وقـام وزيـر خارجيتهم (كولن بول) وسفراؤهم الدبلوماسيون والأمنيون ، فجابوا العالم يعقدون المعاهدات الأمنية والاتفاقيات البوليسية هنا وهناك في كافـة أقطـار الأرض. وألزمـت أمريكـا حكومـات الـدول العربيـة والإسلامية بالتعاون الكامل في الحملة تحت تهديد السطوة العسكرية. حتى صرح بعض رؤساء الدول العربية بذلك كرئيس اليمن ومصر ...

كما ضربت أمريكا بعرض الحائط بكافة الأصوات المعترضة عليها من منظمات حقوق الإنسان أو الهيئات الدولية أو أعيان الشخصيات العامة رغم كثرة المعترضين على تجاوزها لكافة القوانين الدولية ولوائح حقوق الإنسان، وسوء معاملتها للأسرى والموقوفين، واستهتارها خلال عملياتهـا العسـكرية بالمـدنيين وقـتلهم، وبفضـائح سـجنها التـاريخي في غوانتانامو .. فتجاهلت كل ذلك بصرف النظر عن مصدره سواءً كان من بلاد المسلمين أو أوروبا أو من الدول الحليفة لها أو حتى من داخل أمريكا.

❖❖❖❖❖❖❖

4- انطلاق الحملات الصليبية الثالثة نحو احتلال الشرق الأوسط:

فقد صرح بوش بذلك علنا وأنه بصدد حرب صليبية ، ثم اعتذر ببلاهة معللا ذلك بأنه زلة لسان. ثم توالت زلات لسانه ، وألسنة معاونيه وكذلك تصريحات الوزراء والقيادات العسكرية لبعض دول الناتو بذلك، ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية والتصريحات من مختلف المصادر .. وهكذا بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

واتخذت أمريكا من مشروع احتلال العراق بداية لبرنامج إعادة رسم خارطة المنطقة سياسيا وجغرافيا. بل تكشفت معلومات عن مشاريع لتقسيم بلاد الشام والعراق ومصر والسعودية وحتى تركيا إيران.. واحتلال بعضها مباشرة. حيث يتزامن هذا مع برنامج أمريكي كبير للسيطرة على وسط آسيا انطلاقا من أفغانستان وباكستان. وقد تدرجت أمريكا بانتحال الأعذار الواهية من أجل احتلال العراق كبوابة للزحف على الشرق الأوسط ، بدء من ضرورة إسقاط صدام، وانتهاء بتدمير أسلحة العراق للدمار الشامل، التي لم يعثر عليها.. ولست هنا بصدد التأريخ لتفاصيل ما يجري وهو معلوم ..

ويكفي أن أقول أن كل التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبية تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ، ويتعاون فيها كافة دول الناتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند

وتركيا والباكستان وحكام البلاد الإسلامية. كل هذا وسط صمت وبلادة دولية مخيفة.

۞۞۞۞۞۞۞

5- توسيع حلف الناتو ورفع شعارات الحملات الصليبية:

عقد حلف الناتو مؤتمره في شهر 11 – 2002م برئاسة بوش ورؤساء 19 دولة أوروبية من أجل ضم عدة دول من أوروبا الشرقية، بعد أن عرض ضم روسيا في مؤتمر آخر قبيل بضعة أشهر. حيث صرح (أثنار) رئيس وزراء أسبانيا (اليميني الصليبي) خلال الحفل بأن دخول روسيا في الحلف يعزز الهوية والروح العقائدية للحلف ، في إشارة واضحة إلى التوجه الصليبي.

وهكذا يتجهز العالم الصليبي اليوم برئاسة أمريكا وعضوية أوروبا الغربية ومن لحق بهم من أوروبا الشرقية لبدء المرحلة الرئيسية من الحملات الصليبية الثالثة التي ابتدأت عام 1990م بحرب عاصفة الصحراء ، بعد تفكيك الإتحاد السوفيتي. حيث يتحرك الناتو بزعامة أمريكا في هذه الحملة نحو الشرق الأوسط بعد أن وصل عدد أعضائه مطلع (2004م) ليصل أعضاؤه إلى 26 دولة، معظمها أوربية.

۞۞۞۞۞۞۞

6- توسيع الإتحاد الأوروبي على أسس صليبية أيضا:

وذلك بإدخال باقي دول أوروبية الشرقية فيه تدريجيا. واللافت للنظر أيضا ، إبراز الهوية المسيحية للإتحاد الأوروبي برفض عضوية تركيا في الحلف رغم استجدائها على بابه لعدة سنوات. ورغم علمانية حكومتها وذلك لأن شعبها مسلم. فقد أرجأ الإجتماع الأخير للإتحاد خلال شهر 12-2002م برئاسة (الدانمرك) ، بحث عضويتها إلى أواخر 2004م. وقد أوجز الرئيس الفرنسي الأسبق (ديستان) السبب بصراحة بقوله: (إن الإتحاد الأوروبي يضم دولا مسيحية ، وإننا إن قبلنا تركيا فيجب أن نتساءل عن حدود أوروبا). وقد أصبح تعداد سكان دول الإتحاد الأوربي الآن 450 مليون نسمة !

۞۞۞۞۞۞۞

7- انطلاق البرنامج اليهودي التلمودي الكبير:

برعاية شارون الذي يتحرك في حالة من وحدة الصف السياسية والدينية والاجتماعية في إسرائيل حول هذا المشروع ، الذي يشتمل على هدم المسجد الأقصى، وطرد ما تبقى من العرب الفلسطينيين بعد إحداث مجازر مروعة فيهم كما ينبئ بعض ما يتسرب من أخبار.

فقد جاء اليهود بشارون الذي رئس حكومة وحدة وطنية من أجل مواجهة الإنتفاضة التي انطلقت بشراسة وانتقلت إلى المواجهة المسلحة لليهود ، منذ عام 2000م ، وتبنت أسلوب العمليات الاستشهادية التي أودت بأكثر من 400 قتيل ومئات الجرحى من اليهود عبر نحو سبعين عملية استشهادية حتى الآن.

وتجري هذه الأيام سلسلة من المجازر الرهيبة للفلسطينيين على يد الجيش اليهودي وسط دعم أمريكي علني ، وأوروبي مبطن ، وصمت دولي مخز. وتعاون عربي خياني ولاسيما من حكومتي الأردن ومصر. ويبدو التناغم كاملا بين المشروع الصهيوني الذي يقتضي حضورا أمريكيا وصليبيا كبيرا من أجل دعم التحرك العسكري للجيش الإسرائيلي قليل العدد. وبين المشروع الصليبي الذي يقتضي تعاونا إسرائيليا على الصعيد العسكري ، ودعما يهوديا عالميا على الصعيد المالي والسياسي والإعلامي.

۞۞۞۞۞۞۞

8- انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكية الصفيقة:

اللهـم إلا شـذرات تنطلـق علـى اسـتحياء مـن بعـض الـدول مثـل الصـين وألمانيـا وفرنسـا وبعـض المواقـف الروسـية بـين الحـين والآخـر. مواقـف يمكـن اعتبارهـا تمثيليـات دبلوماسـية ، ومظـاهر تملمـل وإثبـات وجود ، وسعي لحصة أكبر في قصعة المسلمين التي تشرف أمريكا على توزيـع حصصـها ، أكثـر مـن حملهـا علـى محمـل الجـد. والأدلـة كثيرة ولايتسع المجال للاستفاضة بمزيد من التحاليل السياسية هنا.

۞۞۞۞۞۞۞

أحوال العرب والمسلمين في ظل هذا الوضع الدولي بعد أحداث سبتمبر

على الصعيد الرسمي لحكومات الدول العربية والإسلامية

فقد لخصت آخر مؤتمرات للقمة العربية والإسلامية في ظل عالم ما بعد سبتمبر الحال بكل وضوح. فقد انفض المؤتمرون من كل تلك الإجتماعات المخجلة ، بعد طول خلاف ولسان حال الأمة يقول:

لا يلام الذئب في عدوانه   إن يك الراعي عدو الغنمِ

فأما مؤتمر القمة العربية الشهير عام 2002م، فكان أبرز ما فيه وفي أهدافه:

تبني الدول العربية لمبادرة ولي العهد السعودي (الأمير عبد الله بن عبد العزيز) ، والتي عرض فيها على إسرائيل تطبيعا عربيا كاملا، مقابل انسحابها من الأراضي التي احتلتها سنة 1967م.

وقد جاء رد إسرائيل مبكرا حتى قبيل انفراط اجتماعات المؤتمر. فقد اقتحم الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية وأعاد احتلالها ! ونفذ

مجازر واسعة طالت البنية الإدارية والأمنية للسلطة الوطنية الفلسطينية، والبنية التحتية للمنظمات الفلسطينية مخلفة مئات الضحايا الأبرياء وآلاف الأسرى. كما دمرت مخيمات بكاملها.

وأما عن مبادرتهم فقد قبلت إسرائيل نصفها وهو التطبيع. ورفضت نصفها وهو الانسحاب المطلوب مقابل ذلك. وأحرجت صاحبها عبد الله ومملكته السعودية ، وذلك بطلبها منه أن يزور إسرائيل أو يسمح لرئيسها أن يزوره في السعودية لمناقشة المبادرات إن كان جادا !!.

وأما مؤتمر قمة منظمة الدول الإسلامية الذي تلاه بعد وقت قصير، فعدا عن ترحيبه بوفد أفغانستان الجديد من المرتدين والعملاء الذين عينتهم أمريكا ، فقد خرج المؤتمر بمقررات شبيهة ومن ذلك:

- تأييد المبادرة السعودية التي صارت عربية من أجل التطبيع مع اليهود والتنديد الأجوف بعدوان اليهود ، دون طرح أي مقابل لذلك.
- خذلان فلسطين والقدس وعدم تقديم أي مشروع جدي لأجلها.
- تأييد الحملة الأمريكية لمكافحة الإرهاب والتأكيد على أن الإسلام الذي يمثله الحكام المرتدون لأكثر من 52 دولة إسلامية

ينبذ (العنف والإرهاب) ، وهو المسمى العالمي الجديد للجهاد وحق المقاومة!.

وما يزال الوضع العربي والإسلامي في تدهور منذ سبتمبر 2001 م. فقد وضعت الدول العربية والإسلامية ولاسيما تركيا والباكستان ودول الخليج والأردن أراضيها وبحارها وسماءها وجيوشها في خدمة الحملة الأمريكية البريطانية لاحتلال العراق. حيث تدفق مئات آلاف الجنود ومئات الطائرات وحاملاتها والبوارج والسفن والمعدات الحربية إلى المنطقة. وسط إعلانات أمريكية عن ضرب إيران وسوريا ولبنان وتقسيم السعودية والتجهيز لنزع سلاح الباكستان .. ووصلت الصفاقة والابتزاز، أن تسرب أمريكا معلومات عن نيتها الاستيلاء على جميع الودائع المالية للحكومة والمواطنين السعوديين في البنوك الأمريكية. وهي مبالغ خرافية من مرتبة مليارات المليارات من الدولارات ، وذلك بدعوى دعم الإرهاب.

ولم تزد هذه الأحوال الحكومات الإسلامية إلا انبطاحا وارتماء على أعتاب باب البيت الأبيض .. ثم استضافت قطر قيادة القوات الأمريكية التي نقلت من فلوريدا إليها ، وأدارت أمريكا غزو العراق من أراضيها.. وأما الجيش الأردني فقد أجرى مناورات عسكرية مع أربع آلاف جندي أمريكي في المنطقة الممتدة من خليج العقبة إلى حدود العراق قبيل الغزو بقليل. ثم تكشفت الأنباء عن عبور القوات

الأمريكية للعراق من غربه عبر الأردن !... وقد أيدت دول الخليج كاملة الحرب عمليا ساعدت فيها ، وتغيب معظم رؤسائها عن مؤتمر مجلس التعاون الخليجي قبل أيام منها في قطر، تهربا من مسؤولية المواقف المعلنة. ووضعت الكويت 60 % مساحتها الشمالية كمنطقة عسكرية أمريكية للتدريب والخدمات اللوجيستية للجيش الأمريكي البريطاني !!حيث عبر منها أكثر من 1400.000 جندي أمريكي بالإضافة إلى 45.000 جندي بريطاني. وترك ثلثها الباقي لاستراحة واستجمام الجنود .. وطار بشار الأسد رئيس سوريا إلى لندن والعواصم الأوروبية ليطمئن على حفظ عرشه من الاهتزاز وسط زلازل حرب العراق ونيران الإنتفاضة في فلسطين .. وحركت إيران المعارضة الشيعية العراقية بين طهران ولندن وواشنطن .. وتابعت باكستان كسائر حكومات البلاد الإسلامية تصيد المجاهدين العرب والطالبان وتسليمهم لأمريكا ..

ثم غزت أمريكا العراق ، ودخلت عاصمة الرشيد ، ودخل جنودها فيها وتبروا ما علو تتبيرا ..، ثم أعلنت أمريكا وضع العراق تحت الإحتلال بتأييد من أوربا ، وترخيص دولي من مجلس الأمن ! ثم عينت فيه حكومة عميلة ، وفرضت الاعتراف بها قسرا على الدول العربية ، والجامعة العربية !

ثم استدعى بوش رئيس تونس (بن علي) إليه فيل انعقاد القمة العربية برئاسة بلاده بشهر ، وأملى عليه الأوامر الأمريكية لينقلها لباقي أمثاله من الرؤساء العرب ! ثم اجتمع وزراء الخارجية العرب و تشاجروا، بسبب عدم تنسيق مواقفهم تجاه إملاءات بوش ، ثم اجتمع مؤتمر القمة العربي 2004م، تحت ضغط الشارع العربي ليتمخض عن الفراغ المنتظر ، فتمخضوا ولو يلدوا لنا حتى فأرا !!

وهكذا أعلن النظام العربي إفلاسه ، ليتابع كل زعيم لهاثه على حده وهرولته خلف إدارة بوش ! والعامل المشترك بين الجميع هو السباق في مكافحة الإرهاب إرضاء لأمريكا وسيد البيت الأبيض.

وها نحن نشارف على نهايات 2004م ، وما تزال الإستخبارات العربية والإسلامية تعمل جنبا إلى جنب مع ضباط الـ (FBI) والـ (CIA) الأمريكية ، في مكافحة إرهاب الإسلام والمسلمين ، من سوريا إلى مصر إلى المغرب إلى الجزائر إلى تونس إلى السودان إلى جزيرة العرب .. إلى باقي بلاد المسلمين .. الكل في خدمة أمريكا اليوم .. ويحتاج استقصاء تأريخ وتسجيل ما يجري إلى مجلدات كثيرة.

۞۞۞۞۞۞۞

1- على صعيد العلماء.. (علماء المسلمين)!:

ويا حسرتاه على النسبة والمنسوب إليهم (علماء) .. (المسلمين)!!

فباختصار شديد لموضوع يقزز النفس ويملؤها ألما:

لقد ازداد المنافقون منهم نفاقا بعد سبتمبر. وازداد الساكتون الخائفون منهم سكوتا ...

فاستعلن علماء السلاطين المنافقون حتى على منابر خطب الجمعة في المسجد الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة والمساجد الكبرى في العواصم العربية والإسلامية من القاهرة إلى دمشق إلى الدار البيضاء إلى غيرها يهاجمون الجهاد والمجاهدين ، ويدافعون عن الحكام ، ويدعون لعصمة دماء الغزاة الكافرين ! .. حيث نقلت شاشات التلفزيونات خطب أئمتها وهم يدعون لمكافحة الإرهاب، ويطالبون بمطاردة أصحابه ، وتجفيف منابعهم المالية، ودعاء الله أن يكشفهم وينقذ المسلمين من شرورهم ، وبثت خطبهم وهم يطالبون أولياء الأمور بمطاردتهم وقطع دابرهم ، وتحريض المسلمين على نبذهم ومحاربتهم .. من دون نسيان الحديث عن حقوق الكفار التي حفظها الإسلام في بلاد المسلمين، وضرورة حسن معاملتهم.. وخلط الأحكام الشرعية لأنواع الكفار والذميين والمستأمنين ... إلخ.

حالة من الاستخذاء والاستجداء والنفاق للأعداء ، حملة دعائية توقر المسامع وتدمي القلوب وتجمد الدموع في العيون حسرة وألما .. آيات الله تتخذ هزوا وتحرف وتؤول .. وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، تفسر وتشوه وتوضع في خدمة بوش !

وتسابق أرتال العلماء العملاء ، على شاشات الفضائيات ليتباروا في سباق ماراتوني للنفاق والخيانة ، حتى خرج – على سبيل المثال ليعلم إلى أي مدا وصل البلاء — أحد مشاهير علماء المسلمين في بلاد الحرمين ، وهو: (عايض القرني) ليستنكر ويصيح: على شاشة (MBC) الفضائية معلقا على أحداث سبتمبر : (هل أمرنا الدين بقتل الناس ؟..هل أمرنا بهدم العمارات ؟!.. لماذا لا نركز على دعوتهم للإسلام؟! لماذا لا ندعو أعضاء الكونغرس الأمريكي للإسلام ؟ بضع سنيين ويدخلون في دين الله)!!.

ترى هل يدري هذا المسكين (الذي كان قد طالب بضرورة محاكمة الشهيد البطل خطاب وزميله المجاهد البطل – شامل باساييف– أبطال الجهاد في الشيشان ، على ما سببوا من سفك دماء المسلمين !! لأنهم يجاهدون الروس!!).

هل يدري أن الإحصائيات تشير إلى أن 85 % من أعضاء الكونغرس هم من اليهود أو أزواج ليهوديات ! وأن الخمسة عشر الباقين ، أكثرهم من الصليبيين المتهوكين وأتباع الكنيسة الإنجيلية،

الذين يعتقدون بأن مسيحهم لا يخرج إلا بعد مذبحة عظمى تجتث خضراء المسلمين ؟! أظنه لا يدري. فقد روى لنا إخوة مجاهدون من الجزيرة أنه لبس بزة عسكرية وصلى بالقوات السعودية المرابطة على حدود العراق بقيادة (شوارزكوف) وتحت رايات أمريكا ، أيام عاصفة الصحراء. وخطب فيهم صائحاً: (سر يا خادم الحرمين ونحن نبايعك على الجهاد!) فكيف يدري أمثال هذا ما عليه حال الكونغرس؟

وتتابعت لقاءات نظيره ، الشيخ (سعد البريك) الذي بذل كل جهده على الفضائيات السعودية لإقناع المسلمين أن الله ما خلق جزيرة العرب إلا للمشركين! وليثبت أن المجاهدين لهم ولأسياده هم كلاب أهل النار.

وأما الذي يستحق لقب (**شيطان العلماء**) بكل جدارة ، فهو المنافق الخبيث المنكوس الشيخ (**عبد المحسن العبيكان**) فقد وصلت فيه قلة الحياء -قبحه الله- أن يتابع سلسلة من حلقات على الفضائية السعودية ، وعلى قناة (MBC) اللبنانية الإدارة الممولة من السعودية. حيث ذهب للقول دعما لحكومة العميل (علاوي) بعد زيارة الأخير للسعودية: فقال ، أنه ولي أمر شرعي تجب طاعته، فلما قال له السائل (ولكن أمريكا هي التي عينته وفرضته!)، فقال : (**ولو عيّن الكفار ولي أمر لبلاد المسلمين، فهم إمام شرعي تجب**

طاعته) ، ولا أدري حقيقة على أي دين تخرج مثل هذه الفتاوى ، التي لا يقبلها ولا دين المجوس ولا عباد البقر... فكل الشعوب والأديان تنكر حاكما عينه العدو وتعتبره غير شرعي ، وحتى قوانين أوربا والأمم المتحدة. ولذلك يعتبروه مؤقتا وليس شرعيا. أما هذا الضال المضل فيعتبره إماما شرعيا ! ثم لما سأله السائل عن جواز مقاومة جنود الأمريكان لعدواهم ، قال له – وتأمل : (**هم يدافعون عن أنفسهم ضد من يعتدي عليهم في العراق !! ولا يضربون من لا يضربهم** !!!!!!!!!!!!.)

فتخيلوا مشروعية دفاع أمريكي مدجج بالسلاح عن نفسه في العراق ! ضد مدني عراقي يعتدي عليه !! وليست هذه الأمثلة أقذر ما تصبحنا وتمسينا به الفضائيات والصحف ووسائل الإعلام من دور علماء السلاطين اليوم في هذه الحملة الصليبية .. فلشيخ الأزهر (طنطاوي) إبداعاته التي زعم في بعضها أن منع فرنسا للحجاب مسألة داخلية ، ليس للمسلمين أن يتدخلوا فيها ! ، ولعلماء الشام كما المغرب العربي فنونهم أيضا ، وما كان كثير من علماء العجم في باكستان وغيرها .. بأقل براعة في النفاق والاستخذاء من أقرانهم علماء سلاطين العرب .. قبحهم الله وأسكنهم مضائق سقره ، فهذا المدعو بـ (المفتي الأعظم) في باكستان الشيخ (رفيع عثماني) ، قال في خطبة حفل لختم البخاري : أن الذين يقتلون وهم يدافعون عن

أنفسهم في (إقليم وزيرستان) ضد غارات الجيش عليهم ، بأنهم ليسوا شهداء ! ، ولا أدري أين يذهب حمار البخاري هذا ، الذي حمله أسفارا .. أين يذهب بقوله ﷺ : من قتل دون ماله ..دون عرضه .. دون دمه .. فهو شهيد ؟! وأضاف أن الجهاد لا يكون إلا بأمر ولي الأمر مشرف ، وأن الأمريكان وأشكالهم في باكستان (ذميين لا يجوز العدوان عليهم) ، بل لا يجوز العدوان عليهم في بلادهم! وقاس فاعل ذلك على قول سيدنا موسى – عليه السلام– لما قتل نفسا (قال: هذا من عمل الشيطان)– الآية ! وقس على ذلك. والحبل على الجرار.

وأما دعاة الصحوة ومشاهيرها، فأكثرهم منشغلون في الدعوة للاعتدال .. فهذا شيخ الصحوة سفر الحوالي (هداه الله) قد فتح بيته لدعوة المجاهدين للإستسلام لفراعنة بلاده والتوبة ! التوبة من جهاد الأمريكان في بلاد الحرمين !!

وراح صنوه (سلمان العودة) يحدثنا على شاشة (الجزيرة) عن فقه (المشروع الخاص).. وأن ليس على كل أحد أن يفزع لجهاد الأمريكان في غزو العراق .. فقد يكون بقاءه على مشروعه الخاص أجدى .. ولو كان أطروحة ماجستير .. أو مشروع زواج .. أو قراءة كتاب .. أو حتى جلسة تأمل ! ولم يخبرنا ، التأمل في ماذا ؟!

أما الأخيار.. أخيار العلماء في هذا الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ، فهم الساكتون عن الحق.. الصامتون الخرس.. القاعدون عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يثير حفيظة السلاطين.. حتى صار من يريد مدح أحدهم يقول عنه: (جزاه الله خيراً، لا ينافق للحكومة ساكت معتزل)!

أحوال تقطع القلوب كمدا ..هذه هي خلاصة أحوال العلماء والأمراء . وصدق ابن المبارك حين قال :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

فنحن اليوم أمام هذه الهجمة ولا صلاح الدين يواجه الصليبيين، ولا قطز يواجه التتار، ولا العز بن عبد السلام ولا ابن تيمية يجيشون المسلمين ويسيرون أمامهم.. فنحن أمام أحفاد ابن أبي دؤاد.. ولا أحفاد (لابن حنبل) وإنما نحن أمام مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها..، وأمام الذين أتتهم آيات الله فانسلخوا منها فاتبعهم الشيطان فكانوا من الغاويين . . أمام حمير تحمل أسفار الحق ، ثم تجد سعيا في مكافحة الإرهاب مع حكامها ! .. وكلاب إن تحمل عليها تلهث أو تتركها تلهث .. ما فتئت تنبح تكافح الإرهاب مع أمريكا وتكافح المسلمين المجاهدين لصالح جورج بوش !.

وأما من تتعلق بهم آمال بعض الآملين ، من مظنة الخير في العلماء في مختلف بلاد المسلمين..

فما زال أمل الآملين في انتظار، وما أدري ماذا ينتظرون ؟ ! فاسألوهم إن كانوا ينطقون. ودعنا نأمل مع الآملين لنقول: هذا هو حال عموم عملاء (عفواً) أقصد (علماء) المسلمين اليوم – إلا من رحم الله –!

وليظن كل طالب علم أن شيخه الجليل –ممن رحم الله– وليستريح البعض إلى أن محبوبهم (أبو فلان) وشيخهم (ابن علان) ممن قصدنا بمن رحم الله.

والحقيقة لابد أن يكون هناك من أهل الخير من العلماء من لم نسمع بهم ! رغم متابعتنا لوسائل الإعلام ! فأمتنا أمة خير !

فالسلام على كل واحد من أولئك يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ..

ونسأل الله تعالى الشهادة في سبيله وأن يقبضنا وقد اكتحلت عيوننا برؤيتهم يقودون الجهاد، وتشنفت آذاننا بسماع نداءاتهم للنفير أو نحتسبها حسرة ضمن حسرات كثيرة في (زمن الصبر والقهر) هذا. ونستريح من عيش زمن صار فيه بطن الأرض خير من ظاهرها والحمد لله الذي أحيانا لنشهد نبوءته — فدته نفوسنا وآباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا–

ﷺ. فكما جاء في الأثر الذي رواه ابن حماد في كتابه : (السنن الواردة في الفتن – 371): (**لا يزال الجهاد حلوا أخضر ما قطر القطر من السماء ، وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم ليس هذا زمان جهاد ، فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد، قالوا : يا رسول الله وأحد يقول ذلك فقال نعم : من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**).

نعم. صدق الصادق المصدوق : **عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.**

وربما لو طال بنا عمر ، أو بأولادنا .. لربما شهدنا ما روي في حديث آخر عنه ﷺ ، فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال: **(بلغني أن ريحا تكون في آخر الزمان وظلمةِ فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا).**

وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : (**يكون** في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير) !! .

فو الله لست أعجب لو أصبح الناس فرأوا أمثال هذا (**العبيكان**) الذي يقول **أن العراقيين يعتدون على الأمريكان في بغداد!!! لست أعجب أن يجدوه قرداً** ! ولست أعجب لو رأوا الإمام المنفوخ **(السديس)** ، إمام الحرم المكي الذي لا يستحي من الله أن يدعو

بالسلامة من التفجيرات الإرهابية للدول الكافرة ، وعلى المجاهدين بالهلاك ،على باب الكعبة في دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان 2004 !! ثم يفرغ توسلاته إلى الله بحفظ ولي الأمر والنائب الأول ، والثاني ..! لست أعجب لو أصبح الناس فرأوه خنزيرا.. وكيف العجب، وما أشبههما بذلك حتى قبل المسخ !

۞۞۞۞۞۞۞

2- وأما على صعيد الصحوة الإسلامية :

فالمتابع لأخبارها وأخبار قادتها وأحزابها وشبابها وصحفها .. لا يكاد يرى إلا الجدليات ، والقيل والقال في مجالسهم وندواتهم ومقابلاتهم على الفضائيات. واسمع عجبا من تفسيرات نصوص الدين في نبذ الإرهاب ، مع شيء من نقد الأمريكان على استحياء ، والتنويه والتعريض بحكام المسلمين ، مع شيء من الطبطبة على أكتافهم ومراعاة مشاعرهم. وفتش عن قيادات الصحوة في مقاعد البرلمانات المشركة المشرعة من دون الله. وفي مناصب الوزارات في

حكومات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل الله ، الخائنة لله ورسوله والمؤمنين. وتوقف أمام أعذار هؤلاء الدعاة (الإسلاميين الديمقراطيين!) ، و دعاوى الإصلاح والتدرج والتريث والتعقل. لتتذكر قول المتنبي :

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وتابع مقابلاتهم على شاشات التلفزيون ، وفتش في ثناياها عن كلمة حق تتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتدليس والنفاق .. حتى لا تحسب عليهم دعما للإرهاب. فأمريكا بالمرصاد. وأجهزة الرقابة والإستخبارات يحصون الأنفاس ، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلمات ، وينبشون الأسرار من قعر الصدور. والتهمة جاهزة ..أصولية ، فتشدد ، فتطرف ، فتأييد للإرهاب. فانتماء للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعة ! فتجمد الحسابات في البنوك. والدماء في الشرايين. وتذاب الأجساد تحت سياط الجلادين. ويعاد تجميعها على كهرباء أجهزة التعذيب المستوردة ..

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكي الهائج لمكافحة الإرهاب اليوم قبل ولا طاقة. ولا تكفي لحية الداعية المقصوصة إلى ما قبل حد النتف بقليل ، ولا قبته البيضاء ، ولا (الكرافتة) الأوروبية والبدلة الأنيقة على

الطراز الغربي الحديث ، ولا المشاركة في الديمقراطية والدعوة إليها ، لإثبات الإعتدال !

فعملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد على كل حال. والدين عند قيادات الصحوة يسر .. إلى حد ما قاله الشاعر:

وهذا الدين لفرط يسره ... قد احتوى مسيلمة.

ويتسع عندهم لما يعرضون منه ملفقا تحت دعوى الإعتدال وأعذار الحنكة السياسية وآخر الإختراعات .. (الشفافية) !! و(احترام الآخر) !!. من غير أن يفهمونا من هو هذا الآخر؟!

۞۞۞۞۞۞۞

3- وأما أحوال الأمة الإسلامية وشعوبها بعد سبتمبر:

فمن المفارقة أني سمعت فيما كنت أكتب بعض أوراق هذا الكتاب أصوات إطلاق الرصاص وانفجارات الألعاب النارية والموسيقى والصياح .. وتحيرت لأنه لا يتوقع أن تكون القدس قد تحررت فجأة!!.. أو أن الهند قد انسحبت من كشمير ! ونزلت استطلع الخبر .. لقد كانت احتفالات (المسلمين) بدخول السنة النصرانية الجديدة

2003م! إنه عيد رأس السنة الميلادية. لقد دقت الساعة الثانية عشر، وجن جنون البقر !

ودخلت صبيحة السنة الجديدة. ولا شك أنها كانت ليلة حفلات ورقص وخمر ودعارة لملايين (المسلمين) ! ولا شك أن حكوماتهم وأجهزة إعلامهم قد قدمت لهم كل وسائل الفساد ومستلزماته.

وباختصار .. لا تشير وقائع المسلمين هذه الأيام إلا إلى مزيد من التيه والضياع والهزيمة والبوار ..

ولولا الأمل بالله تعالى ، وما وعد رسوله ﷺ وما بشر. وذلك حق ولا ريب. لانقطع الرجاء ، وانطفأ الأمل. ولكنها نعمة الله وأمل الإيمان.

فما أدري والله ما الذي يلزم هذه الأمة بعد حتى تتحرك للجهاد؟!

فماذا أكثر من استغاثة القدس ونداء مسجدها الأقصى ؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى وما قدمت ؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت ؟! وماذا أكثر من أخبار الشيشان وما أبلت ؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت ؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كل بيت من أخبار البلاء في المسلمين في كل مكان؟!

وماذا يهز كيان الأمة ويحرك وجدانها أكثر من دوي انفجارات سبتمبر؟! .. ومشهد صقور الإسلام وشهدائه يمزقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطاهرة ؟ وماذا

أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبية من نساء وأرامل الشيشان في عمر الورد ، وقد حزمن المتفجرات على أجسادهن. يجاهدن في قلب موسكو ؟

فيا لخزي العمائم ، ويا لعار الشوارب واللحى .. لقد حمل صبايا المسلمين الرشاش وخرجن لجهاد الروس في عقر دار الروس في موسكو !

وماذا يثير الوجدان أكثر من صور أطفال فلسطين تقل أعمار بعضهم عن السادسة من العمر ، يواجهون الدبابات ويجرون خلف جنود اليهود ؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالات الأمريكية والبريطانية العسكرية الحاشدة في بلاد المسلمين والإعلانات عن تدمير العراق وبرامج احتلال البلاد والعباد؟ ! وماذا ؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهد الموت والدمار والخزي والمصائب تضعها شاشات التلفزيون في كل بيت من بيوت المسلمين . فيشاهدونها ويتنقلون بينها وبين الأفلام الخليعة والرسوم المتحركة وعروض الأزياء ومباريات الرياضة ... وحفلات الرقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ (ستار أكاديمي) ؟!..

لقد ماتت النفوس .. وتعفنت الضمائر.. ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾.

فالشارع الإسلامي بليد .. ساكن إلا من بعض المظاهرات هنا وبعض صياح الشجب هناك ، ولم تبد بعد بوادر الحركة ، والأمل في موعود الله كبير ، ولعله يتحقق ما يتخوف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليوم من أن غزوها للعراق وحملاتها العسكرية والأمنية ستخصب تربة الإرهاب على حد زعمهم.

فنسأل الله أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم.

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المسلمين ، يجب أن نذكر أن بذور للمقاومة تنتعش هنا وهناك على شكل عمليات محدودة ومبادرات فردية شرقا وغربا.

قليلة هي المبادرات ! ولكن الاستياء عارم والجو مشحون ، والمناخ الثوري يسخن ، ويبشر بوصوله لحرارة الجهاد ، بفضل الله ثم بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليهود ، وجشع الحملات الصليبية وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوط آخر أوراق التوت عنها.

هذه المقاومة تبشر بميلاد شمس الأمل ، شمس يكاد لم يبق من الدليل على بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصادقة. وبصيص لمعان الأمل في عمليات جهاد المجاهدين هذه. فالوعد حق ولا شك:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:55) ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: 5) .

فقد قارب حال الصابرين ما يبشر بالفرج : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: 110).

فخلاصة واقع الأمة اليوم هو ما قدمنا وسط دوامة فساد الصليبيين في الأرض وعلو اليهود الكبير فيها. ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: 21) .

4- أحوال الجهاديين بعد سبتمبر:

أما هذه فكان الله في العون.. ورحم الله الشهداء ، وأسكنهم فسيح جناته. وصبر الله الأسرى وأحسن خلاصهم من سجون غوانتانامو وفروعها الأسوأ حالا في سجون حكام المسلمين. وحفظ الله المشردين ويسر أمرهم. وثبت الله العازمين الثابتين على الطريق، وأعانهم على حمل الراية خفاقة رغم الجراح ، وتسليمها شامخة لجيل قادم يخلص في حملها.

فالتيار الجهادي بكامل طيفه على صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد.. بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيام بأشد محنة مرت على التيار الجهادي المعاصر منذ انطلاقه قبل أربعين عاما، وذلك بسبب الحملة الظالمة التي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهاب).

لقد مرت جماعات جهادية عديدة عبر مسيرها بأزمات وملاحم ومصائب بالغة الشدة ، من قبيل ما حصل بالمجاهدين في سوريا وتونس وليبيا والجزائر ومصر وغيرها ، ولكن محنة الحرب العالمية الحالية على الإرهاب ، كما يسمونها ، تختلف من حيث اتساعها وزخمها وحجم خسائرها. فقد افتتحتها أمريكا ، وجيشت لها حلفاءها من دول الناتو وغيرهم من الكفار، ومن قوى الردة المتمثلة بحكام المسلمين

وأجهزة قمعهم. لقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها بعد أحداث سبتمبر. حيث دمرت أمريكا الإمارة الإسلامية في أفغانستان، التي شكلت الملاذ الأخير لنخبة الجماعات الجهادية وكوادرها. حيث قتل المئات من كوادر التيار الجهادي في معركة الدفاع عن الإمارة. ثم أتبعت أمريكا ذلك بأسر أكثر من 600 مجاهد من مختلف البلاد العربية ، في باكستان ونقلتهم إلى سجونها. كما ألقت القبض بالتعاون مع حلفائها من الكفار والمرتدين في بلاد المسلمين وغيرها على عدة مئات أخرى، وأدرجت على قائمة الإرهاب عشرات الجماعات الجهادية من مختلف بلاد المسلمين، لتطارد عناصرها في كل بلاد الدنيا، حيث دخل من تبقى من عناصر الجهاديين ولاسيما رموزه وقياداته وقدماء كوادره في حالة من الشتات والتشريد والمطاردة بفعل أكبر حملة أمنية عالمية يشهدها التاريخ، حتى صاروا إلى حال يذكر بما وصف رسول الله ﷺ المؤمنين في آخر الزمان بقوله (**ثم يفشوا الظلم حتى لا يجد المؤمن ملجأ يؤوي إليه**). واستقصاء تفاصيل ما حل من نكبات وعناء بالمجاهدين الذين وقفوا لأمريكا وحلفائها بالمرصاد يدافعون عن هذه الأمة ودينها ، يحتاج إلى مجلد كبير يروي أروع قصص الثبات والتضحيات والعناء التي نزلت بهم وبنسائهم وأطفالهم وذويهم وبكل من آواهم ومد يد العون إليهم. ولا يسمح المجال هنا

بالسرد والإطالة. وعلى كل حال فلسان حال من تبقى يلهج بالثبات والعزم والتحدي..

فلله الحمد، ما زلنا عازمين..

(و والله لا نعطيهم إلا السيف) إن شاء الله ، (**ولو لم نجد إلا الذر لنقاتلهم به**) ، (**أو تنفرد هذه السالفة**) حتى يرضى الله تعالى. (**وليأخذ الله من دمائنا ما شاء حتى يرضى**).. ﴿ **إن الله اشترى** ﴾ ، وإنا في طائفة قد باعت. ولقد وقع البيع ، (**ولا نقيل ولا نستقيل**) إن شاء الله.

فما عذرنا وقد قضى من مضى .. ولعلنا نلحق بالرفيق الأعلى: ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ (النساء: 69). وكما قال الأول ، عاصم ﷺ ، وقد أحاط به الكفار يستأسروه فأبى. فإنا ننشد كما أنشد:

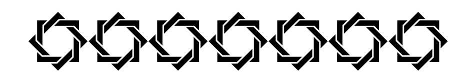
ما علتي والقوس مني نابل   والقوس فيها وتر عنابل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

فنسأل الله أن يمنعنا منهم أحياء وأمواتا كما منع عاصم ﷺ.

وهذا إن شاء الله حالنا وحال إخواننا المجاهدين. ولنبشر المؤمنين.. ولنخزي أمريكا ومن معها من المنافقتن: فقد أبقى الله رغم كل ما حدث من النكبات من المجاهدين في كل مكان لأمريكا وحلفائها ما

يسوؤهم. ونسأل الله أن يؤهلنا لأحوال تصدق هذه الأقوال.. فليصيحوا ما شاءوا في مسيرة بوش: **(أعلو هبل)** فما زلنا نردد على أصداء صوت عمر ﷺ: (**الله أعلى وأجل**) وليعبدوا أمريكا وليقولوا : **(لنا في أمريكا العزى ولا عزى لكم..)** فإن نقول لهم كما رد عمر على أسلافهم: **(الله مولانا ومولاكم**) ... **(قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.. ولا سواء**).



الفصل الثاني
أحكام شرعية في هذا الواقع

قال الله تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام: 55)

وقال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران: 187)

الفصل الثاني
أحكام شرعية في هذا الواقع

نعتقد باختصار أن أحكام الشريعة تقرر أن الجهاد يكون فرض عين على كل مسلم في مثل هذا الواقع اليوم. هذا ما تقرره أحكام الشريعة. كما أن العقل والمنطق والفهم السليم يدل على أن (الجهاد المسلح هو الحل) من أجل وضع حد لأزمات هذا الواقع.

فأما الأدلة الشرعية على ذلك فهي أوضح من عين الشمس كما سنبين إن شاء الله. فالجهاد فرض عين اليوم على كافة المسلمين من وجوه كثيرة . ولا نورد الأدلة العقلية والمنطقية على ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشرعية للقناعة – والعياذ بالله – وإلا فالمقرر من أساسيات العقيدة أن لا رأي مع رأي الشرع، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب:36)

هذه هي الحقيقة : فالمقاومة العامة لهذا الإحتلال الأجنبي الكافر،

وهذه القوى المرتدة المتعاونة معه والرازحة على صدور المسلمين ، هي فرض واجب تقرره الشريعة الإسلامية ، وحقيقة يقتضيها العقل السليم . كما هو الحال في كل أمر حيث تتوافق أدلة الشرع القويم مع مقتضى العقل السليم في كل زمان ومكان.

فهناك أحكام شرعية هامة تتعلق بواقع المسلمين اليوم يجب على علماء الإسلام وقيادات الصحوة والجهاد بيانها للناس، نذكر هنا أهمها بغية الإختصار، تاركين تفصيل أداتها إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب.

فإن من أهم ما تقرره الأدلة الشرعية من أحكام في واقع المسلمين اليوم ما يلي:

أولاً: بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء. وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع.

ثانياً: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمؤمنين.

ثالثاً : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع.

رابعاً: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.

خامساً: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم. حتى ولو كان مسلما.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها :

أولاً : بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليوم فرض عين على المسلمين بالإجماع :

كما أثبتنا في الفصل الأول تحت عنوان (واقع المسلمين اليوم) فإنه قد صار من المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر،أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأعداء. وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين، مع تواجد عسكري كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها. مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الإقتصادية. وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنية.

وهاهي أمريكا اليوم تعيد احتلال العالم الإسلامي من جديد جهارا نهارا. فقد احتلت أفغانستان مباشرة. وبسطت سيطرتها على باكستان ووسط آسيا. وهاهي قد احتلت العراق ، ووزعت مئات آلاف الجنود في جزيرة العرب وتركيا وجنوب الشام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال إفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار. وهاهو بوش يعلن أنه يقود على بلاد المسلمين حملة صليبية ومعه حلفائه في حلف الناتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرئيسي (إسرائيل) التي تحتل فلسطين، وتستعد لهدم المسجد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المسلمين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كل مسلم تجاهها؟

الجهاد عبادة وفريضة، فرضها الله على المسلمين. وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله ﷺ بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد الشهيد عبد الله عزام شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان أيام جهاد الروس – رحمه الله – ما نقتطف منه ما يلي:

وجهاد الكفار نوعان:

جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين. فالقتال فرض كفاية. وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...الخ) ثم قال رحمه الله: وهو مكان الشاهد: جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإمام أفرادا أو قوما وجب عليهم النفير.

رابعاً: إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين.

ثم تحدث الشيخ عبد الله – رحمه الله– عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال: (**ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا. أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم. بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه. فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا.**

يتوسع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب. فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم. حتى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثم أوجز الشيخ – رحمه الله– مختصر الأدلة على ذلك عند مذاهب أهل السنة وعلمائهم فقال:

أولاً: فقهاء الحنفية:

قال ابن عابدين – رحمه الله – في حاشيته ج3 ص238: [**وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه. فأما من ورائهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم، فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثم وثم ، إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج**] اهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع ج7 ص72. وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق ج5 ص191. وكذلك ابن الهمام في فتح القدير. من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي. الجزء الثاني ص 174: [**ويتعين الجهاد بفجئ العدو: أي توجه الدفع بفجئ (أي مفاجأة) على كل واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين**].

ثالثاً: عند الشافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي. في الجزء الثامن الصفحة 58: [**فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة**].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة في الجزء الثامن الصفحة 345: [**ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع:**

1. **إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.**
2. **إذا نزل الكفار ببلد يتعين على أهله قتالهم ودفعهم.**
3. **إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير**] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (**وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة)، بل يدفع بحسب الإمكان ونص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم**).

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة 608: (**إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير أليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا**).

ثم أضاف الشيخ عبد الله عزام إثر هذه الأدلة قوله: [وهذا يعرف بالنفير العام ثم قال وأدلة النفير العام:

قال الله عز وجل : (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:**41**)

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءا لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية 39: (إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

قال ابن كثير – رحمه الله– : أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله

ﷺ عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوب البخاري – رحمه الله– : (باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة رضي الله عنه في معنى قوله تعالى: {خفافا وثقالا}، كهولا وشباب ما سمع الله عذر أحد) الجزء الثاني ص144. من مختصر تفسير ابن كثير، وقال الحسن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في الجزء 28 ص 358: (**فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كما قال تعالى :** ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ (الأنفال: 72).

كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم سواءً كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن ، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة و المشي و الركوب ، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن الله في تركه لأحد) وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال: (إستنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع)[4]

---

[4] رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج8 ص150.

ثم يتابع الشيخ عبد الله عزام – رحمه الله– أدلة النفير العام فيقول:

1. **ويقول الله عز وجل:** ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 36). قال ابن العربي: كافة يعنى محيطين بهم من كل جانب وحالة[5].

2. **ويقول عز وجل:** ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: 39). والفتنة هي الشرك. كما قال ابن عباس والسدي[6]. وعند هجوم الكفار، واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها. وعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال. قال ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) رواه البخاري. فيجب النفير إذا استنفرت الأمة. وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها. ومدار الواجب على حاجة المسلمين واستنفار الإمام. كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري الجزء (6– ص20)، قال القرطبي: (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم). قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ج1

---

[5] رواه القرطبي في الجامع.8 – 150.

[6] ذكره القرطبي الجزء 253–2

ص242 : (لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق. أن على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل. فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟! ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة.

3. **قتال الفئة الباغية**: يقول الله عز وجل ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9). فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظا على وحدة كلمة المسلمين وحماية دينها وأعراضها وأموالها. فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

4. **حد الحرابة**: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة:33). هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون فى

الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم، فكيف بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم وماهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!.

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام، إذا دخل الكفار أرض المسلمين، أن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان.]
انتهى النقل عن كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين. باختصار طفيف.

وأقول : فإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم. لوجدنا أن الجهاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة. في كل الأرض. وأوضح وجوه فرضيته هو الباب الأول (وهو نزول الأعداء في أكثر بلاد المسلمين).

فما من بلد من بلاد المسلمين اليوم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفار، من اليهود كبلاد فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، أو من قبل الصليبين، كبلاد البوسنة والبلقان، و الشيشان و القفقاس ، والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والفلبين... وغيرها. أو من قبل الوثنيين مثل كشمير التي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا التي تحتلها الصين ... وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثم من جاورهم. ثم جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا. فعمت الفريضة العينية بالجهاد كل أهل الإسلام.

وأما باقي البلاد الإسلامية والعربية. بما فيها عقر دار الإسلام وكعبتهم ، ومسجد نبيهم ﷺ. فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصليبيين واليهود، بنيابة الحكام المرتدين، وأعوانهم المنافقين الذين وضعوا جيوشهم في خدمة الكفار. بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصليبيين، الذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية. واحتلوا البلاد بهذه الطريقة الحديثة، بتجميع قواتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدين لجيوشهم من المنافقين والجهال والمكرهين والضائعين... الذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصليبيون قواتهم من مراكزها وقت الحاجة. ويكفي أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصليبيين فوق أرض جزيرة العرب أكثر من مائتي ألف جندي. وسلاحا وعتادا مخزنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة ... وبهذه الطريقة الخبيثة. بتجميع القوات في قواعد مركزية، والاعتماد على قوات المرتدين في الخدمات التفصيلية. يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المسلمين للجهاد. ويسمحون للحكام المرتدين بادعاء الإستقلال. ولعلماء السلاطين بصرف الناس عن الجهاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثروات منهوبة، والكافرون يسومون المؤمنين ألوان الذل والهوان على أيدي أعوان المرتدين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفار هي العليا، والصالحون نزلاء السجون وأقبية

التعذيب. والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشام ومصر وشمال إفريقيا وتركيا والباكستان وإفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثاني من فريضة الجهاد العيني. وهي (التقاء صف المؤمنين بصف الكافرين). لوجدناها متحققة في كل بلاد المسلمين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصليبيون، والكفار المرتدون، قواتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كل شبر من بلاد المسلمين. عبر مئات الآلاف من الجيش والشرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين... ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصليبيين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكرية في كل بلد. بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدفاع عن دينه والالتزام به والدفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر و ترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المؤمنين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مشايخنا حتى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كل أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثالث وهو (استنفار الإمام) فلله المشتكى وله الحمد على كل حال. فليس للمسلمين على وجه الأرض اليوم إمام شرعي واحد، وما فيهم اليوم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد. فكلهم معتمد على ألوان الكفار من اليهود الصليبيين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المنافقين. فليس هناك إمام شرعي يستنفر

للجهاد. بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل على المؤمنين!! فهل سقط الجهاد لغياب الإمام الشرعي؟! فمن يدفع الصائل إذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت على عباده المسلمين في أكثر بلاد الدنيا. فما من بلد من بلاد المسلمين إلا وقام فيه دعاة للهدى. من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جهاد مخلصين. دعوا الناس للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنفروهم. وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هؤلاء الأئمة، وأمراء الجهاد الصالحين. على فرض ذلك. فأمة الإسلام واحدة. ولا إعتبار من وجهة نظر الإسلام للحدود التي رسمها الصليبيون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر... فأمة الإسلام واحدة وتبقى واحدة. ولم تخل عن أمراء جهاد دعوا المسلمين واستنفروهم. وعلى المسلمين إجابتهم والنفير معهم لدفع الصائل. ومن أمثال هؤلاء وقت غزو الروس لأفغانستان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. ومن وقف معه في الدعوة للنفير العام بالجهاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم. ومنهم كافة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهادية في مختلف البلاد الإسلامية .. ومن هؤلاء اليوم الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، الذي يستنفر المسلمين لجهاد الأمريكان واليهود اليوم ، ومثله العديد من العلماء ودعاة الجهاد ضدهم من بلاد العرب والعجم

في العراق والشيشان وفلسطين والفلبين وأندونيسيا وغيرها. وعلى المسلمين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرابع من فريضة الجهاد العينية وهو (إذا أسر العدو بعض المسلمين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشباب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدنيا إلى سجن غوانتانامو الأمريكي المخزي قد جاوز اليوم 700 أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكية ذاتها.ومثل هذا العدد في السجون الأمريكية في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشباب المسلم في سجون أوروبا الغربية (بريطانيا-فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا- إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف. وقل مثلها في كشمير والفلبين وإرتريا وبلاد إفريقيا. وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما سجون طغاة بلاد العرب والمسلمين من أمثال حكام السعودية ومصر وبلاد الشام وشمال إفريقيا وتركيا والباكستان.. فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظمة العفو الدولية تذهب إلى عشرات الآلاف فى البلد الواحد أحيانا!! فلا شك أن الأرقام عن أسرى الشباب

المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.

- وأما عن فلسطين فالأخبار العالمية تطالعنا في كل يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف. فقد أسر اليهود في يوم واحد من أيام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير.! وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النساء والفتيات وحتى الأطفال.
- وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء. فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجهاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المسلمين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها. وأن على المسلمين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسلمين ، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين. فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كان مسلما. وأن نبين لهم أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التالية:

۞۞۞۞۞۞۞

ثانيا : حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار و خيانتها لله ورسوله والمؤمنين:

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إلى معتقدات الكثير من المسلمين مع تتالي الأزمان حتى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه ، ثم ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد و يعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق ، وأنه هو الرزاق ، وأنه هو المحيي ، وأنه هو المميت ، وأنه الضار النافع، وأنه الخافض الرافع ، وأنه الحكم العدل .. ، إلى آخر أسماء الله وصفاته. ولكن كثيرا من المسلمين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتشريع، والتحليل والتحريم.. على غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم.

وخاصة من الحكام والكبراء ، والأحبار والرهبان والعلماء والمشايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرجال!

وهذه هي حقيقة العبادة وحقيقة الطاعة ، التي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون. الرب الذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه ، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا ...

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي... فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله ، ثم ينكر تشريعاته وينتقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسلمين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ، ولله المثل الأعلى. فهل يقبل رب البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثم يطيع جاره و يعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الذي يأكل من رزقه ، أن يدعي سيادته ، ثم يتحرك وفق توجيهات غيره ! فهم لا يقبلون ذلك على أنفسهم ولله المثل الأعلى. ولهذا جاءهم

الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء باطل وعمل منكر.

إن كون الحاكمية لله وحده. وأن التشريع منه وحده. وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك. هي أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده. وقد أثبت القرآن هذا، وأثبت الكفر لمنكره. كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأمة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور. ولا يكون الدين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة على هذه المعاني متعاضدة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة 49-50)

قال ابن كثير – رحمه الله– في تفسيره :[(**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**). أي فاحكم يا مُحَمَّد، بين الناس عربهم، وعجمهم ، وأميهم، وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم] ثم قال : [(**ولا تتبع أهواءهم**): أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى : (**ولا**

تتبع أهواءهم). أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به بأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء]. ثم قال – وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام – قال ابن كثير –رحمه الله–: [وقوله تعالى (**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون**) ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. ومنها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير. قال تعالى:(أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون؟ وقوله تعالى: (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله

أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شئ القادر على كل شئ. العادل في كل شئ] اهـ.

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قال: [ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا)، من ذلك: أنه منه زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط. قتل ومن تعمد الكذب قتل، ومن تجسس قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل (...) وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه. من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين**] اهـ.

قلت: و**(الياسا)**: هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام والنصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة

الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإسلامية: (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد يخلوا حتى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كان ابن كثير قد نقل إجماع المسلمين على كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعية في المسلمين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم. وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين. تماما كما أخبر ﷺ فيما روى عنه الأمام أحمد: (لينقضن عرى الإسلام عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة). فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:60)

يقول ابن كثير – رحمه الله –:

[هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين. وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله] ثم قال:[فانها-أي الآية – ذامة لكل من عدلوا عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد هنا بالطاغوت. ولهذا قال (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت)] أي كما قال في نفس سورة النساء بعد بضع آيات في قوله تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما]: [أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. كما ورد في الحديث:(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)] اهـ.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية 36 : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ .

قال ابن كثير – رحمه الله-: [**فهذه الآية عامة في جميع الأمور. وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول** (...) **ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال:**

[ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] وكقوله تعالى [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] اهـ.

قال الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون...﴾ الآية السابقة: (**وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو رسوله ﷺ، فهو خارج من ملة الإسلام، سواءً رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول و الانقياد و الامتناع عن التسليم. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة**).[7]

وقال الإمام ابن تيمية – رحمه الله تعالى-: ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ (النور 51). **قال: [فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا. فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص ونحوه]** اهـ.[8]

---

[7] أحكام القرآن ج2. ص212.

[8] (الصارم المسلول، ص 38).

كذلك نقل شيخ الإسلام اتفاق الفقهاء فقال: **(والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء)**[9].

وقال رحمه الله في الفتاوى ج35 ص406: **(ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله).**

ويقول أيضا في منهاج السنة ج3 ص22: **(فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر).**

وفي الفتاوى الكبرى ج4 ص515: **(ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر).**

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء: من الآية 59) قال: [**وهذا دليل**

---

9 الفتاوى ج3 ص267.

قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس، من الدين كله، إلى الله ورسوله ﷺ. لا إلى أحد غير الله ورسوله ﷺ، فمن أحال الرد إلى غيرهما، فقد ضاد أمر الله ، ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله، فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ وهذا مما ذكر آنفا، أنه شرط ينفي المشروط بانتفائه، فدل على أن من حكّم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمستمسكين بها، المتمثلين ما أمرت به].[10]

وفي نفس هذه الآية قال ابن كثير رحمه الله: [**فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر]** اهـ.[11]

ويقول ابن القيم – رحمه الله-: (**ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.والطاغوت كل ما يتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من**

---

[10] (الرسالة التبوكية).

[11] (تفسير ابن كثير).

يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله).[12]

وقال رحمه الله في مدارج السالكين 1ص 337 : **(إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه حكم الله فهذا كفر أكبر).**

يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدين ص 271: **(ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح، أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه، فهو كافر،كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة. وكذلك من اعتقد تحريم شئ حلله الله أباحه بالنص الصريح أو أباحه الله عز وجل. والوجه فيه أن في ذلك تكذيب لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيب للمسلمين في خبرهم. ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين).**

قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (التوبة: 12) .قال: **(استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه**

---

[12] إعلام الموقعين ج1 ص5.

ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه)[13].

فانظروا اليوم في خطابات وتصريحات هؤلاء الرؤساء وأعوانهم، وما فيها من طعن بالدين واستخفاف بشعائره.

وقال -رحمه الله- : (**إن حكم بما عنده على من أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر**)[14].

وقال: (**إن طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر**)[15]

ونكتفي بهذه الآثار. والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

---

[13] ج8 ص82

[14] ج6 ص191

[15] تفسير القرطبي

- قال الشيخ محمود الآلوسي في تفسيره : (**لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة، وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتعصب غضبا إذا قيل له في أمر الشرع فيه كذا . كما شهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها، ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا للحق**).[16]
- وقال الشيخ مُحَمَّد أمين الشنقيطي – رحمه الله –: (**ومن لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كله مخرج من الملة**)[17].
- وقال في تعليقه على حديث عدي بن حاتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ألم يحرموا عليكم ما أحل الله ويحلوا لكم ما حرم الله فتبعتموهم ؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم**). قال –رحمه الله–: (**وهذا التفسير النبوي: أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفا لتشريع الله أنه عابد له، متخذه ربا، مشرك به كافر بالله. هو تفسير صحيح لا شك في صحته، واعلموا أيها الأخوان أن الإشراك بالله في**

---

[16] روح المعاني ج28ص 20.

[17] أضواء البيان ج2ص104

حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله، وتشريعا غير تشريع الله، وقانونا مخالفا لشرع الله، من صنع البشر. معرضا عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله ﷺ من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهم البتة بوجه من الوجوه فهما واحد كلاهما مشرك بالله هذا أشرك في عبادته وهذا أشرك في حكمه)[18].

- ويقول في نفس التفسير: **(وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم)**.
- ويقول – رحمه الله–: **(وأما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، و أنهما يلزم إستواؤهما فى الميراث، ودعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوهما،أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس**

[18] أضواء البيان

المجتمع وأموالهم وأنسابهم وعقودهم وأديانهم، كفر بخالق السموات والأرض)[19].

- قال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- ، وهو إمام محدث معاصر توفي سنة 1958م، وكان قد عمل في مجال القضاء الشرعي في مصر ثم اعتزله، قال في تعليقه وتحقيقه لمسند الإمام أحمد عند الحديث رقم 7747: **(ومن حكم بغير ما أنزل الله عامدا عارفا فهو كافر. ومن رضي عن ذلك وأقره فهو كافر، سواءً أحكم بما يسميه شريعة أهل الكتاب أم بما يسميه تشريعا وضعيا. فكله كفر وخروج من الملة، أعاذنا الله من ذلك).**
- ومما جاء عنه – رحمه الله-: **(أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة، بل بتشريع تدخله الأراء والأهواء الباطلة.يغيرونه ويبلونه كما يشاؤون . ولا يبالي واضعه أوافق شرع الإسلام أم خالفه، إن المسلمين لم يبتلوا بهذا قط إلا في عهد التتار)** إلى أن قال: **(ما أظن رجلا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلا (...) ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول، بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلانا أصليا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.إن الأمر في هذه القوانين الوضعية**

[19] أضواء البيان ج4ص84

واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ينتسب لأهل الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو إقرارها)[20].

ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:31).

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم ﷺ، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم. فقال ﷺ: (**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم**).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة الآية والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري**﴾ (القصص – 38). ﴿ **فقال أنا ربكم الأعلى**﴾ (النازعات – 24). لم

---

[20] عمدة التفاسير ج4ص171

يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى: ﴿**فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ (الزخرف-54).

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل و المرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والجزية ، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ويجدر بنا لفت النظر إلى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة

الخادعة، وهي قولهم (الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع والتقنيين من دون الله تحت هذا العنوان. كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان واليمن...فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة عليه؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغي الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه ﷻ، وقال في الحديث القدسي: (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (الأنفال/39). وقال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين* ألا لله الدين الخالص ﴾ (الزمر-3).

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال : ﴿إن الحكم إلا لله أمر

ألا تعبدوا إلا إياه﴾ (يوسف-67). والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنالم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى: [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] (الأنفال-39). عن ابن عباس: [يعني لا يكون شرك]، وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: [حتى لا يفتن مسلم عن دينه]، [وعن مُحَمَّد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله-: (**كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر.**

إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر) [21].

وقال الإمام ابن تيمية — رحمه الله -: (**فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى :** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (البقرة:279) .

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون

---

[21] الاعتصام

له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد اتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله).[22]

فالخلاصة:

أنه إذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

[22] ج 28 مسألة 217.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم (مشرع) هكذا باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!. فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حكام بلاد الإسلام في هذا الزمان من باب التشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هؤلاء المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا. وهو ولاؤهم لأعداء المسلمين ومعاونتهم ومظاهرتهم على شعوبهم وأهل ملتهم. فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشرعي في جريمتهم الأخرى هذه.



عقيدة الولاء والبراء وحكم موالاة الكافرين وأنواعها وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين

بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم ، واختلاف لغاتهم وشعوبهم ، وغناهم وفقرهم ، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و (كافر). وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة ، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة. فقد قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات 10).

كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء و البراء). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22)

وأخبر بقوله: [والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض] (التوبة – 81). [والذين كفروا بعضهم أولياء بعض] (الأنفال – 73). [والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض] (التوبة – 67).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية: 19) . فهما نسبتان وجنسيتان ، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يوالي مسلماً)... و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العقيدة، وأخبر أننا إن لم نفعلها ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ (الأنفال 73). والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المؤمنين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبراءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح. ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام و التقريرات القرآنية كما يلي:

1.**المؤمن ولي المؤمن:**

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: 71) .

2. **الكافر ولي الكافر:**

قال تعالى: ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ (الأنفال – 72).

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ (التوبة – 67).

3. **النهي عن ولاية الكافرين:**

قال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ (آل عمران 28).

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ (النساء 144).

4. **ولاية المؤمن للمؤمن هي ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:**

قال تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ (المائدة – 55).

﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾

(المائدة – 56).

5. ولاية المسلم للكافرين هي ولاية للشيطان،ودخول في حزبه:

وهي خسارة وسخط من الله تعالى يوجب الخلود في النار : قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:14) إلى قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:19) .

كما قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء: 119) .

6. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(العنكبوت:41)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:25)

وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر:16) .

7. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتفضي به إلى الردة:

قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51) .

ثم قال بعدها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ

لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة – 51-54).

وبعد أن قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:144) .
قال بعدها: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (النساء – 145).

8. النهي عن اتخاذ الأقرباء والقوم والعشيرة أولياء إن كانوا كافرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة – 24-23).

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ

حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22).

9. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:118)

10. النهي عن ولاية من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9) .

11. النهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوا ولعبا:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:57) .

12. التشديد في النهي عن ولاية اليهود والنصارى خاصة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليهود و النصارى. ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ (المائدة – 51). وقال تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ (المائدة–57).

13. الأمر بالأخذ بملة إبراهيم بالبراءة الكاملة من الكافرين وبغضهم ومعاداتهم:

قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إبراهيم لِأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4)

14. **حددت الآيات القرآنية أعذار من يتولى الكفار من المسلمين ويقعون في النفاق أنها إما من أجل طلب العزة أو للخوف من الأذى والدوائر:**

وقد رد القرآن على هذه الأعذار وأبطلها، وحكم على أصحابها بالنفاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدنيا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار. قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ (النساء- 138-139). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة- 51-52).

❖❖❖❖❖❖❖

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين:

1- الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنافقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي

الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140) . طاعة الكفار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قال تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد:25/26) . فطاعة الذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

2- اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى الله عنها.

3- النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.

4- التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله- في مجموع الفتاوى ج199/28: (**ومن جنس موالاة الكفار التي ذم الله بها أهل الكتاب والمنافقين، الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله**. كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ (النساء51).).

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة–51). وقد برئ الله منه : ﴿ فليس من الله في شيء﴾ (البقرة–28). وقد قال تعالى: ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ (البقرة–76). وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(الحشر:11).

ومن الآثار التي وردت في تفسير بعض النصوص القرآنية السابقة:

قال ابن حزم – رحمه الله– ينقل الإجماع : (صح أن قول الله تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنما هو على ظاهره، **بأنه كافر من جملة الكفار ، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين**)[23].

---

[23] المحلى ج13 ص25

قال الطبري في تفسيره ج1 ص277: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم ، **أي من أهل دينهم وملتهم** ، فإنه لا يتولى متول أحد إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخط **وصار حكمه حكمه**).

وقال ابن جرير في تفسير {من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برء الله منه بارتداده عن دنه ودخوله في الكفر).[24]

وقال ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص67:(إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم {ومن يتولهم منكم فإنه منهم } **فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم**).

قال ابن كثير – رحمه الله - في تفسير سورة المائدة الآية 53-50:
[أي نهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله. ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض. ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال:﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة-51). قال ابن أبي حاتم] (...) إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وأعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت

[24] ج3 ص228.

قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر أجنب هو؟ قال: لا، بل نصراني. قال: فانتهرني، وضرب فخذي وقال: أخرجوه ثم قرأ: [يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء]. **حدثنا مُحَمَّد بن الحسن** (...) **قال عبد الله بن عتبة:[ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ، قال: فظنناه يريد هذه الآية]**.

قال ابن كثير: [وقوله تعالى: ﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾. أي شك وريب ونفاق. ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم، ومودتهم في الباطن والظاهر [يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة] أي: يتأولون مودتهم وموالاتهم، لأنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون له أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عند ذلك قال تعالى: ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ قال السدي: يعني فتح مكة. قال غيره يعنى القضاء والفصل ﴿ أو أمر من عنده ﴾ قال: السدي: يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿ فيصبحوا ﴾ أي الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين.﴿ على ما أسروا في أنفسهم ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محذورا. بل كان عين المفسدة. فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا

يدر كيف حالهم. فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين].

(سبحان الله كأنما تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حكام بلاد المسلمين الذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنهم يظنون أنها ستنتصر على المسلمين فيكون لهم عندهم مكانة. واعتذارهم عن ذلك بخوف الدائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم على أيدي المؤمنين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تعالى :﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ (آل عمران28) . قال ابن كثير – رحمه الله تعالى-: [نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك فقال تعالى: ﴿ ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله هذا فقد برئ الله منه (...) ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعدائه وعادى أوليائه].

وفي قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ﴾ (الآية). قال ابن كثير: [يقول تبارك وتعالى

ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلوهم على سرائرهم. وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون. بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة. ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم].

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هي من أولويات الإسلام وأساسيات العقيدة، التي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصريح لكل مسلم:

﴿ من يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ ، ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ **وهذا واضح. فمن يتولى الكفار فهو كافر مرتد مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مظاهرو الكفار على المسلمين في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها وهي :

- الشرك بالله ، الذبح لغير الله وللقبر.
- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.
- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم .. كفر.

- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.
- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ — ولو عمل به — فهو كافر.
- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عاقبه كفر ، والدليل: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنت تستهزئون ﴾ (التوبة:65).
- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾ (البقرة:102).
- **مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:** ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة:51). **وهي محل الشاهد.**
- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.
- من أعرض عن دين الله — لا يتعلمه ولا يعمل به - ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ (الأحقاف :3).

قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب: (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا

منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم – فإنه كافر مثلهم ، وإن كان يكره دينهم ويبغضهم و يحب الإسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك. فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل. وأعانهم عليه بالنصرة، ووالاهم ، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، فإن هذا لا شك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا فإنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا) ... وساق الشيخ عشرين دليلا على قوله منها: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة:120) ﴿ولا يزالون يقاتلونكم ﴾ (البقرة:217). ﴿لا يتخذ المؤمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ (آل عمران:28) ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾

(النساء:140)

﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80-81). الحديث **(من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله).**

قال الشيخ سليمان عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإسلام ، كالناس الذين أقاموا في مكة وادعوا الإسلام بعد الهجرة ، وخرجوا في بدر فظن بعض الصحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ (النساء:67). (من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المؤمنين وخذلانهم عند اجتماع العدو ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه.

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظلم والافتراء على الله الكذب.. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا. ومن بيع الدين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الولاء الكامل الحاصل من حكام المسلمين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليهود والنصارى، من أمريكان و أوروبيين وسواهم من الكفار على أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة. أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النفاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار. بل بلغت أعلاها، من القتال معهم والدفاع عنهم. وبنصرتهم على المسلمين مهما كلف ذلك من خراب ديار المسلمين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم. مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المؤمنين.

والحقيقة التي لاغباش فيها، هي أن الردة المتأتية عن هذا الولاء للكفار، التي تلبس بها أكثر حكام المسلمين اليوم، وجروا إليها أنظمتهم وحكوماتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حكوماتهم. هي من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

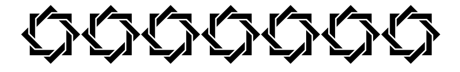
وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإسلام واستبدالها بشرائع الكفر والطاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدين، الذين والوهم. تكون شاهدين يدمغان هؤلاء الحكام بالردة والكفر والخروج من ملة الإسلام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هؤلاء الخونة رغم قوله تعالى: ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾.

فقد قال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم كفيلا ﴾ (النساء 105-109).

فسبحان الله! ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ؟ **وما أظنها إلا الاثنتين معاً..**

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن . بسبب ما ران على تلك القلوب من السحت وأكل أموال السلاطين. مصداقاً لقوله ﷺ: (من أتى أبواب السلاطين افتتن. وما زاد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعداً) **أبعدهم الله ..**



ثالثا : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا واجب على المسلمين بالإجماع: ماذا يترتب شرعا على كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإسلام..؟ :

كما ذكرنا آنفا، فان كافة مصائب المسلمين وما نزل بهم من كوارث داخلية مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار. فالأصل فى الشريعة أن (الإمام جُنَّة) يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأمة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا. وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعلماء هم ضابط الحكام. وبقدر فسادهم يفسد الحكام. فكما جاء في الأثر : (**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء**). والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليوم، هي مسألة فى غاية العظمة والخطورة.لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المسلمين اليوم. فهي مسألة ديننا ودنيانا. وبالاختصار. فإن الحكم الشرعي بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشريعة التي يحكم بها، بمعنى:

- **إذا كان الحكم لله، والشريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **وإذا كان الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كان الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله. فهما مترادفتان:

حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله .

وعكسها بعكسها : حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكمية والولاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المؤمنين ويعادي الكافرين:

وجوب السمع والطاعة له في كل ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

(النساء: من الآية 59).

وجوب احترام المسلمين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت فى حدود الشريعة.

وجوب النفير معه إن استنفر المسلمين للجهاد فى سبيل الله، ضد الكفار أو المرتدين، أو البغاة أو المفسدين في الأرض.

وجوب نصيحته، والتعاون معه على البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وجوب الصبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق فى نفسه، والجور في حكمه. مالم يتلبس بكفر فيه من الله برهان. والأحاديث الدالة على هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- قال: [**دعانا رسول ﷺ فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا**

ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال ﷺ (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)] وهذه رواية مسلم.

وجوب جهاد الحاكم الكافر أو المرتد:

نقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع على الخروج على الحاكم إن كفر. فقال : [**قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر. وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. وقال وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة، خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك. فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب فى المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحقق العجز لم يجب القيام ويهاجر المسلم عن أرضه ويفر بدينه**].[25]

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري : **(إنه – أي الإمام– ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)**[26].

---

[25] (صحيح مسلم بشرح النووي ج12–ص229)

[26] ج13ص154

قال أبو يعلى: (**إن حدث منه ما يقدح في دينه نظرت فإن كفر بعد إيمانه فقد خرج عن الإمامة وهذا لا إشكال فيه لأنه خرج عن الملة ووجب قتله**).

قال الأستاذ عبد القادر عودة – رحمه الله– في كتابه (الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) : **(وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة)**.

وقد استنبط العلماء والمفسرون من قوله تعالى لسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:124) .

أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء. وكذلك استنبطوا من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: من الآية141). أي لا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سلطة وقهرا وتحكما. ومن أعظم السلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العلماء بيع الرقيق

المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات التي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج. وستكون المسلمة في أمر كافر. في حين أباح العكس. فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع على بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة (تأليف عبد الله الدميجي) في الفصل الثالث تحت عنوان (عزل الإمام والخروج على الأئمة) ص 465 ما ننقل منه باختصار ما يلي:

[من المتفق عليه بين العلماء أن الإمام ما دام قائما بواجباته الملقاة على عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإسلام وتوعد الغادر بعذاب أليم. لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير على حياة المسلمين الدينية والدنيوية منها ما يؤدي إلى ضرورة عزل الإمام المرتكب لها. وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه. والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العلماء فيها:

الأول : الكفر والردة بعد الإسلام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الردة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمام جرماً عظيماً يؤدي إلى الكفر

والإرتداد عن الدين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية على مسلم بحال.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء 141). وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفى الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت ﷺ قال: (بايعنا – أي رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) متفق عليه. قال الخطابي: (معنى – بواحاً – يريد ظاهراً (باديا) (وعندكم من الله برهان) قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري (أي نقص آية وخبر صحيح لا يحتمل...) التأويل) وقال النووي في شرحه لمسلم : (المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام). ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الردة عن الإسلام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر. قال الشيخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص22 في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي): (ودل – أي هذا الحديث- أيضاً على أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، و إلا لم يحتج الرائي إلى برهان).

فظاهر الحدث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب على الأمة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ (من بدل دينه فقتلوه).- ثم نقل الدميجي كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الذي أسلفناه- ثم قال: قال السفاقسي: (أجمعوا على أن الخليفة إذا دعي إلى كفر أو بدعة يثار عليه)[27].

الثاني: ترك الصلاة والدعوة إليها. (...).

الثالث: ترك الحكم بما أنزل الله:

والذي يدل على أن هذا السبب موجب لعزل الإمام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة فى الأحاديث النبوية الصحيحة الآتية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله**)

رواه البخاري.

عن أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها قالت: (حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع... إلى أن قالت ثم سمعته يقول: (**إن أمر عليكم عبد**

[27] إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري. ج 10 ص 217

مجدع – حسبتها قالت أسود – يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا)
وفي رواية الترمذي والنسائي سمعته يقول: **(يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله).**

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأول. والله أعلم].اهـ.

وقد وقفت على كلام في غاية الأهمية كشاهد معاصر في موضوعنا هذا:

فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإسلام في باكستان (الشيخ مُحَّد تقي العثماني) : عند شرح هذا الحديث الشريف :

[عن جنادة بن أبي أمية ، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال : دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن

بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.

قال الشيخ تقي عثماني: [قوله: "وأن لا ننازع الأمر أهله" أي لا **ننازع الأمير في إمارته** ، وزاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: (**وإن رأيت أن لك في الأمر حقا فلا تعمل بذلك الظن ، بل اسمع وأطع، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة**) وزاد في رواية حبان أبي النضر عند ابن حبان وأحمد: (**وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك**) كما في فتح الباري (8/13).

قوله: (**إلا أن تروا كفرا بواحا**) بفتح الباء الواو ، يعني ظاهرا باديا، من قولهم: باح بالشيء يبوح به بوحا و بواحا: إذا أذعه وأظهره، ووقع في بعض الروايات: " براحا" بالراء بدل الواو ، وهو قريب من هذا المعنى ، وأصل البراح: الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء ، وقيل: البراح: البيان ، يقال برح الخفاء إذا ظهر. ووقع عند الطبراني في الحديث: "كفرا صراحا " بصاد مضمومة ثم راء. هذا ملخص ما في فتح الباري (8/13).

مسألة الخروج على أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العلماء على أنه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح. قال الحافظ في الفتح (7/13) (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار . وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، **ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها**).

وربما يفهم منه بعض الناس أن الإمام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسميا باسم الإسلام. وليس الأمر على هذا الإطلاق ، ولاسيما على مذهب الإمام أبي حنيفة – رحمه الله تعالى–.

يقول الإمام أبو بكر الجصاص – رحمه الله– في أحكام القرآن (70/1) تحت قوله تعالى : ﴿ ولا ينال عهدي الظالمين ﴾ وكان مذهبه (**يعني أبا حنيفة**) مشهورا في قتال الظلمة ، وأئمة الجور ، ولذلك قال الأوزاعي: " احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جاءنا بالسيف " يعني قتال الظلمة ، فلم نحتمله ... وقضيته في أمر زيد بن على

مشهورة ، وفي حمله المال إليه ، وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه ، وكذلك أمره مع مُحَّد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن).

أما الذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي ، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج على بني أمية أيده الإمام أبو حنيفة بماله ، وقد أخرج الموفق بسنده: (كان زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه ، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن الناس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق ، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه ، لأنه إمام حق ، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه، لكني أعينه بمالي فيتقوى به على من خالفه ، وقال لرسوله : (ابسط عذري عنده ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم). ثم قال الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيام حتى تخلف عنه ، وفي رواية أخرى : سئل عن الجهاد معه ، فقال: **خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر** ، فقيل له: فلم تخلفت عنه ؟ قال: لأجل ودائع كانت عندي للناس عرضتها على ابن أبي ليلى ، فما قبلها ، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع ، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي(260/1 و261).

وأما قصته مع مُحَّد النفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبد الله ، فإنهما خرجا على المنصور ، وذكر المكي في المناقب (84/2) أن أبا حنيفة كان يحض الناس على إبراهيم و يأمرهم بإتباعه ، وذكر قبل ذلك **أنه**

كان يفضل الغزوة معه على خمسين حجة ، وذكر الكردي في مناقبه (22/2) أن الإمام أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبد الله ، ويقال: إن المنصور سم أبا حنيفة من أجل هذا ، حتى توفي رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي - رضي الله عنه - مع يزيد بن معاوية معروفة ، وخرجت جماعة من المتقين على الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا الباب – والله أعلم – أن فسق الإمام على قسمين:

- **الأول ما كان مقتصرا على نفسه ، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قال: إن الإمام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه.**
- **والثاني: ما كان متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر ، وإقامة شعائره ، وتحكيم قوانينه ، واستخفاف أحكام الدين ، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غير الله عليه. فهذا ما يلحق بالكفر البواح. ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.**

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مشايخنا حكيم الأمة **أشرف علي التهانوي** - رحمه الله- رسالته: "جزل الكلام

في عزل الإمام " وإنما مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص119 إلى 131).

وإن خلاصة ما ذكره - رحمه الله - في تلك الرسالة أن الأمور المخلة بالإمامة على سبعة أقسام:

- القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلا سبب ، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (282/2).
- والقسم الثاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون ، أو العمى ، أو الصمم أو البكم ، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه ، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة ، فينعزل الإمام في هذه الصور جميعا.
- والقسم الثالث: **أن يطرأ عليه الكفر ، سواءً كان كفر تكذيب وجحود ، أو كفر عناد ومخالفة ، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين. وفي هذه الصورة ينعزل الإمام ، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر على بقائه إماما ، وجب على المسلمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه،** بدليل قوله عليه السلام (في حديث الباب) : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ". وكما يشترط قطعية الكفر ، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالروايات الظنية ، بدليل قوله عليه السلام:

" إلا أن تروا " المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد. ثم قد تختلف الآراء في كون الصادر من السلطان كفرا ، أو في دلالته على الكفر ، أو في ثبوته بالقرائن الحالية والمقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه. فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا ، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه. على أن وجوب الخروج في هذه الصورة مشروط بشرط القدرة ، وبأن لاتحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمام. يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (353/8) : (**وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، ... وإن أدى خلعه إلى فتنة احتمل أدنى المضرتين**). فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرتين ، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله. فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر. وعلى مثل هذه الأمور الاجتهادية يحمل اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الخروج على بعض الأئمة في زمنهم.

- القسم رابع: أن يرتكب السلطان فسقا مقتصرا على نفسه ، كالزنا ، وشرب الخمر وما إلى ذلك. وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه ، ولكنه يستحق العزل ، فعلى الأمة أن تعزله إلا أن

تترتب على العزل فتنة. قال في الدر المختار ، باب الإمامة (يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة) وقال ابن عابدين تحته: (قوله: ويعزل به ، أي بالفسق لو طرأ على ، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفا ، ولذا لم يقل ينعزل). وقال ابن الهمام في المسايرة: (وإذا قلد عدلا ثم جار وفسق لا ينعزل، وإن لم يستلزم، ولكن يستحق العزل، وإن لم يستلزم فتنة) وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصورة بما فيه سفك الدماء وإثارة الفتنة (...)

- والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم الناس في أموالهم ، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز** ، مثل أن يحمل الناس الجبايات متأولا فيها بمصالح العامة. وحكمه أنه لا ينعزل به ، وتجب إطاعته ، ولا يجوز به الخروج عليه. كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.
- والقسم السادس: **أن يظلم الناس أموالهم ، وليس له في ذلك تأويل ، ولا شبهة جواز. وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم ، ولو بقتال ويجوز الصبر أيضا بل يؤجر عليه ، وأن هذا القتال ليس للخروج عليه ، بل للدفاع عن المال ، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال.** قال ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (ويجب على كل من أطاق الدفع أن

يقاتل مع الإمام إلا إن أبدوا ما يجوز لهم القتال ، كأن ظلمهم، أو ظلم غيرهم ظلما لا شبهة فيه، ... بخلاف ما إذا كان الحال مشتبها أنه ظلم ، مثل تحميل بعض الجبايات التي للإمام أخذها وإلحاق الضرر بها لدفع ضرر أعم منه). **وهذا حكم المظلوم الذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه . أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضد الإمام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم ، فذكر في فتح القدير أنه يجب على غير الظلوم أن يعين هذا المظلم و المقاتل حتى ينصفه الإمام ويرجع عن جوره ، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للناس معاونة السلطان ولا معاونتهم . ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه ، و إلا فلا** . راجع رد المحتار ، باب البغاة (341/3). وأما كون الصبر أولى في هذه الحالة ، فلما سيأتي عند المصنف من حديث حذيفة ابن اليمان – رضي الله عنهما– أخبر فيه عن أئمة الجور ، وفيه: (قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع ، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع) فالمراد من قوله عليه السلام: (فاسمع وأطع) نهيه عن الخروج. **وأما القتال لدفع الظلم فجوازه مبني على الأحاديث التي تبيح عن القتال عن النفس وعن**

المال ، وبما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة ، فتركه أولى استبراءا للدين.

- والقسم السابع: أن يرتكب فسقا متعديا إلى دين الناس ، فيكرههم على المعاصي ، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله ، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما ، وذلك بأن يصر على تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسلامية ، إما تفضيلا لها على شرع الله ، وذلك كفر صريح ، أو توانيا ، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر على خلاف الشريعة يحدث استخفاف لها في القلوب ، فإن مثل هذا التواني والتكاسل ، وإن لم يكن كفرا صريحا يحيث يكفر به مرتكبه ، ولكنه في حكم الكفر . بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حل قتالهم ، لأنه من أعلام الدين، وفي تركه استخفاف ظاهر به ، راجع باب الأذان من رد المحتار(384/1). وحينئذ يلحق هذا القسم السابع بالقسم الثالث، وهو الكفر البواح ، فيجوز الخروج على التفصيل الذي سبق في حكمه.

ثم إن وجوب الخروج في القسم الثالث والسابع مشروط بالقدرة والمنعة ، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح فيه شروط تواجد فيه شروط الإمامة ، وأما إذا صار الأمر من

جائر إلى جائر ، أو استلزم ، مثل استيلاء الكفار على المسلمين ، فلا يجوز الخروج في هاتين الصورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي - رضي الله عنهما- على يزيد بن معاوية ، وتأييد الإمام أبي حنيفة زيد بن علي، ومُحَمَّد النفس الزكية وإبراهيم بن عبد الله في خروجهم على أئمة زمنهم محمول على القسم الثالث أو السادس أو السابع. وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج ، والله سبحانه وتعالى أعلم.] اهـ.[28]

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الردة وهما:

- التشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.
- وولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وقتال المسلمين معهم وفى سبيل مصالحهم.

---

[28] (تكملة فتح الملهم ج3/ ص 326-331).

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المسلمين. مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدلة.

۞۞۞۞۞۞۞

من لوازم ومترتبات كفر الحاكم. أصلا أو ردة:

1-سقوط ولايته وبطلان إمامته.

2-وجوب الخروج عليه بالسلاح وخلعه.

3-وجوب قتله لردته. قال ﷺ:(من بدل دينه فاقتلوه). رواه أحمد.

4-وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسلاح.

5-وجوب عدم السمع والطاعة وجباية الأموال له.

6-وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله بأى منصب أو أي شكل.

7-بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه... لأنه لا يمثل المسلمين.

8-وجوب العمل فوراً، على نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدماء والأموال والإعراض وما يترتب على ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظالمين وسيادة المفسدين والفاسقين. وتسلط الأعداء الخارجين من الكفار والملحدين وتعاون المنافقين معهم. وما يترتب على ذلك من ضياع البلاد والعباد. ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تعالى يقول: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ (النحل-89).

فهي مسألة رئيسية وإن أهملها أكثر الناس اليوم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم. وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدلة الشرعية إلى كفر الحاكم اليوم. وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم. فإن هؤلاء لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة على كفر الحاكم. فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التشريعية والقضائية والتنفيذية. بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المسلمين وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس!.

وهذا من البلاء الذي عم و طم في أكثر بلاد المسلمين. ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المسلمين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز.

فهم لا يخرجون على هؤلاء الحكام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القتال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفي التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأمة: (الوهن) الذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه : (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**). لقد أحب الناس الدنيا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله. وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم.. وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا على أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (طه: من الآية124) .

۞۞۞۞۞۞۞

رابعا: أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المسلمين مع الكفار وأعانهم على المسلمين، وتوجب قتاله:

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من الناس مقومات تربط بينهم من أهمها. فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم. وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره. ويصدرون عن مشورته. وراية يقاتلون تحتها. وهدف مشترك يسعون لتحقيقه.. فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من الناس أطلق عليهم اسم جماعة. أو اصطلح عليهم شرعا باسم (طائفة). فإن كان لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة). فإن اجتمعت هذه الطائفة على الإسلام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام). وإن التقوا على ناقض من نواقض الإسلام، سموا (طائفة ردة) كما كان حال المرتدين أيام أبي بكر - رضي الله عنه -. وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر). وإن خرجوا على إمام شرعي مع تمسكهم بالإسلام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية). وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا..

ومن البديهي أن هذه الطائفة تسمى بصفة الغالب عليها. مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم. كأن يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها على الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية

قرابة أو غير ذلك... فلا شك أنه يوجد منافقون في طائفة الإسلام ليسوا منهم. وقد حصل هذا في غالب تاريخ المسلمين ولم يسلم منه حتى جيش رسول الله ﷺ. وكذلك قد يوجد في صف المسلمين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدنيا.. وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره على الوجود معهم. أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم. وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطائفة فيها على طوائف البغاة والمفسدين والمرتدين والكافرين.. ووجود هؤلاء الشواذ عن الطائفة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الراية أو الرابطة التي اجتمعت عليها. ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشرعي بسبب هؤلاء الشواذ. وفي حكم الشريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشرعي. فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الولاء والنصرة. وتجاه طوائف الردة والكفر البراءة والمعاداة.وتجاه أهل الشر والفساد الدفع والقتال ضدهم إن صالوا على دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإسلام.. وهكذا..

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطائفة، وحكمها الغالب على من فيها من الشواذ عنها، إنتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدين من المنتسبين للإسلام، والذين يقاتلون المسلمين مع طوائف الكفر أو الردة أو سوى ذلك.. خاصة أولئك العاملين في مجال السلطة والدفاع عنها. يقاتلون المسلمين بأوامر الحكام المرتدين، مثل

العاملين في أجهزتهم العسكرية والأمنية كالجيش والدرك والشرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوات المسلحة وشبه المسلحة وما يخدمها من أجهزة تابعة..

فما الحكم الشرعي الواجب اعتقاده في هؤلاء المنتسبين أصلا لملة الإسلام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يؤدي بعضهم بعض شعائر الإسلام، ثم يأتي المسلمين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكام المرتدين. ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتى إلى جانب الكفار الأصليين بأوامر أولئك الحكام الذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدفاع عن مصالحهم و قبول أوامرهم؟

فنقول والله المستعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشرطة، المدافع عن الطاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإسلام وموالاة الكافرين والعدوان على شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أن يكون هذا التابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإسلام والمسلمين. وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو **(جاهل)**.

أن يكون مكرها على تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه. فهو **(مكره)**.

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو **(مرتزق أو متعصب)**.

أما من الناحية العملية: فإن هؤلاء الأصناف الأربعة :

1- العارف القاصد.

2- المكره.

3- الجاهل.

4- المرتزق بالباطل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمؤمنين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الذين يأمرون بالقسط من الناس... فهم

يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشرعي في هؤلاء نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشرعي إلى مسألتين وهما:

الأول: هل ما زال هؤلاء على حكم الإسلام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإسلام؟

والثاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

- **فأما المسألة الأولى** : وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإسلام والمسلمين وولائهم للكافرين. فهو مثلهم في الحكم الشرعي. منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده. ولنفس الأدلة السالفة الذكر في حقهم. أما النوع الثاني: وهم الذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها. فهؤلاء يرتكبون بفعلهم هذا، عملا من أعمال الكفر. وهو قتال المسلمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الردة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي. وهذا ثابت لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76). وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان. وأن الكافر يقاتل في سبيل الطاغوت وأن القتال في سبيل الطاغوت علامة انتماء لطائفة الطاغوت. وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المؤمنين. فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص: 8). فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان وجنوده نفس الصفة: ﴿ خاطئين ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هي الكفر بالله وحرب المؤمنين. فهو-أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لهؤلاء الجنود الذين يقاتلون اليوم: (الجاهل، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تعالى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا على افتراض وجود مثل هذا الجهل]. وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من

عمله، ولا هجرة من مكان إجباره. فهؤلاء قد نص علماء أهل السنة والجماعة، على أن جهلهم وإكراههم (إن كان حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا ، فيبقى لهم حكم الإسلام على ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأنهم معهم. ولا يعني هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق ، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية. وهو يعرف أنه يقاتل المسلمين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفار ويعاونهم. فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد. وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدنيا بالآخرة، وقاتل المسلمين من أجل الدنيا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين. لا عذر له من جهل أو إكراه ، وأما قصد الدنيا والمكاسب فليس من الأعذار الشرعية في فعل الكفر. فهذه الأعذار معروفة عند أهل السنة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله... ففي أمثال هؤلاء الذين اشتروا الدنيا بالآخرة يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ

وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (البقرة:86-84) ، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**).

هذا من حيث حكمهم الشرعي النظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإسلام.

- **وأما المسألة الثانية:** وهي حكم قتال هؤلاء المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تعالى أعلم:

كل من قاتل المسلمين مع الكافرين فقتاله واجب على المسلمين، ولا يجب على المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قال تعالى:﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ (البقرة – 190). وقد استدل العلماء بحديث عائشة –رضي الله عنها– الذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله ﷺ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم القيامة على نياتهم. وفي رواية أم سلمة – رضي الله عنها– كما جاء في صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : (**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم**) فقلت: فكيف بمن كان كارها؟ قال رسول الله ﷺ: (**يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته**). فاستدل العلماء بهذا الحديث على قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المسلمين بالحرب مع الكافرين، ويبعثه الله على نيته معذورا إن كان له عذر.

فقال العلماء: إذا كان الله– وهو القادر لو شاء على تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية على وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث على نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كل حال، فالهاجم على المسلمين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العلماء في حكمه الذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة :

نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر. فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز. وسريرته إلى الله ، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة. فقد روى البخاري – رحمه الله تعالى– في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب – ﷺ– أنه قال: (**إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ. وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه. وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب في سريرته. ومن أظهر لنا سوء لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال أن سريرته حسنة**).

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كان مع الكفار. وأنه من (طائفة الردة) إن كان مع المرتدين. وأنه من (طائفة البغاة) إن كان معهم وهكذا. وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المستعان :

إن هؤلاء الذين يزعمون أنهم مسلمين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الذين يعملون في جيوش حكام المسلمين أو شرطتهم أو استخباراتهم..ثم ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كان أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه ، وقد رباهم أسيادهم على ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق. فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حكام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جيوش الكافرين، كما هو حاصل اليوم من جيوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربية والإسلامية، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليهود والنصارى من الأمريكان و الأوروبيين وغيرهم من الكفار، ويحرسون قواعدهم العسكرية. ومراكزهم الدبلوماسية، والتجارية، بل ومراكز تنصير المسلمين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون... ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين..

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخلية، أو في الحروب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلامية أو عربية مع بعضها. فترى هؤلاء الجنود (المسلمين!)

يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفى أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإسلام! وعموم قتالهم هو على سلطان ملوكهم، أو على الصراع على الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان. وليس لاستعلاء حق، أو اندحار باطل. لأنهم تربوا على طاعة الملوك والرؤساء والولاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشرعية الناصعة – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم. كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر..

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى على قتلاهم، ولا يدفنون مع المسلمين، مع التنبيه المهم جداً على أننا لا نحكم بالكفر العيني على كل فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد. ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدين، موال لأسيادهم الكفار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة باطل، ولا يرث مسلما ولا يورثه... إلى آخر أحكام المرتدين.

يقول الشيخ أحمد شاكر محدث الديار المصرية، المتوفى سنة 1958م. في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن

اعتدى على بلاد المسلمين، وحكم من أعانهم من المسلمين والتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر. فهو الردة الجامحة، والكفر الصراح. لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق. سواء أكان ذلك من أفراد، أو حكومات أو زعماء. كلهم في الكفر والردة سواء. إلا من جهل أو أخطأ ثم استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس (...) ألا فليعلم كل مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإسلام، مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين إن فعل شيئا من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى الزكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له فى شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر. ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الردة

رضي لنفسه. ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم. ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة. وفى قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين. وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: 5) وهو في الآخرة من الخاسرين (...) ألا فليعلم كل مسلم كل مسلمة، أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم. من تزوج منهم فزواجه باطل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك. وأن من كان منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوج بها حال الردة، ولم تكن المرأة التي ارتد وهي فى عقد نكاحه زوجا له، ولا هي في عصمته. وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها. فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح. ألا فليحتط النساء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة أن قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات على هؤلاء الرجال، ليسوا لهن بأزواج حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية، ثم يتزوجوهن زواجا صحيحا. ألا فليعلم النساء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء. ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من

هذا. ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كل امرئ لنفسه ، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخائنين.] انتهى، الشاهد من كلام الإمام المحدث رحمه الله. نقلاً عن كتابه (كلمة الحق – أحمد شاكر).

فهذه الأحكام الشرعية، ذات الصلة بالعقيدة وأصول الدين. من قواعد الحاكمية لله، والولاء والبراء في ذات الله، ليست مسائل فرعية. وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كل بلد أن يبينوها للناس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السلاطين أو رهبة مما لديهم. ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت ويحسبون أنهم مسلمين.

ويجب الإجابة على أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصة من قبل كل عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مستعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن نداقع عن أنفسنا ضد مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النصارى وقوانين الكفار التي تحكمنا؟

فإذا كان جواب أحدهم على هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المسلمين من مسائل هذا الكتاب. بل لا يكون مدرجا على قائمة المسلمين.

وأما إذا كان الجواب كما هو مفترض من كل مسلم بنعم، فإن المسائل السابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتي على رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شك شرعا وعقلا ومنطقا فى ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليوم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا على الأرض بجنودهم إلا قليلا ! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هؤلاء الضلال و الجهال والمكرهين والمرتزقة والمنافقين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدين، كما حصل معنا في أفغانستان ، ويحصل اليوم معنا أيضا في باكستان. وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجيوش العربية والإسلامية تفتح الطريق للأمريكان. وكما تفعل أمريكا اليوم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جيوش دول الخليج العربي، والأردن وباكستان وسواها .

وأما على صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشباب المسلم، فيعرف كل عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مجاهد، أن الذي يضرب عليه الباب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السجن؟ وهل القاضي الذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السجن؟ وهل الذين ينفذون هذه الأحكام؟؟

هل كل من سبق من هؤلاء هم من اليهود والأمريكان؟؟ أم من الذين يزعمون أنهم مسلمين؟! إنهم من المرتدين والضلال من بني قومنا. فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليهود والأمريكان والصليبيون جذورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعا عن دين الله والمستضعفين. وأمر الله واضح: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾ (البقرة – 190).

﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء:76/ 75).

ونلفت النظر إلى أننا هنا بصدد معرفة الحكم الشرعي لقتال هؤلاء ، ولسنا بصدد قضايا الرأي والحرب والمكيدة، من قتالهم هجوما أم دفاعا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفار فذلك

متروك لقادة الجهاد وأمراء الحرب من المسلمين، بحسب مقتضيات الضرورة والمصلحة.



هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل ؟:

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يقدم المسلم على فعل الكفر، جاهلا بأنه فعل محرما يترتب عليه الكفر. أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم على قتال المسلمين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسا غير مسلمين، أو مسلمين مستحقين للقتال (بغاة ، مفسدين). بحيث يكون جهله هذا حقيقيا. وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفار ، أو يظن أنهم كفار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضد من يجوز قتالهم شرعا.

فإن توفر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي ، فقاتل المسلمين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المسلمين المظلومين الذين يقاتلهم ... فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا. لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفر مثل هذا الجهل اليوم، لهؤلاء الجنود والضباط والشرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمجاهدين، بأوامر هؤلاء المرتدين إلى جانب وبقيادة جيوش اليهود والنصارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات ، والتلفزيونات، والدشوش ، والصحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المسلمين بالمظاهرات في الشوارع، والخطباء في المساجد ، وحديث الناس في كل

مكان عن هذه القضايا! حتى يمكن القول اليوم بأن طبيعة المعركة بين المسلمين والكافرين، وفساد الحكام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم ، وحكمهم بغير شريعة الإسلام وولائهم للكفار، ومحاربتهم للمساجد والعلماء والشباب المسلمين المجاهدين...الخ. قد صارت معلومة لكل أحد، في كل بلاد المسلمين ومنها باكستان. فإن كان فى هؤلاء الجنود من بلغت به البلاهة أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تعالى أعلم. نقاتله وجوبا أو جوازا ، وقد ينفعه عذره عند الله ، ويبعث على نيته.

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيء من التفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز – لأنه الأهم، ولأنه العذر الشائع. فمعظم هؤلاء الجنود والضباط العاملين في الجيش والشرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع. ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الردة والكفر، بأنهم مكرهون ومجبرون على قتال المسلمين بأوامر أسيادهم المرتدين أو الظالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين. كما حصل في بعض الدول العربية والإسلامية، حيث ساقت أمريكا عبيدها الحكام لقتال المسلمين، فساقوا عبيدهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هؤلاء بالإكراه ؟! فلنر ذلك:

الإكراه شرعا:

هو الإجبار، والمكره هو المجبور على فعل أو قول شيء لايريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه. يقول الإمام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، فى باب الإكراه، ج12 ص 385 : [الإكراه: هو إلزام الغير بما لا يريده. وشروط الإكراه أربعة:

- **الأول: أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به. والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.**
- **الثانى: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.**
- **الثالث: أن يكون ما هدده به فوريا، فلو قال له: إن لم تفعل كذا ضربتك غدا، لا يعد مكرها. ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.**
- **الرابع: ألا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره. كمن أكره على الزنا فأولج وأمكنه أن ينزع ، ويقول: أنزلت ، فيتمادى حتى ينزل.] اهـ.**

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المكره هو: من أجبر على فعل مالا يريد، بحيث:

أولاً : أنه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنما بالإجبار الحقيقي.

ثانياً : أنه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجز عن دفع الإكراه.

ثالثاً : أنه لا يستطيع التخلص ممن أكرهه بفرار أو بهجرة أو نحوها.

رابعاً: أنه يتيقن وقوع التهديد قريبا وبالتأكيد..

خامساً: أن لا يتمادى بالفعل إن زال عنه الإكراه، لمصلحة أو شهوة.

فهل تنطبق هذه الشروط على هذا الذي يزعم أنه مسلم، ثم يقصد قتال المسلمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يسأل هذا الجندي أو الشرطي أو رجل الأمن، بضع أسئلة. ليعلم هل هو مكره أم غير مكره، أسئلة تحدد إجاباتها، تبرأته إن كان معذورا في فعلته المكفرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجندي الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أخرى فهناك دول تجند الشباب إجباريا في هذه القوات، وهناك دول يكون دخول هذه

القوات اختيارا، بل يحتاج إلى الواسطة والرشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرشوة والنهب والغصب لأموال الناس.

هل يستطيع هذا الجندي الاستقالة والانسحاب من عمله هذا، بعد أن رأى ما يكره عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهجرة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدد فعلا، إن لم ينفذ الأوامر، ومتيقن بوقوع العقاب به أم لا ؟

هل يتمادى بالقتل والنهب وهتك الأعراض! تحقيقا لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشرطة باختياره- وليس عبر التجنيد الإجباري- هل كان يعلم أن عمله يقتضي إكراهه على فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كان يعلم أنه سيكره على تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشرطة والأمن. ثم أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنه أقدم مختارا على ما يعلم أنه سيكره فيه على الكفر أو الظلم أو ما

حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العلماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم على الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثم دخل فأكرهوه.. لم يكن الإكراه عذرا له . فهل يعلم من يتطوع في هذه القوات مختارا، أنه سيقدم على هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كان يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا على عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

1. من يكره على قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المسلمين:

وإنما يقدم على ما ينتقض الدين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب على النيل من رسول الله ﷺ مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه وغطوه في البئر حتى كاد يهلك من التعذيب. فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه. وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: (إن عادوا فعد). وبين أن العزيمة والصبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان. في حين لم يقبل العلماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن

وقوعه. وهكذا لم يقبل الإمام أحمد بن حنبل عذر العلماء الذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تعالى: ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ وبحديث عمار - ﷺ - ، قال الإمام أحمد : (إن عمارا ضربوه وأنتم قيل لكم سنضربكم)ولما احتج يحيي بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كان قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر.. رفض الإمام أحمد حجته وقال: (يقول لي أكره ولم يضرب سوطا واحدا). ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عليه السلام لما سلم عليه ابن معين، والإمام أحمد على فراش الموت!! رحمه الله وأكثر في أمتنا من أمثاله! وقد روي:عنه قوله (لا إكراه إلا بالسيف) وعن غيره من العلماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسعودية والأردن .. مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون : نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا . فهذا زعم مردود. فان الله تعالى قال في سورة آل عمران الآية (28): ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.

قال ابن كثير في تفسيرها : [أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

كما قال البخاري عن أبي الدرداء إنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) وقال الثوري: (قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان] ا هـ.

2. هو المكره على فعل يؤذي به غيره من المسلمين:

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العلماء على أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المسلمين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثم يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك ، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العلماء: ليس حفظ نفسه مقدم على إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النية يكون شهيدا إن شاء الله.

فهل يفعل هؤلاء الجند (المكرهون بزعمهم) هذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المسلمين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشرطة فقط؟.

فيقدم على قتل المسلمين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء:93) . هذا إن قتله في شجار على الدنيا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مجاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!.

فهؤلاء الجنود الذين يظنون أنفسهم مكرهين، يقتلون المسلمين، حتى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أويناله بعض العذاب. فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قال الله تعالى عنهم: ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا عن الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾. فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا على حظه من الدنيا. وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ * مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي

الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل:110/105) .

فهل هؤلاء الجنود في الجيش والشرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الذين يعذبون الناس حتى الموت.. مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هؤلاء المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإسلام ، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإسلام؟ ثم أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون الناس ، ويقبضون المكوس على الطرقات ، وفي الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثم انظر في تسابقهم على الوظيفة في هذه المؤسسات الظالمة النجسة من الشرطة والإستخبارات والقيام على السجون والمعتقلات!!.

نعم.. قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزج به أسياده في قتال المسلمين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المؤمنين. ثم يقول: أنا مجبور مكره!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الردة، بتبديل الشرائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة و البغي والظلم، أو لا.؟؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله فى شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هي العليا بل هي نوايا عصبية جاهلية!

فإن كان قد دخل بنية الجهاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العلماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون. وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإسلام!. وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثم وجد نفسه أمام الحال الجديد .. فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدفاع عن المسلمين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه فى قتل المسلمين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو على الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القتال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة. وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر وأُجبر على قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا على أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثم يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شرعي، فليس من الإكراه أن يقدم على قتل المسلمين وهتك حرماتهم ثم يقول : إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت على عقوبات مالية!

إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها على قتال المسلمين من

قبل أسياده المرتدين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين... أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه على فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيدا صابرا مجاهدا وليس أن يتلطخ بدم المسلمين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها.. فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهجرة عن بلده. وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابرا فارا من الفتنة بدينه. والهجرة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض على من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النبوية الشريفة، ونصوص السنة عن قوم مسلمين بقوا في مكة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة. فلما كانت غزوة بدر بين المسلمين ومشركي مكة ، أكرهوا على الخروج مع كفار مكة إجبار أو حياء من قومهم. فقتل بعضهم فى المعركة فتأسف المسلمون على قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا

يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ النساء (97-100) .

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهجرة من ديار الكفر والفرار من فتنها. خاصة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن فى دينه.
- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين. لم يتقبل عذره لأنه كان عليه أن يهاجر بدل البقاء حتى يكره للخروج لقتال المسلمين مع الكافرين. وأن من قتل منهم كان مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
- أن الله عذر المستضعفين الذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهجرة، ولا سبيل لديهم إليها. فهؤلاء معذورون بعدم الهجرة، (وليس العذر للقتال مع الكفار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهجرة.
- ثم بشر القرآن المهاجر فى سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق فى الدنيا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هؤلاء المنتسبين لهذه الجيوش الظالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المسلمين؟ لا. وحتى لو كان ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهجرة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هي أن أكثرهم يقدم على فعل الكفر هذا بقتال المسلمين مع الكافرين حرصا على ما توفره له الوظيفة فى الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيارات الفخمة، والمرتبات العالية المنهوبة من ثروات المسلمين، والمكوس الموضوعة على ضعفائهم.. ثم يعتذرون بأنهم فى الجيش والشرطة للدفاع عن الوطن، وأنهم مكرهون على قتال المسلمين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراه لا شرعا ولا عقلا... أيقبل عذر واحدهم بالإكراه على قتل مسلم؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجر المجاهد فى سبيل الله بقتل هؤلاء دفاعا عن نفسه؟ وهم الذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنما هو حال وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

وأما حال المكره المعذور شرعاً من الذين يقاتلون المسلمين فهو كما يلي:

- أنه أكره على التجنيد إجباريا في جيش يقاتل المسلمين وليس باختياره.
- أنه عجز فعلا عن الفرار أو الهجرة.
- يجب عليه أن يورى فى القتال ولا يمد سلاحه لأذى المسلمين بل يعطل سلاحه ولو قتل بيد الكفار أو المسلمين، وهو بهذه النية شهيد. إن شاء الله. فإن كان في جيوش الطواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المسلمين، أو فيمن فعل فعلتهم، جندي تنطبق عليه مواصفات هذا المكره فهو معذور. وإلا فلا عذر له.

۞۞۞۞۞۞۞

خامسا : أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كان مسلما.

قد يصر مكابر، رغم الأدلة الواضحة، بأن هؤلاء الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدين ، هم مسلمون، يصلون ويصومون، ويشهدون ألا إله إلا الله، مُحَمَّدا رسول الله، ولا يكفرون بقتالهم للمسلمين. فلمثل هذا حتى نكون عمليين وحسما لجدل فارغ لا يقوم بالأدلة وإنما بالعواطف والأهواء نقول: هب ذلك، فإن للمسلم الذي يحمل السلاح على المسلمين، بغيا، أو فسادا فى الأرض، أحكاما بينها العلماء تحت عنوان **(دفع الصائل المسلم)**. فقد بين العلماء أن كل دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ على الضرورات الخمسة (الدين – النفس – العرض- العقل- المال) ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة مشروعة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل.

والصيال شرعاً: كما عرفه العلماء هو الوثوب على الشيء المعصوم بغير حق، والمعصوم هو النفس أو العرض أو المال.

والصائل كما عرفه العلماء: هو كل معتد على ما كان معصوما شرعا سواء كان مسلما عصم بحق الإسلام أو عصمته ذمة المسلمين. فالقتال لدفع هذا المعتدي مشروع شرعا بالدفع عن الحرمات بل يصير

واجبا في كثير من الحالات. قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾.

أما الصائل على الدين:

فواجب بقوله ﷺ: **(من قتل دون دينه فهو شهيد)** قال ابن تيمية – رحمه الله –: **(وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشيء أوجب بعد الإيمان من دفعه)**[29].

و أما الصائل على العرض:

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كان مسلما. قال النووي – رحمه الله–: (وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف). وقال الشيخ عبد الله عزام – رحمه الله–: (قد يسأل سائل: أو يجوز لنا أن نقتل شرطيا يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه (...) إتفق الفقهاء جميعاً على أن دفع الصائل عن العرض واجب بالإجماع. فإذا أنت تركت الشرطة يقتحمون بيتك فى وهن من الليل، وزوجتك عارية

---

[29] الفتاوى الكبرى ج5ص530.

فى ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند رب العالمين فهنا الظلم. والصلاة والصيام من مثل هذا الشرطي لا تمنع عنه قضية القتل)[30].

وأما الصائل على النفس:

فيجب دفعه عند جمهور العلماء. وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كان مسلما وفى الحديث الصحيح : (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)[31]. وروى عنه ﷺ : (من قتل دون مظلمته فهو شهيد)[32].

قال الإمام الجصاص بعد هذا الحديث فى أحكام القرآن ج1 ص 242 : (**لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله**).

قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام – رحمه الله-: (وفى هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو فى النار ولو كان مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد).

[30] الجهاد فقه وإجتهادج3 ص139.

[31] الجهاد فقه وإجتهادج3 ص139.

[32] رواه النسائي

وأما الصائل على المال:

فقد ذهب جمهور علماء المسلمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبا.

عن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال ﷺ: (**لا تعطه**) قال: أرأيت إن قاتلني، قال صلى الله عليه وسلم: (**فقاتله**) قال: أرأيت إن قتلني. قال صلى الله عليه وسلم: (**فأنت شهيد**) قال: أرأيت إن قتلته، قال ﷺ: (**هو في النار**) رواه مسلم.

ويقول الإمام ابن تيميه في مجموع الفتاوى ج28 ص45:[(والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار. ففي الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد))].

قال الشافعي – رحمه الله –: (إذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح فأمره بالخروج فلم يخرج، فله أن يضربه وإن أتى على نفسه ، أي إذا قتل المدفوع)[33].

قال ابن تيمية – رحمه الله –: (السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل)[34].

---

[33] الأم ج6 ص33

[34] الفتاوى الكبرى ج 28.

هـذا مختصـر أحكـام دفـع الصـائل المسـلم علـى أحـاد المسـلمين. فكيف به لـو جـاء يريد الدين أو النفس أو العرض أو المال.. أو كل ذلك، تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدين.؟!

وسنعيد إيراد هذه الأدلة الشرعية بمزيد من التفصيل بالإضافة لسواها من الأحكام الشرعية الأساسية في مثل جهادنا لأعدائنا هذه الأيام ، في الباب الأول من الفصل الثامن في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وهو بعنوان (الفكر والمنهج والعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية) حيث نعرض لتفاصيل الأدلة الشرعية لبعض المسائل المنهجية إن شاء الله.

۞۞۞۞۞۞۞

أدلة العقل والمنطق على أن الجهاد المسلح هو الحل

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجهاد المسلح اليوم هو الحل الوحيد حقيقة!

إذا لم يكن الحل لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدو، بالمقاومة المسلحة، فبم يكون ؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا ؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشرعية ؟!
- أم تراه بالسهر على أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية - الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائيات؟!
- أم تراها بالتصفية والتربية وتزكية النفوس ؟! وها هو العدو يصفي مقومات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد على مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات ، وما تجود به الحكومات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشوارع؟!

- أم تراها بالاختراع العظيم الذي توصلت إليه الصحوة ، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض على الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثروات وعلى نهك الأعراض ، تحت قبة البرلمان ؟!
- أم بـ (الحملة العالمية لمكافحة العدوان). ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائيات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المسلمين !!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب ، وبعضهم أثخن الأم بالجراح ، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال ، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل ، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه...

والرجال من أفراد الأسرة موزعون في بعض الغرف قد شغل كلا منهم أمره ، وقد هب أخوهم الأصغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الذي تنهدم أركانه.. ولا مجيب..

فأحدهم منهمك في قيام الليل يؤدي ورده ، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري !

والثاني منكب على كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذ أيام !! والثالث منهمك في نقاش دعوي مع أحد الجيران يدعوه للصلاح !!!

والرابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر !!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لدعم ترشيح بعض العلماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة...

والشاب الصغير يصيح ، وأخته تلطم الخد وتستغيث ، وبعض الأطفال يرمون اللصوص المسلحين بالحجارة ، وقد شغل إخوانهم بالدعوة وأنواع العمل الإسلامي!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين.. فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أخرى.. !

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي .. على قناة فضائية ..

وآخر يرتمي ثملا من السكر في إحدى زوايا البيت ..!

وثالث منغمس في حديث عاطفي على الموبيل.. يرسل رسائل غرامية عبر قناة روتانا !

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم ، فبعضهم في السهرات والسمر، وآخرون يقومون الليل على الفواتير والحسابات التجارية

لمبيعات ذلك اليوم. وبعضهم يحتسي الشاي على ناصية المقهى حتى ساعة متأخرة من الليل ..!

ويهب الشاب اليافع ليدفع اللصوص المسلحين بسكينه ، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء.. فهذا مبلغ الجهد أمام اللصوص المدججين بالسلاح. فالدفع والموت والشهادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الذي تشهد جدرانه على هذا الخزي والعار والصغار.. هذا نموذج أحوال أمتنا اليوم..

فهل يظن الطيبون جزاهم الله خيرا على جهودهم في دعوة الفساق إلى الهدى ، أنهم قد سقطت عنهم الفريضة المتعينة بالدفع؟! أم يظنون أن دعوتهم تلك ستدفع عدوا غاشما، أو تقيم شرعا مغيبا، أو تغير حكومة خائنة كافرة فاجرة ؟

أم هل يظنون بأن الحملات الصليبية إن ضربت بجرانها في بلادنا، وساقت عبيدها من الحكام إلى مزيد من محاربة الدين وإضلال أهله، أنهم سيبقى أمامهم مجال للتبليغ والدعوة وعمارة المساجد ؟!.

أم هل يظن الدعاة إلى تصحيح عقائد المسلمين .. أنه ستبقى لنا عقائد مع غزو الصليبين لديارنا.. ومع استعلاء عملائهم من العلمانيين والمرتدين؟!

وأي عقائد ستبقى لنا بعد أن صارت أمريكا إلها يعبد طوعا وكرها في بلادنا من قبل كثير من المسلمين؟! أي عقائد ستبقى

لأطفالنا وشبابنا بعد أن صارت المنظمات الدولية تفرض على بلادنا مناهج التدريس في كافة المراحل ، بل وتتدخل حتى في نصوص خطب الجمعة في مساجدنا؟! أي عقائد بعد أن صاروا يضعون لنا سياسات التعامل مع نسائنا من خلال إلزام حكوماتنا بمعاهدات (حقوق المرأة) بحسب ثقافاتهم الإلحادية الإباحية؟!

أي عقائد ستبقى مع برامج (إعادة صياغة المجتمعات) الخليجية والعربية والإسلامية كما أعلنها الأمريكان ؟! .

أم هل يظن الصالحون المواظبون على تزكية أنفسهم ، أن الدشوش والفضائيات ستترك من ذريتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السلوك والصلاح في ظل هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هل يعتقد (الديمقراطيون الإسلاميون) ، أن في مزيد من التجارب جدوى بعدما حصل في الجزائر وتركيا وتونس ؟! .. وبعدما حصل من إنجازات الإسلاميين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!.

وهل يظنون أن وجودهم كأقليات إسلامية مسحوقة بين الأحزاب العلمانية المعارضة والحاكمة في البرلمان ، سيغير مجرى التاريخ الذي تكتبه حراب الصليبيين اليوم ؟!

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و(FBI) وتدفق مئات آلاف الجنود والجيوش الصليبية في البلاد ، وراحت أمريكا تعين من

تشاء من الحكام وتعزل من تشاء ، أن بإمكانهم تحقيق الأغلبية وإقامة حكم الإسلام .. ، بعدما رأوه من العاصفة التي اجتثت حكومة طالبان وحكومة العراق ، وراحت تعلن أنها ستعيد رسم الخريطة السياسية بل والجغرافية في الشرق الأوسط؟!

وصدق الله العظيم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج:46) .

سبحان الله .. حقيقة صار حالنا كما قال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شي إذا احتاج النهار إلى دليل

نحن نعتقد أن تلك الحلول – جزى الله أصحابها خيرا كلا بنيته – لن تحل مشكلنا اليوم. ونعتقد أن المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة الشاملة هي الحل ، وأن بإمكانها – بإذن الله – دحر العدو.

ونقول بملء أفواهنا نعم إن الأمر كذلك . نعم .. مدعومة بالأدلة الشرعية. ونعم كما تقتضي أدلة العقل والمنطق والواقع. فإن هناك حقائق واضحة تدعم ما نذهب إليه:

أولاً: إن شعوب الأمة العربية، ومثلها جميع الشعوب الإسلامية ، قد غسلت أيديها وانقطع رجاؤها من كافة المذاهب والتيارات والفلسفات والأفكار الوافدة والمحلية التي لا تنطلق من الإسلام كحل ممكن لمواجهة هذا الصائل. ومن يتابع ما تكتبه الصحف ، وما يكتبه الناس العاديون في زوايا القراء ، أو ما يقولونه في مداخلاتهم عبر الفضائيات، أو ما يصيحون به في مظاهراتهم.. يجد أن الجميع ، وحتى الفساق من المسلمين ومن أسرفوا على أنفسهم ، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين.. الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجهاد ، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدو الغازي إلا رايات الجهاد تحت شعار (لا إله إلا الله مُحَّد رسول الله). وحتى التنظيمات العلمانية والشخصيات الوطنية والتيارات القومية في فلسطين كما في كل مكان، بدأت تتأسلم حقيقة ، أو زعما ، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع الإسلام. إما بعودة صادقة إلى جذورها، وإما مجاراة للشارع الإسلامي الذي بدأ يشهد عودة نحو الدين كرد طبيعي على الهجمة الصليبية على أمة الإسلام واستهدافها في عقيدتها ومكوناتها.

وهكذا كان حال أمتنا أيام النوازل عبر تاريخنا كله. بل هذه طبيعة الإنسان أمام الكوارث الكبرى .. أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النصر والنجاة.

بل إن الأمل في الإسلام ، والجهاد تحت شعارات الإسلام كحل لمواجهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كل أعداء أمريكا من الشعوب المستضعفة، حتى الجماعات اليسارية وجماعات السلام في العالم الصليبي ذاته. والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا ، بأنه لم يعد هناك أمل لمواجهة أمريكا إلا بالمسلحين المسلمين .. بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحرب التي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـ (ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا) ورسموه بطريقة تشبهه ..! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! و عبروا بذلك عن أن رمز الجهاد الإسلامي المسلح اليوم هو الحل في مواجهة أمريكا!.

فالكل يعلم ويؤمن اليوم أن الحل يجب أن يخرج من جعبة الإسلاميين بالجهاد لمواجهة طغيان النظام العالمي الجديد .

ثانيا: إن جماهير الصحوة الإسلامية وكوادرها والنشطاء فيها ، يشكلون اليوم كتلة هائلة على الصعيد العددي في بلاد المسلمين قاطبة وفي كل منها على حدة. ففي كل مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو على عشرات الآلاف في المدينة الواحدة ، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد على ما يجتمع في مكة للحج ، أكثر من مليوني مسلم.

وأما السلفيون وأتباع مدرسة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم ، فالمتابع لمواقعهم على الإنترنت وصحفهم ونشاطاتهم في البلاد العربية والإسلامية يجد أنهم اليوم - تبارك الله – يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين ، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامة.

وأما الإخوان المسلمون وفروعهم والجماعات الإسلامية المنبثقة عنهم والحاملة لفكرهم تحت مختلف المسميات فما تزال الشريحة الأساسية عددا وحضورا في الصحوة في أكثر بلاد العالم العربي والإسلامي ، فهم يُعدون بالملايين أيضا، فضلا عن عشرات الملايين من أنصارهم والمصوتون لهم في الإنتخابات .

هذا ناهيك عن الجماعات الصوفية وأتباعها ومشايخها ومريديها. فضلا عن مئات الجماعات والأحزاب والكتل الإسلامية المختلفة التي تدخل بمجموعها تحت مسمى (الصحوة الإسلامية) والتي تشكل بلا مبالغة على كتلة بشرية ضخمة في العالم الإسلامي. فإذا ما أضفنا إليهم المتعاطفون معهم ومع عموميات شعار الإسلام لوجدنا أننا أمام جموع غفيرة هائلة قد نما في قلبها اليوم التطلع إلى مواجهة أمريكا واليهود وحلفائهم الصليبيين تحت شعار الجهاد والإسلام. ولكنها ما تزال كتلة غثائية لا قيمة لها لأنها تفتقر إلى ثلاثة أشياء:

- **منهج الاعتقاد والعقيدة القتالية الجهادية.**
- **برامج العمل الجاد المباشر.**
- **القدوة الميدانية من قيادات تلك الصحوة و ورموزها الجهادية في كل بلد إسلامي.**

وكل متبصر يدرك اليوم أن مشكلة هذه الأمة ، هي في أن أكثر علمائها قد نكصوا على أعقابهم بين خائن وعاجز. وأن عموم قيادات الصحوة فيها قد اختاروا الاستراحة وقد انعقدت غبار الحرب يبحثون عن حلول وسط مع الجاهلية على قارعة منتصف الطريق.. إنه الوهن: (**حب الدنيا وكراهية الموت**). وصدق الصادق الأمين.

ثالثا: لقد أثبتت تجارب الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية منذ مرحلة الإستعمار، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وإلى اليوم ، قدرة الشعوب التي أخذت بمنهج المقاومة الشعبية على إرهاق المستعمرين وإجبارهم على الرحيل.

هذا في وقت كان الزخم الحضاري لذلك الإستعمار الأوروبي والأمريكي والروسي هائلا ، وفي أوج عنفوانه. وكان بمقدوره الاستمرار وتحمل ضربات المقاومة. ومع ذلك أسفرت كل تلك المقاومات عن دحر المستعمرين وهزيمتهم.. في كل مكان.

وفي عالمنا العربي والإسلامي من ذلك الملف تجارب رائدة ، في المغرب ، والجزائر واليمن ، والعراق ، ومصر ، والشام ، وأفغانستان والقفقاس والهند وأندونيسيا وغيرها...

وفي تجاربنا المعاصرة كذلك ، نجد في ملفنا انتصارات الجهاد المجيدة في البوسنة و الشيشان وأفغانستان.. ما يثبت القدرة على الانتصار ودحر العدو. وأما اليوم ونحن نخوض الحرب ضد أمريكا ، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والإنهيار والسقوط فيها من جراء عملية واحدة فقط في أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانستان أخيرا . ومن قبلها في الصومال وفي حرب عاصفة الصحراء ، أن الأمريكان عاجزون عن الحضور والمواجهة على الأرض ، إلا باستخدام عملائهم المرتدين من أبناء جلدتنا. وأن أمجادهم محصورة في نشر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجو فقط . فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إسلامية عالمية شاملة في كافة بلاد المسلمين. بل وفي كافة بلاد الدنيا .. وفي عقر دارها ؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار.؟

وأما عن حلفائها الأوروبيين في الناتو فهم أضعف منها وأهزل عسكريا واقتصاديا واجتماعيا. والحلف بينهم متصدع أصلا .

فالحضارة الغربية عامة والأمريكية خاصة، حضارة هشة عجوز، تعصف بها الأمراض السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، إلى

حد يعجب معه المرء كيف استطاعت أن تحيط بنا وتسعى لإعادة استعمارنا. وما ذلك إلا لأن أمتنا قد بلغت بسبب بعدها عن شريعة الله ، حدا من الوهن جعلها قصعة لأولئك الطامعين رغم هزالهم !.

فالمقاومة المسلحة مفروضة شرعا وواقعا ، وهي ممكنة ومضمونة النتائج بإذن الله ، بأدلة الشريعة وشواهد الواقع والتاريخ. ولكنها تحتاج أن تشارك بها جماهير المسلمين عامة، وأن تقودها صحوة إسلامية يقودها علماء وقادة قدوة رواد. مقاومة تنهض بها أمة بكاملها ، وليس عشرات الفدائيين المخلصين.

نحتاج مقاومة تكون نهج ومعركة أمة ، وليست طريق وتضحيات نخبة فقط.

وأما انتظار الحلول لأزمات هذا الواقع ، من خلال الطرق المطروحة اليوم في سوق الصحوة ، عبر مدارسها كلها، من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية مرورا بتجارب الأحزاب السياسية الإسلامية وبطروحات الإصلاح والتربية.. فيكفي في استعراض نتيجة تجاربها، وحصاد عطائها عبر أكثر من سبعين سنة حتى الآن أن نستنتج أنها طرق وحلول قد بلغت حد الإفلاس. ولم تقدم حلا لما نحن فيه. بل لم تصل إلى نتائجها وأهدافها الذاتية.

فلا مدارس التربية والتصفية والإصلاح والسلوك ، لا الصوفية منها ولا السلفية ولا التبليغية، تمكنت من إصلاح أفراد المجتمعات. والفساد اليوم عارم، والفسوق منتشر، والعقائد مهزوزة ، والأحوال أسوأ اليوم من حالها يوم انطلقت تلك المدارس بكثير.

ولم تستطع الأحزاب الإسلامية السياسية التي قصدت الوصول إلى السلطة من أجل إقامة حكم الشريعة أن تصل إلا إلى السجون والمعتقلات ، ثم إلى نقض المناهج التي أرساها المؤسسون الأوائل رحمهم الله. ثم وصلت إلى الارتماء على أعتاب السلطات الغاشمة في أدوار سياسية هامشية مخجلة. هذا ناهيك عن المتاهة التي أضاعت فيها أسس عقيدة التوحيد بدعوى المصلحة والتدرج.

والحل واضح عقلا ومنطقا كما هو ثابت دينا وشرعا:

يجب أن يقام شرع الله على أنقاض الجاهلية والردة الحاكمة ، وعلى فلول جحافل المستعمرين الغزاة.

وعندما يقوم حكم الله .. يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال سيدنا عثمان رضي الله عنه.

ولم يقم في تاريخ البشرية حكم ، ولم تؤسس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة ، إلا على أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف. وفي تجارب المؤمنين والكافرين على حد سواء عبر التاريخ أكبر برهان. ومن هالته هذه الحقيقة فليقرأ التاريخ ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله.

وهذه دولة إسرائيل وحضارة أوروبا الغربية المعاصرة وأمجاد أمريكا اليوم آخر الأدلة على قيام الدول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشريعة ومقتضى أحكام دين الله في واقع المسلمين اليوم وأزماته الشرعية والدنيوية، تفيد أن الجهاد هو الحل، وأن سبيله الوحيد في قيام المقاومة الإسلامية العالمية المسلحة، وفي المواجهة الشاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدين والمنافقين.

ليس من حل إلا في دروب الشهادة. في أن يطلب شباب هذه الأمة الموت كي توهب لهم ولأمتهم الحياة. كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة:14) .

وعندها فقط ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (الروم: 4/5).

وعندها ترى ﴿ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ (النصر:2).

وعندها تقام الصلاة ويحكم العدل ويؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتصح العقائد ويتهذب السلوك. لأن أولياء الله قد مكنوا في الأرض وأقاموا شرعه كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج:41).

وقبل أن نخوض في لب هذا الكتاب لنعرض وجهة نظرنا في كيفية هذا الجهاد وطرق المقاومة ومنهجها، وهو ما نعتقد أنه مقدمة الحل بإذن الله ، سنمر بعدد من الفصول التمهيدية وصولا إلى الفصل الثامن الذي يشتمل على ذلك إن شاء الله.

ونستهل ذلك باستعراض تاريخ صراعنا الأزلي مع الروم وجذوره منذ قام الصراع بين الحق والباطل على هذه الأرض وذلك هو الفصل التالي وقصة مسار ذلك الصراع من أيام قابيل إلى أيام بوش ، حيث ما زال الباطل يصرخ في وجه الحق: ﴿ **لأقتلنك** ﴾.

لأن فهم التاريخ يشكل أساس فهم الواقع الذي يشكل إدراكه أساس استلهام خطى المستقبل.

۞۞۞۞۞۞۞

الفصل الثالث

جذور النظام الدولي ومسار الصراع
من (قابيل) إلى (جورج بوش)

قال الله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ (المائدة:27)

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت**).

الفصل الثالث: جذور النظام الدولي ومسار الصراع من (قابيل) إلى (جورج بوش)[35]

يشكل الاستعراض الموجز لمسار الصراع منذ تقاتل ولدا آدم عليه السلام وقتل الشرير منهما (قابيل) أخاه الصالح (هابيل)، وإلى قيام النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على مبادئ (صراع الحضارات) وحتمية تصفية بعضها لبعض، يشكل ملخصا لجذور النظام العالمي الجديد، وبمعنى أدق استعراضا لتاريخ النظام الدولي وصراع أطرافه إلى أن استقر صراعا بين المسلمين والروم كأبرز أوجه الصراع الدائم في تاريخ البشرية الوسيط والحديث.

وسأوجز في هذه النبذة تحت هذا العنوان ما يؤدي الغرض كتوطئة تاريخية لأفكار هذا الكتاب الذي يشتمل على دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ومنهجها وطريقتها.

[35] فكرة الربط بين قابيل وجورج بوش , ووحدة شعارهما (لأقتلنك). سمعتها في درس للشيخ (أبو الوليد المصري) – مصطفى حامد –. ومن الأمانة أن أذكر له هذا هنا , وقد استعرت الفكرة لعنوان هذا الفصل. والرجل من عباقرة الكتاب والمفكرين ومن الدرر التي ضاع قدرها وقيمتها في بحر الأمواج المتلاطمة لمسار الجهاد العربي في أفغانستان. وهو صحفي محترف وكاتب ومؤرخ . ومفكر استراتيجي على مستوى عال. ولا أدري ما مصيره بعد الأحداث. وأسأل الله أن يكون في عافية , ويبلغه مني السلام , وأن يدعو لي بظهر الغيب.

بدايات الصراع (قال: لأقتلنك) :

لقد قص علينا القرآن الكريم خبر اعتداء ولد آدم الأول على أخيه وقتله إياه بعد وعيده الصريح وإقدامه بذلك على سن سنة القتل في بني البشر. قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: 27 - 30).

وبصرف النظر هنا عما خاضت فيه بعض روايات التفاسير من أسباب القتل ، والاكتفاء بالسبب الظاهر الذي ذكرته الآيات حيث اتقدت نار الحقد في صدر الشرير فصرخ متوعدا أخاه بقوله (لأقتلنك)! فإنا نجد أن تلك النار المتأججة في صدره لم يخمدها رد الأخ الصالح بما احتواه من الوعظ واللين والتذكير بالله والتخويف من النار، فطوعت له نفسه فعلا أن يقدم على أول جريمة على سطح الأرض.

وهكذا سارت مسيرة الشر مع قسم من أولاد آدم فحملوا مهمة سفك الدماء والعدوان والظلم عبر مسار البشرية إلى أن وصلت تلك الراية المضمخة بالدماء إلى أيدي الحضارة الغربية ووريثتها المتجبرة أمريكا لتتبنى نظرية صراع الحضارات ، تلك النظرية التي مفادها أن الأرض لا تتسع لحضارات متناقضة، ولابد من أن الصراع الحتمي سيجعلها تصفي بعضها بعضاً، وأنه إن كان بإمكان الحضارة الغربية ذات الطابع النصراني الصليبي والنظرية الإقتصادية الرأسمالية والفلسفة العلمانية الإباحية والنهج السياسي القائم على الديمقراطية، بإمكانها أن تتعايش مع بعض الحضارات فإن صدامها مع الحضارة الإسلامية عدوها الذي افترضته بعد قضائها على حضارة الشرق السوفيتية هو صدام حتمي. حيث اعتقدت أمريكا وراحت تجر وراءها أوروبا الغربية وروسيا المنهارة ودول (حلف وارسو) اللاهثة من أجل دخول الناتو للاعتقاد بأن عليها إزالة حضارة الإسلام والمسلمين وفرض سياستها وهيمنتها وثقافتها وفلسفتها الكافرة على شعوبهم.

وهكذا استعلن بوش بأنه يقود حرباً صليبيةً مقدرة له من قبل الرب الذي اختاره لها بعد أن شفاه من الإدمان على الخمر!! كما استعلن معاونوه الصليبيون المتصهينين بالقول بأنهم ورثة الحضارة الرومانية المسيحية وأن أعداءها في التاريخ – يقصد المسلمين – هم أعداؤها في الحاضر والمستقبل.

ومن هنا تحركت أمريكا على كافة الصعد لتفرض على العالم ما أسموه (النظام العالمي الجديد) منذ انفراط عقد الإتحاد السوفيتي مطلع العقد الأخير من القرن العشرين.

ليسير وفق أحلام المنظرين المتصهينين الأمريكان من أمثال (كيسنجر) و(هينينغتون) و(ولف) وغيره.. الذين صرحوا بأن على أمريكا أن تعمل ليكون القرن الحادي والعشرين مطلع الألفية الثالثة قرنا أمريكيا.. وهكذا.. عاد شعار الشر (لأقتلنك) ليرتفع مع رايات الإجرام الأمريكية مهددا كل من يقف في وجه هجمة الطمع والطغيان الأمريكية المعاصرة وخاصة كل قوى المقاومة والمواجهة في ديار الإسلام والمسلمين..

۞۞۞۞۞۞۞

محطات من تاريخ الصراع وجذوره من خلال قصص الأنبياء وأتباعهم:

انتشر أبناء آدم.. وعبدوا الله على دين التوحيد كما علمهم أبوهم عليه السلام.. ثم تطاول العهد واجتالتهم الشياطين يمينا وشمالا عن الصراط السوي ودب فيهم الشرك والظلم والطغيان..

فأرسل الله الرسل تباعا.. مبشرين ومنذرين في كل أمة كما أخبر تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر/24).

لقد كان من أكبر أسباب تمسك المشركين بشركهم: تقليد الآباء، وطاعة الكبراء، والتزام العادات وما ألفته النفوس، وإتباع الشهوات، وأساس كل ذلك جري السادة والملأ من الكبراء ورجال الدين الفاسدين وراء المصالح. وتعطيل العامة لعقولهم و إتباعهم لكبرائهم رهبا ورغبا.. وهكذا أخبرنا تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون:44) .

لقد كانت خلاصة دعوة الأنبياء وأساس عقيدتهم واحدة:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:36) .. وكذلك كانت ردود الكفرة والملحدين على رسلهم متشابهة واحدة.. وتنوعت أشكال الصراع وقصص تلك المواجهات الدامية.. ولكن أساس صورتها كانت شديدة التشابه، فأهل الحق يعبدون الله ويوحدونه و ويريدون تعبيد الخلق له.. والكفار بزعامة سادتهم وكبرائهم وكهانهم وعلماء سلاطينهم وأصحاب المصالح فهم يعبدون الطواغيت والأهواء ويريدون صرف الناس عن الحق.. فيعذبون أهله ويطاردونهم.

وتكررت شعارات الشر ووعيده.. لنخرجنكم.. لنرجمنكم.. لنقتلنكم.. لنسجننكم.. وهكذا كان منذ قالها الأخ الشرير لأخيه الصالح: (لأقتلنك)..

فأما نوح عليه السلام أول الرسل فقد صبر على قومه قرابة ألف سنة وكان جزاؤه وعيدهم الدائم ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء:116).

وهؤلاء قوم إبراهيم عليه السلام يقولون لأبي الأنبياء كما قص علينا تبارك وتعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت:24) . حتى أبوه قال له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ (مريم:46) .

وهؤلاء قوم شعيب عليه السلام يتهددونه وأتباعه : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (لأعراف:88).. وزادوه من الوعيد : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (هود:91) .

وأما قوم لوط عليه السلام فكذلك قولهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل:56) .

إلى أن جاء موسى عليه السلام وقص القرآن علينا قصة صراعه الطويل مع فرعون وقومه حيث أعلن الفرعون عن أصل المشكلة: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء:29). ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (لأعراف:127) .

ثم أخبرنا القرآن الكريم بما كان من سلوك بني إسرائيل وكبرائهم وكهانهم الفسقة الفاسدين مع أنبيائهم: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ

الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة:87) .

إلى أن جاء نبي الله عيسى عليه السلام فمكر به الأحبار والرهبان من اليهود وسعوا إلى الحاكم الروماني لقتله وصلبه فنجاه الله منهم **(وما قتلوه وما صلبوه)** فطاردوا أتباعه على مدى قرنين من الزمان قتلا وتشريدا حيث ذكر القرآن إحدى صور تلك المعاناة في قصة أصحاب الأخدود: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(البروج 4 / 8)

إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة فكان من أمر كفار قريش مع نبي الرحمة ﷺ ومع أتباعه ما غطته روايات السيرة وخلدته آيات القرآن ونصوص السنة ليتلخص التهديد بإخباره تعالى بخلاصة مكر أعداء الله بالمؤمنين في كل زمان ومكان: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) سجن أو قتل أو تشريد وهذا ما يحصل اليوم من قبل أمريكا وحلفائها من الكفار والمرتدين في كل من يفكر بمقاومتهم والوقوف في وجه طغيانهم..

عبر وملاحظات:

إن الدارس لقصص الأنبياء بدء من دعوة نوح عليه السلام وانتهاء بالسيرة العطرة لسيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام كما غطتها نصوص القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، يخرج بعبر ودروس لا تنتهي عن مسير الصراع مع الباطل. كما أن دراسة التاريخ البشري عموما والإسلامي خصوصا تعطي أفضل الدروس وأوضحها عن مسيرة هذا الصراع عبر التاريخ وفي حدود الإيجاز الذي نحن بصدده نذكر من ذلك:

1. **عدم إمكانية عيش قوى الخير والشر في مكان واحد:**

فرغم أن أسرة آدم عليه السلام كانت صغيرة جدا بل الأسرة الوحيدة في الأرض لم تتسع الأرض بكاملها لذلك الأخ الشرير كي يتحمل وجود أخ صالح يتقبل الله منه معه فيها.. فلقد كان بإمكانه أن يقول لأخيه لا أريدك بقربي أخرج إلى أرض أخرى.. إلى جبل آخر.. إلى إقليم آخر.. إلى قارة أخرى.. ولكن لم يجد إلا مقالة: (لأقتلنك).. فالشر لا يتحمل وجود الخير على ظهر الأرض كلها إن استطاع.. وهذه لفتة تفيدنا أن من العبث حقيقة.. ومن مصادمة السنن الكونية ومنطق التاريخ أن يتخيل بعض أهل الحق أن أهل الباطل وقوى الشر تتحمل جوارهم بل مجرد وجودهم..

ومن هنا تسقط كل نظريات التعايش بينهما على كافة الأصعدة..

فلم يمكن لحاكم طاغية عبر التاريخ أن يتحمل وجود من يوحد الله في شعبه ولا يعبده، حتى ولو تركه وشأنه وطغيانه.. كما لا يمكن لدولة جرثومية في بنيتها وفكرتها مثل إسرائيل أن تتحمل قيام دويلة فلسطينية في خاصرتها ولو بمواصفات ممسوخة على جزء من أرض فلسطين ، حتى ولو سلمت هذه الدويلة لإسرائيل بكل ما سلبته منها واعترفت بشرعيتها الغير مشروعة أصلا. وهذا ما أثبته المسار السخيف لاتفاقيات السلام بدء من (أوسلو) ومرورا بـ (مدريد) وغيرها وانتهاء بـ (خارطة الطريق) إلى الهاوية..

كما أثبتت التجارب السياسية في كافة الدول الإسلامية أن قوى الكفر والعلمنة والإلحاد والتغريب لم تتحمل وجود قوى أصولية وأحزاب إسلامية معها تحت قبة البرلمان، إلا ممسوخة مدجّنة مسيّرة. وقد رفضتها حتى مع حالتها هذه في الغالبية الساحقة من التجارب.. فمن السذاجة أن يتصور بعض الإسلاميين تلك الرقعة المحدودة تحت قبة البرلمان تتسع لقوى الإيمان والكفر بالله في ألوهيته وربوبيته، وهي تتعايش بسلام. حيث لم تتسع الأرض كاملة لجوار الحق والباطل. حيث ما لبث الباطل أن صرخ بالحق (لأقتلنك)..

۞۞۞۞۞۞۞

2. إن الشر لا يندفع بالمواعظ وتحريك الضمير وإنما بمقاومته وقطع دابره:

فلم ينفع قابيل أن ذكّره أخاه بأنه مسالم له، وأنه لم يحرك يده ضده، وتذكيره بالخوف من الله ، وتوعّده بالنار جزاء للظالمين..

فقال تعالى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة:30) . ثم قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة:32)..

ولأن العبرة في الجرأة على القتل لا بكمية القتل.. فمن قتل نفسا زورا وطغيانا وظلما فهو مستعد لقتل غيرها لنفس الدوافع. وهذا ما أثبتته هذه الحضارة الغربية البربرية الهمجية التي تسود صفحات تاريخها بقصص مروعة من الجرائم.

فمنذ انطلقت حملة الكشوف الجغرافية بتفويض ومباركة من بابا الفاتيكان مطلع القرن السادس عشر، تركت الدول النصرانية الأوروبية وراءها قصصا من القتل والفتك بالبشر في القارات الخمسة الأخرى تشيب لها الولدان.

لقد أباد الغرب أعراقا وأمما بكاملها في الأمريكيتين وأستراليا، وارتكب عبر التاريخ منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا فضائع جاوزت

ضحاياها مئات الملايين من البشر.. بل لقد أباد الأوروبيون بعضهم بعضا في صراعهم على عائدات الاستعمار وعلى المصالح والسياسات المختلفة فقتل في الحرب العالمية الأولى نحو 8 مليون نسمة. وأفنى الأوروبيون فيما بينهم بالإضافة للروس والأمريكان واليابان نحو 82 مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية. حيث قصفوا المدن على رؤوس المدنيين وجعلوهم حقل تجارب لمخترعاتهم العسكرية الفاتكة وانفردت أمريكا بتجريب أول قنبلتين نوويتين في التاريخ الحديث فقتلت زهاء ربع مليون نفس في لحظات ! ..

ولعلم الله بأن في بني الإنسان أمثال هؤلاء.. شرع الجهاد والدفع فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: 39/ 40) .

وقال تعالى عنهم: ﴿ لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (التوبة:10). ولذلك قال: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

(البقرة/194)

ولهذا شرع الجهاد وفرض الإعداد، إعداد القوة بهدف (الإرهاب)، نعم إرهاب هذا الجنس النكد المعتدي من أبناء آدم حيث ما وجدوا. ولذلك أمر تعالى بوضوح وصراحة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ وحدد الهدف بصراحة مكملاً: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال:60)

والآيات بهذا المعنى كثيرة.. لقد علم الله أن هذا الجنس الشرير القاتل من بني البشر يجب أن يردعوا. وأن تستأصل شأفتهم إن لم يردعوا، وألا يسمح لهم بالعيش إلا تحت الذلة والصغار يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون ، وأن أكثره لا يستقيم إلا ما دمت عليه قائما.. وهكذا أثبت التاريخ وصدق الله العظيم: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك:14).

۞۞۞۞۞۞۞

3. الصراع بين الحق والباطل أزلي. كان وسيستمر. وأعداء الحق على مر التاريخ هم الملأ المستكبرون من الحاشية والأعوان وكهنة السلطان:

منذ نشأ الشرك.. وقامت نواة السلطة وتكون الطغيان ارتبطت مصالح السلطان والطاغوت بمصالح أهل الأموال والدنيا بزيف سدنة الضلال من الكهان، فصار لهم الملأ، وحرسهم الأعوان.. وكثيرا ما أطلق القرآن الكريم على هذه الثلة أداة الشيطان في وجه أهل الحق لفظ (الملأ) أو لفظ (الذين استكبروا) أو لفظ (الذين أترفوا)..

نعم بدأ هذا الصراع منذ قابيل واستمر مع المتكبرين من قوم نوح ثم ما تلاه من الأنبياء عليهم السلام ممن قص علينا القرآن ذكرهم إلى تفصيلات ذلك في قصة موسى عليه السلام مع عدو الله فرعون إلى قوى الكفر وأصحاب المصالح ممن سعوا في قتل المسيح فأنجاه الله، وصولا لدعوة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام.. واستمر بعد ذلك كما سنبين عبر التاريخ الإسلامي بين دول الكفر ودولة الإسلام.. وبين قوى الحق والصلاح وقوى الاستكبار والظلم والجور داخل دولة الإسلام ذاتها، منذ أن افترق السلطان والقرآن.. كما أخبر سيد المرسلين ﷺ..

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (الأعراف 59 ـ 60).

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (الأعراف 65 . 66).

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (الأعراف 73).

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: 75-76)

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (لأعراف:85) . ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (الأعراف/88).

ثم إلى قصة فرعون وملئه وموقفهم من سيدنا موسى عليه السلام إلى قريش والسادة الملأ الذين استكبروا وتجبروا حتى قذفوا بالقليب وهكذا.. كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ:34) .

4. ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ :

هكذا أخبر ربنا تبارك وتعالى عن أهل الحق بأنهم الثلة والقلة في كل قوم عبر التاريخ على مستوى الأرض وعلى مستوى كل قوم وإزاء كل دعوة حق.. وهكذا أثبتت عبر تاريخ كل الدعوات المؤمنة وكل دعوة حق.. فقد دعا نوح قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فما آمن معه إلا قليل..

وقد ذكر المفسرون أرقاما أقلها أولاده الثلاثة، وأعلاها ثمانون.. وأقواها اثني عشر مؤمنا!!. فالمسلمون في الكفار قليل.. والمؤمنون في المسلمين قليل.. وقليل من عباد الله الشكور.. والمقربون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.. وأصحاب اليمين في أهل الإسلام ثلة من الأولين وثلة من الآخرين..

❖❖❖❖❖❖❖

5. **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ولا رابطة بين مؤمن وكافر:**

أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأنه يهدي من يشاء وأنه ليس له من الأمر شيء وقال له : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص:56)

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا والله أعلم بمن هو أهل للرحمة والهدى.. ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: 8) .

كما قررت العقيدة بصرامة أن لا رابطة بين مؤمن وكافر فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: 10) وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: 71). وكذلك: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال: 73). وهكذا انفصلت علاقة الأبوة على أساس الكفر والإيمان فقال تعالى يقطع العلاقة بين نوح عليه السلام وابنه الكافر: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود: 46) .

كما انفصلت علاقة البنوة بين إبراهيم وأبيه فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إبراهيم لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة:114) .

وكذلك بين الزوج وزوجه ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (التحريم:10) . وبين سبحانه وتعالى أن هذا هو سبيل الأسوة الحسنة فقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إبراهيم لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4) .

وكذلك أثنى الله تعالى على صحابة رسوله عندما تمثلوا ذلك وأنزل القاعدة فقال: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22) .

هذه نقطة أساسية لفهم الصراع بين الحق والباطل من منظور أهل الإيمان..

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: 23 / 24).

نمو التجمعات البشرية وقيام الممالك.. ونشوء السلطة وقيام النموذج الفرعوني المتكرر عبر التاريخ (حاكم ـ كاهن ـ أعوان):

في بؤر التجمع البشري الأولي بدأت تتكون نويات العشائر من الأسر المتقاربة نسبا ومسكنا، من أولاد الأب الواحد وأولادهم.. ومع تناميها بدأت تتكون القبائل من تجمع العشائر أولاد الجد الواحد..

وبشكل فطري وطبيعي قامت الحاجة لنشوء السلطة ، التي تكونت بشكل تلقائي من كبير الأسرة أو جدها أو شيخها المطاع الذي ترجع إليه القبيلة في شؤونها وحاجتها..

ولما كان اجتماع القبائل على موارد الغذاء والرزق من المياه والمراعي ومواطن الصيد، سرعان ما ضاقت المواقع بأهلها فتباعد الناس في المساكن بحثا عن موارد الرزق نتيجة الحاجة والصراع على تلك الموارد..

فكانت السلطة في تلك المرحلة مكونة من شيخ القبيلة وكبير رجال الدين أو الكهان فيها وكبار رؤوس العشائر أو الأسر وأهل المال أو القوة والبأس..

ومع تفاوت القبائل في حجمها سيطرت القوية منها على من حولها من الأسر والقبائل الضعيفة إما بالتزاوج أو التحالف أو بالبطش والسيطرة.. وبدأت القبائل المتضخمة تأخذ شكل الممالك الصغيرة.. وسرعان ما برزت الحاجة لمستلزمات المُلْك من الأعوان والسلاح

والحصـون. ونشـأت طبقـة المـلأ والأعـوان. وأدوات الملـك ونـويات مؤسساته..

وكما حصل في تضخم بعض القبائل. تضخمت بعض الممالك لتبتلع من حولها أو تهجِّرها وتسيطر على أرضها.. ومكنت كثرة العدد والموارد بعضها من أن تتحول إلى ممالك قوية تقوم على نظام إقطاعي يسود فيه كبار القادة والملاك الذين يشكلون كبار أعوان الملوك، الذين اتسـع مـع اتسـاع المـوارد والسـلطان مـدى نفـوذهم وبالتـالي مظـاهر سلطانهم من كثرة الجند والسلاح وإنشاء القلاع والحصون والأسوار على مدنهم وممالكهم.. ونشأت أنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية بحسب حال كل مملكة، وبالطبع كان لكل مملكة دينها ومعتقداتها وبالتالي نشأت طبقة رجال الدين والكهان الذين يديرون الحياة الدينية لكل مملكة..

وكما توسعت القبائل توسعت الممالك. وقام الصراع على النفوذ والسلطان أو الموارد والأراضي وسوى ذلك من متاع الدنيا.. فقامت الحروب بين الممالك وابتلع الأقوياء الضعفاء فبدأت تتكون الممالك الكبرى التي ازدهرت فيها حضارات عظيمة في مختلف مناطق الأرض علـى يـد أولئـك الملـوك الأقـوياء.. واضـطرت الممالـك الصـغرى إلى الدخول في حمايتها أو الذوبان فيها أو الرحيل من جوارها إلى مناطق

أخرى.. فتوسعت تلك الممالك لتصل إلى حجم الإمبراطوريات في بعض الأحيان..

ونتيجة الظلم ، والتنوع العرقي والديني في مكونات الإمبراطوريات، أو الممالك الكبرى ، ونتيجة الصراع فيما بينها ، تفككت في كثير من الأحيان تلك الإمبراطوريات والممالك الكبيرة إلى مكونات أخرى من الممالك الصغيرة ، وعادت إلى مستوى المملكة أو الإمارة أو حتى القبيلة لتعاود دورة التاريخ سيرها معها بأشكال مختلفة فتتسع وتمتد ثم تتفكك وتتحلل.. وهكذا دواليك..

* **قيام النموذج الفرعوني ومثلث السلطة: (الحاكم ـ الكاهن ـ الأعوان):**

حكم الملوك والزعماء شعوبهم ورعاياهم بالترغيب والترهيب.. فالعطايا والمناصب والمكاسب لمن يطيع السلطان، والبطش والقتل والنكال لمن يخالفه.. ومع الوقت أدرك الملوك والطغاة ما للسيف والذهب ـ أو العصا والجزرة ـ من أثر ناجع في سياسة الناس..

إلا أن دهاة الساسة والملوك الطواغيت ، لفت نظرهم طاعة الناس لرجال لا يملكون سيفا ولا ذهبا، ولا حراسا ولا أعوانا، ولا شيئا من هيلمان السلطان! إنهم رجال الدين والكهان الذين يقبعون في معابدهم ، حيث يأتيهم الناس طواعية ليدفعوا لهم الصدقات ويقربوا بين أيديهم القرابين بلا إجبار، ويقضون لهم المهام والخدمات، بل

ويهبون لهم حياتهم بكل اختيار. حيث لا يحصل الملوك على ذلك من الناس إلا بالسيف والسوط..

فالناس يطيعون الكهان بسبب دواعي الفطرة الكاملة التي فطرها الله في قلوب الناس من السعي لعبادة خالقهم وإرضائه..

فإما يعبد الناس ربهم وفق هدي الأنبياء ، ثم ورثتهم من العلماء ، فيوصلونهم إلى الله على الطريق المستقيم لا يريدون منهم جزاءً ولا شكورا، وإنما هداة ربانيين يبتغون الأجر من الله تعالى.. وإما أن تحتال الشياطين الناس ذات اليمين وذات الشمال فيعبدون الطاغوت ويشركون بربهم ، وتقودهم في هذا الضلال شياطين الإنس والجن من السحرة والكهان ورجال الدين المنحرفين. فينحرف الناس في دروب الضلالة كل أمة بحسب شيطانها وضلالها، ذلك منذ عبد الناس حجارة الطوطم والكواكب والظواهر الطبيعية والحيوانات والنار والأصنام ، أو عبدوا البشر والطواغيت إلى آخر أشكال الشرك المتطورة بحسب تطور المجتمعات..

إن الناس يطيعون كهانهم ورجال الدين فيهم ظنا منهم أنهم يوصلون إلى طاعة خالقهم. فتستريح فطرتهم في عبادة ذلك الخالق، حيث لا تستريح فطرة ولا تستقر نفس إلا بالركون إلى معبودها بالحق أو بالضلالة..

ولذلك ترى الإنسان مهما سما في مراتب العلم والمعرفة والذكاء، يخلع عقله وتفكيره مع حذائه على باب المعبد ، ويستعد في غالب الأحيان نفسيا ، لطاعة رجل الدين القابع في داخله ، ليدله على رضا معبوده ويعلمه كيف يعبده ويطيعه. وهو على استعداد لبذل كل غال ونفيس في سبيل هذه الراحة.. وهكذا مازلت ترى اليوم حامل شهادة دكتوراة في أرقى العلوم ، يثني ركبتيه ويبسط راحتيه ساجدا لبقرة أو فأرة أو نار، أو تمثال أصم مزركش ! فيما يرش عليه الكاهن بعض رذاذ الماء من يده المتعفنة ، ويطلق دخان البخور لتغطي على نتنه ونتن معبده.. أو ربما يتبع هذا الحصيف فتوىً عوجاءِ من رجل دين منافق لسلطانه ، حتى ولو كانت لا تدخل في عقل عنزة. من قبيل إضفاء الشرعية على احتلال النصارى لبلاد الحرم بدعوى الاستعانة ، وجعل من جاهدهم مفسدا في الأرض!! وهكذا كان وما زال ديدن البشر..

وحتى لما ثار الناس مؤخرا على رجال الدين وانخلعوا من أديانهم، وفروا إلى ظلمات الإلحاد. لم تستقر نفوسهم وما زالوا يتيهون في ظلمات السحر والكهانة والبحث في المغيبات ، والاعتقاد في الأوهام والأشباح والأطباق الطائرة! حتى يسكن هذا العطش الفطري لعبادة رب قادر مهيمن يلجؤون إليه في المهمات!.

أدرك الساسة ودهاة الطواغيت هذه الظاهرة ، وأدركوا أن استيعاب هؤلاء المستحوذين على الطاعة بلا سلطان ولا أعوان أفضل من

مواجهتهم. وعلموا أنهم إن خضعوا إليهم خضع لهم القطاع الأكبر من الناس الذين لم يتمكن السيف والسوط ولا الذهب من إخضاع أكثرهم إلا مؤقتا، حيث يكون الأصل في الناس هو التفلت والبغض للسلطان وسيفه وذهبه لولا الخوف والحاجة..

فقرّب رجالُ المْلك رجالَ الدين، وأغدقوا عليهم الذهب والعطايا، وأوعدوا من أبى منهم السيف والعذاب. فطوعوا أكثرهم. فأنشؤوا لهم هيلمانا كهيلمان الملك، فارتفعت قباب المعابد كما ارتفعت أبراج القصور. وصار لهم الحراس والأعوان والأتباع والخدم. وهكذا انضم رجال الدين إلى الملأ من كبار القواد والأمراء والأعوان وشكلوا الحاشية. وقام التزاوج النكد بين الملوك والكهان ورجال الدين ، هذا التزاوج الذي دمر مستقبل البشرية في معظم تاريخها. وعبّد الناس للطاغوت بدل أن يعبدوا ربهم..

وبهذا اكتمل مثلث السلطة الذي قام على (**الحاكم والكاهن والأعوان**)، وشكل كبار الكهان وكبار الأعوان وجنودهم الظلمة ما اصطلح عليه القرآن بلفظة (الملأ) أو (الذين استكبروا) أو (الذين أترفوا).. وحاز هؤلاء ما شاؤوا ، واستولوا على ما أرادوا من دنيا الناس والشعوب المسحوقة طوعا أوكرها.

وتنوعت أشكال مثلث السلطة بحسب تنوع وتطور المجتمعات والممالك والحضارات.. ولكن التاريخ وآثاره وما تركته تلك الحضارات

من شواهد مكتوبة أو ملموسة ، وكذلك ما أخبرتنا به الكتب الدينية السابقة ثم القرآن الكريم ، دلت جميعها على أن مثلث السلطة كان مكونا من هذا الحلف: (**الحاكم والكاهن والأعوان**). حيث كان صلاح الملأ والحاشية دائما بصلاح ذلك السلطان. والعكس بالعكس. فالملوك العادلون قربوا العلماء الصالحين ورجال الدين المخلصين. واستقام تبعا لذلك مسلك الجند والأعوان. وأما الطغاة فقد قربوا المجبرين والفاسدين. وكان الناس دائما على دين ملوكهم..

وهكذا قام الساحر المشعوذ يهيج النار إلى جانب رئيس القبيلة، ويدير الطقوس في المجتمعات البدائية. ثم تطورت الحضارات فقام النموذج الفرعوني الذي فصل القرآن وأفاض في تركيبته وأحواله.. فوقف النمرود وكهان الأصنام لسيدنا إبراهيم عليه السلام حتى رموه في النار ثم هجّروه بعد نجاته، ولما جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وقف في وجهه حلف السحرة والأعوان من الملأ إلى جانب الفرعون.. ثم وقف الأحبار والرهبان من اليهود إلى جانب الملوك الطغاة ضد الصالحين في كثير من تاريخهم. فجاء نموذج (بلعام بن باعوراء) الذي قص الله قصته مع القوم الجبارين وملكهم ضد نبي الله والمؤمنين من بني إسرائيل.. ثم جاء اليونان وقامت حضارتهم الوثنية، فكان لها أباطرتها وكهانها وآلهتها وجندهم وملوكهم ، ثم جاء الرومان فورثوا حضارة اليونان بحذافيرها.. وقامت حضارات كثيرة في المشرق والمغرب . وكلها

تدل آثارها على نفس المسالك والبنية في مثلث السلطة. (**حاكم وكاهن وأعوان**). ولما جاء سيدنا عيسى عليه السلام وقف الأحبار والرهبان والملأ من بني إسرائيل وأرباب الدنيا والمصالح مع الحاكم الروماني وسعوا في قتله فأنجاه الله منهم.. ثم طارد القياصرة والملوك أتباعه وقتلوهم حتى حفروا لهم الأخدود الذي ذكره القرآن ، وطاردوا أصحاب الكهف وأمثالهم، حتى سمي القرن الأول والثاني الميلادي في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء..

ثم غزت النصرانية الإمبراطورية الرومانية ، بعد أن شوهها الرهبان والأحبار اليهود ومزجوها بالوثنية وبعض تعاليم اليهودية..

وتكررت السنّة فكان البابا كبير الرهبان والأحبار النصارى إلى جانب الإمبراطور القيصر.. ونشأ له ما هو معروف من المؤسسة الدينية وسلطانها.. واكتمل على يد النصارى الهيكل الديني الذي صار البابا الأكبر فيه إمبراطورا دينيا متوجا يضاهي الإمبراطور الروماني وملوك أوروبا في ملكهم وذهبهم وحراسهم وحشمهم.. وشهدت أوروبا كثيرا من الحروب والنزاعات بين الملوك والأباطرة العظام وبين البابا وكبار كرادلته ورهبانه وكانت الغلبة دائما للباباوات.. حتى ثار بعض الملوك واتخذوا لأنفسهم باباوات فرعيين غير البابا المركزي.

والتاريخ الأوروبي والكنسي يقص الفظائع من أفعال مثلث السلطة هذا (الحاكم والكاهن والأعوان) وما فعلوا بالشعوب مما يشيب

له الولدان ، ويشابه الأساطير. فقد استلبوا الأموال ، وسفكوا الدماء ، واستحلوا من الأعراض ما شاؤوا. حتى بلغ بهم أن يبيعوا الناس إقطاعات في الجنات من عالم الآخرة!.. حتى ثار الناس على دين البابا، وإله البابا ، وكفروا وألحدوا ورموا الدين جانبا. لتقوم الحضارة الغربية على مزيج من الإلحاد والعلمانية والنصرانية المتهودة الملوثة. كما يشهدها العالم منذ أكثر من قرنين من الزمن..

فلما جاء دين الله الخاتم وشريعته المحمدية، ركزت العقيدة على ربط العبد بربه وأزالت وألغت دور الكاهن في حياة المسلم الإيمانية. فكان للدين علماء بمنزلة ورثة أنبياء يهدون الناس إلى ربهم بلا جزاء ولا أجر ولا إلزام. حيث يستطيع أي أحد من الناس أن يسلك سبيل طلب العلم ليكون من أهل العلم.. كما قننت الشريعة للسلطان دوره وحقوقه وصلاحياته. وكانت الشريعة فوق الحاكم والمحكوم..

ولكن الذي حصل في أرض الواقع هو ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن أهل الإسلام سيتبعون سنن من كان قبلهم حذو القذة بالقذة.. قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ (أي فمن إلا هم؟!) لقد تبعهم أهل الإسلام في كثير من الأمور وكان شر ذلك ؛ الإتباع في النظام السياسي وهيكله ، من قيام الملوك والسلاطين ونظامهم الوراثي.. ونشأ هيكل شبيه بهيكل الأحبار والرهبان إلى جانب كل سلطان.. وتماما كما أخبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم في أحد أحاديث معجزات النبوة فيما روي عنه من حديث حذيفة : (**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت**) رواه مسلم.

وفي رواية غاية في الأهمية أوردها ابن حماد في كتاب الفتن من حديث أنس ﵁ قال: (**إنها... ثم ... ثم ملك عضوض ثم جبرية ثم طواغيت**).

وفي رواية : عن أنس بن مالك قال : (**إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت**).

وهذا الذي حصل في المسلمين منذ رحيل الإستعمار وقيام حكومات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هذا... وهكذا سن بنو أمية سنة الملك في الأمة المحمدية وتبعهم بعدهم سلاطين المسلمين وخلفاؤهم (كما اصطلح على تسميتهم اصطلاحاً).. وكذلك كان دأب الملوك والأمراء المسلمين لما تفرقت ممالك بلاد الإسلام إلى دول وممالك شتى..

فكانت النبوة فينا كما حفظت قصتها لنا كتب السيرة العطرة ونصوص السنة.. وكان النبي ﷺ هو الحاكم السياسي كما أنه مصدر التشريع والتلقي..

فلما قامت الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ، قام خليفة رسول الله ﷺ بأعباء الحكم والسياسة والريادة الدينية، يعاونه أهل الحل والعقد من علماء الصحابة والتابعين.

فلما انقلب الأمر كسروية قيصرية ، وانتقل إلى الملك العضوض، فالملك الجبري استلزم الملك والسلطان مقومات مثلث السلطة من الكهان والأعوان..

فسلك أهل الإسلام في ذلك سنة من كان قبلهم.. فما بالك عند ما تحقق ما ورد به رسول الله ﷺ من قيام الطواغيت؟..

وهكذا كان إلى جانب كل ملك صالح علماء صالحون وأعوان مقسطون. ونادرا ما مر هذا في التاريخ الإسلامي.. وكذلك قام إلى جانب ملوك الجور من الخلفاء والسلاطين والأمراء المسلمين ، علماء سلطان منحرفون على قدر جور أمرائهم..

إلى أن قام الطواغيت يحكمون المسلمين ، فطغى علماؤهم وابتدعوا وزادوا ونقصوا في دين الله قدر ما استطاعوا. ولم يسلم من عبثهم إلا القرآن الكريم ، الذي تكفل الله بحفظه. وما حفظ من سنته صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك لعب علماء السوء دورهم في تحريف الكلم عن

مواضعه وسوء التأويل ولي أعناق النصوص، لتوافق أهواء الملوك.. وكان الجند والأعوان من أعوان الظلمة وأصحاب السيطرة رهن إشارة الملوك الذين انتهبوا من دين أولئك العلماء وفتاويهم ما شاؤوا قدر ما استطاعوا..

وهكذا حصل ما أخبر به رسول الله ﷺ من افتراق القرآن والسلطان.. ومن نعمة الله على أهل مكة الإسلام أن حفظ لهم القرآن بحفظه وقيض لهم من حفظ السنة ونقحها.. وأنعم عليهم ببعض العلماء والعاملين المخلصين في كل ظروف من تقوم بهم حجة الله على خلقه. فوقفوا بالمرصاد لذلك الإنحراف وتحملوا في سبيل الله جبروت الملوك وضريبة مواجهة فقهاء السلاطين وعلماء الضلالة وجهالات وطغيان الجنود والأعوان من أتباع السادة والكبراء.

وهكذا كان إلى جانب كل سلطان من أمثال المأمون والمعتصم أمثال أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ممن يقول للمعتصم محرضا له على قتل أحمد بن حمبل: (اقتله يا إمام ودمه في عنقي) حتى كان في خلفهم من شيوخ الأزهر في مصر من يفتي بقتل سيد قطب وإخوانه. ومن هيئة كبار العلماء في السعودية ومن يفتي بقتل المجاهدين للأمريكان ويحكم بأنهم لا يروحون رائحة الجنة!!..

إن فهم هذه السنة الكونية أساسٌ هام جدا لفهم طبيعة صراع الحق والباطل عبر التاريخ عامة ، وفي زماننا هذا خاصة، حيث ترزح كافة

بلادنا تحت احتلال قوى الكفر مباشرة وبصورة غير مباشرة. كما مر معنا في الفصل الأول. حيث ينوب عنهم ويقوم على حراسة مصالحهم ويشاطرهم المكاسب حكام مرتدون تترسوا خلف علماء ضلالة ، فأسبغوا الشرعية عليهم وعلى الإحتلال الصليبي بل واليهودي. وأفتوا بقتل المجاهدين وحرمة التعاون معهم ، ليصبحوا جزءا من الحملة الأمريكيـــــــــــــــة لمكافحـــــــــــــــة الإرهـــــــــــــاب..

وهكذا تكرر عبر الأزمان وعلى مر الحضارات والممالك النموذج الفرعوني لمثلث السلطة الذي فصل فيه القرآن وبين وأفاض بطريقة تبعث على الدهشة والعجب..

* النموذج الفرعوني من خلال نصوص القرآن:

لقد قص الله سبحانه وتعالى قصة فرعون من خلال مساحة واسعة في القرآن بصورة تختلف من حيث الشرح والاختصار في 27 سورة من سور القرآن.. حيث ورد ذكر فرعون زهاء 76 مرة. وغالبا ما جاء مقترنا بذكر السحرة أو الملأ أو الجند والأعوان.. ولعل أكثرها تفصيلا ما جاء في سور (الأعراف / يونس / طه / الشعراء / القصص / الزخرف).. وانظر إلى الإعجاز المذهل في تصوير السلطة الفرعونية وأركانها في كل زمان ومكان، وأساليبها في الصراع مع الحق وأدوار أركانها الثلاثة (الحاكم / الكاهن / الجند والأعوان)، وحيثيات المواجهة

ودور الأجهزة السلطوية ، وأداء أهل الحق والباطل على مسرح الحدث من خلال مشاهد الصراع ونختار من تلك النصوص وقفة سريعة مع ما جاء في سورة الشعراء الآيات (23– 68):

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا

آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائيلَ * فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء:23 / 68).

۞۞۞۞۞۞۞

*** وهكذا جاء دور السحرة وعلماء الفرعون:**

ابتدأ الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عقديا.. فلما بين موسى أن لهم ولآبائهم ربا هو مالك الملك ورب المشارق والمغارب.. دب في فرعون شيطان الطغيان فاتهمه بالجنون ، ثم هدده بالسَّجن إن هو اتخذ ربا يطيعه ويدين له بدلا عن طاعة الملك ودينه.. ثم عرض موسى عليه السلام المعجزات والدلائل المفحمة.. وهنا أسقط في يد الفرعون.. فهذه معجزات لا تناقش ، ولا توضع في السجن، عندها ﴿ قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون﴾ اتهمه بقدرة السحر.. واستنجد بالملأ يستفز فيهم حرصهم على الملك ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ ويظهر الديمقراطية الآن رغم أنه الآمر الناهي الذي قال لهم يوميا ﴿ ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ حتى بلغ أن يقول لهم ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾!!. الآن يخاطب أعوانه باللين ومنطق المشاركة ﴿ماذا تأمرون﴾؟ وهكذا هم في كل زمان كما يفعلون اليوم في مسرحيات الإصلاح السياسي بعد زلازل العراق..

وهكذا أدرك الملأ أن المسألة مسألة خوارق وعقائد تحتاج أهلها، فاستنجدوا بعكاز الفراعنة في كل زمان المشايخ و (رجال الدين)، ﴿قالوا أرجه وأخاه ﴾أي أجل حواره الآن ﴿ وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم ﴾ بكل مقتدر من الكهان،

سحار كثير السحر عليم به. وهنا تأتي لفتة هامة وما أشبهها بما يحصل اليوم ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾.. وكم تذكرت هذه الآية عندما قرأت ذات مرة بيانا لهيئة كبار العلماء بعد أن فجر المجاهدون مواقع للأمريكان في **(الخبر والرياض)** في السعودية.. فجاء في مطلع بيان هيئة كبار العلماء: (بناءً على دعوة من وزير الداخلية سمو الأمير نايف بن عبد العزيز... اجتمعت هيئة كبار العلماء في دورتها الطارئة بتاريخ ..) فسبحان الله كيف تشابهت الأمور.

لقد أرسل فرعون وزارة الداخلية إلى هيئة كبار العلماء حاشرين.. فاجتمعوا في دورتهم الطارئة لميقات يوم معلوم! وقيل للناس يومها: إن هؤلاء الذين ضربوا الأمريكان في السعودية شرذمة قليلون ، وأنه لولي الأمر غائظون.. وأن الجميع حاذرون.. وأن على كل مواطن أن يكون رجل أمن..

فلماذا يجتمع السحرة؟! إنهم يجتمعون لتطويع الناس للفرعون [وقيل للناس هل أنتم مجتمعون] لماذا؟ ﴿لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين﴾ وهنا لفتتان هامتان:

أولاهما: أن الملأ يتبعون فرعون في العادة. فكيف رضي لهم الفرعون وللناس أن يتبعوا السحرة ؟ !ما كان ذاك إلا لعلمه أن إتباعهم للسحرة هو في نهايته طاعة للفرعون لأنهم سيأمرونهم بهذا.

ثانيهما: أن شرط طاعة الناس للسحرة [إن كانوا هم الغالبين].. فالناس تتبع الحجة والبرهان الشرعي منهم إن غلبوا أو أوهموا الناس بغلبتهم.

[فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين] فهم يعملون للدنيا والأجر.. فما أجرهم؟ لقد اختار لهم الفرعون أعلى الأجر وأحبه إلى النفوس المتعلقة بالدنيا، فقال:[نعم وإنكم إذا لمن المقربين] الأجر هو القرب من السلطان.. لأن بالقرب منه تقضى الحوائج، ويتقرب بعدها الناس لهم بما شاؤوا من النساء و البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.. أما الفرعون فهو يضمن بقربهم فسادهم لأنه كما جاء في الأثر (ما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا). وهو يعلم هذا وكل السلاطين والحكام يعرفونه..

فلما اتفقوا على أن يلقوا.. استعلنوا بالشعار كما يستعلن عباد السلاطين اليوم [قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون]، فلما غُلبوا وتبين الإعجاز الإلهي لهم، وعرفوا لأن الله كان قد كتب لهم السعادة [قالوا آمنا برب العالمين].

أدرك الفرعون أن عكاز السلطان الأول قد انصدع وتكسر وتخلى عنه.. فأشهر عكازه الثاني وهم (الجند والأعوان) وأخذ بالتهديد

والوعيد [لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين]..

فلما آمن من آمن وشرعوا بالهجرة والاختفاء، جاء دور الآلة الإعلامية ﴿ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون﴾. وما أشبه تلك البارحة بهذه الليالي ، وما تديره آلة الإعلام اليوم فيما يسمونه (مكافحة الإرهاب).

فسبحان الله.. وكما تشابه المسار ستتشابه النتيجة بإذن الله. فالعاقبة للمتقين.. وقعر اليم لكل جبار عنيد.

*** أما الملأ:**

من المستشارين والأعوان والحاشية والجند. فهم كما جاؤوا في سياق القرآن شركاء في كل شيء ، شركاء في التسلط والطغيان ، شركاء في الجرم ، كما أنهم شركاء في حكمهم الشرعي ، وكذلك شركاء في العاقبة والمصير..

فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاثين مرة.. وكلها للتعبير بحسب سياق الآيات عن كبار أعوان الملك ومستشاريه وقادته والمقربين منه.. وقد مرت في أكثر آيات قصص الأنبياء كما سبق في

بعض الشواهد بصفتهم الأعوان الواقفين دفاعا عن الطاغوت دائما في وجه الأنبياء وأتباعهم . فهم كما وصفهم تعالى:

المتكبرين : ﴿ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ (لأعراف:75) . ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (لأعراف:76).

والمترفين: ﴿ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

(هود:116) .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ:34) .

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء:16) .

والمتتبع لأمرهم في الآيات لاسيما في قصص فرعون المتكررة يلاحظ أمورا ثلاثة:

1. **أن السلطان يرتكز إليهم وأنهم يرتكزون إليه.**
2. **أن دورهم مباشر في تثبيت أركان الفرعون، وفي التخطيط والتآمر ، وبتنفيذ الحرب ضد حزب الإيمان.**
3. **أن القرآن الكريم قد قرنهم إلى الفرعون في الحكم الشرعي وكذلك العقاب والمصير..**

- فهم يباشرون المؤامرة، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص:20) .
- وهم أركان ألوهية الفراعنة وعباد طاغيتهم : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (القصص: 38) ..
- ولذلك شملهم موسى بدعائه على الفرعون لما قال : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس :88) .
- كيف لا وهم شركاء في الظلم كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف:103) .
- وهم المتكبرون معه، قال تعالى: ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ﴾ (المؤمنون:46) .
- وقد كانت الدعوة إلى فرعون ولهم سواء بسواء: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾

(القصص: 32) .

ولكنهم استكبروا وتولوا مهمة فتنة المؤمنين ومطاردتهم.. قال تعالى: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِمْ

أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس:83).

فلما استجاب الله دعاء موسى، أخذهم العذاب الأليم وغرقوا معه .. وسبحان المنتقم العادل والجزاء من جنس العمل..

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (هود:98 / 96) .

*** وأما الجند وصغار الأعوان:**

فحالهم حال الملأ وهم جزء منهم ، والطبقة السفلى من تكوينهم، وينسحب عليهم ما سبق من الملاحظات. فهم السند الحقيقي عددا وعدة، في تثبيت أركان الفرعون والملأ. وهم المباشرون لعذاب المؤمنين ونكالهم ، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم من أجل بعض الفتات.. ولذلك أشارت الآيات أيضا إلى اشتراكهم في الجرم وقصدهم بالدعوة واشتمالهم على عقاب طاغوتهم معه.. في الدنيا والآخرة.. والآيات واضحة لا تحتاج إلى تعليق..

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76).

فالقتال مع المؤمنين في سبيل الله علامة على الإيمان. والقتال في سبيل الطاغوت علامة على الكفر.

وقال تعالى:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص/8) . فخطيأتهم واحدة جملة وهل كانت خطيئة الفرعون إلا الكفر بالله ومحاربة أوليائه.

﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت:39) . فهم شركاء في الاستكبار، شركاء في الجحود.. ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً ﴾ (يونس/90) .

فهم الأداة..أداة جريمة الفرعون ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ (البروج:18 / 17) . فما فرعون وثمود لولا الجنود؟.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (طه/78) شراكة العقاب في الدنيا ومثلها قوله.. ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/40) .. تأكيد لسابقتها.. وكذلك قوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص 6/5).

وهكذا رأى الجند والأعوان من العقاب مع فرعون وهامان ما كانوا يحذرون..

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ* وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود: 99.97). وهذه أسوأ ما ينتظرهم من شراكة المصير في الآخرة..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (الأحزاب/90).. فجند الطاغوت في مقابلة جند الله وملائكته ، ومصيرهم هو مصير زعيمهم إبليس وكل جنده.. ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: 94 / 95). فهكذا اشتركوا في المصير إلى النار..

وهكذا فهم عسكر إبليس مع كل طاغية جبار، وحّدهم الجرم ووحّدهم العقاب في الدنيا والمصير في الآخرة إلا ما شاء ربك.. وهكذا أعود لأؤكد..

من أني أعتقد كما اعتقدت دائما ، أن مشكلة أهل الإيمان والجهاد في هذا الزمان كما كانت في معظم الأزمان، وهي اليوم أوضح وأكبر، في كهنة هذا الزمان علماء السلطان المجرمين الذين لبسوا على الناس دينهم ، وشرّعوا للكفر وجوده ، وحاربوا من وقف في وجههم، وكانوا نكالا ووبالا على أمة الإسلام ودعاتها إلى الله ومجاهديها المستضعفين، ولا عجب أن يخصهم القرآن بأشد آيات الوعيد والعقاب كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159)

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:174).

وكذلك هؤلاء الذين يدَّعون أنهم أتباع مستضعفون ، عبيد مأمورون، لا ذنب لهم ، من الجند والشرطة وصغار الأعوان والإستخبارات. فكذلك لا عجب أن يجمعهم الله تبارك وتعالى في جهنم إلى أسيادهم وكبرائهم الذين اجتمعوا إليهم في الدنيا ، ولا تنفعهم إذ ذاك براءتهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة167 / 166).

۞۞۞۞۞۞۞

نشوء الممالك وزوالها ونظرية ابن خلدون في قيام الحضارات. ونظرية توييني في تنقلها بين المشرق والمغرب:

تدل الدراسات التاريخية والآثار في مختلف أنحاء المعمورة على أن حضارات كثيرة وممالك لا حصر لها قد قامت وبادت هنا وهناك. والمجهول منها أكثر من المعروف. ولم يبق لنا منها إلا ما تدل عليه بعض الحفريات الأثرية، وما دوّن في بعض الأدبيات القديمة وما أشارت إليه بعض الكتب المقدسة.

وقد قامت ممالك وتوسعت حتى وصلت حد الممالك العظيمة والاتساع الإمبراطوري. ثم دبت فيها عوامل الضعف والفناء، واجتاحتها ممالك أقوى منها، فأدى ذلك إلى تحللها إلى مكوناتها وقيام ممالك أصغر أو أكبر منها بحسب أمواج وتفاعلات التاريخ البشري.. وقد تقصى العلامة الباحث العبقري ابن خلدون - رحمه الله - نشأة تلك الممالك وزوالها، وقيام الحضارات والعمران واندثاره، وأسباب ذلك وعوامله وأطواره ومراحله، فتوصل إلى نظريات أساسية في علم التاريخ والاجتماع والسياسة..

وقد ضمن نظريته تلك كتابه المشهور بـ (مقدمة ابن خلدون). وبمقتضى تلك النظريات أو الملاحظات. فإنه أثبت أن الممالك

والحضارات تولد وتتطور، وتشب وتهرم وتموت بأطوار شبيهة جدا بالأطوار التي يمر بها الإنسان..

ويجدر بالإشارة أن فهم منطق التاريخ وسياقه في ذلك ، يهمنا جدا في فهم أسباب ومراحل قيام النظام الدولي والصراع التاريخي بين الممالك والحضارات، لأن هذا يساعدنا على فهم أسباب النهضة والهزيمة في تاريخ المسلمين، ماضيهم وحاضرهم.. ولنفهم ونستنبط ما يشير من الأدلة إلى أن الحضارة الغربية المعاصرة، وآخر مراحلها الحالية بقيادة أمريكا آيلة إلى زوال لا محالة، وأن حضارة الإسلام ماضية إلى بزوغ شمسها وقيام نهضتها بإذن الله. مما يدفعنا للأمل والجد والعمل. فالمستخلص من كلام ابن خلدون – رحمه الله – أنه كما أن الإنسان يولد ضعيفا مرميا على الأرض لا يستطيع حراكا ولا سعيا ويحتاج غيره في كل حاجاته ، ثم يتطور فيحبو على أربع ، ثم ينمو فيشب على قدميه ويسير متعثرا، حتى يستقيم له المسير. ثم يصير غلاما يرتع ويلعب، ثم شابا جلدا صلب العود، فرجلا تاما المدارك والقوى. فإذا ما بلغ الأربعين بلغ أشده وذروة قواه البدنية والعقلية.. ثم يبدأ به الهبوط والتراجع في كافة القوى، فيكتهل ثم يصبح شيخا، ثم شيخا فانيا. كما قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل:70) .

وهكذا يشيب الشعر، ويرق العظم، وينحني الظهر، وهي رسل ملك الموت تؤذن بالرحيل. ثم يسير على ثلاث ؛ رجليه وعكازه، وقد يحبو على أربع ليقضي حاجته كما بدأ، ثم ينطرح في فراشه أرضا لا حراك به حتى يدركه الموت، فيعود من حيث أتى، ونسأل الله حسن الختام.

وقد رأى ابن خلدون ، وأثبتت حوادث الأيام ما رأى ، أن الدول كذلك تمر بهذه الأطوار.. فهي تنشأ وتشب وتستوي قواها ثم تذبل وتضعف، وتنهار قواها ، ثم تموت ليتقاسم إرثها وحضارتها وأراضي شعوبها دول أخرى، وهكذا وكما تتفاوت أعمار الإنسان، تتفاوت أعمار الدول. وكما يموت البعض بسبب أمراض داخلية أو عدوى أمراض خارجية، فكذلك الدول في الغالب. وكما يختطف موت الفجأة أو القتل بعض البشر، فربما هلكت دول بمفاجأة قوى أكبر منها ، أو بالعوارض الطبيعية.. وقد تعمر بعض الدول أشهرا أو سنوات، وقد مر في التاريخ دولا وحضارات قد عمرت آلاف السنين أو مئاتها.. وصدق الله العظيم: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:26) .

ومن المهم الذي أشار إليه ابن خلدون أن الدول تنشأ لاجتماع مؤسسيها على عصبية ما (يقصد رابطة)، قد تكون ملِكا ، أو قرابة،

أو دينا ، أو عرقا قوميا ، أو مصالح مشتركة... فتنشأ عصبية المُلْك. وتبدأ أمرها بقيامهم على العصبية فيما بينهم ، وعلى الخشونة والبأس والتضحية في سعيهم.

وغالبا ما يكون المؤسسون الأوائل زاهدون في المتاع ، منصرفون إلى الحرب والجد والبناء.. ثم يتلوهم جيل يولد في القوة والنعيم فيكتسب صفات من قبله لقربه منها ويحافظ على الملك ويطوره، ولكن بشيء من الترف والمتعة في الملك. ثم يتلوه جيل أقل صلابة وأكثر ترفا وبعدا عن الكد والتعب ، وهكذا حتى تقوم أجيال قد انحلت لديها العصبية، وأرخت قواها ومفاصلها أثار الترف والنعيم ، فيدب الضعف للدولة، فتطمع بها دول أو عصبيات أخرى فتعدوا عليها وتستلب ملكها لتبدأ الدورة مع الجدد من جديد.. وقد تكون أسباب السقوط داخلية أو خارجية وقد تجتمع كل العوامل..

وهكذا وباستعراض تاريخ الأمم والملوك القريب المعروف لدينا منذ دون الإنسان آثاره أي منذ نحو 6000 –7000 عام تقريبا نجد أن حضارات الصين والهند والسند واليونان والرومان والفراعنة وسواها. وما تخلل ذلك من ممالك ثانوية، قد مرت كلها في هذه الأطوار وصدقت ما ذهب إليه ذلك العلامة العظيم – رحمه الله–.

ويجب أن نعلم أن هذه السنة ما تزال سائرة في النظم والدول الحديثة. وقد مرت بها الحضارة الإسلامية إلى أن دب بها الضعف،

وتناهبت إرثها ممالك الحضارة الأوربية. التي انفردت بالسيادة منذ نحو 200 سنة ، إلى أن قام النظام العالمي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية فنشأت أمريكا وروسيا كوريثتين لإرث المستعمرات الأوروبية.. إلى أن أزالت أمريكا وحلفائها حضارة الشرق السوفيتية، ليقوم (النظام العالمي الجديد) على أساس القطب الأوحد المنفرد بالسلطة والقوة لأول مرة في تاريخ البشر المعروف.

وقد قام المؤرخ الإنجليزي المعروف (أرنولد توينبي) المتوفي سنة 1963م بإضافة ملاحظة على منطق سير التاريخ.

إذ لاحظ وتنبأ بناء على ملاحظته أن الحضارة قد تداولت بين الشرق والغرب أربع مرات وهي سائرة للخامسة بلا شك.. فقال أن الحضارة ولدت في الشرق في ممالك السند والهند والصين وفارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثم انتقلت للغرب إلى اليونان ثم الرومان، ثم انتقلت للشرق على يد المسلمين وقامت الحضارة الإسلامية، ثم انتقلت للغرب على يد الحضارة الغربية الأوروبية فالأمريكية.. وقال أنها تسير ولا شك للعودة للشرق والمسلمين بناء على نذر الإنهيار والتحلل في الحضارة الغربية وبذور النهضة والإشراق في الشرق الإسلامي..

وهذا ثابت لدينا في البشائر النبوية وحتى في نبوءات كتب أهل الكتاب القديمة، وقد أوضح كتاب وفلاسفة غربيون معاصرون ذلك

بصورة أصرح. بل كتب بعض الكتاب الأوروبيين والأمريكان مؤخرا كتبا تنبؤوا فيها بسقوط أمريكا والحضارة الغربية في خلال عشرين سنة. وقد مضى على بعض تلك الكتابات نحو عشر سنين.. فسقوطهم لا شك قادم ، ونهوضنا لا شك قائم. وهو غيب في علم الله. نسأل الله أن يشهدنا إياه. أو أن يجعلنا ممن عمل له عملا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلب سليم.

۞۞۞۞۞۞۞

الحضارات والنظام الدولي القديم إلى ظهور الإسلام:

رغم أن الدراسات الأثرية تشير إلى أن حضارات قديمة موغلة في القدم قد قامت وازدهرت في كل أنحاء الأرض وكافة قاراتها. إلا أنه لم يمكن معرفة تاريخ الإنسان بشيء من تفاصيله إلا عندما بدأت الكتابة ويرجع ذلك إلى نحو 6000 أو 7000 عام. ومن أشهر الحضارات القديمة المعروفة، تلك التي قامت في بلاد الصين والهند وفارس، وحضارات العراق القديمة من الآشورية والكلدانية والبابلية وغيرها. وحضارات بلاد الشام كالفنيقية والسومرية والكنعانية، وحضارات جزيرة العرب، كعاد وثمود ، وحضارات اليمن كسبأ وحمير وقوم تبع. وكذلك حضارات مصر الفرعونية ووادي النيل. وحضارات شمال

إفريقيا وقرطاجة، وكذلك حضارة اليونانية. ثم الحضارة الرومانية. وكذلك حضارات الهنود الحمر وقدماءهم في الأمريكتين ولاسيما الجنوبية فيها حيث قامت حضارات متطورة وراقية ..

ومع تطور الحضارات وقيام التواصل بينها عبر علاقات السلم والحرب، بدأ ما يمكن تسميته بـ **النظام الدولي**. حيث تمكنت حضارات وممالك عظمى من بسط سيطرتها على ما جاورها، وكان لها نظما سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كما كان لها سياسات عسكرية داخلها وفي جوارها، ومنازعات مع من جاورها من الإمبراطوريات القوية.

ومن أشهر ذلك ما قام في العالم القديم آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وهو العالم المتواصل جغرافيا وحضاريا مثل ما كان بين حضارة فارس القديمة التي عمرت عدة آلاف من السنين. وحضارة اليونان وصراعها على خط التماس في الشرق الأوسط. وهي مناطق بلاد الشام والعراق وتركيا (أو ما يعرف بهضبة الأناضول أو آسيا الصغرى).. وقد شهدت تلك المرحلة انتصار فارس وتفكك حضارات اليونان وضعفها وتمزقها، ثم نهوضها مرة أخرى وتوحدها على يد القائد التاريخي الإسكندر المقدوني، الذي جمع اليونان ثم غزا بهم المشرق ودحر الفرس ووصل إلى تخوم الصين. كما دخل مصر الفرعونية ومعظم بلاد المشرق.

ثم نهضت فارس ثانية وأقامت إمبراطورية امتد ملكها من بلاد الرافدين في العراق إلى بلاد فارس (إيران) والسند (باكستان) وأفغانستان وأجزاء من وسط آسيا. وفي ذلك الحين نهضت الإمبراطورية الرومانية في شبه الجزيرة الإيطالية وورثت حضارة اليونان وتمددت لتشمل كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط: الشام ومصر وشمال إفريقيا وأجزاء من الأنضول وكافة القارة الأوروبية.

وهكذا آل النظام الدولي القديم إلى وجود حضارتين متنافستين، تتحاربان أيضا على خطوط التماس في الشرق الأوسط، في الشام والعراق!.

وكان لذلك النظام الدولي كثيرا من صفاته في الوقت الحاضر ، من نفوذ الدولتين العظميين على جيرانهم، وتدخلهم في شؤونهم الداخلية. وقيام نظام الحروب بالوكالة بين أتباع الإمبراطورية الفارسية من أعراب العراق وبلاد الرافدين وهم ملوك المناذرة الذين كانوا على دين أسيادهم الفرس مجوسا يعبدون النار مثلهم. وبين أتباع الإمبراطورية الرومانية البيزنطية التي آلت عاصمتها إلى القسطنطينية وهم عرب الشام الغساسنة وكانوا على دين أسيادهم الرومان نصارى مثلهم..

وقد تبادل الروم والفرس النصر والهزيمة مرات عدة في حروب طاحنة أيضا، كما قامت بينهم في أيام السلم علاقات التبادل الحضاري والإقتصادي..

وفي ذلك الوقت كان عرب جزيرة العرب يعيشون في عزلة سياسية تامة عن الجوار، في نظام بدائي متفكك مستقل عما حوله يقوم على تجمعات قبلية وعشائرية متحاربة فيما بينها متفرقة سياسيا لا يجمعها ملك ولا نظام. فقد كانت متفرقة دينيا تعبد كل قبيلة آلهتها وأوثانها. وكان للعرب في الجزيرة نظام اقتصادي بدائي يقوم في معظمه على الرعي، وشيء من الزراعة حول واحات مياه الصحراء، وعلى التجارة وخطها القديم الذي يعبر مكة والمدينة والعقبة من اليمن إلى الشام ويربط بين تجارة المشرق القادمة من الصين والهند بحرا إلى اليمن ، وتجارة الغرب القادمة من بلاد الرومان من الأناضول وشمال الشام. ولم يكن في جزيرة العرب نظام موحد ومستقل إلا في اليمن. حيث قامت ممالك وطيدة الأركان ، إلى أن غزاها الأحباش النصارى حلفاء الرومان، ثم غلب عليها ملوك ارتبطوا بفارس الذين عينوا عليهم حكاما تابعين لهم..

هذه هي الأحوال السياسية وما يمكن أن نسميه اصطلاحا بـ (النظام الدولي) في قلب العالم القديم، أوروبا وشمال إفريقيا ونصف آسيا الغربي..

وفي هذه الأجواء في بدايات القرن السابع الميلادي (610 ميلادي).. بزغ شمس الإسلام، وبعث سيد ولد آدم، وخير الأولين والآخرين، سيدنا مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليه. وبزغت شمس الحضارة

الإسلامية حيث قامت نواة دولة الإسلام وتوحدت جزيرة العرب خلال باقي حياته وبعثته ﷺ التي امتدت 23 سنة. لتدخل دولة الإسلام بذلك معترك النظام الدولي الذي صار يتشكل من ثلاثة أقطاب هم: الروم والفرس ودولة الإسلام. منذ القرن السابع الميلادي.

۞۞۞۞۞۞۞

أهمية معرفة التاريخ:

من الضروري جدا من أجل فهم أحداث الحاضر ، واستقراء المستقبل ، وفهم جدلية صراع الحق والباطل ، سواء على الصعيد الداخلي (بين المسلمين) ، أو على الصعيد الخارجي ، (مع أعدائهم وخاصة الروم). الإلمام ولو بشكل عام ، بالمحطات التاريخية التي مررنا بها نحن المسلمين. وكذلك تاريخ أعدائنا بشكل عام. والمحطات المشتركة بيننا وبينهم. كما أن لهذا فائدة كبرى في فهم سنن النصر والهزيمة ، وأسباب القوة والضعف ، مما يساعد المسلم عامة والمجاهد خاصة ، وقياداتهم الواعية —كما يفترض – على وجه الخصوص. على التحرك في صراعاتنا القائمة والقادمة على بصيرة.

كما أن معرفتنا بتاريخنا المجيد ، تزودنا بدافع قوي ، على المضي قدما على آثار خطى أجداد أماجد طاولوا الثريا رفعة وعزا ، عندما فهموا أننا قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العز في سواه أذلنا الله، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه. (ومن يهن الله فما له من مكرم).

ولذلك نعرض في الصفحات المقبلة لنبذة مختصرة من محطات تاريخنا المجيد وما فيه من دروس وعبر لا تحصى.

ونلي ذلك بلمحة عابرة عن تاريخ أعدائنا الأزليين ..الروم (بني الأصفر). قاتلهم الله.

۞۞۞۞۞۞۞

النظام الدولي زمن البعثة النبوية (صراع الفرس والروم):

ولد رسول الله ﷺ سنة 570م. وأوحي إليه كما هو معروف سنة 610 ميلادية. وكان الروم والفرس يقتسمان سيادة العالم المحيط بالجزيرة العربية، وكان كل منهما يطمع في الاستيلاء على منطقة النفوذ الممتدة من شاطئ الفرات إلى سواحل البحر المتوسط ، ويعمل على تحطيم قوة خصمه العسكرية. ومن أجل ذلك كانت الحروب متصلة بينهما،

وكانت سجالا تقطعها مهادنات لا تطول. وقد اتسمت تلك الحروب بضروب القسوة، من تقتيل وتدمير وتخريب.

وقد اشتد ذلك الصراع بين الدولتين في عهد الملكين:

جوستنيان الأول الذي نصب إمبراطورا على الروم عام (527م).

كسرى الأول (أنوشروان) الذي نصب ملكاً على فارس عام (531م). ففي عام (546م) شن كسرى أنوشروان حربا على الروم وانقض على سورية الشمالية فاستولى على أنطاكية عاصمة الشرق آنئذ، واستولى على الرها (أوذيسا) وقنسرين وحلب ومدن أخرى، ونقل آلاف الأسرى من أنطاكية إلى مدينة بناها على غرارها بالقرب من المدائن دعاها (أنطاكية) وعرفت باسم (الرومية)، وولي عليها رجلا من نصارى الأهواز.

لم يستطع جوستنيان صد كسرى عن بلاده لاشتغاله بحروبه مع قبائل (الآفار) و (السلاف) الذين كانوا يغيرون على حدود مملكته من جهة أوروبا، وقد اضطر أن يعقد صلحا مع كسرى. وفي عام (563م)، تم هذا الصلح على أن ينسحب كسرى من البلاد التي احتلها لقاء فدية كبيرة وجزية سنوية يدفعها الروم.

وفي عام (565م) مات جوستنيان الأول وخلفه جوستنيان الثاني فنقض الصلح الذي أبرمه سلفه مع كسرى، فارتد كسرى على سورية

فدمرها. ويموت جوستنيان الثاني عام (578م) فيخلفه الإمبراطور (تيبريوس) فيصالح كسرى على مال وجزية.

وفي عام (579م) يموت كسرى أنوشروان فيخلفه ابنه (هرمز)، ويموت كذلك (تيبريوس) فيخلفه الإمبراطور (موريس) وتتألب قبائل الترك في الشمال الشرقي لفارس بعد موت كسرى، فيرسل هرمز لحربهم جيشا بقيادة قائد يدعى (بهرام) فيهزمهم ويغنم أموالهم، ويغريه النصر فينقلب على مليكه هرمز ويخلعه ويسمله، ويستولي على الملك.

ويحاول كسرى الثاني (أبرويز) ابن هرمز أن يسترد عرش أبيه فلم يفلح، فيلجأ إلى إمبراطور الروم (موريس) يستنصره على (بهرام)، فيكرمه الإمبراطور ويستجيب لنصرته ويزوجه ابنته ويمده بجيش عظيم يتغلب به على (بهرام) ويسترد عرش أبيه ويخلفه في الملك.

وفي عام (602م) يغتال القائد البيزنطي (فوكاس) الإمبراطور (موريس)، ويستولي على الحكم وينصب نفسه إمبراطورا ويقتل أبناء موريس إلا واحدا منهم استطاع النجاة والهرب، فلجأ إلى كسرى أبرويز يستنصره على (فوكاس) كما نصره أبوه على (بهرام) من قبل، فيطلب كسرى من الروم تنصيبه ملكا خلفا لأبيه ويهددهم بحرب إذا لم يفعلوا فيرفضون.

ويشن كسرى إبرويز حربا ضروسا على الروم ويستولي فيها على بلاد الشام ومصر والنوبة، ويحمل خشبة الصليب (المزعوم) من بيت

المقـدس إلى المـدائن عاصـمة الفـرس ، ثم يوجـه جيشـا كثيفـا إلى القسـطنطينية فيحاصـرها ويسـتعين علـى حصـارها بقبائـل (الآفـار) و (السـلاف)، أعـداء البيزنطيين، فيحاصـرونها مـن جهـة أوروبا، ويتمكـن (هرقل) قائد الجيش البيزنطي من فك الحصار عن القسطنطينية. حيث استطاع بمحالفـة الـترك، أعـداء الفـرس، طـرد جـيش كسـرى مـن بـلاد الروم.

وفي عام (610م) وهو عـام البعثة النبوية ، يخلع (هرقل) الإمبراطور (فوكـاس)، لمـا شـاع مـن فسـاد حكمـه، ويدفعـه إلى الشـعب فيقتلـه وينصـب الجـيش هرقـل لتغلبـه عـن الفـرس وخلعـه ملكـا ضـالا. ويشـن هرقل حربا على الفرس يسترد بها ماكانوا قد استولوا عليه من بلاد الروم، ثم يهـاجمهم في بلادهـم ويكسـر جيوشـهم في وقعة (نينوى) عـام (627 م) ويحمل كثيرا من أموالهم ويفرض عليهم جزية سنوية.

وقد كانت هذه الوقعة آخر الحروب بين الفرس والروم، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْـدِ غَلَـبِهِمْ سَـيَغْلِبُونَ ﴾ وبعـد هـذه الوقعـة جـاء دور المسـلمين فاكتسحوا الدولتين في آن واحد بقوة الواحد الأحد.

۞۞۞۞۞۞۞

خلاصة تاريخ الدول والممالك في التاريخ العربي والإسلامي منذ قيام الدولة النبوية وإلى أيامنا هذه (1 هـ - 622 م/ 1425 هـ - 2004م)[36]

الدولة النبويّة (1-11هـ)

في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول (24 أيلول- سبتمبر 622م) من السنة الثالثة عشرة للبعثة، وصل رسول الله ﷺ إلى يثرب لتكون أول عاصمة لدولة الإسلام وتسمى المدينة المنورة ، وتصبح منطلقا

[36] اعتمدت في كتابة هذا الفصل (الفصل الثالث) الذي يحوي الملخص التاريخي ، على عدد من الأقراص الإلكترونية التي تحوي برامج في التاريخ الإسلامي , بالإضافة لعدد من المراجع التاريخية. وقد قمت بإعادة صياغة ما نقلته عن تلك البرامج والمراجع بتصرف كبير جدا ، لأن غالبها كتب بأيد غير إسلامية , أو ربما معادية للإسلام حاقدة على تاريخ المسلمين أو بعض صناعه. وقد افتقرت للأمانة أحيانا ، وقد تخلل مادتها شيء من التزوير أحيانا , ولم تحترم قداسة بعض الشخصيات ذات المكانة الدينية (كالصحابة) رضوان الله عليهم . ولا مكانة بعض الخلفاء والملوك والصالحين المشهود لهم بحسن السيرة والمكانة. وأكثرها كتب بنفس قومي علماني، وليس إسلامي ولا محايد.

وقد استفدت من تلك المراجع في المعلومات العامة والتواريخ ، ونقل بعض النصوص التي لم يتخللها ما يشين في التاريخ الإسلامي. وقمت بتعديل كل ما استوقفني من تشويه أو صيغة غير مناسبة. بما يشبه عمليات التجميل الجراحية الدقيقة. وقد ساعدني على ذلك ما قد يسر الله لي من دراسة التاريخ دراسة أكاديمية ، ثم تعمقي فيه بجهود دراسية ذاتية وخاصة في التاريخ الإسلامي ، وكتب التاريخ السياسي المعاصر .. وعملي في مجال الصحافة والإعلام.

وعموما وللأمانة العلمية ، فإني أذكر هنا أهم مراجع هذا الفصل هي :

1- برنامج تاريخ الإسلام –إنتاج مؤسسة حرف – بتصريح من الأزهر (الذي كان شريفا). – كما وصفه الشيخ ابراهيم عزت رحمه الله – وهو مصدر أساس النص ، وعليه تمت التعديلات والتصحيح بتصرف واسع جدا.

2- برنامج التاريخ الإسلامي – إنتاج مؤسسة صخر .

3- كتاب تاريخ الدولة العثمانية – لفريد بك المحامي. وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1909. و يتضح فيه نفسه الماسوني ، وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله , ونفسه الشعوبي التركي ، وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف.

4- كتاب البداية والنهاية لابن كثير – رحمه الله – وهو المرجع الذي اعتمدته في تصحيح كثير مما مر من أخطاء في ما سبق من مراجع.

5- مؤلفات شهيد الإسلام الشيخ عبد الله عزام ، ولاسيما كتبه (خط التحول التاريخي ، أضواء على القومية العربية ، السرطان الأحمر)

6- مراجع أخرى ، ومعلومات خاصة جمعتها من وسائل الإعلام ومن مصادر معلوماتية أخرى ....(**المؤلف**).

لجيوش المسلمين الفاتحة. حيث اعتبرت سنة الهجرة في عهد عمر ﷺ بداية لتاريخ الإسلام.

أهم أحداث العصر النبوي من هجرة الرسول ﷺ إلى وفاته:

و يمكن تلخيص أهم المحطات في تلك الفترة بالنقاط التالية:

- **وقعة بدر (2 هـ):**

في رمضان من السنة الثانية للهجرة ، علم النبي ﷺ أن قافلة كبيرة قادمة من الشام عليها أبو سفيان ابن حرب، وأنها ستمر ببدر تستقي من مائها وتريح فيها.

فجهز النبي ﷺ حملة من ثلاثمائة رجل ونيف، واتجه بها إلى بدر ليفجأ القافلة، وراع قريشا ما سمعوا وتنادوا إلى حرب المسلمين. ومع أن أبا سفيان أرسل بعد ذلك يخبرهم أنه تحول إلى الساحل ونجا من المسلمين ودعاهم إلى الرجوع إلى مكة إلا أن كبراء قريش عزموا على قتال المسلمين.

وفي 17 رمضان من تلك السنة التقى الجمعان في أول معركة تفجرت فيها طاقة الإيمان وانتصر فيها المسلمون على قلة عددهم وقتلوا نحو سبعين من أبطال قريش ورءوسهم، وأسروا مثل ذلك.

لقد كانت وقعة بدر فاتحة التاريخ الإسلامي ، فلم تكن حربا بين متكافئين في العدد والعدة، وإنما كانت حربا بين حب العقيدة التي تطلب من أجلها الشهادة، وبين حب المال الذي تطلب من أجله الحياة، **ولا يمكن لطالب الحياة أن يقهر طالب الشهادة.**

وهذا هو العامل الأساسي الذي جعل العرب بعد إسلامهم يغلبون بأعداد قليلة جيوش الدول العظمى من حولهم - بفضل الله - في حروب الفتوح.

- **نقض اليهود عهد النبي:**

عاد النبي ﷺ إلى المدينة فوجد اليهود قد تغيرت قلوبهم، فقد آلمهم نصر المسلمين ببدر، ولم يحتسبوه ولم يصبروا على كتمان ما في نفوسهم.

وكان بنو قينقاع أكثر اليهود سخطا لهذا النصر وتهوينا من شأنه، فأخذوا ينفسون على المسلمين ما نالوا من فوز ويتحدونهم ويتحرشون بهم ، فحاصرهم رسول الله ﷺ في حصونهم، فاستسلموا له واكتفى النبي ﷺ بإجلائهم عن المدينة وإبعادهم إلى بلاد الشام.

- **وقعة أحد (3 هـ):**

ثارت ثائرة اليهود لما حل ببني قينقاع ، فأخذوا يغرون الأعراب بالإغارة على المدينة والاعتداء على المسلمين. كذلك أخذوا يحرضون قريشا على حرب المسلمين ليثأروا لقتلاهم في وقعة بدر ووعدوهم بمظاهرتهم في الحرب، وكان أشد المحرضين اثنان من رؤساء يهود بني النضير وهما: كعب الأشرف ، وسلام ابن أبي الحقيق.

فتطوع فريق من الأنصار لاغتيالهما بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهما.

تأثرت قريش بتحريض اليهود، فجهزت جموعها لحرب المسلمين، وتوجهت قريش بمن حشدت نحو المدينة يقود حشدها أبو سفيان ابن حرب.

ولما علم النبي ﷺ بذلك جهز جيشا وخرج بهم إلى جبل أحد القريب من المدينة ووضع خيرة الرماة في أعلى الجبل لحماية ظهور المسلمين.

وظهرت طلائع النصر وتراجعت قريش يتبعهم المسلمون ويجمعون ما غنموه منهم. وظن رماة المسلمين أن المعركة قد انتهت فأخلوا أماكنهم وسارعوا لينالوا نصيبهم من الغنائم. واهتبل خالد بن الوليد الفرصة، وكان يقود رماة المشركين، فصعد الجبل من الخلف وأخذ يمطر المسلمين بوابل من السهام، وارتدت جموع قريش عليهم، فأصبحوا بين

نارين واضطربت صفوفهم وعم الذعر فيهم حتى قتل بعضهم بعضا وانهزم من نجا من القتل.

وقد قتل في هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا من المسلمين بينهم بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ، قتله (وحشي) أحد رماة الأحباش، وأصيب النبي ﷺ بجرح في وجنته وشج رأسه الشريف. وصاح صائح قريش أن مُحَّدا قد قتل، وصدق المشركون وكفوا عن القتال وانسحبوا، فقد نالوا - بظنهم- ما كانوا يبتغون.

- **اليهود يحاولون اغتيال النبي ﷺ:**

لم يهنأ يهود بني النضير بنجاة النبي ﷺ، فعقدوا العزم على اغتياله أخذا بثأر ابن الأشرف وابن أبي الحقيق، ففشلوا وانكشف أمرهم وعلموا أن النبي ﷺ سيعاقبهم فآووا إلى حصونهم.

فحمل عليهم النبي ﷺ وحاصرهم، ولما استيأسوا طلبوا أن يأذن لهم بالخروج من المدينة كما خرج بنو قينقاع، فاستجاب لهم وخرجوا بأموالهم، ونزل فريق منهم في خيبر وانضموا إلى يهودها، وتابع الآخرون مسيرتهم إلى بلاد الشام.

- **وقعة الخندق (5 هـ):**

لم يبق من يهود المدينة سوى بني قريظة، وقد آلمهم ما حل بإخوانهم بني قينقاع وبني النضير، ورأوا أن يؤلبوا قريشا وأحلافهم من قبائل العرب على حرب المسلمين والقضاء على دولتهم، وتعهدوا بمظاهرتهم في هذه الحرب.

وحشدت قريش ونادت أحلافها وأحزابها فجاءوها برجالهم يلبون نداءها، وبلغ الحشد عشرة آلاف مقاتل.

وعلم النبي ﷺ بخبر هذه الحملة العظيمة فاستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يقف المسلمون موقف المدافع عن مدينتهم، وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة يقف الرماة دونه، يمنعون من يحاول اجتيازه من المشركين.

وجاء من يخبر النبي ﷺ بما فعل بنو قريظة فأرسل إليهم سيدين من سادة الأنصار هما سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج لتذكيرهم بعهد النبي ﷺ ونهيهم عن الغدر بالمسلمين وتحذيرهم عاقبته، فسخروا منهما وأظهروا عزمهم على مظاهرة قريش.

ولما وصل جيش المشركين وقف دون الخندق ولم يستطع الدخول إلى المدينة وأخذ رماة المسلمين يصرعون من يحاول اجتياز الخندق، ودام الحصار شهرا حتى برم حلفاء قريش (الأحزاب) بطول الانتظار

وفوت ما كانوا يأملون من الغنائم، ووقع الخلف والشقاق بينهم وبين قريش.

وهنا يسر الله إسلام زعيم من زعماء العرب هو نعيم بن مسعود الأشجعي. وكان قد قدم مع قومه بني الأشجع لقتال المسلمين مع من قدم من أحلاف قريش، فأعلن إسلامه وطلب من النبي ﷺ أن يشترك مع المسلمين في الدفاع عن المدينة فطلب منه الرسول أن يخفي إسلامه وأن يخذل قريشا وبني قريظة ويوقع بينهما الشقاق، ففعل ونجحت الخطة.

ثم أرسل الله ريحا عاتية على جيش قريش والأحلاف فانتزعت الخيام وكفأت القدور وملأت الأفواه والعيون بالرماد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العون الإلهي بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

وكان الأحزاب قد سئموا الانتظار وطول الحصار، فأخذوا يتراجعون، وارتدت قريش وهي تتجرع غيظها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾.

تحكيم سعد بن معاذ بما فعل يهود بني قريظة: فور انتهاء غزوة الخندق جهز النبي ﷺ سرية وتوجه إلى بني قريظة ليعاقبهم على نقضهم العهد، فتحصنوا في حصونهم، ولما اشتد عليهم الحصار طلبوا

تحكيم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه، واستجاب النبي ﷺ لطلبهم، فحكم سعد بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، ونفذ النبي صلى الله عليه وسلم حكم سعد فيهم.

تحول المسلمين من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم:

بعد أن خلت المدينة من اليهود، وسلم الإسلام من منافسة اليهودية، وسلم المسلمون من مكر اليهود وخداعهم، تحول المسلمون من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.

وبدأ النبي بغزو القبائل المشركة الموالية لقريش ليثبت أن بالمسلمين قوة وأنه لم يصبهم وهن بعد وقعة أحد ووقعة الخندق، فانتصر وعاد بمغانم كبيرة، وعلمت القبائل أن لا طاقة لها بقتال المسلمين.

- **صلح الحديبية (6 هـ):**

في أواخر شهر شوال من السنة السادسة للهجرة، أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منها، وكان المهاجرون قد اشتد شوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم.

وسار النبي ﷺ بألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، لا يحملون من آلات الحرب إلا السيوف في القرب، ولبسوا لباس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنما كان للحماية مما قد يعترضهم في الطريق.

ووصلت قافلة المسلمين إلى الحديبية القريبة من مكة. ولما علمت قريش بقدوم نبينا مُحَّمد ﷺ وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكة وكان شهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال.

وأرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان ليفاوض قريشا، وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل. وهنا عزم النبي ﷺ على دخول مكة.

واستجاب المسلمون لما عزم عليه النبي ﷺ وبايعوه على الموت وهو جالس في ظل شجرة، وقد أثنى الله على المبايعين ورضي عنهم في آية نزلت بهذه المناسبة:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ومن ثم دعيت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

لم يقتل عثمان ﷺ، كما كان أشيع وعاد إلى الحديبية (وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في

العام المقبل، لكي لا يقول العرب أن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة.

ووافق النبي ﷺ على مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاقا بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبية وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

وقد تضمن عقد الصلح شروطا منها أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين، وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد مُحَمَّد من غير قريش دخل فيه، والدخول في العهد محالفة توجب مناصرة الحليف إذا ما استنصره واستنجد به، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

- **غزو المدن اليهودية:**

أتاحت الهدنة بين النبي ﷺ، وبين قريش، أن يفرغ النبي لحرب من تبقى من اليهود في جزيرة العرب، فقد كان إلى جانب يهود المدينة جاليات يهودية تقطن في خيبر ووادي القرى وفي فدك وتيماء، وهي مدن تقع على الحدود الفاصلة بين شمال بلاد العرب وبلاد الروم.

وقد كان يهود تلك المدن يثيرون الأعراب على المسلمين، فجهز النبي ﷺ حملة على أولئك الأعراب فأخضعهم، وتوجه بعد ذلك إلى خيبر فافتتحها واستسلم يهود المدن الأخرى دون حرب.

وكان النبي ﷺ متسامحا مع اليهود، فأبقاهم في أراضيهم واستعملهم في الزراعة على أن يجليهم متى شاء.

- **عمرة القضاء (7 هـ) :**

ومضت السنة الأولى من الهدنة، فتوجه النبي ﷺ مع جميع المسلمين إلى مكة لقضاء العمرة، وأمضوا فيها ثلاثة أيام، ثم خرجوا منها كما قضى بذلك صلح الحديبية.

وقد عاين رجال قريش سلوك المسلمين عن كثب، فوجدوا فيهم قوما آخرين، صاغهم الإسلام صوغا جديدا، وأخذ كثير منهم يفكرون ويتدبرون مبادئ الإسلام، وسرعان ما أقبل جماعات منهم إلى المدينة مسلمين، ومن هؤلاء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، وهم من سادة قريش وأبطالها، ممن شاركوا في قتال المسلمين من قبل.

- **الرسول يوجه رسائل إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة:**

أخذ الإسلام ينتشر في جزيرة العرب بعد الانتصارات التي حققها النبي ﷺ في أعقاب صلح الحديبية ورأى النبي ﷺ أن تبلغ دعوته مسامع ملوك وأمراء الدول المجاورة، فأرسل إليهم كتبا مع سفراء يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب البعض لدعوته كالمنذر بن ساوى أمير البحرين ورد الآخرون السفراء.

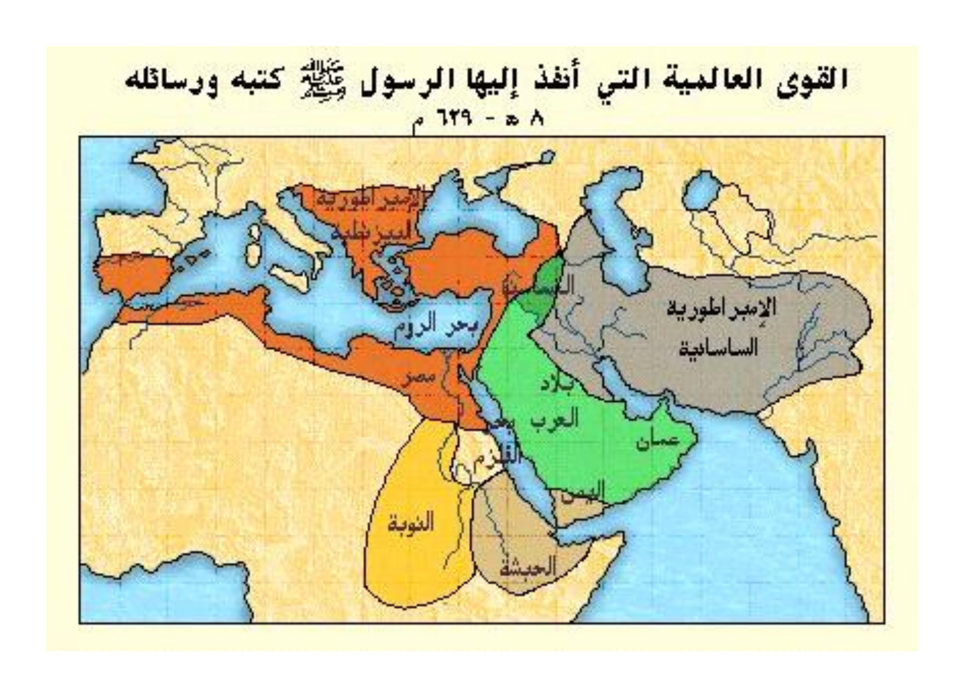
فمنهم من كان رده جميلا كملك الروم والمقوقس صاحب مصر، ومنهم من كان رده قبيحا ككسرى أبرويز ملك فارس فقد مزق كتاب النبي ﷺ . وكذلك شرحبيل أمير غسان الذي سخر من الدعوة للإسلام ، وقتل سفير رسول الله ﷺ (الحارث بن عمير الأزدي) رضي الله عنه.

- **الرسول يجهز حملة انتقام لقتل سفيره الحارث بن عمرو : وقعة مؤتة :**

كان قتل هذا السفير شديد الوقع على رسول الله ﷺ ، فجهز حملة عدتها ثلاثة آلاف رجل لحرب الغساسنة، وجعل قيادتها لزيد بن حارثة. ولما علم الغساسنة بأمرها استنجدوا بحلفائهم الروم فانجدوهم بجيش عظيم. وكان اللقاء في (مؤتة).

وفي تلك المعركة قتل زيد بن حارثة قائد الجيش، وقتل من بعده عبد الله بن رواحة ثم جعفر ابن أبي طالب ﷺ ، ثم انتدب الناس خالد بن الوليد لتولي قيادته، وأدرك أن في استمرار المعركة فناء جيش المسلمين، فانسحب بخطة عسكرية باهرة، إذ أثار الغبار خلف جيشه المنسحب، فأوهم الروم أن مددا ضخما جاء من المدينة وأرهبتهم حيلة خالد فتوقفوا عن تتبع الجيش المنسحب.

وبهذا الانسحاب ظهرت مهارة خالد الحربية وارتقى إلى صف القادة الذين رفعوا راية الإسلام. وكانت وقعة مؤتة فاتحة النضال للفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة. **وبداية الصراع بين المسلمين والروم.**



- **فتح مكة (8 هـ):**

وجاءت السنة الثامنة للهجرة وقد كثر عدد المسلمين بدخول كثير من القبائل في الإسلام. ويشاء الله أن تنقض قريش عهدها مع المسلمين، فقد عدت قبيلة بني بكر على قبيلة خزاعة، وكان بنو بكر قد دخلوا في عهد قريش ودخل بنو خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فانتصرت قريش لحلفائها واستنجدت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وحانت بذلك فرصة لفتح مكة.

فقد أصبحت قريش في عزلة بعد أن أسلمت أكثر القبائل العربية وفقدت قريش في حروبها مع المسلمين كثيرا من رجالها، ولحق بالمسلمين جمع من أبطالها المغاوير.

أعد النبي ﷺ جيشا عظيما من المهاجرين والأنصار وانضمت إليه القبائل التي أسلمت، وأعلن النبي ﷺ أنه يريد مكة لحرب قريش التي نقضت عهدها.

وسار الجيش يتبع قائده العظيم عليه الصلاة والسلام. وعسكر خارج مكة ورأت قريش أن النبي ﷺ جاء ومعه جمع كبير من العرب وأنه لا طاقة لها بحربهم، فاستسلمت. وجاء العباس، عم النبي ومعه أبو سفيان فأسلما وفتحا له أبواب البلد الحرام، وقبل أن يدخلها استعرض الجيش بحضورهما، فمرت سراياه أمامهما وهي تهتف: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

ودخل النبي ﷺ مع الجيش إلى مكة وتوجه إلى الكعبة راكبا ناقته بتواضع جم ، فأخذ بتحطيم الأصنام ومحو الصور من جدران الكعبة، ثم أمر بلالا الحبشي أن يصعد إلى سطح الكعبة فأذن بالناس معلنا هزيمة الشرك.

- **غزو ثقيف و هوازن (8 هـ) :**

انضمت قريش إلى صفوف المسلمين وانتظمت معهم في جيشه لحرب قبيلتي هوازن وثقيف ، وقد رفضوا الدخول في الإسلام. والتقى المسلمون مع هوازن في (وادي حنين) وانتصروا عليهم بعد حرب ضروس، كاد أن يغلب فيها المسلمون لولا ثبات النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حاصر المسلمون ثقيفا في مدينتهم (الطائف) فاضطروا للاستسلام، ودخلت هوازن و ثقيف في الإسلام.

- **المسيرة النبوية لقتال الروم : غزو تبوك و دومة الجندل (9 هـ) :**

عاد النبي إلى المدينة بعد فتح مكة وكانت السنة التاسعة للهجرة قد حلت، فجهز جيشا كبيرا عدته أربعون ألف رجل، وسار به نحو (مؤتة) يريد أن يثأر لما حل بجيش المسلمين فيها. ولما وصل إلى مدينة تبوك عسكر فيها، وعلم الروم بقدومه فلم يتقدموا لحربه، فقد راعهم

لقاء هذا الجيش الكبير، يقوده رجال لا يعرفون الهزيمة، واتخذ جيش الروم مكانه داخل بلاده مدافعا بعد أن كان يريد الهجوم.

واكتفى النبي ﷺ بما أحدثه من رهبة في قلوب الروم، وعقد بعض المعاهدات مع مدن الحدود وكانوا على النصرانية مقابل تعهدهم بدفع الجزية، واستعصت (دومة الجندل)، فأرسل النبي ﷺ خالد بن الوليد على رأس سرية فأخضعها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك فقدم به المدينة فأسلم وعقد معه النبي ﷺ معاهدة ورده إلى قومه، وكانت غزوة تبوك آخر غزوات النبي ﷺ.

- **إقبال وفود القبائل العربية إلى المدينة وإعلان إسلامها:**

وبلغت مسامع العرب انتصارات النبي ﷺ بفتح مكة وإسلام قريش وإسلام ثقيف و هوازن ، وإخضاع صاحب دومة الجندل ودخول مدن الحدود الشمالية في عهد النبي وتعهدها بدفع الجزية إليه. فأقبلت وفود القبائل العربية من كل فج تعلن إسلامها، فكان النبي يعرفها بعقيدة الإسلام ومبادئه ويرسل معها من يختاره لها من صحابته ليعلمها شعائر الدين ويبين لها أحكامه.

- **إنذار من بقي على الشرك من العرب (9 هـ) :**

أما من بقي على الشرك من العرب فقد أمهلوا أربعة أشهر، فإذا انقضت ولم يسلموا فقد أمر النبي بقتالهم حتى ينتزع الشرك من جزيرة العرب.

وقد نزل بهذا الإنذار نص قرآني في مطلع سورة التوبة المعروفة بسورة (براءة) وهو: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾. ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾. وقد تلا هذا الإنذار علي ابن أبي طالب على مسامع المسلمين في موسم الحج من السنة التاسعة.

ولم تمض تلك السنة حتى دانت جزيرة العرب بدين الإسلام وتوحدت في دولة واحدة وفرضت الزكاة على المسلمين، وعين النبي ﷺ مطارحها ومقاديرها وأرسل عمالا لجبايتها.

- **حجة الوداع (10 هـ) :**

وهلت السنة العاشرة للهجرة وقد دخل العرب في الدين الجديد وانتظموا تحت راية الإسلام، وأقبل موسم الحج فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من مئة ألف مسلم حاجا، وخطب في عرفات في هذه الجموع مودعا، وفيها بين أركان الإسلام وأعلن المساواة بين

المسلمين وجعل تقوى الله معيار التفاضل بينهم، وتلا آخر آية من آيات التنزيل الحكيم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ وبهذه الخطبة اختتم النبي العظيم ﷺ مهمته في أداء رسالته وفي تجهيز العرب بالطاقة الإيمانية ليكونوا رسلها إلى العالم.

- **ظهور حركة الردة :**

لم يكد النبي ﷺ يفرغ من حجة الوداع حتى ظهرت في اليمن حركة الارتداد عن الإسلام وقد تزعمها مشعوذ يدعى (عيهلة بن كعب العنسي) ويعرف بالأسود العنسي، وقد استهوى قومه بما أراهم من ضلالات سحره فاتبعوه.

وسرت حركة الردة إلى اليمامة وظهر فيها رجل من بني حنيفة يدعى مسيلمة بن ثمامة، وأرسل إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يشركه في أمره، ودعاه النبي ﷺ ، مسيلمة الكذاب.

واتسع خطر الأسود العنسي في السنة الحادية عشرة للهجرة، فأرسل النبي ﷺ إلى من بقي في اليمن من المسلمين يحضهم على قتله فاغتالوه، وقضي على حركة الردة في اليمن بعد مقتله، ولكنها ظلت قائمة في اليمامة حتى خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقضى عليها في عهده.

- **مرض الرسول ووفاته (11 هـ) :**

وفي مطلع ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، مرض رسول الله ﷺ وقبضه الله إلى جواره في يوم الاثنين الثاني عشر من ذلك الشهر. وبانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى. ختمت حياة خاتم الأنبياء وأعظم العظماء في تاريخ الإنسانية.

۞۞۞۞۞۞۞

الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (11 – 41 هـ)

- **مدة خلافة الخلفاء الراشدين وأعمارهم:**

❖ **أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –:** سنتان وثلاثة أشهر توفي في جمادى الآخرة سنة 13هـ عن 63 عاما.

❖ **عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –:** 10سنوات وستة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 23هـ عن 63 عاما.

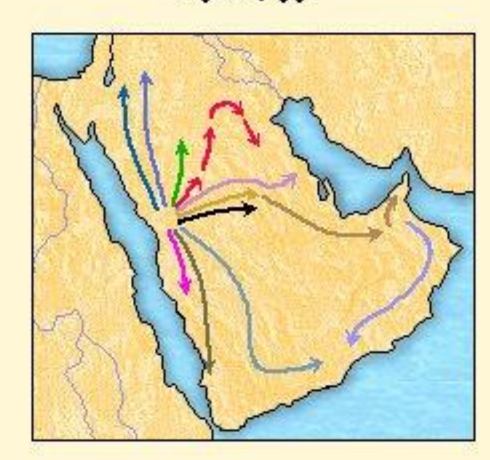
❖ **عثمان بن عفان – رضي الله عنه –:** اثنتا عشر سنة توفي في ذي الحجة سنة 36هـ عن 82 عاما.

❖ **علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –:** 4 سنوات وتسعة أشهر توفي في رمضان سنة 40هـ عن 60 عاما.

- **خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (11– 13 هـ):**

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. أسفرت الشورى بين المسلمين عن بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان من أهم إنجازات أبي بكر رضي الله عنه خلال مدته القصيرة، قمع المرتدين ، وإنفاذ جيش إسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في الشام ، وكذلك إطلاقه رضي الله عنه حركة الفتح الإسلامي نحو العراق.



حروب الردة [١١ هـ]

- هجوم أبي بكر على عبس وذبيان
- جيش خالد بن الوليد إلى طيىء ثم أسد ثم تميم ثم حنيفة
- جيش عكرمة بن أبي جهل إلى بني حنيفة
- جيش شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة إلى بني حنيفة
- جيش طريفة بن حاجز إلى سليم وهوازن
- جيش عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث
- جيش خالد بن سعيد إلى مشارف الشام
- جيش العلاء بن الحضرمي إلى البحرين
- جيش حذيفة بن محصن إلى دبا بعمان
- جيش عرفجة بن هرثمة إلى مهرة
- جيش المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء ثم حضرموت
- جيش سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن



جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح	حمص
جيش يزيد بن أبي سفيان	دمشق
جيش شرحبيل بن حسنه	الأردن
جيش عمرو بن العاص	فلسطين
مدد خالد بن الوليد	

- **خلافة عمر بن الخطاب ﷺ (13- 23 هـ):**

عهد سيدنا أبو بكر أثناء مرضه بالخلافة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان قد استشار فيه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، فذكرا فضله وحمدا رأي أبي بكر. ثم ظهر أبو بكر للناس في المسجد وقال لهم: هل ترضون بمن أستخلف عليكم، فما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة.

ويروي الإمام السيوطي عن ابن عساكر أن عليا ابن أبي طالب قام فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر، فقال أبو بكر: هو عمر فاسمعوا له وأطيعوا، ثم أحضر أبو بكر عمر وقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله. ولما توفي أبو بكر بايع الناس عمر بمن فيهم علي ابن أبي طالب، ومعه بنو هاشم رضي الله عنهم أجمعين. وتولى عليّ القضاء لعمر مدة خلافته. وزوجه ابنته أم كلثوم ، وهي بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وولدت له ابنه زيدا وابنته رقية. وقد رتب الفقهاء على الطريقة التي جرى فيها استخلاف عمر قاعدة في أصول الحكم. وهي جواز انعقاد الخلافة بعهد من قبل الخليفة السابق.

امتدت ولاية عمر عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وانتهت حياته بيد أبي لؤلؤة المجوسي الذي اغتاله في فجر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة 23 للهجرة. وقد تولى اغتيال

عمر بمؤامرة دبرها الهرمزان القائد الفارسي، الذي أسره المسلمون سنة 17هـ في وقعة (تستر) وأرسل إلى عمر بن الخطاب بطلب منه، فأراد عمر قتله ولكنه نجا من القتل بإعلان إسلامه. ولما قتل عمر أقدم ابنه عبيد الله فقتل الهرمزان.

كان عدل عمر ﷺ أشهر من أن يشار إليه ، وكان من أهم الإنجازات في عهده ، **فتح الشام والعراق ومصر، وأكثر بلاد فارس** حيث وصلت جيوش المسلمين إلى أذربيجان.

- **خلافة عثمان بن عفان ﷺ (23– 36 هـ):**

لما اغتيل عمر ﷺ ، طُلب إليه أن يولي ابنه عبد الله بن عمر فأجاب: ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي بحسب آل عمر أن يحاسب واحد منهم.

وقد رأى أن يختار ستة من أجل صحابة رسول الله ﷺ ، ممن بشرهم بالجنة ليتشاوروا فيما بينهم ويختاروا للخلافة واحدا منهم، وهم: عثمان ابن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم ، وأوصى أن يحضر معهم ابنه عبد الله بن عمر على أن لا يكون له من الأمر شيء، بل ليحكم بينهم إذا اختلفوا.

دعا عمر أصحاب الشورى وأمرهم أن يجتمعوا بعد وفاته، وحدد لهم مهلة ثلاثة أيام تلي وفاته ليختاروا في خلالها خليفة منهم، وعين المقداد بن الأسود حاجبا لهم ، وقال له: إن أجمع خمسة على رجل منهم وأبى الآخر فاضرب عنقه، وإن أجمع ثلاثة على واحد، وثلاثة على واحد، فليحكموا عبد الله بن عمر فأي الفريقين حكم له فليختاروا خليفة منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فليكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ثم بين عمر فضل كل واحد منهم وامتدح مزاياه، وقال: ما أظن أن يلي الخلافة إلا أحد رجلين: علي أو عثمان.

وفعلا أسفرت الشورى عن اختيار عثمان ﵁ وبايعه الصحابة. وتميزت فترة عثمان ﵁ باتساع الفتوحات ، حيث سقط آخر الأكاسرة وقتل ، ودخلت بلاد فارس في الإسلام. كما توغل جيش الصحابة الفاتحين في شمال إفريقيا ، وعبر إلى الأندلس ، ولكنه لم يمكث فيها. وفتحت منطقة بلاد الري وأعالي الجزيرة حول بحر قزوين إلى تخوم الأناضول. وهكذا أقبلت الدنيا على المسلمين تماما كما بشرهم بها رسول الله ﷺ.

ثم نزغ الشيطان وتسلل الخلاف ، واستغل رؤوس الفتنة بعض الملاحظات التي أثيرت حول سياسات ذي النورين عثمان ﵁ وحصلت الفتنة المشهورة ، التي تولى كبرها أوباش من الناس ، والتي

أسفرت عن حصاره وقتله في بيته رضي الله عنه وأرضاه. لتفتح على الأمة فتنة لم ترتق بعد آثاها إلى يومنا هذا.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

- **خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (36– 40 هـ):**

بعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليا ابن أبي طالب رضي الله عنهما وقام بنو أمية يطالبون بدم عثمان المظلوم ، متهمين عليا بحماية قاتليه، وانضمت إليهم السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق وزوج النبي صلى الله عليه وسلم. ووقعت الفتن المشهورة التي كان فيها موقعة الجمل ، ثم انحاز معاوية بن أبي سفيان بأهل الشام، حيث تمركز علي رضي الله عنه في العراق ، ووقعت الفتنة الكبرى .. ثم حصلت واقعة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية ، وفشلت وأسفرت عن ميلاد فرقة الخوارج.

وصمم الخوارج على قتل علي ابن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وعمرو ابن العاص ، وتطوع ثلاثة لهذه المهمة، وهم: عبد الرحمن بن ملجم وقد ضمن قتل علي ، والحجاج بن عبد الله البرك التميمي وقد ضمن قتل معاوية. وعمرو بن بكر التميمي وقد ضمن قتل عمرو بن العاص. وقد نفذ الملعون ابن ملجم ما ضمنه فقتل عليا رضي الله عنه. وأخفق الآخران ، فنجا معاوية وعمرو بن العاص. رضي الله عنهم أجمعين.

- **خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (40–41 هـ):**

بويع الحسن بالخلافة بعد اغتيال أبيه، وبلغه أن معاوية ابن أبي سفيان قد سار إلى حربه وإسقاط الخلافة عنه وأنه نزل (مسكن)، فجهز الحسن جيشا من أهل الكوفة وتوجه به إلى لقاء معاوية. ولكنهم انخذلوا عنه كما تفرقوا عن أخيه وأبيه من قبل – وما يزال هذا دأب الشيعة إلى يومنا هذا – وكرهوا القتال وتفرقوا عن الحسن ونهبوه، وقيل إنه أصابته منهم طعنة حربة، فلم يجد الحسن جدوى في متابعة الحرب بمثل أولئك ، وأرسل إلى معاوية كتابا يعلن فيه رغبته في مصالحته والتنازل له عن الخلافة لقاء شروط ، فأرسل معاوية إليه صحيفة بيضاء مختومة بخاتمه ليملي فيها ما يشاء من شروط، فأملى فيها الحسن ﵁ شروطه، وقدمها إلى معاوية فتقبلها وعاد مع الحسن إلى الكوفة. وفي مسجدها أعلن الحسن تنازله لمعاوية وبايعه الناس، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المسلمين على خليفة واحد. وعاد الحسن بعد ذلك إلى المدينة، ثم توفي ﵁ في المدينة سنة 50 هـ. بعد أن تحققت فيه نبوءة جده ﷺ عندما قال : (**إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين**).

- **الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين :**

بعد أن أخمد أبو بكر عصيان المرتدين وعم الإسلام الجزيرة العربية، قام بتنفيذ السياسة التي قررها الرسول ﷺ في نشر الإسلام خارج الجزيرة، فوجه القوى الإسلامية إلى الجهاد في جبهتين: جبهة العراق بقيادة خالد بن الوليد وجبهة الشام بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومعه يزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص. وفي العراق تم فتح القسم الجنوبي منه، ثم أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه إلى الشام مع قسم من جيش العراق مددا لأبي عبيدة ابن الجراح وتم فتح الشام بعد وقعة اليرموك سنة 13هـ وقبيل وفاة أبي بكر رضي الله عنه أجمعين.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، (13 – 23 هـ) غزا معاوية الروم حتى بلغ (عمورية) وسط (تركيا الحالية) وفتحت الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وطرق المسلمون باب الأبواب على بحر الخزر (قزوين) على يد عياض بن غنم. وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص. وامتد الفتح الإسلامي على الأقاليم الساحلية الليبية (طرابلس وبرقة).

وفي العراق تولى قيادة الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص ، وتم على يده فتح ما تبقى من العراق بعد وقعة القادسية (سنة 14 هـ) وفيها هزم جيش الفرس وقتل قادته، واجتاز المسلمون حدود بلاد إيران ففتحوا خراسان والأهواز وإقليم فارس وامتد الفتح جنوبا حتى

مكـــران (بلوشســـتان) إلى حـــدود الســـند وشـــرقا إلى سجســـتان (أفغانستان).

وفي خلافـة عثمـان (23 – 35 هـ) أعيـد فتح خراسـان وأرمينيـة وأذربيجـان بعـد انتقاضـها، وفتحـت الـري وهمـذان وطبرستان وجرجـان واكتمـل فـتح إيـران. وفي بـلاد الشـام لم يبـق بعـد وقعـة اليرمـوك إلا حاميـات بيزنطيـة في بعـض مـدن فلسـطين والسـاحل ، فـأتم فتحهـا معاوية ابن أبي سفيان، وكان عمر بن الخطاب ﵁، ولاه على الشام بعد وفاة أخيه زيد بطاعون عمواس سنة 18هـ.

وعلى جبهة الروم أنشأ معاوية نظام الصوائف والشواتي لمتابعة غزو الروم. وفي سنة 27 هـ بلغ القسطنطينية وحاصرها، وأنشأ في عكـا دارا لصـناعة السـفن، وفيهـا تم أول أسـطول إسـلامي وكـان باكـورة عملـه الاستيلاء على جزيرتي قبرص وأرواد، وبه أبيـد الأسـطول البيزنطي في وقعـة (ذات السـواري) سـنة 34 هـ، وأصـبح شـرق البحـر المتوسـط بعدها بحرا إسلاميا. وفي مصر امتد الفتح الإسلامي نحو إفريقية بقيادة عبـد الله بـن سعد بن أبي سرح الـذي ولاه عثمـان بعد عزله عمرو بـن العـاص وانتصـر المسـلمون علـى جـيش الـروم، وكـان بقيـادة (جـرجير gregarious) وتم الاسـتيلاء على (سـبيطلة) الـتي اتخذها عاصـمة لـه، وفتحت بعد هذه المعركة أبواب المغرب.

وفي عهد علي ابن أبي طالب توقفت الفتوحات، ما خلا توغل جرى في جبهة السند ، وذلك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت بقتله رضي الله عنه.



الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الأموية (41 – 132 هـ)

بتنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة إلى معاوية ابن أبي سفيان، انتقلت الخلافة إلى بني أمية. وانتهت بذلك الخلافة الراشدة ، وابتدأ عصر الملك العضوض في تاريخ الإسلام والمسلمين.

وقد انطوى العهد الأموي على فترتين:

أ – **الفترة السفيانية:** وهي الفترة التي تولى الخلافة فيها معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية وحفيده معاوية بن يزيد وقد امتدت 23 سنة (41 – 46 هـ).

ب– **الفترة المروانية:** وهي الفترة التي انتقلت فيها الخلافة إلى الفرع المرواني من بني أمية بتولي. مروان بن الحكم حتى عهد حفيده مروان بن مُحَّد بن الحكم ، آخر خلفاء بني أمية، ومدتها 68 سنة (64 – 132هـ).

وفي خلال الفترتين ومدتهما 91 سنة وتسعة أشهر توالى أربعة عشر خليفة كان أعظمهم شأنا معاوية ابن أبي سفيان ﷺ، وعمر بن عبد العزيز ﷺ. واتسعت الدولة وتوطدت أركانها في عهد وعبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك ، وأخوه هشام بن عبد الملك . وكانت

مدة خلافتهم (71 سنة) من أصل (91 سنة) فالدولة الأموية كانت دولتهم، وفي عهدهم امتدت رقعتها من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، ثم أخذت شمس الخلافة الأموية بالغروب، بما شب فيها من ثورات أضرمها الصراع على الخلافة والانقضاض على الحكم ، وثورات الخوارج ، وحروب أهلية أثارتها العصبية القبلية بين المضرية واليمنية.

وقد ترتب على انتقال الخلافة إلى بني أمية النتائج التالية:

○ **في المجال السياسي:**

أ – **تحول الخلافة إلى ملك موروث:** ينتقل بعهد من الخليفة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب ، كما فعل عبد الملك بن مروان حين عهد بالخلافة إلى ولديه الوليد وسليمان ، إذ تبدلت صيغة البيعة ، فبعد أن كانت بيعة الخليفة في عهد الخلفاء الراشدين تقوم على مبايعته على الشورى ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وتؤخذ ممن حضر المبايعة من أهل الحل والعقد من كبار الصحابة وأولى الأحلام والنهى في المدينة. أصبحت تؤخذ من الرعية بحضور الخليفة في عاصمة الدولة (دمشق) وبحضور كبار عماله في الولايات. وكان الخليفة يأخذ البيعة لمن يعهد بالخلافة من أولاده من بعده ، وإذا ما رفض أحد البيعة، فكانت تؤخذ بالقهر والغلبة.

ب – إنتقال عاصمة الدولة الإسلامية إلى دمشق: بعد أن كانت في العراق – الكوفة – زمن علي ﵁ ، وفي المدينة المنورة قبل ذلك.

ج– انتقال سلطة الحكم إلى بني أمية: وقد تجمعت عصبيتهم في الشام منذ الفتح الإسلامي والتقت مع قبيلة كلب اليمانية المتوطنة هناك قبل الإسلام ، وبذلك ارتبطت القبائل الكلبية مع بني أمية برابطة المصاهرة وشكلت الثقل السياسي الذي دعم الدولة الأموية حتى أواخر عهدها.

د– نشوء عهد من الاستقرار السياسي في الدولة الإسلامية: أتاح لها هضم الفتوحات التي تمت في عهد الخلفاء الراشدين. والإضافة عليها، واتساع الدولة الإسلامية إلى أوج مساحتها التي امتدت من حدود الصين شرقا إلى الأندلس ومراكش غربا ، ومن بلاد القفقاس شمالا إلى بحر العرب وبلاد النوبة جنوبا .. وانتظام كل هذه الرقعة في إطار الحكم الإسلامي.

هـ – أصبح نظام الخلافة أشبه شيء بالنظام الملكي أو القيصري: ومن ثم زادت الصفة الزمنية في الخلافة على الصفة الدينية وابتدأ ما أخبر به رسول الله ﷺ من أن السلطان والقرآن سيفترقان .. كما أخذت الدولة بالنظام الإداري والمالي الذي كان متبعا في الدولتين الفارسية والبيزنطية.

○ في المجال الاقتصادي :

تحولت طرق التجارة إلى موانئ الشام ومصر، وخاصة بعد معركة (ذات الصواري) سنة 34 هـ وتدمير الأسطول البيزنطي.

وأصبحت عواصم بلاد الإسلام الكبرى وفي طليعتها مدن الشام ومصر والعراق وخراسان وشمال إفريقيا ، والأندلس.. عواصم الدنيا وزهرتها ، وفي طليعتها عاصمة الخلافة الأموية دمشق. حيث ازدهرت التجارة ، وسارت الركبان آمنة تربط شرق العالم القديم بغربه من تخوم الصين وبلاد الهند والسند ، إلى بلاد الروم وممالكهم على الشاطئ الآخر للبحر الأبيض المتوسط.

○ في المجال العلمي:

ازدهرت الحضارة والعلوم في عهد الدولة الأموية وبلغت مستوى رفيعا. فقد انتشر صحابة رسول الله ﷺ في مختلف البلاد المفتوحة واستوطنوها ولاسيما بلاد الشام والعراق ومصر، وقد حمل التابعون علوم الصحابة وفقهم وسمتهم ، بعد ذلك إلى فارس وخراسان وإفريقيا الشمالية.

ودون الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ونبغ في طبقة التابعين وتابعي التابعين خلال تلك الفترة علماء أفذاذ حفظوا

علوم الشريعة ووضعوا الأساس العلمي الذي شمخت عليه مناراتها فيما بعد.

ولكن وإلى جانب ذلك شهد تحول نظام الحكم إلى الشكل الملكي الكسروي القيصري ، أن تظهر ظاهرة علماء السلاطين ، وفقهاء القصور ، حتى وجدنا في وثائق تاريخ تلك المرحلة بعض الأئمة الأعلام كأبي حازم والحسن البصري و الأوزاعي ، يزرون بتلك الظاهرة وأربابها. وفي مجالات الحضارة الأخرى من العمران والعلوم والفنون .. أدى دخول العرب بلاد الحضارات القديمة ، كبلاد فارس، والروم ، والسند والهند .. وبلاد الترك إلى جوار الصين ، إلى هضمهم لخلاصة تلك الحضارات ومزجها ، وإنتاج نموذج فريد للحضارة ، بقيت إشعاعاته منارة للإنسانية إلى قرون طويلة بعد ذلك.

- **مدة خلافة الخلفاء الأمويون وأعمارهم 661 –750 م:**

1. **معاوية بن أبي سفيان** ﷺ: 661 – 680 م ، تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر توفي في رجب سنة 60 هـ عن 78عاما.
2. **يزيد بن معاوية**: 680 – 683 م، ثلاثة سنين وثمانية أشهر توفي في ربيع الأول سنة 64 هـ عن 38 عاما.

3. **معاوية بن يزيد:** 683 – 683 م أربعون يوما توفي في سنة 64 هـ عن 23 عاما.
4. **مروان بن الحكم** : 683 – 685 م سنة وعشرة أشهر وتوفي في رمضان سنة 65 هـ عن 71 عاما.
5. **عبد الملك بن مروان** : 685 –705 م إحدى وعشرون سنة توفي سنة 86 هـ عن 60 عاما.
6. **الوليد بن عبد الملك:** 705– 715 م تسع سنين وثمانية أشهر توفي في جمادى الآخرة سنة 96 هـ عن 48 عاما.
7. **سليمان بن عبد الملك** : 715– 718 م سنتان وثمانية أشهر توفي في سنة 99 هـ عن 45 عاما.
8. **عمرو بن عبد العزيز** ﷺ: سنتان وخمسة أشهر توفي في رجب سنة 718 – 720 م ، 101 هـ عن 40 عاما.
9. **يزيد بن عبد الملك بن مروان:** 720 – 724 م: أربع سنين وشهر توفي في شعبان سنة 105هـ عن 38 عاما.
10. **هشام بن عبد الملك بن مروان** 724– 743 م: تسعة عشرة سنة وسبعة أشهر توفي في ربيع الآخر سنة 125 هـ عن 54 عاما.
11. **الوليد بن يزيد بن عبد الملك** 743 – 744 م: سنة وشهران توفي في جمادى الآخرة سنة 126 هـ عن 38 عاما.

12. **يزيد بن الوليد بن عبد الملك** 744- 744 م : خمسة أشهر توفي في ذي الحجة سنة 126هـ عن 40 عاما.
13. **إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك**: 744- 744 م: سبعون يوما خلع سنة 127هـ وتوفي في ربيع الآخر سنة 132هـ عن 60 عاما.
14. **مروان بن مُحَّد بن مروان بن الحكم** 744 - 750 م: خمس سنين توفي في ذي الحجة سنة 132هـ عن60 عاما.

- **الفتوحات في عهد بني أمية:**

في عهد معاوية بن أبي سفيان ﵁ (41 – 60هـ) استمرت الفتوحات في صعود ، فقد امتدت شرقا إلى ما وراء النهر وفتحت بخارى وبلاد الصغد. وتوغل المسلمون في إفريقية واستولوا على (قابس) و (بنزرت) و (سوسة) على يد معاوية ابن حديج، أمير إفريقية، ثم فتحت (قفصة) و (قسنطينة) على يد عقبة بن نافع. وفي المشرق تم فتح خراسان وسجستان بعد انتقاضهما واستمرت غارات الصوائف في جبهة الروم، وتوالت الغارات البحرية على جزيرتي (صقلية) و (رودوس) تلك الغارات التي مهدت للاستيلاء عليهما.

وفي عام 48هـ أرسل معاوية حملة استطلاعية إلى ضواحي القسطنطينية ليختبر خط الدفاع البيزنطي عن العاصمة

(القسطنطينية). وفي عام 53هـ وجه معاوية حملة لغزو هذه المدينة بقيادة ابنه يزيد ومعه قائد البحر سفيان بن عوف الأزدي ، وضم إليه الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري، وعادت الحملة بعد حصار دام سبع سنوات، وفيها توفي أبو أيوب ودفن قرب أسوار القسطنطينية.

وفي عهد يزيد بن معاوية (60 – 64هـ) اقتصرت الفتوحات على توغل عقبة بن نافع في إفريقية وبلوغه ساحل البحر الأطلسي، وغزا المسلمون خوارزم من بلاد ما وراء النهر. وقد مضى أكثر أيام خلافته في صراع مع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والذي انتهى بقتل الحسين، وفي صراع مع عبد الله بن الزبير وقد طلب الخلافة بعد استشهاد الحسين.

وفي عهد عبد الملك بن مروان (64 – 86 هـ) توقفت الفتوحات عند حدودها السابقة، ما عدا بعض التوسع في بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب ذلك اشتغال عبد الملك في صراعه مع ابن الزبير واشتغاله بقمع الثورات والفتن التي أثارها الشيعة والخوارج، وقد أرهقت عبد الملك واضطرته إلى مصالحة الروم على مال لوقف هجومهم على الثغور الإسلامية.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86 – 96 هـ) أخذت مسيرة الفتوح في صعود، فقد توغل أخوه مسلمة بن عبد الملك في أذربيجان وفتح عددا من القلاع والحصون، واتسع الفتح فيما وراء النهر على يد

قتيبة بن مسلم ففتحت (بخارى) و (سمرقند) و (بلاد الشاش) و (فرغانة) و (كاشان) وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون.

وفي إفريقية أكمل موسى بن نصير أمير إفريقية، فتح المغرب وفي سنة 86هـ وجه حملة بحرية بقيادة عياش بن آشيل فغزا صقلية وعاد منها بغنائم، وجهز موسى جيشا بقيادة مولاه طارق بن زياد فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 93هـ وانتصر على ملك القوط (رودريق) في معركة جرت في (شذونة)، ثم لحق به موسى بن نصير واشترك معه في فتح بعض الأقاليم الأسبانية، وفي الهند توغل مُحَمَّد بن القاسم الثقفي فيها وفتح كثيرا من قلاعها ومدنها.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (96 – 99هـ) اجتاز قتيبة بن مسلم حدود الصين وفتح مدينة (كاشغر). وفي الأندلس توغل عبد العزيز بن موسى، – وكان قد خلف أباه في إمارة الأندلس– في أسبانيا، وفتح عددا من أقاليمها، وفتح يزيد بن المهلب أمير خراسان جرجان وقهستان وطبرستان. وجهز سليمان حملة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة، وأخرى برية بقيادة أخيه مسلمة، فحاصرت القسطنطينية من البر والبحر، وعادت بأمر من عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز ﵁ ، (99 – 101هـ) اجتاز المسلمون جبال (البرتات – البيرينيه) إلى بلاد الغال (فرنسا) بقيادة السمح بن مالك، أمير الأندلس، واستولوا على (أربونة – ناربون) و

(طولوشة – تولوز)، ولم تتسع الفتوحات في عهد عمر إلى أبعد من ذلك لقصر مدة خلافته.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101 – 105هـ) توغل المسلمون في بلاد الغال (فرنسا) بقيادة عنبسة بن سحيم أمير الأندلس، حتى بلغ أعلى نهر الرون وقام الأسطول الإسلامي في المغرب بغارات على جزيرة صقلية وجزيرة سردينية.

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (105 – 125هـ) صعدت مسيرة الفتوحات الإسلامية إلى أبعد غاياتها وبلغت الأوج. فقد غزا أسد بن عبد الله القسري، أمير خراسان ما وراء النهر بلاد الصغد والترك. وغزا الحجاج بن عبد الملك بن مروان بلاد الخزر وأرمينية وبلاد اللان وفرض عليها الجزية، وتابع الجراح الحكمي أمير أرمينية غزو بلاد الخزر، ولما استشهد سنة 112هـ خلفه في الإمارة مروان بن مُحَّد فغزا أقاليم بحر الخزر (قزوين) ووطد الحكم الإسلامي فيها.

وفي بلاد السند توغل الجنيد بن عبد الرحمن المري فيها وفتح عددا من بلدانها، ثم توقف الفتح حتى أيام الغزنويين في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجري. وفي بلاد الغال غزا عبد الرحمن الغافقي، أمير الأندلس، جنوبها الغربي واستولى على مدينة (بوردو) ثم صعد شمالا والتقى مع (شار مارتل) بين مدينتي (تور) و (بواتيه) في معركة ضارية جرت سنة (114هـ – 732م) استشهد فيها عبد الرحمن وهزم جيشه،

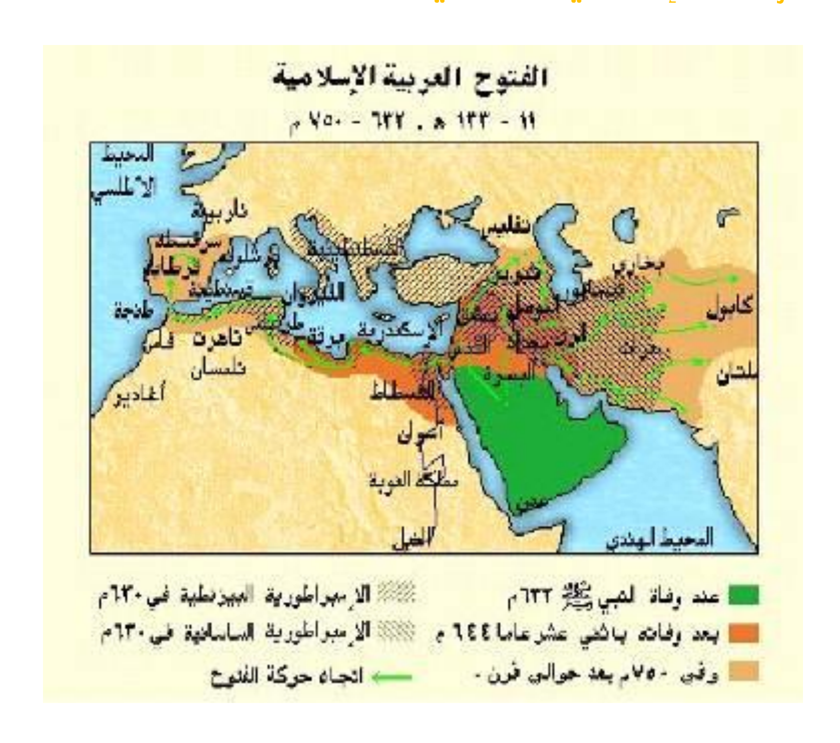
بسبب انشغال الجند بحماية الغنائم التي كانوا غنموها، واستشهد معه في تلك المعركة كثير من المسلمين، حتى أطلق على تلك المعركة (بلاط الشهداء).

وخلف عبد الرحمن في إمارة الأندلس عبد الملك بن قطن ، فغزا بلاد (البشكنس - الباسك). وفي إفريقية وجه عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية، جيشا بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ففتح بلاد السوس وغزا أرض السودان (السنيغال)، وفي البحر المتوسط غزا الأسطول الإسلامي، بقيادة حسان بن مُحَّد بن أبي بكر جزيرتي (ساردينية) و (كورسيكا)، وتوجه أسطول آخر بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ومعه ابنه عبد الرحمن، فغزا جزيرة (صقلية) سنة 122هـ والتحم مع الأسطول البيزنطي في معركة هزم فيها هذا الأسطول، وكان في نية حبيب أن يمضي في الفتح حتى يستولي على الجزيرة كلها، غير أن ثورة البربر بزعامة ميسرة المدغري اضطرته إلى العودة. وفي جبهة الروم استمرت غزوات الصوائف والشواتي، كشأنها في عهد الخلفاء السابقين.

وبوفاة هشام بن عبد الملك تنتهي المرحلة المروانية الأولى، وفيها امتدت رقعة الدولة الإسلامية من أسبانيا والبحر الأطلسي والمغرب الأقصى إلى حدود بلاد الهند والصين، ومن بحر الخزر وأرمينية إلى المحيط الهندي. وقد اعتبر الخلفاء الأمويون حدود البلاد المفتوحة

بـدايات لفتوحـات مسـتمرة لا تنتهـي عنـد حـدود، مـا دام الجهـاد مفروضا على المسلمين لنشر رسالة الإسلام، وما دامت الغنائم تدفع المجاهدين لمتابعة الجهاد.

وبعد هشام بن عبد الملك تبدأ المرحلة الثانية والأخيرة من الفترة المروانية، وفيها توقفت الفتوحات. وقد تولى الحكم أربعة خلفاء، كانت مدة خلافتهم ست سنوات وهم: الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأخوه إبراهيم، و مروان بن مُحَمَّد بن مروان بن الحكم. ولم تتجاوز مدة خلافة الثلاثة الأول بضعة أشهر، وشغلت خلافة الأخير المدة الباقية (127 – 132هـ)، وقد أمضاها في قمع الفتن والثورات الداخلية التي أحاطت به من كل جانب، ولم يتمكن، على ما أوتي من صبر وشجاعة وإقدام من كبحها، وانتهى مصيره بقتله بيد العباسيين، وبه ختمت حياة الدولة الأموية، وانطوت رايتها التي انتشرت في ظلها راية الإسلام، في تلك الرقعة الواسعة من الأرض.


الفتوح العربية الإسلامية
١١ - ١٣٢ هـ . ٦٣٢ - ٧٥٠ م
المحيط الأطلسي
طنجة
قرطبة
تلمسان
القيروان
برقة
الإسكندرية
القسطنطينية
تفليس
بخارى
كابول
ملتان
البصرة
الفسطاط
أسوان
مملكة النوبة
النيل
المحيط الهندي
عند وفاة النبي ﷺ ٦٣٢م
بعد وفاته باثني عشر عاما ٦٤٤ م
وفي ٧٥٠م بعد حوالي قرن
الإمبراطورية البيزنطية في ٦٣٠م
الإمبراطورية الساسانية في ٦٣٠م
اتجاه حركة الفتوح


الدولة العربية الإسلامية في أقصى اتساع لها زمن الأمويين
١٣٢هـ - ٧٥٠ م
قرطبة
القيروان
الإسكندرية
حلب
دمشق
القدس
المدينة
مكة
الطائف
أصفهان
سمرقند
الهند

- **أسباب سقوط الدولة الأموية :**

أولا : صراعات القصور على السلطة وجعل ولاية العهد لأكثر من واحد وما ولد هذا الأمر من صراع على الملك ، أضعف الحكومة المركزية ، وأطمع فيها الثائرين عليها.

ثانيا: أثر العصبية القبلية في الصراع على الملك.

ظهر أثر هذه العصبية بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتخلي ابنه معاوية (الثاني) عن الخلافة ، فقد نصرت قبيلة كلب اليمانية مروان بن الحكم حين رشح نفسه للخلافة، وقاتلت معه الضحاك بن قيس الفهري، زعيم القيسية في الشام ، وكان يدعو لعبد الله بن الزبير. وانتصر مروان في وقعة (مرج راهط) سنة 64هـ بسواعد الكلبيين، وقتل الضحاك بن قيس في الموقعة وهزم القيسية، ومن بعدها تأصلت العداوة بين اليمانية والقيسية (المضرية)، وظل اليمانية حلفاء بني أمية حتى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حين ثار عليه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة زعيم اليمانية.

وقد سرت العصبية القبلية بين اليمانية و القيسية إلى الأندلس وخراسان. وقد انضم اليمانية إلى المعارضة في النهاية ، ومالوا مع أبي مسلم الخراساني ضد نصر بن سيار. وقد أفاد أبو مسلم، القائم

بالدعوة العباسية، من هذا الصراع القبلي، الذي أضعف الحكم الأموي في مقاومة الدعوة العباسية وكان من أسباب انتصارها.

ثالثاً : بذخ الخلفاء والأمراء وإسرافهم :

لما آلت الخلافة إلى بني أمية وتحولت إلى ملك موروث، برزت مظاهر الملك في البذخ لدعم ملكهم واكتساب الولاء. وقد أفاضوا عطاياهم على الشعراء، لتنطلق لهواتهم بمدحهم ونشر مآثرهم والدفاع عنهم، والشعراء يومئذ وسيلة الدعاية والإعلام. واتبعوا سياسة البذخ والإنفاق، واتخذوا أبهة الملك في مظهرهم وملبسهم ومجالسهم. وقد مال بعضهم إلى حياة اللهو والمجون، ومنهم من أسرف ورويت عنه حكايات وأخبار تخرج عن نطاق الدين والأخلاق.

ومن المؤرخين من يطعن في صحة هذه الحكايات ، لما في بعضها من الإغراق في المبالغة، ويرى أنها وضعت في العصر العباسي الأول للتشهير ببني أمية، تتمة لحملة التنكيل بأحيائهم وأمواتهم بعد سقوط دولتهم. ولكن الثابت أن تحول الخلافة إلى ملك منذ ذلك العهد ، أدخل على نظام الحكم كل لوازم فساد الملوك وما تحتويه قصورهم.

رابعاً : جور العمال وظلمهم:

واجه الأمويون ثورات وفتن كثيرة. وقد كلفت الدولة نفقات باهظة، وقضي فيها آلاف القتلى والشهداء. وكان موطن هذه الفتن والثورات العراق والجزيرة وخراسان ثم انتقلت إلى أفريقية. وقد اختار خلفاء بني أمية ولاة لهذه الأقاليم من أشد الرجال قسوة. وكان منهم زياد بن أبيه ، وابنه عبيد الله بن زياد ، والحجاج ابن يوسف الثقفي، وابن أخيه عمر بن يوسف الثقفي ..

وقد منحهم الخلفاء السلطة المطلقة لقمع هذه الثورات والفتن وفرض الطاعة بالقوة، فكانوا هم ومن كانوا يولونه من الأعمال في ولاياتهم ينكلون بمن يقع في قبضتهم من الثائرين والعصاة. وكان من وجوه الظلم القتل بالشبهة ومصادرة الأموال.

خامساً : الإخلال بمبدأ المساواة بين العرب والموالي:

كان مبدأ المساواة الذي أعلنه الإسلام الدافع القوي لإقبال شعوب البلاد المفتوحة على الدخول في الدين الجديد، وقد قام بينهم وبين المسلمين ولاء متبادل فعرفوا باسم (الموالي)، وقد ضمن لهم مبدأ التساوي مع العرب، ما ورد في القرآن الكريم، وما روي من أحاديث الرسول ﷺ ، وقد طبق هذا المبدأ في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء

الراشدين، فلم يكن هناك تمييز بين صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي، وبين أي مسلم عربي، مهما علا نسبه.

ولما تولى الخلافة بنو أمية، نقضوا هذا المبدأ وتعصبوا للعرب ووضعوا الموالي في درجة أدنى في الحقوق والواجبات وكان يعهد إليهم بالأعمال الدنيا، أما العليا فللعرب.

ولما كثرت نفقات الدولة بسبب الحروب وقمع الثورات والفتن، فرض عمال الأقاليم الجزية على من أسلم من الموالي، كما فرضوا الخراج على أراضيهم، خلافا لأحكام الإسلام، التي قضت بإعفاء من أسلم من الموالي من الجزية، وألزمته بدفع العشر بدلا من الخراج.

وقد أدى التمييز بين العرب والموالي إلى التحاق الموالي بأحزاب المعارضة من علوية وخوارج، ودعم ثوراتهم على الحكم الأموي ، كما أدى إلى ظهور فكرة الشعوبية، وهي إحياء الموالي، وخاصة الفرس، لقوميتهم وتقاليدهم والتفاخر بها والحط من شأن العرب.

تلك هي الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، يضاف إليها الدعوة السرية التي اختطها بنو العباس ووجهوا دعاتهم لنشرها في العراق وخراسان، وانضم إليهم العلويون وشيعتهم ومعهم الموالي وتوحدت صفوفهم في مقاومة الحكم الأموي.

وقد أورد المسعودي ما قاله شيخ من شيوخ بني أمية في أسباب سقوط دولتهم:

(لقد شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على مرافقنا، وأمضوا أمورا دوننا، وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا).

ويضيف المسعودي على هذه الأسباب إثارة روح العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية (عرب الشمال والجنوب)، وافتخار كل منهما على الأخرى وادعاؤها بما لها من المناقب، فنتج عن ذلك تعصب القيسية لمروان بن مُحَمَّد وانحراف اليمنية عنه إلى الدعوة العباسية، وانتهى الأمر إلى انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم.

وقد تخلل دولة بني أمية محاولة للإصلاح قام بها أمير المؤمنين الراشد عمر بن عبد العزيز ؛ فقد أراد عمر بن عبد العزيز أن يقوِّم في خلافته ما اختل من سياسة أسلافه، وما ساء من سلوكهم، وأن يتأسى بسياسة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فألزم رجال الدولة بالتقشف واستبدل بعمال الولايات عمالا اختارهم من أهل التقوى والأمانة والعلم والشرع، ورد جميع ما اغتصبه الولاة وأصحاب النفوذ من أموال إلى بيت المال إن كانت من أموال الدولة، وإلى أصحابها إن

كانت من أموال الأفراد، وتألف قلوب العلويين ومنع سب علي بن أبي طالب ﷺ. وأخذ الخوارج بالمناظرة وحجهم فيها. وأصلح السياسة الضرائبية فمنع أخذ الجزية التي كان يأخذها عمال الولايات من أهلها بعد إسلامهم، ومنع فرض الخراج على أراضي من أسلم منهم.

ولما قيل لعمر إن هذا الإصلاح يضر بموارد الدولة، أجاب : (إن الله أرسل مُحَمَّدا ﷺ هاديا ولم يرسله جابيا). وقد أجرى إصلاحات إدارية ومالية أخرى لم يكتمل تنفيذها لقصر مدة خلافته وهي سنتان ونيف ، وقد رفعته تقواه وورعه إلى مرتبة سامية، وعده كثير من السلف ، خامس الخلفاء الراشدين وقيل إن بني أمية دسوا له السم لانتزاعه منهم كثيرا مما اغتصبوه ، وأنه هم أن يعيد الأمر شورى بين المسلمين.

- **تقييم عهد بني أمية :**

مهما قيل في الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية، فلا ينكر أنها كانت أول دولة عالمية للإسلام، وأنها هي التي نشرته في الرقعة الواسعة من العالم التي تمتد من ساحل البحر الأطلسي إلى حدود الهند والصين، ومن البحر الأسود وبحر الخزر (قزوين) إلى المحيط الهندي، وأنها كانت أقوى، دول الإسلام، وكان عصرها بفضل العرب

والمسلمين، أكثر العصور الإسلامية قدرة على الجهاد، وقوة في الكفاح، وأشدها نشاطا وحيوية.

وفي عهدها تلاقى العرب، في البلاد المفتوحة، مع شعوب أخرى كانت تتقدمهم في الحضارة وتفوقهم في المعرفة، فتأثروا بثقافاتهم وتقاليدهم ونظمهم، واستطاعوا أن يتمثلوها وأن يضفوا عليها روحا إسلامية.

واتسمت الحياة العلمية بتدوين الحديث والتفسير والمغازي والأخبار، كما اتسمت بنمو الفقه واستيعاب تطبيقاته لحاجات الحياة المتطورة. واتسمت الحياة الثقافية بدراسة المذاهب الفلسفية واللاهوتية ومناظرة أصحابها.

كذلك اتسمت الحياة الثقافية بالأخذ بعلوم اليونان في الطب والكيمياء، وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بنقل تلك العلوم إلى اللغة العربية. واتسمت الحياة الاقتصادية بنشاط التجارة واتساعها، وخاصة بعد أن سيطر الأسطول الحربي على شرقي البحر المتوسط، في أعقاب المعركة الحربية المعروفة بذات السواري سنة 34هـ وبسط سيادة الدولة الإسلامية عليها، واتسع نشاط التجارة بعد فتح إفريقية والأندلس، فكانت السفن التجارية تمخر في البحر وتسعى بين مواني بيزنطة وإيطاليا وصقلية وكريت ورودوس وقبرص، تتجر

معها، على الرغم من استمرار الغزوات البحرية التي كانت تشنها على تلك البلاد.

كذلك نشطت التجارة البرية، فكانت القوافل تعبر الطرق البرية إلى الهند والصين، وتسلك بلاد إيران وما وراء النهر إلى سمرقند بخارى وبلاد الخزر وتحمل تجارتها من تلك البلاد وإليها. واتسمت الحياة الزراعية بتوفير الأيدي العاملة المجلوبة من إفريقية لاستصلاح أراضي السواد جنوبي العراق.

واتسمت الحياة العمرانية ببناء المساجد الفخمة والقصور الشاهقة والمستشفيات (البيمارستانات) وببناء المدن ودور الصناعة المعدة لبناء السفن التجارية والحربية. ففي عهد معاوية بن أبي سفيان بنيت مدينة القيروان بناها عقبة بن نافع سنة 50هـ وفي عهده بنيت دار الصناعة في عكا.

وفي عهد عبد الملك بن مروان بنيت قبة الصخرة في القدس وبدئ ببناء المسجد الأقصى، وأعيد بناء الكعبة والحرم المكي سنة 74هـ، وبنيت مدينة (القيروان) - تونس - وأقيمت فيها دار لصناعة السفن، تولى بناءها حسان بن النعمان أمير إفريقية سنة 82هـ وبنيت مدينة واسط بناها الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، سنة 82 - 83هـ لتكون وسطا بين الكوفة والبصرة، وفي عهد الوليد بن عبد الملك

اكتمل بناء الجامع الأموي بدمشق سنة 87 – 96هـ، وجدد بناء الحرم النبوي مع توسيعه وتزيينه بالفسيفساء، وبنيت القصور الصحراوية.

واهتم الوليد بالمرافق العامة من إصلاح الطرق وحفر الآبار في طريق الحج وإنشاء البيمارستانات للمرضى وبناء دور خصصت للمجذومين وأخرى للعميان والمقعدين، وأجرى الخليفة عليها أرزاقا.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك بني الجامع الأموي في حلب سنة 97هـ، وبنى سليمان وهو ولي للعهد مدينة الرملة بفلسطين، وفيها بنى القصور والجامع. وفي سنة 109هـ بنى هشام بن عبد الملك قصر الرصافة بالقرب من الرقة وبنى عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية، جامع الزيتونة، وفي عام 127هـ بنى مروان بن مُحَمَّد مدينة حران قرب الموصل لتكون عاصمة مؤقتة له بين الشام والعراق، لكي يسهل عليه مراقبة ما يجري فيهما.

وإلى جانب النشاط العمراني تمت إصلاحات مالية وإدارية، فقد عرب عبد الملك بن مروان القراطيس، وهي ورق البردي، وكان الأقباط في مصر يصنعونه ويتوجونه باسم المسيح، فأمر عبد الملك أن يستبدل اسم المسيح بـ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ).

كذلك ضرب عبد الملك السكة وضرب الدنانير الذهبية لأول مرة في الإسلام، وضرب الحجاج الثقفي أمير العراق، الدراهم الفضية المنقوشة ووضع لها الوزن. وفي سنة 81هـ نقل عبد الملك الديوان من

الرومية إلى العربية، وكذلك فعل الحجاج الثقفي فقد نقل الديوان من الفارسية إلى العربية، ومثله فعل عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر سنة 86هـ فقد نقل الديوان من القبطية إلى العربية، وتأسى به حسان بن النعمان أمير إفريقية، فنقل ديوان إفريقية إلى العربية. ويعتبر ضرب السكة وتعريب الدواوين تأكيدا لكيان الدولة المالي والاقتصادي.

وإذا كان يؤخذ على دولة بني أمية الظلم والجور، فلعل ذلك ما كانت تقتضيه الظروف الحرجة، وخاصة أن الخارجين عليها، كانوا من الأشداء في نضالهم، ومن المتعصبين لعقائدهم..

وقد رأينا أن الثورات والفتن قد أحاطت بدولة بني أمية، واندلعت في عدة جبهات، وخاصة في العراق، ثم أضحى مقرا للشيعة، وفيه ظهر الخوارج الثائرون على نظام الحكم.

- **ظاهرة علماء السلطان في العصر الأموي :**

كما ذكرنا سالفا ، فقد استتبع تحول نظام الحكم الإسلامي من الخلافة لإلى الملك على يد بني أمية ، أن تظهر توابع النظام الملكي وأركانه ، من مثل ما ألف عبر التاريخ من فساد القصور ، وقيام نظام السلطة على أسسها الثلاثة (الحاكم – الكاهن – الأعوان). وهكذا

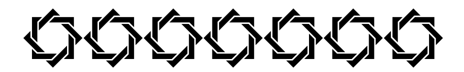
ظهرت طائفة علماء السلطان لأول مرة في تاريخ المسلمين لتزين مجالس الأمراء وأبواب السلاطين ، وتلحق بالملأ ..

ولقرب العهد بخير القرون ، فقد انبرى من أئمة الهدى من وقف لهذه الفئة بالمرصاد واستعصى على ملوك الجور الذين تدرجوا في الفساد. وقد حفظ لنا كتب التاريخ الإسلامي منذ ذلك العهد تراثا رائعا من مواقف علماء الحق وأئمة الهدى ..

ومن ذلك ما قاله الإمام الحسن البصري يوبخ أولئك المتزلفين على أبواب الأمراء : (جاء في كتاب سير أعلام النبلاء : روى أبو نعيم في الحلية حدثنا ... حدثنا فضيل بن جعفر قال خرج الحسن من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال : ما يجلسكم ها هنا ؟! تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء. أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار. تفرقوا .. فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم. قد فرطحتم نعالكم ، وشمرتم ثيابكم ، وجززتم شعوركم. فضحتم القراء فضحكم الله. والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم. ولكنكم رغبتم فيما عندهم. أبعد الله من أبعد).

كان هذا سرد لبعض أخبار بني أمية وعهدهم ، وصدق الله العظيم:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:134).



الدولة الإسلامية أيام الخلافة العباسية (132 – 656 هـ)

- انتقال الخلافة إلى بني العباس :

انتقلت الخلافة إلى بني العباس بعد نجاح الدعوة السرية التي أطلقها دعاتهم منذ بداية السنة المئة للهجرة في خراسان حتى سنة 132هـ ، وفيها انكشف سر الدعوة التي كان ظاهرها الدعوة لاختيار خليفة من بيت آل النبي ﷺ يرضى عنه المسلمون، وكان يطلق عليها (الرضا من آل مُحَمَّد)، إمعانا في الكتمان. ثم تبين أنها كانت تخفي الدعوة لبني العباس.

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة 132هـ دخل الكوفة أبو العباس عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس وبويع في مسجدها، وألقى في أهل الكوفة خطابا، بين فيه حق بني العباس في الخلافة ولقب بالسفاح.

ومن ذلك اليوم طوي علم بني أمية الأبيض وارتفع علم بني العباس الأسود. وأخذ عما السفاح عبد الله وصالح ولدا علي بن عبد الله العباسي يطاردون بني أمية بعد هزيمة مروان بن مُحَمَّد آخر خلفائهم والقبض عليه في (بوصير) بمصر وقتله. فنبشوا قبور بني أمية في دمشق وأحرقوا ما تبقى من رفاتها. وأثخنوا بجمع كبير من بني أمية في فلسطين فقتلوهم على شاطئ نهر (فطرس) وتشتت من نجا منهم في الآفاق.

وسبحان الذي يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

النتائج التي ترتبت على انتقال الحكم إلى بني العباس : ترتب على انتقال الحكم إلى بني العباس النتائج التالية:

أولاً : نقل العاصمة من الشام إلى العراق.

ثانياً : انتقال النشاط التجاري إلى العراق، وربط التجارة البرية ببغداد والبحرية بالبصرة.

ثالثاً : قيام صراع بين أشراف العرب وأشراف الموالي من الفرس، ثم الترك على نيل مناصب الدولة، وإيثار الموالي بهذه المناصب ، مما أدى لسقوط الدولة في نصفها الثاني تحت إدارتهم كليا.

رابعاً : اشتداد مقاومة الناقمين من العلويين والخوارج وتوالي ثوراتهم على الحكم العباسي، وانشغال الدولة بقمعها مما أدى إلى:

أ – توقف الفتوحات وتحول الدولة العباسية من موقف الهجوم – وهو موقف الدولة الأموية – إلى موقف الدفاع ، واعتبار الحدود التي وصل إليها الأمويون في فتوحاتهم، حدودا نهائية والوقوف عندها والاكتفاء بالدفاع عنها على الحدود مع الروم غربا أو الترك شرقا.

ب – عجز الدولة عن ضبط الحكم في الولايات الإفريقية، مما اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض

الأقاليم من سيادة الدولة، مما أظهر الدول المستقلة. كما فعل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالداخل، حين انتزع الأندلس سنة 138هـ وأقام فيها إمارة مستقلة تحولت إلى خلافة سنة 300هـ في عهد عبد الرحمن الناصر، وكما فعل إدريس الأول، بعد نجاته في وقعة (فخ) سنة 169هـ، وإقامته في المغرب دولة علوية مستقلة، كذلك أدى اختلال الأمور في المغرب الأدنى (تونس) إلى تولية إبراهيم بن الأغلب عليه ومنحه الاستقلال الذاتي سنة 184هـ، وإنشائه دولة بني الأغلب، لتحول دون امتداد دولة الأدارسة نحو المشرق. وإلى جانب هذه الدول المستقلة التي انفصلت سياسيا وإداريا عن دولة بني العباس، نشأت في إفريقية إمارات مستقلة كإمارة بني مدرار التي أنشأها في (سجلماسة) أبو القاسم سمغو سنة 155هـ، والإمارة الرستمية التي أنشأها عبد الرحمن بن رستم في (تاهرت) سنة 160هـ، وكانت كلا الإمارتين تدينان بمذهب الخوارج.

خامساً : تخصيص بعض الولاة بإقليم من أقاليم الدولة استقلالا، مكافأة لهم لقيامهم بخدمة الدولة، كما فعل المأمون بتخصيص طاهر بن الحسين بإقليم خراسان إمارة مستقلة يتوارثها أبناؤه من بعده، وذلك مكافأة له للتغلب على أخيه الأمين.

- **ويمكن تقسيم مرحلة الخلافة العباسية إلى ثلاثة أطوار، بحسب القوة والضعف وهي :**

- **الطور الأول: طور القوة والعصر الذهبي: (132- 247هـ / 750-861م).**
- **الطور الثاني: طور الضعف والتفتت وتسلط القادة الأعاجم من الفرس والترك : (247- 487هـ / 861 - 1094م).**
- **الطور الثالث: طور الإنهيار والغزو الخارجي من الصليبيين والتتار: (487-656هـ / 1094 - 1258م).**

الخلفاء العباسيون في بغداد:

الطور الأول:

1- أبو العباس السفاح : 750 - 754م / 132 - 136هـ.

2- أبو جعفر المنصور: 754- 775م / 136 - 158هـ.

3- مُحَمَّد المهدي بن أبي جعفر المنصور : 775 - 785م / 158- 169هـ.

4- موسى الهادي بن مُحَمَّد المهدي: 785 - 786م/ 169 - 170هـ.

5- هـارون الرشـيد بـن مُحَّمد المهـدي: 786 – 809م / 170 193هـ.

6- الأمين بن هارون الرشيد : (قتل). 809– 813 م / 193 – 198هـ.

7- المأمون بن هارون الرشيد: 813 – 833م / 198– 218هـ.

8- مُحَّمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد: 833 – 842م/ 218 – 227هـ.

9- هـارون الواثـق بالله بـن المعتصـم بالله: 842 – 847م/ 227 –232هـ.

10- جعفر المتوكـل على الله بـن المعتصـم بالله : (قتـل) 847 – 861م/ 232 –247هـ.

الطور الثاني:

11- المستنصـر بالله بـن المتوكـل علـى الله: (قتـل) 861– 862 م/ 247 – 248 هـ.

12- أحمـد المسـتعين بالله بـن المعتصـم بالله: (قتـل) 862 –866م/ 248 – 252هـ.

13- المعتز بالله بن المتوكـل على الله: (قتـل) 866 –870 م /252 –255هـ.

14- مُحَمَّد المهتدي بن الواثق بالله: (قتل) 870 –870 م /255–256هـ.

15- أحمد أبو العباس المعتمد على الله بن المتوكل: 870 –892م/ 256 - 279هـ.

16- أحمد أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل على الله: 892 –902م /279 –289هـ.

17- علي المكتفي بالله بن المعتضد بالله: 902 – 908م / 289 – 295هـ.

18- جعفر أبو الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بالله : (خلع مرتين ثم قتل) 908 – 932م /295 – 320هـ.

19- عبد الله بن المعتز الراضي بالله : (ولي الخلافة يوما واحدا)! 909م /296هـ.

20- مُحَمَّد القاهر بالله بن المعتضد بالله: 932– 934م /320 – 322هـ.

21- أحمد أبو العباس الراضي بالله بن المقتدر: 934 –940 م /322 – 329هـ.

22- إبراهيم المتقي بالله بن المقتدر بالله: 940 –945م /329 – 333هـ.

23- عبد الله أبو القاسم المستكفي بالله بن المكتفي : (سملت عيناه وسجن حتى مات) ! 945 – 946م/ 333 – 334هـ.

24- المطيع لله ابن المقتدر : (خلع نفسه) ! 946 – 974م /334 – 363هـ.

25- عبد الكريم أبو بكر الطائع لله بن المطيع: 974 –991م /363 – 381هـ.

26- أحمد أبو العباس القادر بالله بن الأمير اسحق بن المقتدر بالله: 991 –1031م / 381 – 422هـ.

27- عبد الله أبو جعفر القائم بأمر الله بن القادر بالله: 1031 – 1075م/ 422 – 467هـ.

28- عبد الله المقتدي بأمر الله حفيد القائم بأمر الله: (لأن أباه مات قبله) 1075 – 1094م /467 – 487هـ.

الطور الثالث:

29- أحمد أبو العباس المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله: 1094 – 1118م /487 – 512هـ.

30- أبو منصور فضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله: (قتله الباطنيون) 1118 – 1135م / 512– 529هـ.

31- أبو جعفر المنصور الراشد بالله بن المستظهر بالله: (خلعه السلطان مسعود) 1135 – 1136م /529 – 530هـ.

32- مُحَّد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله: 1136 – 1160م /530 – 555هـ.

33- يوسف المستنجد بالله بن المستظهر بالله: 1160 –1170م /555– 566هـ.

34- أبو مُحَّد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله: 1170 – 1180م /566 – 575هـ.

35- الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله: 1180 – 1225م / 575 – 622هـ.

36- أبو النصر مُحَّد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله: 1225 – 1226م / 622 – 623هـ.

37- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر بأمر الله : 1226 – 1242م /623 – 640هـ.

38- أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله بن المستنصر بالله : (قتله التتر) 1242 – 1258م /640 – 656هـ.

- **الفتوحات في عهد الدولة العباسية :**

وقفت الدولة العباسية عند الحدود التي انتهت إليها الدولة الأموية قبل سقوطها، وما جرى في عهد الدولة العباسية إنما كان إخضاعا لأقاليم انتقضت عليها وتم إخضاعها، فكأنما فتحت من جديد، كانتقاض بعض نواح فيما وراء النهر سنة 134هـ ، وانتقاض طبرستان سنة 142هـ ، وانتقاض سجستان سنة 152هـ، وانتقاض جرجان سنة

167هـ ، وقد كانت هذه الانتفاضات ثورات على الحكم العباسي أو تمردا عليه قمعت بشدة وعنف.

وقد استمرت غزوات الصوائف في جبهة الروم واقتصرت على حماية الثغور الإسلامية، الجزرية والشامية، وتتابعت من عام 142هـ حتى عام 191هـ وتوقفت بعد ذلك إلى عام 215 هـ ، بسبب الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون، من أجل الخلافة، وما تبعها من أحداث. ولما استقر الملك للمأمون استأنف حملات الصوائف، وكان آخرها الحملة التي قادها بنفسه سنة 218هـ وتوقف بها عند مدينة طرسوس ، وفيها توفي تلك السنة ، بعد أن أمر أن يحمل إليه الإمام أحمد بن حنبل ليمتحنه في مسألة خلق القرآن ، فحمل إليه في أغلال ثقيلة ، وقد اشتهر أن الإمام دعا ربه في الطريق ، أن لا يجمعه الله بالمأمون ، فجاء خبر وفاته وهم في الطريق ، وأعيد الإمام إلى بغداد!.

توقفت حملات الصوائف بعد ذلك، وأصبحت الثغور الإسلامية هدفا لغارات الروم. ففي سنة 243هـ أغار الروم على الثغور الجزرية وبلغوا مدينة (شمشاط) واقتربوا من مدينة (آمد - ديار بكر) كما أغاروا سنة 245هـ على الثغور الشامية من جهة (أنطاكية) ولم تفلح حملات الصوائف التي قادها قائدان شهيران وهما: علي بن يحيي الأرميني ، وعمر بن عبد الله الأقطع. في صد غارات الروم واستشهد الاثنان في عراك معهم.

على أننا لا بد أن نشير إلى ثلاث حملات عسكرية ضخمة توجهت إلى بلاد الروم وكانت حملات تأديبية :

الأولى: وجهها الخليفة المهدي سنة 165هـ بقيادة ابنه هارون الرشيد وفيها بلغ القسطنطينية فهادنته الملكة (إيرين) وعقدت معه صلحا مع جزية سنوية مجزية.

والثانية: قادها الرشيد بنفسه وهو خليفة سنة 187هـ عندما نقض الإمبراطور (نقفور) الذي خلف(إيرين) الهدنة ، وأرسل رسالة حادة للرشيد ، فكتب له الرشيد على ظهرها مجيبا : (من أمير المؤمنين هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم ؛ أتاني كتابك يا ابن الفاجرة ! والجواب ما ترى لا ما تسمع !!). ثم غزاه وانتصر عليه ، فصالحه الإمبراطور (نقفور) وعقد معه هدنة جديدة.

والثالثة: الحملة التي قادها الخليفة المعتصم بالله بنفسه سنة 223هـ انتقاما من الروم الذين أغاروا على ثغور الجزيرة ودخلوا مدينة (زبطرة) فنهبوا وسبوا النساء وهدموا المدينة. وكانت غارة الروم هذه بطلب من الثائر بابك الخرمي الذي كانت جيوش الخليفة تلاحقه، فلما ضيقت عليه الخناق طلب من الإمبراطور البيزنطي (تيئوفيل) أن يشن الغارات على الثغور الإسلامية ليضطر الخليفة إلى سحب جيوشه عنه. وقد استجاب الإمبراطور لمطلبه وزحف على الثغور، ولكن بعد أن كان

بابك قد وقع في قبضة جيش الخليفة حيث أسره (الإفشين) قائد المعتصم.

فقد روت كتب التاريخ أن امرأة من نساء المسلمين كانت مأسورة في عمورية فاستغاثت بالمعتصم، ونادت : (وا معتصماه)! فقال لها الرومي : ليأتك المعتصم على حصان أبلق ، فبلغ ذلك المعتصم ، فأمر بتجييش جيش حمل فيه ثمانين ألف حصان أبلق ! وقد نفذ المعتصم حملته المشهورة التي خلدها ، الشاعر أبو تمام بقصيدة عصماء، وذلك عندما زعم المنجمون وقالوا له : أن النجوم والنبوءات تشير لعدم إمكانية النصر في ذلك الوقت ، فأصر المعتصم على الغزو وخرج ، وكان في جيشه جم غفير من العلماء والصالحين المشاهير منهم مُحَمَّد بن واسع رحمه الله والتقى المعتصم مع جيش الإمبراطور في معركة جرت في (عمورية) انتهت بهزيمة الروم وأسر الإمبراطور. وتخريب عمورية وتحريقها. وقد قال في ذلك أبو تمام شعرا جاء في مطلعه:

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب.

وإذا كان من فتح في هذا العصر من دولة بني العباس، فهو فتح صقلية الذي تولاه الأمراء الأغالبة، أمراء إفريقية. ففي سنة 212هـ

جهز الأمير زيادة الأول بن إبراهيم بن الأغلب حملة بحرية بقيادة القاضي العالم المجاهد: أسد بن الفرات رحمه الله.

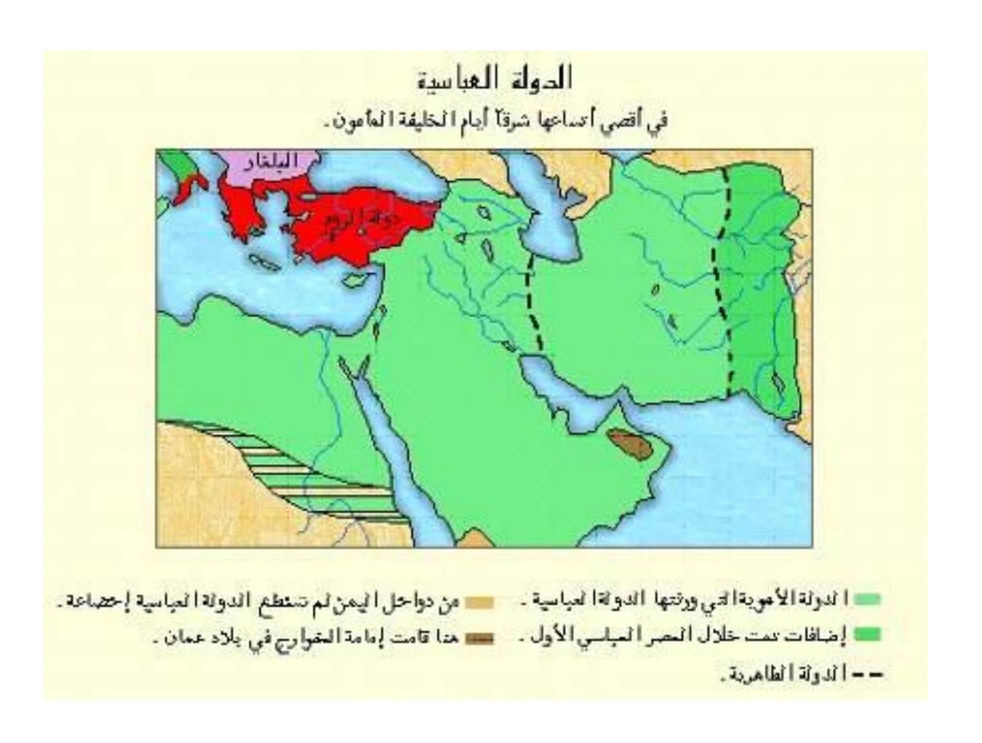
ومنها أغاروا على جزيرة مالطة وافتتحوها أيام محمد بن الأغلب سنة 261هـ ، وعبروا مضيق مسينا وغزوا قلورية (كالابريا calabria) وهي المنطقة الواقعة في أقصى الجنوب من شبه جزيرة إيطاليا.

- **تقييم العصر العباسي الأول:**

يمكن القول أنه إذا كان العصر الأموي عصر الفتوحات الإسلامية، فإن العصر العباسي كان عصر الحضارة الإسلامية. وقد ظهر أثرها في تطور علوم الشريعة ، ومختلف مناحي الحياة العمرانية والأدبية والفكرية والعلمية والاجتماعية...

فقد تطورت علوم الدين المختلفة ، كعلوم القرآن ، وعلوم الحديث، كما نشأت في هذه المرحلة المذاهب الأربعة ، وهي مدارس الأئمة الأجلاء (الإمام أبو حنيفة النعمان ، والإمام مالك ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل) ، وغيرهم من الأئمة الأعلام الذين كان لهم مذاهب ومدارس فقهية ، كانت أقل انتشارا، كالإمام سفيان الثوري ، والإمام الأوزاعي ، وغيرهم .. وقد ظهر تدوين السيرة النبوية ، وتاريخ الخلفاء الراشدين من بعده وسيرهم وما بعد ذلك من أحداث، فوضعت أسس علم التاريخ الإسلامي ، وظهر تدوين

الحديث وتمحيص الصحيح منه من غير ذلك ، وبرز أئمة الحديث الأعلام ، كالبخاري ومسلم ، وعبد الله بن المبارك ، وابن عيينة ، وأحمد ابن حنبل وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى ..



وتبعا لذلك تطورت علوم العربية. وظهرت علوم قواعد اللغة لضبط لفظها على نحو كلام الأعراب وعرف بعلم النحو وكذلك علم الصرف ، وظهر رجال عنوا بمفردات اللغة ومعانيها المختلفة واستعمالاتها معتمدين في ذلك على شواهد من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم، فكان من كل هذا الذي صنعوه عمدة في تفسير القرآن والحديث، أعان الفقهاء في استنباط الأحكام من مصدريها الأساسيين وهما

القرآن والسنة. وغير ذلك من العلوم اللازمة للفقه الذي تأسست مدارسه في تلك الفترة ..

وأما في المناحي الحضارية الأخرى ، فقد تطورت الحياة العمرانية ونجد من آثار ذلك في تجديد أبي العباس السفاح لمدينة الأنبار ، واتخاذها عاصمة له وفي بنائه مدينة الهاشمية ، وفي بناء المنصور مدينة بغداد ، ونقل العاصمة إليها ، وفي بنائه مدينة الرافقة ، إلى جانب مدينة الرقة ، وفي بناء مدينة سامراء التي كان اسمها (سُرَّ من رأى) في عهد المعتصم، وفي بناء مدينة المتوكلية أيام المتوكل، وفيما شيد في هذه المدن من قصور، أثار بهاؤها قرائح الشعراء.

وقد تجلت الحياة الأدبية في شعر الشعراء ، فقد أضفت نعومة الحياة رقة في الشعر، وابتداعا لمعان جديدة، وألهمت خيال الشعراء بصور فنية لم يكن لشعراء العصر الأموي عهد بها. وكان عطاء الخلفاء وسخاؤهم، ومن كان يجاريهم في العطاء من الوزراء والكبراء يشحذ إلهام الشعراء ويطلق لهواتهم بجيد الشعر، وكان الشعر وسيلة إطرائهم والتغني بفضائلهم. وإلى جانب الشعراء ظهر الكتَّاب، فابتدعوا أسلوبا جديدا يقوم على سلاسة التعبير، ودقة المعاني وإشراق البيان، ومن هؤلاء من رقا إلى الوزارة.

وفي الحياة الفكرية نجد أثر الثقافات الأجنبية التي حملها الموالي معهم، من حكمة الهند وأدب الفرس وفلسفة اليونان والعلوم التطبيقية

الأخرى. وقد تأثر بها الفكر الإسلامي، وتلقاها بما نقل منها إلى العربية ، فانعكست عليه خيرا وشرا.

وكان الخليفة المنصور أول من عني بهذا النقل وتبعه حفيده الرشيد ثم المأمون الذي أنشأ دارا للترجمة أسماها (دار الحكمة) واشتهرت بما جلب إليها من كتب الأوائل ، وخاصة ما كتب منها باليونانية والسريانية والقبطية، ووكل بها مترجمين من كل الاختصاصات: في الطب والهندسة والفلك (التنجيم) والصيدلة .. وقد كان لتلك الظاهرة أثرا إيجابيا تجلى في ازدهار العلوم البحتة والتطبيقية ، كالطب والرياضيات ، والهندسة، والفلك ، والكيمياء..، ولكنه لم يخلو من أثر سلبي بالغ الضرر بسبب ما دخل من علوم الفلسفة والمنطق على أبحاث الشريعة ، مما أوجد ما عرف بـ (علم الكلام) الذي دخل في علم العقائد والتوحيد ، وأوجد مذاهب عقدية منحرفة وضالة كالجهمية، والقدرية ، وغيرها ... وكان في طليعتها مذهب المعتزلة، الذي يتلخص باعتماد تحكيم العقل على نصوص الشرع كتابا وسنة .. والذي فجر مسألة فتنة خلق القرآن التي طحنت العلماء والرعية أيام المأمون والمعتصم والواثق ، وبقيت آثار هذا المذهب المنحرف إلى يومنا هذا، حيث ينتمي أكثر من يسمون مفكرين إسلاميين ، ورموز صحوة إسلامية إليه. وبعضهم لا يدري !

وكان من مظاهر الحضارة التي تميز بها العصر العباسي تطور الحياة الاجتماعية. فقد أدى امتزاج العرب بالموالي، وأكثرهم من الفرس، إلى ظهور طبقة من المولَّدين، أحدثت تطورا في حياة الأسرة والمجتمع.

ففي الأسرة الحاكمة تقدمت زوجات الخلفاء ، وزوجات كبار الوزراء والأمراء ، اللواتي دعين بأمهات الأولاد - وهن الجواري المستولَدات بالزواج بعد تحريرهن - على الحرائر العربيات في كثير من الأحيان ، ونلن الحظوة عند الأزواج، وحظي أبناؤهن عند آبائهم بما لم يحظ به أبناء الحرائر. وقد ضرب الخلفاء العباسيون في ذلك المثل.

وإذا نحن استثنينا أبا العباس السفاح ومُحَمَّد المهدي بن المنصور، ومُحَمَّد الأمين بن الرشيد، فكل خلفاء بني العباس ولدن من إماء وجواري محظيات !!!.

وكان لأمهاتهم الفارسيات والتركيات والروميات والبربريات ... الكلمة العليا في اختيار أولياء العهد، فكانت صاحبة الدل على الخليفة تفرض ابنها ليخلف أباه وتلزمه بالعهد إليه، فيقوم بين الأبناء نزاع كان يؤدي إلى صراع دموي، كما حدث بين الأمين والمأمون، وكما جرى مع المتوكل، فقد عهد بالخلافة إلى ابنه مُحَمَّد (المنتصر) وهو ابن أمة تدعي (حبشية)، فزاحمتها أم مُحَمَّد (المعتز) وهي مثلها أمة تدعى (صبيحة)، فلقبوها (قبيحة) وجعلت المتوكل يعزم على تقديم

ابنها في ولاية العهد على أخيه مُحَّد (المنتصر)، ولما علم هذا ما عزم عليه أبوه، ائتمر مع القادة الأتراك على قتله، فقتلوه.

وقد أدى تغلب العنصر الفارسي منذ أيام المأمون الذي كان أخواله من الفرس ، ثم التركي منذ أيان المعتصم الذي كان أخواله من الأتراك. كذلك تسربت التقاليد الفارسية إلى الحياة الاجتماعية، فظهرت الأزياء الفارسية في البلاط وتقرر في قصور الخلفاء ما كان متبعا من المراسم في قصور الفرس، واحتفل بالأعياد الفارسية كالمهرجان والنيروز ورام ، وغيرها من الأعياد الأخرى ..!.

وهكذا سيطر المولَّدون وبرز إمساكهم بزمام الدولة إلى انحسار العنصر العربي الخالص وارتداده إلى البادية التي خرج منها، وتوقفت فريضة جهاد الطلب ، وبها توقفت حدود الدولة الإسلامية عند النهايات التي بلغتها الدولة الأموية. ولم تعد تلك النخبة كما وصفها الله تعالى بقوله :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110).

- **ظاهرة علماء السلطان في العصر العباسي الأول :**

حاول الخلفاء العباسيون – كما كان ذلك دأب خلفاء بني أمية – استمالة الفقهاء ورجال الدين ليدعموا سلطانهم عند العامة، فازدادت ظاهرة علماء السلطان بروزا ، حتى ظهر ابن أبي دؤاد أيام المأمون والمعتصم، وبلغ بأحد أتباعه أن ينصح المعتصم بقتل أحمد بن حنبل ، قائلا له : اقتله يا إمام ودمه في عنقي!

ولكن تلك الأيام كان فيها من علماء الحق ، من يقف لجور أولئك الملوك ، ويأبون أن يكونوا (ديكورا) في حاشيتهم ، كما كان من الأئمة الأربعة ، وغيرهم من الأعلام كسفيان الثوري ، والأوزاعي، وغيرهم كثير. كما وقف أولئك العلماء للمنافقين من علماء القصور.

وكان جل العلماء يتعففون عن أبواب السلاطين ، ويعتبرونها أبواب الفتنة في الدين وبوابة البوار في الآخرة. وقد سجلت سيرهم أنصع صور الثبات في تلك الآونة.

- **أهم القضايا والمشكلات التي اعترضت دولة بني العباس في ذلك الطور:**

اعترضت دولة بني العباس في نصفها الأول (132 – 250هـ) عدة قضايا ومشكلات كان أهمها:

– ولاية العهد:

أدت الطريقة التي اتبعت في اختيار ولاة العهد إلى انقسام البيت العباسي وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراده. فالمنصور انتزع ولاية العهد من ابن أخيه عيسى بن موسى ونقلها إلى ابنه المهدي. وكان المهدي هدد بقتل أبيه إذا قدم عليه أخاه جعفرا.

والهادي أراد خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد ونقلها إلى ابنه جعفر فقتل قبل أن يتمكن من ذلك.

والأمين خلع أخاه المأمون وعهد بولاية العهد إلى ابنه القاصر موسى ، فخلعه المأمون وقاتله وانتهت حياة الأمين بقتله.

والعباس بن المأمون تآمر على قتل عمه المعتصم لانتزاع الخلافة منه فقتله المعتصم.

والمنتصر تآمر على قتل أبيه المتوكل لأنه أراد أن يقدم عليه أخاه المعتز.

فكانت ولاية العهد من أسباب تفكك البيت العباسي كما كانت من قبل من أسباب تفكك البيت الأموي.

- ظاهرة النعرة الشعوبية:

الشعوبية نسبة إلى (الشعوب) وهم الأقوام الذين فتح العرب المسلمون بلادهم ودخلوا في الإسلام وعرفوا باسم (الموالي)، أي أنهم ارتبطوا مع العرب برابطة الولاء.

وقد محا الإسلام الفوارق الطبقية والقومية وجعلهم إخوة، تقوم أخوتهم على رابطة الإيمان، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. وقد سوى النبي ﷺ بين الموالي وبين العرب بقوله: (**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**).

ولما تولى الخلافة بنو أمية، أحيوا العصبية العربية، التي كانت سائدة زمن الجاهلية، وميزوا بين العربي والعجمي، فكان المولى أدنى مرتبة من العربي في المرتبة الاجتماعية، وكانوا دون العربي في الفيء والعطاء، بل كان عمالهم يفرضون الجزية على رءوسهم والخراج على أراضيهم بعد إسلامهم...!

وقد أدى هذا الإخلال بمبدأ المساواة إلى تذمرهم ، وأيدوا الدعوة العباسية، وكانوا أعوان العباسيين في إقامة دولتهم.

وقد اعترف لهم الخلفاء العباسيون بالفضل وحفظوا لهم يدهم فولوهم الوظائف الكبرى. وكانت أسرة البرامكة أول من تقدم في دولة بني العباس، منذ أبي العباس السفاح، فكان منهم الوزراء والولاة وكان منهم الكتاب.

وفي عهد الرشيد لمع نجمهم ، وتولوا مقاليد الحكم في الدولة. وفي زمنهم نشط الشعوبيون، يستظلون بحمايتهم، وأخذ الكتاب والشعراء منهم يمتدحون فيهم أمجاد الفرس. وفي عهد المأمون حل بنو سهل وبنو طاهر - وكانوا قبل إسلامهم من أشراف الفرس ومجوسهم - محل البرامكة بعد نكبتهم ، فكان الفضل بن سهل ومن بعده أخوه الحسن بن سهل وزراء المأمون والقائمين على تدبير أموره ومخططي سياسته، وكان طاهر بن الحسين وأولاده قادة جيوشه وبقوتهم ارتفع إلى سدة الخلافة بعد قتلهم أخاه الأمين، فانتعشت الشعوبية، ولم تعد تقتصر على مديح الفرس وتمجيد ماضيهم، بل تجاوزته إلى القدح بالعرب ونشر مثالبهم والسخرية من تقاليدهم.

وفي عهد المأمون خاض الكتاب والشعراء الشعوبيون في امتداح الفرس وذم العرب.

ولم يكتف الشعوبيون بالقدح في طبائع العرب وحياتهم الاجتماعية بل تجاوزوا ذلك إلى الانتقاص من ثقافتهم ومقامهم، وامتدحوا الثقافات الأعجمية، وتغافلوا عن التطور الكبير الذي حدث في تاريخ العرب في النواحي الاجتماعية والفكرية، حتى فسروا بعض آيات القرآن بما يفيد تفضيل العجم على العرب.

وقد رد كتاب العرب وشعراؤهم على الشعوبيين ودفعوا ما قيل في مثالب العرب ببيان ما لهم من المزايا والفضائل، من كرم وشجاعة

ونجدة ومروءة، ومن فصاحة وبيان، ومن تكريم عند الله تعالى باختيار النبي ﷺ منهم وإنزال القرآن الكريم بلغتهم، وبدينهم اهتدى الناس وخرجوا من الظلمة إلى النور.. وكان ذلك الصراع أحد أوجه التركيب الاجتماعي.

- حركات الزندقة:

يطلق اسم زنديق - بالفارسية (زند كراي) - على الملحد الذي لا يؤمن بوحدانية الله ولا باليوم الآخر. وقد شاعت الزندقة في فارس وأطلقت على من ظل معتنقا تعاليم (مزدك) و (ماني) التي تدعو إلى عبادة إلهين إله النور، وإله الظلمة وأباحت ما حرم الإسلام من حرمات، وتأثرت بعقائد الهند التي تقول بالتناسخ والحلول، ثم تدثرت بدثار التشيع وأخذت تقاوم الإسلام، وكانت ترمي بذلك إلى تحقيق هدفين:

- الانتقاض على الحكم العربي - وإفساد عقيدة المسلمين.

أما الانتقاض فقد جرى على أسلوبين، أحدهما سياسي ساعد عليه تقريب العناصر الفارسية ومشاركة الخليفة العباسي في السلطة، وأحيانا الاستقلال بها من دونه بتفويض منه. فقد كانت هذه العناصر تحلم بإعادة مجدها المفقود وتشجع حركات الزندقة والشعوبية، وكانت تخفي أحلامها بمطاوعة الخلفاء فيما يشتهون وإشباع شهواتهم وإظهار

الوفاء لهم. وكان من هؤلاء أبو مسلم الخراساني ثم البرامكة، ثم آل سهل وآل طاهر.

أما الأسلوب الثاني، فكان في خلع طاعة الخليفة وإعلان الثورة عليه، ومنها ثورة الراوندية والخرمية والبابكية وغيرها.

وكان الهدف الثاني الذي ترمي إليه الزندقة هو إفساد عقيدة المسلمين تحت شعار التشيع، ومن خلاله تسربت عقائد وديانات الفرس السابقة للإسلام، فكانت تغرر بالشبان بما كان ماني يدعو إليه من طلب اللذة بإباحة شرب الخمر ووطء المحرمات ومنهم الأخوات والبنات.

وقد بدأ الخليفة المنصور بتتبع الزنادقة وقتل من قامت عليه الحجة، واشتد المهدي في تتبعهم، وكان يستتيبهم، فمن تاب أطلقه ومن أبى قتله، وبذلك أوصى ابنه موسى (الهادي). وقد سار الرشيد بسيرة أبيه وأخيه فتعقب الزنادقة وبطش بمن ثبتت عليه الزندقة. أما المأمون فكان إذا سمع بزنديق أمر بحمله إلى مجلسه وفيه جماعة من المتكلمين - المعتزلة - فناظروه لعلهم يقنعونه ويردونه إلى الإسلام، وكان المأمون يشترك في مناظرته، فإذا لم يكف عن غوايته، أمر بقتله.

كذلك فعل المعتصم فقتل قائده (الإفشين) بعد محاكمته وثبوت الزندقة عليه.

- **مسألة خلق القرآن:**

كما ذكرنا آنفا ، فقد أدى الاحتكاك بفلسفات اليونان ، والانفتاح على ثقافات الدول المفتوحة الفارسية والشرقية الأخرى إلى دخول أفكار شاذة لدى بعض من مزج ذلك بعلوم الشريعة ولاسيما في مجال العقائد ، مما ولد مذاهب منحرفة كان من أبرزها تأثيرا في تلك الفترة ، ما سمي بمذهب المعتزلة ، الذين جعلوا العقل – بحسب فهم عقولهم السقيمة – حكما على النصوص الشرعية المحكمة كتابا وسنة ! وقد صار بعض أئمة ذلك المذهب مقربين من الخليفة المأمون، وأقنعوه بمذهبهم ! ، وفي أواخر خلافته ابتدع المعتزلة و زعيمهم مسألة القول بخلق القرآن التي تصدى لضلالها أئمة أهل السنة وفي طليعتهم الإمام أحمد بن حنبل.

وفي أواخر عهد خلافته ألزم المأمون الفقهاء بالأخذ بها، ففي سنة 218هـ توجه المأمون لحرب الروم فأناب عنه في بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وهو ابن عم طاهر بن الحسين ولما وصل إلى مدينة (طرسوس) كتب لنائبه يأمره أن يدعو الفقهاء ويسألهم عن رأيهم في خلق القرآن، فمن قال إنه مخلوق أطلقه، ومن قال بغير ذلك فقد أمره ألا يستعين به في عمل وأن يسقط شهادته وأن يمنعه من التحديث بحديث رسول الله ﷺ. ومن الفتوى، فإن أصر بعد ذلك فليشده بالحديد ويرسله إليه بـ(طرسوس) .. وقد حمل إليه الإمام ابن حنبل

مصفدا بالسلاسل ، و دعا ربه في الطريق أن لا يجمعه بالمأمون ، فجاءهم خبر وفاته في الطريق ورد ابن حنبل إلى بغداد.

وكان المأمون قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه المعتصم بالله وأوصاه أن يستمر بامتحان الفقهاء، فسلك مسلك المأمون وكتب إلى الولايات بذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان أن القرآن مخلوق ، وقاسى الناس منه مشقة وجورا عظيما، وقتل كثيرا من العلماء، وضرب الإمام أحمد بن حنبل بين يديه وعذب.

ثم أوصى المعتصم ابنه الواثق بامتحان العلماء، فتبع أباه وسلك مسلكه في امتحانهم وقتل المحدث أحمد بن نصر الخزاعي لأنه لم يقل بخلق القرآن وسعى بالخروج على الواثق . ولما جرى الفداء بين المسلمين والروم سنة 231هـ أمر أن لا يفتدى من أسرى المسلمين إلا من قال بخلق القرآن ، فمن رفض ترك في أيدي الروم.

وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فقالوا بخلقه جميعا إلا أربعة نفر، فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يقولوا بخلق القرآن، فأبوا فضرب أعناقهم. ولما تولى المتوكل الخلافة أبطل القول بخلق القرآن وخرج أحمد بن حنبل من بيته بعد أن لزمه طيلة عهد المعتصم والواثق ، فأكرمه المتوكل، وغضب على أحمد بن أبي دؤاد فعزله وصادر أمواله وحبسه مع أبنائه وإخوته وأصابه الفالج فمات.

– حياة الترف وبداية التحلل من القيم الدينية :

فقد أحدثت هذه الحياة الطارئة، تراخيا في الأخلاق الإسلامية، وأصبح اللهو والمجون والعبث من سمات كثير من أهل ذلك العصر، وتطنب كتب التاريخ بأخبار ما عجت به قصور الخلفاء والكبراء من قصص تكاد تقرب من الخيال مما يطول ذكره ، ولا داعي للإفاضة فيه هنا. وأظن أن كثيرا من تلك الأقاصيص كانت من نسج خيال الوضاعين والأدباء والقصاصين .. ولكن الحقيقة أن لكل تلك التهويلات أصلا..

وكان ذلك الترف وما ذكرنا من أسباب التقهقر المعول الذي قد جذور الخلافة الإسلامية ، لتصبح في العصر العباسي التالي منصبا يعبث به القادة والمماليك.

❖❖❖❖❖❖❖

- **العصر العباسي الثاني:**

ويمتد من خلافة المستنصر الذي قتل أباه المتوكل بالتآمر مع القادة الأتراك ، إلى خلافة المقتدي بالله الذي شهدت خلافته بداية الحملات الصليبية على سواحل الشام ، وبداية تحرك التتار في شرق الخلافة على تخوم بلاد ما وراء النهر.

- **السمات التي يتميز بها العصر العباسي الثاني:**

أولا – تغلب القادة المتغلبين على الخلافة:

يعتبر إقدام القادة الأتراك على قتل الخليفة المتوكل على الله في الخامس عشر من شهر شوال سنة 247هـ، بداية العصر العباسي الثاني، وفيه استبد القادة بالسلطة، وأصبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم. وقد أصبح مصير الخلافة في أيديهم، فمن شاءوا خلعوه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه وسملوه وصادروا أمواله. وحين خلع الخليفة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه.

ولما استولى البويهيون على السلطة بعد الأتراك، اتبعوا نهجهم، فكان الأمير البويهي يولي الخلافة من يشاء ويخلع من يشاء وكان الخلع كثيرا ما يتم بالذل والهوان.

وكان خلع الخليفة يوم ابتهاج عند الجند، ففيه يجري نهب دار الخلافة وفيه يطالب الجند الخليفة الجديد برسم (بيعته). وكان يجري على الخليفة المخلوع نفقة قد لا تكفيه، فيضطر إلى التكفف واستعطاف الناس، كما جرى للخليفة القاهر بالله بعد خلعه ومصادرة أمواله وسمله، فكان يخرج إلى جامع المنصور ويتكفف المصلين ويقول: تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم. وذلك بعد أن كان قد حفر الأخاديد في قصره وملأها ذهبا وفضة ..!! وسبحان مالك الملك !

وقد توالى على الخلافة منذ خلافة المنتصر بالله سنة 248هـ إلى خلافة المستظهر بالله سنة 487هـ، أي خلال 239 سنة، سبعة عشر خليفة، منهم أربعة قتلوا وهم: المستعين بالله والمعتز بالله والمهتدي بالله والمقتدر بالله، ومنهم ثلاثة خلعوا وسملوا (قلعت عيونهم) وهم: القاهر بالله والمتقي لله والمستكفي بالله، ومنهم اثنان أجبرا على خلع نفسيهما وهم: المطيع والطائع ، وهناك خليفتان قيل في بعض الروايات أنهما قتلا بالسم وهما: المعتمد على الله والمعتضد بالله، فيكون مجموع من قتل وخلع ومات بالسم عشر خلفاء. من أصل سبعة عشر !!

ثانيا – عزل الوزراء ومصادرتهم :

لم يكن حال الوزراء بأفضل من حال الخلفاء، فكان الوزير يأتمر بأمر المتغلبين، فإذا غضبوا عليه عزلوه وصادروا أمواله، وقد يقتلونه، كما جرى للوزير أحمد بن إسرائيل ولكاتبه عيسى بن نوح. فقد صادرهما القائد التركي صالح بن وصيف وقتلهم ضربا بالسياط. ومثل ذلك بل أشد ما جرى لكثير من الوزراء.

وكثيرا ما كان الوزير يُنصب ثم يُعزل، ويتكرر نصبه وعزله عدة مرات لا يفصل بينهما إلا أمد قصير، وغالبا ما كان ينتهي عزله

بمصادرته وقتله، ومع ذلك فإن الكثيرين كانوا يطمعون في تولي الوزارة، ويبذلون المال في سبيل توزيرهم !!.

ذلك أن الوزارة كانت موردا للثراء الفاحش عن طريق الرشاوى، ومن ذلك أن مُحَّد بن عبيد الله بن خاقان وزير المعتضد بالله كان يأخذ الرشوة من كل طالب وظيفة، وربما عين للوظيفة الواحدة عددا من الموظفين، وقيل إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة وأخذ من كل واحد رشوة وكان أهمها ضمان الخراج وتعيين الولاة والعمال والقضاة والكتاب، فيكون للوزير على من يوليه جبايات يجني منها ربحا وفيرا، ويثري به ثراء فاحشا.

من أجل ذلك كانت الوزارة هدفا للدسائس من حاسدي الوزير، الطامعين في منصبه، فإذا أفلح الدس على الوزير عزل وصودرت أمواله، وكان ما يصادر يعد بآلاف الآلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد يسلم له الكثير مما يكون قد طمره في حفرة، أو أخفاه في مكان بعيد.

ثالثا – ابتداع الألقاب والكنى:

لما انتقلت الخلافة إلى بني العباس أضافوا إلى هذا اللقب ألقابا تدل على صفة يتميز بها الخليفة. فقد عرف عبد الله أبو العباس أول خليفة عباسي، بلقب (السفاح) وتلقب أخوه عبد الله أبو جعفر بلقب (المنصور) وتلقب ابنه مُحَّد من بعده بلقب (المهدي) وتلقب من

بعده ولداه، موسى وهارون بلقب موسى (الهادي) وهارون (الرشيد). ولقب الرشيد أولاده الثلاثة: مُحَّد وعبد الله والقاسم بلقب مُحَّد (الأمين) وعبد الله (المأمون) والقاسم (المؤتمن).

ولما تولى الخلافة مُحَّد بن الرشيد خلفا لأخيه المأمون ابتدع لقبا، أضافه إلى اسم الله تعالى فتلقب بمحمد (المعتصم بالله)، وجرى الخلفاء من بعده على تقليده، وأصبح الخليفة يعرف بلقبه.

ولما استبد القادة الأتراك بالسلطة منح الخليفة إلى من بيده السلطة منهم لقب (أمير الأمراء) ولقب (معز الدولة) و(عماد الدولة) (ركن الدولة)، و(عضد الدولة) و(جلال الدولة) و(بهاء الدولة) و(فخر الدولة).

ولم يكتف بنو بويه بهذه الألقاب، بل أضافوا إليها لقب (السلطان)، ومنهم من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك الذي أفتى العلماء بحرمته. ثم سرت هذه الألقاب بعد ذلك إلى أمراء الأقاليم المستقلين، فكان من الحمدانيين في الموصل وحلب: (ناصر الدولة) و(سيف الدولة) و(شبل الدولة)، وتبعهم بعد ذلك أمراء بني عقيل في الجزيرة وملوك الإخشيد في مصر، وسلاطين غزنة وكان منهم: (ناصر الدولة) سبكتكين و(يمين الدولة) محمود. و(شهاب الدولة) و(جمال الدولة) و(كمال الدولة)، وإلى هذه الألقاب أضيفت أيضا كنى (كأبي الفضائل) و(أبي المعالي) وما شابه ذلك.

وقد أصبحت الكنى والألقاب في العصر العباسي الثاني موردا للخلفاء، وخاصة بعد أن رفعت عن أيديهم أموال بيت المال في عهد معز الدولة البويهي فكان بعض الخلفاء يبيع الألقاب لمن يطلبها...!

رابعا – مظالم عمال الخراج :

يشمل الخراج ضريبة ما تخرجه الأرض من ثمرات ومحاصيل، وكان يتولى جبايتها مع جباية موارد الدولة الأخرى عمال يدعون (عمال الخراج) وكانوا يتمتعون بسلطة كبيرة. وقد عرفوا بالظلم والعسف فكانوا يجبون أضعاف ما كانوا يضمنون أداءه للدولة.

وقد روى المؤرخون ما كان يجري على أيديهم من المظالم، وما كان يلقى المكلفون من صنوف العذاب.

ومثل ذلك يفعلون مع من يرث ميراثا ضخما، فكانوا يعملون على الاستيلاء على ميراثه، أو يشركونه فيه، فإذا رفض سجنوه وأخذوا في تعذيبه حتى ينالوا ما يريدون.

وقد جمع عمال الخراج مما جنوه ثروات كبيرة، ملكوا بها الضياع وبنوا الدور والقصور وعقدوا فيها مجالس الطرب والسمر والشراب، وقصدهم الشعراء يتكسبون بمدحهم.

وقد يتولى الوزير مع وزارته ضمان الخراج، فيجبي بسلطانه مالا كثيرا، يؤدي بعضه إلى بيت المال ويوفر لنفسه ما تبقى.

خامسا – مصادرة الأموال :

لم تقتصر المصادرة على أموال من يخلع من الخلفاء أو يعزل من الوزراء والعمال، بل شملت أموال الناس وخاصة التجار منهم، فكان الخليفة العباسي أو السلطان البويهي، إذا أعوزه المال أمر بمصادرة التجار.

سادسا – فساد القضاء:

كان القضاء هو الأداة التي تضمن سلامة المجتمع وأمنه بإشاعة العدل والمساواة بين أفراده. ويشترط في القاضي أن يكون عالما بأحكام الشرع، مراعيا مقاصده ومجتهدا فيه، وأن يكون عفيفا، غير طامع في مال ولا مغتر بجاه ولا مطيع لسلطان في غير ما أمر الله.

وكان القاضي يرتزق من بيت المال في حدود حاجته وقد يتورع فيقضي بغير أجر. ومن الفقهاء من كان يعتبر القضاء محنة وابتلاء فيأبى توليه مخافة أن يصدر في قضائه عن جور أو يلحق ظلما بأحد، فيبوء بخسران يقاضيه الله عليه. ففي حديث الرسول ﷺ: (قاض في الجنة وقاضيان في النار) فهو يخشى أن يكون أحد القاضيين.

وهذا أبو حنيفة يريده الخليفة المنصور العباسي على القضاء فيمتنع، فيأمر المنصور بضربه بالسياط، ثم يأمر بحبسه، وقيل إنه مات في الحبس. وهذا سفيان الثوري يكتب إليه الخليفة المهدي بولاية قضاء الكوفة على أن لا يتعرض أحد لحكم من أحكامه، فيأخذ العهد ويرميه في دجلة ثم يتوارى. ومثله إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علية. وعبد الله بن وهب وكثيرون غيرهم ممن تحرج من تولي القضاء فامتنع عن قبوله.

هكذا كان شأن القضاء فيما مضى حتى جاء العصر العباسي الثاني، فتأثر القضاء بفساد العصر وأصبح وسيلة للارتزاق !! وارتقى إليه من ليس من أهله. ففي عهد الخليفة المقتدر، ولى وزيره أبو الحسن بن الفرات القضاء تاجرا كان أسدى إليه معروفا.

ومضت فترة جرى فيها تضمين القضاء لقاء رشاوى ومبالغ ضخمة !!. ففي عام 350ه ضمن السلطان معز الدولة البويهي قضاء بغداد لأبي عبد الله بن أبي الشوارب ومعه قضاء القضاة ، لقاء مائتي ألف درهم يدفعها كل سنة إلى خزانة السلطان.

وكان تضمين القضاء وسيلة للرشوة، ويبدو أنها كانت مألوفة عند بعض أبناء أبي الشوارب، وأكثرهم ممن تولى القضاء فقد روى ابن كثير أن مُحَمَّد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، قاضي بغداد كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات. على أن هذه الأسرة

قد تولى أكثر أبنائها القضاء، وكانوا على جانب كبير من العلم والورع، غير أن الفساد سرى إلى بعضهم، وكان فساد القضاء كما يقول صاحب المنتظم، أول ما انحل من سياسة الملك.

وقد أورد مُحَّد بن سعد الزهري المتوفى عام 230هـ مقارنة بين قضاة صدر الإسلام وقضاة زمانه فقال: كان الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزمان فيقول أحدنا للآخر: لأنت أفلس من القاضي، فصار قضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكا وأصحاب غلات وضياع و تجارات وأموال !!.

سابعاً – الفتن والصراعات الداخلية:

أ – الفتن المذهبية:

ثارت فتن بين الشيعة وبين أهل السنة، وخاصة الحنابلة منهم، فتن كان مسرحها بغداد. وقد بدأت في أوائل القرن الرابع الهجري وامتدت إلى أواخر القرن الخامس الهجري، وكانت تتوالى الفتن عاما بعد عام، وكثيرا ما كانت تشتد، فينشب فيها قتال مرير يرافقه حرائق وتدمير.

وقد شد آل بويه أزر الشيعة لتشيعهم، وشد الأتراك أزر أهل السنة لأخذهم بمذهبهم، وكان القُصاص من الجانبين يثيرون شعور الطرفين بالعداء و يحرشون فيما بينهم. حتى بلغ الإسفاف في إحدى السنين – كما جاء في تاريخ ابن كثير – أن يخرج الجهال والرعاع من المنسوبين

للسنة جملا رمزوا به إلى جمل موقعة الجمل وساروا خلفه ، ورفع الشيعة راياتهم و استعلنوا بسب الصحابة.. ! واقتتل الناس حتى تعطلت الأسواق والحياة وانتشر الشر في بغداد !!

وكذلك كانت تثور الفتن أحيانا حتى بين أهل السنة. بين الحنابلة والأشاعرة، وبين الحنفية والشافعية..، فكان أهل كل مذهب يتعصبون لمذهبهم، ويدفعهم التعصب إلى أن يقتتلوا. ففي عام 469هـ قدم أبو نصر القشيري إلى بغداد فوعظ بالمدرسة النظامية ونصر الأشاعرة وحط على الحنابلة، فهاج عوام أهل السنة وأحداثهم وقصدوا المدرسة النظامية، وحميت الفتنة وقتل جماعة منهم. وثارت الفتنة في عام 476هـ بين الفريقين وتلتها فتن أخرى كانت تثور بين حين وآخر وامتدت إلى آخر القرن السادس الهجري.

كذلك ثارت الفتن بين الحنفية والشافعية، وكلاهما من أهل السنة، ففي عام 468هـ نشبت فتنة كبرى بينهم بسبب تحول إمام من أئمة الحنفية إلى المذهب الشافعي. فقد روى السبكي أن الإمام أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن السمعاني الخراساني. تحول من المذهب الحنفي الذي ناظر فيه ثلاثين سنة، إلى المذهب الشافعي، فقامت الحرب بين جماعة المذهبين، واضطرمت الفتنة بينهم، حتى كادت أن تملأ ما بين خراسان والعراق.

ويصف لنا ياقوت في معجمه ، آثار الخراب الذي أصاب بعض المدن في أعقاب الفتن التي كانت تنشب بين أصحاب المذهبين، فحين يذكر مدينة أصفهان يقول: " وقد فشا الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الحنفية والشافعية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت الأخرى..."، وجرى مثل ذلك في مدن أخرى كالري و ساوة.

وروى الإمام السبكي أن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه، أمير خوارزم كان متعصبا للشافعية، وقد بنى في مدينة (مرو) جامعا، فتعصب عليه أهل المدينة وهم أحناف، فأحرقوا الجامع، وقامت فتنة هائلة، كادت الجماجم فيها تطير عن الغلاصم..

ب – فتن الجند :

كان الجيش في أغلبه يتألف من الأتراك والديلم، وكثيرا ما شغبوا على الخليفة لتأخر أعطياتهم، وكثيرا ما أدى شغبهم إلى خلع الخليفة طمعا برسم البيعة ممن يخلفه. وقد يرتد شغبهم على الناس، فتندلع فتنة يكثر ضحاياها.

ففي عام 421هـ برم الناس من اعتداء الجند الأتراك، وعجزت الدولة عن ردعهم لضعفها وهوانها، فاجتمع الهاشميون والعلويون ومعهم

الفقهاء، فاستنفروا الناس لصد الأتراك. فعمد الأتراك إلى رفع الصليب على رمح !! يتحدون بذلك الدولة، وترامى الفريقان بالنشاب والآجر، وقتل طائفة من الناس.

وفي عام 429هـ تظلم الناس من اعتداء الديلم واقتحامهم الدور وتعرضهم للنساء، فلم يستمع السلطان البويهي لتظلمهم، فالتحموا مع الديلم في قتال مرير، واهتبل العيارون انشغال الناس في القتال، فداهموا البيوت والمخازن، واقتحم اللصوص بغداد فأخذوا ما وجدوا من الخيول.

ج – فتن العيارين والشطار(السراق والحرامية والصعاليك):

كان للعيارين والشطار نصيب كبير في الفتن ، فقد تألف منهم فرق منظمة، كانت تخضع لزعيم يدعى (مقدم العيارين) وهو الذي يزودها بالسلاح ويتولى تدريبها وتوجيهها. وكان ينتظم في هذه الفرق أوزاع من الناس وأخلاط من الفقراء، فيهم السني والشيعي، وفيهم الهاشمي والعلوي وفيهم الأعرابي والكردي والعجمي. كانت فرقهم تنتهز انشغال الناس في الفتن التي تثار، فيغيرون على منازل الأغنياء، وكثيرا ما تغلبوا على الشرطة وهزموها. وقد بلغ من قوتهم أن فرضوا الخطبة لزعيمهم في صلاة الجمعة في إحدى المرات!.

ففي عام 424هـ اجتمع في الرصافة ببغداد فريق منهم وألزموا الخطيب أن يخطب للبرجمي (زعيم العيارين) مع خطبته للخليفة والسلطان !. وكانوا يفرضون الإتاوات على أصحاب الأعمال، وربما تولوا حفظ الأمن !، وتلقب زعماؤهم بلقب القواد. وكانت أفعالهم فيها ظاهرة الثورة على فساد الحكم. وقد التزم (البرجمي) ومن بعده (الطقطقي) بمعاني الثورة ، وطريقة الصعاليك. في مقاومة حكم تسوده الفوضى ويطغى عليه نهب الأموال، واختل فيه ميزان العدل وسرت فيه الرشاوي.

وكان سلوك هؤلاء الحرامية مطبوعا بالمروءة ! فلم يكن يسمح لأحد من أعوانهم الاعتداء على امرأة أو أخذ شيء منها، ولا التعرض لأوساط الناس وفقرائهم.

على أن جماعات اتخذوا اسم العيارين كانوا أقرب إلى اللصوص والسراق، وفيهم فجار وقوادون، فكانوا يمارسون عدوانهم على الناس فلا ينكرها عليهم أحد. لأن قائدا من قواد الديلم يدعى أبا جعفر بن شيرزاد. ضمن لهم ما كانوا يمارسونه بمبلغ خمسة وعشرين ألفا دينار يدفعونها إليه في كل شهر !.

ثامنا – الثورات :

نشبت الثورات في العصر العباسي الثاني بين عامي 255 و 366هـ ما يزيد على خمسين ثورة، منها ما كان ثورة على الحكم، ومنها ما كان انتقاضا على الحاكمين، من خليفة وسلطان.

وكان أهم الثورات خطرا في أسبابها ونتائجها ثورتان هما: ثورة عرفت باسم ثورة الزنج وثورة القرامطة.

أ – ثورة الزنج :

سبق للزنج أن ثاروا سنة 71هـ ثم ثاروا سنة 76هـ لما فشا فيهم من الأفكار الشاذة ، والزعماء الأدعياء ، ونتيجة لما كان ينالهم من ظلم ملاك الأراضي الذين جلبوهم من شرق إفريقيا لاستصلاح أراضيهم. وقد قمع الحجاج أمير العراق الثورتين.

ثم قامت لهم ثورة عارمة في عهد الخليفة المعتز بالله. قادها رجل فارسي دعا نفسه مُحَمَّد بن علي وزعم أنه علوي النسب وتروي الروايات، أنه قدم من الأهواز سنة 255هـ ونزل في منطقة تقع في جنوب العراق حيث كان يقوم باستصلاحها الزنوج الإفريقيون ، وكانوا يلاقون ظلما مريرا من أصحاب الأراضي. فاندس فيهم ذلك الرجل وادعى أنه من آل البيت، ودعاهم لاتباعه ليحررهم من الرق، وينجيهم

من عذاب أسيادهم، وأخذ يظهر لهم، بما أوتي من ذكاء وسعة حيلة، أعمالا فيها كثير من الشعوذة وينبئهم بأخبار يزعم أنها من الغيب.

وقد أقام دعوته على دعوة الخوارج وهي المساواة بين المسلمين. وقد استجاب له الأعراب الذين كانوا يسكنون في بوادي البصرة ، ويعملون لشظف العيش بشن الغارات على القرى واعتراض قوافل الحجاج، ينهبون ويسلبون ، وقد أغراهم بما يطمع فيه الفقراء الذين ضمر في قلوبهم الشعور بالإيمان وتراخت عقيدتهم، فأباح لهم شيوعية الأموال والنساء، وهي عقيدة مزدك الفارسي، فاجتمعوا عليه مؤمنين بدعوته.

وقد عرف القائم بتلك الدعوة، الناظم لتلك الجموع الغفيرة بصاحب الزنج، لأن العدد الغالب من أتباعه كان منهم، ولأنهم أول من استجاب لدعوته، فاستولى على البحرين والأحساء، ثم توجه صعدا إلى البصرة. وفي شوال سنة 257هـ أغار على تلك المدينة وهي غافلة، فداهمها بجموعه وأمعن أتباعه فيها نهبا وسلبا وقتلا وتحريقا، فلم يسلم من أهلها إلا من هرب وهام على وجهه يلتمس النجاة.

وأوى من ظل في المدينة إلى المسجد الجامع ظنا منهم أنهم يأمنون فيه على أرواحهم، لكن الثائرين ما لبثوا أن داهموا المسجد وقتلوا من أوى إليه، ثم اقتحموا البيوت وقتلوا الأطفال وسبوا النساء، وفيهم كثير

من شرائف النساء، فتقاسمهم الآسرون، ومن دخلت في سهمه استخدمها وفجر بها ثم باعها.

ثم أحرقوا البصرة فأضحت معالمها أطلالا. وبعد خراب البصرة توجه صاحب الزنج بأتباعه إلى الأهواز وهزم الحملات التي كان يرسلها الخليفة المعتمد على الله لقتاله.

وبعد ذلك قصد (واسط) وهم بالتوجه إلى بغداد لولا أن الخليفة جمع له جيشا كثيفا قاده أخوه الموفق بالله، فتغلب على صاحب الزنج بعد قتال مرير وتمكن من قتله والقضاء على الفتنة التي أثارها والتي دامت خمس عشرة سنة (255 – 270هـ).

ب – ثورة القرامطة :

لم تكد تنتهي ثورة الزنج حتى نشبت ثورة أخرى كانت امتدادا لها ومنادية بشعارها وهو مقاومة الظلم ، معلنة مبدأ المساواة بين الناس لتتستر وراءه عن حقيقة الزندقة التي تحتويها. وقد عرفت بثورة القرامطة، وتنسب هذه التسمية إلى رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، وقيل أن اسمه (حمدان الأشعث) ، وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد الله بن ميمون القداح.

فلما تم القضاء على ثورة الزنج سنة 270هـ اجتمع حوله فلولها وبدأ بما بدأ به صاحب الزنج من إظهار الزهد والتقشف والورع ، فجذب

إليه قلوب الناس، وكان يخفي وراء هذا السلوك هدفا سياسيا، وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام، جعل الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها، وجعل القبلة والحج إلى بيت المقدس وجعل الصوم يومين في السنة، وهما يوم المهرجان ويوم النيروز. وعدل في الأذان، وفرض جزية على من خالفه وأباح قتله إن أمكن ذلك، وأخذ يفسر آيات القرآن بتأويل، بدعوى أن لآياته وأحكامه تأويلا باطنيا يفسر به ظاهرها، ومن ثم عرف مذهبهم بالباطنية.

وقد كثر أتباع قرمط وكثر، وقد أقام هؤلاء دولة لهم في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة الشيعية ، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

ومن تتبع الأسباب التي انطلقت منها ثورة الزنج، ثم ثورة القرامطة والتأمل بنتائجها نجد أنها ترجع إلى سببين مفترقين ومتوازيين.

فالأول: هو استغلال دعاة الثورة جهل العامة من أجل سلخهم من العقيدة الإسلامية من دعاة يحملون حطام دياناتهم السابقة التي ما زالوا متأثرين بها.

والسبب الثاني: هو استغلال الضجر والضيق من استبداد الولاة ومن إرهاق عمال الخراج، يضاف إلى بؤس الفقراء الذين يعانون ألم الجوع والعطالة والحرمان. وكان هؤلاء مع كل دعوة للتحرر من الظلم الذي يحل بهم والضيق الذي يكابدونه.

وقد اختار دعاة الثورة جنوب العراق والمناطق المجاورة له لبعدها عن بغداد وعجز الدولة عن تتبع الثائرين.

تاسعاً – تقسيم الدولة العباسية بين الخلافة المركزية والمتغلبين:

كانت الدولة في أيام بني أمية وحدة شاملة من شرقها الممتد من بلاد ما بين النهرين وحدود الصين والهند إلى مغربها في المغرب الأقصى والأندلس. وكان يحكم أقاليمها ولاة يوليهم خليفة دمشق وإليه يرجعون في أمورهم الهامة، ينفذون سياسته ويحكمون بسلطانه. ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس استقلت بعض الأقاليم بتفويض منهم واستقل البعض الآخر بالغلبة عليهم.

ففي عهد أبي جعفر المنصور استولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة 138هـ على الأندلس واستقل بها وأنهى الحكم العباسي وأعاد الحكم إلى بني أمية.

وفي عهد المنصور أيضا أنشأ إدريس بن مُحَمَّد (النفس الزكية)، وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة 172هـ.

وفي 140هـ قامت الدولة المدارية في المغرب الأقصى وهم من الخوارج الصفرية.

وفي 162هـ قامت في تاهرت (الجزائر) الدولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية.

وفي عام 184هـ أنشأ إبراهيم بن الأغلب بتفويض من الخليفة هارون الرشيد دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس).

وفي عام 205هـ أنشأ طاهر بن الحسين بتفويض من المأمون دولة بني طاهر في خراسان مكافأة له لنصرته على الأمين.

فهذه الأقاليم الأربعة انفصلت عن الدولة العباسية، واستقلت عنها، وتداولت الحكم بطريق الإرث. غير أن انفصال بعضها كان يختلف عن انفصال البعض الآخر. ففي دولة بني أمية في الأندلس وفي دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، انقطعت الصلة بدولة الخلافة

العباسية. أما في دولة بني طاهر ودولة الأغالبة، فلم تنقطع الصلة بها، بل ظلت على ولائها وتبعيتها.

وفي **العصر العباسي الثاني** ازدادت الظاهرة وانفصلت عن دولة الخلافة الأقاليم الآتية:

ففي سنة 254هـ انفصلت مصر والشام وقامت فيهما الدولة الطولونية ، أسسها أحمد بن طولون.

وفي سنة 254هـ قامت دولة بني الصفار في سجستان بزعامة الليث بن الصفار واستولت على خراسان وقضت على دولة بني طاهر.

وفي سنة 261هـ قامت دولة بني سامان في خراسان بزعامة نصر بن أحمد ابن أسد بن سامان وقضت على الدولة الصفارية.

وفي سنة 332هـ قامت الدولة الإخشيدية. وحكمت مصر والشام وامتدت لليمن.

وفي سنة 297هـ قامت في إفريقية دولة العبيديين بزعامة أبي عبيد الله المهدي وقضت على دولة الأغالبة، ثم على دولة بني الإخشيد وامتد حكمها إلى مصر والشام والحجاز.

وفي سنة 320هـ قامت دولة بني بويه في فارس وأصبهان وهمذان والري بزعامة أبناء بويه وهم: الحسن وعلي وأحمد وأبناؤهم من بعدهم.

وقامت في الموصل والجزيرة وحلب دولة بني حمدان بزعامة أبناء حمدان بن حمدون التغلبي 292هـ.

وفي سنة 321هـ قامت دولة الغزنويين فيما وراء النهر بزعامة سبكتكين، أمير غزنة ومن بعده ابنه محمود المعروف باسم محمود الغزنوي فقضى على دولة بني سامان وامتدت دولته إلى الهند.

وفي عام 328هـ لم يبق في يد الخليفة سوى بغداد وسواد العراق، وقد جرد منهما حين استولى معز الدولة البويهي على بغداد سنة 334هـ فلم يبق من الخلافة غير لقبها.

وفي عام 421هـ قامت دولة الترك (الغز) السلاجقة.

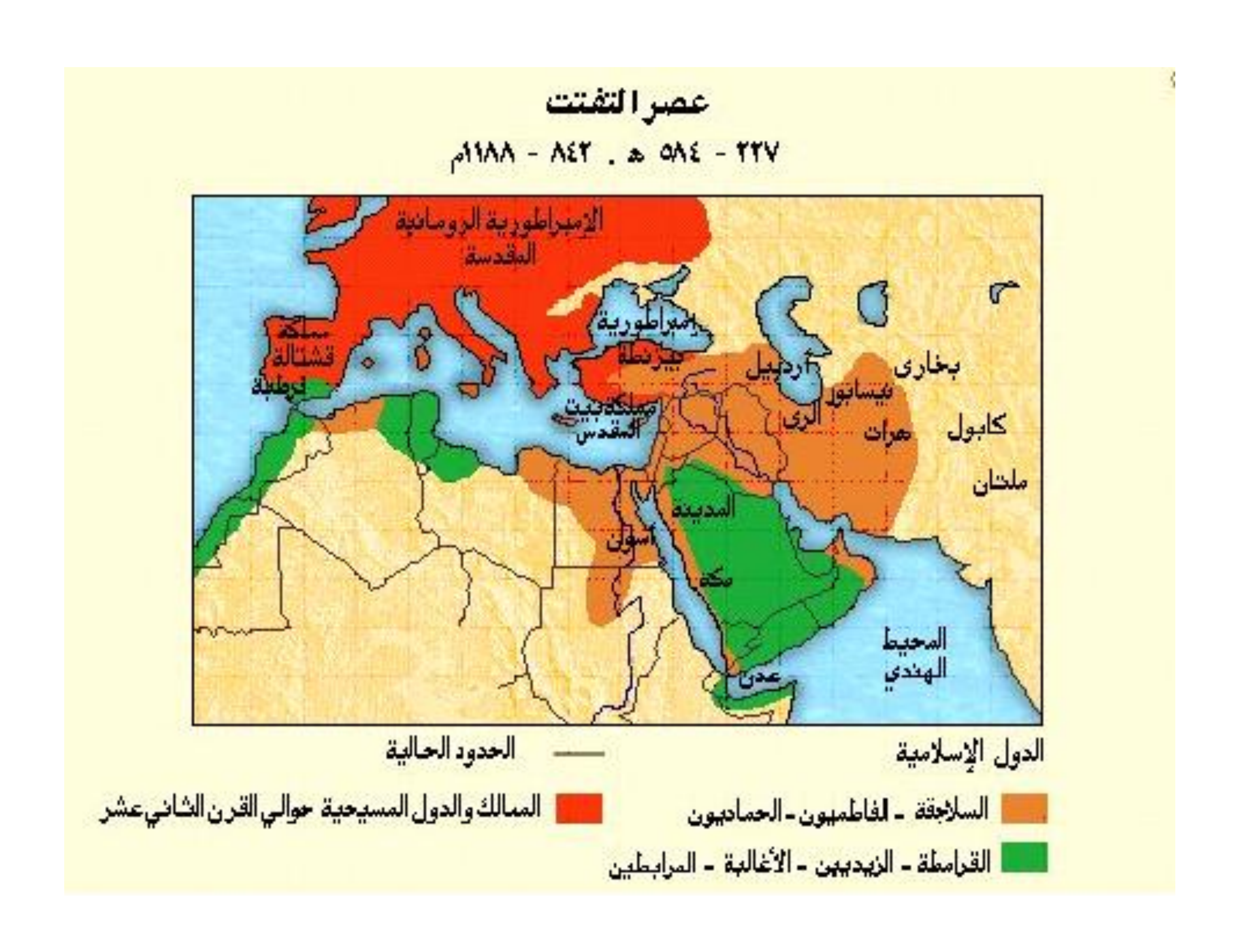
القادمين من بلاد تركستان، فأزالت دولة الغزنويين والبويهيين والدويلات الأخرى، بزعامة طغرلبك السلجوقي،

ولما مات طغرلبك خلفه ابن أخيه ألب أرسلان فقامت في عهده وحدة الدولة الإسلامية الممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى بلاد الشام. غير أن الخلاف ما لبث أن ثار بينه وبين وبين أولاد عمه ، وقامت سنة 470هـ دولة عرفت بدولة سلاجقة الروم (يقصد بها سكنهم في بلاد الروم).

وقد أحدث الانشقاق بين السلاجقة بينهم أحقادا، فواجهوا الغزو الصليبي متفرقين، ولو أنهم واجهوه متحدين، لتحولت مسيرة الأحداث وجهة أخرى ولسلمت بلاد الإسلام من غزو ما زالت تتجرع مرارته.

عاشـرا : انتشـار الـترف والانحـلال والفسـاد الاجتمـاعي في كثـير مـن العامة والخاصة:

فقـد أدى فسـاد القصـور ، ومـا تلطخـت بـه مـن الصـراعات والمفاسد، إلى تفشي ذلك في أوساط مختلف طبقات العامة ، ولاسيما الموسـرة منهـا ، نتيجـة ازدهـار التجـارة ، وانفتـاح الـدنيا علـى النـاس. ونلاحـظ هـذا في كثـير مـن كتـابات الوعـاظ والعلمـاء في تلـك الفـترة. والـذين لم يألـوا جهـدا في الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر للحكـام والمحكـومين. ولكـن عجلة الإنهيار كانـت دائـرة بقـوة ، ومقتضـى السـنن في الممالك والدول كانت تسير بدولة العباسيين إلى أجلها المحتوم.



- **الطور الثالث من الخلافة العباسية:**

ويمتد من خلافة المستظهر. حيث بدأت القوى الخارجية تتربص بدولة الإسلام وتعد العدة للانقضاض عليها ، وينتهي بانتهاء دولة بني العباس تحت سنابك خيل المغول.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:102) ، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

- **السمات المميزة للعصر العباسي الثالث:**

هذا العصر هو امتداد للعصر العباسي الثاني وقد تميز هذا العصر بكل سمات العصر الذي تقدمه من الانحلال وأسباب الضعف وفساد الحكم ، وضياع العوام وترف الخواص ... وزاد عليها ما لقي العالم الإسلامي من غزو مغولي أتاه من المشرق وغزو صليبي أتاه من الغرب، وكان من قبل مستشريا في الأندلس، وما أصاب الإسلام من محن ما زال يئن تحت وطأتها إلى الآن.

أهم الدول المستقلة منذ قيام العصر العباسي وإلى قيام الدولة العثمانية

(أ) – في المشرق والعراق والشام ومصر:

1- الدولة الصفارية (254-298هـ /868-911م):

أسسها يعقوب بن ليث الصفار في سجستان (إيران) وتوسع على حساب الدولة الطاهرية في خراسان التي أسسها طاهر بن الحسين سنة (198هـ/813 م) ، والدولة العلوية في طبرستان التي أسسها الحسن بن زيد سنة (250هـ/863م). ولعجز دولة الخلافة العباسية ، اعترفت بشرعية حكم الصفار ، الذي أسس جيشا قويا قمع به الخوارج وسيطر على طرق التجارة بين الهند ووسط آسيا. ثم فكر بغزو بغداد، فاستنجد الخليفة بأحمد بن إسماعيل أمير الدولة السامانية ، فهزم الصفاريين وقضى على دولتهم سنة (298هـ/911م) .

2- الدولة الطولونية (256- 292 هـ /870-905 م):

أسسها أحمد بن طولون في مصر وهو قائد تركي استفاد من ضعف الدولة العباسية التي كانت ترسل من ينوب عنها في حكم الولايات البعيدة عن مركز دولة الخلافة ، وقد جاء أحمد بن طولون

مصر نائبا عن (باكباك التركي) ثم قلده الخليفة ولاية مصر ، فاستقل بها ، ووسع دولته. ولما كلفه الخليفة بحماية الثغور الشامية ، ضم الشام إلى مصر ، ثم مد دولته إلى ليبيا ، والحجاز، وبلاد النوبة جنوب مصر. وقد عم الرخاء عصره ، وكان عادلا حازما وكون جيشا قويا. ثم تولى بعده ابنه (خمارويه) فحفظ أملاك أبيه ، وضم إليها الموصل ، وتوطدت العلاقة بينه وبين الخليفة ، فزوج ابنته (قطر الندى) للخليفة المعتضد ثم ضعفت الدولة ، وأعاد الخليفة العباسي ضم تلك البلاد للخلافة المركزية سنة (292هـ).



3-الدولة السامانية (261-389هـ / 874-998م):

وتنسب لأسرة فارسية اعتنقت الإسلام في العصر الأموي ، وأسسها نصر بن أحمد الساماني في بلاد ما وراء النهر ، وتوسعت في عهد إسماعيل بن أحمد وضمت طبرستان وبلاد الري ، وقد تصدت الدولة السامانية للخطر الصيني على آسيا الوسطى ، واستفادوا من طرق التجارة ، وازدهر في عهدهم العمران ، وكلن معظمهم على مذهب السنة ، وقد ازدهرت حاضرات الإسلام ، في عهدهم ، وحفلت بالحركة العلمية والشعراء والأدباء. وأصبحت بخارى وسمرقند ومدن تركستان من ألمع حضارات الإسلام.

4- الدولة الحمدانية (292-392هـ /904-1002م):

وهم من أسرة عربية اعتنقت المذهب الشيعي الإمامي الإثناعشري، وقد تأسست في الموصل سنة 292هـ ، في عهد الخليفة المكتفي بالله ، وساندته في مواجهة الخوارج والقادة الأتراك. واشتهرت بجهاد الروم البيزنطيين ، وقد قضى البويهيون الشيعة عليهم سنة 368هـ ، وبقي نفوذهم في حلب ، وامتد ملكهم إلى دمشق ، واصطدموا بالإخشيديين ، وبعد وفاة سيف الدولة سنة 356هـ ضعفت حالهم وقضى الفاطميون الشيعة عليهم سنة 392هـ. وقد اشتهر بلاط سيف الدولة بالأدباء والشعراء ، من أمثال المتنبي الذي أذاع صيتهم ،

وشاهرهم أبو فراس الحمداني ، والأصفهاني (الزنديق) صاحب كتاب الأغاني الشهير .. المليء بالأكاذيب والطرائف.

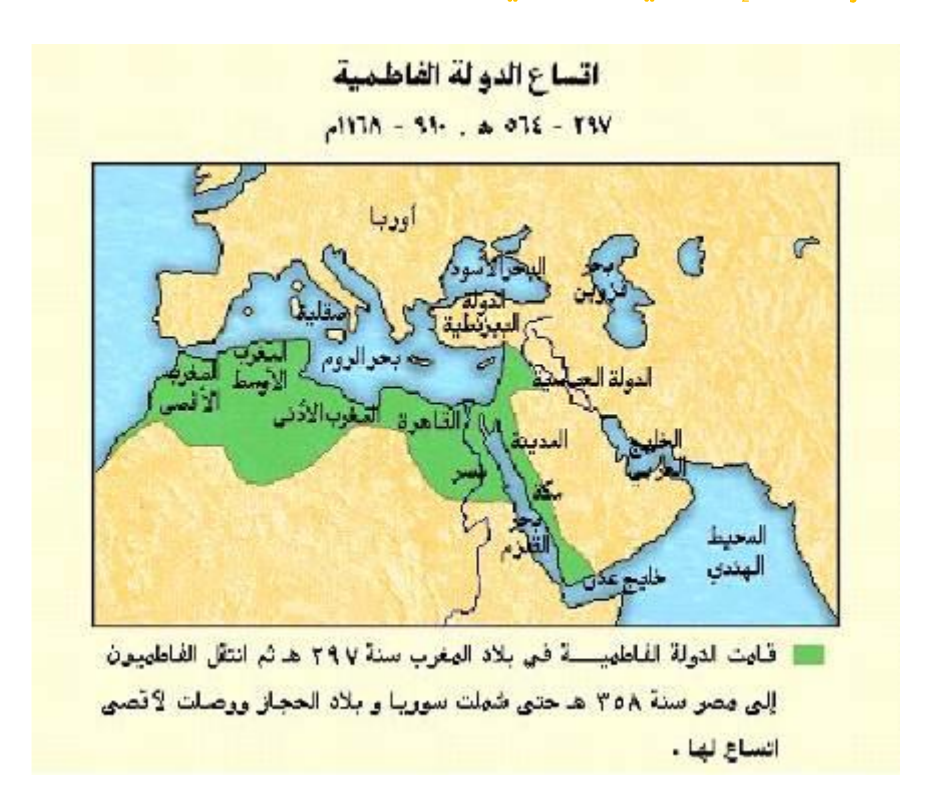
5 – الدولة الفاطمية (298– 567هـ / 909–1171م) :

قامت الدولة الفاطمية في إفريقية سنة 298هـ بزعامة عبيد الله المهدي مدعيا أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد مُحَمَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وقد مهد لقيامها داعية إسماعيلي يدعى أبو عبد الله الشيعي وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بـ (الدولة العبيدية).

ولما رسخت قواعدها قضت على دولة الأغالبة في القيروان ثم قضت على دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثم انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودعيت بالدولة الفاطمية. ولم يستطع الخليفة العباسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها.

ثم حدثت بها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزوال. وقد بدأ هذا التراخي في عهد الحاكم بأمر الله لفاطمي الذي بلغ من الكفر والظلم شأوا عظيما. وازداد الضعف والتراخي في عهد المستنصر بالله الفاطمي، فقد ولد من جارية تربت في بيت يهودي يدعى أبا سعيد التستري وتولت أمه تدبير أمور الدولة واستوزرت وزراء يهود، منهم صدقة بن يوسف الفلاحي وأبو سعيد

التستري، وقد أسند هؤلاء مناصب الدولة إلى أبناء جلدتهم من اليهود، فاضطهدوا المسلمين.



وفي عهد المستنصر بالله انحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها وزالت دولتهم في جزيرة صقلية باستيلاء النورمان عليها سنة 461هـ. وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى ، إذ امتد ثماني سنين (446 – 454هـ) واقترنت هذه الشدة التي اصطلح المؤرخون تسميتها بسنين الشدة العظمى بقيام الحروب الأهلية الداخلية . حتى تدارك الأمر وزيرهم بدر الجمالي، والي عكا وقد استدعاه المستنصر سنة 466هـ فأعاد النظام ووجه همه إلى إصلاح البلاد، وتزوج المستنصر ابنته وولدت له ابنه (المستعلي).

ولما توفي المستنصر سنة 487هـ بعد حكم دام ستين سنة ادعى الخلافة ابنه (نزار) وكان أبوه قد عهد بها إليه، ولكن الأفضل بن بدر الجمالي، الذي خلف أباه في قيادة الجيش، قدم عليه أخاه (المستعلي) وهو ابن أخته، وتم ذلك بقتل (نزار)، وبقتله افترقت الإسماعيلية إلى فرقتين: فرقة المستعلية، وفرقة النزارية.

وفي عهد المستعلي بدأت الحروب الصليبية على بلاد الشام واحتل الصليبيون بيت المقدس سنة 493هـ، وقد أعقب المستعلي خلفاء منهم المخلوع ومنهم المقتول إلى أن انقضى عهد الدولة الفاطمية — غير مأسوف عليها – سنة 567هـ على يد صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية.

وكان الفاطميون من الباطنية الشيعة الغلاة ، وقد حكم علماء أهل السنة الأثبات ممن عاصروهم بكفرهم وخروجهم عن الإسلام. وقد طبعت الدولة الفاطمية بالظلم والعنت فوق الكفر. وراسل كبار وزرائهم الصليبيين والروم مرارا واستدعوهم لغزو مصر ووعدوهم العون ضد جيش الشام الذي حمل في ذلك الزمان مهمة جهاد الصليبيين على عاتقه.

6 – الدولة الإخشيدية (323– 358هـ / 935–969 م) :

وتنسب إلى مُحَّد بن طغج الإخشيد وهو تركي ، وكان في خدمة والي مصر ، وأبلى في صد غارات الفاطميين عن مصر ، فأسند إليه الخليفة ولاية مصر ، ثم ضم إليها الشام واليمن ، فنظم البلاد وقوي مركزه. ثم فسدت علاقته بالخلافة وقامت الحرب بينهم. وبعد موت الإخشيد خلفه ابنه أبو القاسم أنجور وكان طفلا، فتولى الوصاية عليه معلمه كافور الإخشيدي وكان عبدا أسودا يخدمهم ، فاستولى على البلاد. وبعد موت كافور سيطر الفاطميون على مصر بقيادة جوهر الصقلي وضمها للفاطميين.

7– الدولة البويهية (334–447 هـ /945–1055م):

البويهيون أسرة فارسية شيعية سكنت شمال فارس عند قزوين. وتمكن علي والحسن وأحمد أولاد أبي شجاع ، مستغلين الفوضى في فارس فقضت على الكيانات السياسية ، وقد حاول الخليفة المستكفي بالله أن يتخلص من سلطة القادة الأتراك ، فاستعان بالبويهيين فدخلوا بغداد سنة 334هـ /945م . فرحب الخليفة بهم وأعطاهم ألقاب سامية. فسمي أحمد (معز الدولة) وحسن (عماد الدولة) وعلي (ركن الدولة). ولكونهم من الشيعة انتزعوا السلطة من الخلفاء ، واتخذوا لقب (السلطان) وأحيوا لقب الملك الفارسي (شاهنشاه). استمال

البويهيون الرعية بتخفيف الضرائب ، وقاموا بإصلاحات. ثم دب الصراع بينهم. وأسقطهم السلاجقة الأتراك سنة447هـ. وقد شجع البويهيون الحركة العلمية ولاسيما الفلاسفة ، والزنادقة من أمثال الفارابي وابن سينا وأمثالهم.

8- الدولة الغزنوية (366-555هـ / 976-1160م) :

قامت هذه الدولة بزعامة القائد التركي (ألب تكين) وكان مولاه منصور بن نوح الساماني ملك خراسان قد ولاه سنة 351هـ أميرا على سجستان (أفغانستان)، فاستقل بها وأقام فيها دولة اتخذ من مدينة (غزنة) عاصمة لها فعرفت بالدولة الغزنوية.

وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا كان أشهرهم محمود بن سبكتكين المعروف بمحمود الغزنوي. الملك الصالح المعروف ، الذي فتح الهند ، وحطم أصنام الوثنيين وأدخل الإسلام إليها ، واتسعت دولته وشملت بلاد أفغانستان وما وراء النهر وشرق إيران وبلاد السند (باكستان) وأجزاء شاسعة من الهند.

ثم انقضى عهدها باستيلاء الدولة الغورية عليها سنة 582هـ في عهد آخر ملوكها تاج الدولة خسرو ملك.

9- دولة السلاجقة (431-590هـ / 1040-1194م):

تنتسب هذه الدولة إلى سلجوق بن دقاق، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن فيما وراء النهرين (سيحون وجيحون) في منطقة واسعة تعرف بتركستان، أي بلاد الترك. وفي عام 429هـ آلت زعامة هذه القبيلة إلى (طغرلبك) حفيد (سلجوق) فاجتاز بقبيلته منطقة ما بين النهرين متوجها نحو المشرق وانتهز انشغال الغزنويين بحروب أنهكتهم، فاستولى على خراسان والري و همذان وأزال الحكم الغزنوي عنها وأقام فيها دولة لقومه عرفت بدولة السلاجقة.

وفي عام 432هـ استولى على جرجان وطبرستان وامتدت دولته إلى قزوين. وفي عام 446هـ استنصره الخليفة العباسي القائم بأمر الله ودعاه إلى بغداد لينقذه من وزيره أرسلان البساسيري، وكان قد استولى على السلطة واستبد بها وملك أمر العراق وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، فاستجاب طغرلبك لدعوته وزحف إلى بغداد وقضى على البساسيري وأنهى الحكم البويهي فيها، ثم استولى على الموصل وأذربيجان وسنجار وتمت له السيطرة على البلاد الإيرانية من شاطئ نهر سيحون إلى ساحل البحر الأسود ومن شواطئ بحيرة خوارزم إلى بحر عمان.

وفي عام 455هـ توفي طغرلبك وآلت خلافته إلى ابن أخيه ألب أرسلان فتابع مسيرة عمه ووجه عام 463هـ جيشا بقيادة قائده (أتسز)

إلى بلاد الشام فاستولى على دمشق وتوجه سنة 464هـ على رأس جيش لفتح الأناضول فاستولى على أرمينية بعد معركة ضارية مشهورة مع الروم جرت في (ملاذ كرت) وفيها هزم جيش الروم وأسر ملكه (رومانوس الرابع). الذي كان قد رفض الصلح مع السلطان ألب أرسلان ، وكانت تلك المعركة واحدة من مشاهد الإسلام العظيمة مع الروم. ولم يكن في جيش السلطان الذي طلب من جنوده أن لا يخرج معه من ارتبط بالدنيا بحاجة ينتظر قضاءها ، إلا خمسة عشر ألف مقاتل وقد ذكرت الروايات أن الروم ناهزوا مأتي ألف مقاتل. وقد نصح شيخ السلطان له أن يوقت المعركة وقت صلاة الجمعة حيث تكون المنابر داعية للمجاهدين. وفي أول المعركة ألقى السلطان خوذته على الأرض وتذلل إلى الله ، وصاح بالجند قائلا : (ما هاهنا ملك يأمر فيطاع ، من شاء الانصراف فلينصرف)، وأمر الجند أن يخلصوا في طلب النصر أو الشهادة ، ثم كبر وهجم ، فحملوا كرأس الحربة على خيمة الإمبراطور رومانوس ، الذي سقط أسيرا بيد السلطان وانهزم جيشه الذي هلك جله في طريق الفرار والعودة إلى القسطنطينية.

وفي عام 465هـ أقدم باطني إسماعيلي على اغتيال (ألب أرسلان) فخلفه ابنه (ملك شاه) وفي عهده أخذت الدولة السلجوقية في التقلص بعد انقسامها إلى دولة موزعة بين أبناء البيت السلجوقي، فدولة في خراسان ودولة في الشام ودولة في بلاد الروم.



أما دولة السلاجقة في خراسان فقد آلت إلى سنجر بن ألب أرسلان وانتهت بوفاته سنة 552هـ باستيلاء دولة خوارزم عليها.

وأما دولة السلاجقة في العراق فقد آلت إلى مُحَمَّد بن ملكشاه ومن بعده إلى ابنه محمود وتوارثها من بعده أبناؤه ثم زالت باستيلاء دولة خوارزم عليها سنة 573هـ في عهد آخر ملوكها ركن الدين طغرل (الثاني).

وأما دولة السلاجقة في الشام فقد آلت إلى (تتش) بن ملكشاه وانقسمت بعد مقتله سنة 488هـ بين ولديه: دقاق ورضوان، فاختص دقاق بدمشق واختص رضوان بحلب، وانقضت دولة حلب بعد وفاة آخر ملوكها سلطان شاه بن رضوان باستيلاء نجم الدين إيلغازي

صاحب ماردين عليها سنة 511هـ بدعوة من أهلها، ثم بقيام عماد الدين زنكي صاحب الموصل بالاستيلاء عليها سنة 521هـ، وبعد اغتياله سنة 541هـ قيام ابنه نور الدين محمود خلفا له فيها.

وانقضت دولة دمشق وصاحبها دقاق بن تتش سنة 497هـ باستيلاء أتابكه (نائبه) القائد طغتكين على السلطة، وبوفاته سنة 522هـ قيام ابنه تاج الدولة بوري خلفا له، وقد نسبت الدولة إليه فعرفت بالدولة البورية وامتدت أيامها حتى استولى عليها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 549هـ وضمها إلى حلب وجعلها عاصمة الدولة الأتابكية في بلاد الشام.

وأما دولة السلاجقة في بلاد الروم فقد قامت بزعامة سليمان بن قتلمش، من أحفاد سلجوق ومن أبناء عمومة ألب أرسلان فقد تزعم سليمان عصابات تركية في أعقاب وقعة (ملاذكرت) وأخذ يطارد فلول جيش الروم ويستولي على الأقاليم التي يجتاحها حتى إذا اقترب من سواحل بحر مرمرة سنة 470هـ استقر في مدينة (نيقية) - أزنيك الحالية - وأقام فيها دولة سلجوقية.

وفي عام 477هـ حاول سليمان الاستيلاء على بلاد الشام واستخلاصها من (تتش) بن ملكشاه في معركة جرت بينهما فلم يتمكن من الفرار وقتل فيها فخلفه ابنه داود وتلقب بلقب (قليج أرسلان).

ولما قدمت الحملة الصليبية الأولى واقتحمت القسطنطينية سنة 490هـ ثم اجتازتها إلى آسية، اضطر قليج أرسلان إلى التخلي عن (نيقية) وانسحب مع قومه إلى الجنوب الشرقي من الأناضول واتخذ من مدينة (قونية) عاصمة لملكه.

وفي عام 500هـ توفي قليج أرسلان فتوزعت أقاليم دولته بين أبنائه وإخوته واستحالت إلى مجموعة دويلات اتصلت بينها الحروب. إلى أن قامت الدولة العثمانية على أنقاضها سنة 699هـ – وهم من سلالاتهم – فانطوت تحت جناحها.

10 – الدولة الغورية (439–612هـ / 1048–1215م) :

تأسست هذه الدولة في بلاد الغور سنة 439هـ بزعامة عز الدين حسين ابن حسن بن مُحَمَّد وأخذت تزاحم الدولة الغزنوية حتى قضت عليها سنة 582هـ وضمتها إليها، وقد امتدت فتوحاتها إلى بلاد الهند ومنها انبثقت دولة المماليك الأتراك وكان قطب الدين أيبك أول ملوكهم في الهند.

وفي عام 612هـ خضعت الدولة الغورية للسيادة الخوارزمية وزالت معها بالغزو المغولي سنة 628هـ.

11- الدولة الخوارزمية (470- 628هـ / 1048- 1258م):

قامت هذه الدولة في بلاد خوارزم جنوب بحيرة (أورال) ومصب نهر (جيحون)، بزعامة القائد التركي (أنوشتكين)، وكان السلطان السلجوقي قد ولاه عليها سنة 470هـ.

وقد اتسعت في عهد ملكها سلطان شاه محمود بن إيل أرسلان باستيلائها على خراسان وإزالة الحكم السلجوقي عنها بعد وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه سنة 552هـ ثم باستيلائها على الدولة الغورية سنة 612هـ.

وفي عام 628هـ استولى عليها المغول وأزالوا دولتها في عهد آخر ملوكها جلال الدين منكبرتي.

12- الدولة الأرتقية (499- 521 هـ / 1077- 1121م):

تنتسب هذه الدولة إلى زعيم عشيرة من التركمان يدعى (أرتق بن أكسب)، وكان قد التحق عام 449هـ بخدمة السلطان السلجوقي تتش بن ألب أرسلان صاحب بلاد الشام فأقطعه القدس وما حولها. ولما توفي (أرتق) خلفه ولداه: معين الدين سقمان ، ونجم الدين إيلغازي.

وفي سنة 491هـ استرد الفاطميون القدس فأخرجوهما منها، فتوجها بقومهما من التركمان إلى الجزيرة الفراتية فتملك معين الدين سقمان

ديار بكر (آمد) وتملك نجم الدين إيلغازي (ماردين) وأقام كل منهما فيما تملك دولة أرتقية.

وفي عام 511هـ حاصر الصليبيون مدينة حلب فاستنجد أهلها بنجم الدين إيلغازي فأنجدهم وقاتل الصليبيين في معركة جرت في (سهل بلاط) سنة 513هـ وأسر زعيمهم (روجيه ده سالرنو) أمير أنطاكية وتملك حلب وأقام فيها دولة أرتقية تعاقب أبناؤه عليها إلى أن استولى عليها عماد الدين زنكي عام 521هـ وأقام فيها دولة أتابكية.

13– الدولة الأتابكية (516– 579هـ / 1122 – 1171م) :

تنتسب هذه الدولة إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر وكان (أتابك) – أي نائب – السلطان السلجوقي محمود بن مُحَمَّد بن ملكشاه سلطان العراق، وفي عام 516هـ ولاه السلطان على الموصل فأقام فيها دولة عرفت بالدولة الأتابكية.

وفي عام 521هـ استولى عماد الدين على حلب وأزال الدولة الأرتقية. وقد اشتهر عماد الدين رحمه الله بجهاد الصليبيين ، وإسقاطه أولى الإمارات الصليبية في سواحل الشام.

وفي عام 541هـ اغتال الحشاشون الباطنية (أجداد النصيرية العلوية الحاكمين لسوريا ولبنان في زماننا هذا) — اغتالوا الأمير المجاهد عماد

الدين زنكي رحمه الله فانقسمت الدولة الأتابكية إلى دولتين : دولة في الموصل ودولة في حلب.

أما دولة الموصل فخلفه فيها ابنه سيف الدين غازي الأول وتعاقب عليها من بعده أبناؤه حتى انقضى عهدها باستيلاء المغول عليها سنة 660هـ.

وأما دولة حلب فخلفه فيها ابنه الملك الصالح المجاهد نور الدين محمود وحمل بعده لواء جهاد الصليبيين. وفي عام 549هـ استولى نور الدين على دمشق وضمت إليه بلاد الشام.

ولما توفي نور الدين سنة 569هـ خلفه فيها ابنه الصالح إسماعيل وكان طفلا صغيرا. وفي عام 579هـ تولى صلاح الدين الأيوبي ضمها إلى الدولة الأيوبية التي أقامها في مصر فأضحت معها دولة واحدة.بشورى علماء الشام ومصر ، ليوحد البلاد في مواجهة الصليبيين.

13- الدولة الأيوبية (567 – 648هـ / 1171 – 1250م) :

وقد أسس هذه الدولة الميمونة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، وكان قد توجه إلى مصر كقائد من قواد خاله (أسد الدين شيركوه) قائد الجيش الذي أرسله الملك الصالح نور الدين زنكي سلطان الشام المجاهد لصد حملة الصليبيين على مصر.

وقد استعان الخليفة الفاطمي العاضد بأسد الدين وأسند إليه الوزارة ، ليتقوى به على أمراء الفاطميين المتنافسين و كبيرهم (شاور). ولما توفي (أسد الدين في مصر وهو يعد العدة لصد الحملة الصليبية ، عين الخليفة الفاطمي صلاح الدين مكان خاله. وبعد انتصار صلاح الدين وجيش الشام ومصر على الصليبيين بقليل ، توفي الخليفة الفاطمي سنة 567هـ بعد قتل وزيره شاور بن مجير السعدي الذي كان يكاتب الصليبيين. واستولى صلاح الدين على حكم مصر، وقطع الخطبة للفاطميين وجعلها للخليفة العباسي ببغداد ، وألغى المذهب الفاطمي العبيدي الإسماعيلي القائم على الزندقة ، وأعاد المذهب الشافعي السني لمصر، ثم تصدى لعدد من المحاولات الصليبية مع فلول الفاطميين ودعم الأسطول الروماني وانتصر عليهم ، واستتب له الأمر في مصر. وبعد وفاة نور الدين محمود ، حضر صلاح الدين إلى الشام وعقد له علماء الشام ومصر البيعة سلطانا عل بر مصر والشام، ثم توسعت مملكته وضم إليها الحجاز واليمن وبعض أنحاء الجزيرة. وقد سجل صلاح الدين رحمه الله انتصارات مشهودة على الصليبيين أدت لاسترجاع بيت المقدس سنة 583هـ. محققا حلم الملك الصالح نور الدين زنكي رحمه الله. وقد تقسمت أقاليم الدولة، بعد وفاته، بين أبنائه وإخوته وتحولت تلك الدولة الكبرى بعد وفاته سنة 589هـ إلى دويلات ثارت فيها الحروب. وقد استقرت أحوالها لبعض الوقت في

زمن الملك العادل أخو صلاح الدين ، ثم آلت الشام للملك الصالح إسماعيل الذي ناصر الصليبيين على عمة نجم الدين أيوب الذي استقل بملك مصر. ثم توفي نجم الدين وهو يصد الحملة الصليبية السابعة ، فتابعها قائده معز الدين إيبك ، الذي تزوج زوجته (شجرة الدر) ، وآلت إليه السلطنة لتنتهي الدولة الأيوبية وتقوم في مصر دولة المماليك. وقد تتابع سقوط الدويلات الأيوبية الأخرى في بلاد الشام في عهد الملك المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري وضمت إلى دولة المماليك.

15- دولة المماليك (648 – 922هـ / 1250- 1517م) :

تنتسب هذه الدولة إلى الملوك الأتراك الذين كانوا من مماليك السلطان نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل الأيوبي وكان الملك الكامل قد بنى لهم في جزيرة الروضة بنهر النيل - وكان يعرف ببحر النيل - قلعة فعرفوا بالمماليك البحرية وأولهم الملك المعز عز الدين إيبك، وقد انتقل إليه الملك عن طريق شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين وكانت تولت الملك بعد وفاته ثم تزوجت من عز الدين إيبك وتنازلت له عن الملك فانتقل الملك عن طريقها إلى المماليك.

وقـد اتسـعت دولـة المماليـك في عهـد الملـك الظـاهر بيـبرس البندقداري فقضى على الدويلات الأيوبية في بلاد الشام وضمها إلى دولة المماليك في مصر.

و حمل المماليك لواء الجهاد ضد الصليبيين بعد الأيوبيين ، فقد أزال السلطان بيبرس معظم تلك الإمارات. ليزول آخرها (إمارة عكا 1291هـ) في عهد السلطان خليل بن قلاوون.

ودامت دولة المماليك حتى استولى العثمانيون على مصر والشام سنة 922هـ بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق.



ملوك دولة المماليك:

1- المماليك البحرية:

م	الملك	نهايته	مدته
1-	عز الدين إيبك	قتل	1250 – 1257 م
2-	نور الدين علي بن عز الدين	خلع	1257 – 1258 م
3-	المظفر سيف الدين قطز	قتل	1258 – 1260 م
4-	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري		1260 – 1277 م
5-	الملك السعيد أبو المعالي مُحَّمد	خلع	1277 – 1279 م
6-	الملك العادل سيف الدين بن الظاهر	خلع	1279 – 1279 م

2- المماليك البرجية :

م	الملك	نهايته	مدته
7-	قلاوون الألفي المنصور سيف الدين		1279 –1290 م
8-	صلاح الدين خليل الأشرف بن قلاوون		1290– 1293 م
9-	الملك الناصر مُحَّمد بن قلاوون	خلع	1293 – 1294 م

10-	الملك العادل كتبغا	خلع	1294 – 1296 م
11-	المنصور حسام الدين لاجين	خلع	1296– 1298 م
12-	الناصر محمد بن قلاوون ثانية	خلع ثانية	1298 – 1308 م
13-	المظفر ركن الدين بيبرس	خلع	1308– 1308 م
14-	الناصر محمد بن قلاوون ثالثة		1308– 1341 م
15-	المنصور أبو بكر بن قلاوون	قتل	1341 – 1342 م
16-	الأشرف علاء الدين كجك	خلع	1342– 1342 م
17-	الناصر شهاب الدين أحمد الملك الصالح	خلع	1342 – 1342 م
18-	الملك الصالح علاء الدين ابو الفداء إسماعيل		1342 – 1345 م
19-	الملك الكامل شعبان	خلع ثم قتل	1345 – 1346 م
20-	المظفر حاجي	قتل	1346– 1347 م
21-	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	خلع	1347 – 1351 م
22-	الملك صلاح الدين صالح	خلع وسجن حتى مات	1351 – 1354م
23-	الملك الناصر أبو المحاسن حسن	ثانية	1354– 1361 م
24-	الملك صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي	خلع	1361– 1363 م
25-	الملك الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان	قتل	1363 – 1377 م

26-	الملك المنصور علاء الدين علي بن الأشرف		1377- 1381 م
27-	الملك الصالح أمير حاج بن الأشرف	خلع	1381 – 1382 م

وهو آخر سلاطين المماليك الأتراك.

3 – المماليك الشراكسة :

م	الملك	نهايته	مدته
28-	برقوق الظاهر سيف الدين	خلع	1382 –1389 م
29-	الملك الصالح أمير حاج	تولى وخلع ثانية وسجن حتى مات	1389- 1389 م
30-	الملك الظاهر برقوق	ثانية	1389- 1399 م
31-	الملك الناصر زين الدين أبو السعادات	اختفى ثم ظهر	1399 – 1405 م
32-	الملك المنصور عز الدين أبو العز عبد العزيز	خلع و سجن	1405 – 1405 م
33-	الناصر زين الدين أبو السعادات	ثانية قتل	1405 – 1412 م
34-	الخليفة المستعين بالله جمع بين الخلافة والسلطنة		1412- 1412 م

-35	الأمير شيخ المؤيد أبو النصر		1412 –1421 م
-36	الملك المظفر أبو السعادات أحمد	خلع	1421– 1421 م
-37	الظاهر سيف الدين أبو سعيد ططر		1421 – 1421 م
-38	مُحَمَّد بن ططر الملك الصالح ناصر الدين	خلع وسجن	1421– 1422 م.
-39	الأمير برسباي الدقماقي الملك الأشرف أبو النصر		1422 – 1438 م
-40	الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين	خلع	1438– 1438 م
-41	الملك الظاهر أبو سعيد جقمق	استقال	1438– 1452 م
-42	الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان	خلع	1452 – 1453 م
-43	اينال العلائي الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين		1453–1461 م
-44	الملك المؤيد أحمد أبو الفتح شهاب الدين	خلع	1461–1461 م

45-	خوشقدم الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين		1467–1461 م
46-	بلباي الملك الظاهر أبو النصر سيف الدين	خلع	1467 – 1467 م
47-	تمر بغا الملك الظاهر أبو سعيد	خلع	1496 –1467 م
48-	الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين	خلع	1498 –1496 م
49-	قانصوه الملك الظاهر أبو سعيد		1500 – 1498م.
50-	الأمير جان بلاط الملك الأشرف أبو النصر	خلع وسجن وخنق	1501 –1500 م
51-	طومان باي الملك العادل		1502 – 1501 م
52-	قنصوه الغوري الملك الأشرف	قتل في الحرب مع العثمانيين	1516 –1502 م
53-	طومان باي الثاني	شنقه العثمانيون	1517 –1516 م

16- الخلافة العباسية (الرمزية) في مصر (656-922هـ / 1258-1517م) :

ادعى الخلافة بعد مقتل الخليفة المستعصم سنة 656هـ اثنان من بني العباس، أحدهما يدعى أبا العباس أحمد بن علي (وجده الأعلى المسترشد بالله بن المستظهر بالله)، والآخر يدعى أبا القاسم أحمد بن الظاهر بأمر الله وهو أخو المستنصر بالله ويلتقي مع الأول بالخليفة المستظهر بالله.

وقد توجه الأول إلى حلب وأثبت فيها نسبه بشهادة جماعة من عرب خفاجة فبايعه أمير حلب حسام الدين بن أبي الفوارس وبايعه معه جماعة من العلماء وفيهم الشيخ عبد الحليم بن تيمية.

وتوجه الآخر إلى القاهرة وأثبت نسبه بشهادة جماعة من عرب مهارش فبايعه الملك الظاهر بيبرس وبايعه معه جماعة من الأعيان والعلماء وتلقب بالمستنصر بالله عام 659هـ. وقد طلب من الملك الظاهر أن يجهزه بقوة ليقاتل المغول فزوده بقوة قليلة هزمها المغول وفيها قتل الخليفة المستنصر، وقدم أبو العباس أحمد إلى القاهرة فبويع فيها خلفا للمستنصر وتلقب بالحاكم بأمر الله.

واستمرت خلافة بني العباس في مصر حتى استولى العثمانيون عليها سنة 922هـ بقيادة السلطان سليم الأول وقد تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة للسلطان العثماني فنقلها إلى القسطنطينية وظلت

قائمة في أعقابه إلى أن زالت بزوال الدولة العثمانية سنة : 1342هـ / 1923م.



(ب) – الدول التي استقلت في جزيرة العرب زمن العباسيين:

17– الدولة الإباضية في عمان (176هـ / 792م) :

الإباضية هم من الخوارج المعتدلين القريبين من مذهب السنة. يعود مذهبهم لعبد الله بن إباض التميمي وقد حاربهم الأمويون والعباسيون وطردوهم من الشام والحجاز واليمن وإفريقيا ، ولكن أقلية منهم بقوا في عمان إلى أيامنا هذه.

وقد تأسست الدولة الإباضية في عمان سنة 176هـ. أسسها الجلندي بن مسعود الإباضي. وقد كان من أبرز دعاتهم غسان بن

عبد الله الحميدي، والصلت بن مالك. وقد عملوا في التجارة وازدهرت دولتهم بذلك.

18- دولة القرامطة – البحرين – (296- 398هـ / 909- 1008م):

وقد مر نبذة عنها لما ذكرنا الثورات. وقد ابتدأت على يد داعية فاطمي متخفي هو (الحسين الأهوازي) الذي حمل الدعوة الإسماعيلية إلى جنوب العراق والبحرين. ولما مات خلفه رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، قيل أن اسمه (حمدان الأشعث) وقد كان أحد دعاة الإمام الإسماعيلي (المنتظر) الذين بثهم في الأقطار عبد الله بن ميمون القداح، منظم الدعوة الإسماعيلية.

وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليهودية والنصرانية والإسلام.

وقد أقام هؤلاء دولة سنة 296هـ في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حروبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخلافة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدعوة، فهاجموا قواعدهم في الشام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميون من صدهم.

وفي سنة 317هـ أغاروا على مكة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة 239هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة على الحجاج.

وبقيت هذه الدولة قائمة إلى أن زالت سنة 398هـ.

19- دولة بني نجاح في (زبيد – اليمن) (421-554هـ / 1030 1160م) :

أسس هذه الدولة عبد حبشي تمكن من التحرر. وأقام دولة في زبيد. ولكن أفراد الأسرة تصارعوا. مما مكن والي تهامة (علي بن مُحَمَّد) القضاء عليهم سنة 554هـ.

20 – الدولة الصليحية (صنعاء – اليمن) (450- 647هـ / 1058م) :

دانت هذه الدولة بالمذهب الإسماعيلي. وقد أسسها مُحَمَّد الصليحي الذي تلقى الدعوة على يد الدعاة الإسماعيلية في اليمن ، وكانت عاصمتهم صنعاء وارتبطت بصلات ودية مع الفاطميين في مصر ، حيث أسبل عليهم الألقاب السامية مثل (أمير الأمراء) و(المكرم).. وقد مدوا نفوذهم للحجاز ثم سقطت الدولة على يد توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين. ومن أبرز شخصياتهم السيدة الحرة (أروى بنت أحمد) التي قامت بدور هام بنشر المذهب الإسماعيلي في الهند وعمان. وبقي من آثارها مسجد في صنعاء.

21- دولة بني رسول (اليمن) (626- 826هـ / 1229 -1423م):

أسسها علي بن رسول وهو من نسل الغساسنة (ملوك الشام قبل الفتح). وقد عينه الأيوبيون واليا على مكة سنة 652هـ ثم أسندوا إليه حكم اليمن ، فمد نفوذه من حضرموت إلى مكة. وبقيت دولته في سلالته قرابة قرنين وكانوا تجارا ، أثروا من التجارة البحرية ولاسيما مع الهند ، وتقدمت في عهده الصناعة والزراعة. وقد كانوا على المذهب الشافعي. وشجعوا العلماء وجمعوا المكتبات.

(ج)- الدول التي استقلت في إفريقية :

22- الدولة المدارية (140- 297هـ /757- 909م):

قامت هذه الدولة في المغرب الأقصى ، وقد أسسها (عبد) يدعى عيسى بن يزيد الأسود ، وكان أحد الخوارج الصفرية. ولكن قبيلة (مكناسة) البربرية ثارت عليه واستولت على الإمارة التي رئسها أبو القاسم (سمكو بن واسول) وكانت عاصمة الدولة مدينة (سلجماسة) في واحة في الصحراء. وقد اهتموا بالتجارة مع إفريقيا السوداء جنوب الصحراء الكبرى. وحازوا ثروة كبيرة. ثم تنازع أفراد الأسرة ، إلى أن دهمهم جيش أبي عبد الله الشيعي داعية الفاطميين ، وأسقط دولتهم سنة (297هـ).

23- الدولة الرستمية (162- 296هـ / 779- 908م) :

أسسها عبد الرحمن بن سستم وهم من الخوارج الإباضية المعادين للدولة العباسية ، وقد تأسست في تاهرت (الجزائر). وتميز حكمه بالعدل في الرعية ، واشتهر بالتجارة مع إفريقيا السوداء وجلبوا الذهب والرقيق. مما أعطى (تاهرت) مركزا حضاريا وعمرانيا. ثم تصارعت داخل دولتهم العناصر العربية والبربرية والفارسية على الملك ، ونشأت بينهم صراعات مذهبية بين الإباضية والصفرية والمعتزلة والشيعة والسنة. ثم سقطت بيد أبي عبد الله الشيعي الفاطمي سنة 296هـ.

24 – دولة الأدارسة (172–375هـ / 788–985م) :

في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، قام ضد العباسيين في المدينة مُحَمَّد (النفس الزكية) ، وأرسل المنصور إليه جيشا ، واشتبك معه في معركة انتهت بقتل مُحَمَّد سنة 145هـ.

وفي عام 169هـ ثار على المنصور علوي آخر هو الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومعه عماه إدريس ويحيى ابني عبد الله. فأرسل المنصور جيشا لقتاله، وجرت بين الفريقين معركة في موقع قرب المدينة يعرف بـ (فخ)، وفيها قتل الحسين وتمكن عمه إدريس بن مُحَمَّد (النفس الزكية) من الهرب. وتوجه إدريس إلى المغرب الأقصى ونزل على قبيلة من البربر تدعى (أوربة)

فعرفها بنفسه، فبايعته ودخلت في طاعته قبائل أخرى، وخلع إدريس طاعة بني العباس وأنشأ مدينة (فاس) واتخذها عاصمة له وفيها أقام سنة 172هـ دولة علوية مستقلة عرفت بدولة الأدارسة.

ولما استقر إدريس في ملكه جند من قبائل البربر جيشا فغزا المغرب الأوسط وضمه إلى مملكته. واستمرت تلك الدولة إلى أن قضت عليها الدولة الفاطمية سنة 375هـ.

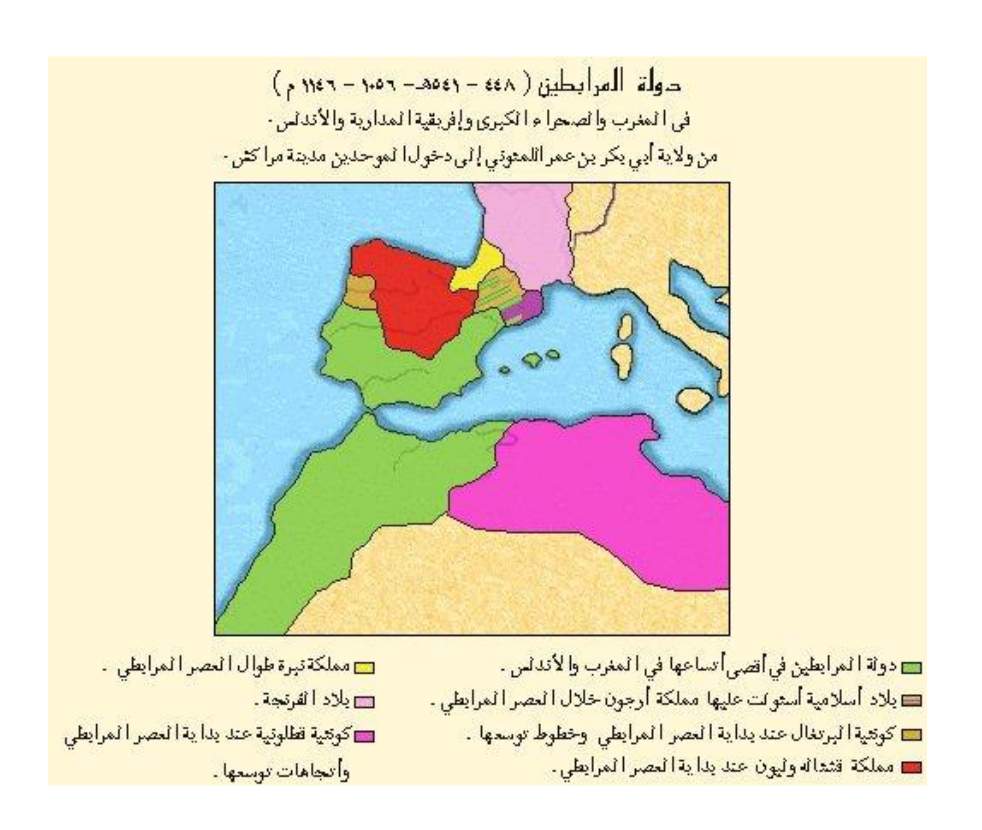
25- الدولة الأغلبية (184-296 هـ / 800-909م) :

خشي هارون الرشيد أن تمتد أطماع الأدارسة فيستولوا على المغرب الأدنى (تونس) ، وكان يعرف باسم (إفريقية) فأراد أن يقيم حكما ثابتا يناط برجل يستقل به ليدفع عنه خطر الأدارسة، فوقع اختياره على إبراهيم ابن الأغلب، فولاه على إفريقية سنة 184هـ، على أن تكون ولايته وراثية في مقابل مبلغ من المال يدفعه إلى الخليفة، وكانت (القيروان) عاصمة للولاية، فبنى إبراهيم بن الأغلب مدينة دعاها (العباسية) اتخذها عاصمة لدولته التي عرفت بدولة الأغالبة.

وفي عهد حفيده زيادة الله الأول تم الاستيلاء على جزيرة (صقلية) بقيادة الفقيه الكبير (أسد بن الفرات) وضمت إلى دولة الأغالبة. وقد امتد حكم الدولة الأغلبية حتى قيام الدولة الفاطمية التي قضت عليها.

26- دولة المرابطين (453 – 541هـ / 1062- 1147م):

تأسست هذه الدولة في المغرب الأقصى سنة 453هـ بزعامة يوسف بن تاشفين اللمتوني (نسبة إلى قبيلة لمتونة البربرية) وكان رجالها يشدون اللثام (النقاب) على وجوههم فعرفوا بالملثمين.



وقد لبى الملك المجاهد يوسف بن تاشفين دعوة المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، ليصد عنه عدوان ألفونسو السادس ملك قشتالة فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة 479هـ على رأس جيوش من البربر وتمكن من هزم الملك الأسباني في وقعة شهيرة جرت في سهل (الزلاقة). وخضعت بعدها دويلات طوائف الملوك لسلطان المرابطين.

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (500هـ) خلفه ملوك من أبنائه فيهم المنصرف إلى لهوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث القاصر، ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدولة في الانهيار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة 541هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بن علي بن تاشفين حفيد يوسف بن تاشفين.

27- الموحدون (541- 668هـ / 1147- 1270م) :

تنتسب هذه الدولة إلى مُحَّمد بن تومرت، من قبيلة (زناتة البربرية) وموطنها في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى. وكان ابن تومرت قد دعا إلى مذهب التوحيد فعرف أصحابه بالموحدين وتلقب بالمهدي، ولما توفي سنة 524هـ خلفه في دعوته تلميذه المقرب إليه عبد المؤمن بن علي، فأخذ يغير على المرابطين وتمكن في عام 541هـ من الاستيلاء على مدينة مراكش وأزال دولة المرابطين في المغرب الأقصى وأقام دولة للموحدين.

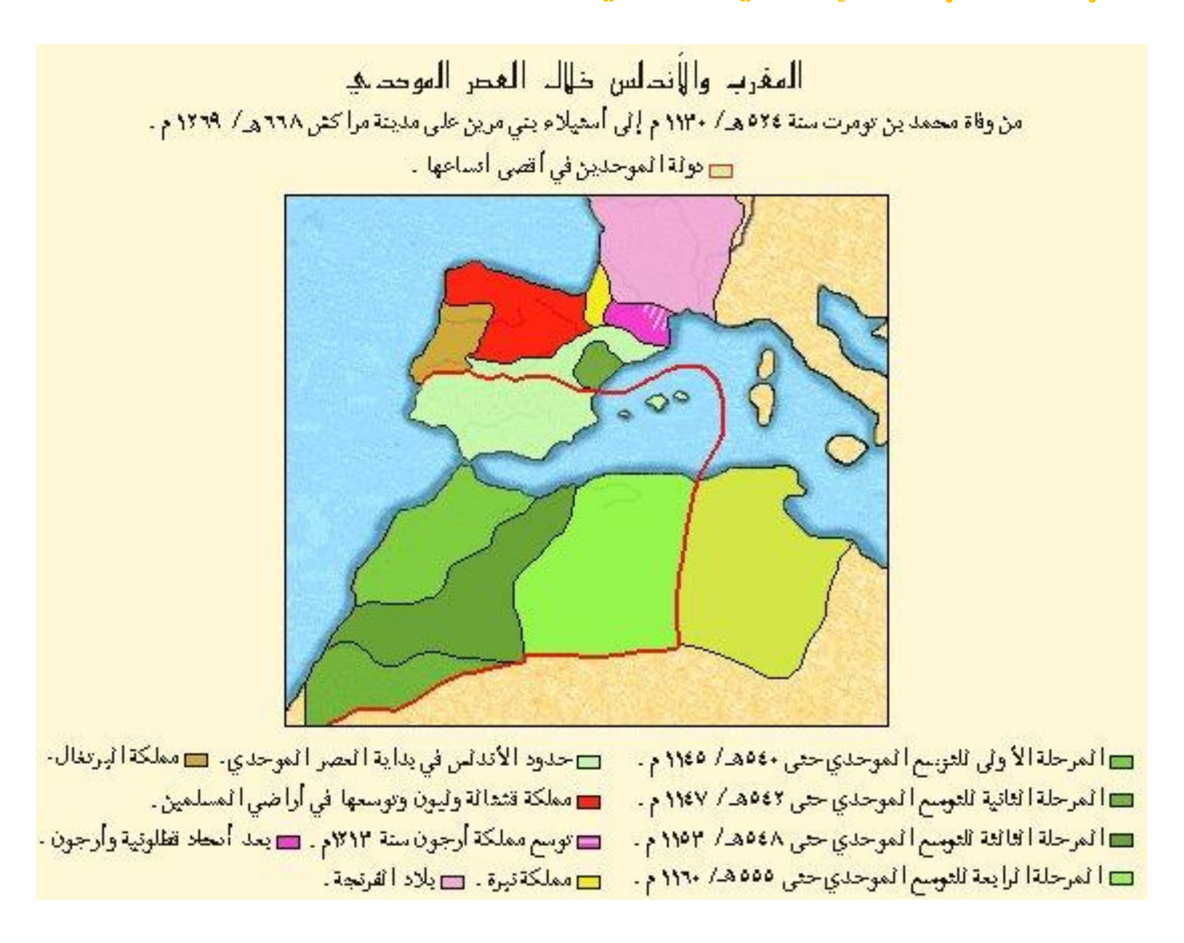
وقد اشتدت قوة الموحدين في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف الأول. ففي عام 567هـ اجتاز البحر إلى الأندلس وأخضع بها من ظل مواليا للمرابطين كابن مردنيش وابن غانية.

ولما توفي سنة 580هـ خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور وفي عهده بلغت دولة الموحدين أوجها في العز والمنعة، فقد اجتاز البحر

إلى الأندلس عدة مرات صد فيها عدوان الأسبان وكان آخرها عام 591هـ في الوقعة التي هزم فيها ألفونسو الثامن هزيمة منكرة وعرفت بوقعة (الأراك) وأحيا فيها وقعة الزلاقة التي جرت من قبل عام 479هـ.

ولما توفي أبو يوسف يعقوب المنصور سنة 595هـ خلفه ابنه الناصر لدين الله مُحَمَّد وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار، فقد اشتبك مع الأسبان في معارك هزم فيها وكان أشدها وقعا تلك التي جرت سنة 609هـ والتي عرفت بوقعة (العقاب) وتتابعت هزائم الموحدين بعدها في عهد أخلافه منها هزيمة وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ.

ولم يطل عهد الموحدين بعد ذلك فقد استولى بنو مرين على دولتهم سنة 668هـ في عهد آخر ملوكهم إدريس الملقب بأبي دبوس.



28- دولة بني مرين (668- 875هـ / 1270- 1470 م) :

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها عبد الحق المريني من قبيلة زناتة البربرية، المقيمة في منطقة (سلجماسة) بالمغرب الأقصى. ففي عام 610هـ تحول عبد الحق بقبيلته إلى بلاد الريف منتجعا وأخذ يغير على مناطق الموحدين والتقى معهم سنة 612هـ في معركة هزمهم فيها وتوالت بعد ذلك هزائم الموحدين حتى تم لبني مرين إزالة دولتهم سنة 668هـ وقد امتدت دولة بني مرين في المغرب الأقصى إلى سنة 875هـ.

29- دولة بني زيان من بني عبد الواد (633-962هـ / 1235 - 1555 م) :

تنتسب هذه الدولة إلى مؤسسها أبي يحيي يغمراسن بن زيان العبدوادي، من بني زيان بتلمسان. ففي عام 633هـ استقل يغمراسن بتلمسان واشتملت دولته على إفريقية الوسطى (الجزائر) وخضعت بضع سنين للسيادة المرينية وامتد عمرها حتى استولى عليها العثمانيون سنة 962هـ.

30- دولة الحفصيين (625- 941هـ / 1227 - 1534م):

تنتسب هذه الدولة إلى أبي حفص عمر بن أبي زكريا يحي الهنتاتي، وكان أبو زكريا من عمال دولة الموحدين بتونس ثم استقل عنها سنة 625هـ، وقامت بين أخلافه خصومات انقسمت بسببها الدولة سنة 681هـ إلى دولتين: دولة في تونس ودولة في (بجاية) بالمغرب الأوسط، وامتدت إلى أن استولى عليها العثمانيون سنة 941هـ.



(د) الدولة الإسلامية في الأندلس:

31- دولة الأمويين في الأندلس (92- 897هـ / 713- 1452م) :

اجتاز المسلمون البحر من المغرب الأقصى إلى الأندلس عام 92هـ بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وخضعت مع ما فتح من بلاد شمال إفريقية إلى دولة بني أمية بدمشق.

1- عبد الرحمن الداخل (138- 172هـ) :

ولما انقضى عهد الأمويين بقتل مروان الثاني آخر ملوكهم ، تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أن يفلت من

قبضتهم وأن ينجو من القتل، وتوجه متخفيا إلى المغرب لاجئا إلى قبيلة (نفزة) وفيها أخواله. فلما اطمأن إلى نفسه، أخذ يكاتب من ظل من أهل الأندلس على ولائه لبني أمية، فجاءه تأييدهم لقدومه.

وفي شهر ذي الحجة من عام 138هـ اجتاز عبد الرحمن البحر، ومعه جمع من العرب والبربر، ونزل الأندلس، وانضم إليه من كان يرقب قدومه، وتوجه إلى قرطبة فدخلها بعد أن قضى على أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، المعتمد من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ومن ثم دعي عبد الرحمن بلقب (الداخل).

تمكن عبد الرحمن من القضاء على الثورات التي أثارها المؤيدون لبني العباس، وفيهم الطامعون بالاستقلال بما في أيديهم من أقاليم ومدن، ومنهم من استنصر بشارلمان، ملك الفرنجة، فجاء بجيوشه سنة (161هـ – 771 م)، ولكنه لم يلبث أن عاد بعد أن فشل في حملته. ولم يصرف عبد الرحمن انشغاله بقمع تلك الثورات التي توالت طيلة حكمه عن الإدارة والعمران ، فقد أنشأ جامع قرطبة الذي أصبح جامعة اجتذبت إليها مشاهير علماء المشرق.

2 – هشام بن عبد الرحمن الداخل (172– 180 هـ):

توفي عبد الرحمن سنة 172هـ فخلفه ابنه هشام الأول بعهد من أبيه، فثار عليه أخواه سليمان وعبد الله، ينازعانه الإمارة ، وامتدت

ثورتهما إلى عهد ابنه الحكم الأول. وقد تمكن هشام من صد هجمات ملوك الفرنجة واستولى على بعض قلاعهم وحصونهم، وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة، وجدد بناء القنطرة على نهر قرطبة المعروف باسم (الوادي الكبير) ، وكان السمح بن مالك أمير الأندلس قد بناها سنة 100هـ.

3 – الحكم بن هشام (180– 206 هـ) :

توفي هشام الأول سنة 180هـ وخلفه ابنه الحكم الأول بعهد من أبيه فقمع ثورة عميه سليمان وعبد الله بقتل الأول واستسلام الثاني، وقضى على ما نشب من فتن، وغزا بلاد الفرنجة وصد عدوانهم على الثغور.

4 –عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم (206– 238هـ) :

توفي الحكم الأول سنة 206هـ فخلفه ابنه عبد الرحمن الثاني بعهد من أبيه. في عهده ثارت فتنة بين اليمينية و المضرية على منطقة (تدمير)، فقمعها الحكم وأمر بهدم (تدمير) وأقام مكانها مرسى للسفن، فسميت (مرسية)، وأخمد عصيان أهل طليطلة وتابع غزو الممالك النصرانية.

5 – مُحَّد (الأول) بن عبد الرحمن (238–273 هـ) :

توفي عبد الرحمن الثاني سنة 238هـ، فخلفه ابنه مُحَّد الأول بعهد من أبيه. في عهده ثار المولدون بزعامة عمر بن حفصون، وثار عليه أهل طليطلة وتحالفوا مع ملك (جليقة). وأثار الراهب (ايلوخيو) فتنة انتهت بقتله. ونشبت بين مُحَّد وبين ملوك النصارى حروب انتهت بغلبته عليهم والاستيلاء على كثير من قلاعهم وحصونهم. في عهده هاجم (النورمان – الفايكونج) السواحل الأندلسية وتولى قائد البحرية الأندلسية (خشخاش بن سعيد) طردهم.

6 – المنذر بن مُحَّد (273–275 هـ) :

توفي مُحَّد الأول سنة 273هـ وخلفه ابنه المنذر الأول، ولم يطل حكمه سوى سنتين.

7 – عبد الله بن مُحَّد (275– 300هـ) :

توفي المنذر سنة 275هـ وخلفه أخوه عبد الله بن مُحَّد. ثار عليه أمراء أشبيلية وتتابعت في عهده ثورات المولدين وطال حكمه خمسا وعشرين سنة.

8 – خليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر (300–350):

توفي عبد الله بن مُحَّد فخلفه حفيده عبد الرحمن (الثالث)، وتلقب بلقب الخلافة، حين انهارت سلطة الخليفة في بغداد وهو أول من تلقب بلقب الخلافة في دولة الأمويين بالأندلس، وكان أسلافه يتلقبون بلقب (الإمارة). امتد حكمه خمسون سنة أمضاها في قمع الثورات وفي حروبه مع الفرنجة. وقد بلغت الدولة الأموية في عهده منتهى رفعتها في القوة والعلم والعمران. ففي القوة كان لها السيطرة الكاملة على بلاد الثغور المتاخمة لبلاد العدو، وفي العلم أصبحت قرطبة محجة العلماء، وكثر قصادها من أعلام المشرق، ونفست بهم على بغداد. وفي العمران بني عبد الرحمن مدينة الزهراء وصب فيها عبقرية العرب في الهندسة والبناء والزخرفة العجيبة، فجاءت أعجوبة الزمان وآية من آيات الفن الرفيع. وقد أضاف إلى لقب الخلافة لقب (الناصر لدين الله)، فكان يعرف به.

9 – المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر (350– 366هـ):

توفي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ فخلفه ابنه الحكم (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المستنصر بالله)، وقد سار سيرة أبيه، فحارب ملوك (قشتالة) و (ليون) و (نافار) وقهرهم وصد هجماتهم. في عهده أغار (النورمان – الفايكونج) على السواحل الأندلسية للمرة

الثانية فصدهم. ازدحم العلماء على بابه، وغصت بهم مجالسه، وترجمت إلى العربية كتب كانت تهدى إليه من أباطرة الروم، وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلد، ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة، بينما كان الجهل يسود أوروبا، ولم يكن فيها من يعرف الكتابة والقراءة إلا القليل.

10 – هشام بن الحكم (366هـ) :

– توفي الحكم (الثاني) المستنصر بالله سنة 366هـ وخلفه ابنه هشام (الثاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المؤيد بالله)، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره. وكان العهد إليه بإصرار أمه (صبح) البشكنسية عن زوجها الحكم وبتأييد حاجب القصر مُحَمَّد بن أبي عامر. وقد استطاع هذا الحاجب أن ينتزع السلطة من الخليفة القاصر وأن يستقل بها وأن يقيم الدولة العامرية بزعامته.

- **الدولة العامرية :**

11 – قضى ابن أبي عامر على نفوذ (صبح) أم الخليفة ، كما قضى على نفوذ الوزير عثمان المصحفي وحجب الخليفة عن الناس، وألزمه الإقامة في القصر وأعد له ما يلهي طفلا في مثل سنة ويصرفه عن التفكير في غير ما أريد له وفرض عليه. خاض ابن أبي عامر حروبا

بلغت – كما يقول المؤرخون – خمسين وقعة، كتب له النصر في أكثرها، ومن أجل ذلك تلقب بالمنصور، ومات متأثرا بجراح أصابته في آخر حروبه. وأمر أن يوسد في القبر على لِبَنَتَيْنِ صنعهما مما جمع على وجهه من غبار جهاد النصارى.

ثم تحالف ملوك الفرنجة لقتال المسلمين بعد وفاة ابن أبي عامر وقيام دول الطوائف، وذلك بإثارة الضغائن بين ملوك تلك الدول واستنجادهم بملوك وأمراء الفرنجة، الذين كانوا يفرضون على من أعانوه مبالغ كبيرة، كثيرا ما كان يعجز عن أدائها، وينتهي الأمر بالاستيلاء على مملكته وطرده منها.

12 – **توفي ابن أبي عامر** (المنصور) بعد سبع وعشرين عاما من تغلبه على الحكم، فخلفه في الحجابة ابنه عبد الملك، وتلقب بلقب (المظفر بالله)، وسار في تدبير الملك سيرة أبيه. وظل الخليفة هشام محجوبا عن الناس وقد بلغ من العمر سبعا وثلاثين عاما.

13 – **توفي عبد الملك** سنة 399هـ فخلفه في الحجابة أخوه عبد الرحمن الملقب بلقب (شنجول) فأخرج هشاما من معتقله وأكرهه أن يوليه الخلافة من بعده، فكتب له بذلك عهدا. ولما علم أهل قرطبة بالأمر ثاروا على عبد الرحمن واجتمعوا على أموي يدعى محمد بن هشام من أحفاد عبد الرحمن الناصر وبايعوه وتلقب بمحمد المهدي وتمكن من قتل (شنجول) وبه انتهت دولة بني عامر.

عودة الخلافة إلى بني أمية (مُحَمَّد المهدي وسليمان المستعين):

14 – حجز مُحَمَّد المهدي هشاما المؤيد وادعى أنه مات وأعلن للناس وفاته وأخرج لهم جثة شخص شبيه به وصلى عليها ودفنها باحتفال. ولم يلبث أن ثار على مُحَمَّد المهدي ابن عم له يدعى سليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ونازعه الخلافة، والتف حوله البربر. وقد استعان كل منهما بملك من ملوك الفرنجة، وفي الحرب تمت الغلبة لسليمان بن الحكم وقتل مُحَمَّد (المهدي) ودخل سليمان إلى قرطبة وكان ذلك سنة (400 – 402هـ) وأحضر هشاما (المؤيد) وكان حيا، فتنازل لسليمان عن الخلافة وبايعه وتلقب بلقب (المستعين بالله).

واختفى بعد ذلك المؤيد وقيل أن المستعين قتله. وقد أقطع المستعين زعماء البربر الذين نصروه إقطاعات في جنوب الأندلس وشرقه، فأعلن بقية الولاة استقلالهم وانفصالهم عن قرطبة وبذلك انفرط عقد الدولة الأموية، وقامت على أنقاضها دويلات مستقلة لطوائف من العرب والبربر والصقالبة، يحكم كل طائفة منها حكام سلكوا مسلك الملوك وعرفوا بملوك الطوائف وفقدت قرطبة مكانتها كعاصمة واستوت مع دول الطوائف، وتعاقب عليها حكام من أصول عربية

منهم أدارسة من بني حمود ومنهم من بني جهور ومنهم بقايا من بني أمية.

قيام دولة بني حمود في قرطبة : (علي بن حمود الإدريسي والقاسم بن حمود ويحي بن علي بن حمود) :

15 – ساءت سيرة المستعين بالله فثار أهل قرطبة عليه واستنجدوا بالأمير علي بن حمود الإدريسي الهاشمي، أمير (سبتة)، فاستجاب لهم وتوجه سنة 407هـ مع جيش من البربر، فدخل قرطبة وقتل المستعين ولقب نفسه (المتوكل على الله الناصر لدين الله)، وكان شديدا على مماليكه فاغتالوه سنة 408هـ، فخلفه أخوه القاسم ابن حمود، وتلقب بلقب (المأمون).

وفي سنة 413هـ ثار عليه البربر وخلعوه وولوا ابن أخيه يحيى بن علي الإدريسي وتلقب بلقب (المعتلي بالله). ولم يلبث أن خلعه البربر وأعادوا عمه القاسم بن حمود فبايعوه وتلقب بلقب (أمير المؤمنين) ثم إنهم خلعوا القاسم وأعادوا ابن أخيه يحي للمرة الثانية.

- **عودة الحكم إلى بني أمية:**

(المستظهر، المستكفي، المعتد)

16 – خلع أهل قرطبة يحي بن علي وبويع أموي يدعى عبد الرحمن (الخامس) ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر خليفة وتلقب بلقب (المستظهر بالله)، ولم يلبث سوى شهر ونصف من عام 413هـ حتى خلع وبويع أموي يدعى مُحَمَّد (الثالث) ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر وتلقب بلقب (المستكفي بالله)، وبعد أربع سنوات من ولايته خلع وبويع أموي آخر يدعى هشاما (الثالث) ابن مُحَمَّد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وتلقب بلقب (المعتد بالله) وقد ضاق أهل قرطبة بسوء تصرفه فخلعوه وأخرجوه من قرطبة سنة 422هـ وبه انقرضت دولة بني أمية في الأندلس.

قيام دولة بني جهور في قرطبة:

بعد خلع المعتد بالله ولى أهل قرطبة عليهم الوزير أبا الحزم بن جهور، فقام بتدبير الأمور إلى أن مات سنة 435هـ وخلفه ابنه أبو الوليد مُحَمَّد بن جهور، وما زال على قرطبة حتى خلعه أهلها سنة 462هـ فأعقبه ابنه عبد الملك، فأساء السيرة فأخرجوه عنها.

ضم قرطبة إلى أشبيلية:

بعد خلع عبد الملك بن جهور سنة 468هـ زحف المعتمد بن عباد أمير أشبيلية على قرطبة فملكها وزالت دولة بني جهور ومعها دولة قرطبة.

- **دولة المرابطين في الأندلس :**

في عام 477هـ استولى ألفونسو السادس ملك (ليون) على طليطلة واستخلصها من بني ذي النون وعقد حلفا مع ملوك الأقاليم المسيحية للاستيلاء على أشبيلية، فاستنجد أميرها المعتمد بن عباد بيوسف بن تاشفين ، أمير دولة المرابطين في المغرب الأقصى، فأنجده وقدم إلى الأندلس على رأس جيش من البربر وقاتل ألفونسو ومحالفيه في معركة شهيرة جرت في موقع يعرف بالزلاقة، بالقرب من بطليوس وذلك في 12 رجب سنة 479هـ وانتهت بنصر المرابطين وسحق الجيش الأسباني في موقعة مشهودة من أيام الإسلام.

وبعد هذه الموقعة أخذ المرابطون يستولون على دول الطوائف واحدة بعد أخرى وينفون ملوكها إلى المغرب الأقصى وأقاموا في الأندلس دولة للمرابطين عاصمتها قرطبة. وقد دامت دولتهم حتى قضى عليها الموحدون بزعامة عبد الله بن تومرت.

- **دولة الموحدين في الأندلس:**

اضمحلت دول المرابطين في الأندلس بعد وفاة يوسف بن تاشفين وقد أطمع اضمحلالها ملوك النصارى، فتحالفوا للقضاء عليها، فسارع الموحدون إلى صدهم ودخلت جيوشهم الأندلس سنة 543هـ والتحموا مع الأسبان في معركة ضارية عرفت بمعركة (الأرك) وانتصروا عليهم نصرا مبينا.

وقد أخذ الأسبان بعدها يعدون العدة لمعركة أخرى، جمعوا لها قواهم وحشدوا جيوشهم، والتقوا مع جيش الموحدين سنة 609هـ في معركة عرفت بمعركة (العقاب) وكانت معركة فاصلة تم فيها النصر للأسبان.

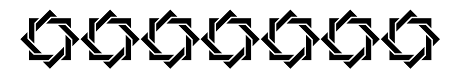
نهاية دولة الموحدين في الأندلس :

بعد معركة العقاب بدأ مصير الأندلس يهتز، وأخذت قواعد الأندلس تسقط في يد الأسبان ولم تأت سنة 644هـ حتى سقطت دولة قرطبة وبلنسية ودانية ومرسية في أيديهم. أما غرناطة فقد ثبتت خلف حصونها. ثم انهارت مقاومتها وسقطت بيد الأسبان سنة 897هـ (1492 م) وبسقوطها انتهى حكم المسلمين في أسبانيا ودالت دولتهم بعد حكم دام ثمانمائة عام.


الأندلس
حدوده عند قيام الدولة الأموية سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
نبرة
أرجون
قطلونية
مملكة ليون
مملكة الفرنجة
أرجون
نبرة
قطلونية


بلاد الأندلس أسبانيا الإسلامية

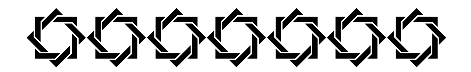

الأندلس خلال عصر الطوائف
الأندلس الإسلامي بعد سقوط طليطلة .
مملكة قشتالة وليون.
كونتية البرتغال .
مملكة نبرة .
إمارة أرجون .
كونتية قطلونية.
بلاد الفرنجة.



- **تاريخ سقوط أهم المدن الأندلسية :**

130 هـ / 748 م: بمبلونة	Pmpalone
374 هـ / 985 م: برشلونة	Barcelona
387 هـ / 997 م: سانتياغو	Santiago
392 هـ / 1002 م: ليون	Leon
446 هـ / 1055 م: سلمنقة	Salamanca
456 هـ / 1064 م: قلمرية	Colambra
457 هـ / 1065 م: بربشتر	Barbastro
476 هـ / 1084 م: مجريط	Madrid
477 هـ / 1085 م: طليطلة	Toledo
489 هـ / 1096 م: وشقة	Huesca
507 هـ / 1114 م: تطيلة	Tudela
512 هـ / 1119 م: سرقسطة	Zaragoza
543 هـ / 1177 م: قونقة	Cuonca
585 هـ / 1179 م: شلب	Silves
619 هـ / 1222 م: ماردة	Merida
627 هـ / 1229 م: بطليوس	Badajos
628 هـ / 1230 م: ميورقة (من جزر الباليار)	Mallorca
632 هـ / 1235 م: يابسة	Ibza
633 هـ / 1236 م: قرطبة	Cordoba
633 هـ / 1236 م: طلبيرة	Tolavera
636 هـ / 1238 م: دانية	Denia
640 هـ / 1242 م: قرطاجنة	Cartagena
641 هـ / 1243 م: دانية	Denia
641 هـ / 1443 م: مرسية	Murcia
644 هـ / 1246 م: جيان	Jaen
645 هـ / 1247 م: لشبونة	Lisbaana
645 هـ / 1247 م: شاطبة	Jativa

646 / 1248 م: إشبيلية	Sevilla
647 هـ / 1249 م: لاردة	Lerida
661 هـ / 1262 م: ولبة	Huelva
661 هـ / 1262 م: لبلة	Nibela
661 هـ / 1262 م: قادس	Cadis
686 هـ / 1287 م: منورقة (بقية جزر الباليار)	Menorca
702 هـ / 1310 م: جبل طارق	Giraltar
818 هـ / 1415 م: سبتة	Ceuta
890 هـ / 1485 م: رندة	Ronda
893 هـ / 1487 م: مالقة	Malaga
894 هـ / 1488 م: وادي آش	Cudix
894 هـ / 1488 م: المرية	Almeria
898 هـ / 1492 م: غرناطة	Granada



أعمار الدول الإسلامية

قال تعالى:

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران .140)

وعن حذيفة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: **(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت.)**

رواه مسلم.

وفي رواية لابن حماد : من حديث أنس ﷺ قال : **(إنها ثم .. ملك عضوض.. ثم جبرية، ثم طواغيت !!).**

وفي رواية عن شهر بن عطية عن أنس بن مالك قال : **(إنها ستكون ملوك ثم جبابرة ثم الطواغيت).**

الدولة النبوية : .... 1- 11هـ ....(11 عاما).
دولة الخلفاء الراشدين : .... 11-41هـ ....(30 عاما).
دولة الخلافة الأموية :........... 42- 132هـ.........................(90عاما).
دولة الخلافة العباسية :.............. 132- 656هـ ....(524 عاما).

أعمار الدول الإسلامية المستقلة .. بحسب تسلسل تاريخ قيامها :

1- دولة بني أمية في الأندلس مع دول الطوائف: .... 138- 897هـ.........(805 أعوام)
2- الدولة المدارية - المغرب الأقصى : ....140- 297 هـ........(157 عاما)
3- الدولة الرستمية - تاهرت/ الجزائر: .... 162 - 296 هـ.......(143 عاما)
4- دولة الأدارسة - المغرب الأقصى: ....172 - 375 هـ......(203 أعوام)
5- الدولة الإباضية - عُمان: .... 176-792 هـ........(612 عاما)
6- الدولة الأغلبية - تونس: ....184 - 296 هـ...... (112 عاما)
7- الدولة الصفارية - سجستان /إيران: ....254- 298 هـ........(44 عاما)
8- الدولة الطولونية - مصر والشام: ....256- 298 هـ........(42 عاما)
9- الدولة السامانية- ما وراء النهر و طبرستان: ....261- 389هـ........(128 عاما)
10- الدولة الحمدانية - الموصل والشام: .... 292- 392 هـ ...... (100 عام)
11- الدولة القرامطة - الخليج العربي:.................. 296- 398هـ .... (102 عاما)
12- الدولة الفاطمية- مصر والشام:......................298 - 567 هـ.......(279 عاما)
13- الدولة الإخشيدية - مصر:..........................323 - 358 هـ....... (35 عاما)
14- دولة بني بويه - بلاد فارس:.........................334 - 447 هـ........(113 عاما)
15- الدولة الغزنوية - أفغانستان والهند:..................366- 555هـ..........(179 عاما)
16- دولة بني نجاح - زبيد / اليمن:......................421- 554هـ.........(132 عاما)
17- دولة السلاجقة - بلاد الري في المشرق:............429 - 583 هـ........(154 عاما)
- دولة السلاجقة في الشام:..........................470 - 508 هـ........(38 عاما)
- دولة السلاجقة في الأناضول:.......................470 - 707 هـ........(237 عاما)

18- الغورية – أفغانستان والهند:........................439-612 هـ.........(173 عاما)
19- الصليحية- صنعاء/ اليمن:........................450-647 هـ .... (197 عاما)
20- دولة المرابطين – المغرب الأقصى:..................448 – 540 هـ........ (92 عاما)
21- الدولة الخوارزمية – ما وراء النهر/خوارزم...........470 –617 هـ ....(147 عاما)
22- الدولة الأرتقية (في آمد وماردين) :..................500 – 809 هـ .... (309 أعوام)
23- الدولة الأتابكية (في الموصل) :.....................516 – 660 هـ .... (144 عاما)
- الدولة الأتابكية (في الشام) :.........................541 – 579 هـ .... (38 عاما)
24- دولة الموحدين – المغرب الأقصى/ بفاس:......... 515 – 668 هـ ....(153 عاما)
25- الدولة الأيوبية في مصر:......................... 564 – 648 هـ.........(82 عاما)
- الدولة الأيوبية في الشام :.......................579 – 661 هـ.........(82 عاما)
26- دولة بني حفص بتونس:............................625 – 977 هـ.........(352 عاما)
27- دولة بني رسول في اليمن: ....626- 826هـ..........(200 عاما)
28- دولة بني زيّان بن عبد الواد بتلمسان:...............633 – 962 هـ.........(329 عاما)
29- دولة المماليك – مصر:........................... 648 – 792هـ..........(144 عاما)
30- الخلافة العباسية في مصر:....................... 659 – 923 هـ ....(264 عاما)
31- دولة بني مرين المغرب الأقصى /فاس:............ 668 – 831 هـ........(239 عاما)

أسباب انهيار الخلافة الإسلامية:

يعود انهيار الخلافة الإسلامية إلى عدة أسباب. لعل من أهمها:

أولا – تحول نظام الخلافة إلى النظام الملكي الوراثي :

لما انتقلت الخلافة إلى بني أمية بدلوا نظام الشورى بنظام الإرث في الأسرة. وبدأت مرحلة الملك العضوض. فقد عهد معاوية بالخلافة من بعده لابنه يزيد وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، ثم انتقلت الخلافة ، إلى بني مروان ابن الحكم من بني أمية. ثم اتسع بعد ذلك نطاق الخلفية، فأصبح الخليفة يعهد إلى ابنين

أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد آخر بالترتيب الذي يقرره، كما فعل عبد الملك بن مروان بن الحكم فقد عهد بالخلافة من بعده إلى أبنائه : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام. وقد توسط عمر بن عبد العزيز بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان.

واستقر نظام الخلافة في الدولة الإسلامية بعد ذلك على نظام الإرث وأصبحت البيعة رسما شكليا يقبل عليها الناس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعلماء، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق و العتاق لكي لا يتحللون منها. وفي العصر العباسي الثاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخلافة بيد المتغلبين من القادة الأعاجم من فرس وترك. وقد ترتب على وراثة الخلافة مفسدتان أساسيتان وهما:

الصراع من أجل الملك. وظاهرة الاستبداد والظلم.

1 – الصراع من أجل الملك:

وقد امتلأت كتب التاريخ المختلفة بصور كثيرة من صراعات الأسر المتعددة على الملك ، ومن صراعات القصور داخل الأسرة الواحدة على ولاية العهد ..

وقد وقف الفقهاء من نظام الإرث في الخلافة موقف المسلم بالأمر الواقع ، من باب سد باب مزيد من الفتن ، فأجازوا للخليفة أن

يعهد بالخلافة إلى ابنه أو إلى ابن أخيه، ثم أجازوا أن يعهد بالخلافة لعدد من أبنائه يتوارثونها على الترتيب الذي يقرره، كذلك قبلوا خلافة من ينال الخلافة بالغصب والسيف ، حتى لو كان فاجرا، لكيلا يبيت المسلمون بلا خليفة. وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخلفاء والملوك والأمراء الذين شملتهم قاعدة الإرث ، أو التغلب. البر منهم والفاجر.

2 – ظاهرة الاستبداد والظلم :

لما انتقل نظام الخلافة من قاعدة الشورى إلى نظام الإرث، وأصبحت البيعة رسما شكليا، تؤخذ بالرغبة أو الرهبة.

صار سلطان الملوك مطلقا لا رقيب عليه، يتصرف على هواه. وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خطة الإسلام وتعطيل لجدوى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلم يعد الأمر كما جاء في خطاب أبي بكر حين تولى الخلافة فقال: " أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عند القوي حتى آخذ الحق منه ".

وقد ترتب على ممارسة الخليفة سلطانه المطلق نشوب هذا العدد الكبير من الثورات، وهكذا أدت ظاهرة الإحتجاج على الظلم والاستبداد، إلى إنهاك موارد الدولة وأضعفت قوتها.

وقد وقف الفقهاء أمام مشاهد الاستبداد والظلم فريقين: فريق أراد الدنيا فدخل في دنيا الخلفاء ونال حظه منها، ومنهم من زين أفعالهم فازداد منهم قربا. وفريق أراد الآخرة وسعى لها فتنكب عنهم وصمت على مضض ، وأبى أن ينال عملا من ولاية أو قضاء، لكيلا يعمل في ظل حكم جائر فيسأل عنه ، ويعتبر عمله عنده شهادة حسن سلوك من العالم للحاكم أمام الرعية. وهي من أسوأ شهادات الزور العملية . ومن هؤلاء الإمام أبو حنيفة والإمام أحمد وسفيان الثوري وعبد الله بن إدريس وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح وطاووس والأوزاعي ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير، ... كثيرون غيرهم ، في حين أخذ البعض بعزيمة الأمر والنهي العملي ، فخرج يقارع الطغيان كما حصل من الإمام الحسين ﵁ ، وكما حصل من القراء الذين خرجوا على الحجاج ، وكما حصل من أحمد بن نصر الخزاعي في عهد الواثق العباسي...، ولما لم تؤدي كل تلك المحاولات إلى إزالة الظلم لأسباب يطول شرحها. وصار قصارى موقف الصالحين اعتزال القصور وحكامها ، والصدع بالحق ، أو الاعتزال عنهم إيثارا لسلامة الدين.

ويلحق بهذا الفريق من تزهد وتصوف وأعرض عن الدنيا واعتزل أهلها وانصرف إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته، فصفت نفسه ورقت وأمتعته بلذة روحانية لا تعدلها لذة الحياة المادية. وبهذا الفريق بدأ عهد التصوف كظاهرة رفض للحياة المترفة واحتجاجا على شيوع الظلم والاستبداد.

وقد اشتدت ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني وتضاعفت مع مضاعفة السلطة بين الخلفاء والمتغلبين. فقد أضيفت إلى وسائل القتل والسمل والنفخ والفصد وقطع الأعضاء والحبس في المطامير والتوسيط، والموت عطشا وجوعا والطرح تحت أقدام الفيلة والإلقاء في حظيرة السباع. فكان الخليفة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل.

وقد ازدادت ظاهرة الظلم ضراوة عندما انتقل الحكم من الملك العضوض ، كما كان حال بني أمية وبني العباس ، إلى مرحلة الملك الجبري ، كما كان حال معظم حكام التغلب وأمراء وملوك الدول المستقلة المتصارعة على الملك والسلطان .. يكاد لا يستثنى من ذلك إلا ومضات مضيئة قليلة لملوك وأمراء صالحين، مروا في سماء تاريخ أكثر الملوك والسلاطين ، كشهب لامعة في سماء الظلم والظلمات.

وقد أدى اشتداد ظاهرة الظلم منذ العصر العباسي الثاني إلى نشاط التصوف والتفاف العامة حول المتصوفة، يجدون العزاء عندهم

والاطمئنان، ويلتمسون في جوارهم الصبر على احتمال الظلم وتعزية النفس بوعيد الله الانتقام لهم...، بعد أن ازداد مع الأيام افتراق السلطان والقرآن كما أخبر رسول الله ﷺ. حتى ما إذا دخلنا تاريخنا الحديث ، وجاء عصر الطواغيت الذي أخبر عنه سيدنا المصطفى ﷺ ، منذ أواخر الدولة العثمانية ثم حكومات الإستعمار، ثم حكومات ما أسمي (الإستقلال)، وصلنا إلى مرحلة تواجه السلطان مع القرآن ، وليس مجرد افتراق السلطان والقرآن.كما سيمر بعض شواهد ذلك في فصول الكتاب اللاحقة إن شاء الله تعالى وييسر. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ثانيا – الزواج من الإماء وتدخلهن في شؤون الحكم وولاية العهد :

كانت زوجات وأمهات الخلفاء في عهد الخلفاء الراشدين من شريفات النساء ومن أعراق عربية. كذلك كان خلفاء العهد الأموي.

ولم يشذ عن القاعدة سوى اثنين من خلفاء بني أمية هما: يزيد بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن مُحَمَّد بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية، فأم يزيد فارسية تدعى (شاه فرند) وهي بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، آخر ملوك الفرس. وأم مروان بربرية من قبيلة (نفزة) بالمغرب الأقصى.

أما زوجات وأمهات خلفاء بني العباس فجميعهن من الجواري المحررات، من فارسية ورومية وتركية وأرمنية وبربرية، باستثناء ثلاثة منهم وهم: أبو العباس السفاح والمهدي والأمين. كذلك كانت زوجات وأمهات أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، فقد كن من نساء النصارى المستبيات أو المهداة إلى الأمراء والخلفاء وفيهن من بنات ملوك وأمراء النصارى الأسبان.

ومن أشهر النساء في دولة بني العباس، الخيزران زوجة المهدي وأم ولديه موسى (الهادي) وهارون (الرشيد)، وصبيحة (القبيحة) زوجة المتوكل وأم ولده المعتز، و(شغب) زوجة المعتضد وأم ولده المقتدر. ومن أشهر النساء في دولة الأندلس (طروب) زوجة الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني وأم ابنه عبد الله. و(صبح) زوجة الخليفة الأموي الحكم المستنصر الأندلسي وأم ولده هشام (المؤيد).

وقد جرى على هذه السنة الوزراء والحجاب وملوك الطوائف، فقد تزوج المنصور بن أبي عامر ابنة (سانشو الثاني) ملك (نافار) ثم تزوج ابنة (برمود الثاني) ملك (ليون)، وكان زواجه منهما لغرض سياسي أريد منه التقوي بمن صاهروه على أعدائه من ملوك آخرين أو على أمراء من المسلمين كانوا قد خرجوا عليه. وتزوج المعتمد بن عباد أمير إشبيلية جارية من جواري نخاس يدعى (ابن رميك) ، فعرفت بالرميكية. كذلك كان شأن الخلفاء الفاطميين.

وقد كان لكثير من هؤلاء الجواري الأمهات دورا في سياسة الدولة أدى إلى صراع من أجل الخلافة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، وكان ذلك من أسباب ضعف الدولة وانهيارها.

من ذلك ما كان للخيزران، زوجة المهدي، من شأن في عهد زوجها، فكان الوزراء والكبراء يقفون على بابها لحاجاتهم. ولما تولى ابنها موسى (الهادي) الخلافة أراد الحط من شأنها ومنعها من التدخل في شئون الدولة فعملت على قتله كما قيل.

وهذه (قبيحة) زوجة المتوكل أغرت زوجها بتقديم ابنها (المعتز) على أخيه المنتصر في ولاية العهد، فكانت سبب قتل زوجها المتوكل.

وأما (شغب) فقد كان لها مشاغباتها والكلمة العليا في قصر المعتضد وولي عهده المقتدر ، ويكفي للدلالة على ذلك ما زعموا من أن قهرمانتها تولت النظر في المظالم.

وأما (طروب) فقد حاولت مؤامرة لقتل زوجها عبد الرحمن بن الحكم لتدفع عن ابنها (عبد الله) منافسة أخيه (مُحَمَّد) في خلافة أبيه، وقد اكتشف زوجها عبد الرحمن المؤامرة وتغابى عن فعل زوجته وظل محتفظا بإيثاره لها ودلها عليه لفرط حبه لها.

وهذه (صبح) زوجة الحكم المستنصر فقد فرضت ابنها (هشاما) لولاية العهد ولما يبلغ الحادية عشرة من عمره.

وهـذه (الرميكيـة) زوجـة ابـن عبـاد تفـتن زوجهـا بـدلها وتصـبيه بجمالها فينطلق في التغزل بها بشعر عذب رقيق، حتى فرش لها المسك والكـافور معجـونا بمـاء الـورود فصنع لهـل طينا لما اشتهت أن تعـافس الطين كفلاحـات رأتهن من نافذة القصر !! فصرفته عن أمور الدولة إلى لهو أغرى به ألفونسو السادس الملك الإسباني، فهم بالانقضاض عليه، لـولا أن أنجده يوسـف بن تاشفين زعيم المرابطين، فـدفع عنه الأسبان ثم استولى على ملكه. ونفاه إلى المغرب الأقصى مع زوجته وأولاده ليقرض الشعر في سجن (أغماد).

ولا ريب أن الأمهـات الأجنبيـات قـد خلَّقـن أبنـاءهن بأخلاقهـن ورسخن فيهم تقاليدهن التي نشأن عليها ورفعن إلى سدة الحكم أبناء فيهم من لم يبلغ الحلم، وفيهم من عاش في نعيم القصور فغلب عليه اللهو والمجون، وتولى الحكم أعوان، من وزراء وقادة، فانقادوا لأطماعهم وأهوائهم وكانوا من أسباب انهيار الدولة. وصدق عمر رضي الله عنه.

فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة عن خرشة بن الحر قال: قال عمر: (**تهلك العرب حين يبلغ أبناء بنات فارس**). وكذلك جاء فيه عن عبد الله بن عمرو قال: (**لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم أبناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا**).

ثالثا – تجنيد الموالي:

لما تولى المعتصم بن الرشيد الخلافة تحول الطابع العربي للجيش، وصار أكثر الجند من الأتراك، وكان يُأتي بهم من تركستان أطفالا، حيث يربون على الحرب والقتال. وعظم شأنهم في عهد الخليفة الواثق ومن بعده المتوكل، وارتقى فريق منهم إلى رتبة القادة.

ومن ذلك الوقت أضحى الإسلام في حالة دفاع عن الحدود التي وقفت عندها فتوح الخلفاء الراشدين ومن بعدهم بنو أمية. وقد تحول الجند الموالي إلى جنود مرتزقة، يعتصبون إذا ما تأخرت أرزاقهم ويهددون بالعصيان وقد رتبوا لأنفسهم حقوقا عند نصب الخليفة يعرف برسم البيعة.

رابعا: حياة الترف والسرف :

أخذت الفتوحات تتوالى وتتسع حتى بلغت منتهاها في العصر الأموي، فانبسطت أسارير الدنيا على المسلمين. وفي العصر العباسي بلغ السرف غايته عند الخلفاء والأمراء والوزراء و سراة الناس، وتطاولت القصور، واتسعت الدور، تخطر في أبهائها جوار مثل الحور .. من كل جنس ولون.

وقد حفلت القصور بمجالس الطرب، يرتادها الشعراء ويتبارون بوصف ما يجري فيها من لهو وعبث، فينالون بما تجود به قرائحهم

وتنطلق به لهواتهم، الجوائز على أقدارهم. وقد دونت أخبار تلك المجالس وما كان يجري فيها من إسراف باللهو والمجون وحتى الخمور في دواوين الشعراء وكتب الأدب والأخبار.

ومن مشاهد اللهو والعبث ومظاهر الترف و السرف ما روي عن ترف الخليفة المقتدر، فقد كان مبذرا مؤثرا للشهوات، وقد وزع جواهر الخلافة ونفائسها على حظاياه. ومن فنون لهوه أنه أراد في يوم أن يشرب على نرجس في بستان قصره، وكان وقت تسميد الزرع، فاستبدل السماد بالمسك، بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به، وجلس يشرب يومه وليلته، واصطبح من غده ، فلما قام أمر بنهب المسك، فانتهبه الخدم والعاملون في البستان واقتلعوه من أصول النرجس، وخرج منه مال عظيم.

ومن مشاهد الترف والسرف ما كان ينفق في أعراس الخلفاء، ففي عرس الرشيد على زبيدة بنت جعفر بن المنصور، قدم الرشيد ما لم يقدم لامرأة قبلها من الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وقد بلغت نفقة هذا العرس من مال بيت المال - سوى ما أنفقه الرشيد - خمسون ألف ألف (مليون) درهم. وفي عرس المأمون على بوران بنت الحسن بن سهل وزعت رقاع بأسماء ضياع وقصور وصلات، وجعلت الرقاع في بنادق المسك، ونثرت بين أيدي العروس، فكان الذي يلتقط شيئا يحبس عليه، وقد قدرت نفقة

ذلك العرس بأربعين ألف ألف (مليون) درهم، عدا ما أنفقه والد العروس.

ومن مشاهد الترف والسرف ختان أبناء الخلفاء، فقد حفظ التاريخ لنا وصفا مسهبا لاحتفال الخليفة المتوكل بختان ولده المعتز، وقد بلغت نفقاته ستة وثمانين ألف ألف درهم، وقيل إن الناس كانوا يستكثرون ما أنفق في عرس المأمون ثم أتى ما أنفق في ختان ابن المتوكل ما أنسى ذلك.

ومثله ما أنفقه الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر في إعذار (ختان) حفدته بقصر الزهراء.

ومن مشاهد الترف والسرف النهم في الطعام وفي النكاح. فانتشرت المطاعم الشهية، وصارت تقدم في أوان من ذهب وفضة ..

وقد أزاح سيف الجلاد ميزان العدل فأصمت الحق، وأضحى قوله مهلكة يطلبها من أراد الاستشهاد.

ولم تقتصر مجالس الخلفاء ومن سار سيرتهم من السلاطين على مشاهد الترف والسرف بل كانت تحفل باللهو والعبث، فكان الندماء يقومون بضروب اللهو الماجن، وربما تحلل الحضور من أبهة الملك لمزيد من العبث. وقد تأسى الوزراء والكبراء بسيرتهم وكانت تجري في مجالسهم مشاهد فيها أنوع من اللهو والطرائف.

ومن أسباب وعوامل تتابع انهيار الدول الإسلامية:

1- ارتقاء ملوك صغار سدة الملك :

فقد ابتليت الأمة بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من (إمارة الصبيان):

فعن أبي هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : (تعوذوا بالله من سنة سبعين ، ومن إمارة الصبيان).

فارتقى سدة الملك ملوك صغار منهم أطفال ومنهم أحداث مراهقون، وقد بدأ هذا منذ عهد بني أمية. وأما في المرحلة التي نحن بصددها فنذكر فيما يلي طرفا منهم:

** **في دولة بني العباس:**

أ- المقتدر خلف أخاه المكتفي سنة 295هـ وعمره ثلاث عشرة سنة.

ب- المقتدي خلف جده القاسم بأمر الله سنة 467هـ وعمره ستة عشر عاما.

جـ- المستظهر خلف أباه المقتدي سنة 487هـ وعمره سبعة عشر عاما.

** **وفي الدولة السلجوقية :**

أ- ملكشاه الثاني خلف أباه بركياروق وعمره أربع سنوات !!.

ب- محمود بن مُحَمَّد بن ملكشاه الأول خلف أباه وعمره أربعة عشر عاما.

** **وفي الدولة الفاطمية :**

أ- الظاهر بن الحاكم بأمر الله خلف أباه سنة 411هـ وعمره ستة عشر عاما، وكان أبوه الحاكم قد خلف أباه العزيز سنة 365هـ وعمره أحد عشر عاما !.

ب- المستنصر خلف أباه الظاهر سنة 427هـ وعمره سبع سنين.

جـ- الآمر بأحكام الله خلف أباه المستعلي سنة 495هـ وعمره خمس سنين !!. وما أدري بأي أحكام سيأمر مثل هذا الرضيع ؟!

د- الظافر خلف أباه الحافظ سنة 544هـ وعمره سبعة عشر عاما.

هـ- الفائز خلف أباه الظافر سنة 549هـ وعمره خمس سنين!.

و- العاضد خلف جده الحافظ سنة 555هـ وعمره أحد عشر عاما.

** **و في الدولة الأتابكية :**

أ- عز الدين مسعود الثاني خلف أباه مودود بن عماد الدين زنكي سنة 572هـ وعمره عشر سنين !.

ب- نور الدين أرسلان خلف أباه عز الدين مسعود سنة 589هـ وعمره عشر سنين!.

ج- الصالح إسماعيل خلف أباه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 569هـ وعمره 11 عاما!.

** **وفي الدولة الأيوبية :**

أ- المنصور مُحَمَّد حفيد الناصر صلاح الدين الأيوبي خلف أباه العزيز عثمان سنة 595هـ وعمره عشر سنين !.

ب- الأشرف موسى حفيد الملك الكامل الأول خلف ابن عمه توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 648هـ وعمره ستة أعوام !!.

ج- الملك العزيز مُحَمَّد خلف أباه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي سنة 612هـ وعمره ثلاث سنوات !!.

د- الناصر صلاح الدين (الثاني) يوسف بن العزيز مُحَمَّد خلف أباه سنة 634هـ وعمره سبع سنين !.

**** وفي دولة المماليك :**

أ- الملك العادل سلامش خلف أباه الملك الظاهر بيبرس سنة 678هـ وعمره سبع سنين.

ب- الملك الناصر مُحَمَّد ابن الملك المنصور قلاوون خلف أباه (في ولايته الأولى) سنة 693هـ وعمره تسع سنين. وفي ولايته الثانية أربعة عشر عاما.

جـ - الملك الأشرف كجك خلف أباه الناصر مُحَمَّد بن قلاوون وعمره سبع سنين !.

د- الملك الصالح إسماعيل بن الناصر مُحَمَّد بن قلاوون خلف أخاه شعبان وعمره سبعة عشر عاما.

هـ- الملك الناصر حسن خلف أخاه سيف الدين حاجي بن الناصر مُحَمَّد بن قلاوون وعمره أحد عشر عاما.

**** و في الدولة الأموية بالأندلس :**

هشام الثاني المؤيد بن الحكم المستنصر خلف أباه سنة 366هـ وعمره عشر سنين.

**** وفي دولة المرابطين :**

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين خلف ابن أخيه إبراهيم بن تاشفين سنة 541هـ وعمره عشر سنين.

**** وفي دولة الموحدين :**

المستنصر أبو يعقوب بن مُحَمَّد الناصر خلف أباه سنة 611هـ وعمره ستة عشر عاما.

ولم يكن ما مر من عددنا من أطفال وأحداث ومراهقين رقوا سدة الملك على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال. فقد أتاح نظام الخلفية في دول الإسلام أن يخلف الابن أباه أو أخاه ولو لم تتوفر فيه أهلية الحكم، وهذا ما لا يأتلف مع شريعة الإسلام، لأن شروط الخلافة أن يقوم اختيار الخليفة على مبدأ الشورى وأن يكون راشدا سليم العقل ومن أهل العلم فضلا عن الشروط الأخرى.

وقد أدى نظام الخلفية في الملك وارتقاء الصغار سدة الحكم إلى تزاحم الوزراء والأمراء في الوصاية عليهم أو النيابة عنهم. لأن من يحظى بذلك تؤول إليه السلطة الفعلية في الحكم وفي التصرف بأموال الدولة كما يشاء فيغنى غناء فاحشا. وإذا وقع الاختيار على واحد منهم، أقيم الاحتفال بخلافة الخلف فيزين بزينة الملك ويكسى

بكسوته، وقد يكون الخلف صغيرا فيحمله من انتصب وصيا عليه ويدخل به مكان الاحتفال، وقد يرتاع الصغير مما يشهد فيندفع بالبكاء، وقد يشتد روعه ويجري له أمر مفزعا، كما جرى للفائز الفاطمي - وكان في الخامسة من العمر - حين حمله الوزير العباس بن أبي الفرج الصنهاجي ودخل به إلى مكان الاحتفال، فارتاع الصبي مما رأى وبال على كتف الوزير.. فأفاض من كرمه على معالي الوزير !!.

وإذا كان الخلف حدثا حجزوه بالقصر، بعد الاحتفال بخلافته، وحجبوه عن الناس وجمعوا له صبية في مثل عمره يلاعبونه. وإذا كان الخلف مراهقا ألهوه بالجواري وبكل ما يغري من كان في مثل سنه من أنواع المتع واللهو الماجن كما جرى للظافر بن الحافظ الفاطمي حين بويع خلفا لأبيه وهو في السابعة عشرة من العمر.

2- الصراع على الملك :

أدى انشطار العالم الإسلامي إلى دويلات كثيرة إلى نزاع بين ملوكها وصراع مرير أدى إلى انهيارها وزوالها، كما أدى تربع الصغار والأحداث سدة الملك إلى استئثار نوابهم (الأتابكة) بالسلطة وائتمار بعضهم ببعض لانتزاع هذه السلطة واستبدادهم بها.

أ- ففي دولة السلاجقة:

كان طغرلبك الأول، مؤسس دولة السلاجقة، قد عهد بالخلافة من بعده إلى ابن أخيه سليمان بن داود، فلما توفي طغرلبك سنة 455هـ انتزع ألب أرسلان بن داود السلطنة من أخيه سليمان، ثم ثار عليه ابن عمه قتلمش بن أرسلان بيغو فقاتله ألب أرسلان وقتله.

وخلف ملكشاه أباه ألب أرسلان بعد وفاته سنة 465هـ فخرج عليه سليمان بن قتلمش وتمكن من بسط نفوذه على قسم كبير من آسيا الصغرى (الأناضول) كما أوضحنا من قبل. وفي عام 466هـ ثار قاورت بن داود على ابن أخيه ملكشاه فلقيه ملكشاه بناحية همذان وأسره ثم قتله.

وفي عام 473هـ ثار (تتش بن ألب أرسلان) على ابن أخيه ملكشاه واستولى على بعض مدن خراسان فصالحه ملكشاه على أن يملك (تتش) بلاد الشام فملكها وأقام فيها دولة سلجوقية على نحو ما بينا من قبل.

وفي عام 486هـ توفي ملكشاه فخلفه ابنه بركياروق سلطانا أعظم على السلاجقة فطلب (تتش) السلطنة لنفسه وتوجه إلى (أصبهان) يقاتل بركياروق من أجلها وجرت بينهما معركة فاصلة سنة 488هـ قتل فيها (تتش).

ولم يكد بركياروق يفرغ من قتال عمه (تتش) حتى نازعه على السلطنة العظمى أخواه (سنجر) و (مُحَّد) ابنا ملكشاه وجرت بينهما حروب أدت إلى وهن فيهم وضعف وانتهت باستيلاء دولة خوارزم على دولة السلاجقة في المشرق.

ب- وفي الدولة الفاطمية :

بلغت الدولة الفاطمية أوج رفعتها وأقصى سعتها في عهد المعز لدين الله ، ثم أخذت في التردي والانهيار في عهد ابن حفيده المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله ويرجع هذا التردي إلى العوامل الآتية:

أ- صغر سن المستنصر. فقد بويع خلفا لأبيه الظاهر سنة 427هـ وله من العمر سبع سنين فتولت الجواري و الخصيان العناية به والإشراف عليه، وتركت أمور الدولة بين يدي والدته ووزيره أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي.

وكانت أم المستنصر جارية سوداء ليهودي يدعى أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري وكان الظاهر قد اشتراها منه واستولدها ابنه المستنصر.

ولما خلف المستنصر أباه وزر له أبو منصور صدقة الفلاحي، وكان يهوديا ثم ادعى أنه أسلم وارتفع شأن اليهود في زمان وزارته وأسندت إليهم مناصب الدولة، وولت أم المستنصر سيدها أبا سعد التستري

اليهودي وظيفة المستشار لها وعهدت إليه بإدارة أملاكها، وأخذ اليهودي في اضطهاد المسلمين.

ب- أخذ الوزير الفلاحي والمستشار التستري يتنازعان السلطة، وقد استمال الفلاحي الجند الأتراك فقتلوا بأمره التستري ونقمت أم المستنصر على الفلاحي فشرعت في شراء العبيد السود فقتلوا الفلاحي، وثارت الفتنة بين الأتراك والعبيد ودعي القائد بدر الجمالي، أمير عكا فقدم إلى مصر سنة 455هـ وأخمد الفتنة.

جـ- توفي بدر الجمالي سنة 487هـ فخلفه في الوزارة وفي قيادة الجيش ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه، وكان المستنصر قد تزوج بأخت الأفضل واستولدها ولدا سماه أحمد وكان له من زوجة أخرى ولد اسمه نزار، وهو أكبر أولاده وقد عهد إليه بخلافته.

وتوفي المستنصر بعد وفاة بدر الجمالي بقليل وولى الأفضل ابن أخته أحمد الخلافة ولقبه المستعلي وقتل نزارا ، وقد أدى ذلك إلى شطر الفاطمية الإسماعيلية إلى شطرين: المستعلية والنزارية.

د- في أيام المستعلي اجتاحت الحملة الصليبية الأولى بلاد الشام سنة 492هـ واستولت على أنطاكية وعلى مدن الساحل، وكانت إمارات مستقلة. ثم استولت على مدينة القدس سنة 493هـ ولم تتمكن الحامية الفاطمية من الدفاع عنها فاجتاحها الصليبيون وحلت بها الكارثة الكبرى وأقامها الصليبيون عاصمة لمملكتهم فيها.

هـ- وفي عام 495هـ توفي المستعلي فخلفه ابنه علي وله من العمر خمس سنوات ولقبوه بلقب الآمر بأحكام الله وتولى الأفضل بن بدر الجمالي زمام الحكم واستبد به. ولما شب الآمر برم به وعزم على قتله وتولى تنفيذ القتل رجل مقرب من الآمر يدعى أبا عبد الله البطائحي ، وكان الآمر قد مناه بالوزارة فقتله وخلفه في الوزارة سنة 515هـ وتلقب بالمأمون.

و- وكان للآمر أخ يدعى جعفرا، وكان يطمع بالملك فاتفق مع البطائحي على قتل أخيه الآمر، فأحس الآمر بالأمر فقتل البطائحي سنة 519هـ ثم لقي الآمر المصير نفسه إذ تربص به جماعة من الإسماعيلية النزارية (وهم خصوم الإسماعيلية المستعلية) وقتلوه وهو يجوز الجسر إلى جزيرة الروضة ثم يقبض عليهم ويقتلون.

وفي أيام الآمر استولى الصليبيون على طرابلس سنة 502هـ ثم استولوا على (عرقة وبانياس وبيروت وصيدا) وتسلموا مدينة صور سنة 518هـ وحاولوا غزو مصر.

ز- بعد مقتل الآمر خلفه عبد المجيد بن مُحَّد بن المستنصر وتلقب بالحافظ، وولى الوزارة أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، ولم يلبث أحمد أن اغتيل فولى الحافظ الوزارة ابنه الحسن وكان ولي عهده، فأساء السيرة وقتل كثيرا من الأمراء وصادر الأموال وتواعد على قتل من سلم من الأمراء فقتله أبوه الحافظ بالسم.

ح- توفي الحافظ سنة 544هـ فخلفه ابنه إسماعيل وتلقب بالظافر وعمره سبعة عشر عاما وأقاموا له سليمان بن مصار وزيرا فأقام في الوزارة شهرين وخرج عليه أبو الحسن علي بن سلار والي الإسكندرية وانتزع منه الوزارة وتلقب بالعادل سيف الدين.

وفي عام 548هـ اغتاله ربيب له يدعى نصر بن العباس بن أبي الفتوح الصنهاجي فتولى أبوه العباس الوزارة وكان الظافر - فيما يقال - مولعا بابنه نصر، فأوعز إليه أبوه أن يقتله فقتله ورماه في بئر وفقد ولم يعلم بقتله أحد واتهم العباس الصنهاجي أخوي الظافر بقتله فقتلهما ودخل إلى القصر وأخرج عيسى بن الظافر، وعمره خمس سنوات، وحمله على كتفه ودخل به إلى مجلس فيه الأعيان والفقهاء فبايعوه ولقبوه بالفائز. ونظر الطفل إلى المشهد الحافل وسمع ضجيج الناس فارتاع وبال على كتف الوزير كما ذكرنا من قبل وتولى العباس الصنهاجي الوزارة وتلقب بالأفضل ركن الدين، وآلت إليه أمورها، فاستبد واستباح الأرواح والأموال، ولم يلبث أن ثار عليه الجند والناس واستنجدوا بأمير الصعيد، طلائع بن رزيك فقصد القاهرة وتمكن من القبض على العباس الصنهاجي وعلى ابنه نصر وقتلهما وولى شاور بن مجير السعدي خلفا له على إمارة الصعيد.

ط- تولى طلائع بن رزيك الوزارة خلفا للعباس الصنهاجي وتلقب بالملك الصالح واستقل بأمور الدولة وأخذ يبيع الولايات للأمراء ويجمع

الأموال، فساءت سيرته وضاق به رجال القصر، وبرم الناس بتصرفاته، وكان الفائز بكفالة عمته الكبرى، فشرعت تعد العدة لقتله، فلما علم بذلك سارع إلى قتلها ونقل كفالة الفائز إلى عمته الصغرى.

وفي عام 555هـ توفي الفائز عن عشر سنين وجاء طلائع بحفيد للحافظ الفاطمي يدعى عبد الله بن يوسف بن الحافظ، وكان طفلا في الحادية عشرة من عمره فبويع بالخلافة ولقبوه بالعاضد واستمر طلائع بن رزيك في الوزارة. وكانت عمة الفائز الصغرى التي تولت رعايته بعد مقتل أختها قد عزمت على قتله وتمكنت من دس جماعة لاغتياله فقتلوه وتولى الوزارة من بعده ابنه رزيك بن طلائع.

ي- ثار شاور بن مجير السعدي، أمير الصعيد، على رزيك، وكان طامعا بالوزارة، فقصد القاهرة مع جمع من أعراب الصعيد وقاتل رزيك وقتله واستولى على الوزارة، فنازعه فيها ضرغام بن عامر اللخمي، وكان من أمراء رزيك وأعوانه، وانتزع منه الوزارة.

ك- فزع شاور إلى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي صاحب الشام فأنجده لقاء شروط تعهد بها، وجهز له جيشا بقيادة القائد أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، وقصد الجيش القاهرة وقاتل ضرغاما في معركة قتل فيها ضرغام وأعيد شاور إلى الوزارة وعاد أسد الدين إلى دمشق . ولما استقل شاور بالحكم خشي من أطماع نور الدين محمود فحالف الصليبيين وأدخلهم أرض مصر، فوجه نور

الدين جيشا إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، فأخرج الصليبيين منها وقبض على شاور وقتله.

ل- أسند الخليفة العاضد الفاطمي الوزارة إلى أسد الدين شيركوه فتوفي بعدها بستة أشهر فأسند الخليفة الوزارة إلى ابن أخيه يوسف ولقبه الناصر لدين الله صلاح الدين، ولم يلبث صلاح الدين أن قطع الخطبة للعاضد وخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ومات العاضد، وكان آخر خلفاء الفاطميين. واستقل صلاح الدين بمصر وبه قامت الدولة الأيوبية.

وقد علق المؤرخ المصري ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، بما كان يجري بين الطامعين بالوزارة في العهد الفاطمي من تآمر وقتال فيقول (... وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالم معه، وهذا البلاء من تلك الأيام إلى يومنا هذا).

ح-وفي الدولة الأيوبية:

أ- قسم صلاح الدين الأيوبي، قبيل وفاته، دولته التي ضمت مع مصر بلاد الشام والحجاز واليمن والجزيرة، بين أبنائه وبين إخوته وأبنائهم وبين أبناء أعمامه، فجعل دمشق ومدن الساحل لابنه الأفضل علي، وهو أكبر أبنائه، وجعل مصر وجنوب الشام لابنه الملك

العزيز عثمان وجعل حلب وأعمالها لابنه الملك الظاهر غازي، وجعل الأردن والكرك لأخيه الملك العادل (الأول) وجعل بعلبك لأخيه الملك المعظم توران شاه (الأول)، وجعل اليمن لأخيه سيف الإسلام طغتكين وجعل حماة لابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه، وجعل حمص لابن عمه ناصر الدين مُحَمَّد بن أسد الدين شيركوه.

ب- ثم ما لبث هؤلاء أن تنازعوا واختصموا، فحاول الملك العزيز عثمان أن يستخلص دمشق من أخيه الأفضل علي، وتمكن من ذلك سنة 591هـ وتملك دمشق وولى عليها عمه الملك العادل وولى أخاه عليا على صرخد.

جـ- وفي عام 595هـ يتوفى الملك العزيز عثمان فيخلفه ابنه الملك المنصور مُحَمَّد وله من العمر عشر سنين ويتولى عمه الملك الأفضل رعايته والنيابة عنه.

د- وفي عام 596هـ يجهز الملك الأفضل جيشا ويتوجه به إلى دمشق لانتزاعها من عمه الملك العادل سيف الدين فيهزمه الملك العادل ويتوجه إلى مصر فيدخلها ويخلع الملك القاصر المنصور مُحَمَّدا ويستولي على مصر ويولي عليها ابنه الملك ناصر الدين مُحَمَّدا ويلقبه بالملك الكامل (الأول) ويجعله ولي عهده ويولي ابنه الآخر الملك

المعظم عيسى على دمشق وهكذا تتحول السلطنة في مصر والشام من أبناء صلاح الدين إلى أخيه الملك العادل وأبنائه.

هـ- وفي عام 615هـ يتوفى الملك العادل فيخلفه ابنه الملك الكامل (الأول). وفي عام، 624هـ أراد الملك الكامل أن ينتزع دمشق من عمه الملك المعظم عيسى، فكتب إلى الملك فردريك الثاني ملك الألمان، يستنجده على عمه ويعده إن هو تسلم دمشق أن يسلمه القدس. وكان الملك فردريك آنئذ في قبرص مع حملة صليبية جهزها للقدوم إلى بلاد الشام واسترداد بيت المقدس من المسلمين، وقد أصابه من تأخره في تجهيزها حرمان من البابا. واستجاب فردريك لطلب الملك الكامل وقدم إلى مدينة (عكا) سنة 626هـ وكان الملك المعظم عيسى قد توفي قبيل قدومه وخلفه في دمشق ابنه الملك الناصر داود.

ووجد الملك داود أن لا قبل له بحرب عمه ومعه الصليبيون، فتنازل له عن دمشق وعوضه الملك الكامل عنها بالكرك وصرخد والشوبك وولى الملك الكامل أخاه الملك الصالح إسماعيل على دمشق. وقد وفى الملك الكامل وعده بعد أن تسلم دمشق فسلم القدس إلى فردريك، فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة وعاد إلى بلاده. وكان الملك الكامل قد عقد معه معاهدة صلح في (يافا) لمدة عشر سنوات، واشترط عليه بموجبها أن لا يعمر الصليبيون خرابها وأن لا يبنوا بها حصونا. وفي عام 637هـ تمكن الملك الناصر داود من الاستيلاء على

القدس وإخراج الصليبيين منها لمخالفتهم شروط معاهدة (يافا) وكانت قد مضت عليها المدة المحددة فيها.

و- وفي عام 635هـ يتوفى الملك الكامل فيخلفه بعهد منه ابنه سيف الدين أبو بكر ويلقب بالملك العادل (الثاني) ويبلغ الخبر أخاه الملك الصالح نجم الدين أمير (آمد و الرها وحران) فيرفض الاعتراف بأخيه ويتوجه إلى مصر ويجمع مماليك أبيه ويخلع أخاه ثم يقتله. ويبلغ الخبر الملك الصالح إسماعيل فينقم على ابن أخيه نجم الدين ويقبض على ابنه عمر - وكان في دمشق - ويعتقله بقلعة دمشق وفيها يموت.

ز- ويشتد النزاع بين الملك الصالح نجم الدين وبين عمه الملك الصالح إسماعيل ويتجهز كل منهما لقتال الآخر ويستنجد الصالح بالصليبيين، فيلبي الصليبيون طلب الملك الصالح إسماعيل في مقابل استلامهم القدس وينضم إليه كل من الملك الناصر داود والملك المنصور إبراهيم بن شيركوه الثاني صاحب حمص. وفي المعركة الجارية قرب (غزة) حدث ما لم يكن بالحسبان. فقد انضم جند الملك الصالح إسماعيل إلى جند الملك الصالح نجم الدين وكانوا من الخوارزمية الذين هربوا من المغول وأنفوا أن يحاربوا مع الصليبيين، وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للصليبيين وأسر الكثير منهم.

ح- وفي عام 643ه تسلم الملك الصالح نجم الدين دمشق من عمه الملك الصالح إسماعيل وعوضه عنها ببعلبك و بصرى وأعمالهما.

ويسترد الجند الخوارزمية – الذين انضموا إلى الملك الصالح نجم الدين – القدس في ذلك العام ويخرجون الصليبيين منها، وتعود القدس نهائيا إلى المسلمين، بعد أن تكرر احتلالها من الصليبيين أربع مرات: سنة 493 ، 627، 637، ، 643هـ.

ط- وفي سنة 647هـ يتوفى الملك الصالح نجم الدين أيوب أثناء الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك لويس التاسع ملك فرنسا سنة 646هـ وفيها يهزم الصليبيون ويؤسر الملك الفرنسي، ويخلف نجم الدين أيوب ابنه توران شاه، وكان شابا فيه رعونة الشباب، فاختلف مع زوجة أبيه شجرة الدر ومع مماليك أبيه، فائتمرت مع أربعة منهم على قتله فقتلوه. ويقول ابن تغري بردي: (إن الذين قتلوا توران شاه هم أنفسهم الذين كلفهم نجم الدين أيوب من قبل بقتل أخيه سيف الدين أبي بكر فكان موت ابنه مقدرا على أيديهم) وبقتل توران شاه انقضى عهد الدولة الأيوبية وقامت من بعدها دولة المماليك (البحرية).

د- و في دولة المماليك البحرية:

أ- كان الملك نجم الدين أيوب قد تزوج جارية تركية تدعى شجرة الدر وأنجب منها ولدا سماه (خليلا) فكانت تدعى أم خليل وقد تسلطنت بعد مقتل ابن زوجها توران شاه ثم تزوجت القائد المملوكي عز الدين إيبك وتنازلت له عن السلطنة فكان أول سلطان مملوكي يتولى السلطنة سنة 648هـ.

ب- في سنة 655هـ أقدمت شجرة الدر على قتل زوجها عز الدين إيبك لأنه بلغها أنه ينوي خطبة ابنة الأمير بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل واستعانت على قتله بمماليكها فقتلوه ضربا بالقباقيب، وبعد قتله عهد لابنه علي بخلافته فقبض عليها وأمر بقتلها ضربا بالقباقيب كما فعلت بأبيه.

جـ- وفي سنة 657هـ أقدم القائد المملوكي قطز على خلع علي بن عز الدين إيبك ونفيه من مصر مع أسرته، وولى القائد بيبرس البندقداري إمارة الجيوش. وكان المغول قد اجتاحوا بلاد الشام وتوجهوا يريدون مصر فتقدم قطز للقائهم بجيش يقوده بيبرس وجرى اللقاء في موضع يدعى (عين جالوت) وفيه كانت الموقعة الكبرى التي كتب فيها النصر لجيش المماليك بما أبدوا من شجاعة فائقة وما أبدى قائدهم بيبرس من مهارة في الحرب وقد تشتت جيش المغول وقتل قائده (كتبغانوين) وكان صهر هولاكو زعيم المغول.

د- في أعقاب تلك المعركة أقدم القائد بيبرس على اغتيال السلطان قطز، فقد كان وعده بأن يوليه على مملكة حلب بعد جلاء المغول عنها وأن يعهد له بالسلطنة من بعده فأخل السلطان بوعده فأقدم على اغتياله مع جماعة من القادة المماليك.

هـ- تولى بيبرس السلطنة وتلقب بالملك الظاهر ودامت سلطنته ثمانية عشر عاما قضى خلالها على الإمارات الأيوبية في بلاد الشام وضم بلاد الشام إلى مصر وأجلى الصليبيين عن مدن الساحل وحرر سنة 665هـ أنطاكية وغزا كليكيا الأرمنية وأخضعها لسلطانه، وفي سنة 676هـ غزا بلاد سلاجقة الروم، وكانت مشمولة بحماية المغول فحررها منهم بعد موقعة كبرى جرت في مكان يدعى (ألبستين) وفيها مزق جيشهم.

و- توفي الظاهر بيبرس سنة 676هـ في أعقاب معركة (ألبستين) فخلفه ابنه ناصر الدين مُحَمَّد بركة وتلقب بالملك السعيد وعمره ثمانية عشر عاما، وبعد سنتين من سلطنته أقدم المماليك على خلعه لسوء تدبيره وولوا أخاه الأمير سلامش وعمره سبع سنين ولقبوه بالملك العادل بدر الدين وولوا القائد قلاوون نائبا عنه.

ز- لم يلبث قلاوون أن خلع بدر الدين سلامش سنة 678هـ وتولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر سيف الدين وقد امتدت سلطنته أحد عشر عاما حرر خلالها ما تبقى في يد الصليبيين من قلاع وحصون في

بلاد الشام ومنها مدينتا اللاذقية وطرابلس. وفي عام 689هـ يتوفى قلاوون فيخلفه ابنه خليل ويتلقب بصلاح الدين ويسترد من الصليبيين قلعة صفد ومدينة طرطوس ثم يستولي على عكا بعد معركة شديدة مع الصليبيين.

ح- وفي عام 693هـ يقدم قائدان من قادة المماليك هما (بيدرا) و (لاجين) على اغتيال السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون وقيام (بيدرا) خلفا له، ولم يلبث هذا في السلطنة إلا يوما واحدا، إذ أقدم القائد (كتبغا) على قتله وقتل من اشترك في اغتيال السلطان صلاح الدين خليل واختار المماليك مُحَمَّد بن قلاوون أخا خليل سلطانا فبايعوه ولقبوه بالناصر وله من العمر تسع سنين.

ط- لم يلبث (كتبغا) أن خلع مُحَمَّد بن قلاوون متعللا بصغر سنه وتولى السلطنة. وقد حاول القائد (لاجين) اغتيال (كتبغا)، ولما علم بذلك هرب إلى دمشق وخلع نفسه سنة 696هـ فتولى السلطنة (لاجين) وتلقب بالمنصور حسام الدين وبعد سنتين أي في عام 698هـ اغتيل وأعيد إلى السلطنة مُحَمَّد بن قلاوون وقد بلغ من العمر أربعة عشر عاما.

ي- وفي سنة 708هـ يخلع مُحَمَّد بن قلاوون ويتولى السلطنة قائد مملوكي يدعى بيبرس الجاشنكيري، ثم يخلع بعد سنة (709هـ) ويعاد إلى السلطنة مُحَمَّد ابن قلاوون للمرة الثالثة وهو في الخامسة عشرة من عمره

ويتوفى سنة 741هـ وقد امتدت سلطنته (31) عاما، فكان أطول ملوك المماليك عهدا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلا وأحسنهم سياسة وأكثرهم شجاعة وأحسنهم تدبيرا وقد بلغت دولة المماليك في عهده ذروة ارتقائها ثم توالى عليها أبناؤه وأخذت شمسها في الكسوف.

ك- تولى السلطنة من بعد مُحَمَّد بن قلاوون ثمانية من أبنائه، كان أولهم أبو بكر سيف الدين الملقب بالمنصور ولم يلبث سوى سنة واحدة وخلع سنة 742هـ وتولى السلطنة من بعده أخوه (كجك) وتلقب بالملك الأشرف علاء الدين وعمره خمس سنين وخلع بعد أقل من سنة وتولى السلطنة من بعده أخوه أحمد وتلقب بالملك الناصر شهاب الدين وبعد شهرين من سلطنته يخلعه أخوه إسماعيل ويقتله و يتلقب بالملك الصالح عماد الدين ويستمر إسماعيل في السلطنة ثلاث سنين يقتل بعدها سنة 746هـ.

ويتولى السلطنة أخوه شعبان (الأول) ويتلقب بالملك الكامل سيف الدين وبعد سنة من سلطنته يخلع ويسجن ويقتل في سجنه ويتولى السلطنة من بعده أخوه (حاجي الأول) ويتلقب بالملك المظفر سيف الدين وبعد أقل من سنة يخلع ويقتل ذبحا ويولى أخوه الحسن سنة 748هـ ويتلقب بالملك الناصر ناصر الدين ويخلفه من بعده سنة 752هـ أخوه صالح ويتلقب بالملك الصالح صلاح الدين. وتمتد سلطنة المماليك البحرية من بعده إلى سنة 784هـ ثم تنتقل إلى المماليك

البرجية وهم كالبحرية من المماليك الأتراك والجراكسة وتنتهي سلطنتهم بالفتح العثماني سنة 922هـ.

هـ- وفي دولة المرابطين :

بلغت دولة المرابطين منتهى علاها في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي (453 – 537 هـ) ثم أخذت مسيرة أحداثها في الانحدار. وقد تولى ملك المرابطين في آخر عهدهم ملكان لم يبلغا الحلم وهما: إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وابن عمه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد بويع الأول سنة 540هـ بعد وفاة أبيه ولم يتمكن المرابطون في عهده من صد الموحدين في معركة انتهت بهزيمتهم والقبض على إبراهيم وقتله ومبايعة الثاني من بعده سنة 541هـ. فلما احتل الموحدون مراكش قتلوه وقتلوا معه من وجدوا من أمراء المرابطين وقضوا على دولتهم.

و- دولة الموحدين:

بلغت هذه الدولة أوج قوتها في عهد ملكها أبي يوسف يعقوب (595 – 580هـ) وذلك بعد انتصاره على ألفونسو الثامن ملك قشتالة في وقعة (الأرك) سنة 591هـ. ثم أخذت في الانحدار في عهد ابنه محمد الناصر (595 – 611هـ) إثر هزيمة الموحدين أمام الأسبان في وقعة

(العقاب) سنة 609هـ ثم هزيمتهم في وقعة (أبي دانس) سنة 614هـ في عهد ابنه يوسف المستنصر (611 – 620هـ).

وقد اشتد الوهن في الدولة بعد خلع عبد الواحد ابن يوسف الأول ابن يعقوب سنة 621هـ وتولية أبي مُحَمَّد عبد الله ابن أخيه يعقوب المنصور وتلقيبه بالملك العادل ثم خلعه سنة 624هـ وقتله وتولية يحيي بن مُحَمَّد الناصر وتلقيبه المعتصم بالله وازداد الوهن شدة حين رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعته وبايعه أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدين على نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب. وتوجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرديناند الثالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه.

وقد تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيي المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدين الذين بايعوه. ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان. ولم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير (سبتة) فتوجه لقتاله وحاصره، وفي غيابه بهذا الحصار عاد ابن

أخيه يحي ومعه جموع من العرب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعا ومات في الطريق سنة 630هـ وبويع من بعده عبد الواحد الرشيد واستمر النزاع بين الأعمام وأبنائهم إلى أن استولى على مراكش بنو مرين عام 668هـ في عهد آخر ملوك الموحدين أبي العلاء إدريس الواثق بالله الملقب بأبي دبوس وبه انقضت دولة الموحدين وقامت على أنقاضها دولة بني مرين.

ز– وفي دول الشمال الإفريقي:

بعد القضاء على دولة الموحدين التي كانت تسيطر على الشمال الإفريقي من تونس إلى مراكش قامت دول ثلاث: دولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها مراكش ودولة بني زيان من بني عبد الواد في المغرب الأوسط (الجزائر) وعاصمتها (تلمسان) ودولة بني حفص في المغرب الأدنى (تونس) وعاصمتها مدينة تونس.

وقد أنهكتهم الحروب والثورات والفتن التي ثارت بينهم وشغلتهم عن نصرة إخوانهم في الأندلس . فأسلموهم للأسبان وكانوا هم عرضة لغزو الأسبان و النورمان حتى فتح العثمانيون الجزائر سنة 962هـ ثم تونس سنة 982هـ وقامت في مراكش دولة بني الحسن العلويين سنة 916هـ.

3- الانصراف إلى اللهو والمجون :

إلى تلك الأسباب التي أدت إلى تشتت الدولة الإسلامية وانقسامها إلى دول ثم تسارع انهيارها وتعرضها لغزو أتاها من المشرق والمغرب، يضاف سبب آخر أتاها من سوء سلوك بعض الحاكمين وانصرافهم إلى اللهو والمجون، وغالبا ما يكون هؤلاء ممن تولوا الملك صبيانا يولى عليهم نواب يعملون على إشغالهم باللهو ويصرفونهم عن شئون الحكم ليستقلوا به من دونهم، فإذا بلغ الصبي سن الشباب تفتحت غرائزه، فأخذ يعب من شهواته، تاركا أمور الدولة لوزرائه ونوابه والأمثلة على ذلك كثيرة ونحن نورد طرفا منها.

فقد روي ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة (أن المستنصر الفاطمي خلف أباه الظاهر وعمره سبع سنين ونشأ على حب اللهو والمجون. ولما شب كان أمره قد اضمحل لتشاغله باللهو والشراب والطرب وكان من عادته في كل سنة أن يركب على النجب (النفيس من الإبل) إلى مكان قريب من القاهرة يدعى (جب عميرة) وهو موضع نزهة فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة ومعه الخمر في الروايا (الأواني) عوضا عن الماء ويسقيه للناس كما يسقى الحاج في طريق مكة).

فماذا نقول في خليفة توالى القحط على بلاده سبع سنين حتى أكل الناس الموتى ولحوم الأطفال يفعل ما روي عنه ويهزأ بركن من

أركان الدين، ونراه في مدة خلافته قد استكان لسلطان وزيره بدر الجمالي وليس له من الأمر شيء.

كذلك يروي ابن تغري بردي: (إن الملك المسعود يوسف صلاح الدين الثاني، المعروف باسم (أتسز) ابن الملك الكامل الأيوبي كان قد ولاه أبوه سنة 611 هـ فاستولى على مكة سنة 619هـ فكان ينام في دار المسعى سكران ويخرج أعوانه يمنعون الناس من الصياح والضجيج في المسعى).

ثم إليك ما يرويه ابن الأثير عن جلال الدين منكبرتي آخر ملوك خوارزم (فقد كان هذا الملك يهوى خادما خصيا له يدعى (قليج) فاتفق أن مات الخادم، فأظهر الملك من الحزن والهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رجالة وكان موته في موضع يبعد عن (تبريز) - عاصمة الدولة - عدة فراسخ، فمشى خلف جنازته راجلا فألزمه أمراؤه بالركوب، فلما وصل إلى (تبريز) أرسل إلى أهل البلد فأمرهم بالخروج لتلقي تابوت الخادم، ففعلوا، وأنكر عليهم أنهم لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم أمراؤه فتركهم.

ثم إنه لم يدفن الخادم وإنما أخذ يستصحبه معه حيث سار وهو يلطم ويبكي، وامتنع من الأكل والشرب، فإذا قدم إليه طعام قال: احملوه إلى فلان، يعني الخادم ولا يتجاسر أحد أن يقول إنه مات، فإذا

قيل إنه مات قتل القائل، فكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون للملك: إنه يقبل الأرض ويقول الآن أنا أصلح مما كنت. ثم انفض عنه أمراؤه فبقي حيران لا يدري ما يصنع وراسل وزيره واستماله فلما حضر إليه قتله).

وهناك خبر عن الملك الناصر صلاح الدين الثاني ابن العزيز مُحَمَّد ابن الملك الظاهر غازي صاحب حلب. فقد تولى الملك وعمره سبع سنين وشب على حب اللهو تاركا أمور الدولة إلى وزرائه. ولما اجتاح المغول حلب سنة 657هـ غادرها إلى دمشق.

ويروي صاحب نفح الطيب أن الأديب الأندلسي موسى العنسي (ت: 685هـ) لما رحل إلى المشرق، قدم إلى دمشق وفيها الناصر صلاح الدين المذكور هذا ، وكان المغول قد أمعنوا في حلب قتلا وسبيا وتخريبا، فدخل على الناصر صلاح الدين يعزيه على ما فعله المغول بمدينة حلب وما حل بها من المصائب والمحن، فأضرب الناصر عن سماع ذلك وأنشد أبياتا في مملوك له يهواه قتل في تلك الكارثة. فهو لا يبكي لفقد ملكه وإنما يبكي لفقد حبيبه. ثم نراه بعد ذلك هائما على وجهه حتى لجأ إلى هولاكو ملك المغول ومعه أخوه الملك الظاهر سيف الدين غازي (الثاني) وأمراء آخرون من البيت الأيوبي فأحسن هولاكو إليهم ولما بلغه هزيمة المغول في (عين جالوت) سنة 658هـ قتله وقتل من كان معه من الأمراء.

كذلك يروي ابن طباطبا في كتابه تاريخ الدول الإسلامية أن الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس في بغداد كان شديد الكلف باللهو وسماع الأغاني، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم بالملذات، لا يراعون له صلاحا. وقد كتبت له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير وألقيت الأشعار في أبواب دار الخلافة.

كل ذلك وهو عاكف على سماع الأغاني وملكه قد أصبح واهي المباني. ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من أهل الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول هولاكو يطلب من بدر الدين منجنيقات وآلات حصار لحصار بغداد فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا على الإسلام.

وإذا عرجنا على دولة المماليك نجد منهم من شغف بالجواري وتخلى عن أمور الدولة إلى نوابه .. كالملك الصالح إسماعيل بن الناصر مُحَّد بن قلاوون. فقد شغفه حب الجواري فأسرن قلبه وكانت لهن الكلمة العليا في الدولة وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والطرب، وكان يؤثر الجواري السود.

فحظيت بحبه جارية سوداء تدعى (اتفاق) تحسن الضرب على العود وتجيد الغناء فتزوجها وكان أخوه الملك شعبان يهواها، فلما مات الصالح إسماعيل سنة 746هـ خلفه عليها أخوه ودخل بها ليلة وفاته..!!

ولما خلع الملك الكامل شعبان ثم قتل سنة 747هـ خلفه أخوه الملك المظفر (حاجي) فتزوج بها ليلة خلع أخيه !! فغنته فأنعم عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار، وهذا ثالث سلطان من أبناء مُحَّد بن قلاوون يتزوج بهذه الجارية السوداء وفي كل مرة كان يعقد العقد لها على أخ من الإخوة الثلاث قاض مع علمه بأن العقد باطل لتجاوز العدة المفروضة على زوجة المتوفى.

وقد نالت هذه الجارية السوداء عند الإخوة الثلاثة من الحظ والسعادة ما لا يعرف لامرأة في زمانها.!!!!!!!!!!!!!

فلم لا وقد قال الشاعر مجنون ليلى في محبوبته السوداء:

يقولون عنك سوداء حبشية ولولا سواد المسك ما انباع غاليا

وحري بهذا الفاسق أن ينسج على منواله ..(فلولا سواد الزِّفت ...)، ولله في خلقه شؤون.

۞۞۞۞۞۞۞

أثر ما تقدم من الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي:

كان من الطبيعي أن تنعكس هذه الأسباب في حياة المجتمع الإسلامي، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

1 – في الحياة السياسية : تفرقت الكلمة وطمع الأعداء :

فقدت الدولة الإسلامية وحدتها، وبدأت تتفكك منذ بداية العصر العباسي الأول، وازداد تفككها في العصر العباسي الثاني. ففي المشرق قامت دولة للبويهيين والسامانيين والغزنويين والسلجوقيين. وفي إفريقية، قامت في المغرب الأقصى دولة الأدارسة وفي المغرب الأدنى ومصر والشام دولة الفاطميين وفي الأندلس قامت دولة للأمويين، وتوزعت الخلافة بين هذه الدول، فخليفة عباسي في بغداد وخليفة إدريسي في المغرب الأقصى، وخليفة فاطمي في مصر، وخليفة أموي في قرطبة وأمراء غلبوا على بعض المناطق واستقلوا فيها، ولم يقم بين تلك الدولة والإمارات سلم دائم، بل كثيرا ما كانت تستعر بينهم الحروب، فضلا عن الثورات والانتفاضات التي كانت تتخللها، وانتهت بذلك إلى حالة من الضعف والوهن فلم تقو على صد العدوان المسيحي الذي كان يترصدها، وقد طوقها من الشرق والغرب، وامتنع بافتراق المسلمين إلى دول متناحرة وتوزعهم في شيع متنافرة أن يجمعوا شملهم لمواجهة ذلك العدوان الذي انصب عليهم.

ففي الفترة الواقعة بين عامي 477 و 493هـ استولى ألفونسو السادس، ملك الأسبان على طليطلة واستولى (الكمبيادور) زعيم المرتزقة الأسبان على (بلنسية) سنة 487هـ، وهم ألفونسو السادس

بالاستيلاء على إشبيلية، فأنقذها المرابطون وأسقطوا حكم أمراء الطوائف وأقاموا في الأندلس دولة لهم.

وفي الفترة الواقعة بين عامي 487 و 498هـ قامت دعوة البابا أوربان الثاني لأمراء الإقطاع في أوروبا للاستيلاء على بلاد الشام وإنقاذ بيت المقدس من يد المسلمين. وكان من أسبابها إقدام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على هدم كنيسة القيامة في بيت المقدس.

وقد وحدت دعوة البابا صفوفهم وكانت قد فرقتها الحروب التي نشبت بينهم، فقادوا الحملة الصليبية الأولى، وأتاح لهم الصراع بين ملوك السلاجقة، كما نوهنا بذلك من قبل، أن يجتازوا بلاد الأناضول، وأن يحتلوا مدينة (نيقية) ثم مدينة (قونية)، وأن يجتاحوا بلاد الشام وفيها استولوا على معرة النعمان و أنطاكية، ثم اتبعوا الساحل فاستولوا على (طرابلس) ثم على (حيفا) و(يافا) و(قيسارية) و(الرملة)، ثم عرجوا على مدينة بيت المقدس فاستولوا عليها في 23 نيسان سنة 493هـ، وهي السنة التي سقطت فيها مدينة (طليطلة) بيد الإسبان.

وفي بيت المقدس أباح قائد الحملة الصليبية (جود فروا دو بويون) للصليبيين القتل والنهب وهتك الأعراض، فلم يقصروا فيما أبيح لهم، ونصبوا قائدهم ملكا على بيت المقدس ثم توجهوا إلى دمشق فحاصروها وتوجه وفد من أهالي المدينة برئاسة قاضي دمشق زين الدين أبي سعد الهروي إلى بغداد يستعينون بالخليفة المستظهر بالله،

فأظهر الخليفة عجزه وبكى وبكى الوفد لعجزه، وتمكن أهل دمشق من صد الصليبين.

وتوجه الصليبيون بعد ذلك إلى عكا وجبيل فاستولوا عليهما، واستمرت حملات الصليبين واستولوا على كثير من المواقع في بلاد الشام وفيها بنوا القلاع والحصون، حتى وحد صلاح الدين الأيوبي جموع المسلمين بعد قضائه على الدولة الفاطمية، وتم على يده جلاء الصليبيين.

2 – في الحياة الاقتصادية :

تتوقف سلامة الاقتصاد على عامل أساسي هو الأمن، فبدونه لا يمكن دوام العمل والإنتاج والتبادل والاتجار وأكثر ما يعيق الأمن هو الثورات، وقد نشبت في العصر الأموي وفي العصر العباسي الأول ثورات كثيرة شغلت الدولتين، ولكنها لم تنتقص من نشاط الحياة الاقتصادية لتوفر القوة على قمعها، ولأن الناس كانوا ينعمون في بحبوحة من العيش من خيرات الفتوح، فلم تكن تلك الثورات ثورات فقراء أو مستضعفين وإنما كانت في جلها ثورات سياسية، يدور الصراع فيها حول الخلافة، أو فتن تثيرها العصبيات القبلية.

ومع ذلك فإن البلاد الإسلامية كانت تصاب في بعض مناطقها بجوائح، منها القحط وتلف المحاصيل بكوارث طبيعية، كان ينشأ عنها مجاعات وينتشر الوباء، ولكن ذلك لم يكن ليطول. أما في العصر

العباسي الثاني فقد ثار الفقراء والمستضعفون على ظلم الولاة وعمال الخراج، فكانت ثورة الزنج التي استمرت خمس عشرة سنة، فتكت في خلالها بالكثير من الناس وخربت الكثير من المدن وحرمت الأرض من أيدي العاملين، الذين انقلبوا إلى ثائرين ومخربين.

وقد أعقبت هذه الثورة ثورة القرامطة التي امتدت نحو سبعين سنة، وفي خلالها اختل الأمن وعاث اللصوص فسادا في المدن والقرى، ينهبون ويسلبون ويقتلون. ونشط أعراب البوادي في الوثوب على قوافل التجار وفي الإغارة على قوافل الحجاج، فتوقفت التجارة وامتنع الحج عدة سنوات. وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الحياة الاقتصادية وزاد عليها توالي الكوارث الطبيعية ومنها الزلازل وفيضان الأنهار وطغيانها على الأراضي الزراعية، وما ينشأ عنها من قحط ومجاعات يتلوها أوبئة كانت تفتك بالناس فتكا وتحصدهم حصدا.

3 – في الحياة الاجتماعية :

انعكس في حياة المجتمع الإسلامي ما عاناه في حياته السياسية والاقتصادية من فوضى واضطراب. فقد استذلته الأحداث السياسية وأفقرته الأحداث الاقتصادية وتشتت شمله في دويلات، آلت معها حياة المجتمع الإسلامي إلى طبقة عليا مترفة، التفت حول ملوك وأمراء متغلبين، تزين لهم ظلمهم لتنعم بعطاياهم، وتسلك سلوكهم فيما ينكره

الدين والأخلاق. وطبقة سفلى يشيع فيها الفقر والبؤس والحرمان ويحملها ذل الحاجة إلى سلوك ما لا يحله الدين أيضا.

وفي كلتا الطبقتين شاع عند السفلة منهم تعاطي الخمرة وما يتبعها من لهو وفجور، كان يجري في الطبقة العليا بمظاهر الترف، وكان يجري في الطبقة السفلى في مظاهر الحطة والبؤس. وبين الطبقتين، العليا والسفلى، كانت طبقة الخاصة، وهي الطبقة الوسطى، وفيها العلماء من فقهاء ومحدثين ومفسرين، وفيها الصلحاء من أهل الزهد والتقوى، ولم يكن لهؤلاء، كما كان لأسلافهم، مقام يدنيهم من الملوك والأمراء، ولا مسمع لقول عاذل ونصيح، وليس لهم سلطة تمكنهم من الردع بالقوة لما يجري من الفواحش، فقد جهر كثير من الناس بشرب الخمرة، يتعاطونها في حانات الخمارين وفي المتنزهات، ويلتمسون معتقها في الأديرة.

هذه هي السمات العامة التي كانت تطبع المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الثاني وما تلاه، وقد مهد لها العصر العباسي الأول، بما ساد فيه من مظاهر الترف والانصراف إلى الملاذ والجهر بها مع كثير من اللهو والمجون والتحدي للدين والأخلاق، وهذا ما نراه مبسوطا في أشعار أبي نواس وأخباره مع مطيع بن إياس وحماد عجرد و والبة بن الحباب، وفي أشعار ابن هرمة ومسلم بن الوليد، وغيره من شعراء ذلك العصر من الماجنين.

وكما نراها مبسوطة في كتب الأدب والأخبار كالأغاني والعقد الفريد ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وعيون الأخبار، وغيرها من كتب الأدب، وكما نراها منشورة في كتب التاريخ والأخبار كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ بغداد وتاريخ ابن كثير وغيرها من كتب التاريخ. وكلها شاهد — وإن كان فيها كثير من الدس والتأليف – على التراخي في تنفيذ تعاليم الإسلام عند الطبقة الحاكمة ومن التف حولها.

وكان أول ما انحسر من تعاليم الإسلام العدل، وقد أخلت به الأهواء التي اشتد فيها الصراع على الملك وما يتبعه من الظلم والاستبداد، يمارسهما صاحب السلطة على هواه، خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا، ويأخذ الناس بالظنة، فيقتل ويصادر الأموال ولا معقب لما يشاء، وبرزت في هذا الجو المشبع بالظلم، ظاهرة الخوف ومعها ظاهرة النفاق.

وكلاهما من العوامل التي عطلت العقل عن النمو فجف عطاؤه وتراخت عزائمه، وأصبح الخائف في معزل عن الحياة العامة خوفا من وشاية واش، أو تعرضه لما يخشاه، وسلك مسلك الزهد والتصوف طلبا للسلامة. وشاع النفاق في ضعاف النفوس، يزين به المنافقون صنع السلطان فيزيدونه طغيانا، لينالوا رفده، فهم فيما يفعلونه أعوانه في الظلم.

وقـد دون رواة موثوقـون مـا شـهدوا مـن ظـاهرة الظلـم والجـور في العصر الذي عاشوا فيه، وإليك ما دونه الرحالة ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ، في مقدمة كتابه: (صورة الأرض)، وفيه يصف ما عاينه في بغداد قبل سفره: (... وأعانني على تأليف هذا الكتاب تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر، لاسيما الرزق والأثر، والشهوة لبلوغ الوطر، بجور السلطان، وكلب الزمان، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان، واستئناس سلاطينه بالجور والطغيان، وكثرة الجوائح والنوائب، وتعاقب الكلف والمصائب، واختلال النعم وقحط الديم).

وإليك ما دونه الفيلسوف المؤرخ مسكويه في كتابه (تجارب الأمم) وفيه يبين أسباب ضعف السلطة وانهيار الحكم في العصر العباسي:

(فليعتبر الناظر، هل أتي هؤلاء الملوك إلا من سوء تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقدها بلذاتهم وشهواتهم، وإغفالهم أمر أصحاب الأخبار وتركهم تعرف نيات وزرائهم وقوادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها، وقلة تصفحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم، كيف كانت سيرتهم، وكيف ضبطوا ممالكهم ونيات أصحابهم بضروب الضبط، أولا بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك سرائرهم، ثم بأصحاب الأخبار الثقات والعيون المذكاة علي مدبري أمورهم، والتفقد لهم يوما يوما

وحالا فحالا وترك إيحاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته، والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسيرته).

ثم إليك ما دونه الإمام السيوطي في تاريخه:

(في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت الممالك عدة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقوة).

ولم يكن أمراء وخلفاء الأندلس أفضل حالا من أهل المشرق، فقد جاروهم في الترف، فأغفلهم عن عدوهم، فسطا عليهم وأخرجهم من ديارهم. ففي سنة 456هـ جرت وقعة بين المسلمين والأسبان في قرية (بطرنة) من أعمال (بلنسية) وفيها تغلب الإسبان على المسلمين، ومنها توجهوا لاحتلال (بلنسية).

ويصف لنا ابن بسام ما حل بأهل بلنسية حين داهمهم الإسبان فيقول:

(... ونزل الفرنج على بلنسية وأهلها جاهلون بالحرب، معرضون على أمر الطعن والضرب، مقبلون على اللذات من الأكل والشرب، وأظهر الفرنج الندم على منازلها والضعف عن مقاومة من فيها، وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا، وكمن في عدة أماكن جماعة من الفرنج، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخرج معهم أميرهم

عبد العزيز بن عامر، فاستدرجهم الفرنج ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر وما نجا منهم إلا من حصنه أجله، وخلص الأمير نفسه).

وهكذا جرى لأهل (طليطلة) - كما يقول ابن بسام - فإن ألفونسو السادس استظهر عليهم، وقتل جماهيرهم، وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها، لما خرجوا إليهم في ثياب الزينة، ألف غفارة خارجا عما سواها.

وليس أوجز ولا أبلغ في وصف حال الأندلس آنذاك ، وحال معظم ممالك وإمارات المسلمين التي دهمها الصليبيون والتتار كذلك بعد ذلك بقليل. مما وصف به الإمام الجليل (**ابن حزم الأندلسي**) أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري مما أحدثه ملوك الطوائف. فقال يرحمه الله كلمات تحس الأسى يشع من بين حروفها ، وأعجب ما فيها أنها تصلح لوصف أحوالنا هذه الأيام في ظل حكامنا وتعاونهم مع الصليبيين على بعضهم وعلى شعوبهم.

قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه ، في كتاب (**التلخيص في وجوه التخليص**):

[**فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة. وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى. لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك ؛ أن**

كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله ﷺ ، ساع في الأرض بالفساد. للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضادهم. وإباحتهم لجندهم قطع الطريق. ضاربون للجزية والمكوس والضرائب على رقاب المسلمين. مسلطون لليهود و النصارى على قوارع طرق المسلمين. معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم ، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم. والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها. فنحن نراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس.

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه. فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه. وأن ينكر بقلبه. هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبوا على أمرهم) اهـ.

ضعف الوازع الإيماني وأثره في انهيار الدولة الإسلامية:

لقد كان إيمان المسلمين الأولين ناصعا لا تفسده الأهواء، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق، فقادهم إلى الفتح العظيم، ودخل الناس في دينهم أفواجا لما رأوا من صدق دعوتهم، وكانوا فيها مثلا يحتذى، فلما ترف أخلافهم بنعماء الدنيا وأسرفوا منها، تعلقوا بأذيالها، وأقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه.

ويستفاد مما تقدم أن ضعف الوازع الإيماني في الراعي وغالبية الرعية، قد حاد بالمسلمين عن خطة الإسلام، فالإسلام أقام الإيمان رقيبا على أعمال الإنسان وزوده بدقة الحس في التمييز بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين العدل والظلم، وعندما تعصف الأهواء بالإيمان، يفقد الإحساس بالخير والعدل والفضيلة.

ولما تراخت رقابة الإيمان على أعمالهم حل الظلم محل العدل، فأخفت صوت الحق، وقضى سيف الظلم على صولته، وأضحت القوة هي الحاكم الذي لا يرد والحكم الذي لا ينقض، وبرز الباطل يختال في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والأثرياء، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون، فألهاهم عن مصالح الأمة، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة، وقفز إلى مناصب الدولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدين سلما للوصول إليها، فساهموا في الإفساد وأعانوا على الظلم، وسادت

الفوضى فكانت غنما للصوص والعيارين، وقامت لهم دولة في بغداد يحميها قادة من الجيش لقاء جزية يتقاضونها مما ينهبون.

وعاش عامة الشعب في فقر وخوف، وقهر ومذلة، فضمر ساعده وفقد قدرته على القتال، وخمدت همته، فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته على الإبداع، فأوقفه الزمن عن المسير، وأخذ ينظر إلى الشعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين، فلا يستطيع حراكا. إلى هذه الحالة آل أمر المسلمين، في جميع الدول التي تشتت فيها دولتهم، لتساوي العلة فيها.

وقد كان رسول الله ﷺ كان يعلم ما سيؤولون إليه حين قال لهم : **(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟. قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).**

۞۞۞۞۞۞۞

تفشي ظاهرة علماء السلطان خلال المرحلة العباسية :

إن فساد الدين، وفساد الخلق أساسه فساد فئتين من الناس هم العلماء والحكام كما قال ابن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وفساد الحكام سببه فساد العلماء ، وفساد العلماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه ، يقول حجة الإسلام الإمام **أبو حامد الغزالي** رحمه الله ، واصفاً حال علماء عصره بعد أن ذكر من مواقف علماء السلف وتضحيتهم في سبيل الحق وعدم اكتراثهم ببأس السلاطين. وكان قد عاش في القرن الخامس ، وعاصر الدولة السلجوقية، وما عاصرها من الممالك المستقلة ، بعد أن وهنت عرى الخلافة العباسية:

(وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا. وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم ، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا ، ففساد الرعايا بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا فلم يقدر على الحسبة على الأراذل ، فكيف على الملوك والأكابر ، والله المستعان على كل حال) إحياء علوم الدين ج92/7.

وأما الإمام الجليل ابن تيمية فقد قضى عمره في صراع مع من فسد من علماء السلاطين ، وأئمة البدع ، وكان معاصرا للدولة المملوكية في

القرن الثامن في عهد مُحَّد بن قلاوون فيما كانت هجمات التتار تعصف ببلاد الشام . حتى بلغ به أن يقول مما يرى من نفاق علماء السلاطين وممالأتهم للأمراء على جورهم وفساد أحوالهم ، فقال :

(**ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة !!**)[37].

وأما ابن حزم الذي عاش زمن ملوك الطوائف ، فقد مر قوله يعرض بفقهاء القصور ، وعلماء السلطان في زمانه :

(.. مسلطون لليهود والنصارى على قوارع طرق المسلمين. معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم ، **ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم** ...) وقد طفحت كتب التاريخ بما سجله علماء الحق ، وأئمة الهدى الذين اعتزلوا قطار الظلم والضلال مما عانوه وشاهدوه من فساد طبقة علماء السلاطين ، وممالأتهم للأمراء.

---

[37] الفتاوى ج35 ص372-373

وكان هذا من أسباب فساد الأحوال التي مهدت ، لتتابع العقاب السنني القدري ، باجتياح غارات الأعداء لعقر ديار المسلمين. قال تعالى :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (الإسراء:16)

وهكذا جرت السنن على تلك الممالك ومن عاش فيها من حكام ومحكومين ..

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود:102).

وهكذا مضت الأمم وتفانت الدول ، وبقيت العبرة مريرة والسنن ماضية .. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام:45 - 42).

وهكذا هجم الروم والصليبيون على بلاد المسلمين من الغرب ، واجتاحهم المغول من الشرق ، وسقطت بلاد الإسلام والمسلمين تحت سنابك خيل العدو. ليسجل لنا التاريخ أهوالا يشيب لذكرها الولدان،

وتقشعر لها الأبدان. بما كسبت أيدي الناس حكاما ومحكومين ولله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(قّ:37).

❖❖❖❖❖❖❖

الغزو الخارجي للعالم الإسلامي

في خضم تلك الأحداث التي سادت العالم الإسلامي من انقسام دوله وتسارع انهيارها ، وتنازع ملوكها وسلاطينها وأمرائها وقادتها، وإفناء بعضهم البعض بالحروب في التزاحم على السلطة والاستئثار بها.

في خضم تلك الأحداث كان العالم الإسلامي هدفا لعدوان انصب عليه من المغرب والمشرق.

* فمن المغرب شنت أوروبا المسيحية عليه خلال قرنين من الزمان سبع حملات صليبية على بلاد الشام ومصر.

وفي بلاد الأندلس تتابعت حملات الإسبان الصليبية، وكانت البابوية صاحبة الدعوة لهذه الحروب.

* ومن المشرق اقتحمت جيوش المغول (التتار) الدول الإسلامية في بلاد ما بين النهرين وتجاوزتها إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وأخيرا بلاد الشام متجهة إلى مصر.

وقد تمكنت دولة الأيوبيين ومن بعدها دولة المماليك من صد هذه الحملات في موقعتين شهيرتين هما (حطين) مع الصليبيين ، و(عين جالوت) مع التتار.

أمـا في بـلاد الأنـدلس فكـان الصـراع علـى الملـك بـين الملـوك والانشغال به عن أمور الدويلات المتصارعة القدر المحتوم للنهاية التي ختمت بها دولة الإسلام بعد حكم دام ثماني مئة عام.

أولا- النورمانديون يخرجون المسلمين من جنوب إيطاليا وصقلية:

في عـام 212هـ استولى العـرب علـى جزيـرة صـقلية بقيـادة قاضـي القيروان أسد ابن الفرات في عهد زيادة الله الأول الأغلبي، أمير إفريقية (تونس) واكتمل فتحها سنة 248هـ وأقيمت مدينة (بالرمو) عاصمة لها، وضمت إلى دولة الأغالبة في تونس.

وفي عـام 226هـ اجتاز العرب البحر من شمال صقلية إلى جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة (باري) وألحقوها بدولتهم بصقلية.

وفي عـام 297هـ انقضـت دولـة الأغالبـة باسـتيلاء العبيـديين عليهـا بزعامة عبيد الله المهدي وألحقوها بدولتهم التي أقاموها في تونس حتى سنة 336هـ، إذ ثار الكلبيون في صقلية على حكم العبيديين واستقلوا بها بزعامة الحسن بن علي الكلبي.

وفي عـام 432هـ استولى النورمانـديون علـى جنـوب إيطاليـا بزعامـة (تنكريـد ده هوتفيـل toncred de hauteville) وأقـاموا فيهـا دولـة نورماندية وأخرجوا العرب من مدينة (باري).

وفي عام 464هـ اجتاز النورمانديون البحر إلى صقلية بزعامة (روبير جيسكار الأول rober jescar i) وأخذوا بطرد العرب منها وأتموا الاستيلاء عليها سنة 480هـ ، وأزالوا الحكم العربي وانطوى علمه، الذي كان خفاقا مدة (270) عاما.

ثانيا – الحروب الصليبية: أسبابها وعواملها :

ترجع هذه الحروب في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية وسياسية واقتصادية.

ففي أعقاب خطاب ألقاه البابا (أوربان الثالث) في مدينة كليرمون فران clermont ferrand) بفرنسا في 26 نوفمبر – تشرين الثاني – سنة 488 / 1095م استجاب فيه لنداء من الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين يطلب منه العون ضد السلاجقة الأتراك وإعلان الحرب عليهم. لبس لباس النسك وعرف ببطرس الناسك، وفيها دعا إلى حرب المسلمين واسترداد بيت المقدس من أيديهم.

وقد استجاب لنداء البابا وصيحة الراهب فئات ثلاث: الفقراء والأقنان (أرقاء الأرض)، وأمراء الإقطاع، وأصحاب التجارات. فأما الفقراء وهم الطبقة الكبرى فكانوا يعيشون في قلة وحرمان، تفتك فيهم الأوبئة التي كانت تجتاح أوربا ومثلهم الأقنان، وهم الأرقاء المرتبطون بأراضي السادة الإقطاعيين، يملكهم السيد الإقطاعي مع الأرض.

فكان هؤلاء يحلمون ببلاد فيها كل النعيم ويطمعون بغفران الكنيسة لخطاياهم، وكانت هذه هي القوة الروحية الدافعة للحرب.

وأما أمراء الإقطاع فكانوا فئتين، فئة تملك اللقب والمال وفئة فقيرة تملك اللقب ولا تملك المال، وذلك أن شريعة الإرث في نظام الإقطاع كانت تقضي بتوريث الولد البكر اللقب والمال وتخص الآخرين من الأبناء باللقب دون المال، وكان يطلق عليهم اسم (المعدمين sans avoir) أي الذين لا يملكون شيئا أو يطلق عليهم اسم (بدون أرض sans terre) أي الذين لا يملكون أرضا.

وكان الأمراء المالكون للإقطاع في صراع فيما بينهم، وكانت الدعوة للحرب الصليبية سببا في عقد أيديهم بالصلح وتحويل الصراع إلى قتال المسلمين. أما الأمراء الذين لا يملكون فكانوا ينتزعون معيشتهم بالقتل والقتال، ينقمون على مجتمع خصهم بالحرمان، فكانت الدعوة لحرب المسلمين منفرجا لهم ومنعرجا في سلوكهم، فانضمت أفواجهم إليها طمعا في أرض يملكونها وغنائم ينعمون بها. وأما أصحاب التجارات فهم أصحاب المدن البحرية الذين يملكون السفن ويحلمون بالوصول إلى شواطئ بلاد الشام لإقامة علاقات تجارية مع مدنها، وقد حققت مدن جنوة وبيزا والبندقية الإيطالية أحلامها وجنت أرباحا كبيرة في نقل الحملات الصليبية والاتجار مع بلاد مصر والشام. وقد تعاقبت الحروب الصليبية في سبع حملات في مدى مائتي عام:

- **الحملة الصليبية الأولى (491هـ / 1097م) :**

وتقسم إلى قسمين :

الحملة الشعبية : وقد قادها بطرس الناسك ، والأسقف مونتي ، وتكونت من جموع غفيرة غير منتظمة ولا مؤتلفة، وكان أكثرها من الفرنسيين، لأن الدعوة لحرب المسلمين جاءت من (بابا) فرنسي وصدرت من بلدة فرنسية ونادى بها راهب فرنسي. لذلك كان المسلمون يسمون الصليبيين بالفرنجة وهو الاسم القديم للفرنسيين في ذلك الزمان من العوام والغوغاء تحركوا بغير تجهيز ولا ترتيب ، واعتمدوا في طريقهم النهب والسلب، فقاتلهم الناس على طول طريقهم في بلدان أوربا الشرقية ، ثم مروا بالقسطنطينية ، وعبروا منها إلى أسيا الصغرى ، وهناك تولى السلاجقة القضاء عليهم بكل سهولة.

حملة الأمراء: وقد تحركت في إثرها وقد تألفت هذه الحملة من خليط من أمراء أوربيين . وقد تولى قيادة تلك الجموع أمراء فرنسيون توجهوا بها بطريق البر واجتازوا بها مدينة القسطنطينية، وتمكنت الحملة من شق طريقها إلى الحدود الفاصلة بين شرق الأناضول وبلاد الشام فافترقت إلى ثلاث فرق، فرقة اتجهت شرقا واحتلت مدينة (الرها edesse) سنة 491هـ وأقامت بها إمارة صليبية بزعامة (بودوان الأول baudouin),

وفرقة اتجهت نحو الجنوب ودخلت بلاد الشام باتجاه ساحل المتوسط واحتلت مدينة أنطاكية سنة 492هـ وأقامت فيها إمارة صليبية أخرى بزعامة (بوهمند الثاني النورماندي (bohemond II) ثم اتجهت نحو القدس فوصلتها سنة 493هـ /1099م وأطبقت عليها بحصارها، ولم تتمكن الحامية الفاطمية من الدفاع عنها فاستسلمت ودخلها الصليبيون في يوم 15 تموز / يوليو / سنة 1099م وأثخنوا القتل في أهلها من مسلمين ويهود ومسيحيين أرثوذكس ، ويعترف المؤرخون الأوروبيون بهول ما فعله الصليبيون وفي ذلك تقول المؤرخة الألمانية (زوي أولدنبورغ zoe oldenburg) في كتابها عن الحروب الصليبية: (إن المذبحة التي أقدم عليها الصليبيون في اجتياحهم القدس تعد في عداد أكبر جرائم التاريخ).

وقد أقام الصليبيون في القدس مملكة صليبية بزعامة أمير اللورين (غودفراده بويون godefroy de bouillon) وفي عام 1100م توجه لحصار عكا فأصابه سهم فقتل وخلفه أخوه (بودوان baudouin).

- **الحملة الصليبية الثانية (539هـ / 1145م):**

في عام 539هـ / 1144م استرد أمير الموصل عماد الدين زنكي مدينة الرها من الصليبيين ، وأسقط إمارتها فتألفت بسببها حملة صليبية ثانية بزعامة كونراد الثالث (Conrad III) ملك ألمانيا ولويس

التاسع (Louis ix) ملك فرانسا. ولكن عماد الدين زنكي دحرهم، وبعد أن اغتال الحشاشون الباطنية عماد الدين زنكي ، حمل ابنه نور الدين زنكي لواء الجهاد ضد الصليبيين ، واستطاع استرداد مدينة انطاكية سنة (559هـ / 1163م) ، وهكذا عادت الحملة الثالثة أدراجها بعد فشلها في حصار دمشق. ثم تابع نور الدين جهادهم طيلة حياته بلا كلل.

ولما ورث صلاح الدين الأيوبي مملكة نور الدين ، وأقام الدولة الأيوبية حمل الأمانة بهمة وتفاني ، وتتالت انتصاراته إلى أن توجها بمعركة حطين (583هـ / 1187م) حيث أسر فيها ملك بيت المقدس الصليبي(جان لوزجنان) وكبار أمراء الصليبيين ، وقتل أرناط الذي قطع طريق الحج وكان سبب انهيار الهدنة بينه وبينهم. ثم تابع صلاح الدين بعد حطين ، فاسترد طبريا ، وعكا ، و قيسارية ،وحيفا ، ويافا، وصيدا .. مما سبب قدوم الحملة الثالثة.

- **الحملة الصليبية الثالثة (583هـ / 1187م) :**

نتيجة انتصارات صلاح الدين ، تألفت حملة صليبية ثالثة بزعامة فردريك باربارُوس الأول ملك ألمانيا (Fredric barbarous) و (فيليب أوغست Philippe Augusta) ملك فرنسا و (ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de lion) ملك إنكلترا.

وقد سلك فردريك طريق البر واجتاز القسطنطينية إلى بر الأناضول وغرق أثناء عبوره نهرا في (كليكيا) وتشتتت حملته ، وعاد فيليب أوغست إلى فرنسا بعد اختلافه مع ريتشارد قلب الأسد وزعموا أن ذلك كان لمرضه. أما ريتشارد قلب الأسد فقد تابع طريقه ، ولكن صلاح الدين تمكن من فتح بيت المقدس (583هـ /1187م) ثم عقد صلحا مع ريتشارد قلب الأسد دعي بصلح الرملة سنة (588هـ – 1192م). رجع ريتشارد على إثره إلى بلاده.

- **الحملة الصليبية الرابعة (595هـ / 1198 م) :**

بعد استرداد بيت المقدس ، استصرخ البابا (أنوست الثالث) ملوك أوربا لاسترداد بيت المقدس ، وفي عام 598 هـ / 1202م تألفت حملة صليبية أعدها أمراء فرنسيون منهم (بودوان التاسع أمير فلاندر) و (تيبو الثالث أمير شامباني) و (لويس أمير بلوا) وآخرون، وكانت مصر هدفا لهم. وقد اتفقوا مع ملاحي البندقية على نقلهم إلى الإسكندرية.

ولما علم الملك العادل الأيوبي بهذا الاتفاق، منح البنادقة امتيازات تجارية فتحول قادة الحملة إلى القسطنطينية فاجتاحوها وأقاموا فيها دولة لاتينية سنة (600هـ/1204م) ولّوا عليها بودوان التاسع ملكا وأعلنوا المذهب الكاثوليكي وقد استمرت هذه الدولة قائمة حتى سنة 658 هـ /1260م. ولكن بعض جنود الحملة تابعوا طريقهم وانضم إليهم بعض الصليبيين من سواحل الشام وهاجموا مدينة رشيد في دلت النيل ، وفشلوا في دخولها وعادوا خائبين لم تحقق هدفها كحملة صليبية.

**** حملة الأطفال (608هـ / 1212 م) :**

بعد شيوع أخبار سقوط بيت المقدس وفشل الحملة الرابعة عم السخط الأوسط الأوربية ، وتعاظم الحماس الديني حتى بين الأطفال، الذين زعم أحدهم أن العناية الإلهية كلفته بقيادة الحملة وانضم بعض القساوسة للترويج لها ، حيث توجه بالأطفال من قادهم إلى موانئ إيطاليا ، حيث حملتهم السفن إلى موانئ الشام ، حيث يروى أن تجار الرقيق غدروا بهم حيث باعوهم في أسواق النخاسة في المشرق.

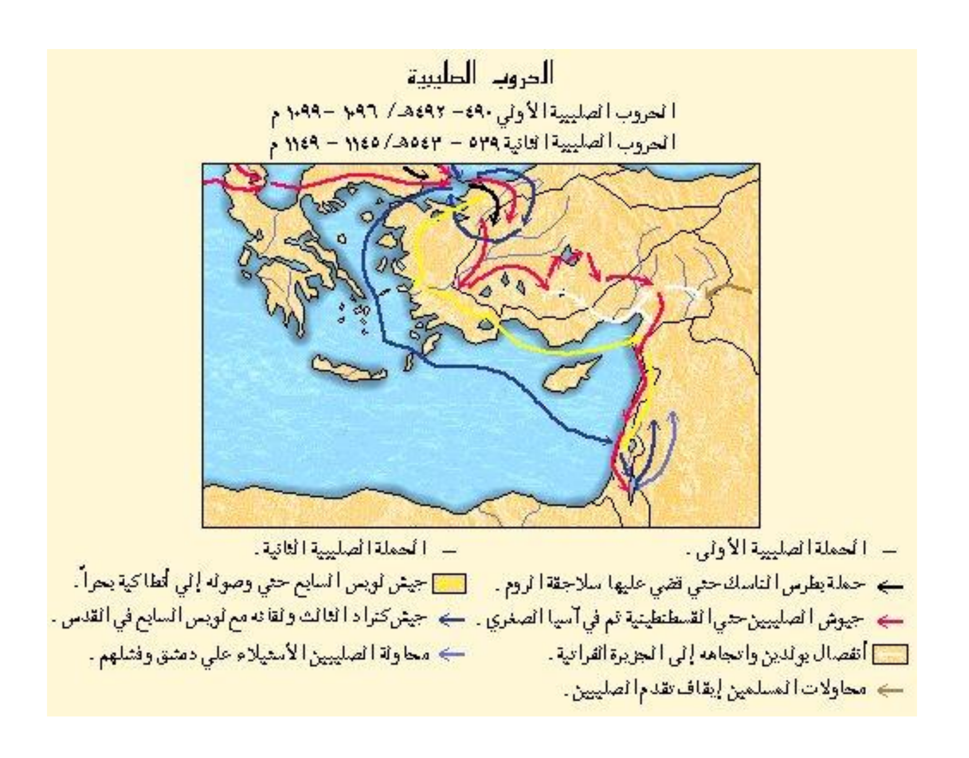
- **الحملة الصليبية الخامسة (614هـ /1212 م) :**

تألفت هذه الحملة سنة 615 هـ / 1219م بزعامة (جان ده بريان Jean de brienne) ملك بيت المقدس الذي أراد حماية أملاكه في الشام ، واتجهت الحملة إلى مصر فاستولت على مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الكامل ، ثم اتجهوا إلى مدينة فارسكو ، وقت فيضان النيل، ففتح الفلاحون عليهم سيول ماء النيل ، ثم هاجمتهم جيوش الكامل وغنمت معظم سفنهم وسلاحهم ، ثم استرد المصريون دمياط وأجلوا الحملة عن مصر.

- **الحملة الصليبية السادسة (625هـ / 1228م) :**

أعد هذه الحملة الملك (فردريك الثاني، ملك ألمانيا Frederic) بتحريض من البابوية. فقد توجه بحملته سنة 625 هـ / 1228م إلى بلاد الشام بطريق البحر، وكان الملك الكامل، صاحب مصر، قد استنجد به ليعينه على أخيه الملك المعظم عيسى لكي ينتزع منه دمشق وفق شروط تم الاتفاق عليها منها تسليمه القدس وقدم فردريك بحملته إلى عكا. وكان الملك المعظم عيسى قد توفي وخلفه ابنه الملك المنصور داود فتصالح مع عمه الملك الكامل وسلمه دمشق حيث أعطاه بدلا منها مدن صرخد و الشوبك والكرك.

وباستلام الملك الكامل لمدينة دمشق نفذ شروط الاتفاق وسلم فرديك مدينة القدس فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها وعاد إلى بلاده وبذلك أنهى مهمة الحملة الصليبية التي قادها دون قتال.







الحملة الصليبية السابعة (647هـ / 1249م) :

جهز هذه الحملة الملك الفرنسي لويس التاسع الملقب – لتدينه – بالقديس لويس، ووجهها نحو مصر، فقد رأى أن استرداد بيت المقدس عن طريق مصر أيسر من استردادها عن طريق بلاد الشام. فتوجه بحملة بحرية إلى مصر سنة 646 هـ / 1249م واستولى على مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الصالح نجم الدين أيوب. ثم توجه لحصار المنصورة. وخلال الموقعة التي جرت فيها بينه وبين المسلمين توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر، وقاد ابنها توران شاه ، وقائد أبيه ومملوكه (المعز إيبك) المعركة التي كتب فيها النصر ، وأسر الملك الفرنسي مع جملة من أمراء الحملة، وأودعوا السجن في دار ابن لقمان ثم أطلق لقاء فدية كبيرة.

** **محاولة صليبية لغزو مصر من إفريقية:**

لم يبرح الملك لويس التاسع التفكير بغزو مصر وعزم على تنفيذ فكرته بغزوها عن طريق إفريقية (تونس) فقاد إليها سنة 669 هـ / 1270م حملة، ولكن القدر كان أغلب منه ، فقد نبا به جواده وهلك، وقيل أن هلاكه كان بسبب الوباء. وهكذا باءت خطته بالفشل والخسران.

وقد توقفت بعد هذه الحملة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر وانصرف أمراء أوربا إلى حروبهم الداخلية هناك. غير أن احتلال الصليبيين لبعض مدنها وقلاعها ظل قائما إلى أن جاءت دولة المماليك البحرية فجرد عليهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري ومن بعده الملك قلاوون جيوشه وأخرجهم من بلاد الشام فتحررت منهم بعد مائتي عام ونيف من السنين قضوها في بعض مناطقها ، وكانت سنة (648هـ / 1291م) سنة سقوط عكا ، آخر معاقل الصليبيين في بلادنا موعد تنظيف سواحل الشام من دنسهم.

۞۞۞۞۞۞۞

ثالثا– اجتياح التتار(المغول) للعالم الإسلامي :

قامت دولة المغول بزعامة مغولي يدعى (تيموجين) ، وقد تمكن من جمع أشتات قبيلته والاستيلاء على بلاد الصين وبلاد التيبت وقهر الشعوب المحيطة بدولته، فدعاه شيوخ قبيلته (جنكيزخان) أي الملك القاهر وأصبح معروفا بهذا اللقب.

وقد أراد أن يقيم علاقات حسن جوار مع دولة خوارزم وكانت أكبر دولة إسلامية في المشرق وملكها يومئذ علاء الدين مُحَمَّد، لتأمين التبادل التجاري مع بلاده وحماية القوافل التجارية مع البلاد الإسلامية، فأرسل إليه رسلا يحملون كتابا منه يطلب فيه أن يتعهد له بتأمين التبادل التجاري وحماية القوافل التجارية، فلم يجد خوارزم شاه في عبارة الكتاب ما يليق بمقامه، فقد وجد أن جنكيزخان يخاطبه كما يخاطب ابنه، فوافق على طلبه على مضض ، وكتم غيظه حتى وقعت الواقعة.

فقد توجهت قافلة كبيرة. تحمل أموالا ثمينة، فلما اجتازت حدود خوارزم ودخلت مدينة (أترار) قبض عاملها على أفرادها فقتلهم وصادر أموال القافلة، وقيل إن ما فعله كان بأمر شاه خوارزم علاء الدين. فلما علم جنكيز خان بالأمر صمم على الانتقام ، وتوجه سنة 614هـ على رأس جيش جرار، فغزا خوارزم وأخرب مدنها ومنها سمرقند وبخارى وقتل من فيها من السكان، ولم يستطع علاء الدين خوارزم شاه مقاومة هذا الغزو، فهرب من وجه المغول، فتبعوه وأخذوا يطاردونه حتى بلغ بحر قزوين فلجأ إلى جزيرة فيه، وفيها توفي سنة 617هـ مطرودا منسيا.

فخلفه ابنه جلال الدين منكبرتي، فكان أسوأ حظا من أبيه، وأمضى مدة ملكه مع فلول جنده، هاربا من إقليم إلى إقليم، حتى

انتهى به المطاف سنة 629هـ إلى ميافارقين بجزيرة عمر، فأوى إلى قرية قريبة منها، فدخل عليه من اغتاله فقضى شريدا، وبه انتهت دولة خوارزم.

وعاد جنكيزخان إلى بلاده، وتولى حفيده (هولاكو) قيادة جحافل المغول متجها نحو المشرق، يغير على مدنه ويمعن فيها القتل والسبي والنهب، حتى أحاطت جيوشه ببغداد في شهر صفر سنة 656هـ فاجتاحها وأخذ جنده في تخريبها وسفك دماء أهلها، ولم يسلم الخليفة المستعصم بالله من نقمة المغول فقتلوه مع أهله في اليوم الرابع من شهر صفر من ذلك العام وبقتله انقضت دولة بني العباس ببغداد.

خلاصة أحوال المسلمين إبان اجتياح التتار بحسب رواية ابن كثير رحمه الله

وسأورد مجملا عنها بشيء من الإسهاب لما فيها من الدروس والعبر والتشابه مع أحوالنا هذه الأيام. والله المستعان.

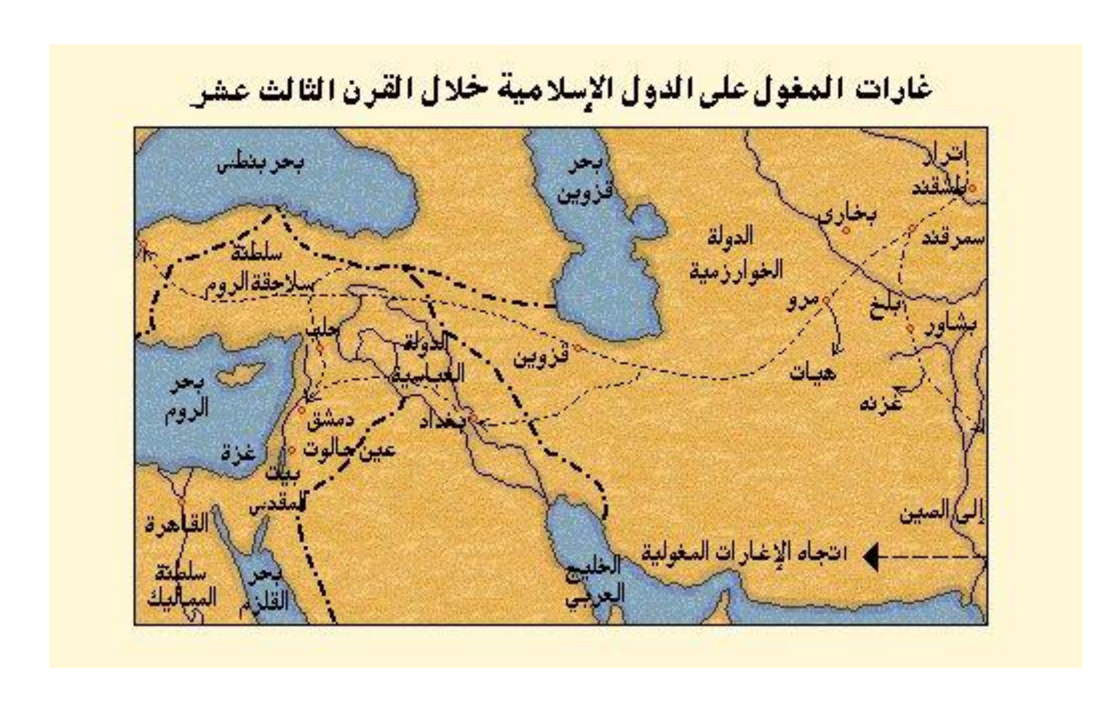
قال ابن كثير رحمه الله:

ففي سنة 616 هـ :

عبر التتار نهر جيحون بصحبة ملكهم جنكيزخان من بلادهم وكانوا يسكنون جبال طمغاج من أرض الصين ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكيزخان بعث تجارا له ومعهم أموال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه يتبضعون له ثيابا للكسوة فكتب نائبها إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم ففعل ذلك. فلما بلغ جنكيزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه. فلما تهدده أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلى خان فنهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم فأقبلوا إليه محروبين. فاقتتلوا معه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثله أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن

أنفسهم يعلمون أنهم متى ولوا استأصلوهم، فقتل من الفريقين خلق كثير حتى إن الخيول كانت تزلق في الدماء.

وكان من جملة من قتل من المسلمين نحوا من عشرين ألفا ومن التتار أضعاف ذلك ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند فحصنها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة..



فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكيزخان ثلاثة أيام فطلب منه أهلها الأمان فأمنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرا وخديعة وامتنعت القلعة عليه ففتحوها فقتل من كان بها، ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأحلها لجنده فقتلوا من أهلها

خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل وأسروا الذرية والنساء وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ومنهم من أسر فعذب بأنواع العذاب وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ثم كروا راجعين عنها قاصدين.

وفي سنة 617 هـ:

عم البلاء بجنكيز خان المسمى بتموجين لعنه الله تعالى ومن معه من التتار قبحهم الله أجمعين واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها . فملكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخزر وغيرهم وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحد ولا يوصف وبالجملة فلم يدخلوا بلدا إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة والرجال وكثيرا من النساء والأطفال، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع.

وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم وإن لم ينصحوا في القتال قتلوهم، وقد بسط ابن الأثير في كامله خبرهم في هذه السنة بسطا حسنا مفصلا قال: فنقول هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها ،عمت الخلائق وخصت المسلمين فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل بختنصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج.

وأما الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه وهؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما رواء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها ما

نذكره، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا، ثم يجاوزونها إلى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ثم يقصدون بلاد اذربيجان وأران ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله.

ثم ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير قلعته التي بها ملكهم وعبروا عندها إلى بلد اللان اللكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة فأوسعوهم قتلا ونهبا وتخريبا، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عددا فقتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الغياض وملكوا عليهم بلادهم وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد.

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة إنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا بل رضي من الناس بالطاعة وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلا وأعدلهم أخلاقا وسيرة في نحو سنة ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا وهو خائف مترقب وصولهم وهم مع ذلك يسجدون

للشمس إذا طلعت ولا يحرمون شيئا ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات لعنهم الله تعالى.

قال وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع؛ لأن السلطان خوارزم شاه مُحَمَّد كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب وهلك في بعض جزائر البحر. خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها:

﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾.

ثم قصد التتار سمرقند فحاصروها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فنكلوا وبرز إليهم سبعون ألفا من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليه الخمسون ألف السلم فسلبهم سلاحهم وما يمتنعون به وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبى الذرية وحرقه وتركه بلاقع فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميها التتار المغربة وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه وكانوا عشرين ألفا قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء فساروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهر جيحون وهو آمن بسببه فلم يجدوا سفنا فعملوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه

ويأخذ بذنبها فتجره الفرس بالماء وهو يجر الحوض الذي فيه سلاحه حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يمهلونه يجمع لهم فصار كلما أتى بلدا ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته.

وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدرى أين ذهب ولا إلى أي مفر هرب وملكت التتار حواصله فوجدوا في خزانته عشرة آلاف ألف دينار (...) ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك ففتحها هؤلاء في أيسر مدة ونهبوا ما فيها وقتلوا أهاليها كلهم وسبوا وأحرقوا ثم ترحلوا عنها نحو الري فوجدوا في الطريق أم خوارزم شاه ومعها أموال عظيمة جدا فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر وغيرها ثم قصدوا الري فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلوهم وسبوا وأسروا.

ثم ساروا إلى همذان فملكوها، ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا ثم قصدوا قزوين فنهبوها وقتلوا من أهلها نحوا من أربعين ألفا ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أزبك بن البهلوان على مال حمله إليهم

لشغله بما هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات فتركوه وساروا إلى موقان فقاتلهم الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفة عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم بحدهم وحديدهم فكسرتهم التتار وقعة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها، وههنا قال ابن الأثير: ولقد جرى لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طائفة تخرج من حدود الصين لا تنقضي عليهم سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همذان وتالله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها والحق بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسر الله للمسلمين والإسلام من يحفظهم ويحوطهم فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه.

قال وانقضت هذه السنة وهم في بلاد الكرج فلما رأوا منهم ممانعة ومقاتلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم وكذلك كانت عادتهم فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال ثم ساروا إلى مراغة فحصروها ونصبوا عليها المجانيق و تترسوا بالأسارى من المسلمين وعلى البلد امرأة (ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ففتحوا البلد بعد أيام وقتلوا من

أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل وغنموا منه شيئا كثيرا وسبوا وأسروا على عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى إنه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مئة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ونهب ذلك الدرب وحده ودخلت امرأة منهم في زي رجل بيتا فقتلت كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة فقتلها لعنها الله.

ثم قصدوا مدينة إربل فضاق المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصيب وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكرا فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قد دهم المسلمين هناك من الفرنج وأخذهم دمياط التي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة، وكان أخوه المعظم قد قدم عليه إلى حران يستنجده لأخيهما الكامل ليتحاجزوا الفرنج بدمياط وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على العساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا فإنا لله وإنا إليه

راجعون ولكن الله سلم بأن صرف همة التتار إلى ناحية همذان فصالحهم أهلها وترك التتر عندهم شحنة ثم اتفقوا على شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسرا وقتلوا أهلها عن آخرهم.

ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أردبيل ثم تبريز ثم إلى بيلقان فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا وحرقوها وكانوا يفجرون بالنساء ثم يقتلونهن ويشقون بطونهم عن الأجنة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فاقتتلوا معهم فكسروهم أيضا كسرة فظيعة ثم فتحوا بلدانا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها و يأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون يجعلونهم بين أيديهم ترسا يتقون بهم الرمي وغيره ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب.

ثم ساروا إلى بلاد اللان والقفجاق فاقتتلوا معهم قتالا عظيما فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القفجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأمتعة والثياب والتجائر من البرطاسي والقندز والسنجاب شيء كثير جدا ولجأت القفجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتال التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة فظيعة جدا ثم ساروا نحو بلغار في حدود العشرين وستمائة ففرغوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكيزخان لعنه الله وإياهم هذا ما فعلته هذه السرية المغربة.

وكان جنكيزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى ترمذ فأخذتها وأخرى إلى فرغانة فملكوها وجهز جيشا آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعتها وكانت حصينة فحصروها ستة أشهر حتى عجزوا فكتبوا إلى جنكيزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى فتحها قهرا ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكماله خاصة وعامة.

ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكيزخان فقد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالا عظيما حتى انكسر المسلمون! فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم وعاقبوهم بأنواع العذاب حتى إنهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان.

ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها قريبا مما فعلوا بأهل مرو ثم إلى طوس فقتلوا وخربوا مشهد على بن موسى والرشيد وتركوه خرابا ثم ساروا إلى هراة فقتلوا خلقا واستنابوا عليها ، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم، فعادوا غلى هراة فإذا أهلها قد نقضوا فقتلوهم عن آخرهم ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان –لعنه الله وإياهم– ، وأرسل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم

فحاصروها حتى فتحوا البلد قهرا فقتلوا من فيها قتلا ذريعا ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جيحون عنها فغرقت دورها وهلك جميع أهلها.

ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان وهو مخيم على الطالقان فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة واستنقذ منهم خلقا من أسارى المسلمين ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله فقصده جنكزخان فتواجها -وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه- ولم يبق بد من القتال فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يعهد قبلها مثلها من قتالهم ثم ضعف أصحاب السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه فذهبوا فركبوا في بحر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا ممانعة كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة.

وفي سنة 618 هـ :

استولت التتار على كثير من البلدان كمراغة وهمذان وأردبيل وتبريز وكنجة وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها واستأسروا ذراريها واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك وحصن بغداد واستخدم الأجناد وقنت الناس في الصلوات والأوراد.

وفيها قهروا الكرج واللان ثم قاتلوا القفجاق فكسروهم وكذلك الروس، وينهبون ما قدروا عليه ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم وذراريهم.

وفي سنة 621 هـ :

وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الري وكانت قد عمرت قليلا فقتلوا أهلها أيضا ثم ساروا إلى ساوة ثم إلى قم وقاشان ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة ففعلوا بها مثل ما تقدم من القتل والسبي ثم ساروا إلى همذان فقتلوا أيضا وسبوا ثم ساروا إلى خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا إلى ابن البهلوان إن كنت مصالحا لنا فابعث لنا بالخوارزمية و إلا فأنت مثلهم فقتل منهم خلقا وأرسل برؤوسهم إليهم مع تحف وهدايا كثيرة هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف والخوارمية وأصحاب البلهوان أضعاف أضعافهم ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 622 هـ:

عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من التتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه.

وفيها استحوذ جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثير من بلاد الكرج وكسر الكرج وهم في سبعين ألف مقاتل فقتل منهم عشرين ألفا من المقاتلة واستفحل أمره جدا وعظم شأنه وفتح تفليس فقتل منها ثلاثين ألفا وزعم أبو شامه أنه قتل من الكرج سبعين ألفا في المعركة وقتل من تفليس تمام المئة ألف وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه أهلها ففتحها قسرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد لأنه فيم زعم عمل على أبيه حتى هلك واستولت التتر على البلاد وكتب إلى المعظم بن العادل يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك فامتنع المعظم من ذلك ولما علم الخليفة بقصد جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحصن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد أنفق في الناس ألف ألف دينار وكان جلال الدين قد بعث جيشا إلى الكرج فكتبوا إليه: أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا وبغداد ما تفوت، فسار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفي سنة 623 هـ:

التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسرهم كسرة عظيمة وصمد إلى أكبر معاقلهم تفليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبى ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها.

واستقر ملكه عليها وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنقذها منهم جلال الدين هذا فكان فتحا عظيما ولله المنة.

وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالا عظيما فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له فسار إليهم وتركهم.

وفي سنة 624 هـ:

فيها كاتب عامة أهل تفليس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ونهبوا وسبوا وخربوا وأحرقوا وخرجوا على حمية وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعا ليدركهم فلم يدركهم.

وفيها قتلت الإسماعيلية أميرا كبيرا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا وخرب مدينتهم

وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وقد كانوا -قبحهم الله- من أكبر العون على المسلمين لما قدم التتار إلى الناس وكانوا أضر على الناس منهم.

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزمهم وأوسعهم قتلا وأسرا وساق وراءهم أياما فقتلهم حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاءوا لقصده فأقام ينتظرهم..

وممن توفي في هذه السنة:

جنكيز خان :

السلطان الأعظم عند التتار، والد ملوكهم اليوم ينتسبون إليه يقولون: وهو الذي وضع لهم الياسق التي يتحاكمون إليها ويحكمون بها وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه وهو شيء اقترحه من عند نفسه وتبعوه في ذلك وكانت أمه تزعم أنها حملته من شعاع الشمس فلهذا لا يعرف له أب فهو مجهول النسب.

وقد رأيت مجلدا جمعه الوزير ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا والحروب فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصا عند الملك أزبك خان وكان إذ ذاك شابا حسنا وكان اسمه أولا تمرجي ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان وكان هذا الملك قد قربه وأدناه فحسده عظماء الملك ووشوا به إليه حتى أخرجوه عليه ولم يقتله ولم يجد له طريقا في ذنب يتسلط عليه به فهو في ذلك

إذ تغضب الملك على مملوكين صغيرين فهربا منه ولجآ إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضمره الملك أزبك خان من قتله فأخذ حذره وتحيز بدولة واتبعه طوائب من التتار وصار كثير من أصحاب أزبك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكته وكثرت جنوده ثم حارب بعد ذلك أزبك خان فظفر به وقتله و استحوز على مملكته وملكه وانضاف إليه عدده وعدده وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمعاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل وأكثر القبائل قبيلته التي هو منها يقال لهم قيان ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان وقنقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم.

ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلبه واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث.

وكان ابتداء ملك جنكزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستمائة ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا ممانع.

وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستمائة فجعلوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسق فإنه يكتب في مجلدين بخط غليظ ويحمل على بعير معظم عندهم.

وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يعي ويقع مغشيا عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حينئذ ، فإذا كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها.

وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد للعبادة فسمع قائلا يقول له : إنا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فمشايخ المغول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلما.

ثم ذكر الجويني نتفا من الياسق من ذلك أنه من زنا قتل ! محصنا كان أو غير محصن وكذلك من لاط قتل ! ومن تعمد الكذب قتل ! ومن سحر قتل ! ومن تجسس قتل ! ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ! ومن بال في الماء الواقف قتل ! ومن انغمس فيه قتل ! ومن أطعم أسيرا أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ! ومن وجد هاربا ولم يرده قتل ! ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل ! بل يناوله من يده إلى يده ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المطعوم أميرا لا أسيرا ومن أكل ولم يطعم من عنده

قتل! ومن ذبح حيوانا ذبح مثله ! بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولا !!.

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين قال الله تعالى :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ومن آدابهم الطاعة لسلطانهم غاية الاستطاعة وأن يعرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهن، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ومن مر بقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ولا يقف على أسكفه ، ولا يغسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ولا يكلفون العلماء من كل ما ذكر شيئا من الجنايات، ولا يتعرضون لمال ميت.

وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفا كبيرا من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما أداه إليه عقله – وإن كان مشركا بالله

كان يعبد معه غيره- وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كانت البداءة من خوارزم شاه ؛ فإنه لما أرسل جنكيزخان تجارا من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه وهو والد زوجته كشلى خان وأخذ جميع ما كان معهم، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعمله هل وقع هذا الأمر عن رضا منه أو أنه لا يعلم به فأنكره وقال له فيما أرسل إليه من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك فإن كان أمرا أمرت به طلبنا بدمائهم. وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك، فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير.

وقد كان خرف وكبرت سنه وقد ورد الحديث اتركوا الترك ما تركوكم فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع.

قال ولما احتضر جنكيزخان أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق وضرب لهم في ذلك الأمثال وأحضر بين يديه نشابا وأخذ سهما أعطاه لواحد منهم فكسره ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم

يطيقوا كسرها فقال هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم.

وفي سنة 625 هـ :

كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتار كسروه غير مرة ثم بعد ذلك كله كسرهم كسرة عظيمة وقتل منهم خلقا وأمما لا يحصون وكان هؤلاء التتار قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم ولكن سترى منا ما لا قبل لك به.

وفي سنة 628 هـ:

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده وقد قدمت التتار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فعاثوا بالفساد يمينا وشمالا فقتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم - خذلهم الله تعالى.

وفي سنة 629 هـ:

وفيه أقبل طائفة من التتار فوصلوا إلى شهرزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين وأضاف إليه عساكر من عنده فساورا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلتهم مدة شهور ثم تمرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل وتراجعت العساكر إلى بلادها.

وفي سنة 634 هـ:

فيها حاصرت التتار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذراريهم.

وفي سنة 638 هـ:

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملوك الإسلام يدعوهم إلى طاعته ويأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم وعنوان الكتاب:

من نائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب خاقان. وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان.

وفي سنة 642هـ:

{ وانظر لحالة ملوك المسلمين والتتار على أبواب بلادهم وعاصمتهم !!}:

فيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب مُحَمَّد بن أحمد بن علي بن مُحَمَّد العلقمي المشئوم على نفسه وعلى أهل بغداد الذي لم يعصم المستعصم في وزارته فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده – قبحه الله وإياهم –

وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق فنزلوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقمشة والعساكر فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك والمنصور صاحب حمص مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالا شديدا فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكرة فظيعة هزمت الفرنج بصلبانها وراياتها العالية على رؤوس أطلاب المسلمين وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنابت كؤوس المنون عن كؤوس

الزرجون فقتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف وأسروا جماعة من ملوكهم و قسوسهم وأساقفتهم وخلقا من أمراء المسلمين وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرا محمودا ولله الحمد.

وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نفلح وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئا كثيرا وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها فحصنها الصالح إسماعيل وخرب من حولها رباعا كثيرة وكسر جسر باب توما فسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة فغرق جميع ما كان بينهما من العمران وافتقر كثير من الناس -فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

وفي سنة 642هـ:

وهي سنة الخوارزمية وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في صحبة معين الدين ابن الشيخ فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق وحرق قصر حجاج وحكر السماق وجامع جراح خارج باب الصغير ومساجد كثيرة ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضا وتراءى الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق وأرسل يقول اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بمحاصرة الملوك فأرسل إليه المعين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر وأرسل يقول أما السجادة فإنها تصلح لي وأما أنت فهذا أولى بك ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى العقبية فأحرقت بأسرها وقطعت الأنهار وغلت الأسعار وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا لم يتم عليها قط وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى.

ثم اتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك.

وأما الخوارزمية فإنهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا فنهبوها وساقوا نحو بلاد الشرق وكاتبوا الصالح إسماعيل فحالفوه على الصالح أيوب ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه وعادت الخوارزمية فحاصروا دمشق وجاء إليهم الصالح إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة فعدمت الأموال وغلت الأسعار جدا حتى إنه بلغ ثمن الغرارة ألف وستمائة وقنطار الدقيق تسعمائة والخبز كل أوقيتين إلا ربع بدرهم ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق وأكلت القطاط والكلاب والميتات والجيفات وتماوت الناس في الطرقات وعجزوا عن التغسيل والتكفين والإقبار فكانوا يلقون موتاهم في الآبار حتى أنتنت المدينة وضجر الناس – فإنا لله وإنا إليه راجعون –.

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخمور دائرة والفسق ظاهرا والمكوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جدا وهلك الصعاليك بالطرقات كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها كالدجاج، قال وأنا شاهدت ذلك وذكر تفاصيل الأسعار وغلاءها في الأطعمة وغيرها.

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالئوا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه

صاحب حمص فاستماله إليه وقوي جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين و التركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية وحصارهم إياها فبلغ ذلك الخوارزمية فخافوا من غائلة ذلك وقالوا دمشق ما تفوت والمصلحة قتاله عند بلده فساوروا إلى بحيرة حمص وأرسل الناصر داود جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية وساق جيش دمشق فانضافوا إلى صاحب حمص والتقوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص وكان يوما مشهودا قتل فيه عامة الخوارزمية وقتل ملكهم بركات خان وجيء برأسه على رمح فتفرق شملهم وتمزقوا شذر مذر وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فتسلمها الصالح أيوب وجاء إلى دمشق فنزل ببستان سامة خدمة للصالح أيوب ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه فمات -رحمه الله- في السنة الآتية. وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك و بصرى ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلد يأوي إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب فآواه وأكرمه واحترمه وقال الأتابك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذه الناصر وكان شابا صغيرا انظر إلى عاقبة الظلم.

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم وهزموا من بين أيديهم فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفا من غائلة مكرهم وعملا بقوله ﷺ (اتركوا الترك ما تركوكم).

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وفي سنة 648هـ:

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم تورانشاه للفرنج على ثغر دمياط فقتل منهم ثلاثين ألفا ، وقيل : مئة ألف وغنموا شيئا كثيرا ولله الحمد ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الإفرنسيس إلى دمشق فلبسها نائبها في يوم الموكب وكانت من سقرلاط أحمر تحتها فرو سنجاب ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم تورانشاه ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الاخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه.

الملك المعظم تورانشاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه وكان أبوه يستدعيه إليه في أيامه فلا يجيبه فلما توفي أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم

فملكوه عليهم ثم قتلوه كما ذكرنا وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم وقد قيل: إنه كان متخلعا لا يصلح للملك.

وفي سنة 650هـ:

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما والى هذه البلاد فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا فإنا لله وإنا إليه راجعون ووقعوا بتجار يسيرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم ستمائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية وستمائة ألف دينار وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحوا من عشرة آلاف قتيل وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 651هـ :

فيها دخل الشيخ نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام وأصلح بين الجيشين وكانوا قد اشتدت الحرب بينهم ونشبت وقد مالأ الجيش المصري الفرنج ووعدهم أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية منهم أولاد الصالح إسماعيل وبنت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم فجزاه الله خيرا.

وفي سنة 655هـ :

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك التركماني بداره ميتا ، وقد ولي الملك بعد أستاذه الصالح نجم الدين أيوب بشهور كان فيها ملك تورانشاه المعظم بن الصالح ثم خلفته شجر الدر أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو في الملك ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقسيس بن الكامل مدة ثم استقل بالملك بلا منازعة وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل الفارس أقطاي في سنة ثنتين وخمسين وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ثم تزوج بشجر الدر أم خليل وكان كريما شجاعا حكيما دينا ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول وهو واقف المدرسة المعزية التي بمصر ومجازها من أحسن الأشياء وهي من داخل ليست بتلك الفائقة.

وقد قال بعضهم فيها: هذه مجاز لا حقيقة له ولما قتل رحمه الله اتهم مماليكه زوجته أم خليل المسماة بشجر الدر به ، وقد كان عزم على تزويج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فأمرت جواريها أن يمسكنه لها فما زالت تضربه بقباقيبها والجواري يعركن في معاريه حتى مات وهو كذلك ولما سمع مماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز فقتلوها وألقوها على مزبلة غير مستورة العورة بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع وقد علمت على المناشير و التواقيع وخطب الخطباء

باسمها وضربت السكة برسمها فذهبت فلا تعرف بعد ذلك بعينها ولا رسمها.

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة فنهبت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي وكان ذلك من أقوى الاسباب في ممالأته التتار.

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت الباذرائي بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقدمة لملكهم هولاكو بن تولى بن جنكزخان عليهم لعائن الرحمن وكان افتتاحهم لها وجنايتهم عليها في أول السنة الآتية.

وفي سنة 656 هـ:

فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة وانقضت دولة بني العباس منها.

استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكو قان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغاددة وميرته وهداياه وتحفه وكل ذلك خوفا على نفسه من التتار ومصانعة لهم قبحهم الله تعالى

وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق و العرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئا.

وتأمل !!! وإنا لله وإنا إليه راجعون:

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنشاب من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه وكانت من جملة حظاياه وكانت مولدة تسمى عرفة جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعا شديدا وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هولاكو قان بجنوده كلها – وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل – إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأمضاه وهو أن هولاكو قان لما كان أول بروزه من همذان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين مُحَمَّد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره

وقالوا : إن الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير فأرسل شيئا من الهدايا فاحتقرها هولاكو قان وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور وسليمان شاه فلم يبعثهما إليه ولا بالى به حتى أزف قدومه ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية وجنود بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة لا يبلغون عشرة آلاف فارس وهم في غاية الضعف، وبقية الجيش كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد وأنشد فيهم الشعراء القصائد يرثون لهم ويحزنون على الإسلام وأهله.

وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب شديدة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير ، فاشتد حنقه على ذلك فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد وإلى هذه الأوقات ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو فخرج في أهله وأصحابه وخدمه وحشمه فاجتمع بالسلطان هولاكو قان لعنه الله ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون

نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورءوس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو قان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفسا ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مراكبهم ونهبت ، وقتلوا عن آخرهم وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال : إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت.

ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خواجا نصير الدين الطوسي لعنة الله عليه والوزير ابن العلقمي وغيرهما والخليفة تحت الحوطة والمصادرة فأحضر من دار الخلافة شيئا كثيرا من الذهب و الحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة لعنة الله عليهم وغيرهم من المنافقين على هولاكو قان أن لا يصالح الخليفة وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاما أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك وحسنوا له قتل الخليفة فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ويقال : إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والنصير الطوسي وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الألموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية وكان النصير وزيرا لشمس الشموس ، ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين وكانوا ينتسبون إلى نزار بن المستنصر

العبيدي وانتخب هولاكو قان النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير فلما قدم هولاكو قان وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزيران ذلك فقتلوه رفسا وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم وقيل: بل خنق ويقال : غرق فالله أعلم . فباؤوا بإثمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولي الحل والعقد ببلاد بغداد.

وقد كان رحمه الله سنيا على طريقة السلف واعتقاد الجماعة كما كان أبوه وجده. ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ومحبة للمال وجمعه. ومن جملة ذلك أنه غل الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المعظم وكانت قيمتها نحوا من مئة ألف دينار ، فاستقبح هذا من مثل الخليفة وهو مستقبح ممن هو دونه بكثير. بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك كما قال الله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾.

{ أقول : ولا أدري الحقيقة كيف يكون على طريقة السلف ، من يغل الوديعة ، ويتلهى براقصة ودولة الإسلام تسقط !! أي سلف هؤلاء الذين كان مثل هذا الخليفة الساقط على طريقتهم ؟!}..

ويتابع ابن كثير رحمه الله:

قتلته التتار مظلوما مضطهدا في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة وله من العمر ستة وأربعون سنة وأربعة أشهر وكانت مدة

خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما فرحمه الله وأكرم مثواه وبل بالرحمة ثراه وقد قتل بعده ولداه وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه.

{ وما أدري من ظلم هذا المظلوم أيضا ؟ هل هم التتار ، أم هو الظالم لنفسه ورعيته ؟! .. وسبحان ربنا القائل: ﴿ فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:40) }.

ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ و الكهول والشبان.

ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم في الأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون وكذلك في المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي وطائفة من التجار أخذوا لهم أمانا بذلوا عليه أموالا جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم وعادت بغداد بعدما كانت آنس

المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس وهم في خوف وجوع و ذلة وقلة.

وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط أسهمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مئة ألف مقاتل منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف. ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك و جلى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعا منه أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضية وأن يقيم خليفة من الفاطميين وأن يبيد العلماء والمفتين والله غالب على أمره وقد رد كيده في نحره وأذله بعد العزة القعساء وجعله حوشكاشا للتتار بعدما كان وزيرا للخلفاء واكتسب إثم من قتل بمدينة بغداد من الرجال والنساء والأطفال فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين فقيل: ثمانمائة ألف وقيل : ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحا وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفا قبره وكان عمره يومئذ ستا وأربعين سنة

وأربعة أشهر ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة و مريم وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل ، والله أعلم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقتل أستاذدار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وكان عدو الوزير وقتل أولاده الثلاثة وعبد الرحمن وعبد الله وعبد الكريم وأكابر الدولة واحدا بعد واحد منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وشهاب الدين سليمان شاه وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد.

وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجماعات و الجمعات مدة شهور ببغداد وأراد الوزير ابن العلقمي قبحه الله ولعنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرفض وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون علمهم وعلمهم بها

وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة وأتبعه بولده فاجتمعا – والله أعلم – بالدرك الأسفل من النار.

ولما انقضى أمد الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان المطامير والقني والمغاير كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم وقد أنكر بعضهم بعضا ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا ولحقوا بمن سبقهم من القتلى واجتمعوا في البلى تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

وكان رحيل السلطان المسلط هولاكو قان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فلم يمهله الله ولا أهمله بل أخذه أخذ عزيز مقتدر في مستهل جمادى

الآخرة عن ثلاث وستين سنة وكان عنده فضيلة في الإنشاء ولديه فضيلة في الأدب ولكنه كان شيعيا جلدا خبيثا رافضيا ، فمات كمدا وغما وحزنا وندما إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم فولي بعده الوزارة ولده عز الدين أبو الفضل مُحَمَّد فألحقه الله بأبيه في بقية هذا العام ولله الحمد والمنة.

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق ، وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام فالله أعلم.

{ وتأمل في حال جيران الكارثة من الأمراء ..!! }

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل بن أبي بكر بن العادل الكبير ، وكان في جيشه جماعة من أمراء البحرية منهم ركن الدين بيبرس البندقداري فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال وأسروا جماعة من رءوس الأمراء فقتلوا صبرا وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنعها وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جيشا ليكفهم عن ذلك فكسرهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو

فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حروب وخطوب يطول بسطها ، وبالله المستعان.

وفي سنة 657هـ :

استهلت هذه السنة وليس للمسلمين خليفة. وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز مُحَمَّد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر فاتح بيت المقدس وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أيبك التركماني ولقبوه بالمنصور وقد أرسل الملك الغاشم هولاكو قان إلى الملك الناصر بدمشق يستدعيه إليه فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة وتحف فلم يحتفل به هولاكو وغضب على أبيه إذ لم يقبل إليه وقال : أنا الذي أسير إلى بلاده بنفسي فانزعج الناصر لذلك وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا حين بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات فصار كثير منهم إلى الديار المصرية في زمن الشتاء ومات كثير منهم ونهب آخرون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأقبل هولاكو فقصد الشام بجنوده وعساكره وقد كانت ميافارقين قد امتنعت على التتار مدة سنة ونصف، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسرا واستنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل

فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض مماليك الأشرف وطيف برأس الكامل في البلاد ودخلوا برأسه إلى دمشق فنصب على باب الفراديس.

وتأمل في فرج الله وأسبابه وفي النهضة وبداياتها وكيف تكون !

وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها وقد جاز أشموط بن هولاكو الفرات وقرب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام. وأفاضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند وكانت العمدة على ما يقوله { سلطان العلماء } العز بن عبد السلام فكان حاصله:

إذا لم يبق في بيت المال شيء وأنفقتم الحوائص الذهب وغيرها من الزينة وتساويتم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس في دفع الأعداء ، لأنه إذا دهم العدو وجب على الناس كافة أن يدفعون بأموالهم وأنفسهم.

ولاية الملك المظفر قطز:

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز علي ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد فأمسكه وسيره مع أمه وابنيه وإخوته الى بلاد الأشكري وتسلطن هو ، وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين. فإنه الذي يسر على يديه كسرة التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وهذا الذي اعتذر به قال: لابد للناس من سلطان قاهر يقاتل التتار ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة.

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطأة برزة في جحافل كثيرة من الجيش والمطوعة والأعراب وغيرهم ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول ، ارفض ذلك الجمع ولم يصبر لا هو ولا هم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي سنة 658 هـ :

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة، وملك العراقين وخراسان وغير ذلك من بلاد المشرق للسلطان هولاكو قان ملك التتار ابن تولي بن جنكيزخان ، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز مملوك المعز أيبك التركماني، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي بن الناصر فاتح القدس وبلاد

الكرك و الشوبك للملك المغيث بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وهو حزب مع الناصر صاحب دمشق على المصريين، و معهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، وقد عزموا على قتال المصريين وأخذ البلد منهم !!

أخذ التتار حلب ودمشق:

وبينما الناس على هذه الحال، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام، إذ دخل جيش المغول صحبة ملكهم هولاكو، وجازوا الفرات على جسور عملوها ووصلوا إلى حلب في ثاني صفر من هذه السنة، فحاصروها سبعة أيام، ثم افتتحوها بالأمان ، وغدروا بهم ، فقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل، ونهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريب مما جرى على أهل بغداد فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزة أهلها أذلة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وامتنعت عليهم قلعتها شهرا، ثم تسلموها بالأمان وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة، وبقيت حلب كأنها حمار أجرب، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين ،وكان عاقلا حازما لكنه لم يوافقه الجيش على المصالحة ولكن تسرعوا وكان أمر الله قدرا مقدورا. وقد كان السلطان هولاكو أرسل إلى أهل البلد يقول لهم حين قدم بجحافله: نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق، ونحن نريد منكم

أن تجعلوا بالقلعة شحنة، فإن كانت النصرة لنا فالبلاد كلها في حكمنا، وإن كانت علينا فإن شئتم قبلتم الشحنة وإن شئتم أطلقتموه. فأجابوه: مالك عندنا إلا السيف. فتعجب من ضعفهم وجوابهم بهذا فزحف حينئذ إليهم وأحاط بالبلد وكان ما كان بقضاء الله وقدره ، ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماة بمفاتيحها إليه فاستناب عليها رجلا من العجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له: خسروشاه. فخرب أسوارها كما فعل بمدينة حلب.

وأرسل هولاكو وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كتبغانوين. فوردوا دمشق في آخر صفر، فأخذوها سريعا من غير ممانعة ولا مدافعة، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة، وقد كتب معهم السلطان هولاكو فرمان أمان لأهل البلد، فقرئ بالميدان الأخضر ونودي به في البلد، فأمن الناس على وجل أن يغدروا كما فعل بأهل حلب هذا والقلعة ممتنعة مستورة، وفي أعاليها المجانيق منصوبة، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها وخربوا حيطانا كثيرة، فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ففتحوها وخربوا كل بدنة فيها، وقتلوا المتولى بها وسلموها إلى أمير منهم يقال له: إيل سبان.

وكان لعنه الله معظما لدين النصارى فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم فعظمهم جدا وزار كنائسهم، فصارت لهم دولة وحولة

وصولة بسببه لعنهم الله تعالى، وذهبت طائفة من النصارى إلى هولاكو بهدايا وتحف وقدموا من عنده ومعهم أمان؛ فرمان من جهته، ودخلوا البلد من باب توماء ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس، وهم ينادون بشعارهم ويقولون ظهر الدين الصحيح، دين المسيح.

ويذمون دين الإسلام وأهله ومعهم أواني فيها خمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس، ويأمرون كل من يجتازون به في والأسواق والطرقات أن يقوم لصليبهم، ودخلوا من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان، ورشوا عنده خمرا وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير واجتازوا في السوق حتى وصلوا إلى درب الريحان أو قريب منه فتكاثر عليهم المسلمون، فردوهم إلى سوق كنيسة مريم، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفه السوق هنالك، فذكر في خطبته مدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم ولجوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم، وكانت بعد عامرة ولكن كان هذا سبب خرابها ولله الحمد.

قال: وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخمر، وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها، فكفى الله شرهم. ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا

القلعة يشكون هذا الحال إلى متسلمها إيل سبان، فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد كان في أول هذه السنة سلطان الشام الناصر بن العزيز، قد أقام في وطأة برزه ومعه خلق كثير من الجيوش و الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم وكان ممن معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية و الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة، لما يريده الله عز وجل.

وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الملك الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر علي، فلما تنسم الناصر ذلك هرب إلى القلعة المنصورة وتفرقت العساكر شذر مذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري في أصحابه إلى ناحية غزة فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه، وأقطعه قليوب، وأنزله بدار الوزارة ، وعظم شأنه لديه وإنما كان حتفه على يديه.

وقعة عين جالوت 27 رمضان 658هـ :

واتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة، فما مضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت البشارة بنصرة المسلمين على التتار بعين جالوت ولله الحمد، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب

مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة وقد عزموا على الدخول إلى الديار المصرية وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر وليته فعل. وكان في صحبته الملك المنصور صاحب حماة، وخلق من الأمراء وأبناء الملوك، وقد وصل إلى قطية، وتهيأ الملك المظفر للقائه وأرسل إليه وإلى المنصور مستحثين ، وأرسل إليه يقول: تقدم حتى نكون كتفا واحدا على التتار.

فتخيل من ذلك وخاف أن ينتصر عليه ، فكر راجعا .. وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه وأسروه عند بركة زيزاء وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكو وهو نازل على حلب فكانوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية، كما سنذكره.

والمقصود أن المظفر لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى الديار المصرية بعد تمهيد مملكتهم بالشام بادرهم هو قبل أن يبادروه وبرز إليهم أيده الله تعالى وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه فخرج بالعساكر المصرية وقد اجتمعت الكلمة عليه، حتى انتهى بمن معه من العساكر المنصورة إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغانوين وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والقاضي مجير الدين بن الزكي في لقاء المظفر فأشاروا بعضهم بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو

فأبى إلا أن يناجزه سريعا فصمدوا إليه فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان فاقتتلوا قتالا عظيما شديدا فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله فهزمهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل كتبغانوين وجماعة من بيته وقد قيل: إن الذي قتل كتبغانوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسي واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع وفي كل مأزق ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر في هذه الوقعة قتالا عظيما وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، وكان أتابك العسكر وقد أسر من جماعة كتبغانوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه واستأمن الأشرف صاحب حمص وكان مع التتار، وقد جعله هولاكو نائبا على الشام كله فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص وكذلك رد حماة إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها وأطلق سلمية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب، واتبع الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب وهرب من بدمشق منهم وكان هروبهم منها يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان صبيحة النصر الذي جاءت فيه البشارة بالنصرة على عين جالوت فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون ويأسرون وينهبون الأموال فيهم،

ويستفكون الأسارى من أيديهم قهرا ولله الحمد والمنن على جبره الإسلام ومعاملته إياهم بلطفة الحسن.

وجاءت بذلك البشارة السارة فجاوبتها البشائر من القلعة المنصورة وفرح المؤمنون يومئذ بصر الله فرحا شديدا ، وأيد الله الإسلام وأهله تأييدا، وكبت أعداء الله النصارى واليهود والمنافقون وظهر دين الله وهم كارهون ونصر الله دينه ونبيه ولو كره الكافرون. فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التي خرج منها الصليب فانتهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيما حولها فاحترق دور كثيرة للنصارى وملأ الله بيوتهم و قبورهم نارا وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة وهمت طائفة بنهب اليهود، فقيل لهم: إنهم لم يكن منهم فيما ظهر من الطغيان كما كان على عبدة الصلبان. وقتلت العامة في وسط الجامع شيخا رافضيا كان مصانعا للتتار على أموال الناس يقال له: الفخر مُحَمَّد بن يوسف الكنجي. كان خبيث الطوية مشرقيا ممالئا لهم على أموال المسلمين قبحه الله تعالى ،وقتلوا جماعة مثله من المنافقين الممالئين على المسلمين.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام:45).

ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح الناس به فرحا شديدا ودعوا له دعاء كثيرا وأقر صاحب حمص الملك الأشرف على بلده

وكذلك المنصور صاحب حماه واسترد حلب أيضا من أيدي التتار وعاد الحق إلى نصابه ومهد القواعد وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار ويتسلم مدينة حلب ووعده بنيابتها فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما واقتضت قتل الملك المظفر قطز سريعا، ولله الأمر.

ذكر سلطنة الملك الظاهر وهو الأسد الضاري بيبرس البندقداري:

وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد بالعساكر قاصدا الديار المصرية فوصل إلى ما بين الغرابي والصالحية، عدا عليه الأمراء، فقتلوه هنالك وقد كان رجلا صالحا ، كثير الصلاة في الجماعة ولا يتعاطى الشراب ولا شيئا مما يتعاطاه الملوك، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذه المنصور علي بن المعز التركماني إلى هذه المدة، وهي أواخر ذي القعدة نحوا من سنة رحمه الله وجزاه عن الإسلام وأهله خيرا.

وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعة من الأمراء على قتله وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى أجهزوا عليه. فاتفقت كلمتهم على أن بايعوا الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ولم

يكن من أكابر المقدمين فيهم ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ولقبوه الملك الظاهر فجلس على سرير المملكة وجلس على كرسيها وحكم فعدل وقطع ووصل وكان شهما شجاعا أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت الشديد والأمر العسير. ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك كما يريد والله على كل شيء شهيد.

وقد كان السلطان هولاكو قان لما بلغه ما جرى على جيشه بعين جالوت أرسل جماعة كثيرة من جيشه إلى بلاد الشام ليستعيدوه من أيدي جيش الإسلام فحيل بينهم وبين ما يشتهون ورجعوا إليه خائبين خاسرين وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكاسر والسيف الباتر السلطان الملك المؤيد الظاهر فقدم إلى دمشق وأرسل الجيوش من كل جانب لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة التامة والجحافل فلم يقدر التتار على الدنو إليه، ولا القدوم عليه فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم وكرت راجعة القهقرى على أذنابها والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتكمل المسرات في هذه الحياة الدنيا وبعد الممات.

وفي سنة 660 هـ :

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لإخوانهم رواتب كافية.

وفي هذه السنة أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا وضاقت بها الأقوات.

وفيها وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة ابن عمه وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيبا مما فتحه من البلاد على ما جرت به عادتهم، فقتل رسله فاشتد غضب بركة وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاكو.

وفي سنة 661هـ :

وفيها التقى بركة خان و هولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة، فاقتتلوا فهزم هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي، وهرب هو في شرذمة قليلة من أصحابه، ولله الحمد. ولما نظر بركة خان إلى كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضا، ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكزخان؟! ثم أغار بركه

خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة وتحفا كثيرة هائلة.

وفي سنة 662هـ:

وفيها قدمت رسل الملك بركة خان إلى الملك الظاهر، ومعهم الأشرف بن شهاب غازي بن العادل، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاكو وأهله.

وفيها قدم نصير الدين الطوسي إلى بغداد من جهة السلطان هولاكو خان، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد وأخذ كتبا كثيرة من سائر المدارس، وحولها إلى الرصد الذي بناه بمراغة، ثم انحدر إلى واسط والبصرة.

وفيها استحضر الملك هولاكو خان ملك التتار الزين الحافظي، وهو سليمان ابن المؤيد بن عامر العقرباني المعروف بالزين الحافظي وقال له: قد ثبت عندي خيانتك. وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وآذاهم، ودل على عوراتهم، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات و المثلات، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ وفي الجملة من أعان ظالما سلط عليه، فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الظالمين جميعا، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده.

وفي سنة 663هـ:

فيها جهز السلطان الملك الظاهر عسكرا جما كثيفا إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة، فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قد أقبلت تولوا على أعقابهم منهزمين، والحمد لله رب العالمين، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد بها والخوف، فعمرت وأمنت ولله الحمد.

وفي هذه السنة هلك هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيزخان:

ملك التتار بن ملك التتار بن ملك التتار، وهو والد ملوكهم، وقد كان ملكا جبارا عنيدا قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، وسيجازيه على ذلك شر الجزاء، كان لعنه الله، لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت، وكانت تفضل النصارى، وكان، لعنه الله، يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة عنده لهم وجاهة ومكانة، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وممن توفي فيها من الأعيان.

السلطان بركة خان بن تولي بن جنكزخان بن خاقان وهو ابن عم هولاكو، وقد أسلم بركة خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين، ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريقه جنوده، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئا كثيرا، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته، وهو منكوتمر بن طغان بن باتو بن تولي بن جنكزخان، وكان على طريقته ومنواله، ولله الحمد. اهـ.

(انتهى النقل الملخص عن ابن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى.)

ولم تنته تماما مصيبة التتار بذلك ، إذ تتابعت غاراتهم ، وعظم البلاء بهم في مشرق بلاد المسلمين ، وإلى بلاد الشام في زمن تيمورلنك، أحفاده ، إلى أن انتصر المسلمون عليهم ، وارتدوا إلى بلادهم وقد فشا الإسلام فيهم ، وأقاموا ممالك تترية وسط آسيا وامتدت فتوحاتهم حتى شملت معظم شمال وشرق آسيا ، وهكذا فتحوا البلاد بالإسلام بعد أن فتحهم دين الله وغزا قلوبهم ، في ظاهرة تاريخية فريدة حيث اتبع الغالب دين المغلوبين.

تعليقات وملاحظات سريعة على مسار التاريخ الإسلامي منذ بني أمية وإلى قيام الدولة العثمانية

إن المتتبع لمسار تاريخ الدول والممالك الإسلامية وقد قدمنا نبذة مختصرة عنها ، يخرج بنتيجة واضحة ، وهي أن مثل هذا المسار ، ومثل هذا المسلك ، من الحكام أولا ، ومن علمائهم ثانيا ، ومن الرعية ثالثا .. ما كان له بموجب السنن الشرعية والقدرية ، وكذلك العقلية والمنطقية و بحكم سنن السياسة ، وصراع البقاء بين القوى ..، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النتيجة التي أسفر عنها ..

ولكن ، يخشى على من يقرأ التاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له. وخاصة تلك المعاصرة التي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين ، وتلاميذ المستشرقين. يخشى على القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإسلامي المجيد. فيظن أن كل ملوك وأمراء المسلمين ، كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم ، فساقا عابثين ، لاهين بالقيان والجواري ، منصرفين إلى المجون ، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم ..!

وأن كل أو جل علماء المسلمين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم، قاعدين عن الأمر والنهي والجهاد ، مصطفين على أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا ..!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال .. فسقة على دين ملوكهم .. لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يدافعون في سبيل الله ..

ومثل هذا الاستنتاج مغاير لحقيقة تفاصيل الواقع ، وإن كان ما روينا ملخصا عن كتب التاريخ صحيح في مجمله ، وأكبر شاهد على صحة ذلك ، النتيجة السوداء التي آلت إليها أحوال الأمة في نهاية ذلك الانحلال .. وهي الجذور التاريخية لما نعاني منه اليوم من بلايا مخزية.

ومما يجب أن ينتبه إليه من يقرأ التاريخ الإسلامي في الكتب المعاصرة، أو في كتب المناهج الدراسية المعتمدة في معظم أو كافة بلاد المسلمين. أن معظم هذه الكتابات قد خطتها أقلام علمانية من تلاميذ المستشرقين أو الذين تربوا ودرسوا على أيديهم. وقد نهجت هذه الكتب نهجا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا. ولتشويه تاريخ جهاد أجدادنا العظام ومن مختلف مكونات النسيج العرقي لأمم الإسلام عربا وغير عرب. وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكونات.

وأذكر مما درسنا في الراحل الدراسية المختلفة مما كتبه الكتاب القوميون العرب ، كميات هائلة من ذلك الدس والتزوير، مما يضيق المجال هنا عن نقل شواهده. كما أذكر على سبيل المثال على ذلك.

أنني عندما درست في (كلية قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية) درسنا في مناهجنا غرائب كثيرة ، منها أن الذين وضعوا المناهج قد قسموا تاريخنا الإسلامي إلى ما أسموه (الدولة العربية - وتشمل الدولة النبوية ودولة بني أمية -) ثم (الدولة الفارسية - وتشمل صدر العصر العباسي -) ثم (الدولة التركية — وتشمل باقي العصر العباسي -) ثم تاريخ بعض الممالك المستقلة. كما صنفوا الدولة العثمانية على أنها (الإحتلال العثماني للبلاد العربية). كما عرضوا الفتح الإسلامي منذ الدولة النبوية وما تلاها على أنه استدراج سياسي وليس كما حقيقته منهج دين وتكليف شرعي لنشر الدين العالمي وآخر الرسالات للعالمين. كما درسنا من تاريخ أوربا مثل أو أكثر مما درسونا عن تاريخنا .. ، هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعلماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم ، ومن الأعلام أمثال الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته) .. والأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس على سير الخلفاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة .. وغير ذلك كثير. وأما التزوير المتعمد بسبب الهوية القومية للجامعة وعلمانيتها .. فحدث ولا حرج عن العبث الرخص بتاريخ المسلمين وحضارتهم

وتقييم مناهجهم ورجالهم .في مخطط مدروس للغزو الفكري ليس هنا مجل تناوله.

وأما اليوم وفي ظلال حرب الأفكار التي تشنها علينا الحملات الصليبية الأمريكية بقيادة (بوش ، و رامسفيلد ، وكونديليسا رايس ..) وتنفيذ (منظمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المسلمين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم كليا وسلخهم من تاريخهم كليا.. ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التاريخ والتمحيص في هوية كاتبيها ومن وراءهم.

ولكن وحتى تكون الصورة متكاملة وصحيحة وشاملة فيما لخصت آنفا من تاريخنا الإسلامي ، يجب أن نذكر أيضا الوجوه المشرقة للحضارة والتاريخ الإسلامي الذي تركت خيراته بصماتها على جبين البشرية.

وبذلك نفهم منطق السنن المختصر في قواعد وسنن ثابتة ، تفسر لنا أسباب القوة والانتصارات الكثيرة ، وأسباب الضعف وتسلط الأعداء والهزائم المنكرة التي مرت وما تزال علينا. من قبيل ما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:7)

وكما قال عز من قائل:

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (طه: 124-126).

وغير ذلك في كتاب الله من السنن والقوانين الربانية الكثيرة .. المبينة المفصلة في سنة رسول الله ﷺ ، ومن ذلك قوله :

(يا معشر المهاجرين: خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن :

- **ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.**
- **وما نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.**
- **وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.**
- **ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.**
- **وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل بأسهم بينهم شديدا).**

وليس هنا مجال استقصاء تلك الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التاريخ وقيام الممالك وزوالها.

فعلينا حتى نفهم هذه السنن من أن أجل أن نحترمها ونعمل بأحسنها. ونتحرك على بصيرة من هدي ربنا.

وفي النهاية على كل من نكص عن شريعة الله واتخذ أوامره ظهريا ، أن يفهم قوله تعالى لبني إسرائيل لما عصوا الله ورسله وأدركتهم العقوبة : ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ (الإسراء:8) . فليس بين الله وأحد من خلقه نسب ولا صهر ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى: 40).

وأهم الملاحظات التي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التالية:

أولا: أن شريعة الله تبارك وتعالى ، كانت هي المرجع المحترم من كل طبقات الحاكمين والمحكومين. في كل تلك الممالك والمجتمعات. وكانت هي الحاكم عليهم جميعا. وكانت هي دستور الدولة الأعلى. ومصدر جميع قوانينه التفصيلية. فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم ، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير ، الذي كان أصحابه — حكاما ومحكومين – يعرفون أنهم مقصرون آثمون. ولم يدخل التبديل والتغيير على شرع الله على وجه التشريع والحكم بغير ما أنزل الله ،

زهدا بشريعة الله أو تفضيلا لغيرها عليها ، أوجودا لأحكامها ، أو للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها ، إلا متأخرا ، في الربع الأخير من الدولة العثمانية كما سنرى في استعراض تاريخها. أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة التي قامت أصلا على المروق عن دين الله كما كان من الدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في المغرب ومصر ثم الشام، وتأسست أساسا على الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب الباطلة ، وقد حكم علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدين. وكذلك ما حصل من بعض ملوك التتار الذين ادعوا الإسلام ، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان التي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق) ، وقد مر التعريف بهمثا تيمور لنك وأحفاده .. فهي ليست شاهدا على ما نحن بصدده من الممالك التي اعتورها الإنحراف، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله ، فلم يجاوز الإنحراف الظلم والفسق ، إلى المروق والكفر كما حصل لاحقا. وإن كانت تلك الممالك والدول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن ، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها.

ثانيا : أن الغالبية العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين ، وحتى أشدهم فسادا ، وفسوقا وصراعا على الملك ..، كانوا مجاهدين لأعداء الإسلام من الكفار دفعا وطلبا. وخاصة في الدفع عن أراضي

المسلمين وأنفسهم وحرماتهم ، وقد مر معنا في الاستعراض شواهد عديدة .. وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية ، وكذلك من بني العباس ، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة. فالحمدانيون – رغم كونهم من الشيعة– ، ورغم ما ابتلوا به من البدع والمظالم ، كانوا ممن جاهد الروم وأبلوا بلاءا حسنا ..، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم على الخلفاء وعلى الرعية ، وقفوا سدا منيعا في وجه الروم ، وكان لهم المشاهد العظيمة ، والأتابكة الزنكيون وملكهم الصالح نور الدين رحمه الله .. ثم الأيوبيون ومؤسس دولتهم المجاهد الناصر صلاح الدين كذلك .. وغيرهم ، وحتى بيبرس المملوكي الذي قتل أمير المسلمين إثر النصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة. وكان بعد ذلك ظلوما غشوما جبارا ..، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده سبعا وعشرين عاما ، جاهد فيها الروم والتتار وهم بنو عمه ، وجاهد الصليبيين حتى أجلاهم من أكثر البلاد. ثم تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتى أنجزوها ..، وقل مثل ذلك عن باقي الممالك من الغزنويين وملكم الصالح محمود سبكتكين .. والسلاجقة وسلطانهم المجاهد (ألب أرسلان) .. والغوريين والمغول المسلمين في آسيا والهند ..، وعن ممالك شمال إفريقيا من الأغالبة الفاتحين المجاهدين في تونس، إلى المرابطين والموحدين في المغرب ... إلى حيث قامت للإسلام مملكة ...

ولم يخرج إلى خندق القعود والخيانة ، والعمالة للعدو إلا أفراد من المتأخرين من تلك الممالك ، كما كان من الملك الطالح (الصالح إسماعيل الأيوبي) الذي حالف الصليبيين ، وبعض (ملوك الطوائف في الأندلس).. وغيرهم ، ممن سجل التاريخ لعناته عليهم .. وأكثرهم خلع من قبل أسرته أو ممن جاوره من الممالك. وعدت فعلتهم منكرة من الحكام والعلماء والرعايا في ذلك الزمان ..

ثالثا : أن معظم علماء المسلمين المرموقين المشاهير ، كانوا إما من أهل العزائم ، فاحتسبوا على الملوك والأمراء ، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ..، وقد سجل التاريخ قصصا رائعة تكتب بماء الذهب ، وأحرف النور ، منذ ظهر الملك في بني أمية ، وحتى زمن قريب .. وقائمة أسماء هؤلاء السلف الصالح طويلة تزخر بالمآثر. وإما لم يكونوا من أهل العزائم ، فاعتزلوا القصور ومن فيها، واعتزلوا مسائل الحكام وتفرغوا للعلم والزهد .. ولم يتمرغوا في أوحال النفاق للسلاطين ..، ولم يشذ عن ذلك من العلماء المرموقين، إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدنيا ، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعلماء ..، ولم نبتلى بفساد العلماء عامة إلا قليلا جدا ممن عصم الله ، كما في زماننا هذا إلا في أوقات متأخرة من تاريخنا الطويل. كما كان العلماء قدوة في الجهاد ، ولاسيما في الأزمات والنوازل الكبرى ، فكانوا يخرجون للغزو دفعا وطلبا مع أئمة المسلمين برهم وفاجرهم ضد

أعداء المسلمين من الكفار. وذلك قبل أن يظلنا زمان الدشوش ، وتتدلى الكروش ، وتسعى كرام العمائم واللحى خلف القروش والحشوش ..

رابعا : أن غالبية فساق الأمراء وطغاتهم وحتى الجبارين منهم ، ممن عرفوا بالبأس والقسوة ..، كانوا إذا وُعظوا من قبل العلماء وأهل الحسبة ، والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ..، اتعظوا وخشعوا ، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمة أو زلة ، حتى وإن عادوا إلى قبيح أعمالهم. فقد كان للدين على أنفسهم سلطانا . وللعلماء الصادقين – حتى ممن وقفوا لهم بالمرصاد — احتراما وهيبة. وقد جمعوا إلى هذه المزية الخيرة ، رغم طغيانهم وفسوقهم ، وصراعهم على الملك ، ومظالمهم ..، جمعوا لذلك حب الخير ، والصدقات والإحسان ، ومختلف وجوه البر والخير .. ليكفروا عن غيهم ، و لأصالة في معدنهم ..، فبنوا المساجد ، والتكايا ، وأوقفوا الأوقاف في مختلف وجوه الخير ... إضافة إلى جهادهم، وحكمهم أساسا بشريعة الله.

خامسا: أن غالبية الرعايا من المسلمين كانوا على أصل الصلاح واحترام الدين ..، وكانوا تبعا للعلماء الصالحين. مآزرين لهم في مواقفهم . مما شجع العلماء على النهوض في كثير من الأحيان. وكانوا يخرجون للجهاد والنفير وثغور الرباط ..، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرا ..، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في

الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان ..، ونسال الله السلامة.

سادسا : أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك ، وأن راية الإسلام والصلاح والعزة ، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة ، والمكونات المتعددة لنسيج الأمة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك ..إلخ. وأنه كلما ضعف الإسلام في مكان،كان ينهض في آخر .. وكان آخر الشواهد قيام الدولة العثمانية التي حفظت رمزية الخلافة الجامعة للمسلمين ..، بعد أن تولى من سبقهم ، فاستبدلهم الله بغيرهم.

سابعا : أن معجزة الرسول الخالدة في إخباره ﷺ، أن طائفة مجاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة:

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ ، أنه قال:

(لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) رواه مسلم. وعن معاوية يرفعه أيضا: **(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة)** رواه مسلم.

وفي رواية عنه أيضا : **(لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس ، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم)** رواه ابن ماجة.

وهكذا بقيت وما زالت الطائفة المنصورة ، طائفة الجهاد والدفع هذه قائمة تجاهد على مر العصور . وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة.

وشواهد ما أسلفت من الملاحظات في كتب التاريخ كثيرة جدا، لعل الله يوفقنا لذكر طرف منها في كتاب منفصل عن تاريخنا المجيد ونوادره الرائعة ، وكنت أود أن أنقل أطرافا من ذلك هنا مما جمعته ، ثم عدلت عن ذلك خشية أن يطول بنا المقام عن المقصد من هذه النبذة التاريخية في سياق هذا الكتاب.

وبالخلاصة :

فقد أدت (**مورثات الصلاح الكامنة في الأمة**) في الحكام والعلماء والمحكومين على مر تلك العصور.. إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأمة ..، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنا .. ، ولقد تحطمت على صخور دول الإسلام الصامدة كل الهجمات العاتية التي تكسرت موجاتها عليها .. وبقي الإسلام شامخا، وبقي المسلمون أعزاء ..، وكانت كل دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد ..

إلى أن استهلت العقود الأخيرة منذ القرن العشرين ، وبدأت الغالبية من جموع الأمة حكاما ومحكومين..تنسلخ عن شريعة ربها ..

ونجحت مؤامرات العدو في سلخهم عن دينهم ، اعتقادا وتطبيقا إلا في الأقلية ممن رحم الله .. فبدأ يحل بنا ما نشاهد اليوم من الانهيار الذي لم يشهد له تاريخنا مثيلا ، حيث أصبح الغزاة يقاتلون الأمة بأبنائها والمنتسبين (إسما) إليها .. وهذا ما سنفصل أسبابه وشواهده في الفصول القادمة إن شاء الله. ونبحث عن الحلول له، عساها تنفع الطائفة المنصورة، وعسانا نكون منهم إن شاء الله.



عود على بدء ..

ونستأنف من حيث وصلنا في استعراض موجز عن تاريخنا ، بعد أن استعرضنا أهم الغارات التي تعرض لها عالمنا الإسلامي في تاريخنا القديم وهي الحملات الصليبية وغارات المغول ... وكنا قد عرضنا للدول المستقلة، بعد ذكر نبذة عن تاريخ الدولة النبوية، وخلافة الراشدين ، والدولة الأموية والدولة العباسية ..

وفي بدايات القرن العاشر الهجري ، ومطلع السادس عشر الميلادي. كان (آل عثمان) أحفاد السلاجقة في هضبة الأناضول ، قد نهضوا وأسسوا مملكة ، اتسعت من غرب الأناضول شيئا فشيئا ، وتحولت إلى سلطنة قوية ، وتمكنت من فتح القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين سنة (1453 ميلادية) ، مما أحدث نقلة تاريخية عالمية، حيث عدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.

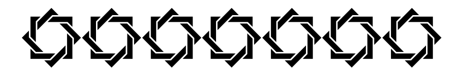
وبعد أن فتح العثمانيون القسطنطينية تحركوا شمالا وغربا في أوربا، وفتحوا بلاد القرم ومحيط البحر السود وبلاد القفقاس وأوربا الشرقية وبلاد البلقان، ووصلوا إلى وسط النمسا وشمال إيطاليا.! كما تحركوا جنوبا ، وبسطوا سيطرتهم على بلاد الشام والعراق ومصر ، والحجاز واليمن ، ثم وسط شمال إفريقيا.. وأكثر جزر البحر المتوسط .. وبعد

فتحهم مصر ، نقلوا إليهم الخلافة ، وتسلموها من آخر الخلفاء الرمزيين لبني العباس الذين كانوا في القاهرة في كنف دولة المماليك سنة (922هـ). ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها ، وحملت راية الجهاد دفعا وطلبا في مواجهة دول وممالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القسطنطينية. ومهما كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية ، إلا أن مما لا شك فيه أنها كانت امتدادا لدولة الإسلام ورايته وحضارته. وامتدادا لمسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولت العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوربية سنة 1924م.

ولأهمية هذه الحقبة من تاريخ المسلمين الحديث ، بل وتاريخ الصراع حامي الوطيس بين المسلمين والروم المعاصرين (الدول الأوربية) نعرض أيضا لنبذة عن تاريخ الدولة العثمانية. حيث سنتوسع فيه بعض الشيء (80 صفحة تقريبا) اختصرت فيها مئات الصفحات من مصادرها ، لأنه يمثل المراحل الأولى للصراع الحديث بين المسلمين والدول الأوربية. كما يشكل بدايات لنشوء النظام الدولي الحديث القائم على نظام صراع المصالح والأحلاف الدولية.

حيث سيرى القارئ أن ما نعيشه اليوم من حبائل الدول الرومية الحديثة المتعددة : (أوربا وروسيا وأمريكا) ما هو إلا تكرارا لما جرى خلال القرنين الماضيين ، حيث يزخر ذكر ذلك التاريخ – الذي يعيد

نفسـه الآن – بـدروس كثيرة بالغـة الأهميـة للطليعـة القياديـة الـتي سـتقود جهادنا الحالي والقادم بعون الله.



الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية

مختصر تاريخ الدولة العثمانية[38]

(1300– 1924 م)

مؤسس هذه الدولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى.

فقد قام أرطغرل أواسط القرن السبع الهجري بنصرة الملك علاء الدين سلطان على خصومه في قونية ، وهي إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان ملك شاه في 15 شوال سنة 485هـ / 1092م.

---

[38] كما أسلفت في بداية فصل التاريخ فقد اعتمدت في كتابة مختصر تاريخ الدولة العثمانية على كتاب (تاريخ الدولة العثمانية) – باختصار وتصرف وإضافات – لكاتبه (فريد بك المحامي). وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة 1910. ويتضح فيه نفسه الماسوني , وحقده على السلطان عبد الحميد رحمه الله , ونفسه الشعوبي التركي, وتأييده لجمعية الإتحاد والترقي اليهودية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف. ولم يؤثر نفس الكاتب على موضوعيته كثيرا إلا في تأريخه لمرحلة السلطان عبد الحميد وصراعه مع الماسون. وتأريخه للمراحل الأخيرة منذ بدأ نشاط الماسون. وأما ما سبق من مراحل فنفس الكاتب فيها موضوعي نسبيا ومقبول وغزير المعلومات في تاريخ العثمانيين الذي أبدى الكاتب ولاء كبيرا لدولتهم.
وآسف لأني لم أجد الوقت لإصلاح اللكنة الأعجمية في أسلوب كتابة الكاتب المنقولة من القرص المدمج – إلا قليلا – ولعلي أفعل ذلك في نسخة تالية إن شاء الله.

فكافأه الملك علاء الدين على مساعدته له بإقطاعه عدة أقاليم ومدن. ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما في مقدمة الجيوش.

- **(1) – السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300–1317م):**

ولما توفي أرطغرل سنة 687 هـ الموافقة سنة 1288 م ، عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية.

وفي سنة 1300م تقريبا الموافقة سنة 699 هـ ، أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين بقونية وانفتح المجال لعثمان فاستأثر بالأراضي المقطعة له ولقب نفسه باد شاه آل ثم أخذ في توسيع دائرة أملاكه.

ثم أرسل إلى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الإسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم إليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار. وبعد أن انتصر على التتار عاد مسرعا لمحاصرة مدينة بورصة سنة 717 هـ الموافقة سنة 1317م. حيث أسلم حاكمها أفرينوس وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العثمانيين. وعقب ذلك بقليل مات عثمان بعد أن أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده.

- **(2) – السلطان الغازي أورخان الأول (1317– 1360م):**

كان أول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة إلى مدينة بورصة.

أرسل إليه ملك الروم بالقسطنطينية سنة 1355م وفدا يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد غارات دوشان ملك الصرب ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان في تجهيز الكتائب سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الأوروبي تكون مركزا لأعمال العثمانيين في أوروبا. وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار جاليبولي عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها ابسالا و رودس وغيرهما.

تأسيس الجيش العثماني المحترف: (الإنكشارية):

وقد عاون أورخان أخوه علاء الدين في الإدارة الداخلية ، وكان من أهم أعمال علاء الدين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيوش المظفرة وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب كل فريق من الجند إلى القبيلة التابع إليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في إيجادها فأشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قرة خليل وهو الذي صار فيما بعد وزيرا أولا باسم خير الدين باشا بأخذ

الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون أبا إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله. ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بنفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الأعداء وقال فليكن اسمهم (يني تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجاري) أي (الجيش الجديد) ثم حرف في العربية فصار (إنكشاري). ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول إلا عليه في الحروب وكان هو من اكبر واهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بما جعلهم سببا في اضطرابات الدولة إلى أن ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية بعد أن قتل اغلبهم 1241م لمقاومتهم إجراءات السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم.

وفي سنة 761 هـ سنة 1360م انتقل توفي السلطان أورخان الغازي وسنه 81 سنة ومدة حكمه 35 سنة بعد أن أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة ودفن في مدينة بورصة.

- **(3) – السلطان الغازي مراد خان الأول (1360–1389م) :**

ومدة حكمه 35 سنة. وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان. أما في أوروبا ففتح مدينة أدرنه في سنة 1361م واستمرت عاصمة للعثمانيين إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية سنة 1453م. وفتح أيضا مدينة فيلبه عاصمة الرومللي الشرقية وفتح أفرينوس بك مدينتي وردار وكلجمينا باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الإمارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لإمارات الصرب والبلغار وألبانيا.

فاستغاث الروم بالبابا فلبى استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الإسلامية.

لم ينتظر أوروك الخامس الذي عين عظيم فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة أدرنة عاصمة الممالك ولم يلبثوا إلا قليلا حتى ولوا الأدبار وكان ذلك في سنة 866 هـ سنة 1363م.

ولما عظم شأن الدولة خشيها مجاوروها خصوصا الضعفاء منهم فأرسلت جمهورية راجوزه في سنة 1365م إلى السلطان مراد رسلا أمضوا معه معاهدة ودية وتجارية تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها

500 دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العثمانيين والدول المسيحية.

وفي سنة 1379م اتحد لازارجر بلينانوفتش الذي تربع على مملكة الصرب. مع سيسمان أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ثم تحققا عجزهما فابرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الأميران خراجا سنويا معينا. وفي ابتداء سنة 1381م ابتدأت الفتوحات ثانيا وأخذت سيرها الأول فألزم السلطان أمير إقليم الحميد بالتنازل له عن بلاده وفتح مدائن موناستر وبرلبه واستيب ووقعت مدينة صوفيا في قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة 1381م إلى سنة 1383م وعقب ذلك فتح الصدر الأعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة. سنة 1389م وانتشب القتال بين الصرب والعثمانيين وبهذه الواقعة المهمة كانت الغلبة للعثمانيين وزال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والروملي والأناضول استقلالها من قبل. وبينما كان السلطان مراد يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندي صربي وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية.

▪ **(4) – السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389– 1402م) :**

اتفق أركان الدولة على توليته وكان له أخ اصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والإقدام وعلو الهمة فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها. وادعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كان بناء على فتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك الزمان منعا لحصول الفتنة بناء على قوله تعالى: (والفتنة أشد من القتل !!). وكانت هذه الفعلة الشنيعة ، أول السنة التي سنها سلاطين العثمانيين لأنفسهم بقتل إخوة السلطان عند توليته ، درءا للفتن بحسب عقولهم السقيمة. – بحسب المؤرخين إن صح الزعم المتواتر عنهم –.

وابتدأ السلطان بايزيد الأول أعماله بان ولى الأمير اسطفن بن لازار ملك الصرب حاكما عليها وتزوج أخته (اوليفيرا) وأجازه بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجيوش الشاهانية وقت الحرب. ولما ساد الأمن في أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (آلا شهر) المعروفة عند الإفرنج باسم فيلادلفيا سنة 1391م وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا. وهكذا صار شرق بحر مرمرة خالصا للعثمانيين.

فلما علم سجسمون ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشي علي مملكته إذ صار متاخما في عدة نقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبا

وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة (دوك بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) ومعه ستة آلاف محارب اغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا ، واستيريا ، وشواليه) والقديس حنا الأورشليمي وكثير من الألمان ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب. فسار إليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن بن لازار) وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقاتلهم قتالا عنيفا. في يوم 23 ذي القعدة سنة 798 هـ ، 27 سبتمبر سنة 1396م كانت نتيجتها انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه وقتل اغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دي نيفر بعد دفع فداء اتفق على هذا.

وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية. ولولا إغارة المغول على بلاد آسيا الصغرى لربما كان تمكن من فتحها لكن الأمور مرهونة بأوقاتها. فاكتفى بإبرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويا من عملة وقتها. وأن يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا لإقامة شعائر الدين الحنيف وأن تقام لهم محكمة شرعية للنظر في قضايا المستوطنين بها منهم.

- **إغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى:**

أغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بأرمينيا ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل انقره. فسقط أسيرا في أيدي المغول هو وابنه موسى وكان ذلك في 19 ذي الحجة سنة 804 هـ 20 يوليو سنة 1402م ، ومات في الأسر.

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة إلى عدة إمارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق ، لان تيمورلنك أعاد إلى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد. واستقل في هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعا للراية العثمانية إلا قليل من البلدان. ومما زاد الخطر على هذه الدولة عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب أحدهم بل كان كل منهم يدعي الأحقية لنفسه فتحالف بعضهم مع الروم ، وبعضهم مع تيمورلنك. إلى أن آل الأمر لأحدهم ويدعى مُحَّد ، وبذلك انفرد بما بقي من بلاد آل.

- **(5) السلطان محمد جلبي الغازي (1410–1421م) :**

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروبا داخلية لإرجاع الإمارات التي استقلت في مدة الفوضى التي أعقبت موت السلطان بايزيد في الأسر. فحافظ على محالفة ملك الروم الذي لولا مساعدته له لخيف على عرى الدولة العلية من الانفصام. ومما يؤثر عن هذا السلطان أنه استعمل الحزم مع الحلم في معاملة من قهرهم. اشتغل بقمع الفتن وترتيب أمور الدولة إلى أن فاجأه الموت في سنة 824 هـ سنة 1421م في مدينة أدرنه فاسلم الروح وعمره 43 سنة بعد أن أوصى بالملك لابنه مراد. واشتهر السلطان محمد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عثماني أرسل الهدية السنوية إلى أمير مكة التي يطلق عليها اسم الصرة. وهي عبارة عن قدر معين من النقود ترسل إلى الأمير لتوزيعه على فقراء مكة والمدينة.

- **(6)– السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م):**

تولى وعمره ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصلح مع أمير القرمان والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لإرجاع من شق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا بتحالف بعض أقربائه مع ملك الروم.

وفي سنة 1430م أعاد السلطان فتح مدينة سلانيك وبعد ذلك أراد السلطان مراد ان يفتح ما بقي من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا الأرنؤود والفلاخ قبل أن يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير. وقد خاض السلطان مراد حروبا كثيرة مع الصرب والبلغار والألبان. وتنازل عن السلطنة لابنه مُحَمَّد ، ليتفرغ للعزلة. وتوفي في 7 فبراير سنة 1451م وسنه 49 سنة ومدة حكمه 30 سنة وتولى بعده ابنه السلطان أبو الفتح مُحَمَّد الثاني.

- **(7)- السلطان الغازي مُحَمَّد الثاني فاتح القسطنطينية (1451- م) :**

وهو سابع السلاطين ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجا عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرومية وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها. وكان إقليم موره مجزأ بين البنادقة وعدة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الإفرنج الذين تخلفوا عن إخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية ، وبلاد الأرنؤود (البوسنة) ، وقد زعم المؤرخون أنه أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد ، وبإرجاع الأميرة مارا الصربية – محظية أبيه - إلى والدها. ثم اخذ يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة.

فتح القسطنطينية (857 هـ – 1453م) :

حاصر السلطان المدينة في أوائل أبريل سنة 1453م من جهة البر بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من مئة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية مدفعية وضع بها مدافع جسيمة صنعها له صانع مجرى شهير اسمه أوربان. وكانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا إلى مسافة ميل. وفي إثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة 52 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﵁. وبعد الفتح بنى له مسجدا جامعا وجرت العادة بعد ذلك أن كل سلطان يتولى يتقلد سيف عثمان الغازي الأول بهذا المسجد.

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبا فلبى طلبه أهالي جنوه وأرسلوا له أسطولا بحريا فأتى بمراكبه فعارضته السفن العثمانية وانتشرت بينهما حرب هائلة، انتهت بفوز أسطول جنوة ودخوله الميناء بعد أن رفع المحصورون السلاسل الحديدية التي وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول إليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت ، فلم تستطع سفن العثمانيين مطاردتها ، فأوصلت المؤن للمدينة. وبعدها اخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برا وبحرا. فخطر بباله فكرة عبقرية. وهي أن

ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الأمر المستغرب بأن مهّد طريقا على البر بمسافة فرسخان أي ستة أميال (10كم) ورصت فوقه ألواح من الخشب صبّ عليها الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو سبعين سفينة بأحمالها ومدافعها .. إلى الطرف الثاني من الخليج في ليلة واحدة !! حتى إذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم. ثم أمر السلطان جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم 20 جماد أول سنة 857 هـ – 29 مايو سنة 1453م. وفي الليلة السابقة لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فهجم مئة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الأسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج واعملوا السيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كان يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الأهالي. ويعتقد الروم حتى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصور المقدسة ، وفي اعتقادهم أن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القسطنطينية ويخرج البطريق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح !!.

وسميت المدينة **إسلام بول** أي **مدينة الإسلام** وجعلت عاصمة للدولة. ونذكر هنا أن المسلمين حاصروا القسطنطينية إحدى عشرة مرة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين للإسلام:

فقد حاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي ﷺ سنة 34 هـ 654م.

وحاصرها يزيد بن معاوية سنة 47 هـ 667 م في خلافة سيدنا علي أيضا.

وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة 52 هـ 672م وفي 97 هـ 715م.

وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وحوصرت أيضا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 121 هـ 739م.

وفي المرة السابعة حاصرها الخليفة هارون الرشيد سنة 182 هـ 798م.

هذا ثم دخل السلطان المدينة فوجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب .. فأصدر أوامره بمنع كل اعتداء ، فساد الأمن حالا ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بأن يؤذن فيها بالصلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين. وبعد تمام الفتح على هذه الصورة أعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين بل أنه يضمن

لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين. وفرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدين فقط.

وبعد إتمام هذه الترتيبات وإعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة:

فقصد بلاد موره لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا إليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السلطان.

وغير وجهته قاصدا بلاد الصرب فابرم أمير الصرب الصلح مع السلطان مُحَّد الثاني على أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة 1454م.

وفي السنة التالية وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر ثم أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة 1458 إلى سنة 1460م.

وفي هذه الأثناء تم فتح بلاد موره ففي سنة 1458م فتح السلطان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس بالولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية.

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الروم.

ثم أغار السلطان م فوصل في أقرب وقت إلى مدينة بوخارست.

وفي سنة 1462م حارب السلطان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهما فدانت له جميع بلاد البشناق وأهالي البوسنة.

وفي سنة 1463م استولوا على مدينة أرجوس وغيرها. ثم بعد هدنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت نتيجتها أن افتتح العثمانيون جزيرة نجربونت وتسمى في كتب الترك اجر يبوس مركز مستعمرات البنادقة في جزائر الروم وتم فتحها في سنة 1470م وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبا حول السلطان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى.

ثم فضل البنادقة أن يبرموا صلحا جديدا مع السلطان ويتنازلوا عن أشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يناير سنة 1479م. وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العثمانية للتدخل في شؤون أوروبا إذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا في التجارة البحرية وما كان يعادلها في ذلك إلا جمهورية جنوا.

فتح جزائر اليونان ومدينة أوترانت:

وبعد أن تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش إلى بلاد المجر.

وفي سنة 1480م فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا وبعدها سار القائد كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بإيطاليا التي كان عزم السلطان على فتحها جميعها ويقال أنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقر البابا. ففتحت مدينة أوترانت عنوة في أغسطس سنة 1480م.

وفي سنة 1481م توفي أبو الفتح السلطان مُحَمَّد الثاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة. ومدة حكم 31 سنة ، تمم في خلالها مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب والبشناق وألبانيا الأرنؤود وجميع أقاليم آسيا الصغرى وم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الذي أنشأه في أحد الجوامع التي أسسها في الآستانة. فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خيرا.

ويروى أنه عمل تنظيمات إدارية كثيرة كان منها. وضع أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنية أي السن بالسن والعين بالعين وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أتمها السلطان سليمان القانوني الذي توسع في التشريعات الوضعية. وعليه — إن صح الخبر - يكون هذا أول السير على طريق الكفر

والبوار وأسباب هزيمة هذه الأمة. فقبح الله — من غير شرائعه – قال تعالى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: 44) .

- **(8) – السلطان الغازي بايزيد خان الثاني(1481– 1512م):**

توفي السلطان أبو الفتح مُحَمَّد الثاني عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما باماسيا ، وثانيهما جم المشهور في كتب الإفرنج باسم البرنس زيزيم وكان حاكما في القرمان .. وحصلت شواشر كثيرة بين الأخوين تدخل فيها البابا وملوك النصارى ، وانتهت بموت الأمير جم مسموما في كنف ملك فرنسا.

لم تحصل فتوحات ذات بال في عهد بايزيد الثاني ، ولكن توسعت العلاقات في عهده بين السلطنة وروسيا وممالك أوربا.

وكان للسلطان ثلاثة أولاد استعجلوا النزاع على السلطنة واستطاع الإنكشارية فرض السلطان سليم في حياة أبيه واتوا به إلى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به إلى سراي السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم 8 صفر سنة 918م 25 أبريل سنة 1512م.. ولم تزد أملاك الدولة العلية في زمن السلطان بايزيد الثاني إلا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء. فكانت حروبه الخارجية

اضطرارية للمدافعة عن الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمي الطباع كارها للقتل.

- **(9) – السلطان سليم الأول الغازي (1512– 1520م) :**

عين سليم الأول الذي لقب بـ (ياوز) أي القاطع ابنه سليمان حاكما للقسطنطينية وسافر بجيوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتى لم يبق له منازع في الملك بعد أن قتل من عثر عليه من إخوته وأولادهم !

ثم عاد إلى مدينة أدرنه حيث كان بانتظار سفراء من قبل البندقية والمجر وموسكو وسلطنة مصر فابرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه إسماعيل الصفوي الشيعي ، الذي بدأت دولته تنمو شرق السلطنة. فقد كان إسماعيل قد فتح ولاية شيروان وجعل عاصمته مدينة تبريز سنة 1501م. وبعدها فتح العراق وبلاد خراسان وديار بكر سنة 1508م. وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد. وفي سنة 1510م ضم إلى أملاكه بلاد فارستان وأذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء النهر. وهكذا تاخمت دولة الصفويين الدولة العثمانية وأراد السلطان سليم إبعادها عنه.

فوقع القتال بين الجيشين في أغسطس سنة 1514م فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا لتفوقها في سلاح المدفعية. وفر الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الأسر وأسرت أيضا إحدى زوجاته ولم يقبل السلطان أن يردها لزوجها ، بل زوجها لأحد كتابه انتقاما من الشاه ! وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورا في يوم 4 سبتمبر سنة 1514م. واستولى على خزائن الشاه وأرسلها إلى القسطنطينية. ثم فتحت الجيوش العثمانية مدائن ماردين وأورفه والرقة والموصل وبذل تم فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم.

فتح مصر انتقال الخلافة إلى العثمانيين:

لم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، بما أن سلطانها قانصوه الغوري كان قد تحالف مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية. وسار بجيشه إلى بلاد الشام فتقابل الجيشان بقرب مدينة حلب الشهباء (حرسها الله وردنا إليها منصورين). فالتقوا في واد يقال له مرج دابق وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش المملوكي. وكان ذلك في أغسطس سنة 1516م. وبعد هذه الموقعة دخل السلطان حلب ، ويروى أنه قتل كل من كان فيها من الشيعة ، وقيل أنهم

ثلاثين ألفا! ثم احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاة من طرفه. وقابل من بها من العلماء فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي بدمشق. ولما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب عندما دعا له صفة : (**خادم الحرمين الشريفين**) وبقيت نعتا للخلفاء العثمانيين. (ثم اغتصبها في زماننا المنحوس خادم اليهود والنصارى والمجوس ، ملك آل سعود فهد بن عبد العزيز).

ثم احتل العثمانيون مدينة غزة ثم مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة ! أما طومان باي فلم يلبث أن وقع في أيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه ، وشنق بأمر السلطان سليم في أبريل سنة 1517م بباب زويلة.

ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن مُحَمَّد المتوكل على الله ، آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة 656هـ - 1091م وكانت له الخلافة بمصر اسما تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني. وصدق الله العظيم :

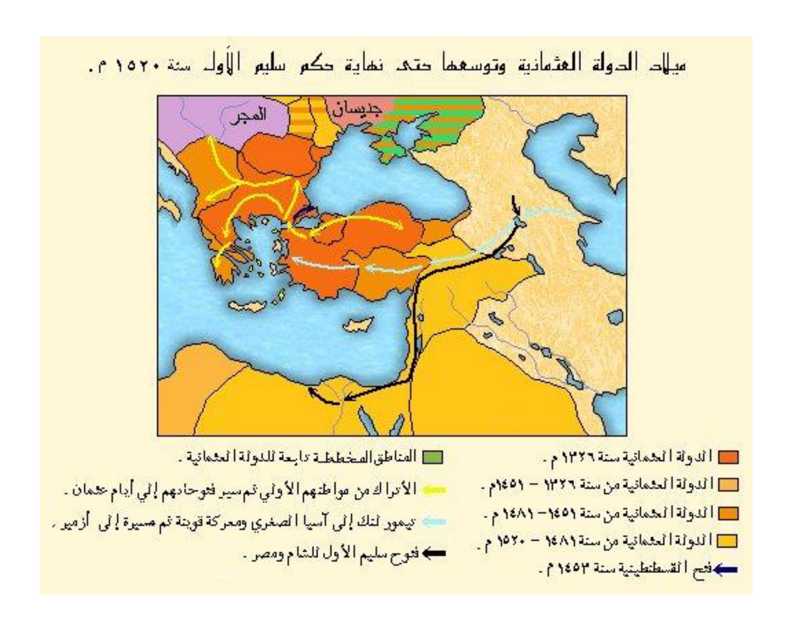
﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم** ﴾. وسلمه الآثار النبوية الشريفة: وهي البيرق (العلم) والسيف والبردة ، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين. ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين.

وفي أوائل شهر سبتمبر سنة 1517م سافر السلطان سليم من القاهرة عائدا إلى القسطنطينية. وفي 20 رمضان سنة 923 هـ وصل السلطان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى 22 صفر سنة 924 هـ وحضر الاحتفال بإقامة الصلاة أول مرة في الجامع الذي أقامه بدمشق على قبر محيي الدين بن العربي. ثم سافر إلى مدينة حلب ومنها إلى أدرنه. وفي الطريق وصل إليه سفير من قبل مملكة أسبانيا ليخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذي كان قبلا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدولة العثمانية. في مقابلة دفع المبلغ الذي كان يدفع سنويا للمماليك فأحسن السلطان مقابلته وصرح بقبوله ذلك ، وأبرم الإسبان معاهدة مع الباب العالي. وكذلك أتى إليه سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جزيرة قبرص.

وسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء. حيث صارت الدولة العثمانية منذ عهد الفاتح دولة عظمى يحسب لها ملوك أوربا ألف حساب.

وكان السلطان سليم في هذه المدة مشتغلا بتجهيز أسطول بحري لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحر. وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيا ولكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح جزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية إلى أدرنه فتوفي في سبتمبر سنة 1520م.

وكان حضرته - كما سجل المؤرخون - سفاكا للدماء ، ولوعا بفك الرقاب. فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية. وكان كل وزير مهددا بالقتل لأقل هفوة. حتى صار يُدعى على من يرام موته بان يصبح وزيرا له. وقد بنى السلطان سليم كثيرا من الجوامع ، وحول أجمل كنائس القسطنطينية إلى مساجد مع سبق الوعد من السلطان مُحَمَّد الثاني الفاتح لبطريق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة.



- **(10) – السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520–1566م) :**

وهو عاشر ملوك آل عثمان. وأوسعهم عزا ومجدا ، ويمثل عهده قمة بهاء دولتهم. وكان من عادته إرسال الخطابات إلى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة ، وذكر فضل العدل والقسط في الأحكام ، ووخامة عاقبة الظلم. وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة: ﴿ إنه من سليمان وإنه بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. وكان من أهم أحداث عهده:

فتح مدينة بلغراد في سنة 1521م : بعد أن ورد خبر قتل السفير الذي أرسله السلطان إلى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب. فاستشاط السلطان غضبا وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش إلى بلغراد فدخلها وصلى الجمعة في إحدى كنائسها التي حولت مسجدا وصارت هذه المدينة التي كانت أمنع حصن للمجريين أكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الأقاليم والبلدان.

فتح جزيرة رودس سنة 1523م: وبعد ذلك أخذ السلطان في الاستعداد برا وبحرا لفتح جزيرة رودس التي لم يتمكن السلطان مُحَمَّد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من

جهة البحر. ولكي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدول المعادية للدولة وقت الحرب.

فتح بلاد المجر وعاصمتها سنة 1526م: كانت الحرب غير منقطعة بين المجر وبين العثمانيين على التخوم. وبعد أن افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونة وصل بجيشه إلى وادي موهاكس في أغسطس سنة 1526م فقتل هناك أغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته. فكانت هذه الواقعة سبب فتح بلاد المجر بأسرها. ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة المجر مفاتيح المدينة إلى السلطان فاستلمها مشددا الأوامر على الجنود بعدم التعرض للأهالي والمحافظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئا.

ابتداء الحروب مع النمسا وحصار عاصمتها (فيينا):

ثم قام السلطان بجيوشه قاصدا مدينة (فيينا) ووصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم جزءا منها وفتح بها ثلما حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه ثم أمر الجنود بالهجوم ، ولكنه لم يتمكن من دخول في المدينة ، ولما نفدت الذخيرة و أقبل الشتاء أصدر أوامره بالرجوع عن فيينا ، تلك السنة وإعداد الجيوش لمعاودة الكرة فيما بعد. وفي 19 رمضان سنة 938 هـ 25 أبريل سنة 1532م سار السلطان سليمان قاصدا مدينة فيينا ثانية لفتحها. ولما وصل إلى مدينة نيش ببلاد

الصرب وجد في انتظاره سفراء من قبل أرشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيرا جديدا من قبل ملك فرنسا وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنساوي والخليفة عاد السفير لملكه حاملا خطابا يؤكد السلطان فيه اتحادهما على محاربة شارلكان (وكان ملكا للنمسا وهولندا وأسبانيا وإمبراطورا لألمانيا ويدخل معظم جنوب إيطاليا وجنوة وجزيرة مينوركا ، ووهران في ساحل الجزائر في ملكه) وبهذا كان يحيط بفرنسا من جميع الجهات. ووعد السلطان بإمداد فرنسا بالأسطول العثماني إذا مست الحاجة. ثم سار السلطان بجيوشه الذين كان يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم إليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة فيينا، فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر. ولعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره عاد عنها أيضا.

ولما وصل السلطان في إيابه إلى مدينة فيليبه عين صاحب كراي التتري خانا لبلاد القرم بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش بأراضي النمسا. وفي أثناء انتشاب هذه الحروب من جهة البر. أتت مجموعة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة العثمانيين من جهة البحر، فاحتلت مينائي كورون وباتراس ببلاد موره بعد قتل من كان بها من الجنود الإنكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السلطان بايزيد الثاني على ضفتي خليج ليبالت

ببلاد اليونان. وفي أوائل سنة 1523م أرسل أرشيدوق النمسا سفيرا من قبله إلى الآستانة يعرض طلب الصلح على جلالة السلطان ، ولم يقبل السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتا حتى تسلم إليه مفاتيح مدينة جران. وبعدها تحول الهدنة إلى صلح فأرسل السفير إلى لعرض هذه الشروط على أكابر الدولة وأعيانها فقبلوها ، وبعد ذلك تحررت بين الطرفين معاهدة الصلح في يونيو سنة 1533م. وأهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العثمانية ولا يردوا شيئا مما فتحوه من بلاد المجر. وأن ما تتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد المجر لا ينفذ ما لم يعتمده جلالة السلطان العثماني وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي.

الامتيازات القنصلية:

وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536م تم الاتفاق بين سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك الثمانية ، ويدل نص المعاهدة على عظيم ما وصلت إليه الدولة العثمانية آنذاك من العز والقوة والمهابة .. وبذلك صارت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن يؤخذ عليها فتح الباب للإمتيازات القنصلية التي أعطت

الأجانب الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية خصوصا في القرن التاسع عشر والعشرين بحجة الأقليات النصرانية ، والجاليات. كما سيجيء لاحقا.

خير الدين باشا البحري وفتح إقليمي الجزائر وتونس:

اشتهر القبطان خير الدين في كتب الإفرنج باسم (باربا روسا) أي ذي اللحية الشقراء. واصل خير الدين باشا من جزيرة مدللي إحدى جزائر الروم ، وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بالقراصنة في بحر الروم (البحر المتوسط). ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس. واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق. وفي ذات يوم أرسلا إلى السلطان سليم الأول إحدى المراكب المأسورة إظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما. وأرسل لهما خلعا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الإفرنج. فقويت شوكتهما وتمكنا من فتح إقليم الجزائر باسم السلطان العثماني سنة 1533م، وحاولا فتح تونس سنة 1535م. وقاموا بجهود جليلة في مساعدة المسلمين الفارين من بطش النصارى بعد سقوط غرناطة (1492م) ، وساعدوا في نقلهم بحرا إلى المغرب.

ثم جرى حلف بين فرنسا والدولة العثمانية على محاربة النمسا:

وكان من نتائج محالفة فرنسا مع الدولة العثمانية ، أن اتفاقهما كان قاضيا بأن الدولة العلية تجعل وجهة حروبها بلاد نابولي وجزيرة صقلية وأسبانيا عوضا عن مهاجمة النمسا التي تتحد مع جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها ، إذ هي مع استقلالها جزء من التحالف الألماني. وأن جيوش فرنسا تدخل بلاد إيطاليا من جهة إقليم بيمونتي بشمال غرب إيطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولي. لكن عدم دخول جمهورية البندقية في هذا التحالف وإظهارها العدوان لهم كان سببا في عدم نجاح كل هذه التدابير. فأراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها لتحالفه مع أنه راعى جوارها ولم يغز بلادهم فأرسل خير الدين باشا الذي ترقى إلى رتبة (قبطان باشا جميع الأساطيل العثمانية) ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو! فحاصرها في شهر سبتمبر سنة 1537م وأتى السلطان بنفسه لمراقبة الحصار. لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته حول هذه الجزيرة. وعاد هو إلى القسطنطينية وأرسل خير الدين باشا لفتح ما بقي من جزائر الروم ، ففتح أغلبها وغزا جزيرة كريت، وفي عودته قابل أسطولا مؤلفا من مئة وسبعين سفينة تقريبا يقودها أندري روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها في 25 سبتمبر سنة 1538م. وفي مايو سنة 1538م جمع السلطان سليمان

ببلاد الأرنؤود جيشا عظيما مؤلفا من مائة ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد إيطاليا.

وفي الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بميناء (اوترانته) بجنوب إيطاليا استعدادا لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب. لكن إحجام فرنسا عن التقدم إطاعة للرأي العام كما ذكرنا كان السبب في عدم نجاح هذا المشروع الذي لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العثمانية. وانتهى الأمر بأن تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وامضيا مهادنة نيس سنة 1538م أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العثمانية سجالا وانتهت بالصلح في أواخر سنة 1538م. بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا من بلاد موره. أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحروب ثانية سنة 1537م ، وانتهت بانهزام جيش ألماني مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة أشهر قواده في ديسمبر سنة 1537م. واستمرت المواجهات بين العثمانيين والنمسا بشأن النفوذ في المجر وتعيين حكامها إلى سنة 1541م. **وتدل التفاصيل (المختصرة) السابقة على مدى قوة العثمانيين في عهد سليمان وسعي أكبر دول أوربا لطلب ودها والتحالف معها.**

سفر الأسطول العثماني إلى فرنسا وفتح مدينة نيس:

أرسل فرانسوا الأول إلى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا ، فتردد السلطان أولا لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته. وقبل أخيرا بناء على إلحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له ، لاسيما وقد وصل إليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في أكتوبر سنة 1541م. وفي ربيع سنة 1543م سافر السلطان بجيوشه إلى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أقلع خير الدين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصدا مرسيليا إحدى موانئ فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزا في طريقه سواحل جزيرة صقلية. وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة وإكبار وانضمت سفنه إلى سفنهم ومنها اقلعوا إلى مدينة نيس ، فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في أغسطس سنة 1543م. ولوقوع الشحناء بين العسكرين لم يتم احتلالها. ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشتاء في ميناء طولون بفرنسا ، وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوي للصرف على جنوده. وفي ربيع السنة التالية سنة 1544م رفض فرانسوا الأول مساعدة الأسطول العثماني له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم إياه للمروق عن دينه لاستعانته بالمسلمين. وأبرم مع شارلكان في مارس سنة 1544م معاهدة كريسي القاضية

بالصلح فعاد خير الدين باشا إلى القسطنطينية وتوفي سنة 1546م ودفن على شاطئ البوسفور في إسلامبول.

إبرام الصلح مع النمسا:

أما من جهة النمسا فاستمر القتال بينها وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالبا في جانب العثمانيين. وأخيرا توصل الطرفان إلى عقد صلح مرضى لكل منهما رغم سعي سفير فرنسا في عدم الوصول إلى الوفاق طمعا منه في تجديد علائق الإلفة بين دولته والدولة العثمانية. وتم الصلح بينهما في سنة 1547م. على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر. وأن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي أميرها الأخير تحت وصاية أمه إيزابلا ورعاية الدولة العثمانية.

أما في جهات آسيا:

فقد حضر إلى دار الخلافة العظمى سنة 1537م سفير من قبل صاحب دهلي بالهند يستنجده ضد همايون بن ظاهر الدين مُحَّد الشهير ببابر صاحب دهلي وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند ويطلب منه أيضا المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها.

فتح عدن: فأرسل السلطان أوامره إلى والي مصر إذ ذاك بتجهيز أسطول بحري بثغر السويس على البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوروبية أخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدولة العثمانية في جهات الشرق وقاعدة لأعمال الدولة التي تحتلها ضد مصر. فصدع بأمره وشيد أسطولا بحريا هائلا مؤلفا من سبعين سفينة على عجل، وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها في يونيو سنة 1538م ومعه عشرون ألف جندي. وفتح مدائن عدن ومسقط، وحاصر جزيرة هرمز عند مدخل بلاد العجم. ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التي أقامها البرتغاليون هناك. ثم قفل راجعا بالغنائم. وفتح في أيامه معظم إقليم اليمن وجعله ولاية عثمانية.

وفي سنة 1547م أتى إلى الباب العالي أخ لشاه العجم يدعى القاصب مرزا وطلب من السلطان إنجاده ضد أخيه الذي اهتضم له حقوقا، فانتهز السلطان هذه الفرصة لتجديد الإغارة على بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح بأوروبا.

وفي أوائل سنة 1548م سار بجيوشه قاصدا مدينة تبريز، فدخلها وفتح في طريقه الجزء التابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة وان الشهيرة.

ولم تدم السكينة في ربوع بلاد المجر. فأرسل جيشا مؤلفا من ثمانين ألف جندي إلى بلاد المجر في شهر سبتمبر سنة 1551م. ولم يقابل هذا

الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة القلاع والحصون التي احتلتها جيوش النمسا لإخلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود العثمانية إليها ودنوها منها.

وفي سنة 1552م انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الثاني أحمد باشا مدينة تمسفار وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة أرلو الحصينة ببلاد النمسا. وفي أثناء ذلك كان القبطان طرغول الذي خلف خير الدين باشا في غزو مراكب الإفرنج وشواطئ بلادهم قد حاز شهرة عظيمة في الحروب البحرية ، وخافت من اسمه جميع دول الإفرنج المعادية للدولة العثمانية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بموت رئيسها ومؤسسها الأكبر خير الدين باشا.

معاهدة سنة 1553م بين الدولة العثمانية وفرنسا:

بعد موت السلطان فرانسوا الأول ملك فرنسا ، حذا ولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالاة الدولة العثمانية والمحافظة على محبتها وتوثيق عرى الإلفة والاتحاد معها للاستعانة ببحريتها عند الحاجة. فأبقى المسيو جبريل درامون سفيرا له في إسلامبول وأمره بمرافقة السلطان في حملته الأخيرة على بلاد العجم فرافقه. وفي عودته زار بيت المقدس ، فقابله الرهبان والقسس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي

الدولة العثمانية تحت حماية فرنسا ثم عاد إلى فرنسا فوجد نيران الحرب قد اشتعلت ثانيا بينها وبين النمسا. فعاد إلى إسلامبول واتفق مع الباب العالي على أن يتحد الأسطول العثماني مع الأسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا ، مجازاة لأهالي جنوه المحتلين لها على مساعدتهم لشار لكان. ولتكون مركزا لأعمال الأسطولين في غزو سواحل أسبانيا وإيطاليا.

وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ 16 صفر سنة 960هـ. أول فبراير سنة 1553م. وننقل بعضا مما جاء فيها لدلالتها على مجد الدولة العثمانية التي حملت لواء الإسلام في ذلك الزمان :

[أن جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد أبرما اتحادا مشتملا على العبارة الآتية بخصوص الحرب البحري - جعله الله حميد العاقبة - !! والذي سيشرعان فيه ضد الإمبراطور شارلكان :

البند 1 : بما أن جلالة السلطان سليمان سلطان الترك بإرساله أسطولا بحريا في بحر التوسكان ضد الإمبراطور شارل الخامس ، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادئ الأمر وبالخصوص بناء على ترجيعاته البالغة أقصى درجات الحض. فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الأسطول.

البند 4 : كل سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء أكانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى الأسطول العثماني تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك.

البند 5 : المدن والقصبات والقرى والكفور التي تتغلب عليها البحرية العثمانية تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فإنه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك ...

البند 6 : إذا أصدر الملك هنري أمره إلى أسطول جلالة السلطان سليمان بأن تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث أن هذه السفن تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق على أن المواد الحربية ومؤونات المدن والقصبات التي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري. ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فإنها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق. وأما السكان والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرجال منهم والنساء فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتى ولو

كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض إرادته.

البند 7 : يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر باسم مليكه الأفخم كل مكان تقدم عليه البحرية التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية اوترانت وكرتون ومن ثم لغاية صقلية ونابولي وعموما جميع الأقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا. سواء أكان ذلك المكان داخل الأراضي أو سواء كان مدينة أو قصبة أو قرية أو كفرا أو ميناء أو خليجا وله الحق في الاستيلاء على أي سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وأن ينهب ويأسر الرجال والنساء البالغين أو القاصرين حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوية وأن يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضد رغبة الفرنك وبالرغم عن مضادتهم الشديدة في ذلك.

البند 9 : جلالة السلطان سليمان يسلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره. كما وأنه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن الذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته

مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب التي صرفها بكل ارتياح وكرم.] اهـ.

ثم تتابعت المناوشات بين السلطنة والنمسا في المجر ولم تحصل أمور مهمة.

ثم افتتح أميرال العثمانيين طرغول طرابلس الغرب (ليبيا) في غضون سنة 1551م :

ووجه السلطان سليمان اهتمامه إلى تعزيز سفنه الحربية لحماية الجزائر وطرابلس الغرب لبعدها عن مقر الخلافة العظمى وطموح أنظار أسبانيا إلى إرجاعها. إذ أن وجود العثمانيين فيها يهدد سواحل أسبانيا ونابولي التي كانت تابعة لأسبانيا في ذلك الحين.

حصار جزيرة مالطة:

في أوائل سنة 1565م أرسلت قطع بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جزيرة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الأورشليمي لأهمية هذه الجزيرة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى على البحر الأبيض المتوسط. فامتد حصارها سبتمبر 1565م وعادت السفن بجيوشها إلى إسلامبول.

الفتن داخل بيت السلطان سليمان:

حصلت حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الأكبر مصطفى بناء على دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان الروسية) أما في كتب الترك فاسمها خورم أي (الباسمة) وذلك حتى يتولى بعده ابنها سليم بمساعدة الصدر الأعظم رستم باشا .. وكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السلطان سليمان الذي اتسعت دائرة السلطنة في أيامه .. ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها فتن ودسائس أدت لقتل السلطان لأولاد آخرين له ولأحفاده منهم.

موت السلطان سليمان:

واشتد مرض السلطان وتوفي في سبتمبر سنة 1566م. عن أربع وسبعين سنة قمرية. وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شانها حتى بلغت في أيامه أعلى درجات الكمال.

وقد اشتهر السلطان سليمان بـ (القانوني) لما وضعه من النظم الداخلية في كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه السلطان مُحَّد الفاتح. ويعتبر موت السلطان

سليمان نهاية لعصر القوة في الدولة العثمانية وبداية السير نحو الانحطاط ثم الإنهيار فالنهاية.

أسباب بداية انحطاط الدولة العثمانية:

وكان ذلك لجملة أسباب منها:

العدوان على سلطان الله بالتشريع الوضعي ، والذي ابتدأ من قبل ولكنه توسع في عهد سليمان حتى لقب بالقانوني.

إعطاء الامتيازات القنصلية لسفراء الدول الأجنبية ، كما رأينا سفير فرنسا. والذي تحول لحق في التدخل في شؤون الدولة. ثم التآمر عليها.

بذخ السلاطين ، ودخولهم مرحلة الانصراف للدنيا والاستكثار من المحظيات اللواتي كان أكثرهن من الدول النصرانية المجاورة.

زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة. ولا يخفى أن الثروة تورث غالبا المفاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لا بد لها من الإنهيار.

كان الإنكشارية لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم. ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته. فغير السلطان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للإنكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجودا فكان هذا

التغيير سببا في تقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الأجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه.

ومنها أن كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فأبطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض عن دسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواريه وأزواجه وترتب على ذلك أن صارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثماني أصلا ونسبا إذ أن أغلبهم ممن أسلم أو تظاهر بالإسلام من النصارى أو من غلمان وخدم.

ومنها الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم مع إعطائهم بعض امتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم مما جعلهم من أكبر موجبات تأخر الدولة بعد أن كانت من أعظم عوامل تقدمها إلى غير ذلك من الأسباب التي سنوردها تباعا بحسب مقتضياتها.

- **(11) – السلطان الغازي سليم خان الثاني(1566–1577م) :**

وهو ابن روكسلان الروسية سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه. ولم يكن السلطان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن إضافة شيء إليها ولولا وجود الوزير الطويل مُحَّد باشا

صقللي المدرب على الأعمال الحربية السياسية للحق الدولة الفشل. لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة. ومن أهم ما جرى في عهد هذا السلطان:

تم الصلح بينها وبين النمسا سنة 1568م بمعاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان إلى الدولة العثمانية. كما تجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان. وكذلك جددت مع شارل التاسع ملك فرنسا في سنة 1569م الاتفاقيات التي تمت بين الدولتين في عصر السلطان سليمان.

وأيد السلطان سليم (ابن الروسية) **الامتيازات القنصلية** وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنساوي من دفع الخراج الشخصي وأن يكون للقناصل الحق في البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين في حالة الرق وإطلاق سراحهم والبحث عمن أخذهم بصفة رقيق لمجازاته وان يرد السلطان كافة الأشياء التي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية

على شواطئ الدولة وبحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة.

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدولتين على ترشيح هنري دي فالوا أخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضد النمسا من جهة وضد روسيا من جهة أخرى وقد تم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية حماية فعلية وإن لم تكن اسمية.

وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة **وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافة بلاد الدولة الموجودة بها مسيحيون خصوصا في بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا. وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدولة بسبب تدخل القناصل في الإجراءآت الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها لها سبيلا لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين وأهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الإرساليات الدينية في حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحي حتى إذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية أو الانضمام إلى إحدى هذه الدول كما شوهد ذلك في هذا القرن الأخير من عمرها مما سيأتي مفصلا.**

ومن أعمال الوزير محمد باشا صقللي أن أرسل جيشا عظيما إلى بلاد اليمن في سنة 976 هـ سنة 1569م تحت قيادة عثمان باشا الذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين خرجوا على الدولة العثمانية مع سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحي فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجيوش المظفرة مدينة صنعاء.

فتح جزيرة قبرص:

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة قبرص التي كانت تابعة للبندقية فأرسلت إليها المراكب الحربية. حيث فتحت في أغسطس1570م. وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية إلى أن احتلها الإنكليز سنة 1878م.

وفي هذه الأثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة **كريت** ، وظنته ، وغيرها بدون أن تفتحها واحتلت مدائن دلنسنيو وانتيباري على البحر الأدرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت بأسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها على بلاد إيطاليا. فسارت سفن المسيحيين إلى شواطئ الدولة وكانت تلك الحملة المختلطة. وانتهى الأمر بانتصار الأسطول المسيحي فأخذت 130 سفينة عثمانية. وأحرقت وأغرقت 94. وغنمت 300 مدفعا و30 ألف أسير. وهذه

أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى. وكان اشتراك البابا فيها يدل على أن المحرك لهذه التحالفات ضد الدولة الإسلامية آنذاك هو الدين كما أثبتت الحوادث والحروب فيما بعد وليس مسائل السياسة والمصالح كما يدعون. مما لا يجعل عند المطالع أقل ريبة أو شك في أن (المسألة الشرقية) كما دعيت فيما بعد مسألة دينية أساسا.

أما من جهة أسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة 1572م .. لكن لم يلبث العثمانيون إلا نحو 8 أشهر حيث تم استرجاعها ثانية إلى أملاك الدولة بواسطة سنان باشا في أغسطس سنة 1575م.

وفي جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة في 9 يونيو سنة 1574م على الأمير إيوونيا الذي تمرد على الدولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه.

وفي ديسمبر سنة 1574م. توفي السلطان سليم الثاني وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية ومدة حكمه ثماني سنين و5 أشهر وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث.

- **(12) – السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574–1595م):**

وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذي شاع استعماله أيام السلطان السابق (ابن الروسية) وأفرط فيه الجنود خصوصا الإنكشارية فثار الإنكشارية لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية.

وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة إذ صار قتل الإخوة عادة تقريبا.

وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود في صالحهما أهمها أن يكون سفير فرنسا مقدما على كافة سفراء الدول الأخرى في المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثر توارد السفراء على بابه العالي ، للسعي في إبرام معاهدات تجارية **تكون ذريعة في المستقبل للتدخل الفعلي**.

وفي أيامه تحصلت إيزابلا ملكة الإنكليز على امتياز خصوصي لتجار بلادها وهي أن تحمل مراكبها العلم الإنكليزي وكان لا يجوز لها ذلك قبلا بل كانت السفن على اختلاف أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل إلى موانئ الدولة العثمانية إلا تحت ظل العلم الفرنساوي !

وصول نفوذ العثمانيين إلى مراكش:

في سنة 1578م. حصلت فتنة داخلية في مملكة مراكش بالمغرب الأقصى ونازع زعيمها سلطان المغرب في الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعي الملك بالبرتغاليين فأوعزت الدولة لوالي طرابلس بإنجاد سلطانها الشرعي فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوما مشهودا دارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم. وبعد تمام النصر وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع مراكش ، عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق عليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال إفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها.

وفي هذه السنة حصل الصلح بين الدولة وأسبانيا للوصول ، لكن لم يمنع ذلك القراصنة من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال. حتى كان من يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان يتجهز كمن يستعد لرحلة حربية لعدم الأمن وكثرة القراصنة بما لم يسبق له مثيل. لأن كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة.

سنة 1579م قتل الصدر الأعظم مُحَّد باشا صقللي الذي حافظ على نفوذ الدولة بعد موت السلطان سليمان بدسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال على محور الاستقامة فدسوا إليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور ودبت الفوضى في الجيش.

ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفي سنة 1595م وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريبا وقالوا أنه كان شاعرا مجيدا ، فطنا لبيبا ، إلا أنه كان كثير الميل لاقتناء الجواري الحسان .. عاملا بمشورتهن في كل آن .. وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها من البحر قرصان .. وبيعت في السراي السلطانية وسميت (صفية) حيث اصطفاها السلطان وتدخلت كثيرا في السياسة الخارجية للدولة .. وساعدت بلادها الأصلية كثيرا وهي والدة ولي عهد السلطان ... (أمان يا ربي أمان ..على ما فات من ذلك الزمان) ..

▪ **(13) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الثالث (1995– 1603م):**

تولى بعد موت أبيه مراد الثالث ابن صفية الإيطالية الأصل وكان له تسعة عشر أخا غير الأخوات فزعم المؤرخون أنه أمر بخنقهم جميعا قبل دفن أبيه ودفنوا معا تجاه آيا صوفيا !!. وفي أوائل حكمه سار على أثر سلفه في عدم الخروج إلى الحرب وترك الأمور الداخلية في أيدي وزرائه الذين منهم سنان باشا وجفالة زاده وهو ابن القائد جفالة باشا الجنوي الأصل الذي قتل في محاربة العجم الأخيرة. وآخر يدعى حسن باشا فأفسدوا في الأرض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية وقللوا عيار العملة حتى علا الضجيج من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية وإقليم البغدان وجزء عظيما من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم.

ومما يخلد للسلطان الغازي مُحَمَّد الثالث الذكر ويجعله رصيفا لأجداده الأوائل، أنه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الأعمال وعدم قيادته الجيوش ، برز بنفسه وتقلد المركز الذي كان ترك مراد الثالث وسليم الثاني له من دواعي تقهقر الدولة أمام أعدائها. فسار إلى بلغراد ومنها إلى ميدان الحرب والنزال وبعد قليل دبت في الجيوش الحمية الدينية والغيرة لعسكرية ، ففتح قلعة أرلو الحصينة التي عجز السلطان سليمان عن فتحها في سنة 1556م. ودمر جيوش المجر

والنمسا تدميرا في سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في 26 أكتوبر سنة 1596م حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موهاكز) التي انتصر فيها السلطان سليمان سنة 1526م.

وفي ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت في بلاد الأناضول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصا ونيران الحروب مستعر لهيبها على حدود المجر والنمسا ...

ومن ذلك الحين بدأ يظهر جليا اختلال النظام العسكري وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها. ثم توفي السلطان وكانت وفاته س 1603م وعمره 37 سنة ومدة حكمه 9 سنين وخلفه ابنه أحمد الأول.

- **(14) – السلطان الغازي أحمد خان الأول (1603– 1617م) :**

فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر إلا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري. وكانت أركان الدولة غير ثابتة في كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة على حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولي الشاه عباس الشهير قيادتها. ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة ، اضطراب الأحوال في الولايات الشرقية عموما وسعي كل أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول على

الاستقلال .. لكن قيض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب (بقوي وجي) الذي عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر...

وقد حصلت ما بين سنة 1611م وسنة 1614م بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة العثمانية وسفن رهبان مالطة وملك أسبانيا وولايات إيطاليا كان الفوز فيها غالبا لمراكب الأعداء ، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الأسود ، وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الأعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله في 14 أكتوبر سنة 1614م فخنق في قصره.

هذا وازدادت في أيام السلطان أحمد الأول العلاقات السياسية مع دول الإفرنج وازداد بذلك تأثيرهم..

وفي نوفمبر سنة 1617م توفي السلطان أحمد الأول وعمره 28 سنة ومدة حكمه 14 سنة تقريبا ولصغر سن ولده عثمان الذي كان لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السلطان عثمان الأول أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه.

- **(15) – السلطان مصطفى خان الأول (1617– 1618م) :**

وكان قد قضى عمره داخل محلات الحريم ولم يتعاطى أشغالا السياسة مطلقا. بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا. ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك إلا ثلاثة اشهر تقريبا ثم عزله المفتي وآغا السراي. وساعدهم الإنكشارية على ذلك. فعزل في فبراير سنة 1618م وأقاموا مكانه السلطان عثمان الثاني.

- **(16) – السلطان عثمان خان الثاني (1618– 1622 م) :**

أشهر هذا السلطان الحرب على مملكة بولونيا وحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة روسيا التي ابتدأت في الظهور. وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه مُحَمَّد تبعا للعادة المشروعة عندهم !. ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفتي ونزع ما كان له من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الإفتاء، حتى يأمن شر أن يكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه. لكن أتى الأمر على الضد بما كان يؤمل. وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا ولكنه عجز عن ذلك لتلكؤ الإنكشارية. ثم تم الصلح في أكتوبر سنة 1620م فحنق السلطان على الإنكشارية من طلبهم الراحة

وخلودهم إلى الكسل وإلزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصده وعزم على إبطالها ولتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى إذا كملت عدة وعددا استعان بها على إبادة الإنكشارية. وشرع فعلا في إنفاذ هذا المشروع لكن أحس الإنكشارية بذلك فهاجوا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك في مايو سنة 1622م. وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأول. ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه في سراي قصره. وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرا إلى ثكناتهم موسعيه سبا وشتما وإهانة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدولة العثمانية. وزيادة على ذلك قاموا بإعدامه. وقد قتل ولم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة أشهر.

وبعد ذلك صارت الحكومة ألعوبة في أيدي الإنكشارية ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان ، بعد بضع أيام وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزل إليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهارا ، وارتكبوا أنواع المظالم في الآستانة. واستمرت الإضطرابات الداخلية في نفس كرسي الخلافة العظمى فلا أمن ولا سكينة مدة ثمانية عشر شهرا متوالية. حتى إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب عينوا كمانكش على باشا صدرا أعظما لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السلطان

مصطفى ثانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في سبتمبر سنة 1623م وولوا مكانه السلطان مراد الرابع وبقي في العزل إلى أن توفي في سنة 1639م.

- **(17) – السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623– 1640م) :**

هو ابن السلطان أحمد الأول ابن السلطان مُحَّمد الثالث وولاه الإنكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول ابن السلطان مُحَّمد الثالث مع حداثة سنة كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفا لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمروا مدة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم.

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدولة العثمانية.. فسار الشاه بجنوده لاحتلالها ..

ثم توفي الشاه عباس واسترد السلطان بغداد من العجم سنة 1638م .. وكان يؤمل في السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازي سليمان الأول القانوني في الفتوحات وبعد الصيت إلا أنه توفي وهو في مقتبل الشباب عن غير عقب في فبراير سنة 1640م وسنه 31 سنة ومدة حكمه 16 سنة و11 شهرا وتولى بعده أخوه إبراهيم.

▪ **(18) – السلطان الغازي إبراهيم خان الأول (1640– 1648م):**

هو ابن السلطان أحمد الأول وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأنت. وافتتح حروبه الخارجية بإرسال جيش جرار إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة آزاق فحاربهم العثمانيون وأبلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة 1642م.

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة **كريت** وكانت تابعة لجمهورية البندقية.

ثم إن السلطان إبراهيم أراد أن يفتك برؤوس الإنكشارية في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم لأعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم. فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله وانضم إليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم أفندي وأهاجوا عساكر الإنكشارية وقرر الجميع عزله وتولية ابنه مُحَمَّد الرابع في سنة 1642م ، ولم يتم السابعة من عمره. وتمت هذه الثورة في أغسطس سنة 1648م وبعد ذلك بعشرة أيام أظهر العسكر عدم ارتياحهم من الملك الفتي وطلبوا إعادة السلطان إبراهيم إلى عرش الخلافة فخشي رؤساء العصابة التي عزلته من تغلبهم بإرجاعه رغم أنفهم وصمموا على قتله فساروا إلى السراي ومعهم

الجلاد وقتلوه خنقا كما قتلوا السلطان عثمان الثاني من قبله فكانت مدة حكمه 8 سنين و 9 شهور وسنه 34 سنة.

- **(19) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الرابع (1648– 1687م):**

ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا في الأرض فسادا. ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولي السلطان مراد الرابع بل إلى أتعس منها. وسرى عدم النظام إلى الجنود المحاصرة كنديا واضطروا قائدهم السر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها. وكذلك سرى هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية. وسبب انهزام الأسطول العثماني أمام العدو أمام مدينة فوقيه سنة 1649م. ثم ثار بآسيا الصغرى ثائرون وتتابعت الفوضى ...

إلى أن قيض سبحانه وتعالى الوالي الوزير مُحَمَّد باشا الشهير بكوبريلي الذي تولى منصب الصدارة سنة 1067هـ سنة 1656م فعامل الإنكشارية معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا. وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الأروام (جمع روم بحسب المرجع !) لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخلية ...

ولم تثن الإشكالات عزيمة كوبريلي مُحَمَّد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدولة في الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدول. وبعد وفاته سنة 1661م خلفه ابنه كوبريلي زاده أحمد باشا.

وكان خير خلف لأبيه فإنه كان متصفا بالشجاعة والإقدام وحسن الرأي والتدبير. واستمر في محاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملل حتى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها. وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة نوهزل مع أن هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبا بالمناعة ، واضطر كوبريلي أحمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسهم ضرر تاركين ما بها من الأسلحة والذخائر وأخلوها فعلا في سبتمبر سنة 1663م. ولذلك اضطربت أوروبا بأجمعها لهول هذا .. فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وأربعة وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني. ثم لم يمكن الإنكشارية من الثبات أمام جنود العدو الأكثر منهم عددا وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها. ثم تم الصلح. وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم ما بها إخلاء الجيش لإقليم ترنسلفانيا تحت سيادة الدولة العثمانية وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالي أربعة مع بقاء حصني نوفيجراد ونوهزل تابعين للدولة العثمانية.

ثم تعكزت العلاقات مع فرنسا. وأرادت إعلان الحرب على الدولة العثمانية لولا نصائح الوزير كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة في سنة 1673م. وفوض ثانيا إلى فرنسا حق حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان. وبذلك عادت العلاقات إلى سابق صفائها بين الدولتين.

ومما زاد حدود الدولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا إلى السلطان مُحَّد الرابع بدون حرب بل حبا في الدخول في حمى حامي دولة الإسلام. ولذلك أغارت بولونيا على ولاية أوكرين فاستنجد حاكمها الأكبر بالعثمانيين فأنجده السلطان. واستمرت الحرب بين الدولتين سجالا إلى سنة 1167م.

وكانت روسيا آخذة إذ ذاك في تنظيم داخليتها وتقدم وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الأوروبي فاستمرت الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين أخذ ورد حتى سنة 1681م حيث تم الصلح بينهم.

حصار مدينة فيينا من جديد:

وبعد أن انتصرت جيوش العثمانيين في عدة مواقع على النمساويين قصدت عاصمة النمسا فحاصرتها سنة 1683م مدة شهرين واستولى العثمانيون على كافة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها بالمدافع ولما لم يبق عليه إلا المهاجمة المتممة للفتح ، أتى سوبيسكي ملك بولونيا ومنتخبي ساكس وبافييرا بجيوشهم بناء على إلحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فيهم نار التعصب الديني. وفي سبتمبر سنة 1683م فاز المسيحيون بالنصر وانهزم جيش الصدر مصطفى باشا وأمر السلطان مُحَّمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القسطنطينية!.

وبعد نجاة مدينة فيينا التي لم تحاصر بعد ذلك ، تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة روسيا على محاربة الدولة الإسلامية لمحوها من العالم السياسي. والذي يدل على أن هذا التحالف كان دينيا محضا أن أصحابه أسموه (التحالف المقدس). ومما زاد أحوال هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقراصنة المغرب .. فإن جيوش الملك سوبيسكي كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة التي

كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطة احتلت جيوش البنادقة في سنة 1686م أغلب مدن اليونان حتى كورنته وأثينا. أما النمسا فأغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة يست الواقعة أمام مدينة بود. وفي سنة 1685م احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة نوهزل. ووصلت الدولة إلى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها صار معها الخلاص صعبا.

وتتابعت النكسات على العثمانيين ، فهاجت الجيوش الموجودة في الآستانة وأرسلوا الجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه. ثم أرسل الإنكشارية والسباه (اسم فرق من الجيوش العثمانية) وفدا للآستانة يطلب من السلطان الأمر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند. ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل. فقرر الوزير الثاني القائم مقام قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان مُحَمَّد الرابع فعزلوه في سنة 1687م. بعد إن حكم أربعين سنة وخمسة اشهر وبقي في العزلة إلى أن توفي في ديسمبر سنة 1692م. وولوا بعد عزله أخاه.

- **(20) – السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687– 1691م):**

وهو ابن السلطان إبراهيم تولى وكانت الآستانة فوضى. وانتهز الأعداء هذه الإضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع ارلو ولبا وغيرها واحتل موروزيني البندقي مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة 1687م وفي السنة التالية أي سنة 1688م سقطت مدائن سمندريه وقلومباز وبلغراد في أيدي النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية في سنة 1689م مدائن نيش وودين من بلاد الصرب.

ثم تمكن الصدر الأعظم كوبريلي مصطفى باشا من تحقيق انتظام الجيش وساد الأمن داخل البلاد وسار بنفسه لمحاربة الأعداء فاسترد في قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندريه وبلغراد في سنة 1690م بينما كان سليم كراي خان القرم يخضع الثائرين الصرب وتيكلي المجري يرجع إقليم ترنسلفانيا إلى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكشارية. وفي يونيو سنة 1691م توفي السلطان سليمان الثاني عن غير عقب وعمره 50 سنة بعد أن حكم ثلاث سنوات وثمانية أشهر وتولى بعده أخوه.

- **(21) – السلطان الغازي أحمد خان الثاني (1691– 1695م):**

ولم تحصل أمور ذات بال في أيام هذا السلطان بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الأهمية شأن يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة 1694م جزيرة ساقز. ثم توفي في فبراير سنة 1695م وعمره 54 سنة قمرية تقريبا بعد أن حكم 4 سنين و 8 أشهر وتولى بعده السلطان الغازي مصطفى خان الثاني.

- **(22) – السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695– 1703م):**

ابن السلطان مُحَّد الرابع. وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته في قيادة الجيوش بنفسه. فسار إلى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ومن جهة أخرى حارب الروس سنة 1695م وبعد ذلك وفي سنة 1696م فاز السلطان فوزا مبينا على جيش ساكس في موقعة أولاش وبعد ذلك هُزم جيش السلطان أمام النمساويين. وكان ذلك في سبتمبر سنة 1697م. وفي إثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر. عاد الإمبراطور الروسي بطرس الأكبر لفتح ميناء ازاق لأهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة فكانت الدولة في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا. ثم ابتدأت الاتصالات للوصول إلى الصلح فتدخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بين الدولة العثمانية والنمسا وروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في يناير

سنة 1699م. فتركت الدولة بلاد المجر بأجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا. وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الأسود وزادت أهمية جوارها للدولة العثمانية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة كمينك وإقليمي بود وليا وأوك روين وتنازلت للبندقية عن جزيرة مورا وإقليم دلماسيا على البحر الأدرياتيكي بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة وأن لا تدفع هي أو غيرها شيئا للدولة العثمانية. لا على سبيل الجزية ولا على مجرد الهدية.

وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزأ ليس بقليل من أملاكها بأوروبا وزادت أطماع الدول في بلادها كما سيأتي.

ويمكننا القول بأن الاتفاق قد تم من ذلك التاريخ بين جميع الدول الأوربية إن لم يكن صراحة فضمنا ، على الوقوف أمام تقدم الدولة العثمانية أولا، ثم تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا. وهو ما يسمونه في عرف السياسة بـ (**المسألة الشرقية**) المبنية على الخوف من انتشار الدين الإسلامي وحلوله محل الدين المسيحي ليس إلا.

أما ما كانوا يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الأمم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فلم يكن إلا ذريعة.

ثم عين السلطان رامي مُحَّد باشا. فسار في إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا

عليه الإنكشارية لميلهم بالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتك الأعراض. فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت إلى الثائرين وعزلوا السلطان مصطفى الثاني في أغسطس سنة 1703م بعد أن حكم 8 سنوات و8 شهور وبقي معزولا إلى أن توفي وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه.

- **(23)– السلطان الغازي أحمد خان الثالث (1703 – 1730م):**

وهو ابن السلطان مُحَّد الرابع. وفي تلك الآونة كان بطرس الأكبر ملك روسيا يعمل على إضعاف الأقوياء من مجاوريه أي السويد ، وبولونيا ، والدولة العثمانية. ولما تولى الصدارة (بلطه جي مُحَّد باشا) مال لإثارة الحرب على روسيا فاشهر عليها الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخليلته كاترينا. ولو استمر عليهم الحصار قليلا لربما كان أخذ أسيرا هو ومن معه وانمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسي. لكن كاترينا استمالت بلطه جي مُحَّد باشا إليها ، وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة ، فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة فلكزن في يوليه سنة 1711م والذي أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقا.

لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكزن فتدخلت إنكلترا وهولندا في منع الحرب لإضرارها بتجارتهما. وبعد مباحثات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في يونيو 1713م. وتنازلت روسيا بمقتضاها عما لها من الأراضي على البحر الأسود حتى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور.

وتتابعت المناوشات بين الدولة العثمانية والبنادقة ، والنمسا وروسيا واضطرت الدولة العثمانية لقبول معاهدات جديدة كانت في صالح روسيا التي قوي حضورها في السياسة الأوربية. ثم حصل صراع بين روسيا والدولة العثمانية على النفوذ في بلاد القفقاس وأرمينيا وبلاد الكرج وسواحل بحر الخزر الغربية. فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس ولتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره على مواجهة الجيوش العثمانية ، طلب من سفير فرنسا بالآستانة أن يتوسط بينهما فقبل ، ووفق بين الطرفين بأن يمتلك كل منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدولتان بذلك وأمضيتا بهذه الشروط معاهدة يونيو سنة 1724م. أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضي بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم وقاموا لمحاربة الأجانب، لكنهم لم يتمكنوا من صد هجمات العثمانيين الذين فتحوا في سنة 1725م عدة مدن وقلاع أهمها مدائن همذان وتبريز وساعد ذلك تسلط الفوضى في إيران

وانتهت هذه الحرب بالصلح مع الشاه أشرف في أكتوبر سنة 1727م. ولكن لما مات الشاه أشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدولة العلية أن ترد إليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها. ولعدم ميل السلطان إلى الحرب ورغبته في الصلح ثار الإنكشارية فأعلنوا إسقاطه سنة 1730م ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الأول خليفة للمسلمين فأذعن السلطان أحمد الثالث وتنازل عن الملك بدون معارضة. وكانت مدة حكمه 27 سنة و11 شهرا.

- **(24) – السلطان الغازي محمود خان الأول (1730– 1754م):**

هو ابن السلطان مصطفى الثاني ولما تولى لم يكن له إلا الاسم فقط وكان النفوذ للصدر بطرونا خليل يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والإغراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكشارية لتعدي هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره فقتلوه. وبعد أن استتب الأمن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب في عدة وقائع.

وفي غضون كانت الحروب كثيرة بين الدول الأوربية نفسها. وكذلك قامت الحرب بين الدولة وروسيا بسبب مملكة بولونيا. فأعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا. ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا

الحرب على النمسا دفاعا عن بولونيا. وسعت لدى الباب العالي بواسطة المسيو دي بونفال الذي خدم الدولة بعد أن اسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا. وتغلبت روسيا واحتلت جنودها مملكة بولونيا. ولما أحست النمسا أن فرنسا تسعى وراء التحالف مع الدولة ، خشيت من حصول هذا الاتفاق الذي يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا في بولونيا ، أسرعت في إرضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة فيينا في سنة 1735م. وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة. وأوعزت إلى روسيا بافتتاح القتال فاتخذت هذه الأخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها في مارس سنة 1736م متجهين إلى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لإعلان الحرب. وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت عددا من الثغور البحرية. وهو ما حدا بالدولة إلى إبرام الصلح مع نادر شاه لتتفرغ لصد هجمات الروس. ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وهو الحاج مُحَّد باشا. فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في أقرب وقت إيقاف تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان ودخلوا عاصمة الإقليم. ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش العثمانية على جيوش النمسا التي أغارت على بلاد البوسنة والصرب

والفلاخ فانتصر المسلمون في الصرب وألجؤوا النمساويين إلى الجلاء عنها تاركين في كل موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا إلى ما وراء نهر الدانوب في سنة 1737م. واستمر الحال على هذا المنوال من النصر والفوز على الأعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا. فكان هذا الفوز الأخير أكبر مساعد للوصول إلى الصلح الذي تم بينهما وبين روسيا في سبتمبر سنة 1739م. على أن تتنازل النمسا للدولة العثمانية عن مدينة بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة بساروفتس. أما روسيا فتعهدت قيصرتها (حنه) بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها في المستقبل. وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الأسود أو ببحر آزاق. بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبأن ترد للدولة كل ما فتحته من الأقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد. وبذلك انتهت هذه الحرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس.

وبعد ذلك بذل سفير فرنسا جهده في إقناع الباب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة روسيا لو تعدت على إحداهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر روسيا فاقتنعت الدولة. وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد روسيا في سنة 1740م.

وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطرفان هذه المعاهد الجديدة في سبتمبر سنة 1740م وهي عبارة عن معاهدة سنة 1673م مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها. وأرسل السلطان سفيرا من طرفه اسمه سعيد ليقدم صورة المعاهدة إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والإكرام اللائق بمقام مرسله السامي.

وعند عودته شيعه بالتبجيل والإجلال وأرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الأعظم ليكونوا معلمين في الجيوش العثمانية فيمرنوا الجنود المظفرة على النظم الجديدة التي أدخلها لوفوا الشهير في الجيوش الفرنساوية. وكان هذا من بدايات البلاء الذي تتابع فيما بعد ، بتولي ضباط ألمان في نهايات الدولة تدريب الجيش ، مما مكن المدربين الأجانب من فرنسيين وألمان .. من دس أفكار الثورة والتمرد على الخلافة ، وزرع الأفكار القومية ، والتنظيمات الماسونية في الجيش العثماني فيما بعد ..

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السادس إمبراطور النمسا في 20 من شهر أكتوبر سنة 1740م وتولت بعده ابنته ماريه تيريزه فاتحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة. وسعي فرنسا دائما في

إذلال النمسا وهدم أركان سلطانها. وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة في التاريخ بـ (حرب إرث ملك النمسا). التي استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه على فرنسا. ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب العالي ما يعود عليها من الفوائد لو اتحدت معها على محاربة النمسا. وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها إلى أملاكها بحيث ترجع الدولة إلى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الأول القانوني ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها. وأبانت لها أنها إن لم تفعل ذلك تقدمت روسيا شيئا فشيئا وقويت شوكتها تدريجيا حتى يخشى منها على وجود الدولة. وقد أثبتت الأحداث لاحقا أن هذه الملاحظات كانت صحيحة .. ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا في نوال غايتها وهي إذلال النمسا ..

وفي ديسمبر سنة 1754م توفي السلطان محمود الأول بالغا من العمر ستين سنة. وكانت مدة حكمه 25 سنة وفي أيامه اتسع نطاق الدولة بآسيا وأوروبا.

(25) – السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754– 1757م):

وبعد أن تقلد السيف في جامع أبي أيوب الأنصاري على حسب العادة القديمة ، عين في منصب الصدارة العظمى نشانجي علي

باشا بدل مُحَمَّد سعيد باشا الذي سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته في فرنسا. فسار في طريق غير حميد حتى أهاج ضده الأهالي أجمع. ولكون السلطان كان من عادته المرور ليلا في الشوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أحوالهم. سمع إثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمفارم وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه في صحن من الفضة على باب السراي عبرة لغيره.

ثم توفي السلطان عثمان الثالث في أكتوبر سنة 1757م بدون أن يحصل في أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدة حكمه 3 سنين و 11 شهر وخلفه مصطفى الثالث.

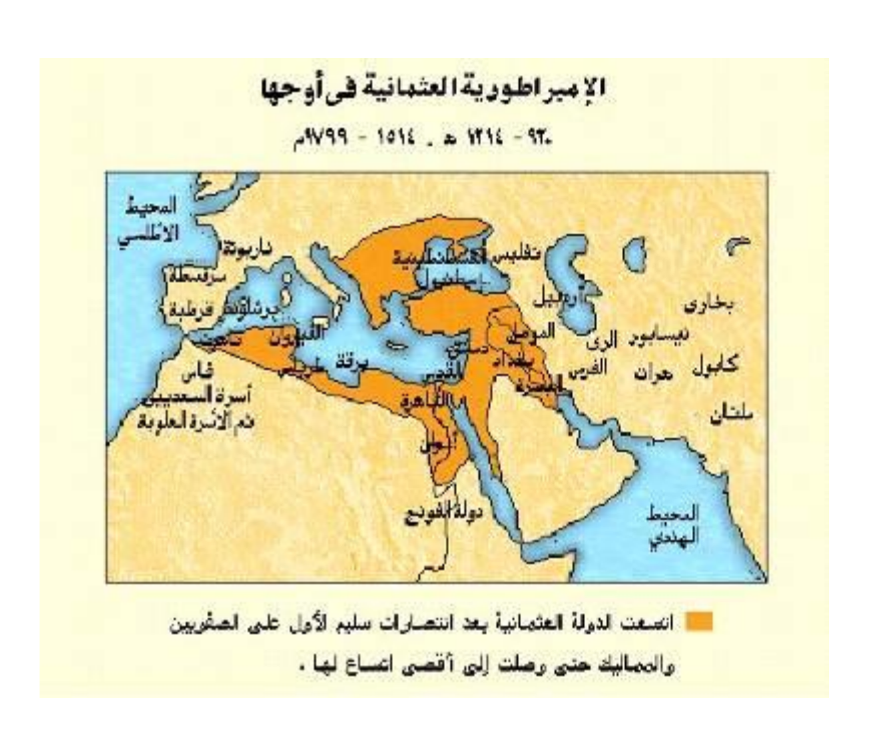
- **(26) – السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757- 1774م) :**

وهو ابن السلطان أحمد الثالث وكان ميالا للإصلاح محبا لتقدم بلاده خصوصا وزيره الأول راغب باشا الذي مر ذكره. فأخذ هذا الوزير في إصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له. وبعد موت هذا الوزير الجليل نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا. وكانت روسيا قد تبنت توجها إمبراطوريا منذ عهد قيصرها بطرس الكبر، ووضعت برنامجا توسعيا طموحا نحو الشرق والغرب والجنوب.

▪ ومن المفيد في هذا المقام أن نأتي بنصوص من وصية قيصر روسيا. وهي منقولة بحروفها من الجزء الأول من تاريخ جودت باشا. وتعطينا فكرتين هامتين:

* الأولى عن الصراع بين القوى الأوربية في القرن السابع عشر والثامن عشر.

* والثانية عن الأطماع الروسية التي لم تتبدل بعد القياصرة. وما زالت إلى اليوم.



وصية قيصر روسيا بطرس الأكبر لخلفائه:

[* **البنـد الأول** : يجـب أن تقـاد العسـاكر دائمـا إلى الحـرب. وينبغي للأمة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتـألف الحرب ... وعلى هذه الصورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب. وكذلك زمن الحرب لأيام السلم. وذلك لأجل زيادة قوها وتوسيع منافعها.

* **البند الثاني** : في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الذين هم أكثر تطورا في أوروبا. وكـذلك في زمـن الصـلح يتعـين اسـتجلاب أرباب العلـم والمعارف منهم أيضا. ويلزم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحاسنها ...

* **البنـد الثالـث** : عنـدما تسـنح الفرصـة ينبغـي التـدخل في جميـع الأمـور والمصـالح الجاريـة في أوروبا وفي اختلافاتهـا ومنازعتهـا. وعلـى الخصوص في نزاعات ممالك ألمانيا ...

* **البنـد الرابـع**: ينبغـي اسـتعمال الرشـوة لأجـل إلقـاء الفسـاد والبغضـاء والحسـد دائمـا في داخليـة ممالـك بولونيـا وتفريـق كلمـتهم. واستمالة أعيان الأمة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة. حـتى نـتمكن مـن التـدخل في انتخـاب الملـك وبعـد الحصـول علـى انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأمة ، ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة

العساكر المذكورة مدة طويلة هناك ، إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة ، وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتا ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك بولونيا ، ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التي تكون قد أعطيت لهم.

* **البند الخامس:** ينبغي الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الإمكان ثم نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها، ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدولة إلى أن تعلن الحرب على دولة روسيا وتهاجمها ، والذي يلزم أولا هو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانمرك بحيث أن يكون الاختلاف والترقب بينهم دائمين باقيين.

* **البند السادس:** يجب على الأسرة الإمبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملكية الألمانية. وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع. إذ بهذه الصورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبهذا يربطون أيضا الممالك المذكورة لصالح منافعنا ومصالحنا.

* **البند السابع** : إن دولة إنكلترا هي الدولة الأكثر احتياجا إلينا في أمورها البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جدا لزيادة قوتنا البحرية. فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر

الدول. وبيع محاصيل ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء إلى إنكلترا وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا. واستكمال أسباب الروابط والمناسبات بين تجار وملاحي الطرفين. فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا.

* **البند الثامن:** على الروسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الأسود.

* **البند التاسع:** ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استانبول والهند ، وحيث أنه من القضايا المسلمة أن من يحكم على إستانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها. فلذلك من اللازم إحداث الحروب المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الإيرانية. وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه. والاستيلاء على بحر البلطيق أيضا ، لأنه أهم موقع لحصول المقصود. وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة إيران لنتمكن من الوصول إلى خليج البصرة ، وربما نتمكن من إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشام ، والوصول منها إلى بلاد الهند، التي هي بمثابة مخزن للدنيا. وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب إنكلترا.

* **البند العاشر:** ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا (النمسا) ، والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بقبول أفكار الدولة المشار إليها من جهة ما تطمع إليه من النفوذ في

المستقبل في بلاد ألمانيا. وإما باطنا فينبغي لنا أن نسعى في تحريك حسد وعداوة سائر حكام ألمانيا لها. وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ضدها. ومن اللازم إجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل.

* **البند الحادي عشر**: ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الأتراك وإبعادهم من قطعة الرومللي (الأراضي العثمانية على سواحل غرب بحر مرمرة) وحينما نستولي على إستانبول. علينا أن نسلط دول أوروبا القديمة على دولة اوستريا حربا ، أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن التي نكون قد أخذناها من قبل. وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها.

* **البند الثاني عشر**: ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية في جنوبي ممالك بولونيا (**أتباع المذهب الأرثوذوكسي**) ونجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم. ومن اللازم قبل كل شيء إحداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم. فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كل من أعدائنا.

* **البنـد الثالـث عشـر** : حينمـا يصـبح الاسـوجيون متشـتتين ، والإيرانيون مغلوبين ، والبولونيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة. أيضـا حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحـد مع المحافظة على البحـر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية. وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا بأسرها بيننا ثم لدولة اوستريا. ويعرض ذلك على كل من الدولتين المشار إليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث أنه لا بد من أن تقبل إحداهما ، فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كل منهما. وأن نجعل من كان منهما قابلا بما عرضناه عليهما واسطة للتنكيل بالأخرى. وتكون روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية. عند ذلك يسهل علينا أن نقهر وننكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين.

* **البند الرابع عشر**: على فرض المحال أن كلا من الدولتين المشار إليهمـا لم تقبـل بمـا عرضـته عليهمـا روسـيا. فينبغـي حينئـذ لروسـيا أن تنصرف لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما. فإذا وقع ذلك فلا بـد أن يحصـل تعـب للطـرفين. وفي ذلـك الوقـت يجـب علـى روسـيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حـالا عسكرها المجتمعين أولا بأول على ألمانيا. فتهجم في تلك الجهات. ثم تخرج أسطولين من السفن أحدهما مـن بحـر ازاق حيـث يحتشـد عسـاكرنا ، مـن أقـوام الأناضـول المتنوعـة. والثـاني مـن ليمـان خلـيج ارخانكـل الكائنـة في البحـر المتجمـد الشـمالي.

فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق. وتهجم على سواحل فرنسا. وأما ألمانيا فإنها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح المملكتان المذكورتان مغلوبتين. فالقطعة التي تبقى من أوروبا تدخل تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير.] ا هـ.

وبعد اشتعال المعارك بين الروس والعثمانيين. وفي يونيو سنة 1772م تهادن الفريقان بناء على توسط النمسا ثم طلب مندوب كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية. ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة أشهر واجتمع المؤتمر ثانية وطلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر إجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغا نهائيا 15 نوفمبر سنة 1773م وكان من تلك الشروط:

(سابعا : أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدولة العثمانية ...)

ويظهر للمطلع على تلك الشروط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب. ولذلك رفضتها الدولة العثمانية ، وأصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة خصوصا في بلاد الطونه فانهزم الروس عدة هزائم.

ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في يناير سنة 1774م وبلغت مدة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور وذكر أنه كان عادلا محبا للخير وله عدة مآثر خيرية كالمدارس والتكايا.

- **(27) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774-1789م):**

وهو ابن السلطان أحمد الثالث. وكان قد قضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزا في سرايته كما جرت به العادة.

وفي أول عهده كانت روسيا تستعد استعدادا هائلا لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيام مصطفى الثالث. ولم يأت شهر يونيو سنة 1774م إلا وزحفت جيوشها إلى معسكر الصدر الأعظم ... وبعد عدة انتصارات طلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال ، وأرسل إليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التي رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست. وبعد محادثات طويلة بين الطرفين قبل الصدر **المعاهدة التي تم الاتفاق عليها في يوليو**

سنة 1774م وهي مكونة من ثمانية وعشرين بندا ، وتعتبر بداية الدلائل على انهيار الدولة العثمانية:

أهمها استقلال تتار القرم و بسارابيا وقوبان - مع حفظ سيادة الدولة العثمانية عليهم فيما يتعلق بالأمور الدينية - وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القرم ما عدا قلعتي كريش ويكي قلعه. ورد ما أخذ من أملاك الدولة في الفلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ما عدا بعض المناطق- وأن يعطى إلى إمبراطور روسيا لقب بادي شاه في المعاهدات والمحررات الرسمية — وأن يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط.

وأن تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدولة — وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية - ... وغير ذلك.

ومن الغريب أنه لم يذكر شيء فيها عن مملكة بولونيا وهي سبب هذه الحرب التي عادت على الدولة بأوخم العواقب.

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما أن الدولة تدفع إلى روسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيس بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط متساوية في أول يناير سنة 1775م وسنة 1776م وسنة

1777م. وفي الثاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الروم وسحب أسطولها منها.

وكانت هذه أول مرة تدفع فيه الدولة العثمانية الجزية لدولة أخرى !!!.

ومن المفيد الإطلاع على بعض البنود من نص تلك المعاهدة التي دعيت (معاهدة قينا رجه) نقلا عن ترجمة الجزء الأول من تاريخ جودت باشا:

* **المادة الأولى** : كل ما سبق وقوعه بين الدولة العثمانية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد محي وأزيل من الآن وإلى الأبد. وكل الأضرار والتعديات التي صار الشروع في استعمالها وإجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا إلى الأبد. ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام. بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتريه التغير. بل يراعى ويصان من طرف الهمايوني ومن طرف خلفائي الأماجد. وكذلك يحفظ ويصان ما جرى تمهيده مع ملكة روسيا المشار إليها وحلفائها من الاتفاق والموالاة الصافية المؤبدة والسالمة من التغيير. وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد

ضدية بين الفريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أنواع البغضاء والأضرار..

* **ومما جاء في المادة الثامنة :** تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الأماكن التي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج و(الويركو) أصلا. ولا يطلب ذلك منهم إثناء الطريق لا في القدس الشريف ولا في سائر ألاماكن. وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التي تعطى إلى رعايا سائر الدول. والذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه. بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشريعة.

* **وجاء في المادة الرابعة عشرة:** يجوز لدولة روسيا أن تبنى كنيسة على الطريق العام فى محلة بك أو غلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا علي سائر الدول. هذه الكنيسة هي كنيسة العوام وتسمى كنيسة دوسوغرنه وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كل تعرض.

* **وجاء في المادة السادسة عشرة:**

- ثانيا: الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط **ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة**.

- ثالثا : الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعا ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا.

- رابعا: **يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز ...**

- ثامنا : بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم احد أصلا كائنا من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت. بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الأمجد السلطان مُحَمَّد خان الرابع.

- تاسعا يرخص لأمراء هذه الحكومات أن يقيم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتك دار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلا عن (القبوكتخدايات) الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال

المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين.

- عاشرا : تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب لدولة العلية إلى سفراء إمبراطورية روسيا بان يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين.

* **وجاء في المادة العشرون:**

بحسب مفهوم السندات التي عقدت بين الحاكم توليستوي وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة 1700 ميلادية وسنة 1100 هجرية خصصت قلعة آزاق بحدودها الأولى إلى دولة روسيا للأبد.

* **وجاء في المادة الثالثة والعشرون:**

... ودولتي العلية تتعهد أيضا بحسب مضمون المادة السابقة بأن تشمل بالعفو جميع الذين صدرت منهم حركات ضد دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربة وأن تكف يدها إلى الأبد عن أخذ الويركو عن الصبيان والبنات وعن طلب أي نوع كان من الجزية وأنه ما عدا الذين لهم تعلق بها من القديم لا تدعي على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مرة أخرى جميع الأراضي وسائر

الاستحكامات التي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقة وأنها لا تتعرض ولا تجري تضييقا على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجديد منها وبأن تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط من التعرض بأي داع كان لأموال الأديرة والكنائس المذكورة وإضاعتها ولا تتعرض دولة روسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لأنهم من رعايا دولتي العلية.

* **وجاء في المادة الخمسة والعشرون:** جميع أسرى الحرب من ذكور و إناث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويردون إلى أوطانهم ما عدا المسيحيين الذين دخلوا في الدين المحمدي بإرادتهم في دولتي العلية والمسلمين الذين تنصروا بإرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهكذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عذر أصلا وبلا عوض وبغير فدية. وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا في الاسترقاق من بولونيين وبغدانيين وإفلاقيين ومن أهالي الموره والجزائر والكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليمهم وردهم إلى مواطنهم وذلك بعد انعقاد المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضا بهذه الصورة عينها في حق رعايا دولتي العلية.

* **وجاء في المادة الثامنة والعشرون:**

... وبما أن الصدر الأعظم وفلدمار شال دولة روسيا بتروقونت رومان جوف قد فوض إليهما من طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصلح المؤبد المسطر في العهدة المذكورة يصير إمضاؤها من طرف الصدر الأعظم و فلد مارشال وختمها بأختامها للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التي تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجري بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعيا ويحرر في المواد المذكورة التي تقررت وجرى التصديق عليها من طرف الصدر الأعظم و الفلد مارشال المشار إليهما سندان ممضيان بامضائهما ومختومان بخاتميهما ...

* **وجاء في الخاتمة:**

إن ما جري تحديده وتمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلاح المبطل للحرب والكفاح يكون مقررا ومعتبرا من بعد الآن ... و كذلك شرط المادتين المحررتين ...

ذكر مادتان في خاتمة العهدة:

** إحداهما تتضمن المصاريف الحربية وذلك لأن الدولة العثمانية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس لروسيا في مدة ثلاث سنين يدفع منها في كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس.

** والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييدا لما هو مذكور في المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض وإن كان مشترطا في المادة المذكورة أنه يخرج في مدة ثلاثة أشهر فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن. انتهى. !!!

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت روسيا أقوى أمانيها بعد إذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسي تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعية. وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا وبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا وبروسيا في 7 فبراير سنة 1772م وقبلتها النمسا في أبريل وأعلنت لملك بولونيا في 18 سبتمبر سنة 1772م وبذلك سقط الحاجزان الأولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدم روسيا من جهة أوروبا وأمكنها أن توجه كل قواها لمكافحة الدولة العثمانية.

استيلاء روسيا على بلاد القرم :

أما روسيا فأخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغبات الداخلية بها وبالتالي لابتلاعها وضمها إلى أملاكها. وما زالت مستمرة في إلقاء الدسائس ونشر الفتن بين الأهالي حتى عزلوا أميرهم دولت كراي الذي انتخبه الأهالي بمقتضى نصوص معاهدة قينا رجه واحتلت روسيا تلك البلاد بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فتم لها مقصدها الذي كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة سواحل البحر الأسود الشمالية في غضون سنة 1773م فهاجت الدولة وأرادت إشهار الحرب على روسيا. لكن حولت أنظارها ثانيا عن الحرب بمساعي فرنسا لعدم استعداد الدولة وقدرتها في ذاك الوقت على مقاومة روسيا فبلت مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم لروسيا واعترفت بذلك في سنة 1774م. لكن لم يكن قصد روسيا ومساعديها إلا انتشاب القتال، وأرسلوا جواسيسهم إلى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ من البغدان لتهييج المسيحيين على الدولة. وفي سنة 1787م ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بأبهة واحتفال زائد وأقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها: (طريق بيزنطة) فعلمت الدولة من كل هذه الأحوال أنها تقصد محاربتها ثانيا. ولذلك أرادت هي المبادرة بإعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها.. وفي هذه الأثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة لروسيا. وحاول

إمبراطورها يوسف الثاني الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاد بالخيبة إلى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره الجيش العثماني وانتصر عليه نصرا مبينا. ثم بعد ذلك بقليل توفي السلطان عبد الحميد الأول في 12 رجب سنة 1203 هـ 8 أبريل سنة 1789م بالغا من العمر 66 سنة ومدة حكمه 15 سنة وثمانية شهور وتولى بعده سليم الثالث.

- **(28) – السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789– 1807م):**

وهو ابن السلطان مصطفى الثالث. تولى وجو السياسة مكفهر ، ورحى الحرب دائرة فبذل جهده في تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر. لكن اليأس كان قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم. وفي هذه السنة اتحد القائد الروسي مع قائد الجيوش النمساوية في الأعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين في سبتمبر سنة 1789م استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب. فكانت الدولة في خطر عظيم. ولو استمر اتحاد النمسا وروسيا لفقدت أغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الإمبراطور يوسف سنة 1790م وخلفه ليوبولد الثاني فشغلته الثورة الفرنسية التي قامت على الملك لويس السادس عشر خوفا من امتداد لهبها. وسعت النمسا في مصالحة الدولة

العثمانية وردت إليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا.

إلا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفتها في طريق الصلح بل استمرت على محاربة الدولة بمفردها. ثم توسطت إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة وروسيا وتم الصلح بين الطرفين في سنة 1792م على أن تمتلك روسيا بلاد القرم نهائيا وجزء من بلاد القوبان وبسارابيا والأقاليم الواقعة بين نهري بوج ودينستر بحيث يكون هذا النهر الأخير فاصلا بين المملكتين ، وتتنازل لها الدولة العثمانية عن مدينة اوزي اوتشاكوف. وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياش أطلق عليها اسم هذه المدينة نسبة إليها.

وبعد إتمام الصلح مع النمسا وروسيا أخذت الدولة في إصلاح داخليتها وخصوصا العسكرية والبحرية فعين أحد المتقربين من السلطان واسمه كوشك حسين باشا قبطانا عاما وكان من الشبان الذين درسوا في أوروبا. وزوجه السلطان إحدى أخواته فاستحضر عددا عظيما من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل الطوبخانة ، وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التي أسسها البارون دي توت المجري وترجم لتلامذتها مؤلفات المعلم فوبان الفرنساوي في فن الاستحكامات. وأضاف إلى مدرسة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب في الفنون الحربية الحديثة والرياضيات لتكون

التلامذة على إطلاع تام في العلوم العصرية. ووضع نظاما للجنود المشاة وشرع في تنسيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الأوروبي ، فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة 1796م وجعل عددها 1600 جندي تحت قيادة ضابط إنكليزي دخل في الدين الإسلامي وسمي إنكليز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الإنكشارية.

وفي سنة 1798م أمرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب على الدولة العثمانية وأوصته بكتمان هذا الأمر حتى لا تعلم به إنكلترا فتسعى في إحباطه وكان القصد منه منع مرور تجارة الإنكليز من مصر إلى الهند. وحصلت بينه وبين أمراء المماليك واقعة الأهرام التي أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنساويين. وبعد أن بذلوا وسعهم في الدفاع عن مصر. تقهقروا أمام المدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها أنه لم يأت لفتح مصر بل أنه حليف الباب العالي. وأنه أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره ، كما زعم الإنكليز بعد ذلك عند دخولهم مصر سنة 1882م.

ولكن لم يلبث أن وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن أمير البحر الإنكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنساوية في أغسطس سنة 1798م. وتسلطن الإنكليز على البحر

المتوسط، وقطعوا المواصلات بينه وبين فرنسا. ولما علمت الدولة العثمانية باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وأنها كانت مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئ الثورة الفرنسية إلى بلادهم فتفل عروشهم كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا. ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الإنكليزية مساعدتها على إخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدولة العثمانية مساعدتها بكل ارتياح. وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحربية وانضمامها إلى السفن العثمانية والإنكليزية فقبلت أيضا. وأعلنت الحرب رسميا على فرنسا في سبتمبر سنة 1798م. وأخذت الدولة في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لإرسالها إلى مصر واتت السفن الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز الآستانة وخرجت إلى البحر الأبيض مع السفن العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لأول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية وروسية من العداوة القديمة المستمرة. ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربته تحقق أن من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السوري. فلهذه الدواعي عزم بونابرت على فتح

بلاد الشام. ودخل الرملة ثم يافا. ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر ولم يدخلها لتيقظ أحمد باشا الجزار قائد حاميتها. وفي أوائل أبريل بلغه تحرك جيش دمشق العثماني لإنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر لمحاربته ومنعه من الوصول إليها فالتقى بالعثمانيين عند جبل وأنجده بونابرت فتفرق الجيش المجتمع. وقطع نابليون بعدم النجاح وعاد بمن بقي من جيوشه إلى القاهرة. وفي أغسطس سافر بونابرت من الإسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الإنكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الأبيض على الفرنساويين، وذلك أن الأميرال الإنكليزي أرسل إليه عدة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمساويين على فرنسا ووقوع الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع إليها لاستمالة الخواطر إليه .. فغادره تاركا القائد كليبر وكيلا عنه. فبقي الجيش الفرنساوي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الإنكليز والعثمانيين على الثغور أو تأتي إليه بالمدد أو مجرد الأخبار من فرنسا. ونقص عدده إلى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب. وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ الطريق والمحافظة على الأمن في الداخل. ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالي والأميرال سدني سميث في 24 يناير سنة 1800م على أن تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع فرنسا على

مراكب إنكليزية. وسار بعدها لمحاربة الجيش التركي الذي أتى إلى مصر في مارس سنة 1800م، وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد إلى القاهرة فوجدها في قبضة إبراهيم بيك أحد أمراء المصريين. فأطلق القنابل عليها وخرب منها جزءً عظيما واستمرت الحرب في شوارعها نحو عشرة أيام. وفي 14 يونيه سنة 1800م قتل مجاهد فدائي من مدينة (حلب حرسها الله) اسمه (سليمان الحلبي) القائد كليبر في بستان السراي وهرب. فضبطوه وقتلوه هو ورفاق له ثلاثة اتهموا معه في القتل، منهم الشيخ الذي أفتاه بذلك في بيت المقدس رحمهم الله. ثم عين مكانه الجنرال مينو وكان قد زعم أنه اعتنق الدين الإسلامي وتسمى عبد الله مينو!!.

ولما علم الإنكليز والعثمانيون بموت كليبر وخروج بونابرت من مصر. أيقنوا بالغلبة عليهم وأنزلوا بابي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال أبركرومبي في أوائل سنة 1801م فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم. ثم سار الإنكليز والأتراك إلى القاهرة وحصروا من بقي منها من الفرنساويين .. أما القائد مينو فبقي محصورا في الإسكندرية ولم يقبل التسليم إلا في سبتمبر سنة 1801م بعد أن وقعت بينه وبين العثمانيين والإنكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر إلى بلاده على مراكب الإنكليز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد إلى العثمانيين.

وبعد ذلك اتصل بونابرت الذي كان تعين رئيسا للجمهورية الفرنسية مع سفير الدولة العثمانية وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع روسيا وإنكلترا خصوصا وأن روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب إيطاليا وبحيث جزيرة موره وجنود إنكلترا باقية بمصر مماطلة في إخلائها ، وما احتلته من ثغور الشام. وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العثماني دولته بذلك. وبعد الحصول منها على الإذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة سنة 1801م. أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق.

وفي هذه الأثناء حصلت في داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد فإن الإنكشارية لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح. فلما مات الجنرال دو بايت الفرنساوي الذي كان استحضر لتدريب النظام في سنة 1797م سعى الإنكشارية مع بعض العلماء المتذمرين من توجهات السلطان الغربية. وكان السلطان قد أصدر أمرا ساميا بفصل المدفعية عن الإنكشارية وتنظيمها ويكون مقرهم في الآستانة وأن يكون لكل منهم موسيقى عسكرية وإمام لتعليم الدين وإقامة الصلاة ...

الفتن الداخلية بسبب توجهات السلطان الغربية:

وقد انتشرت خلال انشغال الدولة العثمانية بحرب مصر ، وهاجت ثورات كثيرة من قبل سكان اليونان والبلقان والصرب وغيرها من باقي ولايات الدولة بأوروبا بدسائس الدول الأوربية ، وطموح السكان للاستقلال .. ولم يتمكن الإنكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها. ويزعم مؤلف كتاب تاريخ الدولة العثمانية (فريد بيك) أن السلطان سليم أراد تجربة الفرق المنتظمة الجديدة التي أنشأها ودربها عسكريون أوربيون وأدخلوا عليها الأنظمة الأوربية. فقامت هذه الجنود بما عهد إليها خير قيام .. وعادت السكينة إلى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة إلى الآستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد. وأغدق عليهم العطايا والهبات ثم أصدر في شهر مارس سنة 1805م أمرا ساميا خط شريف إلى جميع الولايات بتركية وأوروبا بجمع جميع الشبان من الإنكشارية والأهالي البالغين سن الخمسة والعشرين وإدخالهم العسكرية وتربيتهم على النظام الجديد بإشراف الضباط والمدربين الأجانب. فلم يقبل الإنكشارية هذا الأمر واظهروا التمرد.

واتحد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد فأذعن السلطان لمطلب الإنكشارية وأرجع العساكر النظامية إلى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين رئيس الإنكشارية صدرا أعظما. ومع ذلك فلم تنته هذه المسألة بسلام بل جرَّت بعد قليل إلى عزل السلطان ، وكانت هذه بداية وقوف العلماء ، وقيادات الإنكشارية في وجه عملية التغريب ، والغزو الأوربي للجيش العثماني الذي تولى كبره السلطان سليم الثالث هذا.

وقد أدت قلاقل بلاد الصرب إلى قيام الحرب بين الدولة العلية وروسيا التي سيأتي بيان أسبابها.

علاقات الباب العالي مع فرنسا وروسيا وإنكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر:

أرسل بونابرت إلى بلاد الشرق الجنرال سبستياني لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العثمانية. وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميري الافلاق والبغدان المنحازين لروسيا. فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في الشرق فأرسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها. فانتشبت نيران القتال بينها وبين الدولة واتحدت إنكلترا مع روسيا في هذه الحرب. فأرسلت إحدى فرقها البحرية أمام

الدردنيل وأرسل سفيرها بلاغا إلى الباب العالي يطلب منه: تحالف الدولة العلية وإنكلترا وتسليم الأساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل إلى إنكلترا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان إلى روسيا وطرد الجنرال سبستياني من الآستانة وإعلان الحرب على فرنسا وإلا فستكون إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها على الآستانة.

وفي فبراير سنة 1807م قرن الإنكليز القول بالفعل واجتاز الأميرال الإنكليزي الدردنيل ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها ، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التي سبق ذكرها. وبورود الخبر إلى الدولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملكية ودواوين الحكومة على ضفتيه. وكادت الدولة تستسلم للشروط. ولكن الفرنسيين شجعوها على الصمود ووعدوا بالمساعدة. فأخذوا في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة من مائتي مقاتل !! أغلبهم من المدفعية وكذلك الأسبان لمضادة سفيرهم لسياسة إنكلترا في الشرق. واهتم كل من في الآستانة في هذا العمل حتى الشيوخ والأطفال والنساء وبذل الإنكشارية جهدا كبيرا رغم خلافهم مع السلطان .. فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة في مأمن. فلما رأى الأميرال الإنكليزي استحالة دخوله البوسفور

وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشي من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا في مارس سنة 1807م فنجا بمراكبه بعد أن قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل. واجتمع بمراكب روسيا عند مدخل البوغاز. ثم أراد الأميرال الإنكليزي أن يأتي عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله في هذه المأمورية فقصد ثغر الإسكندرية فاحتلها في مارس سنة 1807م ثم سير فرقة إلى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وحاصر المدينة في أبريل لكن لم يقو على فتحها لإرسال مُحَّد باشا المدد إليها ، وأخيرا رحلوا عن الديار المصرية. بعد أن أجروا تجربة لاحتلالها.

عزل السلطان سليم الثالث: في هذه الأثناء التي كانت فيها رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس دخل والي بوسنه بجيوشه إلى بلاد الصرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيش الروسي. وفي غضون ذلك توفي المفتي الذي كان معضدا للسلطان على إدخال الإصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضي عسكر الرومللي وكان على الضد من سلفه ، فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الأعظم المتغيب في محاربة الروس ولفيف من العلماء على السعي في إبطال النظام العسكري الجديد. معتبرين أنه بدعة مخالفة للشرع. وأخذوا يقنعون العساكر الغير منتظمة التي كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة ببطلان

إكراههم على لبس الملابس الغربية والتزيي بزي النصارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف .. وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها إلى جميع القلاع وحصلت عد معارك بين الفريقين كانت نتيجتها أن وصل الجمع الثائر على السلطان .. ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بإلغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية. لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السلطان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتي الذي كان المحرك لهذه الثورة ، فأفتى بأن كل سلطان يدخل نظم الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحا للملك.

واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودي في يونيو سنة 1807م بخلع السلطان سليم الثالث فعزل وكانت مدة حكمه 19 سنة وأقيم بعده مصطفى الرابع.

- **(29) – السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807– 1808م) :**

عقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت في يوليو سنة 1807م التي جاء البند الثاني والعشرين وما بعده منها أن روسيا تكف عن محاربة الدولة العثمانية حتى يتوسط نابليون

بين الطرفين. وأنه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلي جيوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا وجاء في المعاهدة السرية التي اتفق عليها نابليون واسكندر الأول قيصر روسيا إن لم يقبل الباب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الأخيرة التي حدثت بالآستانة أو إن لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع روسيا على سلخ جميع الولايات العثمانية بأوروبا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير. **وهذا يظهر النوايا المبيتة لكافة الخصوم المتحالفين ، ويبين أنه لم يكن هناك أي دولة أوروبية تود خيرا أو تبغي صلاحا لدولة أو أمة إسلامية مطلقا.**

ولم يطل العهد بالسلطان مصطفى الرابع فتم حجزه في نفس السراي التي كان محجوزا بها السلطان سليم. وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا وقتل في سرايته بعد ذلك بقليل وأقيم بعده محمود الثاني.

- **(30) – السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م) :**

وهو ابن السلطان عبد الحميد الأول. وقد افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرق دار منصب الصدارة العظمى ووكل إليه أمر

تنظيم الإنكشارية ، ولكنهم قاوموه وحصلت فتنة كبيرة أدت إلى قتل السلطان السابق المحجوز في السرايا (مصطفى الرابع) ...

ثم وجه السلطان الجديد اهتمامه لإصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لإهلاك طائفة الإنكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع الإنكليز في يوليو سنة 1809م. وافتتح الإيصالات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحرب وكانت سجالا بين الجيشين. وفي هذه الأثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدولة العثمانية ، وتوصل الطرفان إلى معاهدة بوخارست في مايو سنة 1812م. ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القديمة الموجودة بين الدولتين. إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجيوش التي كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين في صد غارات فرنسا عن بلادها وإلزام نابليون بالعودة القهقرى بعد حرق مدينة موسكو وهلاك أغلب جيوشه عند عبورهم نهر بيريزينا عائدين إلى بلادهم مكسورين مدحورين. ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الأموال والأرواح لإعطائهم نوعا من الاستقلال الإداري. ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم ، لم يقبلوا وآثروا الفناء في الدفاع عن استقلالهم فسيرت الدولة إليهم الجيوش

فأخضعتهم إلى سلطانها قهرا. وأعطيت تعليمات شديدة تقضي بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كي يحافظوا على ولاء الدولة. وصارت الصرب مستقلة تقريبا واستبد زعيمهم ميلوش كملك مطلق لا سلطة للوالي العثماني عليه.

ثم قامت الحركة الوهابية في نجد في الجزيرة العربية. وقمعتها الدولة العثمانية باستخدام مُحَّد علي باشا والي مصر وابنه إبراهيم باشا ومستشاريه الفرنسيين. والقصة مشهورة بما يغني عن تفصيلها هنا.

وثارت اليونان وأيدتها الدول الأوربية وروسيا. واستخدم العثمانيون مُحَّد علي باشا لقمع الثورة وفتح بلاد اليونان فنجح بذلك سنة 1826م. وفي يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع عنها.

تدخل الدول الأوربية في شؤون الدولة العثمانية:

وبينما كان إبراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيدي الثائرين. إذ تدخلت الدول بين الباب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظاهر ولفتح ما دعوه بـ (**المسألة الشرقية**) وتعني عمليا (الإعداد لتقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهم).

فقد عاتبت الدولة العثمانية روسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها واستمرت روسيا على

مساعدتهم طمعا في نوال بغيتها الأصلية وهي احتلالها الآستانة وجعلها مركزا للديانة الأرثوذكسية على غرار مدينة روما التي تعتبر مركزا للديانة الكاثوليكية. ثم استمرت المحادثات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة روسيا وعدم قبول الباب العالي أي تدخل أجنبي في شؤونه الداخلية وفي سنة 1825م تولى نيقولا الأول فاهتم بمسألة اليونان متبعا خطة سلفه السياسية. وباتحاده مع إنكلترا اضطر الباب العالي إلى التصديق على معاهدة آق كرمان سنة 1826م. وملخصها أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة حق في تفتيش سفنها وأن تنتخب حكام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما إلا بإقرار روسيا. وأن تكون ولاية الصرب مستقلة تقريبا. وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى. ولم يذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال في المستقبل بل اتفقت روسيا وإنكلترا على استعمال كل نفوذهما لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كره الباب العالي ووافقتهما دول النمسا وبروسيا وفرنسا.

واقعة ناورين:

وفي 5 فبراير سنة 1827م عرضت إنكلترا رسميا على الدولة العثمانية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز. بعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التدخل ، أنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا. فاغتاظت الدول من هذا الجواب. واتفقت كل من فرنسا وإنكلترا وروسيا على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد ، كما يتفق على حدود الفريقين وأمهل الباب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضد اليونان وإلا فتضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ رغبتها. ولما بلغت صورة هذه المعاهدة إلى الباب العالي لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدولة الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها التوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من إبراهيم باشا الكف فورا عن القتال فقبل إيقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة ، واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء ناورين لمنع الأسطول التركي والمصري من الخروج منها. وفي أكتوبر سنة 1827م تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة ، ولم تلبث السفن المقابلة لبعضها حتى انتشبت نيران الحرب بين الفريقين لسبب واه ، وسلطت جميع السفن الأوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية بعد أن استمر القتال عدة

ساعات. وانتهت بانتصار الدول المتحدة. ولما وصل خبر هذه الحادثة التي حصلت بدون إعلان حرب كما هي العادة بين الدول إلى الباب العالي. أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحجة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به أن تمتنع الدول كلية عن التدخل في شؤون الممالك العثمانية وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر التي نجمت من تدمير المراكب العثمانية. فلم يجاوب السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب العالي ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين. ونشر السلطان في جميع الولايات منشورا عاما (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموما وروسيا خصوصا نحو الدولة العلية الدولة الإسلامية الوحيدة. مثبتا للأهالي على أن الباعث على هذا العدوان هو الدين لا السياسة. وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعا عن الدين والملة والوطن. فاغتاظت روسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة في أبريل سنة 1828م.

ثم تلقى إبراهيم باشا أوامر والده واتفق مع الدولة المتحدة في أغسطس سنة 1828م بناء على الرجوع إلى مصر. على ما بقي من السفن المصرية. وابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنسيون الذين نزلوا ببلاد اليونان. وفي نوفمبر سنة 1828م عقدت الدول الثلاث مؤتمرا في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدولة العثمانية فأبت إرسال مندوب من طرفها.

فاجتمع مندوبوها في اليوم المعين واتفقوا على استقلال موره وجزائر سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها على أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة روسيا التي أعلنت الحرب عليه بعد أن دمر أسطوله. وأخيرا في 1830م أعلن الباب العالي بتصديقه على الشروط المدونة في الاتفاق الذي امضي بين الدولة في لندن في نوفمبر سنة 1828م القاضي باستقلال اليونان.

إلغاء طائفة الإنكشارية : زعم المؤرخ أنه لما تحقق السلطان محمود أفضلية النظم العسكرية المستعملة في جيوش أوروبا. وسمع بما أتته الجنود المصرية المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة موره. وعلم أن انتصارات إبراهيم باشا على اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النظام العسكري. زاد تعلقه بإصلاح النظم العسكرية. وأراد إتمام المشروع الذي لم يمكن السلطان سليم الثالث إتمامه فجمع جميع ذوات واعيان المملكة وكبار ضباط الإنكشارية في بيت المفتي في أوائل سنة 1826م. وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل إيضاح كيفية التنظيمات المراد إدخالها وبعد إقرار الجمعية عليه حرر بذلك

محضرا ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الإنكشارية وأفتى المفتي بجواز العمل بها شرعا ومعاقبة من يعارض في نفاذها. ثم تلا المشروع على جميع ضباط الإنكشارية فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين تنبه الإنكشارية وأخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كما فعلوا قبلا.. ولم يمض قليل حتى تم حل الإنكشارية ومطاردتهم وإبادة من عارض منهم.

ثم سار السلطان في خطة الإصلاحات الداخلية بناء على الفتوى الشرعية !! ، وقد ذكر (المؤرخ الذي اعتمدنا مصدره آنف الذكر) ممتدحا أعمال السلطان فقال: (... ومن جهة أخرى أخذ في تغير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا. فاستبدل العمامة بالطربوش الروني ، وأمر بالزي الأوروبي ، وأمر بأن يكون هو الزي الرسمي في العسكرية والمدنية ، وأسس وساما دعاه وسام الافتخار، وأخيرا تجول بذاته في ممالك أوروبا ليستطلع أحوالها ويقف على حقائق الأمور ... وبالاختصار فإنه سار سير من يردي مجاراة أوروبا في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الأخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظروف هو عين التأخر..) كما زعم من لعب بعقله من الضباط الذين تفشت فيهم الماسونية والافتتان بالغرب. وزيادة على ذلك أحيا ما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس

الطوبجية وانشأ مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سان سير الفرنساوية التي أسسها نابليون الأول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والإشراف على النظم العسكرية الغربية.

احتلال فرنسا لجزائر الغرب : وفي أواسط سنة 1830م نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدي قراصنة البحر المسلمين على مراكبها التجارية. وكانت الحقيقة رغبتها في أن يكون لها مركز حربي بشمال إفريقيا حتى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة واتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها. وقررت فرنسا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في 7 فبراير سنة 1830م وجوب الاستيلاء على هذا الإقليم. ثم أرسلت للجزائر جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وأسطولا بحريا مؤلفا من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندي بحري. ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيئا.

وفي 20 ذي الحجة سنة 1245 هـ/ 12 يونيو 1830م نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر ونشب القتال بين الفريقين في يونيو

وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة. ودخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها. وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا إلى الجزائر لفتحها.

وخلال هذه الفترة تمرد مُحَّمد علي باشا في مصر وزحف على الشام وأدت وساطات ومداولات إلى تدخل الدول الأجنبية وإعطائه ولاية مصر وراثية في أبنائه بدعم من فرنسا في القصة المشهورة تاريخيا ..

ثم توفي السلطان محمود الثاني في يوليو سنة 1839م وكانت مدة خلافته إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور وتولى بعده ابنه عبد المجيد.

- **(31) – السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839– 1861م):**

تولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره. وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش مُحَّمد علي باشا والي مصر على جيوش العثمانيين ، واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية. ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا أن أحمد باشا القبطان العام للأسطول التركي خرج بجميع مراكبه الحربية وأتى بها إلى ثغر الإسكندرية وسلمها إلى مُحَّمد علي باشا. و لما علم قناصل الدول بالآستانة بتسليم الأسطول إلى مُحَّمد علي باشا خشوا زحف إبراهيم باشا على القسطنطينية أرسلوا إلى الباب العالي لائحة سنة 1839م

ممضاة من سفراء فرنسا وإنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يطلبون منه أن لا يقر شيئا في أمر المسألة المصرية إلا بإطلاعهم. وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين مُحَمَّد علي باشا لحل هذه المسألة المهمة. فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي باشا. وحصلت مداولات كثيرة ، ولم تقبل روسيا تخويل مؤتمر دولي حق تحديد علاقاتها مع الباب العالي بل أعلنت أنها مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سي) وهي حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى إبراهيم باشا حدود الشام. فعند ذلك طلبت كل من فرنسا وإنكلترا من الباب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من روسيا ومن العساكر المصرية ، ولما علم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بأنه إذا دخلت المراكب الفرنسية والإنكليزية البوغاز فسيقطع علاقاته السياسية مع الباب العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته قد أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليه إذا اقتضى الحال ذلك. وكتبت النمسا إلى لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل بسلم أوروبا وأنهما لو أصرا عليه فستخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل. فلما علم الباب العالي بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وإنكلترا وطلب

منهما إبعاد مراكبهم عن مدخل البوغاز. فلهذه الأسباب ولعدم الإتفاق بين وزراء الدول توقفت المحادثات إلى سبتمبر سنة 1839م. حتى عرض سفير إنكلترا على الباب العالي أن دولته مستعدة لإكراه مُحَمَّد علي باشا على رد السفن التركية بشرط أن يكون لها حق إدخال مراكبها في خليج إسلامبول لصد روسيا عند الضرورة. فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت إلى قائد أسطولها في مياه تركيا أمرا في ديسمبر سنة 1839م أنه لا يشترك مع مراكب إنكلترا في أي حركة عدوانية ضد حكومة مُحَمَّد علي باشا (وهناك أدلة تاريخية كثيرة على عمالة مُحَمَّد علي لفرنسا ضد العثمانيين ، وتولي كثير من النصارى والمفتونين بفرنسا مناصب عنده). فعلم الكل أنه لا بد من حصول خلاف بين فرنسا وإنكلترا بخصوص المسألة المصرية. وأخذت الدول حذرها مما عساه يحصل من الأمور التي تنشأ بسبب هذا الخلاف. فأعلنت النمسا بأنها لا ترغب التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا وروسيا بأنهما يقبلان كل ما تقرره الدول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقا لرغبة الباب العالي وأن يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية. فكأن الدول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وإنكلترا بالاتحاد مع الباب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعي إنكلترا في إرجاع المصريين إلى حدودهم الأصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها في

مساعدة مُحَّد علي باشا. وذلك أن فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشام له ولذريته وإقليما أدنه وطرسوس له مدة حياته وأما إنكلترا فكانت لا تريد أن يعطى إلا ولاية مصر لكن رغبة في إرضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح دعما لعميلها مُحَّد علي باشا.

وفي تاريخ 15 يوليو سنة 1840م اتفقت الدول على معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها:

* **أولا** : أن يلزم مُحَّد علي باشا بإرجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم.

* **ثانيا**: أن يكون لإنكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا في محاصرة الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدولة العثمانية.

* **ثالثا** : أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وإنكلترا معا حق الدخول في البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها.

* **رابعا** : أن لا يكون لأحد الحق في الدخول في مياه البوسفور ما دامت القسطنطينية غير مهددة.

* **خامسا** : يجب على الدول التي وقع مندوبوها على هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق في مدينة لندن.

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه الحقوق والامتيازات التي يمكن منحها لمحمد علي باشا.

وقبل إمضاء هذه المعاهدة ابتدأت إنكلترا في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ونصيرية على شق عصا الطاعة.

ثم عادت الدول للاختلاف وكادت تقوم الحرب مع مُحَمَّد علي باشا. ثم أرسل قناصل الدول الأربع المتحدة لمحمد علي (خلافا لفرنسا الداعمة له) ، وعرضوا عليه باسم دولهم أن تكون ولاية مصر له ولورثته وولاية عكا له مدة حياته وأمهلوه عشرة أيام لإعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم في اليوم التالي أفهموه أن فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وأن الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك إلى حرب أوروبية لكنه أصر على عدم القبول والدفاع عن حقه. وفي 24 أغسطس 1840م حضر إليه القناصل ومعهم مندوب الدولة وأخبروه بأنه لا حق له الآن في ولاية عكا. وأن الدول لا تسمح له إلا بولاية مصر فقط له ولذريته فغضب وطردهم من عنده. فانصرفوا وأعطوه عشرة أيام أخر لإبداء جوابه بحيث إن لم يجاوب تكون الدول غير مسؤولة عما يحصل له من الضرر. وبعد

انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابه كتب القناصل بذلك إلى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الأعظم وقرروا باتحادهم أخذ مصر والشام من مُحَمَّد علي باشا. وفي أثناء هذه المدة عجزت فرنسا عن مساعدة مُحَمَّد علي باشا ، وأرسلت أوامرها لسفنها أولا بالانسحاب إلى مياه اليونان ثم بالعودة إلى فرنسا وتركت مصر والشام لمراكب إنكلترا تحرق موانئها بمقذوفاتها.

وفي 11 سبتمبر أنزلت العساكر إلى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن إبراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الإنكليزية. ثم جاء سليمان باشا بلاغ من الأميرالين الإنكليزي والنمساوي بأن يخلي مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع إبراهيم باشا فلم يقبل طلبه ، وابتدؤوا في إطلاق المدافع على المدينة لمدة يومين، حتى هدم أو حرق أغلب المدينة ، كما أحرقت كذلك الثغور الشامية قصد استخلاصها من مُحَمَّد علي باشا وإرجاعها إلى الدولة العثمانية...

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير على مُحَمَّد علي باشا أن الحكومة الإنكليزية تسعى لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد السفن التركية إلى الدولة العلية فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق في

نوفمبر سنة 1840م. ولم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وإحجام.

مسألة لبنان: وبمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان تحركت في سكانها الدوافع الدينية القديمة الكامنة ، وزادت الدسائس الأجنبية لإضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخلية توصلا لغاياتهم. وكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك، وإنكلترا معضدة للدروز ضدهم لتلجئهم لترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي ، فيدخلوا بذل تحت حمايتها الفعلية. ولا يعود لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي. وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيه ، ولم ينتبهوا لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها عن إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم. وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد القومية والدينية ، حتى تعدى الدروز على المارونية في سنة 1841م ، ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان من النهب والسلب.. ثم قام الدروز ثانية في سنة 1845م، وقتلوا المسيحيين وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير بعد أن نهبوا كل ما به من المنقولات والأمتعة. بدون أن يحصل أقل أذى **للمبشرين البروتستانت من الأمريكان والإنكليز** !! الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذه المذابح لم تخل من تأثيرهم.

وبسبب هذه الإضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالي بدا من التدخل في إدارة الجبل لمنع هذه الفتن. فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصرية من الشام. وعين مكانه واليا عثمانيا ، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديما. فلم تقبل الدول الأجنبية التي صار تدخلها مألوفا .. وجربت الدولة العثمانية حلولا عدة كانت في كل مرة ترضي هذا فتغضب ذاك ، وزاد تدخل الدول الأزمة تعقيدا .. وحصلت مذبحة سنة 1845م بين الطوائف ، فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكرية وأجرت فيها الأحكام العرفية ثم دارت المحادثات بين الدول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيرا بعد مداولات طويلة وأخذ ورد واتفق على حل وسط. وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتا. وبما أن الدروز لم يقبلوا هذه التسوية إلا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقا لوساوس مندوب إنكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان. واستمرت الفتن جارية مجراها حتى حصلت مذبحة سنة 1860م وتدخلت فرنسا عسكريا لحماية المارونية. وانسحبت ثانيا بعد توطيد الأمن وحفظ حقوق الموارنة.

حرب القرم و أسبابها :

كانت المنافسات دائمة بين قساوسة الأرثوذكس والكاثوليك بشأن التملك أو إقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة القدس. وكانت فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات قديمة تدعم الكاثوليك. وكانت روسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتيازات لإعطائها للأرثوذكس لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية المتمسكين بهذا المذهب، والبالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين نسمة. ثم لما عين نابليون الثالث رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية باسم البرنس لويس نابليون ، فاتَح الدولة العثمانية في هذه المسألة ، فعين الباب العالي لجنة مشكلة من عدة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها بمقتضى المعاهدات القديمة. فقررت اللجنة بعد عدة اجتماعات متوالية الأولوية للكاثوليك في امتلاك عدة كنائس وأديرة، فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية ، وهددت الباب العالي بالحرب لو أمر بنفاذها.

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا على سبر أفكار السير هاملتون سيمور سفير إنكلترا لدى حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وإنكلترا معا على إضعاف نفوذ فرنسا في الشرق وأخذ الاحتياطيات ، لتجزئة بلاد الدولة العثمانية حيث صار من المستحيل شفاء هذا

(الرجل المريض) كما صارت تدعى الدولة العثمانية في المحافل الدولية آنذاك على حد زعمهم. وعرضت روسيا أن تتساهل مع إنكلترا لو ساعدتها على نفاذ مشروعها في إعطائها القطر المصري وجزيرة كريت. فلم يجبه السفير الإنكليزي جوابا شافيا ، بل أجاب القيصر أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى ينقه من مرضه ، لأنه لو مات فستحصل حروب أوربية تهدر فيها الدماء انهارا عند تقسيم تركته. ولم يكن ذلك من الدولة الإنكليزية حبا بتقوية الدولة العثمانية أو شغفا ببقائها ، بل خوفا من امتداد روسيا في الشرق واحتلالها الآستانة فتشارك عندها إنكلترا في ملك البحر الذي انفردت هي به.

ولما رأى إمبراطور روسيا عدم إصغاء إنكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا في أمر التساهل معها على تقرير الأمور في بلاد فلسطين طبق مرادها ، وعرض عليه أن تتساهل روسيا أيضا مع فرنسا في مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب! ومراقبة إجراءات إنكلترا في جزيرة مالطة. لكنه لم يجد من السفير الفرنساوي أيضا أذنا صاغية.

فتحقق للعموم من ذلك أن قصد روسيا الوحيد هو إعلان الحرب على الدولة العثمانية. وتقسيم ممالكها ولذلك أرسلت فرنسا سفنها البحرية إلى مياه اليونان سنة 1853م واستعدادا للحوادث التي لم تكن في الحسبان. أما إنكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص في مالطة لحين صدور

أوامر جديدة لها. وفي أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالي للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكله سي) القاضية بأن يكون لروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة. وكان الباب العالي يماطله في الإجابة. ثم أرسل للباب العالي بلاغا نهائيا وقطع السفير الروسي العلاقات مع الباب العالي وبارح الآستانة على إحدى مراكب روسيا.

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ إلى إنكلترا تحققت من سوء نية روسيا نحو الدولة العثمانية ، فانضمت إلى فرنسا وأرسلت إلى سفنها بمالطة أن تنضم إلى السفن الفرنسية وتتحد معها في كافة أعمالها. ومن ثم ظهر لجميع أوروبا أن فرنسا وإنكلترا متحدتان على حماية الممالك العثمانية ضد أطماع روسيا. ثم أصدرت هاتان الدولتان أوامرها إلى مراكبها سنة 1853م بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العثمانية إذا اقتضى الحال.

واجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين في يوليو سنة 1853م واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدول الغربية تتألب مع الدولة العثمانية على محاربتها لحماية الدولة.

واهتم مندوبو بروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وإنكلترا في التوفيق بين الخصمين وإصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التي ربما عمت أوروبا بأسرها. وانفض المؤتمر

بدون جدوى. ثم اجتاز عمر باشا النهر في 3 نوفمبر 1853م. وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهرا. وفاز عمر باشا وجيوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا. وعندما شاهد الإمبراطور نيقولا هذا الحال اجتمع مع فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وفاوضه في خوفه من نجدة الدول الغربية فرنسا وإنكلترا للدولة العثمانية وسأله المساعدة والتحالف فلم يقبل الإمبراطور ذلك واظهر له شديد أسفه.

وفي هذه الأثناء تقدمت السفن الفرنسية والإنكليزية إلى بوغاز البوسفور برضا الباب العالي لتكون أقرب إلى البحر الأسود وإلى حماية الآستانة لو حاول الروس الهجوم عليها بحرا.

وفي نوفمبر سنة 1853م فاجأت السفن الروسية السفن التركية الموجودة في ميناء سينوب على البحر الأسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وإنكلترا بعدم إتيان أي أمر عدواني في البحر الأسود. ومن ذلك الحين صارت الحرب بين هذه الدول وروسيا أمرا واقعا لا محالة ، لحماية الدولة العثمانية من عدوان روسيا وأطماعها. لا حبا في الدولة العثمانية ، بل خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها على الآستانة كما أسلفنا.

وفي مارس سنة 1854م أمضي بين فرنسا وإنكلترا والدولة العلية في مدينة الآستانة اتفاق على محاربة روسيا وحماية الدولة العثمانية. وأرسل نابليون الثالث رسالة إلى مجلس النواب يخبره بإعلان الحرب على روسيا بالاتحاد مع إنكلترا.

وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان في جمع الجيوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها. وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدأ فعلا في البحر الأسود. وفي أثناء ذلك أعلن الإمبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له ثم زحف الحلفاء بجيوشهم. ولما انسحب الجيش الروسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان احتلها الجيش النمساوي !

ولم تعترض روسيا ضد هذا الاحتلال خوفا من إغضاب النمسا ودخولها في التحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب. ثم أرسلت فرنسا وإنكلترا سفنها إلى بحر البلطيق والبحر الأبيض الشمالي. والمحيط الهادي لضرب الثغور الروسية. وفي أواخر هذه السنة دارت الاتصالات ثانيا في مدينة فيينا للوصول إلى الصلح وإيقاف أضرار الحرب قبل اشتدادها. وذلك أن فرنسا وإنكلترا عرضتا على النمسا أن تتحد معهما ضد روسيا إن لم تقبل روسيا الصلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الأربع بطلباتها وهي:

أولا : عدم استئثار روسيا بحماية مسيحي الدولة العثمانية وحماية ولايتي الافلاق والبغدان.

ثانيا : حرية الملاحة لجميع الدول في نهر الطونه.

ثالثا : تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في ضائق الآستانة وخصوصا معاهدة سنة 1841م.

رابعا : وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الأسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول.

ثم في 28 ديسمبر اجتمع سفراء إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا عند وزير خارجية فيينا وقرروا إعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول إلى صلح. ثم هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية. في مدينة أوباتويا ، فردهم عمر باشا القائد العثماني على أعقابهم وكان النصر بمجرد فضل الجيوش الإسلامية. وفي مارس توفي إمبراطور روسيا وخلفه ابنه اسكندر الثاني.

وفي يناير سنة 1855م أمضى فكتور عمانويل ملك البيمونتي بايطاليا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا. وأرسل إلى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل. وفي 26 أغسطس انتصر المتحدون في واقعة تراكيتو وأخلى الروس مدينة سباستوبول بعد أن احرقوها عن آخرها. واحتلتها الجيوش المتحدة. أو بالأحرى احتلوا

أطلالها. وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة قلبرون فاحتلوها. وفي اليوم التالي هدم الروس قلاع مدينة أوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخلية البلاد. ولولا ابتداء فصل الشتاء الذي يأتي مبكرا بتلك البلاد ، لما وجدت روسيا من الجيوش ما يكفي لإيقاف أعدائها عن المدينة كيف المقدسة لديهم. وفي أثناء سنة 1855م أطلقت سفن فرنسا وإنكلترا قنابلها على عدة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرة. وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية. وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسألة في دور سياسي لتحقق إسكندر الثاني عدم الفوز خصوصا وأن النمسا قد أظهرت له العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد إلى التحالف الأوروبي ضدها. وانعقد مؤتمر جديد في فيينا في شهر فبراير سنة 1855م. وتظاهرت باقي الدول ضدها خصوصا مملكة السويد التي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصيد على شواطئ النرويج ، فأبرمت مع فرنسا وإنكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد روسيا في 20 نوفمبر سنة 1852م وأعلنتها رسميا لجميع الدول. وبذلك تحققت روسيا أنه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتألبة ضدها ومالت إلى السلم قلبا وقالبا منتظرة أقل مفاتحة من الدول

الغربية فتلبيها بالقبول. وفي أواخر سنة 1855م. عرضت النمسا أن يرسل إلى روسيا بلاغا نهائيا بطلبات الدول الأصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذي انعقد أخيرا بمدينة فيينا في أبريل سنة 1855م. وإن لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال في ربيع سنة 1856م بكل شدة وصرامة وتنضم إلى الجيوش المحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج. فأقرت الدول على ذلك وقبلت روسيا هذه الإقتراحات الأكثر تأثيرا على نفوذها مما رفضته في السابق. وبعد محادثات طويلة تم الاتفاق على أن ينعقد مؤتمر سلام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا سنة 1856م واختار لرئاسته وزير خارجية فرنسا وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة التي أوصلت نابليون الثالث إلى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها. إذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحرب من عهد نابليون الأول وحفظت للدولة العثمانية أملاكها من غوائل روسيا. وتبين فيما بعد أن الدول الأوروبية دافعت عن الكعكة والغنيمة التي ستتقاسمها فيما بعد !!.

ومما زاد في أحوال الدولة العثمانية ارتباكا ، تدخل الدول في الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين ، بتهديدها بقطع العلائق السياسية ونزول سفرائهم إلى مراكبهم بل وإرسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين. كما أرسلت فرنسا وروسيا مراكبها في سنة 1858م إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجيوش

العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره على مساعدة الثائرين في البوسنة والهرسك ... ومن هذا يتضح جليا أن الدولة كانت في أحرج المواقف لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها سياسيا لإضعافها وعرقلة جميع مساعيها الإصلاحية في داخل بلادها. وتدخل تلك الدول في أمورها الداخلية المحضة. حتى خيل للمتأمل أن سفراء الدول بالآستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة في جميع الأعمال في تلك الفترة.

وفي أوائل سنة 1858م توفي الصدر الأعظم رشيد باشا. وخلفه في هذا المنصب الخطير خصوصا في هذه الظروف السياسي الشهير عالي باشا وولى فؤاد باشا وزيرا للأشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق في الأعمال السياسية وعالما بمقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الإسلامية الوحيدة فعملا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأي. حتى لم يدعا لسفراء الدول حقا في التدخل. إذ لم يمض طويل زمن حتى عادت السكينة إلى بلاد البوسنة والهرسك ، لوعد أهاليها بإصلاح أحوالهم. وكذلك أنهيا مسألة الجبل الأسود بتحديد الحدود بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء (فرنسي وروسي وعثماني وجبلي) وقبلا قرار هذه اللجنة مع إجحافه بحقوق السلطنة ، لكن لما كان السكون وانتظام الأحوال.

ثم حصلت الحرب بين الموارنة والدروز 1860م وأدت إلى تدخل الجيش الفرنسي في لبنان ... وبعد خروج الجيوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوما توفي السلطان عبد المجيد خان في يونيو سنة 1861م. وكانت مدة حكمه 22 سنة ونصف وفي يوم موته بويع بالخلافة لأخيه.

- **(32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861 – 1886م) :**

وقد جرت في عهده جملة من الإصلاحات الداخلية منها:

** وضع مجلة الأحكام العدلية والقوانين التي أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك العثمانية بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة 1285 هـ الموافقة سنة 1869م.

** ومنها وضع مجلة الأحكام الشرعية ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشئت وكان جاريا إصلاحها. وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعي ذلك العصر من العلماء والقانونيين والإداريين في الدولة العثمانية.

وبعد الحوادث التي مر ذكرها اقتنع السلطان أن تحالف الدول الأوربية مع الدولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة إلا إضعافها بالتدخل في شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها

على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم. وأن كل ذلك يعود بالنفع على روسيا جارتها القوية و عدوتها القديمة ، لاسيما وقد عدَّل الدول بعد الحرب الفرنسية الألمانية أهم بنود معاهدة باريس التي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها في حق ولايتي الأفلاق والبغدان. فلهذه الاسباب اعتقد السلطان أن الأولى والأنجح لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع روسيا. وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا. فأكثر السلطان من الاجتماع مع سفير روسيا بالآستانة. والمتواتر وإن لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وأن تتبع الولايات الإسلامية التي يغلب فيها العنصر الإسلامي للدولة العلية الإسلامية. وضم جميع الأقاليم المسيحية أو التي يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع ، لم يرق للدول الأوروبية التي لها مصالح في الشرق ، وخصوصا إنكلترا. فأخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريون يعملون حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله وصادفت مساعيهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب فسوقه العلني وزيارته معرض باريس وحضوره

المسارح والمراقص ... فقد كان خليفة (عكروتا) كما يدعو أمثاله أهل الشام ..

وأصدر شيخ الإسلام فتوى بوجوب خلعه هذا نصها : (إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السياسية وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النفسانية ، في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها. وقد أخل بالأمور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة. وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟: الجواب: يصح. كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

وخلع في 31 مايو 1876م. ثم حصلت المبايعة للسلطان الجديد مراد خان الخامس من جميع الحاضرين على الأسلوب المتبع.

- **(33) – السلطان مراد الخامس (مايو1886– أغسطس 1886م) :**

هو ابن السلطان عبد المجيد خان ارتقى منصب الخلافة في 31 مايو 1876م وقيل أنه كان متعلما متثقفا بالثقافات الغربية ، مقتنعا بالمساواة بين جميع أصناف رعيته ، ولكنه زُعم أنه ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثم ازدادت شيئا فشيئا. وكان الصدر الأعظم يخفي هذا الأمر عن العموم. لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري ، حسب العادة. ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا

إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته. وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدز ورف النمساوي الشهير بمداواة الأمراض العقلية. فحضر وبعد أن فحصه ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الأقوال والإشارات ، واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض. فتشاور الوزراء في الأمر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد أفندي أن تسلم إليه مقاليد الأحكام حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه السلطان مراد لإدارة مهامها. واجتمعوا في يوم الأربعاء 10 شعبان سنة 1293هـ 31 أغسطس سنة 1876م وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني. واستفتوا مولانا شيخ الإسلام في الأمر فأفتى بوجوب عزله وهذه نص الفتوى : (إذا جنَّ إمام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة ، فهل يصح حل الإمامة من عهدته ؟ الجواب: يصح والله أعلم. كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه).

أقول: ويجب النظر بعين الشك إلى ما يرويه المؤرخون عن تلك المرحلة التي سيطر فيها الماسون على أمور الدولة العثمانية الداخلية والخارجية ، بدء من مرحلة ما بعد السلطان عبد المجيد والله أعلم بتفاصيل هذه الواقعة ، وشهودها من الطبيب النمساوي ، إلى آخر من تولاها.

(34) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886-1909م):

تزايدت ضغوط المفسدين على السلطان من أجل إلزامه بالدستور الذي كان أهم أهدافه مساواة المسلمين بالرعايا من اليهود والنصارى، وتمكن الفساد باستلام مدحت باشا الصدارة سنة 1876م وكان من أشد المنادين بهذه الإصلاحات.

والحقيقة – كما أشرت آنفا – فإنه يجب النظر بعين الريبة والتدقيق لمعظم ما كتب عن تاريخ الدولة العثمانية خلال القرن الأخير من حياتها. لأن الماسون واليهود كانوا قد تغلغلوا في الجيش وعموم دوائر الدولة ، ولم يتيسر لي الإطلاع على مصادر تفصيلية عن تاريخ تلك المرحلة ، ويُستنتج مما بلغنا عن مؤامراتهم على السلطان عبد الحميد الذي انقلبوا عليه ، أن تلك الدسائس كانت قد بدأت قبل عهده بعدة عقود ، منذ زاد نفوذ القناصل الأوربيين ، وازداد تعلق الطبقة الجديدة من السياسيين والضباط ، وحتى بعض السلاطين بالنموذج الأوربي للحضارة والسياسة ، ونهش الماسون واليهود في بنية الدولة ، إلى أن آلت لإسقاطها على يد ربيب يهود الدونمة المدعو (أتاتورك)!

- **ولنتأمل فيما كتب فريد بك المحامي (صاحب مصدرنا الأساسي (كتاب تاريخ الدولة العثمانية) ، ويبدو أنه مصري من أصل**

تركي، وقد نشر كتابه سنة 1909م فيما يبدو والله أعلم. وكتابه يؤيد (جمعية الإتحاد والترقي) الماسونية ، التي أشرفت على خلع السلطان عبد الحميد. فقد كتب يقول:

الدستور العثماني والنهضة الوطنية والإصلاحات في الدولة العثمانية:

(توفي السلطان سليمان القانوني سنة 1566م والدولة العلية في إبان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالمحيط الأطلنطي وكانت أوروبا ترهب سطوته وتخشى قوته. فخلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخلية. فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة. وكانت أحيانا تنحط إلى أن تولى الخلافة السلطان سليم الثالث سنة 1789م، والبلاد في اختلال والأحكام في ضعف والإنكشارية قابضون على زمام الأمور يولون من شاؤوا من السلاطين ، ويخلعون من شاؤوا ويقتلون من لم يسر وفق أهوائهم وأغراضهم ، والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها. فهاجه حب الإصلاح وصرح بميله إلى تنظيم الجند على النمط الحديث وتسليحهم بالأسلحة الحديثة الاختراع فلم يوافق ذلك الإنكشارية فبطشوا به فمات والإصلاح في مهده.{وانتبه لمديح الكاتب فإن السلطان سليم

هو أول من جاهر بالفسوق وبعملية التغريب وخلع بفتوى من المفتي}.

على أن الفكرة رسخت في أذهان العثمانيين فتلقاها السلطان محمود وعمد إلى الإصلاح من الوجهة الإدارية والعسكرية فبدد جند الإنكشارية واحل محلهم جيشا منظما وأخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام ولكنه توفي ولم يتمم من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيما غير تام. وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدولة فقاموا يبثونها على عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنا وأعلاهم يدا مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا ، فلما توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد. نشر خط الكلخانة المشهور سنة 1839م أي في 26 شعبان سنة 1255 هجرية. فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبا وأخذ رجال الدولة منذ إصدار ذلك الخط الهمايوني ينظمون القوانين الخاصة لكل فرع من فروع القضاء. ثم تألفت لجنة جمعت أعاظم الأساتذة العثمانيين فألفوا المجلة الشرعية التي صدرت الإرادة الشاهانية من السلطان عبد العزيز عام 1289 هجرية بالسير حسب نصوصها وسن قانون الأراضي سنة 1274 هجرية وقانون الطابُّو سنة 1275 هجرية وقانون الجزاء سنة 1274 هـ **وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين**

الفرنسية مع مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية (!!) ثم وضع قانون التابعية (الجنسية) العثمانية وتنظيم المحاكم الشرعية ! والمحاكم النظامية والمحاكم التجارية {وهي قوانين وضعية} ونظامات الإدارة الملكية ، ونظام إدارة الولايات ، ونظام شورى الدولة. ووضعوا نظاما للمعارف ، ونظاما للمطبوعات ، ونظامات أخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة. ونظامات للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الأمة. وبالجملة فإنهم لم يتركوا شيئا من لوازم إدارة الدولة حتى دونوا له قانونا. فمجموع هذه القوانين والنظامات كان معروفا في بلاد الدولة العلية **بالدستور**.

{وبالطبع فقد كانت مبارزة الله تعالى بالحرب بالتشريع من دونه أول بوادر البوار والخسران وتألب الأعداء ، فإنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت:46) }

ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وإرادة السلطان فوق كل قانون. وفي المدة الوجيزة التي جلس فيها السلطان مراد على سرير الملك كان مدحت باشا وحزبه الحر قد انتهى من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثين .{ومدحت باشا هذا هو رأس الأفعى الماسونية كما سيأتي تعريفه وبيانه }.

القانون الأساسي والسلطان عبد الحميد :

خلع السلطان مراد سنة 1293 هجرية الموافق 1876م وجلس السلطان عبد الحميد على عرش الخلافة وكان قد وعد رئيس الأحرار مدحت باشا قبل جلوسه على العرش بمنح القانون الأساسي وإمتاع الأمة العثمانية بالحرية. إلا أن عبد الحميد أظهر حين جلوسه علامات دلت على إخلافه وعده. فمن ذلك أنه جمع أعداء الأحرار وأضداد القانون الأساسي وعينهم في السراي لتقوية مركزه. مع أنه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العثماني الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب. وضياء باشا الأديب السياسي الشهير مشيرا فأخلف وعده. كما أنه كان يسعى جهده لاستمالة الرأي العام إليه فكان يخدع الأهالي. إلا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الأساسي. وكانت الدولة في ذلك الوقت تحارب الصرب فهزمتها واستولى العثمانيون على قلعة اكسناج ووضعت شروطا قاسية عليهم. ولكن هذه الدول رفضت هذه الشروط وطلبت من الباب العالي إبقاء الصرب على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح البوسنة والهرسك التي كانت ثائرة أيضا إدارة مستقلة مع منح البلغار مثلها. فكان ذلك سببا لطمع الصربيين فقرروا محاربة الدولة ونظم جيوشهم المهندسون الروس.

ولكن كان الانهزام نصيبهم فاستولى العثمانيون على الكسناج وبلغراد وساروا نحو العاصمة بلغراد فاستنجد أمير الصرب بروسيا فأمر قيصرها سفيره في الآستانة بتقديم بلاغ شديد اللهجة إلى الباب العالي. وقرر بعد ذلك عقد مؤتمر في الآستانة للنظر في أمر البلقان. وبالجملة فقد كان مركز الدولة العلية حرجا للغالية لأن أوروبا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحرب. فقرر الوكلاء إذ ذاك منح القانون الأساسي للتخلص من هذه الغوائل. واقتنع السلطان عبد الحميد بوجوب تنفيذه لأنه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبا. ولاتقاء الأخطار التي تنجم من رفض تلك الطلبات كان الواجب إجراء بعض الإصلاح الذي لا تتمكن أوروبا من انتقاده هو تنفيذ القانون الأساسي ..

{ وانتبه لضغوط أوربا لفرض الماسون ، والدستور الوضعي على الدولة العثمانية ، إذ يتابع فريد المحامي فيقول : }

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظما ، وذلك لأن الدول الأوروبية كلها تثق به، لعلمها أنه رئيس الأحرار وواضع القانون الأساسي ، وقرر السلطان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كي ينظر في مسألة (المؤتمر الأوروبي) الذي قررت الدول عقده في الآستانة. فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدولة وبين الصرب والجبل الأسود وبلغاريا. وفي 24 ديسمبر 1877م اجتمع

الوكلاء والعلماء والأمراء وغيرهم في الباب العالي ثم أقبل مدحت باشا وقرأ الإرادة الشاهانية التي منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية..

على أنه لم يكد ينتظم مجلس المبعوثين وينظر في شؤون الدولة حتى صدرت الإرادة الشاهانية بفضه فتقوضت كل أركان ذلك البناء وابتليت الأمة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتى في عصور الظلمات. هدم السلطان عبد الحميد ما بناه الأحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة في رؤوس العثمانيين فإن هذا الجسم على قوته الكامنة بل على ضعفه الظاهر لم يقو على تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظلم لاسيما وألوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحرية قد سطعت في كل مكان.

فبدأ الأحرار يعملون ليل نهار حتى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام 1908م فنالت الأمة العثمانية الدستور بجهاد جيشها الباسل وانتشرت الفكرة الوطنية من عهد **مدحت باشا** وساعد على انتشارها قصائد الشاعر العظيم **نامق كمال بك** الذي أدركه الموت في سجن ماغوسه. وألف **نيازي بك** أول عصابة في رسنة ، وسار على إثره **أنور بك ورائف بك** ، **وحسن بك**، **وصلاح الدين بك**.

أما **إدارة الحركة فكانت في سلانيك والجمعية العمومية للاتحاد والترقي في باريس** ، وكان الجميع يجتهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ

الدستورية. ومما ساعدهم على نشر أفكارهم أنه لم يكن بينهم خائن فقويت حركتهم واتسعت حتى أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طي الخفاء. وكانت لجنة الاتحاد والترقي وقفت مقدما على القوى التي يمكنها أن ترتكن عليها فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلقين الثاني والثالث المعسكرين في مناستر واسكوب وأدرنه وأزمير. ومن الفيلق الرابع المعسكر في أرض روم. فكان من المستحيل على الحكومة الحميدية إرسال الفيلق الأول المعسكر في الآستانة لمحاربة الدستوريين لأنه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند. ومع ذلك فكان أغلب الضباط منضمين إلى الدستوريين. وكان جنود الفيلق الثاني والثالث أكثر من غيرهما فبدأ الدستوريون يؤلفون عصابات وطنية لمقاومة الحكومة إذا حاولت عرقلة مساعيهم فقامت عصابة نيازي بك ثم ظهرت عصابة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم.

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة 1908م فأرسلت الحكومة الحميدية شمسي باشا لاقتفاء أثر عصابة نيازي بك ، ولكنه قتل قبل أن يبدأ في مهمته ، وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم وفي يوم 21 و 22 و 23 يوليو أرسل الدستوريون التلغرافات إلى الصدر الأعظم من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس ، هددوا فيها الآستانة بالزحف عليها إذا لم يعلن الدستور، فلما وصلت هذه

التلغرافات إلى السلطان عبد الحميد أصدر الإرادة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي.

الحادثة الإرتجاعية وخلع عبد الحميد:

تفرق شمل المستبدين منذ إعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد والترقي فأخذوا يفكرون في اجتثاث أصول الفساد.

فشجعوا أولا الجرائد على الكتابة ضد الجمعية ثم قامت حامية الآستانة بإيعاز من أركان السراي ولخصوا مطالبهم في شكل ديني كي ينضم إليهم أهالي الآستانة وها هي مطالبهم:

- 1- إحياء الشريعة.
- 2 - عزل الصدر الأعظم وناظري الحربية والبحرية.
- 3 - طرد أحمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت وإسماعيل حقي بك ...الخ من المجلس.
- 4 - عزل محمود مختار باشا لأنه لم يشترك معهم.
- 5 - العفو عنهم.

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع أن عدد الأعضاء لم يتجاوز الخمسين فإنهم قرروا إجابة مطالب الثوار وانتخبوا وفدا منهم ليبلغ السلطان قرارهم فتعين إذ ذاك توفيق باشا صدرا أعظم وادهم باشا ناظرا للحربية وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك يطلقون

البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا واجتمع المجلس مرة أخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرئيس أحمد رضا بك وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا إجباريا فباتت تتكلم عن السلطان عبد الحميد كما كانت تتكلم عنه أيام الاستبداد وكانت الحالة كذلك في الآستانة. فوردت الأنباء بمجيء الجنود من (الروم ايلي) لحماية الدستور ومجلس المبعوثين. ثم حاصر جيش الحرية الآستانة فأوفد المبعوثون وفدا لمقابلته. ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الآستانة وحاصر يلديز وحدثت هناك موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يلديز ولكن السلطان عبد الحميد استمر على المقاومة فقرر جيش الحرية أن يحمل الحملة الأخيرة فأطلقت القنابل على حامية الباب العالي والنادي العسكري واستولت عليهما ثم قبضت على الكثيرين من أنصار الحكم القديم الذين أثاروا الفتن ومن بينهم مراد بك الداغستاني . واعدم الجواسيس رميا بالرصاص. ويقدر عدد القتلى 1200 قتيل وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات (معسكرات) اسكودار فاستولت عليها ولم يبق إذ ذاك أي خطر على القانون الأساسي فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجمعية العمومية لتتداول في أمر السلطان عبد الحميد. وكانت النتيجة عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان رشاد مكانه.

وتم يوم 27 أبريل سنة 1909م تتويج السلطان رشاد باسم السلطان محمد الخامس وبالجملة فإن أنصار الاستبداد أثاروا فتنتهم الأخيرة فوقع الدستور في أزمة شديدة وتشتت شمل عشاقه وحماته. وترقب الملأ أن يعيد السلطان عبد الحميد ما فعله مع الدستور الأول. ولكن كانت الروح الدستورية قد قويت في قلوب العثمانيين وارتكزت على قوة الجند فاحتمل أنصار الدستور تلك الضربة بالصبر والثبات وتجدد النزاع الطبيعي بين الاستبداد والحرية وانتهى بخلع السلطان عبد الحميد.

(...) إلا أن عبد الحميد الذي طبع على الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحرية راقية أوج الكمالات منظمة أمورها بنفسها مقيمة العدل فسولت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الإدارة الدستورية ولولا أن أدرك الآستانة في ذلك الوقت بطل الحرية وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا. وبطلا الحرية نيازي بك وأنور بك لتم له ما أراده و لذهبت أتعاب حزب الاتحاد والترقي الذي جاهد في سبيل الحرية ثلاثين عاما أدراج الرياح.

واجتمع المجلس العمومي اجتماعا سريا وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الإسلام هذا نصها : (إذا اعتاد زيد الذي هو إمام المسلمين أن يرفع من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الشرعية وأن يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وأن يبذر ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شرعي وأن يقتل الرعية

ويحبسهم وينفيهم و يغربهم بغير سبب شرعي. وسائر أنواع المظالم ثم ادعى أنه تاب وعاهد الله وحلف أنه يصلح حاله ثم حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المسلمين كلها مختلة. وأصر على المقاتلة وتمكن منعة المسلمين من إزالة تغلب زيد المذكور ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المسلمين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح فهل يجب أحد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة على حسب ما يختاره أهل الحل والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين. الجواب: يجب. كتبه الفقير السيد مُحَّد ضياء الدين عفى عنه).

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة على الأعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الذي كان يرأس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل. فأجابوا بصوت واحد الخلع ..الخلع .

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومي المؤلف من الأعيان والمبعوثين: يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة 1327 هـ و 14 نيسان سنة 1325 هـ / 27 أبريل 1909م. (قرئت الفتوى الشرعية الموقع عليها بتوقيع شيخ الإسلام مُحَّد ضياء الدين أفندي في المجلس العمومي المؤلف من المبعوثين والأعيان. ورجح بالاتفاق وجه الخلع الذي هو أحد الوجهين المخير بينهما. فأسقط السلطان عبد الحميد خان من

الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية. واصعد ولي العهد مُحَّمد رشاد أفندي باسم السلطان مُحَّمد خان الخامس إلى مقام الخلافة والسلطنة.

[**انتهى كلام فريد بك . وينتهي هنا التلخيص من كتابه بتصرف كبير**.]

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك الذي زعمه محامي الإتحاد والترقي هذا، فقد كانت باختصار .. أن:

اليهود ومسألة فلسطين وتناهب الدول الاستعمارية للعالم الإسلامي كانت السبب الأساسي وراء خلع السلطان عبد الحميد :

فقد كتب الشيخ عبد الله عزام يقول في كتابه الهام جدا : (**خط التحول التاريخي**) :

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876-1909م) حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد ، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة حيث

تمكن مدحت باشا – أبو الأحرار كما يسمونه – وبعبارة أدق في نظرنا " أبو الماسونية آنذاك " أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل السلطان عبد العزيز عم السلطان عبد الحميد، واشترط على السلطان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور "أي الدستور العلماني الغربي الذي يتساوى فيه اليهود والنصارى مع المسلمين – وكان السلطان عبد الحميد شخصية داهية ذكية معتزة بربها فقبل. وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض على مدحت باشا وأودعه السجن في الطائف وأخيرا قتل مدحت في السجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الذي تحركه الماسونية على السلطان عبد الحميد ، إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السلطان عبد الحميد.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897م) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1- إنشاء أسطول عثماني.
2- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.
3- مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
4- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل : " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع ، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه).

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901م) وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قرة صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني).

فطار هرتزل مع قرة صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته : (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له ، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها ... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لا أهون علي من أن أرى فلسطين تقتطع من أمبرطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد : وفي سنة (1904م) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس.

وتكالب الماسون على إقصائه ، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا ، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة ، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على

إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قرة صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى جو رجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟ الذين أعلنوا الدستور سنة (1908م). ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي – وللأسف – واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

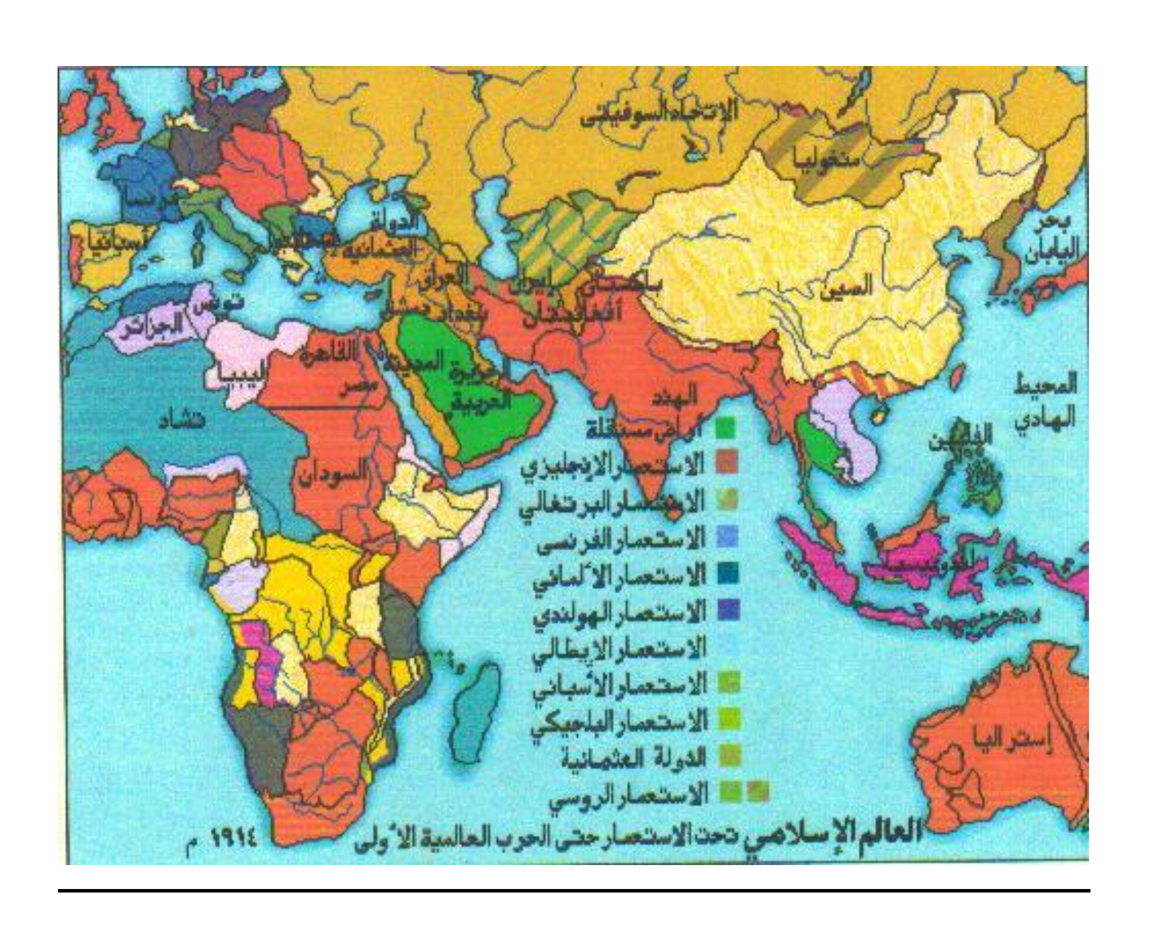
1- قره صو. 2-أستيدي باشا. 3- عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة (1909م) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام ، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن:

الإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين – حقيقية – في يد اليهود.

يقـول أنـور باشـا – أحـد أقطـاب الماسـونية والإنقـلاب علـى السلطان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا: أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشـترتنا الماسونية العالميـة ، نحن بـذلنا جهـودنا للصـهيونية فهـذا ذنبنـا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالـة السـلطان عبـد الحميـد لأنـه كـان معارضـا قـويا لليهـود. إذا رفـض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين)[39].



[39] (الذخائر العظام / ص : 921)

تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان المظلوم عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية ، وأصبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية ، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليهود.

وهكذا توالت النكبات على تركيا ، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – وهم علمانيون لا متدينون، والمحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم ، والديون تتراكم ، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

- **(35) – السلطان مُحَمَّد رشاد خان الخامس (1909– 1924م):**

تمت تولية السلطان رشاد وتم يوم 27 أبريل سنة 1909م وتوج السلطان رشاد باسم السلطان مُحَمَّد الخامس.

وكان قد قضى أغلب عمره في قصر زنجيرلي كوي. إلى حين حدوث الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد.

وقد بقي السلطان رشاد حبيسا في قصره فيما كان العسكريون والسياسيون من جمعية الإتحاد والترقي يلعبون بمصير الخلافة.

وقد ورط هؤلاء المجرمون الخلافة العثمانية في عهده بدخول الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء. وكان ولي عهده الأمير وحيد الدين. وقد توفي السلطان مُحَّد الخامس قبل نهاية الحرب سنة 1918م.



- **(36) – السلطان مُحَّد السادس (وحيد الدين) (1918–1924م):**

وقد خلف السلطان مُحَّد الخامس ، وبقي كذلك حبيس قصره ، فيما كان الحلفاء يسيطرون على مقدرات الخلافة ويقطعون أوصالها إربا بإشراف الإنكليز ، ومؤامرات اليهود ، وتنفيذ الماسون. حيث

أبرزت المؤامرات كما سنرى ، **مصطفى كمال أتاتورك**. وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى وتقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا ، واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية المسرحية مع اليونان. وانطلقت الأقلام لتبرزه.

وفعلا رتبت لدول الكبرى (ولاسيما بريطانيا) مع مصطفى كمال واشترطت عليه شروطا في معاهدة لوان (1922) م حيث كان يمثله فيها عصمت إينونو. فاشترط عليه كرزون – وزير الخارجية بريطانيا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

1- إسقاط الخلافة في تركيا.
2- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.
3- محاربة الشعائر الإسلامية.
4- اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشريعة الإسلامية

وقبل مصطفى كمال بهذه الشروط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا ، قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

وتمسح مصطفى كمال أولا بمسوح الرهبان، وتظهر صورة مصطفى كمال وهو يلبس ثياب العلماء في عيد الأضحى ويحمل السبحة الطويلة ويحث الناس على الشعائر الإسلام ومرت الأيام وجمع مصطفى كمال العلماء واستشارهم بفصل الدين عن الدولة (كالكنيسة) واستنكر العلماء هذه الخطة فطبق مسحا بالنواصي والأعناق وقتل من العلماء مقتلة كبيرة. وأعلن إسقاط الخلافة سنة (1924م) وناح الناس عليها، وتداعى الناس لينصبوا لهم خليفة ولو كان الخليفة هو ملك مصر – ومع هذا رفضت بريطانيا – أن يعود هذا الإسم المجرد صورة نظرية مصطنعة. وبذلك كان السلطان (محمد السادس) آخر الخلفاء العثمانيين وآخر من سمي خليفة في تاريخ الإسلام والمسلمين حتى الآن .. حيث لم تقم وإلى يومنا هذا خلافة إسلامية. وهكذا وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت. وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام ، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا.

فابتلع الغرب أولا دول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908م) (أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور). وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط. وانفصلت بلغاريا ، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911م) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912م). وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية). وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – وقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم المحافل الماسونية في سالونيك ، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت نعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي. فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

{ولا أنسى أن أضيف على سرد الشيخ الشهيد خبر دعوة حكومة القذافي لرئيس الكنيست وهو يهودي ليبي لزيارة ليبيا بدعوة رسمية في – نوفمبر 2004م – بعد أن فتح أتاتورك ليبيا (القذافي) أبوابها مشرعة للأمريكان والأوربيين واليهود ، وسلمهم سلاحها الثقيل طواعية على ظهر السفن إلى المعارض الأمريكية قبل ذلك بعدة أشهر !!}.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت ، وكانت ميزانية تركيا قد ناءت بأعباء النفقات العسكرية.

وبدأت محاربة الشعائر في تركيا ، فمنع الأذان باللغة العربية ، ومنع اللباس الشرعي ، ومزق رجال الأمن لدى مصطفى كمال ثياب النساء في الشوارع ، وحرم غطاء الرأس بالنسبة للنساء ، ومنعت الكوفية والعقال (لأن العرب يلبسونها) بالنسبة للرجال ، وفرض لبس القبعة بالنسبة للرجال ومنع قراءة القرآن بالعربية. وأمر بترجمته إلى التركية. وحول كمال مسجد أيا صوفيا إلى متحف ، وأقفرت المساجد وخلت المحاريب ، وصوحت المآذن ، وافتقد الناس الشباب من طريق الإسلام، وأصبح اللقاء على كتاب الله في المسجد جريمة يحاكم عليها القانون ، واختلف من المساجد حلقات العلم و دروس الفقه ، وتوارى العلماء أمامه تحت التراب قتلا أو في بيوتهم. وتقدم السفهاء ، وتكلمت الرويبضات كما جاء في الحديث:

* **(إن بين يدي الدجال سنين خداعة ، يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ، ويصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق وتفنى الوعول ، وتظهر التحوت ، قيل يا رسول الله ما الوعول وما التحوت؟ قال: الوعول: أشراف الناس والتحوت: الذين كانوا تحت الأقدام لا يؤبه لهم).**

* وعـن أبي هريـرة مرفوعـا: (**لا تقـوم السـاعة حـتى يظهـر الفحـش والبخـل ، ويخـون الأمـين ، ويـؤمن الخـائن ، وتهلـك الوعـول وتظهـر التحوت، قالوا يا رسول الله وما التحوت والوعول؟ قال: الوعول وجوه النـاس وأشـرافهم والتحـوت الـذين كـانوا تحت أقـدام النـاس لـيس يعلـم بهم**).

* وفي الحديث الآخر الصحيح الذي رواه الطبراني عن عوف بن مالك مرفوعا:

(**أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء ، وسفك الدماء ، وبيع الحكم. وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط**).

وبقى مصطفى كمال يواصل الحرب على الإسلام حتى نهاية حياته وتركيا تتحطم في جميع الميادين وتتراجع في كل مضمار.

أهم الأسباب الداخلية المباشرة التي أدت إلى سقوط الخلافة

أولا : انتشار الدعوات القومية:

وخاصة (دعوة القومية التركية (الطورانية) ، والقومية العربية، وأشراف الماسون واليهود على إحيائها وإذكاء نار التعصب والفرقة بين أتباع القوميتين الرئيسيتين المكونتين للدولة العثمانية.

القومية التركية (الطورانية):

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في إسطنبول مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العسكرية ، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883م) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية هو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848م) ، واعتنق هؤلاء الإسلام وأصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة ، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي) ، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال

الدين باشا ، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك ، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يوررزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي ، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية ، وكان لها تأثيرا هام في تقدير التاريخ التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن جمعية الإتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالمية) ، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية وهم داخلون فيها. ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية ، وبدؤوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا ، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي ، وعلى رأس هذه الشعوب العرب الذين اتخذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانب بريطانية ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ، وكان لها من النتائج الوخيمة على العالم الإسلامي.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من أصل تركي صاف ، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة) ، وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك ، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا ، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي ، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيك الأثرياء ... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية – أو الشبيهة بالدولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سالونيكا يهوديا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدون – شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء هم من العرق اليهودي ، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا ، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالاسم ، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى ...

وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سيرة التاريخ).

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية في سنة (1908) م وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

وثيقة السفير البريطاني في استانبول (لاروز) سنة 1910م حول العلاقة بين جمعية الإتحاد والترقي وبين اليهود و الماسونية :

هذه الوثيقة السرية هي أصلا رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطاني في القسطنطينية (السير جيرار ولاوزر) بتاريخ (1910/5/29م) إلى وزير الخارجية بريطانيا (السير ش. هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين (جمعية الإتحاد والترقي) واليهود و الماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كُشف عنها النقاب في بريطانيا حديثا ، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (1978/12/25م) في الأعداد (425.429) نقلا عن مجلة آفاق العراقية. ونقتطف منها الأجزاء الأهم:

[- في مدينة (سالونيك) { مدينة يونانية كانت آنذاك تحت الحكم العثماني } مائة وأربعون ألف نسمة ، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني (أي هربوا من أسبانيا) (20.000) يهودي من سبط (لآوي) أو من اليهود المتظاهرين بالإسلام والذين يدعون (يهود الدونمة).

- ومعظم اليهود الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية ، وهم ماسونية ينتمون إلى المحافل الإيطالية . فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتفتيش.

- أسس اليهودي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سالونيك – بالتعاون مع الماسونية الإيطالية – محفل (ماسيدونيا روزيتا) ، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطا ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية ، وهدفه فرض النفوذ اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا.

يظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سالونيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.

بعد ثورة (1908م) بقليل أصبح من المعروف بأن عددا كبيرا من قاداتها كانوا من الماسونية .

جميع اليهود على الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد.

أصبح كل اليهودي جاسوسا لجمعية الإتحاد والترقي.

بدأ الناس يقولون: إن الحركة اليهودية أكثر منها تركية.

عينت إيطاليا اليهودي (بريموليفي) قنصلا عاما في سالونيك وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرا لها في القسطنطينية ، وكان شتراوس يهودي.

العقيد اليهودي الدونمه (رمزي بيك) كان قائد الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من سالونيك إلى القسطنطينية وقد عين رئيسا لأركان حرب السلطان (مُحَّد الخامس)، وعندما خلع السلطان (عبد الحميد) واعتقل في سالونيك عين أخ لرمزي بيك مشرفا على السلطان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأول سنة (1909م) أن إنقسام اليهود إلى صهيونيين ، ودعاة للهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين ، قد انتهى بفضل (معجزة الثورة التركية) بمعنى أن فلسطين أصبحت مضمونة بلا شك.

بعد خلع عبد الحميد أُعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين ، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية ماسونيين.

مدير المطبوعات في الدولة يهودي من سالونيك وله سلطة إيقاف أي جريدة.

وكالة الأنباء التلغرافية – التي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخلية والخارجية – مديرها يهودي من بغداد.

رئيس الفرع الرئيسي لجمعية الإتحاد والترقي في القسطنطينية يهودي من سالونيك.

مديرية الأمن العام في الدولة بيد ماسوني من سلانيك.

في مقدونيا والقسطنطينية ظهر خلال العام الماضي (1909م) إثنتا عشر محفلا ماسونيا جديدا.

أُفهم الموظفون وغيرهم – من ذوي المناصب المهمة – أن مناصبهم ومواردهم رزقهم تتوقف على دخولهم في المحافل الماسونية.

لكي تشدد الجمعية قبضتها على الجيش أدخل عدد كبير من الضباط – وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة – في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد (نيازي بيك) ، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

دخل في الماسونية معظم نواب الجمعية في مجلس المبعوثان والأعيان في المحفل الذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه (طلعت بيك).

نواب المعارضة وخاصة العرب بدؤوا ينشئون لهم محافل خاصة بهم مثل (محفل التآخي العثماني) (أصدقاء الحرية) أو ينضمون إلى المحفل القائمة.

طائفة البكطاشية تفشت بينهم الماسونية.

في المدة التي بين (1909- 1910م) أنشئت المحافل الماسونية التالية: (الوفاء الشرقي ، نهضة بيزنيطة ، الأصدقاء الحميمون للإتحاد والترقي، الحقيقة ، الوطن النهضة ، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا الفجر). ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية – مثل شبكة المحافل الماسونية في سالونيك ومقدونيا –كان يقودها أو يخطط لها اليهود.

الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونييون.

إدريس بيك راغب – رئيس المحفل المصري الأعظم – هو المؤسس والمهيمن على عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

عدد كبير من الروم الكاثوليك في لبنان ماسونييون.

مُحَّد أورفي باشا أسس عددا من المحافل الماسونية في مصر والقدس وجنوب سوريا

يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

الزعيم الوطني المصري (مُحَّد فريد) ماسوني كبير عين ممثلا في مصر لمحفل الشرق العثماني الأعظم واقيمت حفلة التنصيب في محافل ماسوني في (طنطا).

(حاييم ناحوم) حاخام الطائفة اليهودية الأكبر الجديد في تركيا كان زميل دراسة لعدد من أعضاء جمعية أعضاء الإتحاد والترقي البارزين.

(طلعت وجاويد) يمثلان قمة الماسونية في تركيا ، وطبعا جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيرا للداخلية - قبل حوالي سنة — عمل على نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدولة ، وأخذ يسند إلى الماسونيين الوظائف الكبرى في الأقاليم.

وقال (لاوزر) : يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هي محفل الشرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).

الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران. وجمعية الإتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الذي وقع في إيران ويدور الحديث الآن حول بدء بإنشاء محفل الشرق الماسوني في إيران ، و(فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجديدة في القسطنطينية انضم إلى الماسونية حديثا.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجديدة.

يهتم اليهود أعظم الاهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليهود المحتلين.

الممولون اليهود يرحبون بتقديم القروض للعهد الجديد في تركيا مقابل مكاسب إقتصادية.

لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوربية.

اليهود يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

قد أحكم اليهود سيطرتهم على هؤلاء الأتراك الشبان.

اليهود يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددا أخر من الجرائد في القسطنطينية.

الممولون الأوروبيون – ومعظمهم من اليهود – يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة.

جمعية الإتحاد والترقي الماسونية تشجع الثوريين اليهود والأرمن على تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية.

أعضاء جمعية الإتحاد والترقي يقلدون الثورة الفرنسية في أساليبها بتوجيه من اليهود.

اليهود يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القومية الطورانية ، لأن المجريين من أصل طوراني. وجميع هذه المعلومات حصلنا

عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.] اهـ .انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) التي كتبها سنة (1910م).[40]

ثانيا : الثورة العربية الكبرى:

ووقوف الشريف حين إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضد الخلافة العثمانية ، بعد أن خدعه الإنكليز وأوهموه بأنهم سيساعدونه على إقامة خلافة عربية في جزيرة العرب والشام والعراق.

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي ، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914م) يريدون التخلص منه. وكان عبد الله بن الشريف حسين {جد (الملك حسين) الهالك ، والد (الملك عبد الله) الحالي سلسل عمالة الإنكليز والخيانات المتتالية }.

وكان عبد الله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي ، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) ورونالد ستورز المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني. وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك. وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما

---

40 (نقلا عن كتاب (الذخائر/ 738- 740) . للشيخ عبد الله عزام رحمه الله).

إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا ، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد الله نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية ، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربي متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة (1914م) ، وكان عبد الله متحمسا لإعلان الحرب على تركيا، بينما كان أخوه الأمير فيصل يرى الوقوف معها.

وفي سنة (1915م) زار فيصل دمشق واستانبول ، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها.

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الإثنين (5) حزيران سنة (1916م) . (وسبحان ربي! كانت هزيمة العرب في (5) حزيران يوم الإثنين سنة 1967م) !!!.

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها ، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانية ، واستلم مكماهون معتمدا بريطانيا في مصر ، وحدثت الكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون (مراسلات حسين - مكماهون) ، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك ، وهُزم الأتراك ، وحصلت اتفاقية (سايكس بيكو) لتقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وأعطيت فسلطين لليهود بوعد بلفور1917م، وكان الجزء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه !! ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما ، وكان يصب جام غضبه طيلة بقية حياته على مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج أنطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م) ، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم ، في سراء والضراء: شرفاء !، ماعادا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب ، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر !!).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز. وصدق الله العظيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:149)

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة ، قد كتب (الأمير أرسلان) إلى الشريف عندما بلغه عزم لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا : (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير؟! حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا على الجزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين ؟!).

يقول لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) : (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة ، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا ، وكانت بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ، ولهم ثقة بالعدو ... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).!!

ويقول وايزمان : (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة).

وهذا هو لجاسوس لورنس المشهور الذي كانوا يسمونه – (لورنس العرب) ويلقبونه : (ملك العرب غير المتوج) !!.

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التفت القومية الطورانية (التركية) والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة ، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قليلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الأسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته ! فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندي الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي ، ومنذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي ، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف! فأنور باشا بولندي مرتد ، و جاويد من الطائفة اليهودية (دونمة) ، وكراسو (من اليهود الأسبان) في سالونيك ، وطلعت باشا من أصل

غجري ، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بالفيلسوف (كونت)!.

والرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين ! من بطرس البستاني ، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي ، والشدياق ، وأديب إسحق ، ونقاش ، وشميل ، وتقلا وصروف ، وزيدان ، ونمر، ومشاقة ... ، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى !! ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم : زكي الأرسوزي (نصيري تركماني)، وميشيل عفلق (نصراني) زوجته يهودية ! وهما قائدا حزب البعث. وأنطون سعادة وجورج عبد المسيح ، من قادة الحزب القومي السوري، نصرانييان !وجورج حبش – من قادة القوميين العرب كذلك !!.

يقول الكاردينال بريتولي للبابا : (إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير ، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه).!!

إن الأصابع الماسونية- اليهودية –كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، و تأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى – أحد مؤرخي وفلاسفة القومية العربية ! -: (كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري

الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة ، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات الأمريكية ، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصون على ربط العرب بقوميتهم.

يقول (أبا إيبان) – الذي كان وزير خارجية إسرائيل — في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة (1967م) ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي).[41]

41 (الذخائر ج1/ 893- 895).

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة

ولد (أتاتورك) سنة (1880م) في مدينة سالونيك وهي – كما مر معنا – (مدينة يونانية – يهودية) حيث يقطنها (140) ألف منهم (80) ألفا من اليهود الإسبان و (20) ألفا من يهود الدونمة (أي المتظاهرين الإسلام).

ينسب مصطفى كمال رسميا إلى (علي رضا) وأمه (زبيدة) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه ، فمصطفى لا يعترف بأبيه (علي رضا) ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سالونيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحا من شخص اسمه (أبدو مسن آغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سالونيك ، فولد أتاتورك لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

التحق بمدرسة دينية ، ثم ألحقته أمه بمدرسة عصرية ثم دخل المدرسة الحربية في سالونيك سنة (1893م) وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكرية الثانوية في (موناستر) بالبلقان حيث كانت الفتنة متأججة على الخلافة.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سالونيك في صيف سنة (1907م) وعين في دائرة أركان الجيش الثالث. وهناك دخل في جمعية الإتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور باشا ، وطلعت بيك فحصل بينه وبينهم نزاع . وفي سنة (1908م) قام الإنقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليهود والنصارى والمسلمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها.

وفي هذا العام نفسه سنة (1908م) أرسل إلى (طرابلس الغرب في ليبيا) لإبعاده ، ثم رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (1909م) لإسقاط السلطان عبد الحميد ، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيسا للأركان.

وفي سنة (1910م) أُرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكرية ، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفا على مدرسة الضباط فامتلأ حقدا على الإتحاد يين لتجاهلهم إياه فنقلوه قائدا لفرقة المشاة الثامنة والثلاثين في سالونيك.

ثم أغارت إيطاليا على ليبيا فأُرسل مصطفى ورقي إلى درجة بكباش

ثم أرسلوه إلى الشام سنة (1917م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدا لقائد الجيش الثاني.**ثم عين قائدا لجبهة فلسطين.**

وفي فلسطين تمت الصفقة مع (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي احتل فلسطين ، واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال على الانسحاب. ليدخل اللنبي بردا وسلاما ، وليضرب الجيوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبي خائبا من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرابع.

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد ، وأما نتيجة المعركة فكانت كارثة :

كان عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن.

وبعد انتصار اللنبي حضر إلى اسطنبول فطلب من الدولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائدا للجيش السادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى التي كبدها تركيا ، وبعد رجوعه كان على صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الذي كان رئيسا للاستخبارات الإنجليزية في تركيا.

وكان مصطفى كمال على صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدين (مُحَمَّد السادس) ، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (1918م) مرافقا عسكريا له، وكان آنذاك وليا للعهد ، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدين

كراهيته للإتحاد والترقي ، وأبدى صلاحا وحرصا على مصلحة تركيا ، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين ، وغدا مصطفى جنديا للأمير وأمينا لسره.

وفي أثناء الحرب مات السلطان مُحَّمد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدين الخلافة ، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته.

ثم جرت مسرحيات انتصارات مصطفى كمال الساحقة في الأناضول وخاصة في سقاريا أفيون. أزمير التي جعلت من مصطفى كمال خارقة من الخوارق تغني بمدحها الشعراء حتى قال أحمد شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجبِ   يا خالد الترك جدد خالد العربِ

لقد تمت المسرحية بهذا الإخراج الساحر الذي يأخذ بالألباب. ولقد شدد الإنجليز في فرض الشروط على الخليفة ليبدو عاجزا ضعيفا وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلا فريدا.

ثم تظاهر الحلفاء بالعطف على الخليفة والسخط على مصطفى كمال ، فقد احتل الإنجليز القسطنطينية في (16) مارس سنة (1920م) وطلب الحلفاء من الأهليين إطاعة الأوامر التي تصدر إليهم من الخليفة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه ، وفي المقابل تم الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونية) بدون

حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوات الحليفة والناس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإسلام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر فيزداد سخط الناس على السطان والمفتي.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول.

المخطط التدميري:

إن هذه المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بين مصطفى كمال وبين الإنجليز والحلفاء ، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصطفى كمال وانسحاب جيوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد قنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (1919/7/7م) قرب الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسر إلي مصطفى كمال وأكد كثيرا في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقي سرا حتى النهاية بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قال: إذن فسجل التاريخ أولا ... قال فسجلت التاريخ (8/7) تموز سنة (1919م) قرب الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التاريخ على الصفحة قال: حسنا أكتب ثم تابع ..

أولا: ستكون الجمهورية هي شكل الحكومة بعد الانتصار. هذه واحدة.

ثانيا: سيؤخذ التدبير اللازم بحق السلطان والعائلة المالكية عندما يحين الوقت المناسب.

ثالثا: سيرفع الستر عن النساء.

رابعا: سيلغي الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قال مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إرادة ، تطلعت إليه كان يتطلع إلي قال لي: لماذا توقفت. قلت له: أرجو أن لا تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانبا خياليا. قال لي ضاحكا: سيكون الزمن هو الحكم في هذا. أما أنت فاكتب ، استمررت في الكتابة.

خامسا: سنأخذ الأحرف اللاتينية ... يكفي يا باشا يكفي.

ثم نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه ، لمح مظهر مفيد فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة التي وصلنا إليها ؟ هل تلقي نظرة على دفترة ملاحظاتك؟ .

وفي (3) مارس سنة (1924م) ألغيت الخلافة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي:

** إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة ، وبإلغاء المحاكم العتيقة وقوانينها ، حيث يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية.

** مدراس رجال الدين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية.

وأقرت الجمعية الوطنية القانون بلا مناقشة. وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد، وكان قبلها بيوم أصدر قرارا بطرد الخليفة.

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشامخ من الجذور ، هذا الصرح الذي بقي منارا للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون. وفرق الراية الإسلامية التي يأوي إليها المسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وتشتت الناس متفرقين عي سبل شتى كالغنم في الليلة الشاتية ، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الفئام المتفرقة ، كل يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وبقى أتاتورك وفيا للإنكليز حتى الموت إذ أنه صمم وهو على فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهورية إلى السفير البريطاني (بيرس لورين).

وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بريطانيا لورين برئاسة تركيا:

وقد نقلتها ننقلها بنصها الحرفي جريدة الأهرام التي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (16) ذي القعدة (1387هـ)

المصادف (15) فبراير (1968م) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التاريخ الدبلوماسي بعنوان: (كيف يرفض رجلنا أن يحكم تركيا ؟) قالت الصحيفة:

أنه في نوفمبر (1938م) كان (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد على فراش الموت وعلى امتداد (15) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العشرين ، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد أتاتورك على فراش الموت ، كان يخشى ألا يجد شخصا يخلفه يكون قادرا على استمرار هذا العمل الذي بدأه ، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول، أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاما وها هو اليوم يكشف النقاب عنه على يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كان بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى (اللورد هاليفاكس) وزير الخارجية وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التاريخ البريطاني المعاصر على الإطلاق ، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر. وها هي الوثيقة:

[عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس على فراشه تسنده بعض الوسائد ويحط به طبيب وممرضات ، وما أن دخلت حتى صرف الطبيب والممرضتين قائلا إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم. وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة ، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثم قال السفير : لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هي الوحيدة التي كان يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أخرى. لأنها كانت ثابتة لا تتغير ، وكان هذا هو السبب الذي جعله يستشرني في مناسبات متعددة .. بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي ، ثم قال: وقد كان من سلطاته (كرئيس للجمهورية) أن يختار خليفة له قبل وفاته ، وقد كان أخلص رغبة له أن أخلفه في منصب الرئيس. ومن ثم فقد كان يريد أن يعرف رد فعلي على الاقتراح].

ثم بعد التفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل الذي ظهر عليه التأثر ، ومال بظهره إلى الوسائد.

۞۞۞۞۞۞۞

تقييم موجز لدولة الخلافة العثمانية

يمكن تقسيم مرحلة الدولة العثمانية إلى ثلاثة أطوار:

1- طور القوة : ويمتد من تأسيسها إلى نهاية عهد السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1774م). وقد كان أوج الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول وابنه سليمان القانوني (1512-1566م) .

2- طور الضعف والتراجع : وابتدأ منذ عهد السلطان عبد الحميد خان الأول (1774م) حيث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها ، لروسيا (1777م) ، وأقرت بجملة من الإمتيازات لنصارى الدولة العثمانية وصلاحيات تدخل الأجانب في شؤونها إلى نهاية عهد عبد المجيد خان (1861م).

3- طور الإنهيار ومؤامرات اليهود والماسون وسقوط الدولة العثمانية: ويبدأ منذ عهد السلطان عبد العزيز خان (1861م) الذي عزله المفتي لفسوقه ، وينتهي بخلع السلطان عبد الحميد (1909م)، ثم استلام الماسون، ثم إسقاط أتاتورك للخلافة العثمانية وإلغائها حيث ختمت بالسلطان مُحَّد السادس سنة 1924م.

أسماء الخلفاء العثمانيين ومدة حكمهم:

أولا – طور القوة :

- (1) – السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية (1300– 1317م).
- (2) – السلطان الغازي أورخان الأول (1317– 1360م).
- (3) – السلطان الغازي مراد خان الأول (1360–1389م).قتل في حرب الصرب.
- (4) – السلطان الغازي بايزيد خان الأول (1389– 1402م). قتل أسيرا بيد تيمورلنك.
- (5) – السلطان مُحَمَّد جلبي الغازي (1410–1421 م).
- (6) – السلطان مراد خان الثاني (1421 –1451م).
- (7) – السلطان الغازي مُحَمَّد الثاني فاتح القسطنطينية (1451–م)
- (8) – السلطان الغازي بايزيد خان الثاني (1481– 1512م). خلعه الإنكشارية.
- (9) – السلطان سليم الأول الغازي (1512– 1520م).
- (10) – السلطان الغازي سليمان خان الأول القانوني (1520– 1566م).
- (11) – السلطان الغازي سليم خان الثاني (1566–1577م).
- (12) – السلطان الغازي مراد خان الثالث (1574–1595م).
- (13) – السلطان الغازي مُحَمَّد خان الثالث (1995– 1603م).

- (14) – السلطان الغازي أحمد خان الأول (1603– 1617م).
- (15) – السلطان مصطفى خان الأول (1617– 1618م). عزله المفتي والإنكشارية.
- (16) – السلطان عثمان خان الثاني (1618– 1622 م). عزله الإنكشارية وقتلوه.
- (17) – السلطان الغازي مراد خان الرابع (1623– 1640م).
- (18) – السلطان الغازي إبراهيم خان الأول (1640– 1648م). خلع وقتل.
- (19) – السلطان الغازي مُحَّمد خان الرابع (1648– 1687م). عزله المفتي.
- (20) – السلطان الغازي سليمان خان الثاني (1687– 1691 م).
- (21) – السلطان الغازي أحمد خان الثاني (1691– 1695م).
- (22) – السلطان الغازي مصطفى خان الثاني (1695– 1703م). عزله الإنكشارية.
- (23)– السلطان الغازي أحمد خان الثالث (1703 – 1730م). عزله الإنكشارية.
- (24) – السلطان الغازي محمود خان الأول (1730– 1754م).
- (25) – السلطان الغازي عثمان خان الثاني (1754– 1757 م).
- (26) – السلطان الغازي مصطفى خان الثالث (1757– 1774م).

ثانيا – طور الضعف :

- (27) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول (1774– 1789م)
- (28) – السلطان الغازي سليم خان الثالث (1789– 1807م): عزله المفتي.
- (29) – السلطان الغازي مصطفى خان الرابع (1807– 1808م)... خلع وحجز.
- (30) – السلطان الغازي محمود خان الثاني (1808 – 1839م).
- (31) – السلطان الغازي عبد المجيد خان (1839– 1861م).

ثالثا – طور الإنهيار والموت :

- (32) السلطان الغازي عبد العزيز خان (1861– 1886م) عزله المفتي.
- (33) – السلطان مراد الخامس (مايو 1886– أغسطس 1886 م). عزله المتآمرون.
- (34) – السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني (1886– 1909م). عزله المتآمرون بدسائس اليهود.
- (35) – السلطان مُحَمَّد رشاد خان الخامس (1909– 1924م).

- **(36) – السلطان مُحَّد السادس (وحيد الدين) (1918–1924م). أسقطه الماسون بتخطيط اليهود والإنكليز والأوربيين ، وتنفيذ أتاتورك. وهو آخر الخلفاء العثمانيين.**

وبه انتهى مسمى الخلافة الذي استمر زهاء ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن.

۞۞۞۞۞۞۞

أولا: المناحي الإيجابية في دولة الخلافة العثمانية:

إبتداءا يجب أن نلفت النظر إلى أن معظم المراجع التاريخية المعاصرة التي أرخت للعثمانيين ، قد ظلمت هذه الدولة المجيدة ، وزورت تاريخها وتاريخ المسلمين في أيامها. وذلك لأن معظم كتاب التاريخ بعدها من المستشرقين ، وتلاميذهم من ذراري المسلمين بما فيهم الأتراك والعرب كانوا حاقدين عليها. حيث ينتمي معظم كتاب السياسة والتاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هم من العلمانيين، والقوميين. وقد تولى أتاتورك وأتباعه إلى اليوم الحجر على

وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدولة العثمانية ، وخاصة عن المرحلة الأخيرة من تاريخها والتي تولى فيها الماسون إسقاط الدولة.

وأذكر أننا درسنا في بلادنا العربية منذ الطفولة في المدارس الابتدائية ثم ما تلا ذلك من مراحل الدراسة شيئا من تاريخ تلك المرحلة تحت عنوان (الإحتلال العثماني) !!.

ولما درست في قسم التاريخ من جامعة بيروت دراستنا المناهج - التي وضعها التربويون والكتاب بحسب أهواء فراعنة بلادنا من عملاء اليهود والنصارى –درسونا تاريخ الذين تآمروا لإسقاطها وتعاونوا مع الكفار من الإنكليز وحلفائهم ، من القوميين والماسون العرب ، ومعظمهم من نصارى الشام ، على أنهم أبطال القومية العربية ..، وشهداء الإستقلال !! كما قدمت لنا الذين قادهم لورنس الجاسوس الإنكليزي على أنهم قادة الثورة العربية الكبرى على الإحتلال العثماني!

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تلك التأريخات بعين الإتهام ، ومنهج التمحيص. لتميز حقيقة ما كان في تلك الدولة من سلبيات – سأذكر لاحقا أهمها – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدين العلمانيين.

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخلافة العثمانية ..

فيأتي في طليعتها الحفاظ على مسمى الخلافة الإسلامية ، وحمل مشعل حماية المسلمين ضد هجمات أعدائهم ، وتوحيد معظم ممالكهم

الرئيسية في دولة واحدة قوية ، بعد أن كانت الخلافة قد تحولت لمسمي رمزي في مصر حيث كان الخليفة لا يسيطر حتى على قصره في ظل سلطان دولة المماليك منذ سقوط بغداد، بل حتى قبل ذلك عندما كان القادة الأتراك يسيطرون على مقدرات ما بقي من الخلافة في بغداد فيما كانت عشرات الممالك والإمارات المستقلة تتقاسم رقعة العالم العربي والإسلامي.

وأما الفضيلة الثانية لها ، فهي إنهاء دولة الروم البيزنطيين ، وتردد أصداء الأذان في عاصمة ملكهم (القسطنطينية) ، التي صار اسمها مدينة الإسلام (إسلام بول) ، والتي انبعثت منها رايات الفتح والجهاد لتُدخل الإسلام إلى ربوع أوربا الشرقية بكاملها (اليونان وبلغاريا ، ورومانيا والمجر، وبلاد الصرب والبوسنة والهرسك ...، فمدت دولة الإسلام إلى بلاد البلقان بكاملها ، ووصلت كما رأينا تفصيلا إلى وسط النمسا ، وشمال إيطاليا ، وملكت جزر المتوسط بكاملها ، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربا في حينها ..

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العثمانيون أنفسهم حماة المسلمين ، واعتبر الخليفة العثماني واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه ، فدافع عن شواطئ شمال إفريقيا من ليبيا وحتى مراكش ، وأرسل الجيش والمدد، برئاسة وزير حربيته حتى إلى بلاد ما وراء النهر ليدافع عن بخارى وترمذ

وطشقند !!، وردت هجمات الصفويين عن العراق وشرق الأناضول، وبلاد القفقاس. وطردت البرتغاليين من شواطئ البحر الأحمر وبحر العرب وبحر الهند ..

لقد وصلت الدولة العثمانية إلى أوج من الحضارة والسيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلامية في تاريخها ..، لقد تمكن العثمانيون من دك أسوار القسطنطينية بقنابل تزن أكثر من 2000 (كيلو غرام) وترميها من الشاطئ الآسيوي لمسافة 2 كيلو متر !! وذلك أواسط القرن الخامس عشر! وجابت أساطيل العثمانيين البحر المتوسط وما حوله من البحار ، وكانت تهاجم أساطيل الأوربيين وموانئهم أحيانا بأكثر من ألف سفينة محملة بالمدافع الثقيلة ! حتى استطاع خليفتها العثماني (السلطان عبد المجيد) في القرن الثامن عشر أن يسمي البحر الأبيض المتوسط : (بحيرة عثمانية). فلما سأله أحد الصحفيين الإنجليز مستغربا ذلك الاسم قائلا : (إذا كنت تعتبر المتوسط بحيرة عثمانية ! إذن ماذا تدعون البحر الأسود الذي تحيط مملكتكم وجيوشكم به ؟ فأجابه مبتسما : ذاك مسبح قصري على شوطئ إسلام بول!)

أما البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العثمانيون حملة مشعل الإسلام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما على السفن الصليبية حتى التجارية المدنية، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة ، فيدنس الماء الذي

يلمس شواطئها وهي في الحرم!! الله أكبر .. جدة هذه ..التي أطلقت البوارج الأمريكية تحت رعاية آل سعود اليوم صواريخ كروز منها على أفغانستان وبغداد من .. (بحر الحرم) أي البحر الأحمر.. من شواطئها التي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق .. وسبحان مقلب الأحوال.

ولقد كانت الهوية الإسلامية لراية العثمانيين ظاهرة ، رغم ما اعتراهم من البدع والإنحرافات كما سنذكر لاحقا. وكانوا معظمين لشعائر الله ، مهتمين بحماية الحرمين ، والإنفاق على خدمتهما ، وحراسة سبيل الحجيج ..، كما نشروا المساجد في كل الأصقاع التي وصلها سلطانهم ، وأوقفوا الأوقاف ، وبنوا التكايا ومنشآت الخدمات المختلفة ، وما تزال آثارهم بطابعها المعماري التركي بارزة شاهدة في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها.

وفي الوقت الذي كانت أوربا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربا كما رأينا .. ازدهرت الحياة الإقتصادية والتجارية والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار.. وصارت استانبول عاصمة الدنيا تليها في ذلك عواصم مصر والشام والحجاز ، وموانئ جزيرة العرب وشمال إفريقيا. وتحركت قوافل التجارة على الطرق التجارية القديمة (طريق التوابل ، وطريق الحرير) ، ونقلت البضائع من وإلى

تلك العواصم ، لتنقلها سفن المسلمين إلى شواطئ المتوسط ، وحتى إلى موانئ أوربا.

ثانيا: المناحي السلبية في دولة الخلافة العثمانية :

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هي أن تسلل التشريع الوضعي إلى نظام الحكم ، على وجه التشريع والتقنين والحكم بغير ما أنزل الله ، قد حصلت في زمانهم ولأول مرة في تاريخ الإسلام والمسلمين. في حين كان ذلك قبلا من بعض فساق ملوك وأمراء المسلمين وبعض خلفائهم ، على وجه الاحتيال والتهرب والمراوغة. ولم يتجرأ أحد أن ينتقل للتشريع والتقنين ، إلى زمان العثمانيين. وقد بدأ هذا كما رأينا زمن سليمان القانوني ، بل منذ أيام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك. وتطور بعد ذلك مع تسلل الضعف والإعجاب والافتتان بأوربا لكثرة احتكاكهم بها. مما فتح باب التغريب وضياع الهوية ، وإفساد النخبة التي تولت في النهاية إسقاط الدولة.

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خلفاء وملوك وأمراء الدول والممالك الإسلامية السابقة بمعظم السلبيات التي طبعت قصور الحكم منذ تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك عضوض ثم الملك جبري. ومن ذلك:

الصراع على الملك بين الأبناء والإخوة. وكثرة القتل والخلع بين الإخوة ومن التف حمل كل واحد منهم من حاشية السوء. إلا أن

سلاطين العثمانيين زادوا على ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين على الملك في تاريخ المسلمين ؛ إلا وهي بدعة قتل إخوة السلطان عند توليه ، واجتثاثهم جميعا حتى الرضع !! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخليفة على الملك مما يفسد الدولة ويضعفها أمام أعدائها ! وقد وجد السلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تعالى (والفتنة أشد من القتل) ! فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة !!

تدخل الأمهات الأجنبيات في صراعات القصر ، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفار أو من صفيات السبايا بين روسية وصربية وإيطالية ...، اللواتي عملن لصالح بلادهن وزاحمن إخوة أولادهن على ولاية العهد.

البذخ والترف والاستكثار من القصور والفرش والرياش ، والمطابخ والحمامات الملكية ، ولقد تيسر لي أن أزور بعض تلك الآثار في استانبول حيث يرى الناظر العجب العجاب من بقايا آثارهم التي سرق أنفسها في العهد الأتاتوركي.

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب التي فرضها الضامنون لمهمات جمع الضرائب والمتصدرون لشؤون العامة ، وقد زاد هذا في أواخر الدولة بتحولها إلى النظام الإقطاعي ، حيث أقطع السلطان

(الباشاوات) و(البيكاوات) الأراضي ، فملكوها بمن عليها من الزراع والفلاحين وساموا الناس خسفا وظلما سارت بأخباره الركبان ، وصار مادة للمسلسلات والأفلام فيما تتالى من أيام حتى وصلت إلى (غوار الطوشة!) .

ولقد كان للمرحلة العثمانية سلبيات خاصة بها فوق ما اشتركوا به مع غيرهم ، من السلبيات آنفة الذكر. ومن ذلك:

أن اتجاههم الحضاري كان أحاديا وتجلى بالمنحى العسكري ..، ولم يولوا المناحي الأخرى للتقدم الحضاري في مجال العلوم الإسلامية والتطبيقية ، ومجالات الفكر والأدب .. أهمية ، فطبع العالم الإسلامي بالجهل والتخلف فمنذ القرن السبع عشر - فيما كانت أوربا تشهد التحول الكبير في ثوراتها الفكرية والسياسية والاجتماعية، والصناعية - مما أوجد هوة حضارية بين الشرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية من شرقنا إلى غربهم.

التخلف الديني ، والتقوقع والتعصب المذهبي (إذ حكم الأتراك وتعصبوا لمذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله-) ، في حين أنهم حكموا رقعة إسلامية تتعدد مذاهبها الأصيلة في المسلمين. كما شهدت مرحلتهم ، تشجيعا للتصوف ومدارس الدراويش .. فقد كان سلاطين العثمانيين ، وشيوخ السلاطين من الصوفية ..، وقد ساعدت أجواء التخلف والفقر والظلم التي طبعت تلك الفترة الناس على

الاندفاع وراء الطرقية الصوفية فرارا من واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأمة جهلا على تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير.

العنصرية التركية ، والتي وجدت منذ البداية ، حيث تولى الأتراك معظم المناصب الهامة ، والغريب أن الإهمال للعنصر العربي ، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كان ملحوظا في حين تمكن بعض المسلمين من البلاد الغربية المفتوحة أن يجدوا فسحة في المناصب. وقد أوجد هذا هوة بين العثمانيين والمكون الأساسي للأمة الإسلامية عددا وأهمية وهم العرب. وقد زادت حدة هذه الظاهرة في الطور الأخير من الخلافة العثمانية عندما وجدت الفكرة القومية – بعد الثورة الفرنسية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب على حد سواء ، وبرزت القومية الطورانية (التركية) بحدة ، وتسلم جبابرتها من الماسون واليهود مقاليد الأمور ، فأوجدوا المبرر للمتآمرين من ماسون العرب ، ومن المغرر بهم من المثقفين ، ومن الطامعين بالملك ، أن يرفعوا نعرتهم القومية العربية أيضا. وكان هذا أكبر المعاول التي هدمت صرح الخلافة.

وهكذا تجمعت السلبيات رغم ما أسلفنا من الإيجابيات العظيمة لترسم النتيجة المحتومة بقدر الله. ويمكن تلخيص مجمل أسباب السقوط بالنقاط التالية باختصار.

ثالثا : الأسباب العامة لانهيار الدولة العثمانية :

دخول التشريع الوضعي على الشريعة الإسلامية بدعوى التقين والتنظيم وهبوب رياح التغريب جراء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربية، وهذا من أهم أسباب ضياع المسلمين قديما وحديثا.

الترف والبذخ في حياة السلاطين ، ولقصور الحاشية. ورجال الأجهزة الحكومية وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهم أسباب انهيار الممالك والدول.

الظلم والطغيان والنظام الاستبدادي الفردي الفئوي القومي. وكثرة المكوس على الرعية. وتفشي النظام الإقطاعي بأسوأ صوره وسيئاته. وتفشي الطبقية في المجتمع. وهو ثالث أهم أسباب الزوال والبوار.

الجمود الفكري والفقهي والديني، والتقوقع المذهبي، والاتجاه الأحادي العسكري للحضارة العثمانية على حساب المناحي الحضارية الأخرى.

تدخل قناصل وسفارات الدول الأجنبية في شؤون البيت العالي (ديوان الخلافة) ودعم الأقليات لاسيما النصرانية للعبث بوحدة الدولة.

طغيان الشعور القومي لدى الأتراك. واعتماد سياسة التتريك والتميز العنصري وقمع القوميات ولاسيما في البلاد العربية.

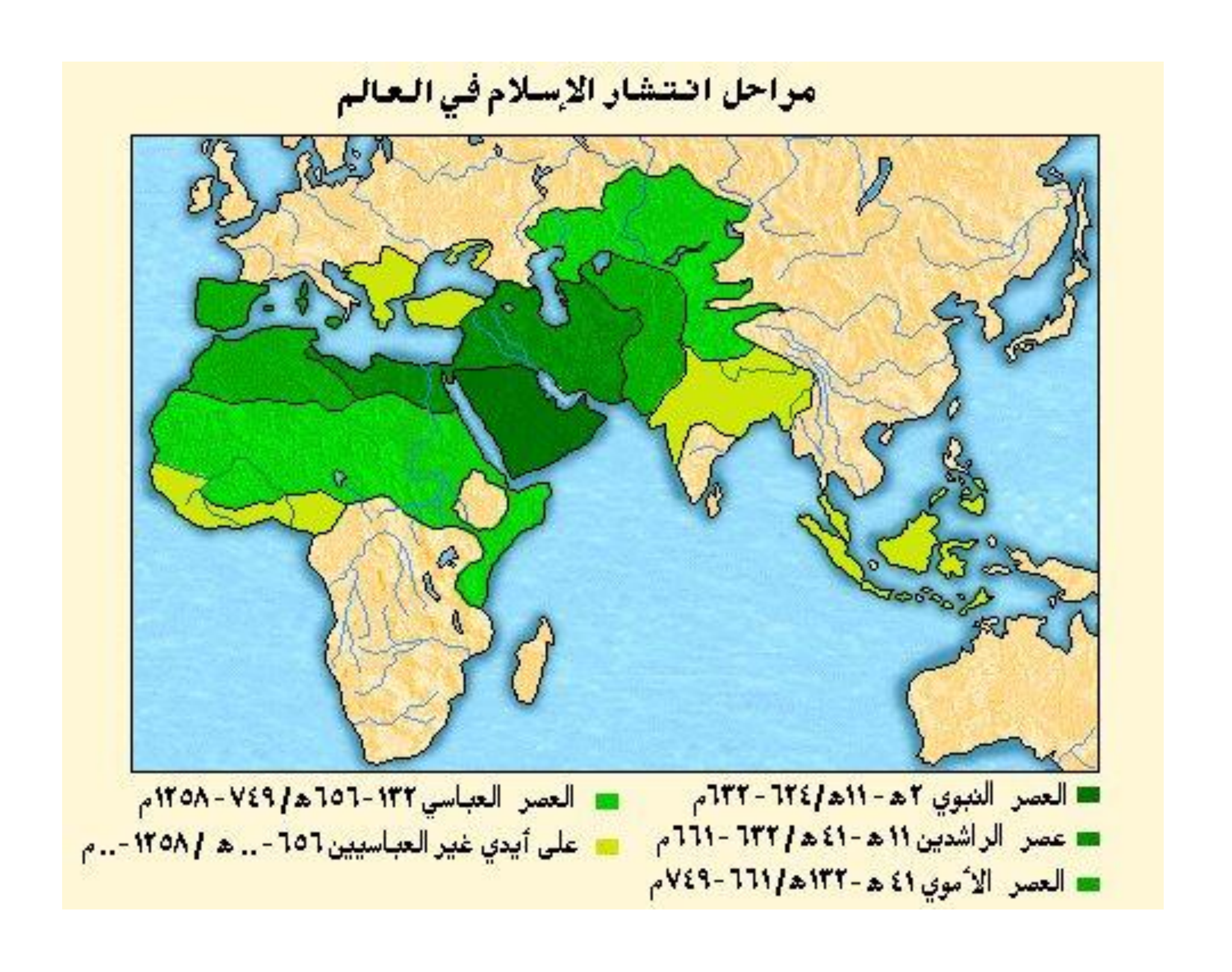
سيطرة يهود الدونمة والماسون على إدارة الدولة في الثلث الأخير من حياة الدول العثمانية ولاسيما القرن الأخير.

تفشي روح الشعوبية والقومية لدى العرب وغيرهم كرد فعل على سياسة التمييز التركي. والاتجاه لمقاومة الخلافة العثمانية ، ومحاربتها ومعاونة الإنكليز عليها !.

افتتان نخبة الطبقة السياسية ، والعسكرية ، والثقافية والفكرية في الدولة العثمانية عامة بالحضارة الغربية ، وسعيهم لتقليدها ، وفقدان روح العزة الإسلامية.

وأخيرا السبب الخارجي :

وهو تآمر الدول الأوربية وخاصة **الإنكليز والروس والفرنسيين** والطليان وغيرهم. وتعاونهم مع اليهود وإصرارهم على إسقاط الدولة العثمانية وتحالفهم ضدها. من أجل إيصال اليهود إلى فلسطين، وتقاسم الأوربيين ولاسيما تلك الدول الثلاثة لإرثها. وتقطيع أوصال العالم الإسلامي والعربي وابتلاعه.


مراحل انتشار الإسلام في العالم
العصر النبوي ٢هـ - ١١هـ/٦٢٤ - ٦٣٢م
عصر الراشدين ١١ هـ - ٤١ هـ/ ٦٣٢ - ٦٦١م
العصر الأموي ٤١ هـ - ١٣٢هـ/ ٦٦١ - ٧٤٩م
العصر العباسي ١٣٢ - ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨م
على أيدي غير العباسيين ٦٥٦ - .. هـ / ١٢٥٨ - .. م

استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربي والإسلامي منذ انهيار الخلافة العثمانية

(منذ 1214هـ – 1800م وإلى 1425هـ – 2004م)

أعتقد أنه حتى تكتمل الفائدة ويتحقق الغرض المقصود ، من سرد خلاصة التاريخ الإسلامي في مقدمة بحث غرضه التأسيس لدعوة مقاومة إسلامية عالمية ، يقودها طلائع واعية مستوعبة لعقيدتها الجهادية، فاهمة لمعطيات واقعها ، مدركة لدروس تاريخها. أن من المفيد أن نختم هذا الفصل التاريخي بخلاصة تاريخ ما حل ببلدان العالم العربي والإسلامي بعد انفراط عقد الخلافة. وهو ما يصطلح عليه بالتاريخ الحديث للعرب والمسلمين. ورغم أن أكثر تلك الأحداث المأسوية قد حل بالمسلمين بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية وتناهب الغرب الأوربي وروسيا لتركتها وذلك بعد سقوطها الرسمي بعد الحرب العالمية الثانية وخسارتها إلى جانب ألمانيا لتلك الحرب.

إلا أن تلك الأحداث التي تعتبر الجولة الثانية من الحملات الصليبية ، كانت قد بدأت قبل ذلك حيث قضمت البلاد الأوربية الاستعمارية ما استطاعت من بلدان المسلمين في الأطراف البعيدة للعالم الإسلامي وقد بدأ ذلك منذ القرن السادس عشر ، إلا أنه يمكن

التأريخ لبدايته الجدية منذ حملة نابليون على مصر سنة 1798 ميلادية، وهو التاريخ الذي يوافق بدايات الضعف والتقهقر في الخلافة العثمانية كما رأينا آنفا.

ونظرا لعدم تمكني من المراجع المعاصرة وأنا أخط هذا البحث في مرحلة المخابئ ، حيث لا تتوفر لي الكتب اللازمة .. ونظرا لعدم توفر المراجع التي كنت أتمناها ولاسيما كتاب (موسوعة التاريخ الإسلامي) للأستاذ المؤرخ العبقري محمود شاكر- رحمه الله – حيث أرخ لسائر بلاد المسلمين منذ انطلاق دولة الإسلام وإلى مطلع الثمانينات من القرن العشرين. وغيره من الكتب التاريخية المتخصصة في التاريخ السياسي المعاصر.. فلذلك ستكون هذه الفقرة موجزة أعتمد في جلها على ما علق في ذاكرتي مما قرأت أو درست. أو مما عشته وشهدته من تاريخنا خلال هذا الربع الأخير من القرن العشرين. وهي صفحات ربما يكون من الأفضل أن نصفها بأنها قاسية مريرة حتى نفر من وصفها بأنها سوداء..، ولو قلنا ذلك لما عدونا الواقع.

وإن كنت أعتقد أنه سواد ليل أذن بالرحيل إن شاء الله ، حيث ألمح انبعاث طلائع من الشباب المجاهد الظاهرين على الحق ، ينسجون بأشلائهم خيوط الفجر ليشرق صباحه المنير قريبا– إن شاء الله – في سماء عالمنا العربي والإسلامي الكبير ..

وما هذا السهر الدؤوب الذي أستعين الله عليه في كتابة هذا البحث الكبير منذ ثلاثة سنين ، ونحن في مرحلة الخوف والتنقل والاختفاء هذه .. إلا مساهمة متواضعة في حياكة حصة متواضعة في نسيج ذلك الفجر العظيم المنشود ، القادم لا محالة بإذن الله.

وأسأل الله الإخلاص والقبول ، وخاتمة بالشهادة في سبيل الله. بعد أن نشهد إطلال إشراقاته الأولى لننعم بدفئ وضياء ذلك النور ، بعد أن تطاولت علينا عقود ذلك الليل البهيم شديد الظلمة قاسي الصقيع.

وسأسرد خلاصة ذلك التاريخ الحديث على قسمين ، بلاد العالم العربي ، ثم أهم بلاد العالم الإسلامي. وسأبدأ بالعالم العربي مسلسلا الدول من المشرق إلى المغرب. ومن آسيا إلى إفريقيا. فقد تفتت العالم العربي إلى اثنتين وعشرين دولة ! قابلة للزيادة هذه الأيام بحسب برامج جورج بوش ! وتجاوز عدد الدول الإسلامية خمسا وخمسين دولة !! وليس هذا لدخول مزيد من الدول في الإسلام بالطبع ، وإنما لتقسيم قصعته على مائدة المستعمرين شذر مذر!

أولا : العالم العربي :

(1) – العراق :

كان العراق ولاية عثمانية منذ عام (922هـ – 1516م) وحتى (1335هـ – 1917م) ، وتنافست على احتلاله ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، فبعد تحقيق الوحدة الألمانية ، اتجهت ألمانيا إلى سياسة التوسع شرقا على حساب الدولة العثمانية المنهارة ، ويتضح ذلك في مشروعها الخاص بمد سكة حديد برلين – بغداد.

وقد أدركت بريطانيا خطورة النفوذ الألماني فتصدت لمواجهته نظرا لتهديده الوجود البريطاني في الخليج.

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ – 1914م) بدأت القوات البريطانية تتحرك من الهند لاحتلال العراق منتهزة فرصة انضمام الدولة العثمانية إلى ألمانيا ، ونجحت هذه الجيوش في الاستيلاء على الفاو والبصرة وسيطرت تدريجيا على جنوب العراق سنة (1333هـ - 1915م). وفي سنة (1335هـ – 1917م) احتلت بغداد والموصل وأعلنت بريطانيا نهاية تبعية العراق للدولة العثمانية.

وفي مؤتمر (سان ريمو) سنة (1338هـ – 1920م) تقرر وضع العراق تحت الحماية البريطانية.

أما عن تطور الحركة الوطنية العراقية ، فقد بدأت من قبل أعضاء (جمعية العهد) الذين عقدوا اجتماعا بدمشق أعلنوا فيه استقلال

العراق واتحاده مع سوريا سياسيا واقتصاديا كما قاموا بتحركات عسكرية على الحدود السورية العراقية.

ولبى العراقيون في الداخل نداء المقاومة وقاموا بثورة سنة (1337هـ - 1920م) التي امتدت من الموصل إلى البصرة وشارك فيها سائر القبائل والطوائف ولم يبق في أيدي الإنجليز سوى البصرة وبغداد والموصل.

وكانت بريطانيا قد توجت الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق وذلك في عام (1339هـ - 1930م) فعمل على تحقيق الاستقلال عن طريق المفاوضات وعقدت معاهدة (1350هـ -1932م) فحصلت العراق بمقتضاها على بعض المكاسب منها قبول العراق عضوا في عصبة الأمم سنة (1350هـ - 1932م).

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1375هـ - 1939م) رأت بريطانيا الفرصة سانحة لتستفيد من امتيازات معاهدة (1348هـ - 1930م) وذلك باستعمال قواعد المواصلات العراقية وبعض القواعد العسكرية مما جعل الوضع بالعراق يزداد توترا إلى أن انفجر بثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (1359هـ - 1941م) بالعراق.

وتفجر الصراع العسكري بين الإنجليز والعراقيين الذي انتهى بهرب رشيد عالي الكيلاني خارج العراق كما نجحت بريطانيا في استمالة الأمير عبد الإله ونوري السعيد لتنفيذ مخططاتها في دعم نفوذها بالعراق.

وفي سنة (1364هـ – 1944م) جرى تشكيل خمسة أحزاب عراقية تبنى بعضها معارضة السياسة البريطانية في العراق لكن استطاعت بريطانيا حلها.

وفي (1374/5/8هـ – 5 أبريل سنة 1955م) أعلن قيام (حلف بغداد) بين العراق وتركيا ثم انضمت إليه بريطانيا وإيران وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية ، فكان ذلك نوعا من عزل العراق وبعض البلدان العربية عن التيار العربي التحرري الذي راج آنذاك.

ولمواجهة الحلف تشكلت لجنة وطنية من القوى القومية والشيوعية تصدت لقيادة الحركة الوطنية ، وانتهت جهودها إلى تفجير ثورة (1377/7/10هـ – 14 يوليو سنة 1958م) التي أطاحت بالنظام الملكي وأعلنت الجمهورية.

سنة (1965م) استولى (حزب البعث العربي الاشتراكي) على السلطة عبر الإنقلاب في العراق. ونصب (أحمد حسن البكر) رئيسا للعراق. وبعد ثلاث سنوات تمكن رجل حزب البعث النافذ (صدام حسين) نائب الرئيس البكر من إزاحته بهدوء وتولى رئاسة العراق. وابتدأ عهده بتصفية كافة مراكز القوى في الحزب والدولة بالبطش والإعدامات الدموية ، حتى سيطر بمفرده على الحكم كواحد من أقوى رؤساء الأنظمة العربية الديكتاتورية وأكثرهم بطشا وجبروتا. وقد تميزت فترة حزب البعث في العراق – كما في سوريا – بتصفية كافة

الاتجاهات السياسية الأخرى. واتبعت نهجا علمانيا إلحاديا يساريا مواليا لموسكو. وقد حارب صدام البعث الإسلام والإسلاميين وبطش بهم وسار بالعراق على طريق الكفر والظلم والطغيان ، ولكن الذي يحسب لصدام أنه سعى لبناء دولة قوية متطورة علميا وتكنولوجيا ، وأسس جيشا قويا كثير العدد موفور العتاد ، وطور الصناعات العسكرية ولاسيما الصاروخية ، بل طمح لأن يمتلك القدرات النووية. وشهد العراق في عهده الديكتاتوري الدموي نهضة عمرانية وازدهارا اقتصاديا مستفيدا من الموارد النفطية الهائلة للعراق.

وبعد الثورة الشيعية الخمينية التي أطاحت بشاه إيران ، تبنت إيران مبدأ تصدير الثورة للدول العربية والإسلامية ، وحركت القوى الشيعية التي كان صدام قد اضطهدها كغيرها بقسوة. فبطش صدام بالشيعة ونكل بهم بوحشية. واستغلت أمريكا الحال بين الجارتين القويتين ونجحت في إشعال حرب ضروس بينهما اتهمت كل دولة فيها الأخرى بالتسبب في بدء الحرب التي استمرت من (1979م) وإلى (1987م) ودمرت موارد البلدين. ولكن العراق خرج بتجربة عسكرية كبيرة وطور جيشه. واستغلت أمريكا النزعة التوسعية لدى صدام ، واستدرجته السفيرة الأمريكية وزينت له احتلال الكويت. فتورط في حرب الخليج الثانية واحتل الكويت بسهولة سنة 1990م ، وبذلك بلع صدام الطعم الذي وضعته له أمريكا ليكون عذرها الواهي للتواجد الاستعماري في

المنطقة. وهكذا زحفت أمريكا مع جيوش حلفائها بنحو مليون جندي لتحرير الكويت وإنقاذ أصدقائها من حكام الخليج كما ادعت وادعى أولئك الحكام الخونة. وأسفرت الحرب سنة 1991م عن تدمير الجيش العراقي ، وتركيع حكام الخليج وابتزاز مخزونهم المالي في بنوك أمريكا ، ووضع الأمريكان قدمهم في المنطقة. وفرضت أمريكا حصارا ظالما على الشعب العراقي بحجة احتواء نظام صدام ، وعبر 13 سنة من الحصار الوحشي قتل أكثر من مليون ونصف من الأطفال لانعدام الغذاء والدواء عدا ما هلك من الرجال والنساء ، فضلا عن الحرب التي قتل فيها أكثر من 300 ألف عسكري ومدني تحت القصف الأمريكي الوحشي ! وبعد أن تأكدت أمريكا من انهيار العراق ونظامه ، نفذت الحلقة الثانية من البرنامج اليهودي الصليبي واحتلت العراق كاملا بشكل مكشوف في حرب الخليج الثالثة التي أسمتها حرب تحرير العراق وذلك بعد أن سهل لها ذلك لفيف من المعارضين العراقيين الذين ربتهم أمريكا وبريطانيا عبر سنوات الحصار وكان في طليعتهم القوى الشيعية التي تمركزت في إيران بالإضافة لقوى أخرى ، حيث أوصل صدام الشيعة والقوى الأخرى ببطشه إلى الاستعداد للتعاون مع الشيطان للإطاحة به ، وتداخلت المسائل السياسية المتشابكة – وليس هنا محل استقصائها – لتكون بداية البرنامج الإستعماري الكبير الذي تجتاح به أمريكا وحليفتها بريطانيا الشرق الأوسط برمته من

بوابة العراق ، بعد أن احتلت أفغانستان وفرضت نفسها كقوة استعمارية إمبراطورية جديدة على العالم بأسره. وهكذا سقط نظام صدام وحكم البعث الذي استمر زهاء 35 سنة. لتتولى هذه الأيام حكومة عميلة معينة من قبل أمريكا حكم العراق الذي يعيث فيه فسادا أكثر من 150 ألف جندي أمريكي ، ونحو 50 ألف جندي بريطاني عدى جيوش بقية الحلفاء الصليبيين.

(2) **سوريا :**

بقيت سوريا خاضعة للحكم العثماني نحو 400 سنة. ومع تهلهل أحوال الدولة العثمانية بدأت بذور العمل التحرك القومي العربي في سوريا من جراء دسائس تلاميذ المستشرقين الصليبيين ، ومعظمهم من النصارى ، حيث لاقت أفكارهم رواجا نتيجة سياسة (التتريك) التي اتبعها الماسون الذين استولوا على الدولة العثمانية في أواخر عهدها. وقد بدأ النشاط القومي في صور جمعيات ثقافية الطابع داخل سوريا وخارجها نذكر منها جمعية النهضة العربية التي أسست في دمشق سنة (1324هـ –1906م) وجمعية العربية الفتاة التي أسست سنة (1329هـ – 1911م) في باريس وانتقلت لدمشق وبقيت بها حتى سنة (1337هـ – 1920م). ثم عقد في باريس المؤتمر العربي الأول سنة (1331هـ – 1913م) والذي مثل اتحادا عربيا ضمن إطار القومية العربية.

أعقب هذا المؤتمر محاولة الأتراك للتقرب من العرب ، واستجاب لهم العرب في محاولة لصد أخطار المطامع الأوروبية. لكن حركتي (التتريك) و(القومية العربية) كانتا تمضيان قدما ، ولم يكن من المستطاع التوفيق بين قوميتين في نطاق دولة واحدة. ومنذ ذلك الوقت حدث انفصام بين الأمتين وساد سوء الظن. وعندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة (1332هـ/1914م) دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا؛ وهنا قامت ما يعرف بالثورة العربية الكبرى على تركيا، حيث قادها الأمير حسين بن علي والي الحجاز ضد الأتراك ، حيث خدعه البريطانيون فتحالف معهم. واشترك معه أهل الشام. وانتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وحلفائها ، وانتصار بريطانيا وفرنسا اللتان قسمتا المنطقة فيما بينهما بموجب اتفاقية سيكس – بيكو ، ووعد بلفور الذي منح فلسطين لليهود.

وفي عام (1338هـ/ 1920م) عين المؤتمر السوري العام فيصل بن الحسين ملكا على سوريا. وفي نفس السنة صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو الذي كان من بين قراراته أن توضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووجهت فرنسا إنذارا للملك فيصل تطلب منه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السوري خلال 48 ساعة.

وقبل انتهاء الإنذار زحفت القوات الفرنسية إلى دمشق ؛ فأعلن الملك فيصل الجهاد ؛ وهاج الشعب والتف حول حكومته والتقى

الجيش الفرنسي بالجيش السوري والمتطوعين بقيادة وزير الدفاع يوسف العظمة في معركة ميسلون البطولية في يونيو (1338هـ -1920م) ولكنها انتهت بانتصار الجيش الفرنسي ليحتل دمشق ومن ثم سائر المدن السورية.

وعلى إثر ذلك غادر الملك فيصل دمشق وسيطر الفرنسيون على البلاد سيطرة كاملة ، واتبعت فرنسا سياسة طائفة فقسمت سوريا إلى أربع دويلات هي: دمشق ، وحلب ، ودولة العلويين ، ودولة الدروز.

ولم يستسلم السوريون لهذه التدابير ؛ فقامت بعض حركات المقاومة. وفي سنة (1343هـ /1925م) ثار الدروز على الفرنسيين ثم امتدت الثورة إلى حماة ودمشق ، وانتصر الثوار في عدة معارك لكن الفرنسيين قمعوها بوحشية.

وأمام ضغوط الثوار وافقت فرنسا على تشكيل حكومة وطنية بدمشق حاولت عن طريق المفاوضات عقد معاهدة تنص على تكوين جيش وطني وإصدار دستور للبلاد ، لكن المقيم الفرنسي عمل على حل الحكومة سنة (1348هـ /1930م).

شكلت فرنسا حكومة عقدت معها معاهدة سنة (1354هـ /1936م) . ثم اعترفت فرنسا بمنح سوريا استقلال مشروطا.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية سنة (1357هـ /1939م) أعادت فرنسا الحكم العسكري في سوريا ، وأدى استمرار المقاومة الوطنية

والتنافس البريطاني الفرنسي إلى إجبار فرنسا على منح سوريا الاستقلال سنة (1359هـ /1941م). مع بقاء قواتها فيها.

وفي سنة (1361هـ /1943م) تم انتخاب (شكري القوتلي) رئيسا للجمهورية السورية المستقلة ثم اضطرت فرنسا إلى سحب قوتها من سوريا سنة (1365هـ/1946م) ليكتمل تحريرها واستقلالها.

بعد الإستقلال قامت في سوريا سلسلة من الانقلابات العسكرية بمؤامرات وتخطيط ودعم من السفارة الأمريكية في دمشق. وفي سنة 1958م قامت الوحدة بين مصر وسوريا في عهد جمال عبد الناصر ، ثم انفصلت سوريا عن مصر ، بانقلاب عسكري بعد ثلاث سنوات على الوحدة ! ثم جاء الدور على (حزب البعث العربي الاشتراكي) ليقوم بانقلاب 8 آذار 1963م. وكان جل قيادات الحزب من الطوائف غير الإسلامية ، فكانوا من النصارى والدروز والإسماعيلية والنصيرية ..، وقد أعلن البعثيون الكفر والإلحاد وحرب الإسلام بلا خفاء ولا مواربة ، كما انفردوا بالسلطة وبطشوا بالقوى السياسية الإسلامية والقومية واليسارية الأخرى. ثم انقسموا على بعضهم ، وأعدم بعضهم بعضا ، وقام انقلاب سنة 1965م على الرئيس (أمين الحافظ) ذي الأصل السني ، ليزداد نفوذ النصيرية والدروز في الحكم. وفي 5 حزيران من سنة 1967م خسرت سوريا ومصر الحرب مع إسرائيل وهزمتا هزيمة منكرة ، واحتلت إسرائيل مرتفعات الجولان من غير قتال ، حيث تولى

وزير دفاع سوريا آنذاك (حافظ الأسد) بيع الجولان لإسرائيل واشتهرت قصة الفضيحة دوليا وإقليميا. ومن ثم كوفئ حافظ الأسد والنصيرية بتسليمهم مقاليد الحكم في سوريا بدعم من القوى العالمية والصهيونية. وكان ذلك بعد آخر الانقلابات في سوريا ، وهو ما سمي بالحركة التصحيحية ، يقصدون تصحيح مسار حزب البعث !

ومنذ ذلك الوقت تحكم الطائفة النصيرية سوريا حكما طائفيا استبداديا.

حكم حافظ أسد سوريا خلال (1970- 1998م). حكما عسكريا استخباراتيا بقبضة من حديد ، وبطش بكل همسة معارضة لحكمه من أي هوية سياسية كانت ، وضعف نفوذ البعثيين المرتدين المنحدرين من أصول الطائفة السنية التي تشكل 80 % من سكان سوريا. وسارت البلاد في دروب الكفر والإلحاد والعلمنة بوتيرة متسارعة، كما دب الفساد والرشوة في كافة مفاصل الحياة السياسي والإدارية والقضائية والاقتصادية، وذاق الشعب فيها ألوان العذاب !

قامت في سوريا ثورة إسلامية مسلحة على نظام حافظ أسد بقيادة الشيخ مروان حديد ، وامتدت أحداثها من (1973م) إلى (1983م). ولاقت انتشارا في صفوف المسلمين السنة ، ولكن النظام بطش بالشعب بقسوة وبكافة ألوان الإسلاميين ولاسيما بالجهاديين، وبالإخوان المسلمين ، وامتد عدوانه لكل ما يمت للإسلام بصلة، حتى

دوهمت المساجد ومزقت المصاحف ، وقتل المصلون ..، وفي فبراير 1982م بلغت الثورة أوجها وتركزت في مدينة حماة ، فقام النظام النصيري البعثي بدك المدينة بالمدافع والطائرات وقتل أكثر من (50 ألف مسلم) خلال 14 يوما ! وسط صمت إعلامي دولي مريب عجيب. وتابعت الحكومة الاعتقالات التي كانت قد اشتدت منذ 1979م وأعدم في السجون أكثر من 25 ألف مسلم في حملات إعدام ومجازر منظمة ! دفن أصحابها في مقابر جماعية. وانتهت الثورة.[42]

أراد حافظ الأسد تولية ابنه باسل لخلافته في رئاسة الجمهورية ، ورتب ذلك مع أمريكا والقوى الإقليمية، وفي طليعتها إسرائيل ، ولكن باسل هلك فجأة في حادثة سيارة كما قيل ، فرتب استخلاف ابنه بشار على عجل مع نفس القوى ، وحضرت وزيرة خارجية أمريكا ، اليهودية الشمطاء (أولبريت) إلى دمشق وأشرفت على تصويت البرلمان السوري على تعديل الدستور بالإجماع خلال 40 دقيقة. وعلى نقل ولاية العهد لبشار الذي مازال يحكم سوريا عبر أجهزة الإستخبارات التي أسسها أبوه إلى اليوم.

(3) **لبنان :**

كانت لبنان جزء من بلاد الشام التي كانت ولاية عثمانية ، ولما تقاسمت بريطانيا وفرنسا الشرق الأوسط ، خرجت لبنان في حصة

---

[42] (راجع كتاب الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا, وكتاب المسلمون و النصيرية في بلاد الشام – للمؤلف).

فرنسا باعتبارها جزءا من سوريا ، ولكن فرنسا أعطت لبنان وضعا خاصا لوجود طائفة مسيحية كبيرة فيه ، أرادت فرنسا الاعتماد عليها في نفوذها في المنطقة. ولما قسمت فرنسا سوريا إلى عدة دويلات ، كانت لبنان إحدى لك الدويلات ، فوضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي تطبيقا لمعاهدة (سان ريمو) وبدأ الجنرال غورو إعادة تقسيم سوريا ولبنان، وفي أغسطس سنة (1338هـ/1920م) صدر قرار بإعلان قيام دولة لبنان ، كما أعلن استقلالها عن سوريا ، ثم اقتطعت فرنسا أجزاء من الأقاليم المجاورة لإقليم لبنان وألحقتها به وأسمته (دولة لبنان الكبير!!). علما أن هذا (الُّبنان الكبير)!! بلغت مساحته بعد ما ألحق به (10 آلف كم مربع فقط) !

ثم قام الفرنسيون باستغلال لبنان ، وعمدوا إلى تمزيق شمل المواطنين والدس بينهم لتمكين أقدامهم في البلاد ، لكن بعض اللبنانيين لم يستكينوا لفرنسا فقامت بعض الثورات من حين لآخر ؛ ومن أشهرها ما حصل في سنة (1338هـ/1920م) ثورة جبل عامل التي أخمدها الفرنسيون. ولكن الفرنسيين اعتمدوا على ولاء النصارى الموارنة لبسط نفوذهم.

ثم توالت الثورات وتلاقت مع ثورات سوريا خاصة في ثورة عام (1343هـ/1925م) في جبل الدروز. ثم حكم الفرنسيون بعد ذلك لبنان حكما مباشرا وإن أوجدوا مجلسا تمثيليا – حتى عام (1344هـ/1926م)

حيث أعطوا البلاد دستورا. وتم انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية هو شارل دبَّاس الذي بقى حتى وفاته سنة (1350هـ/1932م).

وفي سنة (1351هـ/1933م) تم تعيين حبيب باشا السعد رئيسا جديدا ثم تبعه عام (1936م) إميل أده. وفي سنة (1355هـ/1937م) تم الاتفاق بين فرنسا واللبنانيين على أن يكون رئيس الجمهورية ، مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عبثت السلطات الفرنسية بالنظام السياسي والإداري في لبنان ، وعملت على انتشار الفساد في البلاد.

وفي سنة (1354هـ/1936م) تقدم الشيخ مُحَمَّد توفيق خالد مفتي المسلمين إلى المفوض السامي بعدة مطالب لتحقيق الإستقلال الشامل والاعتراف بسيادة لبنان ووحدته مع سوريا ، بينما تقدم بطرس عويضة زعيم الطائفة المارونية بمطالب تهدف إلى تحقيق الاستقلال والسيادة ، وتوطيد العلاقات مع سوريا ، ووضع دستور للبلاد.

وفي سنة (1361هـ/1943م) تشكلت حكومة تمثل الطوائف الرئيسية في لبنان وهي: (الموارنة ، والسنة ، والشيعة ، والروم الأرثوذكس ، والروم الكاثوليك ، والدروز) معبرة في ذلك عن شكل من الوحدة الوطنية وكان رئيس الجمهورية (بشارة الخوري). ثم أعطت

فرنسا لبنان الاستقلال سنة (1364هـ/1945م) وتم جلاء القوات الفرنسية عن لبنان سنة (1365هـ/1946م).

استمر الاضطراب الطائفي في دويلة لبنان الإصطناعية !، وانفجرت الحرب الأهلية بين الموارنة والطوائف الإسلامية والملحقة بالإسلامية والقومية سنة 1958م. وسكنت الأحداث لتنفجر ثانية سنة 1975م بين تحالف النصارى الموارنة المدعومة من إسرائيل علنيا، والقوى القومية والإسلامية والفلسطينيين المقيمين في لبنان ، ودخل النظام النصيري بإجازة أمريكية في الحرب بين الأطراف ، ونفذ الجيش السوري بالتعاون مع الطيران الإسرائيلي مذبحة مخيم تل الزعتر الفلسطيني وقتل زهاء 50 ألف نسمة في تلك المذبحة ! ثم أحدث النصيرية مذبحة أخرى في المسلمين في طرابلس شمال لبنان ، ونمت قوة الطائفة الشيعية والنصيرية اللبنانية خلال تلك الحرب بدعم من سوريا وإيران ... ودمرت الحرب الأهلية لبنان وهلك زهاء مأتي ألف من مختلف الطوائف ، ثم تدخلت إسرائيل علنيا وزحفت جيوشها برئاسة شارون آنذاك واحتلت بيروت ! ونفذت مجازر مهولة فى الفلسطينيين في سنة 1982م وخاصة فيما عرف بمذابح صبرا وشاتيلا. وأجبرت المنظمات الفلسطينية على الرحيل من لبنان.

ثم عقد مؤتمر القمة العربية في الطائف وأرسى دعائم اتفاق هش، أطلق فيه يد سوريا في لبنان بإجازة أمريكية إسرائيلية ..، والآن وبعد

احتلال العراق ، تغير البرنامج الأمريكي الصهيوني حيث تعيد أمريكا ترتيب خريطة المنطقة ، لتطالب سوريا برفع يدها عن لبنان ، حيث يبدوا أن الطوائف وعلى رأسها الموارنة سيلعبون دورا جديدا في برنامج بوش لإعادة تقسيم ما قسمته سيكس بيكو ورسمها من جديد وإعادة تقسيمها وتركيبها تحت المجهر.

(4) **فلسطين :**

لفلسطين منزلة كبرى عند المسلمين نظرا لوجود بيت المقدس ثاني الحرمين وأولى القبلتين ، وقد اتفق الشريف حسين بن علي مع بريطانيا على أن تكون فلسطين ضمن الدولة العربية الكبرى التي وعدوه بها قبل الحرب العالمية الأولى ، لكن بريطانيا كانت تريد ضمها إلى إمبراطوريتها لإعطائها لليهود بموجب وعد بلفور سنة الصادر سنة (1335هـ/1917م) والذي تعهدت فيه بريطانيا بتبني قرار المؤتمر الصهيوني الأول سنة (1314هـ/1897م) بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء – ومنهم بريطانيا – وتم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني سنة (1338هـ/1920م). في مؤتمر سان ريمو. وتنكرت بريطانيا لوعودها للعرب بالاستقلال بينما التزمت بوعدها للصهاينة بالوطن لليهود في فلسطين. وخلال فترة

الانتداب من (1338هـ/1920م) – (1367هـ/1948م) مكنت بريطانيا الصهاينة من امتلاك الأراضي ، وفتحت أبواب فلسطين لاستقبال يهود العالم ، فرفعت عدد اليهود الأصليين الذي كان 15 ألف نسمة من السكان اليهود الأصليين ،إلى مئات الآلاف قبل سنة 1948م. وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية ، وسمحت لهم بتكوين فرق عسكرية ، بينما اتبعت خطة من شأنها التضييق على العرب.

خلال تلك الفترة قامت ثورات شعبية فلسطينية وأبرزها ثورات (1338هـ/1920م) (1347هـ/1929م) (1354هـ/1936م) فكان الحاج أمين الحسيني مفتي القدس أبرز القادة في تلك الفترة ، وكنوع من التهدئة طرحت بريطانيا مشروع تقسيم فلسطين لثلاث مناطق: يهودية، وعربية ، وبريطانية. رفض الفلسطينيون هذا التقسيم واندلعت الثورات من جديد.

وكانت ثورة (1355هـ/1937م) التي قادها الشهيد عز الدين القسام أشدها ولكن بريطانيا أجهضتها بتوسط من بعض زعماء العرب ولاسيما الأمير فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية !. واضطرت بريطانيا عام (1356هـ/1937م) للتخلي عن الفكرة. وبعد الحرب العالمية الثانية تراجعت بريطانيا إلى دولة من الدرجة الثانية ، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح إحدى القوتين الأعظم في العالم ؛ وركز اليهود جهودهم لاستمالة الولايات المتحدة. وأثبت الرئيس

الأمريكي ترومان للصهيونية أن الولايات المتحدة حليف أفضل حين مارس ضغطا على بريطانيا كانت نتيجته السماح بدخول 100 ألف يهودي إلى فلسطين وهي العملية التي جعلت بريطانيا تعجل بتدويل القضية وبتحويلها إلى الأمم المتحدة عام (1947م).

وأوصت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين بقسيمها إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع تدويل القدس وجرى التصويت على ذلك وقامت بذلك دولة إسرائيل عام (1948م) وانسحبت بريطانيا من فلسطين بعد أن سلمت الصهاينة كل مقومات الدولة إداريا وعسكريا ، وبعد أن مكنتهم من السيطرة على مساحات من أرض تزيد على المساحات التي حددها تقسيم الأمم المتحدة ، وفي (1367/7/7هـ) (15مايو سنة 1948م) جرى إعلان قيام دولة إسرائيل وواصلت المنظمات الصهيونية غاراتها للتوسع على حساب المناطق التي يسكنها العرب.

أدى إلى ذلك القيام الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل سنة (1367هـ/1948م) التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية بفعل خيانات الرؤساء والملوك العرب ولاسيما في الدول المجاورة والسعودية. وتأكد قيام دولة إسرائيل. واستولى اليهود على مزيد من الأراضي بحيث لم يبق من فلسطين سوى الضفة الغربية التي وضعت تحت الحكم الأردني وقطاع غزة الذي وضع تحت الحكم المصري. وفي سنة

(1375هـ/1956م) كان اعتداء إسرائيل على غزة وسيناء بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا الذي انتهى بتوسيع دولة إسرائيل وضم أراضٍ جديدة إليها بعد مذابح شنيعة ضد عرب فلسطين.

وفي عام (1382هـ/1963م) كان إعلان قيام (منظمة التحرير الفلسطينية) التي أسست جيشا فلسطينيا نجح في إلحاق بعض الخسائر بإسرائيل في الداخل وفي خارج حدودها مع لبنان والأردن. وفي عام (1386هـ/1967م) اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل للمرة الثانية وخسر على أثرها العرب الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء التي احتلتها إسرائيل. نتيجة خيانة النظام السوري ، واختراق الإستخبارات الإسرائيلية لقيادات جيش عبد الناصر من الزناة الماجنين..!

وفي عام (1392هـ/1973م) قامت حرب أكتوبر حيث انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل ، لكنها لم تستطيع تحرير تلك المناطق المحتلة نظرا لتدخل الولايات المتحدة ووقوفها إلى جانب إسرائيل ولخيانة الرئيس السادات الذي أوقف الهجوم ، وتكرار النظام السوري لخياناته المألوفة..

وبعد أن تحصلت منظمة التحرير الفلسطينية ، على كونها المثل الشرعي والوحيد للقضية الفلسطينية ، بدأت بسلسلة مفاوضات سرية وعلنية مع إسرائيل برعاية من الأنظمة العربية الخائنة ، وإشراف دولي.

من أجل إنهاء الصراع العربي الإسرائيلي. وقد بدأ ذلك من اتفاقيات كامب ديفد بين مصر وإسرائيل والفلسطينيين برعاية أمريكية سنة 1980م، ثم حصلت قفزة استسلامية في مؤتمر مدريد للسلام (1991م) والذي تبعه اتفاقيات أوسلو بين المنظمة ولإسرائيل ، ثم تتابعت المؤتمرات والمؤامرات .. بإشراف أمريكي وتعاون من الأنظمة العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم الدول (ذات الشعوب الإسلامية). إلى أن تولى بوش وضع ما سمي بـ (خارطة الطريق) لتسوية القضية الفلسطينية سنة 2002م، ولإقامة دولة شكلية للفلسطينيين في غضون سنة 2005م ولكن إسرائيل مازالت تتملص وتتابع مسلسل القتل والمجازر في الفلسطينيين، وأمريكا مازالت تزداد علنية في انحيازها. فيما يبدو مخططا مكشوفا لتهجير ما تبقى من الفلسطينيين ، وهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

وقد انفجرت الإنتفاضة الفلسطينية ضد اليهود في سنة 2000م وانتقلت للعمل المسلح وبرزت المنظمات الجهادية الإسلامية لتملأ فراغ الساحة بعد انكشاف إفلاس الخط اليساري القومي العلماني وخيانته لقضية المسلمين ، وعجزه. وتشهد هذه الأيام صدامات عنيفة بين قوى الجهاد الفلسطينية واليهود ، فيما تتابع السلطة الفلسطينية بعد هلاك عرفات تعفنها و تفسخاتها بقيادة الخونة من أمثال محمود عباس

(أبو مازن) المرشح لإطلاق رصاصة الرحمة على قضية فلسطين هذه الأيام.

(5) الأردن :

كانت الأردن جزءً من ولاية الشام عبر التاريخ الإسلامي. ولكنها بدأت تاريخها كدولة مستقلة منذ عام (1339هـ/1921م) بموجب اتفاقية سيكس بيكو التي جعلتها في حصة الإنكليز. فرسمت حدوده على الرقعة الجغرافية الممتدة شرق نهر الأردن ما بين السعودية والعراق وسوريا. وقد كانت الأردن متصرفية تتبع سوريا في العصر العثماني، ووفق اتفاقية سان ريمو وضع شرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ثم قررت بريطانيا فصل شرق الأردن عن فلسطين ، وعينوا عليها الأمير عبد الله بن الشريف حسين على أن يكون حكمه مستقلا إداريا و(مستنيرا) ! برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.

وفي سنة (1346هـ /1927م) عقدت معاهدة أردنية – بريطانية اعترفت بريطانيا فيها باستقلال شرق الأردن شكليا ، وتكون حكم فيها ملكي مطلق ، ثم عدلت سنة (1352هـ /1933م) بحيث حصلت المملكة على قدر من السيادة والاستقلال. وخلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء ، وشاركت القوات الحربية الأردنية في المجهود الحربي ثم أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها للأردن. في

(1365هـ/1946م) و تم إعلان قيام (المملكة الأردنية الهاشمية) ، وبويع الأمير عبد الله ملكا دستوريا على البلاد.

في عام (1368هـ/1948م) انفجرت الحرب بين العرب واليهود وكان الملك عبد الله هو القائد الأعلى للجيوش العربية ! ولكن الضابط الإنكليزي (غلوب باشا) كان القائد الفعلي !!! ...! وهكذا انتهت الحرب بالنكبة واستيلاء اليهود على قسم من الأراضي ، وقيام إسرائيل. وفي عام (1369هـ/1950م) أعلن الملك عبد الله ضم الضفة الغربية من فلسطين إلى الأردن وذلك بعد قيام دولة إسرائيل.

وفي عام (1370هـ/1951م) قتل الملك عبد الله وتبعه ابنه الملك طلال الذي قام في سنة (1371هـ/1952م) بوضع دستور يساير الواقع الجديد. ولكنهم أعلنوا اختلاله العقلي ، وخلفه في سنة (1372هـ/1953م) ابنه الملك حسين بن طلال.

استمر حسين في الحكم لأكثر من 46 سنة ! وكان داهية محنكا ، وعميلا خائنا ماهرا ، أجاد اللعب على متناقضات المنطقة وعرف بممالأته للإنكليز الذين صنعوا العرش الأردني ثم للأمريكان الذين ورثوا النفوذ في المنطقة. كما أن اتصالاته القديمة جدا باليهود الصهاينة كانت شبه معلنة. وقد تولى كشفها بنفسه وأعلن قدمها وأنها تعود لأيام صداقته مع بنغوريون مؤسس إسرائيل !

تتمتع الأردن باقتصاد ضحل جدا ، فهي بلد صحراوي قليل الموارد وتعتمد في استمراريتها على المساعدات الإقليمية والدولية. ويتكون ثلثي السكان من الفلسطينيين المهجرين إبان الحروب المتتالية في فلسطين. ولذلك فالتوازن السياسي الداخلي فيها حرج ، وقد فقد توازنه سنة 1970م حيث وقع القتال بين الفلسطينيين والنظام الأردني وراح ضحيته أكثر من عشرين ألف فلسطيني ! وأخرجت المنظمات الفلسطينية من الأردن ليستقر معظمها في لبنان ، حيث أخرجت كما رأينا بعد الحرب الأهلية المجازر سنة 1982م.

وقع الحسين معاهدة صلح مع إسرائيل أقام علاقات دبلوماسية معها ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء عمان جهارا نهارا فوق رؤوس شعبها ذي الأغلبية الفلسطينية !

هلك الحسين إثر إصابته بالسرطان سنة 1998م - على ما أذكر — وتولت أمريكا تغيير ولاية العهد ، فأبعدت أخاه وولي عهده لعشرات السنين ، وولت ابنه (الملك عبد الله الحالي) الذي قضى معظم حياته في بريطانيا. ليتابع سياسة أبيه. فتوطدت علاقاته وزياراته لإسرائيل. وعندما غزت أمريكا العراق واحتلته ، قدمت حكومة الأردن لأمريكا خدمات لوجيستية هامة ، وتحركت القوات الأمريكية من الأراضي والأجواء الأردنية. بعد مناورات مشتركة مع الجيش الأردني. وترتكز البرامج الأمريكية الإسرائيلية اليوم في انطلاقتها الشاملة في المنطقة اليوم

إقتصاديا وثقافيا وسياسيا.. على ما يقدمه النظام الأردني من خدمات خيانية جليلة للأعداء.

وفيما كنت أضع اللمسات الأخيرة على الكتاب. أوردت الأنباء خبرا طريفا يذكرنا بأيام المماليك ودول الطوائف ! حيث أعلن الملك عبد الله عزل أخيه حمزة عن ولاية العهد ، وتولية ابنه البالغ من العمر 9 سنوات ، وتهافتت الشخصيات الأردنية لإعلان إشادتها بهذا الإنجاز الشرعي ! والعظيم. وحسبنا الله ونعم الوكيل على زمان المهازل الذي نعيشه !!.

(6) بلاد الحرمين . المسماة بـ (السعودية !!) :

خلال المرحلة العثمانية كانت البلاد المعروفة باسم (السعودية) اليوم مكونة من أجزاء شبه مستقلة. أهمها نجد ، ولم تخضع عمليا للحكم العثماني ، والحجاز التي حكمها الأشراف وتبعوا فيها العثمانيين وكانوا تحت حمايتهم ورعايتهم. والشمال المتاخم للشام والعراق ، وكان يخضع لحكم آل الرشيد بتوكيل من العثمانيين أيضا.

وقد مر قيام الدولة السعودية الحالية منذ القرن الثامن عشر الميلادي بثلاثة أدوار:

الدور الأول: الدولة السعودية الأولى:

ويبدأ من سنة (1157 هـ – 1744م) وهي السنة التي هاجر فيها الداعية الشيخ (مُحَّد بن عبد الوهاب) إلى بلدة الدرعية وعقد الاتفاق بينه وبين أميرها الإمام (مُحَّد بن سعود على النصرة والتعاون على نشر الدعوة . ويعتبر الأمير الإمام سعود بن مُحَّد بن مقرن (1725م – 1765م) مؤسس الدولة السعودية الأولى. ثم انتشر صدى الدعوة الوهابية في أنحاء الجزيرة.

توفي الأمير مُحَّد بن سعود سنة (1178هـ/1765م) فبويع على الإمامة ابنه الأمير عبد العزيز بن مُحَّد، فوسع دولتهم ووصل في الجنوب إلى وادي الدواسر وفي الشمال إلى السماوة في شرق العراق، وقد اغتيل الإمام عبد العزيز بن مُحَّد سنة (1228هـ /1813م) وكان قد عين ابنه سعودا خلفا له فبايع الناس سعود على الإمامة ، فتمكن سنة (1228هـ/1813م) من فتح مكة والقضاء على نفوذ الأشراف في الحجاز.

ولم ترض الدولة العثمانية عن ضياع سلطانها على الحجاز ، ثم إن النشاط المتزايد للحركة السلفية في نواحي العراق زاد من مخاوف العثمانيين ، وبعد أن استنجد الشريف غالب بالعثمانيين كلف السلطان محمود الثاني وإليه على مصر(مُحَّد على باشا) باستعادة الحجاز فاستولى على مكة والطائف.

الحملة المصرية الثانية:

ثم خرج مُحَّد على بنفسه إلى الحجاز سنة (1228هـ/1813م) واستطاع تمكين سلطانه في مكة والمدينة والطائف ودخل تهامة وعسير. وفي تلك الأثناء توفي الإمام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله سنة (1230هـ/1814م) ثم أعد مُحَّد علي حملة قوية جديدة جعل عليها ابنه إبراهيم باشا فتقدم إبراهيم باشا نحو واستولى على الدرعية عاصمة السعوديين بعد حصار طويل وقتال مرير ، ووقع الصلح بينهما وذهب الإمام عبد الله إلى مصر مع من بقي من أنصاره لتوقيع الصلح مع مُحَّد علي واستطاعت قوات مُحَّد على أن تمد نفوذها إلى منطقة القطيف.

وينتهي الدور الأول أو الدولة السعودية الأولى باستسلام الإمام عبد الله سنة (1818م).

الدور الثاني أو الدولة السعودية الثانية:

يبدأ عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود الكبير الهرب من مصر، ثم بويع إماما سنة (1235هـ/1236هـ) (1819م/1820م) ، وأقام تركي بن عبد الله بن مُحَّد بن سعود والذي كان قد لاذ بالفرار عند تسليم الدرعية – أميرا على الرياض ثم خلف الأمير تركي ابنه الأمير

فيصل بن تركي سنة (1250هـ/1834م) واستمر في كفاحه مع منافسي بيته من ناحية ، ومع المصريين من ناحية أخرى.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد أعطى إمارة حائل لأحد رجاله الذين ساعدوه في القضاء على قاتل والده تركي ، وهو عبد الله بن الرشيد الذي سيكون مؤسسا لإمارة بيت الرشيد. ويقسم عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الأول يبدأ بتوليه الإمارة بعد مقتل والده (1250هـ/1834م) وهو دور الفتن و الاضطرابات ، وينتهي بتسليم فيصل لخورشيد باشا والي مصر على نجد والحجاز بعد تسع سنين من المقاومة – حيث أخذه إلى مصر وولى مكانه عمه خالد ابن سعود جاء يحكم نجدا حكما عصريا. فنفر منه أهل نجد ، وعدوه أجنبيا ، ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه بعد أن قاوموا سنتين، ثم تولى الإمارة بعده عبد الله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود سنة (1257هـ/1842م) ولكن حكمه لم يدم فقد كان مُحَمَّد علي قد أطلق سراح الإمام فيصل بن تركي فبايعه أهل نجد سنة (1259هـ/1843م) واستمر في الدور الثاني أربعا وعشرون سنة فبسط سيادته على الشطر الأكبر في شبه الجزيرة فدانت له الأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبيل والقصيم. وبوفاته سنة (1282هـ/1865م) ينتهي الدور السعودي الثاني أو الدولة السعودية الثانية حيث تنازع أبناء فيصل بن تركي الملك ، وكانت الدولة العثمانية قد أنهكت أهل نجد بحملاتها المتعددة. واستمر

الخلاف بين سعود وعبد الله و مُحَمَّد أبناء فيصل ، ولكن في سنة (1291هـ/1874م) توفي الإمام بن فيصل وتولى الإمامة بعده أخوه عبد الرحمن ، واستطاع أن يعيد أخاه الكبير عبد الله ويصالحه ، وبايع أخاه عبد الله ولكن أبناء سعود انشقوا عن العائلة. وكان آل رشيد إلى ذالك الحين في طاعة آل سعود.

ولكن في سنة (1299هـ/1881م) حدثت وقعة الحمادة والتي أدت إلى استيلاء ابن رشيد على نجد وأخذه للإمام عبد الله وأخيه عبد الرحمن سجينين إلى حائل مع عشرة آخرين من آل سعود ، وأقام سالم بن السبهان أميرا على الرياض والذي قام بقتل أبناء سعود مُحَمَّد وسعدا وعبد الله وأجلى أهلهم إلى حائل.

وفي سنة (1308هـ/1889م) مرض الإمام عبد الله ؛ فأذن له وأخيه عبد الرحمن بأن يعودا إلى الرياض ؛ ولكن الإمام عبد الله مات في نفس السنة ، وبويع أخوه عبد الرحمن بالإمامة. ثم استولى ابن الرشيد على نجد ، فأخرج عبد الرحمن حريمه وأولاده فارتحلوا منها إلى الأحساء ثم إلى قطر وأخيرا إلى الكويت حيث بقوا فيها إلى أن فتح ابنه عبد العزيز الرياض وأقام الدولة السعودية الثالثة.

الدور الثالث– الدولة السعودية الثالثة:

كانت بريطانيا قد بسطت سلطانها في الكويت كما سيأتي ، وكانت أطماعها تمتد للسيطرة على جزيرة العرب وبلاد الحرمين ، ولكنها بمعرفتها الواقعية لمكانة بلاد الحرمين في نفوس المسلمين ، ونفرتهم من وجود قوات أجنبية فيها ، عمدت إلى احتلالها بصورة غير مباشرة ، وذلك بتولية أسرة مالكة تابعة لها فيها. وهذا ما فعلته بعد دراسة في تاريخ المنطقة والقوى القبلية فيها.

وقد نصح حاكم الكويت التابع للإنكليز (مبارك الصباح) البريطانيين باعتماد عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - الذي كان لاجئا عنده – لهذه المهمة. وبعد اجتماع المندوب البريطاني بعبد الرحمن آل سعود ، أقنعه عبد الرحمن بأن كبر سنه لا يناسب المهمة ، وقدم له ولده (عبد العزيز) ليقوم بالبرنامج البريطاني. وأعجب المندوب بعبد العزيز الذي كان في العشرين من عمره ، وتوسم فيه القدرة والنجابة. ومن تلك النقطة يبدأ تاريخ الدولة السعودية الثالثة والتي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا. أخزاهم الله وأهلكهم.

زودت بريطانيا عبد العزيز بالذهب اللازم وبالمستشارين وبخبير عسكري يساعده في إعداد قواته. وقام بحلته الأولى سنة 1901م تحت دعوى استعادة ملك آبائه ، ولكنه مُنيَ بفشل ذريع. وعاد للكويت.

وبعد تدارس الأمر قرر عبد العزيز أن يعاود الكرة ولكن تحت دعوى إحياء دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب وأن يتستر تحت هذه الدعوة الدينية المحبوبة من أهل نجد. وفعلا لاقت دعواه التأييد من الناس وتمكن عبد العزيز سنة (1319هـ/1902م) من العودة إلى نجد والاستيلاء على الرياض وإعلان نفسه أميرا. وبدأ بإزالة كل أثر لسلطان بني رشيد في حائل.

ثم بدأ عبد العزيز بجمع أنصار الدعوة الوهابية وكون منهم ما عرف باسم (**إخوان من طاع الله**) ، وكانت أشبه بميليشيا مسلحة من المجاهدين العقائديين الذين عرفوا بالبأس وشدة الأيمان. وتوسعت قوات عبد العزيز فتحرك بهمة ونشاط وأثبت كفاءته ودهاءه.

ثم فتح القصيم سنة (1321هـ/1903م) بعد انتصارين حاسمين في (البكرية والشنانة) وتم الانتصار النهائي على ابن رشيد في موقعة (روضة مهنا) بالقرب من مدينة بريدة في سنة (1334هـ/1913م) وبذلك انتهى حكم الأتراك للأحساء والذي دام 42 سنة.

وبعد الحرب العالمية الأولى ... لقب عبد العزيز بسلطان نجد وملحقاتها.

وكان لبريطانيا في تلك الأوقات عميل آخر يعمل في منطقة الحجاز مع الأشراف هو العميل الشهير (لورنس العرب) ، وكان قد خدع الشريف حسين – كما مر معنا – بأنهم سيساعدوه على قيام

خلافة عربية في الجزيرة العربية والشام والعراق إن هو حارب الخلافة العثمانية إلى جانبهم ، وهو ما فعله تحت اسم الثورة العربية الكبرى. ثم خدعته بريطانيا وقسمت مملكة أحلامه بينها وبين فرنسا. وأصبح على البريطانيين أن يختاروا لجزيرة العرب أحد العميلين (عبد العزيز) و (الشريف حسين) ، وبعد مداولات ومشاورات ، وقع خيار وزارة المستعمرات البريطانية على أتعس التعيسين ، فاختاروا عبد العزيز ، ونفوا المخدوع الآخر ليقضي بقية حياته ويموت منفيا في قبرص !

وبعد ذلك أرسل حملتين إلى الحجاز واستولى عليها وصار لقبه (ملك الحجاز وسلطان النجد وملحقاتها. وكان عزم الإنكليز معقودا على تمليك السلطان عبد العزيز جميع أجزاء الجزيرة العربية فاستطاع أن يدخل عسيرا ونجران في حدود مملكته. وفي عام (1350هـ/1932م) أصدر الملك عبد العزيز مرسوما وحد به أجزاء المملكة الحجازية والسلطنة النجدية والإمارات الأخرى وأسماها البريطانيون هذا الإسم المنكر العجيب باسم أسرة عميلهم فولدت الدولة التي سميت (**المملكة العربية السعودية**) !

كان إخوان من طاع الله قد صدقوا دعاوى ابن سعود الدينية ، وهموا بالاستمرار بنشر دعوة التوحيد في الجوار نحو العراق والكويت واليمن والشام ..، ولكن البرنامج البريطاني كان غير ذلك ، ولم يرد الإنكليز من دعوة التوحيد إلا ستارا لبرنامجهم في تمليك آل عبد العزيز

أل سعود المنطقة التي رسموا حدودها. فبدأت النفرة بين عبد العزيز و(إخوان من طاع الله) الذين كانوا وقود قيام ملكه ! كما أنكر الإخوان على عبد العزيز عدو أشياء منها تسميه بالسلطان صاحب الجلالة ، ومنها كثرة مستشاريه الإنكليز والتزامه مشورتهم، ومنها ما لاحظوه من بدء تسلل النكهة العصرية لنظامه ، وآل الأمر للحرب بين عبد العزيز والإخوان ، فساعده الإنكليز بضرب تجمعاتهم بالطائرات ، وزحف بمن والاه من القبائل والأعوان فقضى عليهم في الموقعة الشهيرة باسم (**موقعة السْبِيْلَهْ**) فذبح دعاة التوحيد وقتل أكثرهم، وتفرق من بقي حيا في القرى والقفار ..، وبعد السبيلة طار المستشارون الإنكليز فرحا ورموا كوفياتهم العربية في الهواء استعلنوا بملابسهم وهويتهم.

بعد ذلك أبرم عبد العزيز مع الإنكليز معاهدة تلتزم بموجبها حكومة جلالة الملكة اليزبيت بحصر ملك السعودية في عبد العزيز وذريته من بعده ، على أن لا يبرم أمرا ولا قرارا سياسيا إلا بمشورتهم، ووقع المندوب البريطاني والملك عبد العزيز بذلك وثيقة نشرت من قريب فيما نشلا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، وتناولتها الكتب ووسائل الإعلام ! ، كما اشتهرت وثيقة أخرى اعترف فيها عبد العزيز بحق اليهود في فلسطين ، حيث ساعدهم ولده ووزير خارجيته (فيصل) على إجهاض الثورة الكبرى ضد المهاجرين اليهود سنة (1936م) كما

مـر ذكـر ذلـك في الفصـل الأول. ثم ظهـر الـنفط وتناهبتـه الشـركات البريطانية، ثم الأمريكية.

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبروز أمريكا كقوة عظمى ، وتراجع حجـم ودور بريطانيـا نسـبيا. ورثـت أمريكـا السـيطرة علـى معظـم المسـتعمرات البريطانيـة بعـد أن غابـت عنهـا الشـمس وحـتى القمـر وصارت ذيلا لأمريكا !

وبدهائـه أدرك عبـد العزيـز التحـولات الدوليـة ، واجتمـع بالـرئيس (اليهـودي) روزفلـت علـى ظهـر بارجـة حربيـة أمريكيـة ، وتعهـدت لـه أمريكا ولورثته بما تعهدت به بريطانيا ، كما تعهد لهم وذريته بما كان قد تعهد للإنكليز من قبل من الولاء والطاعة والعمالة ، وهو ما حصل وما يزال يحصل مما شهدنا في هذه الأيام النحسات الأخيرة ! وفي عام (1373هـ/1953م) توفي الملك عبد العزيز.

ثم خلـف الملـك سـعود أباه سـنة (1953م) وبايعتـه الأسـرة والعلمـاء، ولكـن سعود اقتنـع بالأفكـار القوميـة الـتي ازدهـرت في بـلاد العـرب آنـذاك ، كمـا اسـتعلن بأفكـاره العصـرية وسـلوكياته الفاسـقة المجـاهرة، فاجتمعـت الأسـباب علـى خلعـه ، ومـا قامـت بـه الأسـرة والعلمـاء. فخلـع سـنة (1964م). وخـرج أبنـاؤه ليقيمـوا في الغـرب، ولتصـبح بناتـه وأحفـاده مـادة لمجـلات أخبـار الجـنس والخلاعـة والبـذخ

الفاجر مما نهبوه من حصتهم من أموال المسلمين. حتى نشرت بعض المجلات صورة لبعض أولاد بناته من السفاح والزنا.

ثم تولى الحكم الملك (فيصل بن عبد العزيز) الذي استمر حكمه إلى عام (1975م).

ويعد الملك فيصل مؤسس السعودية الحديثة ، ومؤسس العلمانية فيها ، فقد شهدت المملكة في عصره طفرة النفط ، وتدفقت الأموال الطائلة على خزينته. ولكونه قد عمل وزير خارجية لأبيه أكثر عمره، فقد كان محنكا متمرسا بالسياسات الدولية ، وقد شهدت البلاد في عهده ثراء وعمرانا ، وتطويرا في التعليم ، وأنشأ الإذاعة والتلفزيون السعودي على الأسس العصرية وما فيها من الفسوق والعصيان والموسيقى وتكشف النساء والفتن ..، ولما ثار على ذلك بعض الأمراء من أولاد إخوته ممن فيهم بعض النخوة والصلاح قمعهم وقتل زعيمهم. ولكي يكبح جماح العلماء الوهابيين ورئيسهم العالم الصالح- كما نحسبه - (مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ) ، تفتقت عبقرية فيصل عن تقنين المؤسسة الدينية فنشأت في عهده فروع المؤسسة الدينية الرسمية ، وعلى رأسها هيئة كبار العلماء ، ولجان الفتوى والدعوة والإرشاد ، وهيئة القضاء الأعلى ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... إلى آخر تلك الهيئات. ومن أجل الدور العالمي الذي ستلعبه السعودية لمكانة الحرمين فيها ولقدراتها المالية ، ولكي ينافس

عبد الناصر الذي سعى لتزعم العرب، وأنشأ لذلك المؤسسات والإذاعات ... تفتقت عبقرية السعوديين بمشورة أسيادهم عن إنشاء مؤسسات دينية عالمية لزرع مشروع الهيمنة الروحية على العالم الإسلامي، فأنشئت: (رابطة العالم الإسلامي) و (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) و (الهلال الأحمر السعودي) و (هيئة الإغاثة العالمية) ...

وبنيت المؤسسات الدينية في الداخل على طريقة هيكل الـ (فاتيكان) وجعل على رأسها ما يشبه الـ (بابا) ، فاستحدث منصب مفتي الديار ، ورئيس هيئة كبار العلماء .. وصرفت المليارات في هذه المؤسسات داخليا وخارجيا لفرض حضورها الإعلامي وإثبات هيبتها في الداخل والخارج ونجحوا في ذلك لأسباب كثيرة ، منها أن أكثر العاملين في تلك المؤسسات كان من الصادقين المخلصين الصالحين ، الذين رأوا الآثار القريبة المنظورة لأعمال البر والخير، ولم يدركوا أهداف من أوجدها وأهداف أسيادهم.

وفي أخر عهده شهد فيصل – كما يقول بعض الناس – تحولا نحو النخوة والصلاح ، وصار يأمل في استرداد القدس ، وحاولت المملكة في عهده لعب دور أساسي في السياسات العربية والإقليمية والدولية .. دخل الملك فيصل في حرب مع التيار القومي واليساري في العالم العربي، ومثلت السعودية طليعة ما سمي بـ (الرجعية العربية) ، أو

التيار (اليميني العربي) الموالي لأمريكا والغرب ، في مواجهة قوى اليسار الاشتراكي والقومي والشيوعي العربي ، الذي تزعمه عبد الناصر، والبعثيون في سوريا والعراق وأمثالهم ..، ودخل فيصل مع مصر عبد الناصر في حرب بالوكالة على أرض اليمن حيث دعمت السعودية الإماميين ودعم عبد الناصر الجمهوريين.

وفي حرب 1973م بين العرب وإسرائيل ، قرر العرب استعمال سلاح النفط ضد إسرائيل وأعوانها في الغرب ، فنفذ الملك فيصل قرار حظر النفط عن الغرب ، فارتبك الاقتصاد العالمي ، وظهر أثر هذا السلاح الاقتصادي الخطير ، وقررت أمريكا قتل الملك فيصل. كما وضعت سياسات بعيدة المدى لإحتلال الخليج والسيطرة على منابع النفط عسكريا وهو ما ينفذ منذ 1990م. وفعلا استطاعت أمريكا تجنيد أحد أولاد أخوة فيصل ، وكان من أحد الأمراء المتسكعين في مواخير أوربا وأمريكا من الزناة الخمارين ، وما أكثرهم في آل سعود وأشباههم. في الأسر الحاكمة في عالمنا الإسلامي المنكوب .. فتسلل لقصر عمه واغتاله ، وهكذا قُتل فيصل وانتهى عهده. والله أعلم بحاله وعلى أي حال ونية لاقى ربه.

ثم تولى الحكم بعد وفاة الملك فيصل أخوه خالد بن عبد العزيز. وبويع لأخيه فهد بولاية العهد من بعده. واستمرت المملكة في عهده

على النهج التبعي لأمريكا والغرب ، وبلغت النهضة العمرانية والتحديث في عهده ذروتها في مختلف المجالات.

وخلال حكم خالد كان الحاكم الفعلي هو فهد ولي العهد ، ثم توفي خالد فجأة ، وقيل أنه مات مسموما ، ليحل الأعور الدجال مكانه ويتولى كبر الكفر والعمالة على أرض الحرمين.

وبعد وفاة الملك خالد ، تولى الحكم الملك فهد بن عبد العزيز الذي كان مشهورا بمجونه وفسقه ولياليه الحمراء في منتجعات أوربا وأمريكا الراقية المعدة لأمثاله من أغنياء الداعرين. كما اشتهر كواحد من أكبر المقامرين في صالات القمار في أوربا وأمريكا ، حتى كتبت عنه إحدى الصحف البريطانية تحت عنوان : (الأمير الذي خسر ستة ملايين باوند وخرج يضحك !!) وذلك عندما خسر في إحدى صالات لندن ما يعادل عشرة ملايين دولار ! وصورته الصحافة مبتسما ، لم تهزه تلك النازلة ، لا بارك الله فيه.

تولى فهد والصحوة الإسلامية في المملكة تعيش عصرها الذهبي ، بعد أن صارت المملكة ملجأ للإسلاميين الفارين من الحكومات العسكرية المجرمة في مختلف بلاد العالم العربي والإسلامي ، ولاسيما من مصر ثم سوريا حيث خاض الإخوان المسلمون وما انشق عنهم من التنظيمات الجهادية مواجهات مسلحة. وأدى لجوء كبار الإسلاميين إلى السعودية إلى تمازج صحوتها السلفية الوهابية بالأفكار الحركية

السياسية والجهادية الإسلامية الوافدة من مصر والشام وغيرها ، وكانت سياسة السعودية استيعاب تلك الظاهرة باعتبار الهوية التي ترفعها ولظروفها الخاصة.

ثم تبنت المملكة بإيعاز من أمريكا دعم الجهاد الأفغاني ، وفتحت الباب على مصراعيه لمن أراد النفير بماله وبنفسه ، وأدى هذا لارتياد عشرات الآلف من السعوديين لأفغانستان وتأثرهم بالأفكار الجهادية المعاصرة التي بنيت على مسائل الحاكمية ، وأدى كل هذا إلى تطور الصحوة الإسلامية في المملكة في تلك الفترة ، في نفس الوقت الذي فتح فيه فهد الباب على مصراعيه لتيار الحداثة والعلمنة ، وأدى هذا إلى حالة من الفرز في المجتمع السعودي بين هذه التيارات ، بالإضافة للتيار الديني الرسمي المتحالف مع الملكية الديكتاتورية المطلقة. وما يزال هذا الصراع على أشده إلى اليوم بين هذه التيارات الثلاثة.

وبعد غزو العراق للكويت وتهديده السعودية ، كما برمجت أمريكا مع صدام واستدرجته لذلك ، حضرت القوات الأمريكية والمتحالفة معها وضربت بجرانها في السعودية وما حولها من إمارات النفط ، وأدى هذا لحالة غليان في السعودية بعد عودة الجهاديين من أفغانستان إلى قواعدهم سالمين. مما أدى لطرح فكرة جهاد الحكومة السعودية والخروج عليها لعمالتها للأمريكان ولتفشى التشريعات الوضعية في قوانينها. ونتيجة تراكم مختلف مظاهر الفساد نشأت دعوات إصلاحية سياسية

سلمية عديدة بين إسلامية وعلمانية ، وبدأت الأوضاع السياسية في مملكة فهد تضطرب منذ مطلع التسعينات ، ليصل الأمر إلى ذروته بخروج الشيخ أسامة بن لادن على الحكومة ودعوته لجهادها بعد أن أطلق شعار إخراج المشركين من جزيرة العرب.

وبعد أحداث سبتمبر 2001م التي نفذها استشهاديون سعوديون في معظمهم. وبعد احتلال أمريكا للعراق، وتواجدها الكثيف في المنطقة ، كشرت أمريكا عن أنيابها وكشفت عن برامجها التي من ضمنها إحداث تغييرات في الأوضاع في السعودية ، مما وضع مستقبل الأسرة السعودية منذ سنة 2003 م على كفّ العفريت الأمريكي. وصدق رسول الله ﷺ ، **فمن أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه**.

وفي مطلع سنة 2004م تفجرت أحداث ثورة جهادية مسلحة تستهدف الأمريكان والتواجد الغربي في السعودية ، كما تستهدف الأسرة الحاكمة وأجهزتها الأمنية على حد سواء ، لتصبح السعودية ميدانا جديدا للمواجهة المكشوفة بين المسلمين وطليعتهم الجهادية وصحوتهم الإسلامية وبين أمريكا وحلفائها وطليعتهم من قوى الردة والنفاق من حكام العالم العربي والإسلامي ، حيث تأتي الأسرة الحاكمة في السعودية ومؤسستها الدينية الرسمية في طليعة هذه الجبهة من المرتدين والمنافقين.

ويحتاج التأريخ للدولة السعودية المعاصرة وعلماءها المنافقون ، في عهد عبد العزيز وذريته إلى مجلدات كبيرة متخصصة تسجل تاريخهم الأسود وما ألحقوه من المصائب بأمة مُحَّد ﷺ ، محليا ، وعلى الصعيد العربي والإسلامي والدولي. فقد قام ملوك هذه الأسرة الذين بلغوا خلال القرن العشرين (1901– 2004م) زهاء (7000) أمير، وكونوا قبيلة (يأجوج ومأجوج) مصغرة محلية في جزيرة العرب وبلاد الحرمين. فأذلوا العباد وأظهروا في الأرض الفساد، وإذا كان يأجوج ومأجوج سيشربون الفرات وبحيرة طبريا كما في الآثار ، فقد شرب يأجوج ومأجوج آل سعود، بحيرة نفط الجزيرة ، وضخوها في شرايين اليهود والنصارى ، وقاموا بكل أشكال حرب الله ورسوله والمؤمنين.

فعلى صعيد المملكة التي أسموها باسم من خلَّفهم ، دسوا التشريعات الوضعية في ثنايا قوانينهم ، وضربوا بعرض الحائط بكل ما راجعهم فيه بعض علمائهم الصالحين من أمثال مُحَّد بن إبراهيم الذي كتب فيهم وفي أمثالهم (رسالة تحكيم القوانين) وأفتى وحكم كما كثير ممن عاصره من علماء الجزيرة بكفر من حكم القوانين الوضعية. أو خلطها بالشريعة الإسلامية. كما شهدت سياساتهم الداخلية والخارجية موالاة مطلقة للغرب ولاسيما لأمريكا ، إلى أن ظهر هذا منهم جليا في معاونتهم والقتال معهم وتقديم الخدمات العسكرية وغيرها لهم في الحروب الأمريكية الأخيرة في المنطقة. وأما على صعيد قتل وسجن

الذين يأمرون بالقسط من الناس فحدث ولا حرج عن جرائمهم ، وأما فسادهم وفسوقهم وهدرهم لأموال المسلمين في مغامراتهم الفاسقة على موائد الخمور والقمار ، ومواخير المترفين ، فقد صاروا مادة للإعلام. ويكفي أن نورد خبرا نشرته إحدى الصحف التي تعنى بأخبار الأغنياء في العالم ، حيث قالت أن مصروف الأمير سلطان اليومي ، (وانتبه : اليومي !) هو 3 مليون دولار ! ، وأما فهد فهو الأمير الذي خسر 10 مليون دولار وخرج يضحك ، قبحهم الله ! ، وما زال يدفع – بحسب ما تواتر من أخباره في وسائل الإعلام والكتب – شيكات الابتزاز للعديد من المومسات ومضيفات الطيران ، والغانيات من عميلات أجهزة الاستخبارات اللواتي قضى في أحضانهن أيام شبابه ، فأخذت له الصور التذكارية سرا ، ليدفع ثمنها ابتزازا في المواقف والسياسات الداخلية والخارجية للمملكة ، وليسدد للمومسات حقوق التقاعد والشيخوخة !

كما دعم ملوك السعودية المتوالين على الحكم ، بمئات ملايين الدولارات كل طاغوت من طواغيت بلاد العرب والمسلمين اهتز عرشه في مواجهة المجاهدين له ، فساندوا النصيرية إبان الجهاد في سوريا ، وساندوا حكومة الجزائر في مواجهة المسلمين ، وساندوا الشيوعيين في اليمن في حربهم مع الشماليين ، وساندوا النصارى الموارنة ضد المسلمين والفلسطينيين في الحرب الأهلية في لبنان ، وساندوا حتى

(الديكتاتور ماركوس) في الفلبين ضد المسلمين ، وساندوا (بوتين) ضد المجاهدين الشيشان ، ودعموا حكومة الهند وهي تذبح المسلمين في كشمير وآسام، ومولوا حرب أمريكا ضد الطالبان ، ... وقائمة جرائمهم العلنية فضلا عن السرية تطول.

وأما جريمتهم الكبرى في تبديد مليارات المليارات من أموال النفط، فمن يتأملها يتملكه الجزع والقهر ، فالسعوديون أكبر بلد منتج للنفط في التاريخ ، إذ تصدر المملكة أكثر من 10 مليون برميل يوميا ، عدا الصادرات الأخرى وموارد الترانزيت ، أي ما يربو على نصف مليار دولار يوميا كلما أشرقت الشمس وغربت .. ومعظم هذه الموارد تصب في بنوك اليهود والصليبيين ، وتدفع منها السعودية فواتير طائلة في تنفيذ السياسات الأمريكية. وهذا بحث يطول ، والمنشور منه في الكتب والمؤلفات كثير جدا لمن أراد استقصاءه ، ويكفي أن نذكر أن من آخر ما تسرب للإعلام خبر دفعهم رشوة مالية كبيرة للحكومة الأسبانية في عهد (أثنار) لكي تتحالف مع بوش في غزوه لإحتلال العراق سنة 2004م، والله أعلم بكمية المبالغ ! فتأمل. فقاتلهم الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(7) **الكويت** :

كانت منطقة الكويت تعرف باسم " القرين" ، أما " الكويت" فهو تصغير لكلمة "كوت" وهي منطقة مجاورة لها. وهي ميناء صغير بناه (مُحَّد بن عريعر) زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على المنطقة.

بدأ تاريخ الكويت الحديث بهجرة " **آل الصباح**" من نجد. حيث اتفقوا مع بني خالد على إدارة شئون البلاد إدارة مشتركة. لكن آل الصباح استقلوا بحكم الكويت سنة (1170هـ/1756م) ، وترأسهم الأمير (صباح الجابر) الذي لقب بصباح الأول.

وحصل خلفه (الشيخ عبد الله المبارك) عام (1292هـ - 1876م) على لقب قائم مقام في المنطقة من الأتراك العثمانيين ، ثم تولى بعد ذلك الشيخ (مبارك بن صباح الثاني) الحكم خلال (1313هـ – 1896/1334م–1917م) .

وقد رأى الشيخ مبارك كي يحفظ الملك في أسرته بدعم من بريطانيا، أن يوقع معاهدة حماية مع بريطانيا عام (1316هـ/1899م). وأصبحت بريطانيا بعد هذه المعاهدة مسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية!.

وفي سنة (1915م) توفي الشيخ (مبارك الصباح) الذي يلقبه المبشرون والمنصرون الأوربيون في كتبهم بلقب (مبارك العظيم) ،

ويثنون على خدماته في تسهيل دخول النشاط التنصيري إلى جزيرة العرب ومنطقة الخليج العربي !. كما يثني عليه الإنكليز كواحد من أخلص أعوانهم ومستشاريهم ، وقد أسلفنا أنه كان وراء اقتراح آل سعود وجبارهم عبد العزيز لمهمة السيطرة على بلاد الحرمين ونجد وتوابعها ضمن البرنامج الإنكليزي للسيطرة على جزيرة الإسلام والمسلمين. وتكفيه هذه مفخرة موبقة بالإضافة لخدماته الجليلة بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية ليحافظ على حكمه ، وتسليمهم قرارات البلاد الخارجية وسياستها الداخلية ، ودعمه للمنصرين.

وفي سنة (1921م) تولى (الشيخ أحمد الجابر) الحكم وشهدت فترة حكمه التنقيب عن البترول وتصدير أول شحنة من النفط الكويتي سنة (1946م). وكذلك نظمت في زمنه الإدارات الحكومية المختلفة ، وتم استقدام البعثات التعليمية. ودخل النفوذ الأمريكي إلى جانب النفوذ البريطاني.

ثم خلف (الشيخ أحمد الجابر) ابن عمه (عبد الله السالم الصباح) عام (1950م) وقد أحدث في الكويت انتفاضة اجتماعية وثقافية وسياسية. وفي عهده أعلن استقلال الكويت في (يونيو 1961م) لتنضم للجامعة العربية والأمم المتحدة سنة (1382هـ/1963م).

ثم خلفه الأمير الحالي (جابر الصباح) ، وفي عهده صارت الكويت أفسد دول الخليج العربي في مجالات الدين والأخلاق والسياسات العلمانية ، حتى صار الدين والشريعة مادة للهزء والسخرية في صحفها الرسمية. حتى أعلن فيها عن تولى كويت متنصر مرتد رتبة في الكنيسة ، وحتى حكمت محكمة على كاتبة كويتية تنقصت من الذات الإلهية ، بغرامة 100 دينار كويتي والسجن شهرا مع وقف التنفيذ !! – تعالى الله عن جحود الجاحدين.

وأما تحول الكويت لقاعدة أمريكية حقيقية ، وممرا ومرتكزا لعبور القوات الأمريكية لإحتلال المنطقة. فأشهر من أن نضيع الصفحات في شرحه هنا. فقد منحت الكويت القوات الأمريكية والبريطانية 60% من أراضيها كقاعدة عسكرية للمناورات للهجوم لاحتلال العراق سنة 2003 م. والتفاصيل مشهورة. وأما دعم حكومتها كما حكومة السعودية وكافة دول الخليج بالأموال الطائلة لحرب الإسلام والمسلمين ، فمشهور ، ويكفي أن نورد مثالا على ذلك مما يحضرني من الذاكرة ما اشتهر من دعم الكويت لحكومة موسكو الشيوعية بـ (4 مليار دولار) فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل قبيل سقوطها سنة 1992م وكان الإفلاس يهدد الجيش الأحمر بالإنحلال ..

(8) **قطر**:

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي ، وعاصمتها "الدوحة" وهي منطقة غنية بالبترول والغاز. وكانت قطر جزءا من ساحل الخليج العربي الذي كان يسمى البحرين. وفي عام (1360هـ/1842م) عين الشيخ مُحَّمد خليفة (أحد رؤساء القبائل) واليا على قطر فحاول أن يستقل عن آل خليفة ، واشتبك معهم في قتال هزم فيه ، وعاد آل خليفة لحكم قطر.

تنازع السعوديون مع آل خليفة على حكم قطر ، واشتبكوا معهم في قتال عنيف انتهى لصالح السعوديين الذي أصبحوا يحكمون قطر. وكان أول المبايعين مُحَّمد بن ثاني الذي تولى زعامة قبيلته ؛ ومنذ ذلك الحين ظهر آل ثاني في قطر. و حاول الشيخ مُحَّمد بعد ذلك الانفصال عن حكم آل خليفة والانفراد بالحكم فجرت معارك بين الطرفين. انتهت عام (1299هـ/1882م).

على أن محاولة الشيخ مُحَّمد أثمرت في عهد ابنه قاسم الذي اعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخلافة العثمانية في قطر ؛ إذ إنه وحد قطر واستقل عن البحرين.

ثم تولى بعده ابنه الشيخ عبد الله من (1331هـ/1913م) إلى (1368هـ/1949م).

وفي عهد الشيخ عبد الله فقدت قطر سيادتها واستقلالها وأصبحت تحت الحماية البريطانية ، كجاراتها. وعقدت معاهدة حماية سنة (1334هـ - 1916م) وفي فترة حكمه تم اكتشاف البترول في قطر. ثم توفي الشيخ عبد الله ، وخلفه ابنه الشيخ علي من (1368هـ/1949م) إلى 1379هـ/1960م) وانسحبت بعد ذلك بريطانيا من الخليج لتعلن قطر استقلالها عام (1390هـ/1971م). حيث دخلت كليا في النفوذ الأمريكي كما حصل لجيرانها.

وفي سنة (1391هـ/1972م) قام الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني بالاستيلاء على السلطة في البلاد ، وأعطتها بريطانيا الاستقلال عن الحماية البريطانية. وتحسنت أحولها الإقتصادية والاجتماعية مستفيدة من ثروة النفط الذي بدأ إنتاجه وتصديره منذ عام (1949م).

ثم ظهر الغاز في قطر وصارت من أولى الدول المصدرة له في العالم. ثم عزل أمير قطر الحالي أباه أواخر التسعينيات وتولى السلطة، وبدأت قطر في عهده تحاول لعب دور إقليمي في المنطقة ، وتناوئ السياسات السعودية. وتشهد تحولات سياسية تطويرية جريئة مقارنة بنظم الحكم الشمولية في الخليج العربي. وكان من أنجح سياساتها تلك ، إنشاء قناة الجزيرة الفضائية الجريئة المشهورة ذائعة الصيت.

وفي حرب احتلال العراق سنة 2003م ، نقلت أمريكا كما هو معروف قيادة جيوشها قواتها التي تتحرك فيما تسميه منطقة العمليات

الوسطى إلى الدوحة في قطر ، وهي القيادة المسؤولة عن زهاء مليون جندي في المنطقة الممتدة من وسط آسيا إلى المغرب الأقصى. وقد أدارت أمريكا من قاعدة (السيلية) قرب الدوحة عمليات القصف الجوي والصاروخي والحرب الإلكترونية ، ثم الإحتلال البري للعراق والذي زحف من خلال أراضي الكويت. كما كان فيها المركز الإعلامي للقوات الأمريكية أثناء الحرب. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(9) **البحرين** :

هي مجموعة جزر تقع في الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر وساحل الأحساء ، وتحتوي على إحدى عشرة جزيرة أكبرها جزيرة البحرين ، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة "أوال" حكمها آل خليفة من قبيلة العتوب ، وقد وطدوا علاقتهم بآل سعود ضد العثمانيين.

ثم توطد مركز بريطانيا في البحرين بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي سنة (1365هـ / 1946م) أصبحت البحرين قاعدة للاستعمار البريطاني في الخليج.

ثم أعلنت بريطانيا سنة (1390هـ/1971م) استقلال البحرين وصدر قرار بتسميتها " دولة البحرين " في عهد عيسى بن سلمان أمير البحرين ، ثم توفي أمير البحرين وخلفه ولده حمد بن عيسى ، وفي سنة

2002 م قرر هذا (الحمد) تحويل البحرين إلى مملكة ! وسن دستورا وأعطى بعض الحريات ، ولقب نفسه بصاحب العظمة ملك مملكة البحرين ! (العظَمة بفتح الظاء دفعا للحرج ! مع استحقاقه للسكون على ظائه بجدارة) علما أن مملكة عظمته لا تزيد مساحتها عن 600 كم مربع. أي ما يزيد قليلا عن مساحة ملعب كولف متوسط ، ولله في خلقه شؤون.

وقد حول الأمريكان البحرين إلى ماخور لاستجمام واستراحة عساكرهم المحاربين في المنطقة حيث ، نقلوا إلى هناك فرق من العاهرات من دول أوربا الشرقية ومختلف الدول الحليفة ومنها بعض العربية ! إبان حرب تحرير الكويت ، وحرب تحرير العراق ، وما ننتظره من تحريرات تالية – والله أعلم – ببركات أصحاب العَظْمة والجلْلالة والسيادة والمعالي .. وعلمائهم المنفوخين من أصحاب السماحة .. قبحهم الله.

(10) الإمارات العربية المتحدة :

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان لتشمل سبع إمارات هي:- أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وأم القوين ، وعجمان ، ورأس الخيمة ، والفجيرة. وقد سادت قبيلة القواسم هذه المناطق ، وقامت بنشاط بحري ضخم ؛ إذا

سيطرت على الملاحة في الخليج في عهد زعيمها رحمة بن مطر القاسمي عـام (1159هـ/1747م). وقـد نجحـت في هزيمـة البرتغـاليين ، وامتـد نفوذها، في المنطقة.

ثم تمكنت بريطانيا بعد حملات من القضاء على القواسم. وعقدت معاهـدة مـع شـيوخ الإمـارات. وبموجـب ذلـك صـار المقـيم السياسـي البريطاني يدير شئون (الإمارات المتصالحة) كما أسموها ، من مركزه في إيران منذ عام (1823م) وحتى عام (1934م). ثم انتقل المقيم السياسي للبحـرين عـام (1948م) وعـين أول ضـابط سياسـي بريطـاني مقيمـا سياسيا في الشارقة.

ثم أنشئت هناك عام (1953م) دار الاعتمـاد البريطـاني ، وانتقلت لـدبي عـام (1954م). وفي عـام (1968م) أعلنـت الحكومـة البريطانيـة انسـحابها مـن منطقـة الخليج في مواعـد لا يتجاوز (1971م). وبـدأت مسـاعي توحيـد الإمـارات في دولـة واحـدة. وفي نفـس العـام (1968م) اتفق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي مع الشيخ راشد بـن سـعيد المكتـوم حـاكم دبي ، وبحـث معـه اتحـاد الإمـارتين. تم دعـوة الإمـارات السـبع الأخـرى والبحـرين وقطـر للاجتمـاع في دبي. وانبثقـت مـن هـذا الاجتمـاع الاتفاقيـة المعروفـة باتفاقيـة دبي. وتم اختيـار الشـيخ زايد رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد.

لكن الخلاف دبّ بين الأمراء حول وضع الدستور. وفي سنة (1971م) تم التوصل إلى صيغة اتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني ، وأعلن مولد " **دولة الإمارات العربية المتحدة** " سنة (1971م) التي ضمت ست إمارات هي : أبو ظبي ، ودبي ، والشارقة، وعجمان، وأم القوين ، والفجيرة ، ثم انضمت بعد ذلك إمارة رأس الخيمة (1972م) إلى الدولة الجديدة التي كونتها بريطانيا واعترفت بها، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا فيها. فيما نأت البحرين وقطر بنفسها عن الاتحاد الوليد.

يبلغ عدد سكان الإمارات رغم كبر مساحتها النسبية زهاء 250 ألف مواطن فقط ، ويقيم فيها منذ عشرات السنين زهاء مليون هندي معظمهم من الهندوس ، بالإضافة لمليون آخر من الأجانب فيهم جالية فلبينية نصرانية كبيرة ، وعدد كبير من الأوربيين ولاسيما البريطانيين. وتعتبر الإمارات مركزا لنشاط المنظمات التنصيرية في المنطقة بأسرها. كما أصبحت بعد دخول النفوذ الأمريكي قاعدة جوية وبحرية رئيسية للقوات الأمريكية والبريطانية المحالفة لها. وصارت دبي إحدى أكبر العواصم التجارية العالمية ، ووكرا للفساد والمجون والدعارة على المستوى العالمي ، كما صارت مقرا رئيسيا لإدارة مكافحة الإرهاب ، وفيها مكاتب أمنية أمريكية رئيسية يديرها الأمريكان والبريطانيون بالتعاون مع بعض الإستخبارات العربية ولاسيما المصرية ذات الخبرات الواسعة

في حرب الإسلاميين. كما أن القيادة العليا لجيش الإمارات الصغير هم من البريطانيين ، والرتب المتوسطة من المرتزقة الباكستانيين ، والدنيا من متطوعين شتى ! ويرأسهم بعض الجنرالات الفخريين من أبناء الأسرة الأميرية!

(11) **عُمان** :

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة العرب. وتعد معقلا للخوارج الإباضية الذي أسسوا بها دولة منذ أواخر العصر الأموي.

وقد تعرضت عمان للخطر البرتغالي ، فتصدى العثمانيون لمواجهتهم ، كما تعرضت لتنافس تركي فارسي نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي. لكن ضعف العثمانيين والبرتغاليين فتح الباب للنفوذ البريطاني والفرنسي. وفي عهد السلطان سعيد بن تيمور ، تمكن من إقرار وحدة عمان بضم واحدة " البوريمي" بمساعدة بريطانيا سنة (1954م) ثم تولى الحكم السلطان قابوس بن سعيد عام (1970م) بعد أن قتل أباه واستولى على السلطة. وقد شهدت البلاد في عهده نهضة سياسية واقتصادية. وفي عهده دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة بعد استقلالها. وتعتبر عمان أحد أهم القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية في المنطقة.

(12) **اليمن :**

لم يخضع اليمن خضوعا كليا لحكم الدولة العثمانية ، وفشلت كل الحملات التي نفذت من أجل تحويله إلى إدارة عثمانية ، نظرا لحصانة الطبيعة والتفاف أهله على الأئمة الزيدية في صنعاء.

وقد قامت الأسر الزيدية بالحكم في اليمن من سنة (1506م) في العاصمة صنعاء. وخلال تلك الفترة حدث صراع طويل بين الأتراك والأسرة الزيدية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي اقتصر نفوذ العثمانيين على تهامة وجنوبي اليمن وصنعاء وما حولها.

واستمر الحال إلى أن حصلت هدنة بين العثمانيين واليمنيين ، وعرفت باتفاقية (الدعان) وأثناء ذلك كان الإنجليز يحاولون تثبيت قدمهم في عدن وتوسيع رقعة نفوذهم ؛ وبعد الحرب العالمية الأولى وخسارة تركيا تعهد العثمانيون بالجلاء عن بلاد العرب – ومنها اليمن – فاستولى الإمام يحيى حميد الدين على الملك واستقل بالبلاد سنة (1923م) واعترف العثمانيون باستقلال اليمن. وظل الصراع في اليمن ضد بريطانيا إلى أن أبرمت معاهدة سنة (1934م) التي اعترفت فيها بريطانيا باستقلال اليمن.

ولكنها أبقت مشكلة الحدود في الجنوب. وهكذا بقى النزاع قائما، وبقيت بريطانيا موجودة في الجنوب العربي في عدن. وكررت بريطانيا هجومها على اليمن سنة (1956م). وفي (1957م) ثار عبد الله بن

الزير على الإمام يحيي وتمكن من اغتياله واستولى على الحكم في صنعاء. ولكن الإمام أحمد بن يحي نجح في هزيمته واسترداد الحكم.

وفي مارس سنة (1955م) قام انقلاب ضد الإمام أحمد ، لكنه فشل.

وفي سبتمبر سنة (1962م) تفجرت الثورة التي قادها عبد الله السلال باليمن بمساعدة من مصر ، ونجحت في إعلان نظام الجمهورية في اليمن الشمالي.

وكانت بريطانيا قد انسحبت من عدن وسلمت الحكم فيها للشيوعيين ، فاستقلوا في اليمن الجنوبي ، وحاربوا الإسلام والمسلمين. واستعلنوا بالإلحاد وهدموا المساجد وقتلوا العلماء. ثم سلطهم الله على بعضهم فأفنوا بعضهم في حرب ضروس خلال مدة قصيرة.

وكان قد تولى الحكم في اليمن الشمالي (الجاويش) علي عبد الله صالح ، وما زال في السلطة إلى الآن، وقد تمكن بدهائه من الإمساك بزمام الأمور. ثم استغل ضعف الجنوبيين ، وسن حرب الوحدة بالتعاون مع الإسلاميين وقبائل الشمال. وتوحدت اليمن بعامته سنة 1993م.

ثم بدأ عبد الله صالح سياسة التقرب من أمريكا ، وتحجيم الإسلاميين وقمع كل أشكال مناوئيه. وبعد أحداث سبتمبر تحالف صالح علانية مع أمريكا في حملاتها لمكافحة الإرهاب. وشن حملات

تصفية على الجهاديين ، وخاض الجيش اليمني عددا من المعارك الطاحنة لإخراجهم من حصونهم القبلية – نيابة عن أمريكا – حيث ألحق بالجهاديين خسائر كبيرة ، وما تزال الأحداث متكررة جارية في اليمن إلى الآن.

لتذكرنا بكل مرارة بما قاله شاعرها البردوني وكأنه يصف البلاد ورئيسها ومن امتطى من كبار شيوخها وعلمائها عندما قال يعارض بائية أبي تمام:

ماذا أُحدثُ عن صنعاءَ يا وطني   مليحةٌ عاشقاها السلُّ والجربُ

ماذا تَرى يا أبا تمامْ ؟.. هلْ كذبتْ   أحسابنا ؟ أمْ تناسى عرقةُ الذهبُ

تَأبى الرُؤوسُ العَوالي نارَ نخوتها   إذا امتطاها إِلى أسيادهِ الذنبُ

وما زال الأمل بالله أن يبعث من اليمن ببركة دعاء حبيبه المصطفى ﷺ ، من يشبهون جند المعتصم الذين وصفهم البردوني في نفس قصيدته فقال:

سُتونَ ألفاً كآسادِ الشَّرى انطلقتْ   وللمنجمِ قالتْ: إننَّا الشهبُ

ولا يحتاج الأمرُ ستون ألفا .. وأسأل الله أي يسلط على (الجاويش) من شباب الإسلام من يشفي بهم صدور قوم مؤمنين ... وما ذلك على الله بعزيز ..

(13) **مصر**:

تنافست إنجلترا وفرنسا لاحتلال مصر أواخر القرن الثامن عشر، نظرا لموقعها الإستراتيجي واهتمت بها بريطانيا خاصة ، لوقوعها في طريق مستعمراتها في آسيا.

ولذلك أرسلت بريطانيا أسطولا تمكن من هزيمة الفرنسيين – بعد احتلالهم مصر بحملة نابليون سنة (1212هـ - 1798م) – في معركة أبي قير البحرية سنة (1212هـ - 1798م)، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر سنة (1801م) ، أرسلت بريطانيا أسطولا لغزو مصر عن طريق رشيد سنة (1212هـ - 1807م)، لكن مقاومة أهلها أدت إلى فشل هذا الغزو.

كان (مُحَّد علي) قد نجح بذكائه في التسلق على أكتاف الحركة الشعبية. واستطاع أن يقنع الناس به فاتخذ العثمانيون قرار بتعيينه واليا على مصر. ونجح في الاستقلال بمصر سنة (1219هـ -1805م) ثم أذعن السلطان سليم الثالث وأصدر فرمانا بتعيينه سنة (1806م)، وكون جيشا حديثا ، وأنفذ البعثات إلى فرنسا لتي أيدته ودست العملاء في مستشاريه في شتى الميادين ولاسيما في مجال التعليم والغزو الفكري الإستشراقي ، فتأسست العلمانية ومدارس الضلال العربية المعاصرة في عهده ، وكانت بوابة البلاء على مصر والعالم العربي كله ، كما سنرى في الفصل التالي.

وقد قام مُحَّد علي بحملات عسكرية ناجحة في السودان وشبه الجزيرة العربية والشام وبلاد اليونان ، لكن تحالف الدول الأوروبية خاف من طموحاته ، فوضعوا له حدا ، أدى إلى فقدانه أحلامه الإمبراطورية بعد هزيمته في معركة نوارين البحرية سنة (1242/1827م) مع البريطانيين ، وإرغامه على الانسحاب من كل الأقاليم التي استولى عليها ما عدا مصر وفق مؤتمر لندن سنة (1255هـ /1840م).

ومع ذلك نجح مُحَّد علي في تأسيس أسرة حاكمة في مصر إذ تولاها بعد وفاته عباس الأول ، ثم سعيد باشا ، ثم الخديوي إسماعيل، ثم الخديوي عباس ... وصولا إلى الملك فاروق أخر حكام الأسرة ، التي انتهت بقيام ثورة يوليو سنة (1271هـ /1952م) التي تزعمها الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه الذين عرفوا بالضباط الأحرار ، وانتهى الأمر بالملك الفاروق منفيا في إيطاليا حيث عملت أسرته في الدعارة!.

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد الخديوي إسماعيل تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر، و الذي كان من مظاهره حصول (فرديناند ديليسبس) على امتياز حفر قناة السويس لتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وكلف حفر القناة وافتتاحها مصر أرواحا كثير من المصريين وأموالا طائلة ، فوقعت الدولة تحت طائلة الديون ، الأمر الذي أدى إلى تدخل إنجلترا وفرنسا و نجاحهما في الإشراف على

الشؤون المالية في مصر عن طريق (صندوق الدين) ، وتشكيل لجنة ثنائية فرنسية إنجليزية لضمان تحصيل الديون.

وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا اتفاقا وديا سنة (1801م) جلت بمقتضاه فرنسا عن مصر وتخلت عن أطماعها الاستعمارية في إخضاع مصر لسيطرتها.

وانتهزت بريطانيا فرصة قيام الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ضد الخديوي توفيق لتحقيق هدفها في احتلال مصر.

فأرسلت بريطانيا حملة على مصر سنة (1299هـ - 1882م). ونجحت في الاستيلاء على الإسكندرية ، ثم هزمت العرابيين عند التل الكبير ، ثم احتلت القاهرة وقضت نهائيا على الثورة العرابية. ولكن حركة المقاومة السياسية ضد الإنجليز استمرت بعد ذلك بزعامة مصطفى كمال الذي حاول استغلال عداء فرنسا لبريطانيا وندد بالإنجليز في المحافل الدولية خصوصا بعد أن اقترفوا جريمة مذبحة دنشواي سنة (1323هـ - 1906م) كما أسس الحزب الوطني سنة (1324هـ /1907م). وكان قد أصدر صحيفة اللواء سنة (1318هـ/1901م) التي فجرت الحركة الوطنية في مصر ضد الإنجليز.

وفي سنة (1337هـ/1919م) قامت ثورة كبرى ضد الإنجليز بزعامة سعد زغلول مطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية البريطانية على مصر التي فرضها الإنجليز سنة (1332هـ/1914م).

وبعد فشل الثورة لجأ المصريون إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال ، ثم عقد مصطفى النحاس معاهدة مع بريطانيا سنة (1354هـ/ 1936م) فحققت لمصر استقلالا غير تام.

وظلت إنجلترا تتعاون مع القصر والملك فاروق وأحزاب الأقلية التي شكلت حكومات ضعيفة نجم عن سياستها مزيدا من الفساد ، ثم قامت حركة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر بثورة (23 يوليوسنة 1952م).

وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموما. وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا، الذي وضع أسس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية وتصحيح أوضاع المسلمين والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين ، وما لبثت الحركة أن دخلت في صراع مع القصر ، والنفوذ البريطاني. وقد انتشرت الحركة مابين (1928م) ونهاية الأربعينات انتشارا واسعا في مصر، وامتدت إلى بلاد الشام وغيرها، وتوجف الإنكليز منها شرا ، ولاسيما بعد مساهمات مجاهدي الإخوان في مصر وسوريا في حرب اليهود سنة (1948م). ثم تآمر الإنكليز والملك فاروق على الحركة ، فأودع المجاهدون العائدون من فلسطين في السجون ، واغتيل الإمام حسن البنا – رحمه الله تعالى

وغفر له – ثم كان للتنظيم الخاص (السري) الذي أنشأه دور في مقاومة الإنكليز في منطقة قناة السويس. ثم اتفق الإخوان مع الضباط الأحرار على إسقاط الملك فاروق ، ونجح انقلاب الضباط الأحرار في سنة 1958م، وتولى اللواء نجيب رئاسة الدولة ، ثم انتقلت الرئاسة لجمال عبد الناصر الذي تنكر للإخوان وانقلب عليهم وأودع قياداتهم في السجون سنة 1954م، وأعدم بعضهم من أبطال مقاومة الإنكليز. ثم أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس وحصلت الحرب التي دعيت بالعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م. واشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ، ووفرت هذه الحرب لعبد الناصر الدعاية الكافية لدعوته الحماسية للقومية العربية ، والوحدة العربية ، والأفكار الإشتراكية ، والدعوات التحررية التي نادى بها ، وكانت كثير من بلاد العالم العربي تشهد حركات تحررية تحمل تلك الأفكار ، كما كان لعبد الناصر تحركا دوليا ، مع بعض الزعماء العالميين ، ولاسيما دعوة تجمع دول عدم الانحياز إلى جانب الزعيم اليوغوسلافي الشيوعي (تيتو)، والزعيم الهندي (نهرو) ، والإندونيسي (سوكارنو) حيث عقد في بلاده مؤتمر باندونغ (1954م) ، وكانت تلك الأفكار ميالة للإتحاد السوفييتي فيما عرف بسياسة الحياد الإيجابي في الصراع الأمريكي السوفيتي ... وقصة عبد الناصر تطول وهي مرحلة مهمة في تاريخ مصر والعالم العربي، وليس هنا محل استقصائها .. وسرت أفكار عبد

الناصر ودعاياته في العالم العربي الذي كانت تروج فيه دعوة القومية العربية وتنشأ الأحزاب السياسية المختلفة على أساسها. وفي سنة 1958م توصل القوميون العرب في سوريا وعبد الناصر إلى إعلان الوحدة التي طبلت لها الجماهير وزمرت ، ثم انفصمت الوحدة خلال 3 سنوات. وقد حكم عبد الناصر مصر حكما استبداديا فرعونيا ، وأنشأ لذلك أجهزة أمنية واستخباراتية استباحت دماء العباد وأعراضهم وحرماتهم. وقد نشرت عشرات الكتب والدراسات عن تلك الحقبة السوداء بما يغني عن الشواهد هنا ..

وقد بطش (الزعيم الملهم) كما أسموه بكل معارض له ، وكان للحركة الإسلامية وخاصة الإخوان المسلمون النصيب الأوفر من ذاك البطش الذي بلغ ذروته سنة 1965 م، إذ أعلن عبد الناصر الحرب عليهم خلال زيارة له لموسكو ، وافتخر بأنه أدخل السجن (17 ألف رجل منهم في ليلة واحدة ! ، ثم أعدم كوكبة من خيرة أبناء مصر كان على رأسهم الشهيد المعلم الأستاذ سيد قطب ، - رحمه الله وجمعنا به في عليين -. ودخل عشرات الألوف من الإخوان سجون عبد الناصر منذ 1954م على مراحل ، ولم يخرج أكثرهم إلا في عهد خلفه السادات أواسط السبعينيات!

وخلال حكم عبد الناصر ، عم الفساد أجهزة الدولة وانتشرت الخلاعة والمجون ولاسيما في قيادات الجيش وأجهزة الإستخبارات ،

وتمكن الموساد الإسرائيلي من زرع العملاء في قيادات الجيش الذي غرق قادته وقادة الأمن في الدعارة و الانحلال. وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) سنة 1967م ، كانت مصر على موعد مع نتائج تلك الحقبة التي عبد فيها أكثرهم الرجل الوثن ، وخلال أقل من نصف ساعة وفيما كان كبار قادة وضباط الجيش المصري يغطون في نومهم بعد ليلة حمراء قضوها زناة مخمورين ، كان الطيران الإسرائيلي يدمر سلاح الطيران المصري وهو في مطاراته على الأرض. وهكذا تُركت القوات البرية المصرية تحت رحمة الطيران الإسرائيلي الذي نفذ فيها مجازر مروعة. لتنجلي معركة الأيام الستة عن احتلال اليهود لصحراء سيناء وصولا إلى ضفة قناة السويس. فيما تكفل البعثيون والنصيريون في الجبهة السورية ببيع مرتفعات الجولان لإسرائيل ، وتولى حافظ الأسد – كما مر معنا إعلان سقوط الجبهات والانسحاب الكيفي منها قبل وصول اليهود إليها بأربع وعشرين ساعة. ثم مرر عبد الناصر وعباده مسرحية استقالته بعد الهزيمة ، وخرج الغوغاء إلى الشوارع هاتفين بحياته وبقائه في السلطة. وبعد سنتين من الهزيمة توفي عبد الناصر سنة 1969م. وبعد وفاته نشرت الكثير من الكتب عنه بين من ذهب به مذهب التقديس. إذ انتشر ما عرف بالأحزاب الناصرية في مصر والعالم العربي ، وذهب البعض إلى الاعتقاد بما نشره بعض المتقاعدين من الإستخبارات الأمريكية وغيرها، حيث أثبتوا أنه

كان عميلا للاستخبارات الأمريكية وأنه نفذ برنامجا معدا معهم منذ البداية وإلى النهاية ، ومن أشهر تلك الكتب كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه (كوبلاند) الذي فصَّل في تلك الفرضية التي رفضها محبوه واعتبروها دعاية صهيونية! ومهما يكن من أمر التكهنات ، فالوقائع التي لا مجال للمماراة فيها أنه كان طاغوتا جبارا ملحدا في دين الله ، ذاقت مصر وأبناؤها في عهده الويلات. وتركها بعده قاعا صفصفا من الفقر والفساد ، وانتشار الفسوق والعصيان والأفكار الضالة المارقة.

ثم خلفه في السلطة (أنور السادات) ، وسرعان ما اتجه اتجاها معاكسا ، فنهج نهجا أمريكيا وأسمى سياسته (سياسة الانفتاح) ، فنمت الرأسمالية في عهده وتقلصت العلاقات مع الإتحاد السوفييتي. ولمواجهة المد اليساري الذي نمى نموا سرطانيا في عهد سلفه الهالك ، اتبع السادات سياسات كان منها إطلاق المجال للحركات الإسلامية، فأفرج عن الإخوان المسلمين وسمح للدعوة الإسلامية بالنمو في الجامعات ، وسرعان ما ملأ الإسلاميون الجامعات والنقابات المهنية والعلمية ، واكتسحوا الشارع المصري ، فبدأ بكبح جماحهم.

وفي سنة 1980م فاجأ السادات العالم بطرحه فكرة الصلح مع إسرائيل وتطبيع العلاقات تحت ذريعة بناء مصر وتنميتها في جو السلم، وأتبع ذلك بزيارته الشهيرة لإسرائيل والقدس ، وعاد ليجد المارد المسلم الذي أطلقه من (قمقم) عبد الناصر بانتظاره في القاهرة.

ثم أتبع خطواته السريعة باتفاقيات كامب ديفيد الشهيرة ، وعرضته وسائل الإعلام يصافح مناحيم بيغن جزار مذابح (دير ياسين الشهيرة) ، وبموجب تلك الاتفاقيات ، ردت إسرائيل صحراء سيناء لمصر بحيث تبقى تحت سيطرتها عمليا ، ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة على ضفاف النيل فوق أول سفارة لدولة إسرائيل في العالم العربي. فحمل عليه العلماء والخطباء الشرفاء ، فألقاهم في السجون. وأعلن الحرب على الإسلاميين سنة (1981م) ، وزج قادتهم في السجون ، وتحدى الخلق معلنا أنه ألقاهم في السجون كالكلاب !

وبعيد ذلك قيض الله له من أسود الإسلام من ألقاه تحت الكراسي صريعا كالكلب حقيقة لا مجازا ، إذ قتله المجاهدون من تنظيمي الجماعة الإسلامية والجهاد في حادثة المنصة الشهير ، وهو في يوم عزه واستعراض قواته ، إذ أنه كان قد خرج على قومه في زينته في استعراض عسكري كبير ، فخسف الله به ، وأرسله جند الله ليلحق بسلفه الفرعون ويكون لمن خلفه آية.

ثم خلفه الفرعون الحالي نائبه (حسني مبارك) لا بارك الله فيه ، فأكمل المشوار الذي رسمته أمريكا وسار في سياسات التطبيع مع اليهود قدما ، ومازال يحكم مصر بالحديد والنار وقبضة الأجهزة الأمنية. وقوانين الطوارئ العرفية منذ 1981م وإلى اليوم حيث يرتب مع الأمريكان توريث عرش الفرعونية لولده جمال مبارك !

وقد شهد عهد مبارك حربا ضروسا من النظام المصري على الإسلاميين ، وتصدت له الجماعات الجهادية ودخلت في صراع مرير لم يضع أوزاره إلا من قريب بعد أن نجحت أجهزة الأمن بفضل سياسات التصفية والبطش ، وبتعاون علماء السلاطين أخزاهم الله معه، فأجهض الجهاد ، وخلا الجو لمبارك ورهطه يبيضون ويصفرون في أنحاء أرض الكنانة.

واليوم تعتبر مصر أحد أعمدة السياسات الأمريكية الصهيونية في المنطقة، ومستند الأنظمة العربية والإسلامية في كفاح الإسلاميين أمنيا وفكريا.

ورغم ذلك مازالت أمريكا تلوح ببرامجها التي تستهدف مصر بالتقسيم والتهديد بعد أن تغلغل عملاؤها في مختلف مناحي حياة المصريين.

(**14**) **السودان:**

نجح مُحَّد علي باشا حاكم مصر في إرسال عدة حملات إلى السودان بقيادة أصغر أبنائه إسماعيل كامل سنة (1819م/1821م) وتمكنت هذه الحملات من ضم السودان إلى مصر وتحقيق وحدة وادي النيل. فلما استولت بريطانيا على مصر سنة (1299هـ /1882م) خططت لفصل السودان عن مصر والوصول إلى منابع النيل.

وعندما قامت الثورة المهدية في السودان بزعامة السيد مُحَّد أحمد المهدي، طلبت بريطانيا من مصر سحب قواتها من السودان وأرسلت حملة بقيادة (غوردون) لكن الثوار هزموه وقتلوه بالخرطوم سنة (1302هـ -1885م) وفي سنة (1313هـ -1896م) أرسلت بريطانيا حملة (كتشنير) إلى السودان واستعانت بجهود عساكر مصريين ! ونجحت الحملة في هزيمة الثوار المهديين سنة (1315هـ - 1898م) بعد الاستيلاء على أم درمان وبذلك تحقق لبريطانيا ضم السودان إلى إمبراطوريتها.

واتفقت بريطانيا والحكومة العميلة لها في مصر سنة (1316هـ - 1899م) على حكم السودان حكما ثنائيا رغم احتجاجات الوطنيين المصريين وأخذت بريطانيا في إثارة الصراع بين المصريين والسودانيين لكنها لم تنجح. إذ بعد قيام ثورة سنة (1337هـ - 1919م) في مصر قامت ثورة في السودان بزعامة (عبد القادر ود. حبوبة) تطالب بجلاء بريطانيا عن وادي النيل.

وبرغم قضاء بريطانيا على الثورة تصاعدت الحركة الوطنية في السودان. ففي عام (1340هـ -1922م) تشكلت جمعية الإتحاد السوداني وجمعية اللواء الأبيض ، وأخذتا تعملان سرا لطرد بريطانيا وتحقيق وحدة مصر والسودان.

لكن الحركة الوطنية السودانية ظلت تقاوم الوجود البريطاني ، وتشكل حزب الأمة بزعامة المهدي ، والحزب الوطني الاتحادي بزعامة

الأزهري ليقودا النضال ضد بريطانيا. وبعد قيام ثورة يوليو في مصر سنة (1371هـ - 1952م) وعقد اتفاقية الجلاء سنة (1375هـ - 1956م) اتفقت مصر وبريطانيا على ترك الخيار للسودانيين لتقرير مصيرهم ؛ فاختاروا الإستقلال الذي تم عام (1956م) وقامت دولة وفق النظام الجمهوري اعترفت بها جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة.

وتتالت الحكومات المدنية والعسكرية على السودان ، إلى أن تسلم الحكم جعفر النميري بانقلاب عسكري. وفي عهده نمت الحركة الإسلامية التي كان أبرزها حركة (الجبهة القومية الإسلامية السودانية) التي تزعمها حسن الترابي ، وقامت على أسس الإخوان المسلمين ثم فصلها الترابي مستقلا لها بفكر جديد يرتكز إلى أفكاره واجتهاداته الحركية والفقهية الخاصة. ثم تحالف الترابي والنميري على أساس تحكيم الشريعة في السودان ، ثم رتب الترابي انقلابا عسكريا أطاح بالنميري وجاء بحكم ما عرف بثورة الإنقاذ من الضباط المنتمين للترابي بزعامة الرئيس (عمر البشير). ثم وقع الطلاق بين الترابي وتلاميذه الضباط فاعتقلوا شيخهم مرات ، حيث تحول للمعارضة !

وقد حاول البشير ورفاقه النهوض بالسودان ، وتطبيق الشريعة ، ولكن المؤامرات الأمريكية أنهكتهم بدعم حركات التمرد المسلحة جنوب السودان وشرقه ثم في غربه مؤخرا. وآل الأمر بزمرة البشير

لاختيار سياسة الرضوخ لأمريكا وطلباتها التي لم تنتهي. فطردوا الجهاديين ، ثم طردوا بن لادن ، ثم وقعوا اتفاقيات مهينة مع النصارى الجنوبيين ، ثم افتتحوا مكاتب معلنة للـ (FBI) وعقدوا الاتفاقيات الأمنية لمكافحة الإرهاب ، وبلغ بهم الأمر أن يسلموا بض المجاهدين المطاردين من قبل نظام ليبيا لحكومة القذافي وهم يعلمون أنهم يسلمونهم للإعدام ، كما سلموا عددا من الإخوة السعوديين لأجهزة أمن بلدهم سنة 2004م. ورغم التنازلات اللامتناهية ، مازالت الحكومة الأمريكية تطارد حكومة السودان بالتهديد والوعيد ، إلى أن بلغ الأمر هذه الأيام بإعلان أمريكا والدول الغربية ومنها بريطانيا وفرنسا وغيرها التدخل المباشر السياسي والعسكري في غرب السودان ، بدعوى المنازعات القبلية في إقليم دارفور ، في مخطط مكشوف لتقسيم السودان ، لتثبت سياسة المداهنة والتنازلات أنها لا تسفر إلا عن افتراس الوحش للثور الأسود بعد أن أكل الثور الأبيض فيما كان ينظر إليه ويخذله. وسبحان الديان فكما تدين تدان. وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب. إن كان ثم هناك بقية منهم.

(15) ليبيا :

بعد تحقيق الوحدة الإيطالية سنة (1285هـ/1870م) تطلعت إيطاليا إلى المشاركة في حركة الاستعمار الأوروبي. ونظرا لقربها من ليبيا فقد اعتبرتها مجالا حيويا ، لذلك هاجر الكثيرون من الإيطاليين إلى ليبيا، وشكلوا جالية أخذت تنشر الثقافة واللغة الإيطالية في البلاد وتمهد للنفوذ السياسي والاقتصادي الإيطالي.

ثم مهدت إيطاليا لاحتلال ليبيا بعد موافقة القوى الدولية مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا على طموحاتها ، فأرسلت حملة احتلت طرابلس وبنغازي بعد إخفاق الحامية العثمانية في القتال سنة (1329هـ/1911م) ، وقدر للأقاليم الأخرى السقوط في يد الغزاة سنة (1912م). أما مدينة أجدابية فسقطت سنة (1923م) ، كما سقطت فزان سنة (1928م).

وفي سنة (1929م) أصدر موسوليني مرسوما بتوحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة ، كما احتلت قواته واحة الكفرة سنة (1930م).

ولما قامت حركة الجهاد ضد إيطاليا ، قمعتها بوحشية وقوة. فاستنفرت المسلمين في الدولة العثمانية والعالم العربي ، وأخذ المتطوعون يتدفقون على ليبيا بقيادة عزيز المصري وأنور باشا. كما قام السنوسيون (وهم حركة دينية صوفية جهادية) في إقليم برقة بدور هام

في الجهاد وضيق الثوار الخناق على الإيطاليين ، وشدوا من أزر الحاميات العثمانية في ليبيا.

وبعد إخفاق الدولة العثمانية في حربها مع إيطاليا في البلقان ، خضعت لمطالب إيطاليا بسحب قواتها نهائيا من برقة وطرابلس.

فتصدى السنوسيون لمقاومة الاحتلال ، واتبعوا أسلوب الغارات الخاطفة (حرب العصابات) وكادوا ينتصرون على الإيطاليين لولا دعم بريطانيا عسكريا واستمالتها أحمد السنوسي الذي غادر ليبيا إلى الآستانة سنة (1918م).

وفي سنة (1920م) عقدت إيطاليا معاهدة مع مُحَمَّد إدريس السنوسي ، اتفق فيها الطرفان على إنهاء الحرب واعترف السنوسي بسيادة إيطاليا على برقة ، كما اعترفت له إيطاليا بالسيادة على الأراضي التي كانت تحت نفوذه.

ومع ذلك واصلت الحركة الوطنية النضال خصوصا بعد وصول موسوليني إلى الحكم في إيطاليا سنة (1922م). فقد أعلن أن ليبيا إيطالية وألغى جميع الاتفاقات السابقة.

ثم قاد المجاهد الشيخ الشهيد عمر المختار رحمه الله حركة النضال متبعا أسلوب الحرب الخاطفة ، مما أنهك الجيوش الإيطالية. لكن إيطاليا أرسلت قوات جديدة إلى ليبيا ونجحت بعد عناء وخسائر كبيرة

في الإيقاع بالثوار ، وقبض على عمر المختار وشنق شهيدا –كما نحسبه – رحمه الله سنة (1350هـ/1931م).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية وانضمت إيطاليا إلى ألمانيا ، عاد مُحَّد إدريس السنوسي إلى ليبيا بصحبة قوات بريطانية تمكنت من تحرير ليبيا سنة (1943م) بعد هزيمة قوات المحور ، وأصبح الوضع ممهدا لاستقلال ليبيا ، والذي أعلن في عام (1951م). وقام بذلك النظام الملكي في ليبيا.

وفي سنة (1968م) قام العقيد القذافي بانقلاب عسكري (يعتقد أنه رتبه مع المخابرات البريطانية) ، واستولى على السلطة في ليبيا وما زال فيها حتى الآن وأطلق على ليبيا اسم الجمهورية الشعبية العربية الليبية العظمى ...

وقد اشتهر العقيد بمزاجه المتقلب ، وحكمه الديكتاتوري الدموي القمعي ، كما اشتهر بمغامراته العسكرية والسياسية في الجوار ، وفي القضايا الإقليمية ، مما أنهك اقتصاد ليبيا وكبد جيشها الصغير العدد نظرا لقلة عدد سكانها خسائر فادحة. ثم سولت للقذافي شياطينه ن يخرج على العالم بنظريات سياسية عجيبة ، فأظهر كتابا نسب تأليه لنفسه ودعاه الكتاب الأخضر. وزعم أنه النظرية الثالثة للحكم بين النهج الاشتراكي والديمقراطي. والكتاب مزيج من الغرائب والتفاهات والكفر والضلال والسماجة التي تثير الغثيان .. وقد قرأت أكثره

بالجهد والعناء وكثير من الصبر رغم صغره. وعجبت من قدرة كاتبه على جمع ذاك القدر من السخافة والبلادة والحقارة ..

ثم استعلن القذافي بالكفر والآراء الدينية الشاذة ، فأنكر السنة ، وحذف بعض الكلمات من القرآن ، وشرع وفنن وافترى على الله الكذب .. واتخذ من بعض الغانيات حرسا شخصيا له. وله غرائب وتفاهات يطول لها الخطاب تذكر بصرعات الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي الزنديق الأحمق صاحب العجائب.

وقد قامت على القذافي انقلابات عديدة كادت تطيح به لولا تدخل الإستخبارات الأمريكية والبريطانية لإنقاذه رغم دعاويه الثورية. كما قامت في ليبيا حركة جهادية ضده سنة 1989م فقمعها بقسوة ودموية ، ثم قامت حركة جهادية أواسط التسعينيات تمكن من القضاء عليها أيضا. وملأ سجون ليبيا بخيرة الشباب المسلم وأطلق عليهم لقب الزنادقة !

- قاتله الله - وقد زاود القذافي طوال سنين حكمه العجاف على الدنيا بشعارات العروبة والإشتراكية والوحدوية. إلا أنه طلع على الأمة مؤخرا بدعاويه الإفريقية وعزمه على الانسلاخ عن العالم العربي والانسحاب من الجامعة العربية.

ثم لبس قميصا عجيبا مزينا بصور بعض الرؤساء الأفارقة ، وصور رؤوس تشبه الغوريلات .. ثم أعلن مؤخرا انبطاحا كاملا للسياسات

الأمريكية والغربية ، فسلم جميع مخزون بلاده الإستراتيجي من الصواريخ وبدايات مشروع الأبحاث النووية وزعم أنه مخزون ليبيا من أسلحة الدمار الشامل. وصار بوش يضرب به المثل كنموذج يحتذى يريد من رؤساء العرب والعالم الإسلامي وغيره اقتفاء أثره.

وتقوم ليبيا هذه الأيام بدفع التعويضات الهائلة لكل دولة أوربية تزعم أنها تعرضت لعمل إرهابي كان مدعوما من ليبيا ، حيث يعلن الساسة الأوربيون عودة العلاقات مع ليبيا. كما أعلن بوش أنه راض عن ليبيا ، وأعلن موافقته على أن تستأنف شركات النهب الاستعماري نهب بترول ليبيا كمكافأة للقذافي على استخذائه المهين قبحه الله.

(16) **تونس** :

دخلت تونس سنة (980هـ/1573م) تحت حكم العثمانيين كغيرها من البلاد العربية التي سبقتها. وبقى فيها الأتراك زهاء 300 سنة. ونظرا لضعف الدولة العثمانية ، فقد تنافست كل من فرنسا وإيطاليا لاحتلال تونس. لكن فرنسا نجحت في مد نفوذها من خلال عقد معاهدة ودية مع باي تونسٍ سنة (1245هـ/1830م) حصلت بمقتضاها على امتيازات تجارية داخل تونس.

كما استطاعت فرنسا أن تحول دون تدخل بريطانيا في أمور تونس بأن اتفقت معها على أن تطلق إنجلترا يدها في قبرص مقابل عدم منافسة إنجلترا لفرنسا في تونس.

وانتهزت فرنسا فرصة عبور قبيلة تونسية إلى الجزائر ، وأرسلت جيشا إلى تونس تمكن من هزيمة الباي مُحَّد الصادق سنة (1298هـ/1881م) وأرغمته على توقيع معاهدة يعترف فيها بتحويل تونس إلى محمية فرنسية.

ثم اندلعت حركة الجهاد والمقاومة الإسلامية والوطنية التونسية سنة (1881م) بتكوين حركة " الجامعة الإسلامية " التي لجأت إلى التنديد بالاحتلال وإثارة المشاعر الوطنية من منطلقات إسلامية وتحرك بعض العلماء من علماء مسجد الزيتونة للدعوة للجهاد. وبالفعل تحرك الثوار من مراكز التجمعات القبلية في الجنوب ، وامتدت الثورة إلى مدن القيروان وسوسة و قابس و زغوان و صفاقس ، وتمكن الثوار من السيطرة التامة على جنوب البلاد لكن فرنسا اتبعت أسلوب وحشيا في قمع الثورة والتنكيل بالثوار. وفي سنة (1908م) " تأسس حزب تونس الفتاة " الذي طالب بالدستور والتحم رجاله في معارك مع الفرنسيين سنة (1911م) لكن فرنسا قمعتهم بوحشية.

وفي مارس سنة (1920م) تأسس " الحزب الحر الدستوري التونسي" الذي تمكن من الاستيلاء على قيادة النضال ضد الاستعمار

الفرنسي دعائيا وسياسيا واجتماعيا ، واستطاع تجنيد المثقفين والعمال، حيث أبرمت فرنسا عه اتفاقية استقلال تونس سنة (1956م). وبذلك سلمت تونس لعميلها الماكر (الحبيب بورقيبة) الذي استطاع خداع العلماء ، بهوية إسلامية مزيفة ، ثم استعلن بهويته العلمانية المارقة لما تمكن من الأمر، وجاهر بمحاربة التشريع الإسلامي والسير بتونس بسرعة في طريق التغريب ونشر الفسوق ومسح الهوية الدينية.

وفي مطلع الثمانينات هبت رياح الصحوة الإسلامية على تونس من المشرق ، وأسس عدد من الدعاة (حركة الإتجاه الإسلامي) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي ، ودخلت الحركة معترك المنافسة السياسية السلمية ، ولكن بورقيبة قمع الحركة وسجن شيوخها واستطاع تقسيم قيادتها واستمالة بعضهم. ثم دخلت الحركة الإنتخابات العامة أواسط الثمانينيات ، وفازت بأكثرية أدهشت الأوساط المختلفة وضربت لها أجهزة الإنذار في أوربا ولاسيما فرنسا. فقعت الحركة ، تابعت عملها السياسي ، وكانت تعد لانقلاب عسكري مفاجئ. ولكن البرنامج كشف.

ثم رتب وزير داخليتها آنذاك (زين العابدين بن علي) انقلابا أيضا على عجل بالترتيب مع الأمريكان تفاديا لنجاح انقلاب الإسلاميين. واستولى بذلك على السلطة. وخسف بالإسلاميين وغيرهم وحكم تونس حكما ديكتاتوريا متابعا مسار تغريب هذا البلد

الإسلامي العريق. وتشردت الحركة الإسلامية وقياداتها في البلاد الأوربية ، وطورد مؤيدوهم شر مطاردة. وصارت تونس إحدى ركائز السياسة الأمريكية الاستعمارية في العالم العربي. ثم أجرى فرعون تونس في أوكتوبر 2004م انتخابات هزلية لتجديد ولايته ففاز بـ 95.96 % في مشهد ديمقراطي يثير الغثيان.

(17) الجزائر:

حكمت الدولة العثمانية الجزائر مثل باقي الدول العربية الأخرى. واستمر حكمهم زهاء 300 سنة. وقد مر الحكم العثماني للجزائر بعدة بمراحل بدء من عصر (البالارباي) من عام (1546م) إلى (الدايان) عام (1081هـ/1671م) والذي انتهي عام (1930م). وفي نفس الوقت كانت فرنسا تطمع في احتلال الجزائر الاستراتيجي ، خصوصا وأنها كانت تتمتع بامتيازات تجارية فيها منذ القرن السادس عشر.

وفي سنة (1315هـ - 1801م) وقعت فرنسا مع الجزائر معاهدة تنص على حرية التجارة بين الطرفين. وعجلت باحتلال الجزائر لتحول دون تغلغل النفوذ البريطاني فيها ، ومن أجل ذلك عقدت معاهدة سرية مع روسيا سنة (1223هـ /1808م) حظيت فيها فرنسا بموافقة روسيا على احتلال الجزائر.

لكن انشغالها بمشكلاتها الأوروبية أجل الغزو حتى سنة (1245هـ/1830م). ثم تذرعت فرنسا بمسألة تافهة مؤداها إهانة الداي حسين لقنصلها حين صفعه بمنشته على وجهه لتتخذ من الحادثة ذريعة للغزو والإحتلال.

وبالفعل أرسلت فرنسا أسطولها الذي حاصر سواحل الجزائر مدة ثلاثة أعوام.

وفي عام (1245هـ/1830م) انتهزت فرنسا ضعف الدولة العثمانية وأرسلت حملة عسكرية نجحت في الاستيلاء على الجزائر سنة (1245هـ/1830م) بعد طرد الحامية العثمانية منها. ثم تطورت حركة المقاومة الجزائرية المناهضة للاحتلال بزعامة الأمير عبد القادر الجزائري الذي التفت حوله القبائل وبايعته في وهران سنة (1832م). كما أيده رجال الصوفية واتفق الجميع على الجهاد.

ومن مدينة " المعسكر " في غرب الجزائر أخذ الأمير عبد القادر، يغير على الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد أن فرض نفوذه على الأقاليم الغربية من البلاد. وقد انتصر الثوار على جيوش فرنسا في " معركة المقطع " سنة (1250هـ/1835م). ثم لجأ إلى حرب العصابات، وتمكن من إنزال هزائم متوالية بالفرنسيين. وفي مايو سنة (1252هـ/1837م) عقد الفرنسيون معاهدة مع الأمير عبد القادر هي "معاهدة تافنا " وفيها اعترفت فرنسا بسيادة الأمير عبد القادر على

غربي الجزائر ، كما اعترف هو بسلطة فرنسا على الأراضي التي احتلتها.واستفاد الأمير من المعاهدة التي أتاحت له تنظيم قواته وتحصين المدن والثغور ، كما اهتم بتنظيم شؤون دولته. ولما أخلت فرنسا بشروط المعاهدة وهاجمت الثوار ، تمكن الأمير عبد القادر من الاستيلاء على المناطق المحيطة بمدينة الجزائر سنة (1255هـ/1840م).

فكان رد الفعل الفرنسي في الإغارة على مدن غربي الجزائر ، فاستولت على تلمسان ومستغانم وغيرها من المدن في إقليم وهران ، فاضطر الأمير عبد القادر إلى الهرب إلى الصحراء. وانتهى مصيره بالقبض عليه وسجنه في الجزائر سنة (1268هـ/1852م) ثم سمح له الفرنسيون بالخروج من الجزائر ، فتوجه إلى دمشق لتكون منفى له ، وظل بها حتى وفاته (1300هـ/1883م).

ثم اتبعت فرنسا سياسة توطين الفرنسيين في الجزائر بعد نزع أملاك الأهالي وأراضيهم ، وعمدت إلى إثارة الفرقة بين العرب والبربر في محاولة لطبع البلاد بالطابع الفرنسي و إلغاء هويتها العربية الإسلامية.

ثم قيض الله للجزائر رجلا فذا هو الشيخ (عبد الحميد بن باديس)، الذي أسس (جمعية العلماء المسلمين) ، التي حفظت بأعمالها التربوية والعلمية هوية الجزائر الإسلامية وعروبتها ، وكونت الجيل الذي حمل لواء الثورة الكبرى التي انطلقت سنة (1954م). والتي

استمرت إلى أن تحقق الإستقلال سنة (1963م) ، بعد أن دفعت الجزائر أكثر من مليون نسمة من الضحايا والشهداء.

ولكن الذي حصل أن فرنسا بدهائها ، بعد أن أيقنت أن استقرارها في الجزائر مستحيل ، وأن الإستقلال لابد حاصل ، اختارت العمل على أن يكون الأمر من بعدها لثلة من التنظيمات والأحزاب التي كان روادها قد تربوا على الأفكار الوافدة من أوربا ولاسيما من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية الغربية ، والتي كانت قد كونت بمجموعها ما عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) التي بدأ نفوذ الإسلاميين فيها يتضاءل مع الوقت. وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها على الجزائر ، وقيدتهم ببنود اتفاقية (إيفيان). وقال الرئيس الفرنسي ديغول أيامها:

(يريدون استقلال الجزائر؟ حسنا ! سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة !).

واستقلت الجزائر ، وآلت رآستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا ، ويساريا قريبا من الفكر الشيوعي..، وسارت الجزائر في عهده الطاغوتي البوليسي إلى الإفلاس والهاوية. وازداد نفوذ العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الذين كان العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية ، وأصبح هذا الحزب منذ ذلك الوقت حزب

السلطة الحاكمة الأوحد. وتولى هذا التيار الذي عرف (بالتيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإسلام وتصفية الإسلاميين في الجزائر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرئيس (الشاذلي بن جديد) ، واستمر (حزب جبهة التحرير) في سياسة الحزب الواحد ، وزاد الشاذلي على سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان فرنسا ،حيث كان بومدين عربيا ويساريا قوميا معاديا لفرنسا. وهكذا ازداد نفوذ التيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين.

وازدادت أحوال الجزائر سوء وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدول المصدرة للنفط والغاز في العالم..

وفي مطلع السبعينيات ، نهض الشيخ (مصطفى بويعلي) ، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد ، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإسلامية ويذكرهم بمبادئ ثورة 1954م التي رفعت شعار الإسلام والجهاد ، حيث كان الشيخ أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها. ثم ما لبث الشيخ (بويعلي) أن أعلن الجهاد وأسس (حركة الدولة الإسلامية). وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النظام الجزائري. ثم تمكنت الحكومة في سنة 1976م من قتله رحمه الله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السجون.

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الإقتصادية في الجزائر مداها ، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ (مظاهرات

الخبز)..، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع ، فأعلن الشاذلي سنة (1988م) سلسلة من الإصلاحات الشاملة كان من أهمها ، إنهاء سياسة الحزب الواحد ، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السياسية.

وهكذا أقبل الجزائريون بحماس على تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف ، وازدهرت الحركة السياسية. وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية ، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر والتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذ أواسط السبعينيات ، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربية والإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القومية واليسارية التي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات.

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية (1988م) ، تتبعها انتخابات برلمانية سنة (1989م) من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجزائر. وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التجربة.

تكونت الساحة السياسية في الجزائر إبان الإنتخابات سنة (1989م) من ثلاث محور ، هي:

1- حزب السلطة وهو حزب (جبهة التحرير الوطني)، الذي حكم الجزائر منذ الإستقلال بطريقة بوليسية وانفرد بالسلطة ربع قرن من الزمن.

2- قوى الصحوة الإسلامية.

3- الأحزاب العلمانية التي شكلت آنذاك.

وكانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أقوى التكتلات الإسلامية وتزعمها الشيخ (عباسي مدني) ، وبرز إلى جانبه الشيخ (علي بلحاج)، أحد دعاة التيار السلفي. وتكونت الجبهة من خليط من مدارس الصحوة وقياداتها والتنظيمات الإسلامية والدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي. وأما القوى العلمانية الناشئة بعد حرية الأحزاب:

فقد تعددت تلك القوى والأحزاب ، بعد أن أطلقت الحريات ، ولكن أبرز تلك القوى بحسب ما أثبتته الإنتخابات التالية كانت:

- أولا: حزب جبهة القوى الإشتراكية : وهو حزب ينتشر في منطقة القبائل ويحمل فكرا غربيا ليبراليا ، وقد تزعمه (آيت أحمد). وقد سير المظاهرات بعد فوز الإنقاذ يندد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصولية.

- ثانيا: حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية: وهو حزب شديد العداء للإسلاميين ينادي بالحل الإستئصالي لهم. وقد وتزعمه (سعيد سعدي).

- ثالثا: الحزب الشيوعي: وتزعمته (لويزا حنون). تبنت الطرح الديمقراطي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية ، تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر ، وهو حزب السلطة ! (حزب جبهة التحرير الوطني) ، وأن الأحزاب العلمانية حديثة التشكيل لم تحصل إلا على الفتات.

وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر ، وبدأ عناصرها في خدمة الناس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجزائر منذ عهود طويلة، مما رفع في أسهم الجبهة شعبيا وأهلها للنصر التالي. وهو الإنتخابات التشريعية (البرلمانية). وتمخض الدور الأول فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة من دورها الأول ، وبدا أن ذلك سيمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة ، التي تأهلها لتشكيل الحكومة منفردة ، والترشح بذلك لرئاسة الدولة !!

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها .. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس

الفرنسـي في حينهـا ، أن فرنسـا علـى اسـتعداد للتـدخل العسـكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة. وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا لقطع الطريق على الإسلاميين من أن يصلوا لحكم الجزائر.

وحصـل الإنقـلاب. وجـاء العسـكر بجنـرال سـابق هـو (مُحَمَّد بوضياف) ليتولى رآسة الدولة. واعتقلت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ وأودعت السجون ، وقمعت المظاهرات بالعنف ، وفتح النظام العسكري الذي استولى على السلطة وسحق الديمقراطية بدعم من الغرب المنافق ، فتح العديد من السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين .. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، وبداية لفصل دموي فيها لم تنته ذيوله إلى الآن. فصل كبد ذلك البلد الحبيب إلى الآن زهاء ربع مليون ضحية من المسلمين الأبرياء. ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين الذين خططوا لهم ودعموهم ، لينقضوا معهم على نتائج هذه الكذبة الكبرى التي يسمونها (ديمقراطية). [وقد كتبت في تفاصيل هذه الأحداث كتابا فيه تفصيل عنها بعنوان (شهادتي في أحداث الجهاد في الجزائر 1989- 1996م) لمن أراد استزادة في التفاصيل].

ويرأس الجزائر حاليا الرئيس (عبد العزيز بوتفليقة) ، وقد فاز بتأييد شعبي كاسح في الإنتخابات الرئاسية ، معتمدا على مشروع

مصالحة وطنية تبناه لإنهاء إرهاصات تلك الأحداث. وقد بناه على مشروع قانون (الوئام المدني) الذي طرحه سلفه والذي يقضي بالعفو عن المسلحين الذين يسلمون أنفسهم للسلطات.

وتشهد الجزائر التي عرفت بروابطها المتينة مع فرنسا ، في عهد بوتفليقة ، تزايدا في روابطها مع أمريكا. التي اعتبرتها من الحلفاء المفضلين لديها في مكافحة الإرهاب ، حيث يعلن بوش رضاه بين الحين والآخر عن سياسات بوتفليقة في تصفية التيارات الأصولية وحصارها. وما تزال أحداث الجزائر مستمرة وإن كانت حدتها قد خفت بعد القضاء على الجماعات المسلحة التي انحرف كثير منها عن جادة الصواب بفعل اختراق المخابرات لها ووقعت في استهداف الأبرياء مما أفقدها شعبيتها وأوردها دروب الهزيمة والتشرذم. وأسأل الله أن يقيض لهذا البلد الحبيب أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته. إنه على ذلك قدير.

(18) المغرب :

ظلت مراكش مستقلة عن العثمانيين وإن قامت بينهما علاقات التعاون وتبادل المنافع بين حين وآخر. وكذلك بقيت مناهضة لأطماع أسبانيا والبرتغال حتى أوائل القرن العشرين. وبعد احتلال فرنسا الجزائر سنة (1830م) وتونس (1881م) توجهت بأنظارها نحو المغرب الأقصى

الذي كانت تحكمه دولة الأشراف العلويين. وفي نفس الوقت كانت أسبانيا تطمع في احتلال البلاد. وأما فرنسا فقد عقدت مع إنجلترا "الاتفاق الودي" سنة (1904م) الذي أتاح لها موافقة بريطانيا على احتلال المغرب الأقصى.

وفي مؤتمر الجزيرة سنة (1906م) تقرر إقامة نظام دولي خاص في طنجة ، كما تقرر إطلاق يد أسبانيا وفرنسا لبث نفوذها في المغرب. وبينما نجحت أسبانيا في الاستيلاء على منطقة "الريف" في الشمال ، وجهت فرنسا حملة على المغرب الأقصى سنة (1907م) مقابل إطلاق فرنسا يد إنجلترا للعمل في مصر. فاحتلت مدينتي الدار البيضاء و"وجدة" ، ثم استولت على مدينة فاس سنة (1329هـ/1911م).

وفي سنة (1912م) أرغمت فرنسا السلطان عبد الحفيظ على توقيع معاهدة الحماية على البلاد. ولما احتجت أسبانيا على ذلك جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا ، انتهت بتوقيع معاهدة تقسيم المغرب إلى منطقتين منفصلين: إحداهما لفرنسا ، والأخرى لأسبانيا ، بينما تظل طنجة منطقة دولية.

ثم عملت فرنسا على محو شخصية المغرب العربية الإسلامية بفضل جهود ممثلها في المغرب "الجنرال ليوتي" المقيم العام الذي جمع في يده السلطان السياسية والعسكرية والإدارية والمالية ، والذي سمح للمهاجرين الفرنسيين بالاستيطان في المغرب الأقصى. واندلعت

حركت الجهاد والمقاومة الوطنية على إثر ذلك فقامت ثورة في فاس سنة (1912م) ما لبثت أن انتشرت في المناطق المجاورة ، فقمعتها فرنسا بوحشية وقسوة.

ثم قامت ثورة أخرى من قبل قبائل البربر وسكان الشاوية وضرب الثوار الحصار حول فاس ، لكن " ليوتي" استخدم المدفعية في ضرب الثوار وإفشال الحصار.

ثم تركزت المقاومة في منطقة الأطلس المتوسط ونجح الثوار في الاستيلاء على مراكش وأغادير سنة (1912م) ، لكن الفرنسيين قمعوا الثورة واستولوا على المدينتين وأمنوا المواصلات بين فاس ومكناس والرباط.

عندئذ اعتصم الثوار بالجبال وحققوا الاستقلال بها حتى عام (1934م).

أما عن المقاومة الوطنية في منطقة الريف فقد قادها عبد الكريم الخطابي سنة (1921م) وظلت مستقلة حتى سنة (1926م).

وقد انتصر الثوار في عدة معارك مثر "أبران" و "إغرين" على الأسبان وتمكنوا من هزيمتهم وقتل قائدهم في معركة "أنوال" الشهيرة التي هزم فيها الخطابي جيوش خمس دول أوربية من الفرنسيين والأسبان ومن عاونهم ، وقتل الآلاف منهم وأسر عشرة آلاف من الجنود فيهم زهاء 100جنرال و5 ماريشالات.

وبويع الخطابي من قبل الثوار ليكون "أمير الريف" فحكم الشريعة الإسلامية وأرسل الشرطة والقضاة والفقهاء يعلمون الناس دينهم في قراهم المتناثرة وسط الجبال. وأدركت فرنسا خطر انتصارات الخطابي فتدخلت بمساعدة الأسبان ، ونجحت القوات الفرنسية بمساعدة البحرية الأسبانية في هزيمة الثوار ، وضرب الطيران الإسباني القرى والسكان بالغازات السامة !! وهُزم الخطابي ونفي إلى فرنسا ، ولكن أعوانه هربوا به في الطريق ، ولجأ إلى مصر حيث ظل فيها هذا الشيخ البطل إلى حين وفاته سنة (1963م) – رحمه الله رحمة واسعة – ومع ذلك استمرت المقاومة ضد الفرنسيين والأسبان. ففي عام (1934م) تشكل أول تنظيم سياسي في المغرب باسم "كتلة العمل الوطني المغربية " من أجل تحرير البلاد. ثم تأسس " الحزب الوطني " وازدادت الحركة الوطنية اشتعالا بتولي مُحَّد بن يوسف الحكم وتأييده للثوار ومساعدتهم. كما تأسس " حزب الاستقلال " سنة (1358هـ/1940م) واندلعت حركة المقاومة في كل أرجاء المغرب ، وفي سنة (1947م) خطب السلطان مُحَّد بن يوسف في طنجة خطبة حماسية طالب فيها بالحرية والسيادة ووحدة البلاد. الأمر الذي ألهب حماس الثوار الذين ظلوا يتعاونون مع السلطان حتى نال المغرب استقلاله ووحدته سنة (1956م).

ثم حكم المغرب بعد ذلك الملك الحسن الثاني بن مُحَمَّد الخامس ، مدة طويلة ، وكان فرعونا ظالما وديكتاتورا طاغية ، فقتل كل من ناوأه من كل اتجاه ومشرب من الإسلاميين وحتى الشيوعيين وما بينهما من الأفكار. وملأ سجونه الشهيرة المرعبة بالسجناء الذين قضى الكثيرون منهم تحت سياط الجلادين وأجهزة التعذيب المستوردة من أوربا ! كما أحاط الملك نفسه بأجهزة أمنية كثيرة ومجرمة ، وسيَّج ملكه بطبقة كثيفة من علماء السلطان وفقهاء القصر من المغاربة الذين يركعون ويسجدون له بدعوى سجود الملائكة لآدم عليه السلام ! بل استورد الملك علماء السلطان من أصقاع الدنيا من بلاد العرب والعجم. واشتهرت المغرب في عهده بالفقر والبطالة والفساد وانتشار المخدرات والدعارة والمجون والانحلال الاجتماعي في كثير من طبقات الناس ، وكان الملك في طليعة الزناة المشاهير والفاسدين المعروفين حتى قيل أن الممثلة الفرنسية الشهيرة (بريجيت باردو) ذكرت خبر لياليها الحمراء معه في مذكراتها ! كما حاز الملك (الخنفوس) – كما كان يسميه (الشيخ عبد الحميد كشك) رحمه الله – على عدة جوائز من دور الأزياء العالمية كملك للأناقة !! فيما يموت أكثر شعبه من الفاقة والعوز ، ويرمي شبابه بأنفسهم في براثن الموت في مراكب الهجرة غير الشرعية بحثا عن العمل في شواطئ أوربا !. ولكن صحوة إسلامية متعددة المشارب من الصوفية إلى السلفية إلى الجهادية ، إلى السياسية

وقفت لذلك الفساد بالمرصاد ، ولاقت من الملك العنت والبطش والتضييق بحسب جدية مواجهتها له.

ثم هلك الملك سنة 2002 م، ليخلفه الملك الحالي (مُحَمَّد السادس) نسخة عفنة عن أبيه. حيث دخلت المغرب في فلك أمريكا أيضا كغيرها وصارت أجهزة أمنها كتيبة في الهجمة الأمريكية لحرب المسلمين فيما عرف بمكافحة الإرهاب. أسأل الله له ولأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين دعوة سيدنا نوح عليه السلام :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً ﴾ (نوح: 27 / 26) .

(19) موريتانيا:

تقع جنوب المملكة المغربية الحالية وقد دخلها الإسلام بعد فتح العرب بلاد المغرب أواخر القرن الأول الهجري ، وأطلقوا على المنطقة اسم (شنقيط) وكانت هذه المنطقة تتبع الدول المغربية مثل دولة الموحدين ودولة الحفصيين ودولة السعديين والدولة العلوية.

تعرضت المنطقة لغارات البرتغاليين الذين أسسوا بها مراكز لتجارة الصمغ والذهب والرقيق ، ثم تلاهم الأسبان بعد قرنين ثم تلاهم الفرنسيون فالهولنديون.

وفي سنة (1901م) أرسلت فرنسا حملة لاحتلال البلاد أقنع قائدها الأمراء المحليين بطلب الحماية الفرنسية ، ولما احتلت فرنسا مراكش – المملكة المغربية حاليا – خضعت البلاد جميعها للاحتلال الفرنسي الذي أطلق عليها اسم (موريتانيا).

واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين المسلمين البيض والزنوج وحاربوا اللغة العربية وحاولوا نشر الثقافة الفرنسية. لكن حركة الجهاد المقاومة للاحتلال تفجرت عام (1908م)، واستمرت حتى عام (1934م) مطالبة بالاستقلال.

ثم تشكل حزبان أساسيان تصديا للاستعمار الفرنسي هماٍ ، (حزب الاتحاد الوطني) و (حزب منظمة الشباب) ثم اندمجا في حزب واحد سنة (1948م) هو (حزب التفاهم الموريتاني) ثم انشق على نفسه، وأخيرا تم الاتحاد سنة (1958م) تحت اسم (حزب التجمع الموريتاني) الذي تبنى قضية التحرير والاستقلال.

وفي عهد (ديجول) أصدر لهم دستورا قبلته موريتانيا مرغمة وأصبحت بمقتضاه عضوا في الجامعة الفرنسية. وفي سنة (1959م) فاز حزب التجمع الموريتاني في الانتخابات وشكل رئيسه المختار ولد داده الوزارة وأصبح الحزب الحاكم في البلاد.

ثم نشأ حزب جديد يدعو إلى الاستقلال التام والانضمام إلى المغرب هو (حزب النهضة). وفي سنة (1960م) أحرزت موريتانيا

استقلالها وأصبحت عضوا في الأمم المتحدة كما قبلت عضوا في الجامعة العربية سنة (1973م).

وفي سنة (1978م) ، قام انقلاب في موريتانيا بزعامة مُحمَّد السالك ولكنه لم يستمر في الحكم طويلا فقد أطاح انقلاب آخر به، ثم لحقته عدة انقلابات أدت إلى عدم استقرار أحوال البلاد خصوصا بعد تعرضها لمشكلات اقتصادية وسياسية مع جارتها (السنغال).

وآل الأمر أخيرا عبر انقلاب عسكري منذ نحو عشرين سنة إلى الرئيس الحالي (معاوية ولد سيدي أحمد الطايع). فحكم البلاد حكما عسكريا استخباراتيا ، وأوصلها لقعر الأزمات والفقر والفساد. ولكن القفزة الجديدة التي أحدثها هذا الطاغوت هي الانفتاح على أمريكا وإسرائيل ، حتى وصل الأمر به لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع تل أبيب ، وافتتح سفارة للعدو الصهيوني في نواكشوط العاصمة!

وقد قامت عليه عدة انتفاضات شعبية وانقلابات عسكرية قمعها كلها بالحديد والنار ، ومازال يجثم على صدور المسلمين في موريتانيا قبحه الله وأهلكه وأمثاله من فراعنة بلاد المسلمين.

(20) **إريتريا:**

ليس تحت يدي الآن ما يكفيني من المعلومات لكتابة ملخص واف عن هذا الإقليم المسلم ، ولكن الذي أذكره من معلوماتي العامة،

أنها كانت تخضع للاحتلال الإثيوبي (الحبشة)، منذ زمن بعيد ، وقد ذاق المسلمون في عهد إمبراطورها (هيلا سي لاسي) صنوف العذاب ، وقامت فيها منذ عشرات السنين ثورات جهادية للتخلص من حكم الأحباش وتحصيل الاستقلال عنهم. ثم حصل انقلاب شيوعي في إثيوبيا ، ولكنإريتريابقيت تعاني نفس البلاء تحت حكمهم واستمرت الثورات الجهادية المسلحة.

ثم تسللت المنظمات التنصيرية إلى إثيوبيا وأنشأت أجهزة الإستخبارات المختلفة كيانات ثورية وسياسية تقوم على عقائد علمانية ويسارية ونصرانية ، تطالب أيضا باستقلال إثيوبيا ، وتقاتل الأحباش. وقد لاقى الثوار الإرتريون مختلف أشكال الدعم من البلاد والأنظمة العربية ، إلى أن تحقق استقلالها. ولكن الحكم آل فيها إلى المدعو (أسياسي أفورقي) فقلب ظهر المجن للعرب وتنكر لعروبةإريتريا بل ولإسلاميتها ، واتبع سياسة انفتاح على الغرب وعلى إسرائيل التي كثفت حضورها في البحر الأحمر مقابل سواحل الحرم المكي ، وتحكمه بمضيق باب المندب ! وتابع المجاهدون المسلمون قتالهم ولكن ضد حكومة بلادهم هذه المرة ، وفيإريترياااليوم عدد من المنظمات الإسلامية المسلحة العاملة في ظروف صعبة من العزلة والعوز، حتى صارت قضية شبه منسية من العرب والمسلمين فيما تعيث المنظمات التنصيرية والموساد الإسرائيلي فيها فسادا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

21- الصومال وجيبوتي :

وتحتل موقعا استراتيجيا يعرف بالقرن الإفريقي في مقابلة سواحل اليمن وجزيرة العرب. وقد هاجرت إليها منذ أزمنة سحيقة قبائل العرب واختلطت بالأفارقة. وكانت على علاقة تجارية بالعرب منذ عصور ما قبل الإسلام. وبعد ظهور الإسلام ، واستمرت هذه العلاقات ، ثم وهاجرت قبائل عربية في القرن الرابع الهجري إلى شرقي إفريقية وأسست مدنا تجارية مثل مقديشو وبراوة ونقلت معها الإسلام والحضارة العربية، واختلط العرب بسكان السواحل من قبائل البانتو فامتزجت الدماء وتكون الشعب السواحلي الذي يتكلم اللغة الساحلية ، ثم خضعت المنطقة للاستعمار البرتغالي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة (1498م). ولما استقر العثمانيون في عدن أغاروا على البرتغاليين بمساعدة العناصر العربية ، ففي سنة (1586م) تمكنوا من إلحاق مقديشو بالدولة العثمانية.

ولما قامت (دولة اليعاربة) في عُمان أرسلت أسطولا بحريا إلى ساحل إفريقية الشرقي سنة (1698م) تمكن من بسط سيادة العمانيين على البلاد باستثناء مستعمرة موزنبيق.

وفي عهد دولة بوسعيد العمانية سقطت (ملبسة) في يد السلطان سعيد بن سلطان سنة (1837م) ، بل إنه نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار.

ونظرا لقيام الصراع بين أفراد أسرة البوسعيديين تدخلت بريطانيا في شؤون الصومال ، كما تدخلت فرنسا ، وبريطانيا و إثيوبيا وكينيا لدعم نفوذهم في البلاد.

ثم تمكنت فرنسا من وضع يدها على منطقة قريبة من مضيق باب المندب عرفت بالصومال الفرنسي ، وكذلك إنجلترا على منطقة أخرى عرفت بالصومال البريطاني وإيطاليا على ثالثة عرفت بالصومال الإيطالي.

ثم اندلعت الحركة الوطنية الصومالية أواخر القرن التاسع عشر وأرغمت بريطانيا على إخلاء المناطق الداخلية من الصومال البريطاني.

ثم تعاظمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين مطالبة باستقلال الصومال وتحقيق وحدته.

وقد تحقق تحرير الصومال الإيطالي سنة (1960م) بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة سنة (1959م) كما تحقق تحرير الصومال البريطاني في نفس العام ثم اتحد الإقليمان في جمهورية واحدة عرفت باسم (جمهورية الصومال) سنة (1960م) أما الصومال الفرنسي فلم يحرز الاستقلال إلا في عام (1977م) ، وتسمى باسم (جهورية جيبوتي).

والتحقت الدولتان بالجامعة العربية.

قد حكم الصومال لفترة طويلة طاغوت عنيد هو (مُحَمَّد سياد بري)، ولكنه لما هلك أواخر الثمانينيات، تفتت الصومال في صراع

قبلي نظرا لتجذر الصراع القبلي فيها وتعقده وتشابكه. مما أتاح المجال مطلع التسعينيات للتدخل الأمريكي ، فرست البوارج الأمريكية على شواطئ الصومال ، ولكنها سرعان ما غاصت في رمالها وأوحالها ، وتصدت لها القبائل والمجاهدون ، وبدأت نذر فيتنام صومالية تلوح أمام الأمريكان ، ففروا على عجل لا يلوون على شيء ومل زال الصومال متفتتا في حالة استقرار حرج يندلع فيه القتال بين الفينة والأخرى.

ثانيا : أحوال بعض دول العالم الإسلامي:

1.تركيا:

حكم مصطفى كمال أتاتورك لتركيا (1924– 1938 م) :

يكاد المتابع لتاريخ مصطفى كمال ، يجزم أن هذه الرجل حكم تركيا وحده حكما مطلقا لا ينازعه فيه أحد ، حكما دكتاتوريا يقوم على السحق والإبادة والدماء والأشلاء.

فقد أعلن الجمهورية بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدين من تركيا ، ثم ألغى الخلافة وأقر قانونا يقضي اعتبار كل معارضة للجمهورية وكل ميل إلى السلطان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

وفي (3) مـارس سنة (1924م) تقـدم بمشـروع إلغـاء الخلافـة وطـرد الخليفـة ، وفصـل الـدين عـن الدولـة وإلغـاء المحـاكم الدينيـة العتيقـة وقوانينهـا ليحـل محلهـا محـاكم وقوانين عصـرية ، وإلغـاء المـدارس الدينية ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليوم الثاني أصدر أمرا بطرد الخليفة وجميع الأمراء والأميرات من تركيا ورحِّلوا خارج البلاد.

بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد . ففرض القبعة – التي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك – فعارضها الأتراك ، فنصب لهم المشانق في ميادين المدن.

ثم استورد القوانين الوضعية الأوروبية ، فاستدعى الخبراء ليضعوا القوانين الجنائية والمدنية والتجارية المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية.

ثم ألغى الحروف العربية التي يكتب بها الأتراك والتي كتب بها التراث الإسلامي كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ. وأرغمهم على الكتابة بالأحرف اللاتينية حتى يفصلهم نهائيا عن دينهم وتراثهم. وحددوا يوما ليعاقب بعده كل من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة ، وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن.

ثم منع تعدد الزوجات ، وقرر المساواة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات والمواريث ..، وأنشأ مدارس الفنون للشباب

والشابات ، ومدارس لتعليم الرقص الشرقي والغربي ، ومنع الحجاب وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدولة ، وأنشأ المسارح المختلطة ، وشجع الحفلات الراقصة ...

حول المسجدين العظيمين – أيا صوفيا ، ومسجد الفاتح – إلى متحفين. ونصب تماثيله في كل مكان.

ألزم الناس الأذان باللغة التركية ، وألزمهم تلاوة القرآن الكريم باللغة التركية لا بالعربية ، وسمع مرة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

أدخل التقويم الجريجوري الغربي محل التقويم الهجري. وألغى عيد الفطر والأضحى. وجعل يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدل الجمعة. منع الحج ، ومن الحجاب.

وخلاصة القول لقد كان يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كان يقول: أنا تركيا وتركيا هي أنا ، أنا رئتها التي تتنفس بها ، فكل محاولة لتدميري هي محاولة لتدمير تركيا.

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هذا الدين – الذي رفعها – لتحكم خمسة قرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشمس ، وواصل تدميره لكل الأعمدة التي أقيم عليها صرح هذه الدولة المسلمة الشامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق في كل مناحي الحياة.

وقد قامت ضد أتاتورك عدة ثورات أهمها ثورة الصوفية النقشبندية سنة 1924م. ثم سنة 1930م ولكنه قمعهم بقسوة. كما قاومه الصوفيون من الطريقة التيجانية ، وحركة سعيد النور سي بالطرق السلمية والدعوة، فقمعهم أيضا. ثم تفرد في الحكم.

ثم أصيب أتاتورك بمرض الكبد بسبب الخمر وضعفت ذاكرته وأصيب بالأمراض الجنسية المختلفة.

وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهورية التركية كما سبق !!!.

ويحدث الأتراك عن العذاب الذي كان يعاني منه أثناء مرضه العجب. وكان يصيح صياحا يخترق شرفات القصر الذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القسطنطينية.

وأصبح جلدا على عظم ، وسقطت أسنانه ، وأوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة ، وفي نوفمبر سنة (1938م) رحل أتاتورك من الدنيا ملعونا في السماء والأرض.

بعد أن دمر تركيا الإسلام ، ومزق الأسرة ، وحطم الأخلاق ، وداس القيم ، وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب..

يقول عرفان أوركا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله ، وكان يقول: إن

قوة العقل والإرادة تتغلبان على قوة الإله ، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السماء ساخرا مهددا)[43].

تركيا بعد أتاتورك (1938– 2004م)

1. مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا فقرا بلقعا ، وكانت أعماله محط أنظار الغرب. فعض على إنجازاته التدميرية بالنواجذ وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيسا للجمهورية. فاعترف بإسرائيل سنة (1948م) ، وبدأت أمريكا بزرع القواعد العسكرية فيها.
2. ثم أراد الغرب أن يسبر غور التجربة الكمالية في الشعب التركي. فأجبروا عصمت إينونو على إنشاء الأحزاب السياسية، فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي ، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.
3. ثم دخلت تركيا حلف شمال الأطلسي سنة 1950م وانتشرت فيها القواعد الأمريكية ، وصارت تحت النفوذ الأمريكي واليهودي.

[43] عن كتاب الذخائر (ص740–744)

4. ويشاء الله أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كان ذات مرة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر ، فعاهد مندريس ربه لإن أنجيتني لأعيدن الإسلام إلى تركيا. واحترقت الطائرة وكان الشخص الوحيد الذي نجا منها هو مندريس.
5. دخل الحزب الديمقراطي سنة (1950م) الإنتخابات ببرنامج عجيب توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق.

كان البرنامج لا يتضمن أكثر من عودة الأذان باللغة العربية ، والسماح للأتراك بالحج ، وإعادة إنشاء وتدريس الدين بالمدارس ، وإلغاء تدخل الدولة في لباس المرأة.

وقد بنى دعايته الانتخابية على أساس العودة التدريجية إلى الإسلام كمصدر أساسي لقوة الشعب التركي المتدين.

كانت النتيجة مذهلة ، سقط حزب أتاتورك إلى اثنين وثلاثين نائبا، وفاز الحزب الديمقراطي بثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وكانت دهشة اليهودية العالمية الماسونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك ، ويومها صاح إينونو قائلا: لقد انتصر عدنان مندريس بدعايته الدينية.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيسا للوزراء. وجلال بايار رئيسا للجمهورية ، وشرع لتوه ينفد وعوده التي بذلها للشعب أثناء عملية الإنتخابات.

واستجاب مندريس لمطالب الشعب فعقد أول جلسة بمجلس الوزراء في غرة رمضان ، وقدم للشعب هدية الشهر الكريم: (الأذان بالعربية وحرية اللبس وحرية التدريس الدين وبدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (1954م) وهبط نواب حزب أتاتورك إلى (24) نائبا ، وسمح بتعليم اللغة العربية ، وقراءة القرآن وتدريسه في جميع المدارس حتى الثانوية وإنشاء عشرة آلاف مسجد ، وأنشأ اثنين وعشرين معهدا في الأناضول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدين، وسمح بإصدار مجلات وكتب تدعو إلى التمسك بالإسلام والسير على هديه ، وأخلى المساجد التي كانت الحكومة السابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العرب ضد إسرائيل ، وفرض الرقابة على الأدوية والبضائع التي تصنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (1956م) ، وفتح (25) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن.

تحركت اليهودية العالمية ضد مندريس ، وحركت أمريكا والدول الغربية الماسونية في الجيش ، فقام الجنرال الماسوني (جمال جو رسل)

سنة (1960م) بانقلاب وشنق عدنان مندريس وفطين زورلو ، وحسن بلكثاني.

وكتب الصحفي اليهودي سامي كوهين: لقد كان السبب المباشر الذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإسلامي والجفاء والفتور التدريجي في علاقتنا مع إسرائيل، ثم ضرب حزب العدالة.

1- في سنة (1965م) أجريت انتخابات مرة أخرى ربح فيها حزب العدالة بأغلبية ساحقة ، وكان رئيسه سليمان ديميريل ، وقال إينونو: أنا لم يهزمني ديميريل ... بل هزمتني جماعة النور الإسلامية الصوفية. أتباع الشيخ سعيد نورسي.

وحصل حزب العدالة على (263) مقعدا من (450) مقعدا وضاعف ديميريل مدارس الأئمة إلى (72) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة وتقرب للعرب وفترت علاقاته مع إسرائيل. واشترك بالمظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل في الرباط فتحركت أمريكا ومن ورائها اليهودية العالمية وحركت الجيش وجاء الإنقلاب العسكري الذي نحي فيه ديميريل عن الحكم ، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

2- و تزداد الديون على تركيا يوما بعد يوم ، بالأضعاف إلى أن نسبة التضخم بلغت (42% - 60%) سنة (1970م) والبطالة

(20%) والديون كانت سنة (1970م) (21) مليار دولار ، وفي سنة (1979م) أصبحت (17) مليار).

واستسلمت الحكومة للبنك الدولي وخفضت قيمة الليرة التركية إلى (8) مرات وفي سنة (1980م) ارتفعت نسبة الربا إلى (30%) أعلى نسبه في العالم.

3- ظهر حزب السلامة الوطني الإسلامي سنة (1972م) الذي كان يقوده الدكتور (نجم الدين أربكان) الحاصل على دكتوراه من جامعة ألمانية ، والتف كثير من الشباب التركي حول هذا الحزب، ووقف الحزب ضد الغرب الصليبي بزعامة أمريكا ، فطالب بالخروج من حلف الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكية ، ووقف ضد إسرائيل ، واليهود وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة ، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المجاهدين الأفغان ، كما أرسلت الحكومة جيشا يحارب مع أمريكا في كوريا.

4- وفي سنة (1972م) دخل المعركة الإنتخابية وفاز باثنين وأربعين مقعدا ، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الذي يرأسه أجاويد، وشرط أربكان أن يكون هو النائب لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

5- وفي هذه السنة غزت تركيا قبرص لحماية المسلمين الأتراك من فتك القبارصة اليونانيين النصارى ، ولعب أربكان دورا مهما في قرار التدخل.

6- وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك على الإسلام ، ففتح أبوب الحج للشعب فبلغ عدد الحجاج (150) ألف سنويا ، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق. رغم أن عدد السكان كان زهاء خمسين مليون نسمة ! وافتتح الحزب (3000) مركز للتعليم في القرى و (3000) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء ، ووضع خطة لإنشاء جامعة إسلامية ، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وطالب الحزب بجعل العطلة الرسمية يوم الجمعة بدل الأحد ، وإجراء عقود الزواج حسب الشريعة وبتعليم القرآن واللغة العربية في المدارس. وسيطر الحزب على الإتحاد العام لطلبة تركيا.

وفي (1980/9/7م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القدس ، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلامية وحكم الشريعة الإسلامية. وهنا حركت أمريكا الجيش التركي وأقام كنعان إيفرين بالإنقلاب الأمريكي في (1980/9/12م).

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيين ، أن هناك مخاوف متزايدة من حكم إسلامي وبصورة تتعارض مع خط الزعيم التركي

(أتاتــورك) الــذي أرســى دعــائم الدولــة العلمانيــة في تركيــا، فالانقلاب التركي أنقذ تركيا من أن تتحول من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدينية الإسلامية ، ومدح و اينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة مليون دولار.

واعتقل إفرين أربكان ورجال حزب السلامة وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور على قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (1981م) هو عام أتاتورك.

منع إفرين الملتحين من البقاء في الجامعات خاصة أكاديمية (سكا ريا) ومنع الحجاب.

7- في (24) أبريل سنة (1981م) مثل نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكرية ، وقد قرأ المدعي العام العسكري لائحة الإتهام ، أما الجرائم التي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ. العمل على استبدال مبادئ الدولة القانونية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية بمبادئ تقوم على أساس الإسلام.

ب. قيام عدد من المنظمات الشبابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سرا بالحزب والتي تعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية في تركيا.

ج. اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه ، ومن هذه الهتافات (مُحَّمد قائدنا) ، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإسلامية) ، ومن لافتاته. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة:44) .

د. ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأمة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإسلام لا من أجل أشخاص أو أبطال.

هـ . إصرار أربكان على افتتاح مدارس تعليم القرآن في كل قرية وإصراره على فتح مسجد أيا صوفيا.

و. هاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربية واستبدال القوانين ، وختم حديثه بأن تركيا اليوم جمهورية ملحدة.

ز. طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرسمية وأن يكون الزواج شرعيا. وقد طلبت النيابة العامة بسجن أربكان وإخوانه (14– 36) عاما.

تركيا بعد حكم الإنقلاب العسكري :

في مطلع التسعينات قبل العسكر بإعادة الديمقراطية وانتخب تورغوت أوزال لرئاسة الوزراء. ثم نجح في انتخابات رئاسة الجمهورية وحقق إصلاحات إقتصادية مشهودة.

وفي 1996م خاض حزب السلامة الإنتخابات تحت اسم (حزب الرفاه) ، وحاز على أعلى الأصوات إذ حصل لوحده نسبة 22 % من الأصوات ، فقامت الدنيا ، واستلم أربكان رئاسة الوزراء. وتعرض لضغوط دولية اضطر تحتها لتوقيع عدد من المعاهدات مع إسرائيل ، ولم يرض العسكر والعلمانيون عنه مع ذلك ، وحكمت عليه المحكمة الدستورية بحل الحزب ومنعه وكبار وعاونيه من مزاولة السياسة وحل حزب الرفاه.

وفي سنة 2003 م عاد بعض الإسلاميين من بقايا الرفاه وغيرهم لتشكيل حزب يتبنى خطا علمانيا إسلاميا معتدلا جدا جدا في نظر الغرب بقيادة ، (رجب طيب أردوغان) الذي كان من تلاميذ أربكان وكان واليا لبلدية استانبول ، وكان رجلا ذائع الصيت مشتهرا بنزاهته وخدماته. وفاز الحزب الذي حمل اسم (حزب العدالة والتنمية) بـ (36%) من الأصوات بالانتخابات !! ، فرضخ العلمانيون للنتيجة واعترفت أوربا بنزاهتها. وشكلوا حكومة ما تزال تتعرض للضغط والابتزاز من أمريكا والغرب ، وتقوم بتنازلات شرعية ومبدئية كثيرة.

ولكن يشهد لها أنها استعصت على الأمريكان ولم تقدم كل الخدمات العسكرية المطلوبة منها ، ولم تسمح للأمريكان بالمرور برا إلى شمال العراق من تركيا ، وكان موقفا مشرفا (نسبيا) قياسا بما فعله خونة الحكام العرب أثناء وبعد احتلال العراق. وتشهد تركيا تجاذبا اجتماعيا وسياسيا كبيرا بين الإسلامية المتأصلة والعلمانية المتفشية. ويجب أن نذكر هنا أن الحكومة الحالية تقدم لأمريكا خدمات كبيرة في مجالات مكافحة الإرهاب ومطاردة الجهاديين من أتراك وغيرهم مما جعل تركيا هدفا لعمليات بعض التنظيمات الجهادية.

2. باكستان :

تقع باكستان في شبه القارة الهندية ويبلغ تعداد سكانها اليوم زهاء 140 مليون نسمة. وقد دخل الإسلام في الهند إبان عصر الخلافة الأموية ، واستطاع العباسيون استرداد النفوذ الإسلامي بالهند خلال العصر العباسي الأول بعد ثورة الهندوس ضد المسلمين. كما شهدت الهند قيام دول إسلامية متتالية مثل الدولة الغزنوية التي استطاع مؤسسها محمود الغزنوي أن يتوسع في شبه القارة الهندية على حساب الهندوس، وبذل جهودا جبارة تابعتها بعد ذلك الدولة الغورية من أجل نشر الإسلام ، كما تلتها دول أخرى مثل دولة المغول التي أحرزت

شهرة كبيرة في الفن والعمارة الإسلامية والتجارة. وعمّ الإسلام وحكم ثلثي القارة الهندية.

وفي أواخر عهد الدولة المغولية تعرضت البلاد للغزو الأجنبي من قبل البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز.

وأسس الإنجليز شركة الهند الشرقية البريطانية منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي سنة (1009هـ). فناهضت النفوذ البرتغالي في الهند وفتحت المجال أمام احتلال الإنجليز لبعض أقاليم الهند.

اتبع الإنجليز سياسة إثارة الهندوس ضد المسلمين ، وتمثل رد الفعل في ظهور حركات إسلامية تناهض بريطانيا ، لكن الإنجليز قمعوا الثوار بوحشية وقسوة ، وأعلنوا أن (الهند مستعمرة بريطانية) على إثر ذلك اندلعت حركات الجهاد الإسلامية والمقاومة الوطنية. ثم بدأ التيار الإسلامي ينشط على يد بعض العلماء والمفكرين من أمثال مُحَمَّد إقبال ومن السياسيين مثل مُحَمَّد على جناح اللذين وطالبوا بتحرير المسلمين في الهند ، وفي سنة (1324هـ) تأسس (حزب الرابطة الإسلامية) الذي أنشأ جامعة إسلامية في (دكا).

وخلال الحرب العالمية الأولى قام (غاندي) بمناهضة الاحتلال البريطاني سلميا ، كما قام مُحَمَّد علي جناح بدعوة إسلامية تدعو إلى العنف من أجل تحرير البلاد بدلا من سياسة غاندي المسالمة.

وفي سنة (1347هـ) قرر زعماء المسلمين بقيادة مُحَّد علي جناح المطالبة بنظام اتحادي يمنح المسلمين في الهند حكما ذاتيا ، فرفضه حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي.

وفي سنة (1349هـ) طالبت (الرابطة إسلامية) بقيادة مُحَّد إقبال بتأسيس دولة إسلامية في الهند برئاسة مُحَّد علي جناح.

وفي سنة (1356هـ) أعلن مُحَّد علي جناح تمسكه بتأسيس دولة إسلامية منفصلة في الهند أطلق عليها لأول مرة اسم (باكستان).

تلت ذلك فترة صراعات دموية بين المسلمين والهندوس ، صمد المسلمون خلالها وظلوا متمسكين بمطالبهم حتى وافقت بريطانيا على استقلال الهند سنة (1366هـ) (1947م) واعترفت بدولة باكستان في نفس العام.

ويعتقد أن جناح كان عميلا لبريطانيا. وهو من أصل إسماعيلي باطني ، وما لبثت زوجته وأسرته أن تنصرت وقد أقام الباكستان على أصول إنكليزية دستوريا وسياسيا.

انضمت باكستان إلى هيئة الأمم المتحدة في منتصف شوال سنة (1366هـ) وكان مُحَّد علي جناح أول رئيس لها. وبعد وفاته سنة (1367هـ) خلفه (الخوجا) نظام الدين الذي أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولكن ذلك لم يطبق.

وفي سنة (1376هـ) وضع أول دستور لباكستان على أسس التشريعات الإنكليزية المتناقضة جملة وتفصيلا مع الشريعة الإسلامية. وبمقتضاه أصبحت (جمهورية دستورية) ، وكانت عاصمتها مدينة (كراتشي) ، وتولى (إسكندر ميرزا) رئاسة الجمهورية ثم تنازل عنها للقائد العسكري (مُحَمَّد أيوب خان).

وفي سنة (1385هـ) وقعت الحرب بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير ذي الغالبية المسلمة .وهزمت الأخيرة فتنازل أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش (الجنرال يحي خان) سنة (1389هـ).

وفي سنة (1390هـ - 1971م) أجريت الانتخابات وفاز فيها (حزب عوامي) برئاسة (مجيب الرحمن) الذي عارض (حزب الشعب) بقيادة (ذو الفقار علي بوتو) وعبر هذا الصراع عن صراع أعنف بين (باكستان الشرقية) و (باكستان الغربية) وفي سنة (1391هـ 1972م) أعلنت باكستان الشرقية استقلالها فقامت الحرب الأهلية التي انتهت بإعلان رئيس حزب الشعب ذو الفقار علي بوتو رئيسا لجمهورية باكستان الغربية ، بعد انفصال باكستان الشرقية التي تكونت بها دولة (بنغلاديش).

وفي سنة (1397هـ) قام انقلاب عسكري بقيادة (الجنرال ضياء الحق) على حكم ذو الفقار علي بوتو الذي أعدم فيما بعد.

وعمل ضياء الحق على تحكيم الشريعة تدريجيا، وقدم خدمات كبيرة للمجاهدين الأفغان ، وخضعت باكستان في عهده للنفوذ الأمريكي ، ولكن المطالب الأمريكية وتدخلها في شؤون الباكستان والأفغان كانت كبيرة ، ولم ينفذها ضياء الحق كليا ، فقد كان الرجل تحت تأثير قناعاته القومية وعاطفته الإسلامية. فاغتالته أمريكا وتولت أسرة بوتو (ابنته بنظير بوتو ، وابنه مرتضى بوتو) تنفيذ العملية. بإشراف السفارة الأمريكية ثم عاد الحكم إلى حزب الشعب الذي تترأسه (بنظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان. ثم خسرت الانتخابات أمام حزب جديد نشأ باسم (الرابطة الإسلامية) وتزعمه (نواز شريف). ورغم أن الباكستان خضعت كليا للسياسات الأمريكية في عهد بنظير وشريف ، إلا أن أمريكا كانت تحتاج لحاكم عسكري عميل وقوي ينفذ سياساتها في باكستان وأفغانستان بشكل ديكتاتوري. فرتبت لانقلاب عسكري على نواز شريف ، أوصل الجنرال (برويز مشرف) للسلطة سنة 1997م. ومنذ ذلك الوقت تحكم أمريكا باكستان حكما شبه مباشر.

وفي سنة 2001م قام مشرف بالمهمة الرئيسية التي جاء من أجلها، واعتمدت أمريكا عليه بشكل كلي في إسقاط نظام طالبان. وتصفية المجاهدين العرب ، والباكستانيين ، ومجاهدي وسط آسيا في مذبحة

مروعة (راجع التفاصيل في كتاب – باكستان مشرف –المشكلة والحل والفريضة المتعينة).

ثم أجرى مشرف انتخابات صورية مزورة عين بها نفسه رئيسا دستوريا ! ثم أجرى مسرحية أخرى جاء بها ببعض الأحزاب للبرلمان، واشترك الإسلاميون في هذه المسرحية !!

يتابع مشرف اليوم خدماته الجليلة لأمريكا في اجتثاث الإسلام من باكستان ، وسط ذهول وعجز من تيارات العلماء والإسلاميين الذين ضرب غالبيتهم فالج القعود أو عمى البصيرة ، رغم قوتهم وكثرتهم. فقد أعلن مشرف يوم توليه السلطة أن قدوته هو أتاتورك محطم الخلافة في تركيا وماسح الإسلام منها. وما تزال باكستان تعيش تبعات هذا المخطط ، والله المستعان.

3. إيران :

إيران كلمة مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إلى الإقليم الواقع شرق العراق وحتى الحدود الغربية لبلاد التركستان في العصور القديمة.

وقد أطلقت كلمة " بلاد فارس" على هذا الإقليم في العصر الإسلامي. وقد أقام المغول " دولة الإيليخانين" في إيران التي ظلت

تحكم معظم أقاليمها حتى قيام الدولة الصفوية الشيعية سنة (906هـ) التي يعد قيامها بداية لتاريخ إيران الحديث.

وكان مؤسس هذه الدولة هو الشاه إسماعيل الصفوي الذي استطاع أن يوحد البلاد ويقيم دولة على المذهب الشيعي الاثني عشري.

وقد دخلت الدولة الصفوية في صراع مع الدولة العثمانية السنية، وانتهى الأمر بهزيمة الصفويين في معركة "جالديران" سنة (930هـ).

ومن أشهر حكام الدولة الصفوية طهماسب ابن الشاه إسماعيل الذي رفض الاعتراف بالتبعية للعثمانيين. فحاربوه ودخلوا بغداد ثم تبريز عاصمة الصفويين سنة (941هـ).

وبعد موته خلفه ابنه الشاه عباس الكبير الذي شهد حكمه تدخل بريطانيا في شؤون إيران ونجح في استرداد بغداد و تبريز من العثمانيين. كما أسس مدينة عرفت باسمه هي " بندر عباس" صارت قاعدة تجارية هامة.

ولما ضعفت الدولة الصفوية ارتقى عرش إيران قائد من قوادهم هو "نادر شاه" سنة (1149هـ) الذي انتصر على العثمانيين ، وطرد الروس من بعض المدن إيران التي استولوا عليها من قبل. كما توسع شرقا حتى بخارى وأفغانستان وهاجم دولة المغول في الهند وخرب عاصمتهم "دهلي".

وبعد مقتله سنة (1163هـ) استقلت الكثير من الأقاليم عن إيران كبلاد الأفغان وجورجيا وسيطرت روسيا على تركستان وحلت الفوضى والقلاقل بإيران. وظل الحال كذلك حتى قيام الدولة القاجارية سنة (1193هـ). ومؤسس هذه الدولة في إيران هو " أقا مُحَّد خان" الذي استطاع القضاء على الفتن وأعاد وحدة إيران.

وفي عهد خلفه " فتح شاه" صارت إيران ميدانا للصراع الدولي بين فرنسا وروسيا وبريطانيا ، إذا استولى الروس على بعض الأقاليم الشمالية من إيران ، كما حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية ، كما استولت على بعض الأراضي في شرق إيران وضمتها إلى الهند.

وفي عهد "ناصر شاه" جرى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوروبية، واتبع خلفه الشاه مظهر الدين الذي تولى سنة (1314هـ) سياسة الأخذ بالحضارة الأوروبية. وبفعل ضغط المعارضة الوطنية أصدر دستورا للبلاد سنة (1324هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران ميدانا للصراع الدولي بين ألمانيا وتركيا من جهة وروسيا وإنجلترا من جهة ثانية. وبعد انتهاء الحرب عقدت معاهدة بين إيران وبريطانيا اعترفت فيها الأخيرة باستقلال إيران.

وفي سنة (1340هـ / 1922م) قام أحد الضباط وهو " رضا بهلوي" بانقلاب عسكري ، وتحررت إيران من الروس والبريطانيين.

وسار رضا بهلوي على نهج كما أتاتورك في تركيا ، فاتجه إلى سياسة " التغريب " فأدخل النظم الغربية الحديثة كما ألغى الامتيازات الأجنبية، وأسس جامعة طهران سنة (1354هـ).

ولما قامت الحرب العالمية الثانية إلتزم رضا بهلوي موقف الحياد. لكن تآمر الحلفاء أدى إلى هجوم روسي إنجليزي تؤيده الولايات المتحدة على إيران ، وتم خلع رضا بهلوي سنة (1363هـ / 1945م) وخلفه مُحَّد رضا بهلوي.

أعلن مُحَّد رضا بهلوي الحرب على دول المحور ، وقدم الحلفاء مقابل ذلك مساعدات اقتصادية وعسكرية إلى إيران. ثم دخلت إيران في النفوذ الأمريكي والبريطاني تماما. وصار الشاه شرطيهم في منطقة الخليج.

وبعد الحرب تعاون الروس مع "حزب توده" الشيوعي لإحداث المتاعب في وجه الشاه. لكن في سنة (1365هـ) تحسنت العلاقات مع روسيا وتم توقيع معاهدة سنة (1365هـ) انسحب الروس بمقتضاها من شمال إيران.

أما بريطانيا فقد حصلت على امتيازات التنقيب عن البترول في إيران ، كما حصلت على امتيازات تجارية للإيرانيين وفق اتفاقية عقدت سنة (1367هـ). ورفع (مُحَّد مصدق) لواء المعارضة ضد الشاه والإنجليز ، وأقر المجلس النيابي تأميم صناعة النفط. واستعان

الشاه بالجنرال زاهدي وأسند إليه رئاسة الوزراء ، ونجح في إخماد الحركة الوطنية ، وقبض على مُحَّمد مصدق وحكم عليه بالإعدام.

حمل " حزب توده " الشيوعي لواء المعارضة ، ونجح الشاه في قمعه، كما قمع حركة فدائيان إسلام" ذات التوجه السياسي الإسلامي الشيعي ، وولدت أحزاب معارضة عديدة. وفي سنة (1375هـ) انضمت إيران إلى " حلف بغداد" الموالي للغرب وخصوصا الولايات المتحدة ، فأثار ذلك الاتحاد السوفيتي.

حاول الشاه تحت هذه الظروف القيام بالإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فألغى الإقطاع ، وأصدر قانون الإنتخابات، وعمل على استرضاء العمال عن طريق مشاركتهم في الأرباح ، ونشر الثقافة الغربية في البلاد.

ومع ذلك ازدادت المعارضة الوطنية والإسلامية التي استطاع (الخميني) أحد رجال الدين الشيعة تزعمها وهكذا أطاحت الثورة الإسلامية الشيعية سنة (1398هـ / 1979م) بزعامة "الخميني" بالنظام الملكي وأعلنت قيام الجمهورية الإسلامية في إيران. وما تزال تحكم إيران إلى اليوم.

4. أفغانستان :

وتقع في قلب وسط آسيا ، وعاصمتها "كابول" وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا ، وتحدها إيران غربا وبلاد تركستان الغربية شمالا.

وكان لهذا الإقليم الذي اعتنق سكانه الإسلام في العصر الأموي، دور هام في التاريخ والحضارة الإسلامية. وقد عرب بتعدد عناصر سكانه من عرب وترك وفرس ومغول ، كما تعددت لغاته من عربية وتركية وفارسية فضلا عن "لغة البشتو" الأفغانية.

وقد تأسس بها عدة دول إسلامية في العصر العباسي منها الدولة السامانية والطاهرية والصفارية. كما قامت الدولة الغزنوية بهذا الإقليم ونجحت في نشر الإسلام في كثير من أقاليم بلاد الهند.

ثم تعرضت أفغانستان للغزو المغولي ، ووقعت تحت حكم " التيموريين" وقد شهدت في عهدهم ازدهارا حضاريا وعمرانيا وفكريا. ثم اجتاحتها الدولة الصفوية ، لكن أحد القادة الأفغان وهو "أحمد خان" استطاع أن ينفصل عنها ويؤسس حكما مستقلا سنة (1153هـ). وقد عرفت هذه الدولة لأول مرة في التاريخ باسم "الدولة الأفغانية" التي كانت "قندهار" عاصمة لها.

وفي عهـد ابنـه "تيمـور شـاه" نقلـت العاصـمة إلى "كـابول" وامتـد نفـوذ دولتـه إلى الهند بعـد الانتصـار علـى " المهـراتا " في معركـة " باني بت ".

بوفـاة تيمـور شـاه ضعفـت الدولـة الأفغانيـة ، ونجـح السيخ في الهنـد في انتزاع الكثير من ولاياتها الهندية.

وفي عهـد " زمـان شـاه " الـذي خلـف والـده تيمـور شـاه سـنة (1207هـ) شـب الصـراع بين أفـراد الأسـرة الحاكمـة ، وحـاول اسـترداد أمجاد دولته بعد أن صفا الجو له ، فاصطدم بالإنجليز في الهند لـذلك تآمروا عليه وأيدوا أخـاه محمود شـاه الـذي تـولى الحكم بـدلا منه. وفي عهده شب الصراع بين أفراد الأسرة الحـاكم حتى ظفر" دوست مُحَمَّد " بالحكم ولقب نفسه بلقب " أمير كـابول " دون أن يلقب بالشـاه أو الملك لا هو ولا أحد من خلفائه.

ثم تنافسـت بريطانيـا وروسـيا للاسـتيلاء علـى أفغانسـتان ونجحـت بريطانيـا في احتلالهـا سـنة (1255هـ). لكـن عـودة " دوسـت مُحَمَّد " إلى الحكم أتاحت له طرد الإنجليز سنة (1257هـ) وأرغمهم على الاعتراف بسيادته على بلاده.

وفي سنة (1280هـ) توفي دوسـت مُحَمَّد وخلفـه ابنـه " شـير علـي " وفي عهـده حاولـت بريطانيـا بسـط نفوذهـا علـى بـلاد الأفغـان " فاسـتعان

بالروس ، وقامت الحرب الأفغانية الثانية سنة (1295هـ) بين شير علي وبريطانيا التي انتهت بهزيمته ووقوع بلاده فريسة الاحتلال البريطاني.

لكن حركات الجهاد ومقاومة القبائل الأفغانية اندلعت ضد الإنجليز في عهد عبد الرحمن حفيد دوست محمد ، وتدخلت روسيا في الصراع الذي انتهى بعقد معاهدة بطرسبورج سنة (1325هـ) التي كان من أهم شروطها الاعتراف باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها.

وفي عهد خلفه " أمان الله خان " عاد النفوذ البريطاني إلى أفغانستان مرة أخرى ، فاندلعت الحرب الأفغانية الثالثة بين الطرفين سنة (1339هـ – 1921م) وتمكن الأفغان من هزيمة الإنجليز هزيمة منكرة واضطروهم إلى الاعتراف باستقلالهم مرة أخرى.

وفي عهد أمان الله خان. جرت محاولة الاتجاه نحو العلمنة والأخذ بالنظم الغربية على طريقة مصطفى كما أتاتورك . فاندلعت الثورة الشعبية الإسلامية بقيادة العلماء. وتنازل أمان الله خان عن الحكم لأخيه عناية الله عام (1348هـ) ، ونجح أحد قطاع الطرق ويسمى "باجه السقا " في الاستيلاء على كابول وأعلن نفسه ملكا على بلاد الأفغان باسم " حبيب الله غازي".

وعاد القائد (محمد نادر شاه) ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد واستولى على السلطة وأعلن نفسه ملكا على أفغانستان. وفي عهده تأسس الحزب الديمقراطي ذي الميول الشيوعية سنة (1351هـ).

وبعد وفاته تولى ابنه الملك " مُحَّمد ظاهر شاه " فنهض بالجيش ، وحاول إنشاء نظام دستوري ونشر التعليم ، ووثق علاقاته بالدول الإسلامية واتبع سياسات الانفتاح على الغرب وكان كثير التردد على إيطاليا ودول أوربا.

وبدأ التنافس الروسي الأمريكي في أفغانستان ، وتعاظم الخطر الروسي ، وحاول الشيوعيون قلب نظام الحكم متعاونين مع السردار (مُحَّمد داوود) ابن عم الملك ونجحوا في القيام بانقلاب سنة (1393هـ) ألغى الملكية وأعلن قيام الجمهورية. وحكم البلاد بطريقة دموية بالغة القسوة فقتل آلاف الناس!.

ثم نجح الشيوعيون في إحداث انقلاب عسكري جديد سنة (1398هـ / 1980م) بزعامة " مُحَّمد نور تراقي". فقتل آلاف الناس خلال أيام! وأعدم 29 ولدا من أبناء داوود أمام عينيه ، ثم ختم به وأعدمه رميا بالرصاص !!! فذاق داوود ما أذاق الناس من القهر والقتل! ثم نهج تراقي نهج الشيوعية الحمراء.

فاندلعت المقاومة وحركات الجهاد التي اتخذت طابع الجهاد الإسلامي ضد الحكومة الشيوعية ، وتدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في " المسألة الأفغانية " ، فقام السوفيت بإعداد انقلاب آخر بزعامة " بابراك كارمل" المؤزر بالقوات السوفييتية التي تدخلت مباشرة في عملية غزو مكشوفة سنة 1979م.

وانطلقت أحزاب المجاهدين تواجه روسيا وتلقت دعما إسلاميا وعالميا. مما أدى لهزيمة الروس هزيمة منكرة فانسحب الروس سنة 1989م. وكانت هزيمتهم في أفغانستان إيذانا بانهيار الإتحاد السوفييتي وتفككه وتفكك حلف وارسو العالمي.

ثم تمكن المجاهدون من إسقاط الحكم الشيوعي خصوصا بعد انهيار الإتحاد السوفييتي سنة 1990م وسقوط الشيوعية العالمية وزوالها.

لكن فتنة الصراع بين الفصائل المختلفة من المجاهدين أوقع البلاد في حروب أهلية مابين (1992-1996م) ، بتدبير من أمريكا وبعض الدول الأوربية ، والإسلامية وعلى رأسها باكستان والسعودية. وراح ضحية هذه الحرب زهاء 40 ألف مسلم فيهم خيرة المجاهدين.

ثم ولدت حركة طالبان في قندهار أواخر سنة 1993م. بزعامة الملا مُحَّد عمر ، وتمكنت من إقامة إمارة إسلامية أعلنت الحكم بالشريعة الإسلامية بعد دخولها كابل سنة 1996م. وصارت أفغانستان ملجأ للحركات الجهادية العربية والإسلامية. ودخل طالبان في صراع مرير مع تحالف أحزاب الشمال من الأوزبك والفرسوان والهزارة الشيعة ، وتدخلت القوى الدولية والإقليمية مرة أخرى ..

إلى أن غزت أمريكا أفغانستان بمعاونة باكستان والسعودية ودول الخليج وبعض الدول الأوربية وإيران ! بعد أحداث سبتمبر الشهيرة ، وأسقطت إمارة طالبان في ديسمبر 2001م وما تزال القوى الإسلامية

المتعددة ، والطالبان يخوضون غمار الجهاد من جديد ضد القوات الأمريكية وحلفائها إلى الآن.

(راجع كتاب (طالبان وأفغانستان ومعركة الإسلام اليوم – 1) للمؤلف) ، وستأتي تفاصيل لاحقة متعلقة بهذا الموضوع في الفصول القادمة إن شاء الله.

5. دول وسط آسيا (تركستان):

تقع تركستان (بلاد الأتراك) في أسيا الوسطى وتحدها من الشرق الصين ومنغوليا، ومن الغرب قزوين ونهر أورال، ومن الجنوب التبت وكشمير وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن الشمال منغوليا وسيبيريا. وكان يتقاسمها بالاحتلال كل من الاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية، بموجب معاهدات عديدة بدأت بمعاهدة " برشينك" في أغسطس 1689م. وانتهت بمعاهدة "سانت بتروسبورغ" في فبراير 1981م.

ويعرف الجزء الغربي الذي كان يحتله الاتحاد السوفييتي بتركستان الغربية ويتألف من خمس دول تبلغ مساحتها مجتمعة زهاء 5 مليون كم مربع ! أما الجزء الشرقي الذي احتلته الصين الشعبية فيعرف بتركستان الشرقية (سيانغ يانغ) كما أسماه الصينيون بعد احتلاله. وتبلغ مساحته زهاء (1. 734 750) كم مربع.

الغزو الروسي لبلاد آسيا الوسطى الإسلامية ومراحله :

- كان الروس أمة وثنية ثم دخلوا النصرانية سنة 378هـ أي 988م.
- بعد فتح القسطنطينية من قبل العثمانيين سنة (857 هـ / 1452م) فر قساوستها إلى روسيا وصار الروس يمثلون الكنيسة الشرقية ويحملون لواء الصليبية في آسيا.
- ظهر إيفان الثالث سنة 885هـ / 1480 ميلادية. وبدأ حروبه ضد التتار المسلمين وأبعدهم عن موسكو.
- خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الذي اكتسح بلاد التتار المسلمين واستولى على حوض نهر الفولغا وفرض النصرانية على التتار فيها أو الهجرة.
- فرض إيفان النصرانية على بلاد المسلمين البشكير. فاستخفى أهلها بالإسلام نحو 300 سنة وأعلن أحفادهم الإسلام عام 1905م على عهد القيصر الذي أعطى الحريات الدينية.
- انتزع إيفان سيبيريا من المسلمين عام 988هـ /1580م. ثم احتل بلاد القفقاس التي كانت تابعة للعثمانيين مستفيداً من نزاعهم مع الشيعة الصفويين في إيران.
- اعترف شاه إيران (نادر شاه) للروس بالسيطرة على بلاد القفقاس عام 1813م وأعلن أهل القفقاس الجهاد ضد الروس بقيادة شعب الداغستان وذلك 1722- 1859م. فحاربوا الروس 137 سنة حتى

خضعت القفقاس. ثم انطلق الروس إلى وسط آسيا بعد أن رأوا صعوبة الانتشار في أوربا. فقرر اسكندر الثاني قيصر روسيا عام 1273هـ/1856م أن وسط آسيا هو مجال التوسع الروسي واتجهت القوات القيصرية إلى وسط آسيا اعتباراً من 1276هـ / 1859م.

- احتل الروس **طشقند عام 1282هـ/1865م**، وتوالى بعد ذلك سقوط المدن والخانيات وهي (الإمارات الصغيرة).
- فسقطت **سمرقند 1868م**. ثم **بخارى 1873م**. ثم **خوارزم 1874م**. وواجه الروس مقاومة شديدة في **خوقند** ، فدكوا المدينة وأحدثوا بها مذبحة رهيبة سنة **1876م**. ثم سقطت **مرو وبلاد التركمان** بعد مقاومة عنيفة من **1873م إلى 1874م. وأتم الروس السيطرة على بلاد التركستان سنة 1900م** ، وأصبحت حاضنة للإدارة العسكرية الروسية التي اتبعت فيها سياسة الستار الحديدي وحاولوا تنصير المسلمين.
- كان تحرك الروس وسقوط المسلمين سريعاً ، وذلك رغم المقاومة الباسلة نتيجة عوامل عديدة أهمها النزاع القومي والفرقة العرقية بين أكثر من مئة عرق وجنس قومي يكونون نسيج المنطقة الإثني!. وكذلك التخلف وتدني مستوى التعليم والتسليح بين المسلمين. وكذلك ضعف الدولة العثمانية في استنابول وترهلها وعدم قدرتها على نجدة للمسلمين كما مر في تاريخها تلك الفترة.

- فرض الروس القياصرة سياسة البطش وفرضوا التخلف والجهل على البلاد ليسهل احتلالها.
- دبت الفوضى في دولة القياصرة مدة ربع قرن من (1905- 1928م) واتسعت حركات التمرد السياسية التي أسفرت عن الثورة البلشفية بعد هزيمة القياصرة أمام اليابان وانهيار هيبتهم سنة 1904م ونتيجة كثرة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء الإدارة في الأقاليم.
- بدأت الثورة البلشفية بحركة عمالية في مدينة بتروغراد في آذار سنة 1917م وعاد لينين (اليهودي) من سويسرا يحمل مبادئ الشيوعية التي نادى بها ماركس (اليهودي) أيضا. وتسلم السلطة ونادى الأقليات في الاتحاد السوفيتي لمساعدته مقابل إنصاف الأعراق والأديان بوعود كاذبة جذابة خص المسلمين بقدر كبير منها واستحثهم حتى انضم كثير من المسلمين إلى ثورة البلشفيك سعياً منهم للثأر من طغيان القياصرة.
- ورغم بوادر خيانة الروس البلشفيك للمسلمين سيطرت حالة التشرذم والتفكك عليهم وسعى كثير من رجال الدين المسلمين والعلماء في الوقوف مع البلشفيك والسلطات الروسية وجروا وراءهم عوام المسلمين إلى الكفر والضلال والاحتلال!.
- استمر لينين في سياسة الخداع ووجه نداءات استعطاف وتعاضد مع المسلمين وانزل وثائق وبيانات استحثت المسلمين العثمانيين

والإيرانيين ضد القياصرة وأرفق ذلك ببعض السياسات المنفتحة مع المسلمين مثل تسليم بعض الأوقاف والآثار الإسلامية لإدارتهم الدينية .

- مع ذلك لم يكن انخداع المسلمين بلينين كاملاً. فقد لاقت قواته مقاومة شرسة ولاسيما في بلاد التركستان وأوزبكستان ووادي فرغانة.
- حصلت ثورة أهلية إسلامية عارمة في منطقة الأورال وسيبيريا فهزموا الجيش الأحمر واستقرت تلك الثورة في وادي فرغانة وحاول العثمانيون مساعدتهم واستمرت تلك المقاومة من 1918- 1928م.
- بعد انهيار المقاومة دبت الفرقة والفساد في أوساط كثير من المسلمين التركستان والأوزبك وانضم كثير منهم للأحزاب والجمعيات والمؤسسة الشيوعية والاشتراكية وحاول كثير من رجال الدين المسلمين التوفيق بين الشيوعية والإسلام والماركسية ولم يحل هذا دون حصول سياسة تصفية المسلمين على عهد لينين ثم ستالين حتى قضوا على من ناصرهم من المسلمين.
- خلف ستالين لينين واستمرت سياسة البطش الذي صار معلناً لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي أبلى بها المسلمون الرازحون تحت احتلال الاتحاد السوفيتي بلاءً عظيماً. ووقفت كثير

من قيادات المسلمين الدينية بصلابة مع الاتحاد السوفيتي وموسكو وستالين ضد الألمان في الحرب الثانية !!.

- استطاع ستالين أن يخدع كثير من القيادات الدينية الإسلامية المنافقة من أعلى ممثلي الإفتاء ووصولا إلى كثير من عوام المسلمين. وبعد انتهاء الحرب العالمية شن ستالين حرب إبادة على المسلمين في القفقاس وجمهوريات وسط آسيا وبلغ ضحاياه أكثر من 20 مليون مسلم. نقل الملايين منهم ليموتوا في صحراء سيبيريا الجليدية حتى أكلوا جثث موتاهم ! ثم استمرت هذه السياسة بعده في عهود خروتشوف ثم خلفه بريجينيف ومن تلاهم ، حتى تفكك الاتحاد السوفيتي بفضل الله ثم بفضل الجهاد الأفغاني ووقوف الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة وقفة الدين والشرف في أفغانستان وذلك بهزيمتهم وانتهاء دولتهم سنة 1990م ولله الحمد.
- وصل غورباتشوف إلى الحكم بعد حركة الإصلاح (البروستريكا). وتفكك الاتحاد السوفيتي وزالت الشيوعية واستقلت شكلياً جمهوريات وسط آسيا. وربطتها روسيا معها بإدارة عسكرية وتواجد عسكري فعلي لاسيما على الحدود وخصوصاً في طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان.
- ثم أنشئ بإشراف أمريكي رابطة دول وسط آسيا لمقاومة الإسلام الزاحف من أفغانستان.

• وعلى جبهة القفقاس ذاق الروس هزيمة منكرة على يد الشيشان ما بين 1994 و1997م. وأعقب ذلك استقلال الشيشان ثم احتلالها مرة أخرى وتهجير أكثر أهلها ، وما يزال الجهاد فيها جاريا إلى الآن. وتلوح بوادر انتقال الثورة إلى الداغستان ثم سائر القفقاس لتلتقي مع أوار النار المضطرمة تحت الرماد أيضاً في منطقة ما وراء النهر ووسط آسيا قريبا إن شاء الله.

واقع جمهوريات آسيا الوسطى والمسلمون بعد تفكك الاتحاد السوفيتي :

تكون الاتحاد السوفيتي البائد قبل تفككه من خمسة عشر جمهورية اتحادية رئيسية وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو 286 مليون نسمة ، وشغل مساحة إجمالية قدرها 22 مليون كم^2 ، وكانت نسبة عدد السكان المسلمين فيه نحو 75 مليون نسمة.

والمطلع على نسبة المسلمين في تلك الجمهوريات في آسيا الوسطى يندهش من الاكتشاف أن أكثر من نصف مساحته قائمة أصلاً على الجمهوريات الإسلامية الأصل ، وأن معظم عواصمه الرئيسية كانت حواضر إسلامية قبل مائة سنة فقط ، وأن ذلك امتد لأكثر من ألف سنة ، فسبحان الله، ولعل الإحصائيات الرسمية التالية تبرز هذا وهي إحصائيات ذات دلالات سياسية وعسكرية مستقبلية بعيدة المدى.

فجمهوريات الاتحاد السوفيتي البائد حسب أهميتها ونسبة المسلمين فيها هي على الشكل التالي [1]:

أولاً : **جمهورية روسيا الاتحادية**: عاصمتها موسكو ، مساحتها نحو 10 مليون كم^2. عدد سكانها نحو 143 مليون نسمة ونسبة المسلمين فيها تتراوح ما بين 10- 25 % من السكان .

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية عدة جمهوريات تقع في حوض الفولغا وهي:

1- **جمهورية بشكيريا**: عاصمتها (أوفا) ، عدد سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 56 %.

2- " **تتارستان**" عاصمتها (قازان) سكانها 4.5 مليون نسمة ، نسبه المسلمين فيها 50 %.

3- "**مورد يفيا**: " (شار نسك) 1.15 مليون. نسبة المسلمين 55 %.

4- "**ماري**": (يوشكارا اولا) 1.15 مليون نسبة المسلمين 52 %.

5- "**أورنبرغ**": (ألوينبرغ شكالوف) 250 ألف نسمة نسبة المسلمين 50 %.

---

[1] (أخذت الإحصائيات من رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية المنورة عن أحوال المسلمين في وسط آسيا) .

6- "**أدمورت**": (أجنسيك) 1.850 مليون نسمة نسبة المسلمين 52 %.

ويتبع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي تقع شمال القفقاس وهي:

1- **داغستان**: عاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها 2.35 مليون. نسبة المسلمين 60 %.

2- **كبا رداي بلكار**: عاصمتها (نالجيك 760 ألف نسمة ، نسبة المسلمين 55 %.

3- **جمهورية قار شاي شركس**: عاصمتها شركس . 450 ألف نسمة ، المسلمين 60 %.

4- **أوستينيا الشمالية**: عاصمتها (اردجونيكرزي) مليون نسمة ، المسلمين 55 %.

5- **الشيشان أنجوش**: عاصمتها (جروزني) سكانها 1.73 مليون المسلمين 66 %.

6- **جمهورية الأديجا**: عاصمتها (ماي كوب) 540 ألف نسمة ، المسلمين 50 %.

7- **جمهورية سيبيريا** : عاصمتها (أو مسك) 25 مليون نسمة ، نسبة المسلمين 25 %.

هذا عن جمهورية روسيا الاتحادية ذاتها، ثم نأتي إلى الجمهوريات التي استقلت :

ثانياً: جمهورية روسيا البيضاء: عاصمتها (مسنك) مليون نسمة نسبة المسلمين غير محددة.

ثالثاُ: جمهورية أوكرانيا : عاصمتها (كييف) وعدد سكانها 51 مليون نسمة بما في ذلك سكان ولاية القرم (وعددهم 7 مليون) ونسبة المسلمين فيها 71 % !!!

رابعاً: جهورية لا تفيا: عاصمتها (ميلنوس) وسكانها 2.5 مليون نسبة المسلمين غير معروفة .

خامساً: جمهورية استونيا: عاصمتها (نازلين) سكانها 1.15 مليون نسمة ، نسبة المسلمين غير معروفة.

سادساً: جمهورية مولدا فيا: عاصمتها (كشينوف) عدد سكانها 4 مليون نسمة نسبة المسلمين 5 %.

سابعاً: جمهورية ليتوانيا: عاصمتها (ريجا) سكانها 3.5 مليون نسمة ، وفيها 18000 مسلم.

ثامناً : جمهورية أرمينيا : عاصمتها (باريفان) وسكانها 3.3 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 17 %.

ويتبعها **جمهورية نخجيفان** بحكم ذاتي وسكانها 300 ألف نسمة عاصمتها ناجوان ونسبة المسلمين 95 %.

تاسعاً: جمهورية جورجيا: وعاصمتها (تفليس) وسكانها 3.5 مليون نسمة نسبة المسلمين فيها 19 % وتتبع جورجيا كل من:

جمهورية أبجازيا: عاصمتها (سوقوم) وسكانها 750 ألف نسمة ، نسبة المسلمين فيها 19 % .

جمهورية أجاريا : عاصمتها (باطوم) وسكانها 450 ألف نسمة ، نسبة المسلمين فيها 40 %.

عاشراً: جمهورية أذربيجان : عاصمتها باكو وعدد سكانها 7.27 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 82 % أكثرهم من الشيعة.

ثم جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية وهي:

أحد عشر: جمهورية أوزبكستان : مساحتها 447.400 كم^2. عاصمتها (طشقند) عدد سكانها 25 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 88 % من السكان.

إثنى عشر: جمهورية طاجيكستان : عاصمتها (دوشنبيه). وسكانها 5.5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيها 80 % .

ثلاث عشر: جمهورية قيرغيزستان : وعاصمتها (بتشكيك) وسكانها 5 مليون نسمة ، نسبة المسلمين 73 %.

أربعة عشر: جمهورية تركمانستان : عاصمتها عشق أباد ، سكانها 4 مليون. نسبة الإسلام فيهم 86 %.

خمسة عشر: جمهورية كازاخستان : وعاصمتها(المآتا) ، وسكانها 17 مليون نسبة المسلمين 52 %.

وقد استقلت الجمهوريات الأربعة عشر عن الاتحاد السوفيتي الذي لم يبقى منه إلا روسيا الاتحادية.

وخلاصة أحوال المسلمين في آسيا الوسطى بعد رحيل السيطرة الروسية:

1- استمرار العلاقات الأمنية والعسكرية مع الجيش والأمن الروسي لاسيما على الحدود مع أفغانستان.

2- ارتباط الدول الخمسة بإشراف روسي أمريكي في حلف دول وسط آسيا وهو حلف أمني عسكري لمواجهة مد الجهاد والإسلام القادم من أفغانستان.

3- حلول الاحتلال والنفوذ الأمريكي اليهودي الغربي وما يتبع ذلك من سيطرة اقتصادية وثقافية وحركات تبشير وتنصير مكان النفوذ الروسي الشيوعي السابق.

4- تحول الكوادر والأحزاب والشخصيات الشيوعية الأساسية إلى العمالة للأمريكان تحت مسميات جديدة قومية ووطنية وديمقراطية.

5- استمرار سياسة العداء للإسلام وبشكل سافر على يد المرتدين والشيوعيين من أبناء المسلمين في البلد بعد أن كانت هذه المهمة موكلة للاستعمار الصليبي الروسي. وبذلك شنت هذه الحكومات حرباً مكشوفة على الحركات والدعوة والنشاطات الإسلامية المختلفة كالمدارس ودور التحفيظ ومظاهر الالتزام. فطاردت بشكل خاص التوجهات الجهادية كما في عموم بلاد الإسلام تحت مسمى مكافحة الإرهاب.

6- في طاجيكستان وصلت المواجهة مع الإسلاميين لحد الصدام المسلح وتمكنت الحكومة من تدجين الحركة الإسلامية الأساسية فيها وهي حركة النهضة فيما تستمر أجزاء من الحركة ذات التوجه الجهادي مسيطرة على مناطق وأجزاء من طاجيكستان.

7- في أوزبكستان ومع ميلاد بوادر جهادية وصلت لحد التخطيط لقتل رئيس الدولة وتنفيذ بعض الأعمال الجهادية العسكرية حصلت موجة من الاعتقالات تلتها محاكم صدرت فيها أحكام ظالمة بالإعدام على بعض المجاهدين وبالسجن على عشرات آخرين. وأثبتت هذه المواجهة الدعم والتعاون الأمني الإقليمي على مستوى الدول الخمسة والدولي بإشراف أمريكي حيث اعتقل العديد من هؤلاء المتهمين من دول متعددة وسلموا لحكومة أوزبكستان فوراً وذلك بفعل التعاون المباشر بين دول المنطقة وروسيا

والأمريكان والنظام الدولي ، خوفا من قفزة يحققها جهاد المسلمين إلى آسيا الوسطى بعد الانتصار الزاهر الذي حققوه في أفغانستان وأدى لقيام نواه حقيقية لدولة الإسلام المرتقبة ونهضة المسلمين العائدة المنشودة إن شاء الله.

8- قيرغيزستان: جرت المناورات العسكرية ضد الإرهاب والخوف من الهجوم المفترض لطالبان! رغم تشتت طالبان واختفائها وذلك أواسط سنة 2004م.

9- تركمانستان: منعت بناء المساجد الجديدة وطباعة القرآن. ومنعت اللحى والحجاب ، وأمرت الحكومة بكتابة هلوسات رئيس تركمانستان – في كتاب كتبه – على جدران المساجد إلى جانب القرآن أو عوضا عنه!

تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين [1] :

فتحت تركستان الشرقية أول مرة على يد القائد المجاهد قتيبة بن مسلم حيث دخل إلى " كاشغر " وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك عام (96 هـ / 715م).

---

[1] (هذه التفصيلات كتبها الشهيد الأمير حسن أبو محمد التركستاني في كابل سنة 2000 لتلحق برسالة – **المسلمون في آسيا الوسطى ومعركة الإسلام القادمة** – للمؤلف).

وفي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي الأول في القرن الثالث للهجرة أسلم الخاقان سلطان الترك " ستوق بوغراخان " وسمى نفسه عبد الكريم ، وتبعه في الإسلام أبناؤه وكبار رجال دولته، ومنذ ذلك اليوم أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة، وبقيت تركستان دولة إسلامية مستقلة حوالي تسعة قرون، ومنذ ذلك الحين جميع أهلها مسلمون.

الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية:

في القرون الثامن عشر الميلادي وقعت أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي فريسة للاستعمار الأوروبي والآسيوي. ففي أسيا اتفق المستعمران الروسي والصيني على تقسيم أرض المسلمين الأتراك من خلال عدة معاهدات. وسقط هذا الجزء المسلم في يد الصين بعد أن لقي (1.200.000) تركستاني مسلم حتفهم ، ونفي (22000) عائلة تركية إلى داخل الصين ليذوبوا في شعوب الصين !.

الاستقلال التركستاني:

ثار المسلمون في تركستان الشرقية ضد الاستعمار الصيني والاضطهاد البوذي سبعة ثورة كبيرة عارمة. أثمر آخرها عام 1863م عن تحرير تركستان الشرقية من الحكم الصيني وتكوين مملكة مستقلة في القرن التاسع عشر الميلادي، تشكلت حكومات محلية في خمس

مناطق، وانضوت جميعها تحت حكم " أتاليق غازي يعقوب بك " الذي منحه السلطان العثماني لقب أمير المسلمين ، وكان أتاليق رجلا جيدا أنشأ المساجد والمدارس الإسلامية، ومازال عدد منها موجودا حتى الآن، ولكن الأطماع الاستعمارية لروسيا والصين تجددت. وبالفعل استولت القوات الصينية على تركستان الشرقية في عام 1878م. وصدر مرسوم في 18 نوفمبر 1884م بجعل تركستان الشرقية مقاطعة. وتسميتها " سنكيانج " أي المستعمرة الجديدة وجعل "أورومتشي" عاصمة لها.

الاستقلال الثاني لتركستان الشرقية:

استمرت ثورات التركستانيين ضد الاستعمار الصيني، وقتل الكثير من المسلمين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك الانتفاضات بكل وحشية وقسوة. وكلما زادت في اضطهادهم وعنفها تجد في أهلها الإصرار، حتى تمكن أحد أصحاب الاتجاهات الدينية وهو " ثابت داموللا " من تحرير البلاد وتشكيل جمهورية تركستان الشرقية في كاشغر في نوفمبر 1933م.

ولكن الوالي الصيني (شنغ شي تساي) قضى على الثوار وجمهوريتهم في شهر يوليو 1934م بمساعدة روسيا الخائفة من وجود هذه الدولة الفتية المسلمة في جوارها.

الحكم الصيني الشيوعي في تركستان الشرقية:

في عام 1949م أعلن قائد الجيش الصيني في تركستان الشرقية استسلام البلاد وخضوعها لرأس الكفر والإلحاد في الصين " ماوتسي تونغ " زعيم الحزب الشيوعي الصيني، ودخلت القوات الصينية الشيوعية تركستان الشرقية في أكتوبر 1949م. وبذلك بدأ عهد جديد من الإرهاب والظلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ :

تتميز هذه الفترة بتحول الشيوعيين من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية و (التصيين) الثقافي. ومن أبرز هذه الممارسات:

أولا: التضييق في ممارسة الشعائر الدينية والحيلولة دون انتشار تعاليم الإسلام وذلك لقطع صلة الأجيال الجديدة بهويتهم الإسلامية.

ثانيا: منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتعليم وحرية التعبير إلى جانب الاعتداء بالمطاردة والاعتقال بل والقتل.

ثالثا: مصادرة ثروات تركستان الشرقية وحرمان أهلها الأصليين من خيرات بلادهم، وفرض حياة الفقر والعوز عليهم وإهمال التنمية الاقتصادية في البلاد.

رابعا: خداع العالم بإقامة حكم ذاتي صوري لتركستان الشرقية يديره الصينيون من وراء الستار، وينفذه الموظفون التركستانيون العملاء التابعون لهم.

خامسا: إغراق تركستان الشرقية بالمهاجرين الصينيين وإحلالهم في أماكن سكن وعمل أهل البلد الأصليين.

سادسا: القيام بتنفيذ التفجيرات النووية في الأراضي التركستانية مما نتج عنه إفساد البيئة بالسموم ونشر الأمراض بين أفراد الشعب التركستاني.

سابعا: إجبار أفراد الشعب التركستاني المسلم على تنفيذ سياسة تحديد النسل، وممارسة أقصى العقوبات مع المخالفين لهذه السياسة.

ثامنا: تشجيع الزواج بين التركستانيين والصينيين.

وما يزال المسلمون إلى اليوم يرزحون تحت هذا الحيف والجور والظلم، مما جعل بعضهم يحملون السلاح ضد الحكومة الصينية التي تطاردهم بضراوة ، وقد لجأ بعضهم سنة 1997م إلى طالبان ، وأعادوا إنشاء الحزب الإسلامي التركستاني. وقد قتل الكثير منهم إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان مدافعين عن الإمارة الإسلامية سنة 2001م. ثم قتل الجيش الباكستاني في مناطق سرحد الحدودية أميرهم (حسن أبو مُحَّد التركستاني) مع رهط من رفاقه في شهر 11/ 2003م. رحمهم الله تعالى وتقبلهم في الغرباء الفرارين بدينهم ، وجمعنا بهم في عليين.

6. أندونيسيا :

وهي أكبر الدول الإسلامية في تعداد السكان ، إذ يبلغ عدد سكانها ما يزيد على 200 مليون نسمة ، ويعتنق الإسلام منهم حوالي (92 %) من عدد السكان ، وقد انتشر الإسلام فيها عن طريق التجارة وحل محل الوثنية والبوذية. وتضم أندونيسيا مجموعة من الجزر الواقعية في جنوب شرق آسيا وأكبرها سومطرة ، وجاوة ، وبورنيو، وسيلييس ، وتيمور، وجزائر الملوك ، وغينيا الجديدة ، وشبه جزيرة الملايو.

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي تعرضت للتنافس الاستعماري البرتغالي والهولندي والإنجليزي والأسباني والأمريكي ، وكانت البرتغال سباقة إلى احتلال أندونيسيا ، وقد اتبع البرتغاليون سياسة التبشير التي حولت بعض إلى المسيحية ، ثم آلت أندونيسيا لحكم الأسبان الذين ورثو إمبراطورية البرتغال.

ثم استولى الهولنديون على البلاد سنة (1005هـ) وأقاموا شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (1011هـ) التي اتخذت من (جاكرتا) مقرا لها.

وفي سنة (1226هـ) ، استولت بريطانيا على البلاد ثم تقاسمت حكمها مع هولندا بموجب اتفاق بينهما عقد سنة (1229هـ).

اندلعت مقاومة سكان أندونيسيا ضد الاستعمار بزعامة الأمير عبد الفتاح الذي شكل جيشا من الفدائيين وبنى أسطولا قويا أثار المتاعب في وجه الهولنديين.

وفي القرن الثالث عشر لم تتوقف المقاومة فاندلعت حرب طويلة كبدت الهولنديين خسائر فادحة.

تأسست عدة أحزاب إندونيسية بعد الحرب العالمية الأولى مثل (الجمعية المحمدية) وحزب (شركت إسلام) و (الجمعية العائشية) الخاصة بالسيدات، و(حزب جاوة الفتاة) و(جمعية اتحاد علماء المسلمين) وغيرها ومعظمها ذات طابع إسلامي جهادي ، ثم تبلورت هذه الجمعيات والأحزاب في حزبين رئيسين هما (حزب القمصان

الخضراء) وحزب (القمصان الحمراء) ، كان الحزب الأول يلجأ إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال أما الحزب الآخر فقد اتخذ أسلوب الجهاد المسلح وتحول إلى (حزب شيوعي) وخلال الفترة ما بين الحربين تأسس (حزب أندونيسيا العظمى) و (الحزب الوطني) بزعامة سوكارنو اللذان نجحا في إرغام هولندا على تخفيف سياسة العنف والابتزاز الاقتصادي.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية استولت اليابان على أندونيسيا سنة (1361هـ) فاندلعت حركة المقاومة الوطنية برئاسة أحمد سوكارنو و مُحَمَّد حتا ، كما تأسس حزب إسلامي يسمى (حزب الله) واشترك الجميع في مواجهة الاحتلال الياباني.

ولما انتهت الحرب أعلنت اليابان استقلال أندونيسيا سنة (1364هـ) وبعد انسحاب اليابان اشتركت إنجلترا وهولندا في حملة على أندونيسيا تمكنت من الاستيلاء على بعض الجهات والمدن الهامة في سومطرة وجاوة، ومع استمرار النضال أرغمتها على الاعتراف باستقلال أندونيسيا وفق اتفاقية عقدت سنة (1366هـ) لكن هولندا لجأت مرة أخرى إلى غزو البلاد سنة (1368هـ) وألغت اتفاقية سنة (1366هـ) ، ونتيجة للضغط الدولي جرى عقد مؤتمر لاهاي سنة (1369هـ) الذي أسفرت عن إنهاء الاستعمار الهولندي.

ثم حدث صراع بين الأحزاب ذات الميول الشيوعية والأخرى الإسلامية وأسفر الصراع عن انقسام أندونيسيا إلى حكومتين إحداهما سوفيتية ومركزها (ماديون) والأخرى وطنية ومركزها (جاكرتا) ، ثم اتحدت الدولتان سنة (1369هـ) تحت اسم (جمهورية أندونيسيا) برئاسة أحمد سوكارنو.

قام انقلاب شيوعي سنة (1385هـ) ، لكن وزير الدفاع كلف الجنرال (سوهارتو) بمواجهة الانقلاب الذي أيده أحمد سوكارنو.

وتحت ضغط القوى الوطنية الإسلامية أرغم سوكارنو على التنازل عن الحكم سنة (1386هـ - 1968م) وتولى الجنرال سوهارتو رئاسة الجمهورية.

ثم تدهورت أحوال البلاد بسبب فساد سوهارتو وأسرته .. وحصلت اضطرابات كثيرة. وأدت إلى اعتماد الإصلاحات السياسية والانتخابات التي تنازعنها أحزاب علمانية وشخصيات مدنية وعسكرية ، وما تزال هذه أحوالها إلى اليوم. حيث آلت رئاسة الجمهورية في الإنتخابات الأخيرة 2004م إلى جنرال عسكري تعهد في خطاب فوزه بمكافحة الإرهاب بالتعاون مع أمريكا وأستراليا.!!

تعرضت البلاد وما تزال لحركة تنصير قوية منذ مئات السنين ، وقد اشتدت خلال القرن الأخير ، وقد قرأت في بعض التقارير الإحصائية

لبعض المؤسسات الإسلامية السعودية سنة 1992م أن عدد الذين تنصروا في أند ونسيا يبلغ زهاء 30 مليون نسمة !.

ونظرا لكبر البلاد وتطورها الصناعي وانتشار الصحوة الإسلامية القوية فيها ، تتعرض أندونيسيا لمؤامرات لتقسيمها ، وقد نجحت الدول الأوربية بدعم حركات النصارى الذين نصروهم عبر سنين الإحتلال ثم الإستقلال ، بفصل تيمور الشرقية عن أندونيسيا ، وتشهد جزر الملوك أعمال قتال بين المسلمين والنصارى الذين قاموا بأعمال وحشية ، فأحرقوا البيوت ، وصوروا بعضهم وهم يأكلون لحوم القتلى من المسلمين نيئة ومشوية ! وقد انتعشت مؤخرا في أندونيسيا وماليزيا وتايلاند وما جاورها من دول شرق آسيا صحوة إسلامية قوية تحولت للجهاد والمواجهة للمصالح الأمريكية والغربية والأسترالية ، مما جعل تلك البلاد هدفا للحملات الأمريكية المسعورة تحت دعاوى مكافحة الإرهاب. أمّن الله إخواننا ونصرهم.

7. ماليزيا :

مملكة إسلامية معاصرة تضم شبه جزيرة من الملا يو وشمال جزيرة بورنيو وتتألف من ثلاثة عشرة ولاية. وقد انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة ، ففي عام (675هـ) أسلم ملكها باسم (سلطان مُحَمَّد

شاه) وتبعه رعاياه وكانت البلاد من قبل قد تعرضت للاستعمار البرتغالي عام (918هـ) ثم حل محله الاستعمار الهولندي سنة (1051هـ).

وفي سنة (1201هـ) وقعت البلاد تحت الحكم البريطاني وفي سنة (1360هـ - 1940م) اجتاحت اليابان البلاد ، ثم انسحبت منها بعد الحرب العالمية الأولى وعاد الاستعمار البريطاني الذي أقام اتحادا بين المحميات البريطانية في الملايو.

وفي سنة (1375هـ) صدر الدستور وتألفت جبهة ائتلاف برئاسة (تنكو عبد الرحمن) استطاعت أن تحصل على الاستقلال سنة (1376هـ).

وفي عام (1383هـ) تأسس اتحاد يضم الملايو وسنغافورة وشمال بورنيو عرف باسم (اتحاد ماليزيا) وفي عام (1385هـ) خرجت سنغافورة عن دولة الاتحاد.

قامت نهضة معاصرة في ماليزيا متأثرة بالنموذج الياباني ، فتحولت إلى دولة صناعية مزدهرة. وتشهد ماليزيا صحوة إسلامية وجهادية واعدة هذه الأيام فتح الله عليهم.

ونكتفي بهذه النماذج من الدول العربية والإسلامية ، فالقصة متكررة ، وبسيطة ، وخلاصتها :

احتلال الدول الأوربية وغيرها لبلاد المسلمين بالتدريج منذ القرن السابع عشر .. وتصاعد ذلك بعد انهيار الدولة العثمانية. ثم قيام حركات مقاومة وجهاد لذلك الإحتلال ، ثم نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية .. استولت على جهود الجهاد ، ورتب المستعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال ، فحاربوا الإسلام ونهبوا البلاد وأذلوا العباد لصالح أسيادهم. ثم ورث الروس والأمريكان النفوذ الإستعمار ، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة.

ثم لما انفردت أمريكا بالسيطرة على العالم منذ 1990م ، سيطرت على أولئك الحكام وأخضعتهم ، وبعد إحداث سبتمبر 2001م ، ازدادت الكارثة، وتحولت لكابوس على المسلمين جراء تحالف أولئك الحكام المرتدين مع أمريكا ضد شعوبهم عامة والمسلمين الملتزمين خاصة ، تحت دعوى مكافحة الإرهاب. حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصليبية اليهودية الجديدة مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثم العراق. حيث تستعد للمراحل التالية فيما يجاورها.

وبعد ما مر من الاستعراض السريع لأهم محطات التاريخ الإسلامي، وأهم الممالك والدول التي قامت عبر ذلك التاريخ ، وقبل أن نزدلف إلي الفصل التالي الذي سندرس فيه دراسة تحليلية محطات الصراع مع الروم، وملامح ذلك الصراع ، ومعادلات القوى فيه ، وذلك من أجل البحث عن مسببات النصر والهزيمة في مراحل ذلك الصراع. نرى من المفيد بل الضروري أن نعرض قبل ذلك لفكرة سريعة

عن تاريخ هؤلاء الروم ، والمحطات الرئيسية للدول والممالك التي حملت رايتهم عبر التاريخ ، وإلى أيامنا هذه. وكذلك عن خلاصة مسار صراع المسلمين مع الروم منذ البعثة النبوية وإلى أيامنا هذه.

لأن أهم المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك..، أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا. لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه ، ومعطيات وأسباب النصر عليه بإذن الله.



نبذة سريعة وموجزة عن تاريخ الروم [44]

(600 قبل الميلاد – 2004 ميلادية)

بدأ تجمع قبائل الرومان القدماء في السهول الشرقية لشبه الجزيرة الإيطالية. وهناك بنوا النواة القديمة لمدينة روما، خلال القرن السادس قبل الميلاد.

ونتيجة لضيق السهول الزراعية من حولها، خاضت تلك القبائل داخل شبه الجزيرة صراعا داميا على موارد الرزق، مما أكسبها مراسا في القتال ودفعها للانتشار خارج الجزيرة والتمدد برا في أوروبا وبحرا على طول سواحل البحر المتوسط.

ورث الرومان عن اليونان حضارتهم التي انهارت، وورثوا معظم مكوناتها. فورثوا دينها وآلهتها، كما ورثوا فلسفة اليونان ونظامهم السياسي والاجتماعي الذي يقوم على نظام الطبقات (الأشراف – العبيد – العامة). كما طوروا نظامهم الديمقراطي وأخذوا عنه أسس حضارتهم التي تعتبر امتدادا لحضارات اليونان من حيث الخصائص العامة.

---

[44] لا تتوفر لي الآن – في عزلتي الحالية – أية مصادر لإعطاء هذا العنوان الكبير حقه علميا . وما كتبته هو حصيلة ما تبقى في ذاكرتي مما درسته في منهج قسم التاريخ في جامعة بيروت العربية , وما تراكم عندي من المعلومات والثقافة العامة. ولعلي أوفي الفقرة حقها في طبعة تالية إن يسر الله وأعان وكان في العمر والعزم بقية والله المستعان.

ولكونهم نشؤوا على سواحل البحر، بنى الرومان الأوائل أسطولا تجاريا جابوا به موانئ المتوسط شرقا وغربا. وسرعان ما أغرت القوة والأطماع ملوك الرومان الأوائل لبناء أسطول عسكري قوي يسيطرون به شيئا فشيئا على سواحل ذلك البحر الذي عرف لاحقا ببحر الروم. حيث غزت جيوشهم برا وبحرا كامل البلاد التي حوله، لينشئوا مع الوقت إمبراطورية استعمارية عتيدة ضمت كامل أوروبا وبلاد اليونان وغرب بلاد الأناضول وبلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا. ووصل سلطانهم إلى القرن الإفريقي وبلاد الحبشة.

بهذا التمدد أصبح الرومان على تماس وصراع مع الإمبراطورية القوية الأخرى في الشرق وهي (فارس). حيث كانت الأناضول (تركيا) وحدود الشام على العراق مسرح صراع طويل ومرير بين الإمبراطوريتين استمر إلى قيام الحضارة الإسلامية التي أزالتهما معا عن المشرق.

كما ذكرنا فقد بقي الروم على دينهم الوثني إلى أن جاء المسيح عليه السلام بدين النصرانية، وتولى أحبار اليهود تحريض الحاكم الروماني في فلسطين عليه وعلى أتباعه، وسعوا في قتله وغدروا به ، فرفعه الله تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (النساء:157).

فطاردوا أتباعه على مدى أكثر من قرنين من الزمن، تولى أحبار اليهود خلالها تحريف الدين الجديد. وساح أتباع المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذهم في الأرض مطاردين ، وأقام لهم الرومان المذابح في كل مكان فروا إليه ، كما جاء ذكر بعض ذلك في القرآن الكريم في قصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف. واستمر ذلك إلى أن بلغ أوجه في عصر الإمبراطور (دقليديانوس) الذي بطش بالنصارى بطشا شديدا حتى، سمي عصره في التاريخ المسيحي بعصر الشهداء. وهو الإمبراطور الذي خرج في عهده أصحاب الكهف أواخر القرن الثالث الميلادي والله أعلم.

وشيئا فشيئا ازداد أتباع النصرانية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وخلف الإمبراطور (قسطنطين) سلفه (دقليديانوس). وكانت زوجة قسطنطين نصرانية، فاعترف بالديانة النصرانية ديانة رسمية ثانية إلى جانب الوثنية، وهدأت مطاردة النصارى. ثم ما لبث قسطنطين أن تنصر وزالت الوثنية لتصبح النصرانية دين الرومان منذ مطلع القرن الرابع الميلادي وإلى اليوم.

لما تبنى قسطنطين النصرانية، وجدها مشتتة على مذاهب كثيرة ، نتيجة انتشار الحواريين وسرية أتباعهم وخلط الأحبار، فطلب إليهم أن يجمعوا الأناجيل الكثيرة ويختصروها في كتاب واحد تعتمده

الإمبراطورية. فانعقد المجمع النصراني الأول حيث وجد الأحبار والرهبان أمامهم زهاء أربعمائة إنجيل مختلفة الروايات يعود أقربها تاريخيا إلى المسيح إلى نحو مأتي سنة بعد رفعه عليه السلام واعتقادهم بصلبه، وذلك نتيجة البطش وتناقل أحبار النصارى روايات الإنجيل مشافهة خوفا من كتابتها خشية الرومان. فلما كتبت بعد قرنين من رفع المسيح أو أكثر، حوت كثيرا من الخلط نتيجة دس الرواة وتقادم العهد وهذا هو السبب الأساسي في تحريف الإنجيل ، الذي تتابعت عملية تحريفه من قبل رجال الكنيسة زمن الرومان وبعده. وهكذا خرج المجمع الكنسي الأول بأربعة أناجيل معتمدة هي أناجيل (لوقا، ويوحنا، ومتى، مرقص).

كان (بطرس) أحد كبار أحبار اليهود المعادين لدين المسيح وأتباعه حيث تولى تعذيب من قدر عليه بالتعاون مع الحاكم الروماني في فلسطين، ثم زعم أنه تنصر وأن لديه تكليفا ببناء الكنيسة الكبرى على صخرة روما فذهب إلى هناك وأقام الكنيسة التي تطورت لتكون الفاتيكان وتصبح مقر باباوات النصارى إلى اليوم. وإلى بطرس هذا يعود تشويه وتحريف كثير من عقائد النصارى (وخاصة في المذهب الكاثوليكي) وهكذا أصبحت مذاهب النصرانية خليطا من تعاليم المسيح والأصول اليهودية وما بقي من أثار الوثنية الرومانية الإغريقية الأصل. حيث سادة عقيدة التثليث، والأقانيم الثلاثة (الأب والابن

والروح القدس) كما يدجل النصارى ويفترون على الله الكذب ، سبحانه وتعالى عما يشركون.

وتبنى النصارى عقيدة صلب المسيح، وأقاموا دينهم على هذه الفرية الكبرى. ثم سيطر المذهب الكاثوليكي الذي تولى أصحابه برئاسة بابا روما ودعم إمبراطورها مطاردة باقي المذاهب النصرانية التي لم تؤمن بألوهية المسيح وغير ذلك من الأباطيل ، وبطشت بهم بأقسى أساليب البطش وأنهت وجودهم.

الأمر المهم الثاني الذي فعله قسطنطين بعد إدخال النصرانية وتوحيد الأناجيل، أنه بنى مدينة القسطنطينية ، في مكان اختاره في إحدى رحلاته في منطقة القرن الذهبي على مضيق البوسفور الذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، وهي مدينة إسلام بول (اسطنبول) اليوم. واتخذها قسطنطين عاصمة ثانية للامبراطورية بعد روما وكان ذلك بداية انقسام الروم إلى شرقيين وغربيين وكان انقساما سياسيا وحتى مذهبيا.

بعد موت قسطنطين خلفه إمبراطور آخر رأى اتساع الإمبراطورية الرومانية التي شملت كامل أوروبا وضفاف البحر الأسود ومعظم الأناضول وبلاد الشام ووادي النيل والحبشة وشمال إفريقيا. فرأى تقسيمها إداريا إلى أربعة أقسام لكل قسم منها حاكم مستقل الإدارة. وبعد موت الإمبراطور تحول هذا التقسيم إلى ولايتين شرقيتين

عاصمتهما القسطنطينية تضمان شرق أوروبا وشرق وجنوب المتوسط وغربيتان تشملان معظم أوروبا الغربية وعاصمتهما روما.

أواخر القرن الرابع الميلادي حصلت هجرات بشرية واسعة من وسط آسيا باتجاه غربها، فتدافعت القبائل وأجلى بعضها بعضا عن أراضيها، مما دفع بكثير منها إلى العبور إلى شمال شرق أوروبا، وعرف ذلك بغزوات البرابرة الذين نزلوا إلى شمال أووربا من جهة الدول الإسكندنافية. وكان من أبرز تلك القبائل، قبائل الجرمان والألمان والتشيك والسلاف والغال والقوط والآلان والهون والوندال... وامتازت تلك القبائل بالبأس والوحشية في هجماتها ذات الطابع البربري. ولم تعرف تلك الشعوب الوثنية الرعوية من أوجه الحضارة إلا القتال والتدمير.

أتعبت تلك الغزوات وأعمال السلب والنهب التي مارسها البرابرة على شمال شرق الإمبراطورية الرومانية الأباطرة واستنزفت كثيرا من قوتهم فيما كانوا منهمكين في صراعهم التاريخي مع الفرس في المشرق. واضطر إمبراطور الروم إلى أن يعرض على تلك القبائل أن تستوطن شمال شرق أوروبا، ويكون لها حقوق السكن والزراعة والصيد شمال نهر الدانوب ، لعله يستريح من هجماتهم. فاستقروا فترة ثم ما لبثوا أن اتخذوا من هذه المنطقة منطلقا للهجوم على غرب أوروبا.

وبرز (أتيلا) زعيم قبائل الهون الشرس، الذي قاد جيوشا جرارة بلغ أن يهجم في بعض معاركة بربع مليون فارس ! وكان شعار رايته خنجرا مغروسا في الأرض كتب تحته: (الأرض التي تطؤها خيلي لا ينبت فيها العشب) !.

وأسفرت هجماته في النهاية عن سقوط روما أواسط القرن الخامس الميلادي وبالتالي اندفعت قبائل البرابرة لتستوطن غرب أوروبا ولتستقر كل منها في ناحية من نواحيها مكونة الأساس القديم للدول الأوروبية القومية الحالية. فسكن **الغال** فرنسا وسموا بالفرنجة. وسكن **الجرمان والألمان** حوض الراين (ألمانيا). وسكن **الآلان** (إيطاليا). وسكن **القوط** (أسبانيا). وسكن **الوندال** جنوبها وإليهم نسبت أرضهم باسم (وندالوس) يعني أرض الوندال ، والتي صارت مع الوقت (الأندلس).

ومع الوقت اختلطت هذه الشعوب بالرومان وشعوب تلك البلاد الأصلية، وتزاوجت معها ثم تنصرت. وقام لتلك الدول ملوك وحضارات مستقلة، وتبع الجميع روما وبابا الفاتيكان كمركز للإشعاع الديني لكل أوروبا. فيما بقي شرق أوروبا موحدا حيث يقوم قيصر الروم بحكمها ويسيطر على قسم من الأناضول وبلاد الشام ومصر والحبشة وأجزاء من شمال إفريقيا حيث صار للروم الشرقيين الذين سموا (البيزنطيين)، صار لهم مذهبهم المستقل وكنيستهم الـ(أرثوذوكسية). وتحولت بعض الممالك في أوروبا إلى الحجم الإمبراطوري كألمانيا وفرنسا

وأسبانيا. فيما قامت ممالك أخرى في إيطاليا والبرتغال وإنجلترا على النظام الإقطاعي حيث تحالف الملك والنبلاء والكنيسة خلال تلك العصور الوسطى.

وهكذا بعث رسول الله ﷺ سنة 610 ميلادية، وكانت هذه أحوال النظام الدولي آنذاك. الفرس في العراق وإيران وحوض قزوين وأجزاء من أفغانستان والسند، والروم البيزنطيين وملوك أوروبا يتقاسمون الغرب وحوض المتوسط. وقامت دولت الإسلام وتحققت نبوءته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر فيما روي عنه:

(ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر، هم أصحابكم ما كان في العيش خير).

فزحفت جيوش المسلمين لتدخل فارس بمكوناتها في حضارة الإسلام، ولتنتزع من ملك الروم كامل مستعمراتهم شرق وجنوب المتوسط. وليؤول النظام الدولي كما بينا في الفصل السابق، صراعا بين المسلمين والروم.

خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي أغرى ضعف المسلمين الروم. وبتشجيع من بابا الفاتيكان الذي التقت نداءاته مع مصالح ملوك أوربا الإقتصادية ومشاكلهم الداخلية وفيما بينهم، انطلقت الحملات الصليبية الأولى من أوربا الغربية، وساهم فيها ملوك

أوربا وعلى رأسهم ملوك إنجلترا وفرنسا وألمانيا ، وعاونهم قيصر القسطنطينية بالعتاد وبالأسطول البحري.

استمرت الحروب الصليبية نحو قرنيين ونيف، ولم تنقطع خلالها الحروب الداخلية بين الممالك الأوربية، وكذلك الصراعات الدامية بين نبلاء أوربا وأمراء الإقطاعيات وبين ملوكها، وكذلك بين الملوك والباباوات المتعاقبين. وكذلك بين الروم الشرقيين ومن جاورهم من ممالك أوربا الشرقية. وباندحار الحملات الصليبية كما سنبين في الفقرات اللاحقة من هذا الفصل. عادت جيوش أوربا من المشرق تحمل معها روح الحضارة الإسلامية وعلومها الإنسانية والعلمية، وخلاصة ما حفظته من حضارات الشرق التي صهرتها حضارت الإسلام ونقلت خلاصتها، كحضارات الهند وفارس والتركستان وتخوم الصين.

وخلال تلك العصور الوسطى (من القرن الخامس ، وإلى القرن الخامس عشر الميلادية) كانت أوربا تغط في حال من التخلف والجهل، وظلمات صراع الملوك وأمراء الإقطاع وهيمنة الكنيسة المتحالفة معهم ، والتي تولت إغراق الناس في ظلمات الجهل والجاهلية. وكانت ممالك أوربا على تماس حضاري مع ممالك المسلمين في الأندلس. وكان أبناء الملوك وكبار النبلاء يقصدون عاصمتها قرطبة وجامعاتها ومكتباتها للدراسة وطلب العلم.

وبقـي الحـال هكـذا إلى أن اسـتطاع الأتـراك العثمـانيون إسـقاط القسطنطينية عام 1453 ميلادية. لتنتهي العصور الوسطى ويبدأ العصر الحـديث في أوربا. وبعـد ذلـك بقليـل تمكـن ملـوك أسـبانيا النصـارى مدعومين من ملوك أوربا من إسقاط آخر ممالك المسلمين في الأندلس (غرناطة) سنة 1492م. وكذلك ورثـوا خلاصة حضـارتها. وأدت هـذه العوامل إلى نهضة الممالك الأوروبية ودولها القومية.

وفي نفس الوقت مطلع القرن الخامس عشر أيضـا، ابتدأ انطلاق روسيا القيصرية شرقا لتسيطر على النصف الشمالي لقارة آسيا (خلال القـرون الثلاثـة التاليـة). وتنضـم إلى نادي الـدول الأوربيـة الصـليبية الكبرى، ولتدخل في حروب صليبية طاحنة مع الدولة العثمانية فيما بعد كما رأينا.

خـلال القـرون الخـامس عشـر والسـادس عشـر والسـابع عشـر وإلى منتصف الثامن عشر، سيطرت الدولة العثمانية على البحر المتوسط وعلى الشرق ، وتوغلت في شرق أوربا واستولت على ممالكها وعلى مخلفات الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وتوغلت غربا في بلاد البلقان. لتقف منذ القرن السـابع عشـر وإلى أواسط القرن الثامن عشـر على أسـوار فينـا عاصـمة النمسـا. وهنـاك اتحـدت جهـود ملـوك أوربا والفاتيكـان لوقـف هـذا الزحـف الإسـلامي، حيث بـدأ العـد التنـازلي للإمبراطورية العثمانيـة خـلال النصـف الثـاني مـن القـرن الثـامن عشـر،

ولينطلق نجم الحضارة الأوربية الحديثة (الروم المعاصرون) ، بعد أن أفل نجم المسلمين.

وخلال القرن الخامس عشر ونتيجة لما عانت شعوب أوربا من سيطرة بابا الفاتيكان والمذهب الكاثوليكي. قامت حركات إصلاحية ولدت في ألمانيا وانتشرت في أوربا وأدت إلى ظهور مذهب نصراني جديد هو المذهب (البروتستانتي) الذي حمل كثيرا من المؤثرات اليهودية التوراتية. ثم ما لبث أن لاقى رواجا في بريطانيا وانتقل منها ليستقر في الولايات المتحدة بعد ذلك. وبذلك انقسمت أوربا على ثلاثة مذاهب رئيسية توزعت الأغلبية جغرافيا فيها بحيث ساد المذهب (الأرثوذوكسي) في روسيا وشرق أوربا. وساد المذهب (الكاثوليكي) وسط أوربا وغربها وانتشر المذهب (البروتستانتي) في بريطانيا والولايات المتحدة.

أدت الثورة الصناعية والعلمية لنهضة أوربا. وأدت الثورة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر إلى يقظة شعوب أوربا ونهضتها. وكانت حركة الكشوف الاستعمارية التي انطلقت من أوربا منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بمباركة البابا قد أسفرت عن قيام إمبراطوريات بحرية استعمارية كبرى على رأسها: البرتغال – أسبانيا- بريطانيا- فرنسا- هولندا...

وخلال القرن الثامن عشر شهدت أوربا ثورات عديدة. وانهار النظام الإقطاعي، وتكونت (البرجوازية). لينهض النظام الصناعي الرأسمالي مكان الإقطاع. وقامت معارك كبرى بين الملوك والنبلاء أسفرت عن توحيد إمارات مبعثرة وتكوين دول اتحادية ، مثل حروب توحيد إيطاليا وألمانيا خلال القرن التاسع عشر. وبدأت ترتسم معالم خارطة أوربا ودولها القومية بالشكل القريب من شكلها الحالي.

وخلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر دخلت الإمبراطوريات الكبرى الأوربية حروبا استعمارية عديدة فيما بينها في داخل أوربا وفي المستعمرات البعيدة وراء البحار، من أمريكا الشمالية والجنوبية إلى إفريقيا إلى جنوب وجنوب غرب آسيا وفي الجزر النائية في المحيطات. وأسفرت تلك المعارك عن اندحار أسبانيا والبرتغال. واستيلاء البريطانيين والفرنسيين على معظم مستعمراتها لتصبح الدولتان الأقوى في أوربا التي صارت حضارتها الغربية الوريثة الطبيعية لحضارة الروم.

وبوصول الإمبراطورية العثمانية لما أسلفنا من أسباب الضعف، دخلت في حالة الاحتضار ودعيت في عرف السياسة الدولية آنذاك بـ(الرجل المريض). وبدأت أوربا الاستعمارية ، تتآمر على تقاسمها، وتسن سكاكينها لتقسيم و ابتلاع أشلائها. ودخل اليهود على خط المؤامرة في هذه المرحلة ليتولوا الدسائس ، ويستولوا على الجملة العصبية

للروم الجدد (أوربا وأمريكا) ، وذلك بسيطرتهم على عالم السياسة والمال والفكر الإعلام والدعارة والجاسوسية !.

أهم أسباب نهضة أوربا واسترجاعها لواء الحضارة وقيام الحضارة الغربية وانطلاقتها الاستعمارية منذ مطلع القرن السادس عشر- باختصار-

الحملات الصليبية على المشرق ونقل خلاصة التراث الحضاري الإسلامي وما حفظته من حضارات المشرق في فارس والهند ووسط آسيا والإفادة من كل ذلك. ونشاط حركة الترجمة العلمية ودراسة أسباب الهزيمة في الحروب الصليبية. (منذ القرن الثالث عشر).

سقوط القسطنطينية وهجرة العلماء والمكتبات وإرث الحضارة الرومانية إلى أوربا. (خلال القرن الخامس عشر).

سقوط الأندلس ونهب مكتباتها الزاهرة وإكمال ما حصلوه من الحملات الصليبية من وراثة مكونات الحضارة العربية الإسلامية. (منذ القرن السادس عشر).

الكشوف الجغرافية وتطور الأساطيل الأوربية وعودة فوائد ذلك من أرباح التجارة ولاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحويل طريق التجارة عن بلاد المسلمين. وما جنوه من كنوز البلاد المفتوحة لاسيما العالم الجديد (القارة الأمريكية) منذ القرن السادس عشر).

اكتشاف البخار وتطوير السفن والقاطرات واكتشاف البارود والمتفجرات وتطوير الأسلحة (منذ القرن السابع عشر).

الثورة الفرنسية نهايات القرن 18 على الملكية وحلفها المقدس مع الكنيسة وانطلاق الأفكار السياسية والنهضة القومية التي أدت إلى سقوط النظام الإقطاعي وتوحد الدول القومية الكبرى كألمانيا وإيطاليا وفرنسا على حساب الإمارات الصغيرة.

الثورة على الكنيسة والتفلت من تحجرها وانطلاق العالم التجريبي والحرية الفكرية بعد الثورة الفرنسية على الملوك والكنيسة.

الثورة الصناعية في القرنين الـ (18) والـ (19) وثورة المخترعات العلمية وتطوير الآلة الصناعية المدنية والعسكرية.

الروح العسكرية والتوجه الإستعمار للغزو والفتوح والتضحية وبذل الجهود في مختلف أقطار الأرض تحت قيادة ملوك مغامرين تواقين للمجد والثراء والتوسع.

وهكذا ولّدت هذه العوامل دولا استعمارية قوية كان في طليعتها روسيا القيصرية التي اجتاحت جيوشها وسيطرت أكثر من نصف قارة آسيا. وبريطانيا التي شكلت إمبراطورية احتوت الصين والهند ومعظم أمريكا الشمالية ودول كثيرة أخرى في آسيا وإفريقيا حتى أطلقوا عليها اسم (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس). وفرنسا التي تليها في الانتشار والاتساع وكذلك أسبانيا الإمبراطورية والبرتغال اللتان كانتا

سباقتان للانتشار الاستعماري ودول أخرى كهولندا وبلجيكا وإيطاليا..

خلال القرن التاسع عشر بدأت حروب الإستقلال في أمريكا الشمالية وأسفرت الثورة التي قادها (جورج واشنطن) عن قيام الولايات المتحدة الأمريكية التي تكونت بعد الحروب الأهلية التالية لتنضم إلى جانب روسيا القيصرية ودول أوربا الغربية إلى نادي الدول الكبرى.

أدى الصراع الأوربي – الأوربي على السياسات الأوربية وعلى الغنائم الاستعمارية إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م). التي ذهب ضحيتها زهاء ستة ملايين إنسان ! التي كان من نتائجها انهيار الإمبراطورية العثمانية. حيث رسمت بريطانيا وفرنسا خطة تقاسم تركتها. وامتدت لتصبح أكبر دولتين استعماريتين. في التاريخ ولاسيما بريطانيا التي صارت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

وهكذا انطلقت أوربا بعد الحرب العالمية الأولى في الموجة الرئيسية من الحملات الصليبية الثانية على العالم الإسلامي، والتي يمكن التأريخ لها عمليا منذ حملة نابليون على مصر عام 1798م. رغم أن زحف الصليبيين على أطراف العالم الإسلامي كان قد بدأ منذ مطلع القرن السادس عشر حيث احتلت البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا

كثيرا من المستعمرات في أطراف العالم الإسلامي. ولكن ذروة الحملات كانت بعد اتفاقية سيكس – بيكو سنة 1917م. بين فرنسا وبريطانيا.

أدى الصراع الاستعماري بين الدول الأوربية ذاتها وظهور ألمانيا النازية وتكوينها محورا مناوئا للدول الأوربية بالتعاون مع إيطاليا واليابان إلى نشوب الحرب العالمية الثانية (1939–1945م). وأدت هذه الحرب التي حصدت زهاء من 82 مليون إنسان إلى تحطيم البنى الإقتصادية والاجتماعية للدول الاستعمارية الأوربية وأعادت رسم خارطة أوربا بشكلها الحالي تقريبا. كما أدت إلى ضمور الدول الأوربية وبروز الإتحاد السوفييتي الذي ورث روسيا القيصرية وأقام دولة شيوعية تحكم إرثها من موسكو. بعد الثورة البلشفية الشيوعية سنة 1917م. وكذلك بروز الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر دولتين من دول الروم تسيطران على مقدرات العالم. وورثت هاتان الدولتان معظم الإرث الاستعماري الهام للدول الأوربية. وورثتا بذلك راية الروم المعاصرين بصورة رئيسية.

كما أسلفنا قام النظام الدولي الجديد بعيد الحرب العالمية الثانية وتقاسم الإتحاد السوفيتي بشكل رئيسي والولايات المتحدة وما تبقى من دول أوربا القوية ؛ فرنسا وبريطانيا سيادة العالم مدة نصف قرن.

إنهار الإتحاد السوفيتي بعد ورطته في أفغانستان وانفردت الولايات المتحدة الأمريكية التي نضجت قوتها العسكرية لتصبح أقوى من

مجموع أقوى 9 دول عظمى عسكريا تليها في قائمة الدول القوية كما تقول الدراسات الإستراتيجية. ولينضم اقتصادها ليكون أعلى اقتصاد قوي في الأرض. لتصبح بقدراتها العلمية والتكنولوجية وتعدادها الذي ناهز 300 مليون نسمة، وريثة حضارة الرومان كما أعلن قادتها. وهذه حقيقة.

وهرعت بريطانيا (الدولة الاستعمارية العجوز المنحلة) لتدخل في فلكها بحكم وحدة اللغة والمذهب (البروتستنتي)، والتاريخ المشترك. وصارت بقية الدول الأوربية تابعة لها عبر حلف الناتو. الذي بدأ يلحق به معظم مكونات حلف وارسو من دول أوربا الشرقية وحتى روسيا ذاتها ... لتتحد جهود الروم في الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ إعلان قيام النظام العالمي الجديد عام 1990م وبلغت مداها منذ نهاية القرن العشرين ومطلع الألفية الميلادية الثالثة ، وهي أيامنا هذه ، حيث تولت أمريكا وحلفاؤها وذيولها المنافقون أن يملؤوا الأرض جورا وظلما.



السيطرة اليهودية على الروم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد – أوربا– أمريكا):

(1) – تسلط اليهود على الإتحاد السوفييتي البائد وروسيا الحالية:

– الثورة البلشفية واليهود:

الثورة البلشفية يهودية التفكير والتخطيط والتمويل والتنفيذ ، ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس ، حفيد حاخام اليهودي (مردخاي ماركس). وكذلك لينين ، الذي حول كلمات ماركس إلى واقع ثورة ، وأمد الحركة الشيوعية بمؤلفاته هو يهودي كذلك.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليهودية) سنة (1939م) مايلي: (لقد نشرنا روح الثورية التحريرية الكاذبة بين شعوب الغير، لإقناعهم بالتخطي عن أديانهم بل بالشعوب بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان ، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهارا عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة ، وأغويناهم بالتفاخر بكونهم أحفاد القرود – نظرية داروين – ، ثم قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية: الشيوعية والفوضوية التي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

وأما التمويل فهو يهودي كما مر.

وكان (يح بروكلن) الحي الشرقي من نيويورك مسرحا لتخطيط للثورة ، يتولاه (تروتسكي) ولا زال هذا الحي هو مركز التخطيط اليهودي العالمي لتدمير البشرية..

وقد صدر في الأسبوع الأول للثورة قرار ذو شقين بحق اليهود:

- يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه قانونيا.
- الاعتراف بحق اليهود في أنشاء وطن قومي في فلسطين.

– الكتب السياسي الأول للثورة البلشفية:

مكون من سبعة أشخاص خمسة من اليهود لأبوين وهم:

لينين: يهودي ، وزوجته (تربسكايا) يهودية.

تروتسكي: يهودي.

كامينيف: يهودي.

سوكولنكوف: يهودي.

زينونيف: يهودي.

أما ستالين فزوجته يهودية اسمها (روزاكاجا نوفتش).

ينوف: روسي وليس يهوديا ، وهو الوحيد.

– الدولة التي شكلها لينين سنة (1918م).

وهذه أول حكومة بعد الثورة:

الجهة	العدد الكلي	اليهود
الوزراء	22	17
إدارة الحرب	43	34
لجنة الشئون الداخلية	64	45
لجنة الشئون الخارجية	17	13
لجنة الصحافة	42	41
مجموع كبار الموظفين	532	425

أي أن نسبة الموظفين (80 %) من اليهود.

ولعل القارئ الكريم يحسب أن هذا كان في بداية الثورة ، إلا أن الأمر استمر حتى يومنا هذا ففي سنة (1965م) كتبت الكاتبة السوفيتية (نينا اليكسيفا): (عدد اليهود في الإتحاد السوفيتي لا يزيد عن واحد في المئة، وكلنهم يمثلون ستين في المائة من هيئة التدريس في المعاهد العليا والجامعات ، وثمانين في المائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب السياسة الخارجية ، وإن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في الوسفيات يهودي)[45].

[45] (الذخائر ج1/971-973)

(2) – مؤتمر يالطة سنة (1945م) وتسلط اليهود على الدول العظمى:

إثر الحرب الثانية اجتمع الأقطاب الثلاثة (روزفلت ، ستالين ، تشرشل) وقرروا: محو النازية وتقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال بين الحلفاء. وتصفية الإمبراطورية اليابانية ، وتشكيل حكومات ديمقراطية في أوروبا الشرقية ، ودرسوا المذكرة الصهيونية التي تتضمن:

- أن يفرض على ألمانيا تعويضات قدرها (5 مليارات) دولار توزع على اليهود المتضررين في أوربا والذين نزحوا إلى أمريكا وفلسطين.
- رفع جميع القيود عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- منح اليهود المساعدات لإنشاء كيانهم السياسي.

أما الأقطاب الثلاثة فيهم يهود إما نسبا وإما ميولا وعاطفة.

فروزفلت: يهودي منحدر من أسرة يهودية اسمها (روزنبرغ) ، ثم تحولت إلى روزفلت. وهاجرت من أسبانيا إلى أمريكا ، وكان جده (كلينتون روزفلت) أحد ثلاثة كونوا لجنة لجمع الأموال لماركس وإنجليز لإخراج البيان الشيوعي. وقد قدم اليهود إلى الرئيس الأمريكي روزفلت ميدالية ذهبية مكتوب عليه:

(الرفاهية والحكمة لفرنكلين روزفلت نبينا الجديد الذي سيعيدنا إلى الأرض الميعاد).

أما ستالين: فهو يهودي نسبا ، وزوجته يهودية اسمها (روزاكاجان فتش). وقد بقيت هذه الحسناء اليهودية مع أسرتها تدير الإتحاد السوفيتي قرابة ثلاثة عقود حكم فيها ستالين ، وقد كان (لازاركاجانوفتش) شقيق روزا مسيطرا على ستالين ومولو توف].

{ **وأما تشرشل** فهو من أخلص المتحمسين للفكرة الصهيونية }[46].

(3) –تسلط اليهود على أوربا :

كنت أمتلك في أرشيفي بعض المعلومات الإحصائية والدراسات حول هذا الموضوع ، ولكني فقدتها في لندن بسبب هجرتي السريعة منها إلى أفغانستان ، ثم فقدت القسم الآخر في أفغانستان إبان سقوطها.

ولكن خلاصة ما أتذكره من ذلك هو السيطرة الهائلة للوبيات اليهودية والصهيونية على عالم السياسة والصحافة والإعلام والبنوك والمؤسسات الإقتصادية في أوربا عموما.

فمما أذكر على سبيل المثال :

– نشرت مجلة (المشاهد السياسي) وتصدرها الـ (BBC) في أحد أعدادها سنة 1996 م، دراسة عن قوة اللوبي اليهودي في الحزبين البريطانيين الرئيسيين (حزب المحافظين) و (حزب العمال).

[46] (الذخائر ج981/1)

وخلصت إلى نتيجة ، أن اليهود يسيطرون على الحزبين بدرجة متقاربة ومدهشة. وتحيرت في السؤال: من سيدعم اليهود في الإنتخابات بين الحزبين ؟! وكنت أمتلك المجلة في أرشيفي. وفيها تقرير إحصائي مهم.

- ولما كنت أدرس في فرنسا سنة (1985م) عقدت المنظمات والجمعيات اليهودية مؤتمرا تحت شعار (سنة 2000م - فرنسا يهودية!) وكان بالفرنسية:

(L' an 2000 La France est juif.)!!

ونشرت الصحف دراسات عن انتشار اليهود في مختلف مؤسسات الدولة فكانت إحصائية مدهشة ! وقد قام حزب الجبهة الوطنية اليميني القومي الفرنسي المتطرف ضد اليهود والعرب والأجانب بنشر معلومات خطيرة عن هذا التغلغل اليهودي..

وقل مثل ذلك عن كل بلد آخر ويمكن تحصيل هذه المعلومات لمن أراد استزادة من الإنترنيت .. ويكفي أن نرى مواقف الإتحاد الأوربي ومنها إعلانه المنظمات الفلسطينية ومنها حماس منظمات إرهابية ، رغم اعتراف أوربا بحق مقاومة الإحتلال ، والشواهد كثيرة. رغم أن الشعوب الأوربية بدأت تعلن تبرمها بهذا الوضع. حتى أعلنت إحصائية رسمية للاتحاد الأوربي أن زهاء 60 % من الشعب الأوربي يرى إسرائيل هي الخطر الأول على السلام العالمي ، مما أثار ردة فعل عنيفة في أوساط اليهود الأوربيين وإسرائيل.

(4) – تسلط اليهود على أمريكا المعاصرة. وظاهرة المسيحيين المتهودين (الكنيسة الإنجيلية) و(المحافظون الجدد) :

اكتشفت أمريكا سنة 1492 ميلادية. ولما بدأت أخبار خيرات العالم الجديد تصل إلى مسامع الناس في أوربا ، صارت على مر ثلاث عقود تلت مهوى أفئدة المغامرين ، والمنشقين والمطاردين في أوربا ، كما أصبحت منفى للمجرمين والمنفيين.

وأدرك اليهود الذين كانوا يعانون في أوربا من الظلم والاحتقار من النصارى ، أهمية هذا العالم الجديد بل اعتقد بعضهم أنها أرض الميعاد التي بشروا بها في كتبهم القديمة.

ولما ظهرت مناجم الذهب والثروات الطائلة تحركت حاسة الشم والنهم لدى اليهود وبدؤوا بهجرة كثيفة نحو العالم الجديد. وسرعان ما شكلوا جالية كبيرة وعملوا في مجالهم التاريخي ، المال والربا.

ولما استقلت أمريكا وبدأت تتكون الولايات المتحدة الأمريكية كان بعضهم قد حاز نفوذا في مجالات البنوك ورؤوس الأموال ، والأعمال المصرفية. حتى تخوف وتنبأ أحد أوائل الرؤساء الأمريكان وهو (؟؟) ، من نفوذ هذه الشرذمة وحذر منهم ، وقال في وثيقة ما تزال محفوظة في مكتبة الكونغرس محذرا قومه منهم ، بأنه يتوقع إلاّ يكبح جماح هذه الفئة ويحال بينها وبين طموحاتها وجشعها فإنه يتوقع إن يأتي على

أمته الأمريكية زمان يتحكم فيهم هؤلاء ويملكون أقواتهم .. وكنت أحتفظ بصورة عن مقولته تلك وهي شهيرة.

وفعلا آل الأمر إلى ماحذر منه ، فقد لعب اليهود دورا ماليا بارزا في تمويل الدول في الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية ، ودخلوا في تمويل نهضة التصنيع في أوربا وأمريكا ، ولم ينصرم القرن التاسع عشر إلا واليهود يحتكرون تجارة المال والأعمال ولأعمال المصرفية في أوربا وأمريكا، وصار لهم لوبي يتحكم بحملات الإنتخابات الأمريكية ، والأوربية .. وسيطروا على قطاع الإعلام والصحافة في أمريكا كما أوربا، وسيطروا على صناعة السينما وعالم هوليود ، ودسوا حسناواتهم ليكونوا عشيقات أو زوجات لكبار الشخصيات السياسية والاقتصادية ! وقامت لهم الجمعيات والمنظمات ، وبلغ تعداد الجالية اليهودية في أمريكا أكثر من ثمانية مليون نسمة يقطن أكثرهم قلب الولايات المتحدة الاقتصادي (مدينة نيويورك) التي تعتبر من عواصم اليهود في العالم. ثم دخل اليهود وأبناء اليهوديات مجال السياسة بأنفسهم وصار منهم النواب في الكونغرس ومجلس الشيوخ والوزراء وحتى الرؤساء!

ونظرا لاعتناق الغالبية من نصارى أمريكا المذهب البروتستانتي ، الذي يرتكز على تفسيرات العهد القديم (التوراة) والكتب والأدبيات اليهودية ، ولدت مدارس مذهبية جديدة تعتبر حب اليهود والعمل على إعادة مجدهم لإسرائيل من أقرب القربات الدينية.

وتطورت هذه المذاهب والجمعيات وصار لها وسائلها الإعلامية الكثيرة من مئات محطات الراديو والقنوات التلفزيونية والجرائد والمجلات، والكتاب ومراكز الدراسات والدعوة ...إلخ.

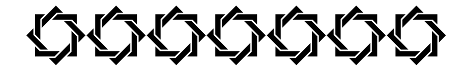
ثم ظهرت الكنيسة (الإنجيلية) وكان من أبرز معتقدات وجوب دعم إسرائيل كواجب ديني ، والاعتقاد بأن معركة عالمية ستقوم في سهل (هرمجدون) شمال فلسطين بين اليهود المدعومين من ملوك النصارى ، وبين المسلمين ، وأنها ستكون معارك يفنى فيها ملايين البشر ، وهي مقدمة لعودة المسيح نزوله من السماء لإنقاذ المؤمنين به. واعتقد هؤلاء أن نهايات القرن العشرين أو أوائل القرن الحالي هي موعد لهذا الحدث. وكان الكثيرون من الساسة الأمريكان من اعتقد بهذه الطلاسم منهم الرئيس ريغان نفسه ! وقد كتبت كتب عدة حول هذا الموضوع وترجم بعضها للعربية. (وللشيخ سفر الحوالي دراسات وكتب قيمة في هذا الموضوع لمن أراد استزادة).

ولذلك تلقت إسرائيل دعما لا متناهيا من أمريكا خلال الربع الأخير من القرن الماضي وما زالت. ثم ظهرت نهايات القرن الماضي في أمريكا مدرسة دينية سياسية ألعن في معتقداتها ، أطلقوا على أنفسهم (المحافظون الجدد) ، وكان منهم إدارة الرئيس بوش الأب ، وإدارة الحالية والرئيس الحالي جورج بوش الابن نفسه.

ويقيم هؤلاء مذهبهم كذلك على الأساطير التوراتية ووجوب إعادة بناء الهيكل ومملكة إسرائيل وأن الله يبارك أمريكا لقيامها بهذه المهمة ، بالإضافة للأحلام الإمبراطورية في توسع أمريكا ، وسيطرتهم على الشرق الأوسط متحالفين مع اليهود ، وعلى سيادة حضارة العرق الأبيض ، وضرورة إفناء الأعراق الأخرى ، وتبنوا نظريات (**صراع الحضارات**) وأن الأرض لا تتسع لحضارتين .. وأن على **حضارة العرق الأبيض**: **النصرانية الدين** ، **الديمقراطية السياسة** ، **الرأسمالية الاقتصاد** ، **الإباحية الأخلاق والثقافة** .. أن تسحق الحضارات الأخرى وتخضعها وتفرض عليها دينها وثقافتها ونظامها. بل إن المحافظين الجدد هؤلاء والذين يمكن تسميتهم بالصليبيين المتهودين ، أعلنوا اتخاذهم من الإسلام والمسلمين عدوهم الأول ، وأعلنوا الصدام مع حضارتهم كقدر محتوم ، بل قال أحد كبرائهم : (نحن ورثة حضارة الروم ، وأعداؤها في التاريخ أعداؤنا في الحاضر) ، وصرح جورج بوش بأن حربه الحالية في الشرق الأوسط حرب صليبية ، ثم اعتذر وقال أنها زلة لسان ، ثم زلّها الخبيث عدة مرات متتالية ! وقام أحد كبراء جنرالاته من القساوسة العاملين في التوجيه بالنيل من الإسلام ومن رسول الإسلام ﷺ بأسلوب يتماشى مع حقارة ذلك الجنرال الملعون ، والشواهد تحتاج كتابا مفردا ، وهي مشتهرة ..

وهكذا سيطر اليهود على الإدارة الحالية سيطرة تامة ، وصار اليهود وأبناء وأزواج اليهوديات وتلاميذهم أغلبية في مجلس الشيوخ ، والكونغرس ، والحكومة ، والمؤسسات ...، وصارت حربنا مع إسرائيل هي عمليا حرب مع أمريكا ، أهلكهم الله.

هذا بإيجاز مختصر تاريخ الروم منذ نشأتهم وإلى يومنا هذا والذي استمر زهاء 2500 سنة حتى الآن وسيستمر إلى أن تقوم الساعة على شرار الخلق. ويكون الروم حينها أكثر الناس ، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.



تطور النظام الدولي وخلاصة الصراع بين المسلمين والروم

(8هـ – 1425هـ) (629 م – 2004م)

عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال :(**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**).[47]

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**) [48]

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ**)[49]

لو أردنا أن نلخص صراعات الحضارة الإسلامية وحروبها مع أعدائها عبر التاريخ منذ قامت وإلى يومنا هذا، نجدها تثبت ما جاء

---

[47] (رواه أبو داود)

[48] (مسند الحارث, زوائد الهيثمي ج2/ ص 713 /.)

[49] (مسند أحمد 17335).

في إخباره ﷺ بكل جلاء. فقد كانت مراحل الصراع على الشكل التالي:

الدولة النبوية والصراع مع الروم:

الصراع مع الروم خلال الدولة النبوية :

كان توجيه الرسول ﷺ للمسلمين لجهاد الروم (بني الأصفر) ، هو الأساس لما تم بعد ذلك ، من استمرار لهذا الصراع الأزلي. وقد كان فاتحة ذلك كما رأينا في مؤتة (8هـ - 629م) بعد غدرهم برسول الله ، ﷺ ، ثم تبوك. ثم تجهيز رسول الله ﷺ ، لجيش أسامة لغزو الروم ، وإشرافه بنفسه الشريفة عليه ، إلى آخر رمق في حياته. حيث كان من آخر كلامه الشريف كما جاء في الآثار الشريفة : أنفذوا بعث أسامة .. لعن الله من تخلف عنه .. ومنذ ذلك الحين ما تزال رحى هذه المواجهة الأزلية دائرة.

الصراع مع الروم في دولة الخلفاء الراشدين :

يتبين مما سبق ، أن الصراع مع الروم ، كان أحد شقي الجهد الأساسي للمواجهة في زمن الراشدين. وبعد زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية خلال عهد عمر وعهد عثمان رضي الله عنهما ،

صارت المواجهة مع الروم هي المحور الأساسي. حيث تميزت المواجهة الإسلامية بالطابع الهجومي ، وكما رأينا ذلك تفصيلا في فصل التاريخ، فقد انتزع المسلمون خلال مدة وجيزة من الروم ؛ بلاد الشام ومصر ، ومعظم ممتلكات الروم البيزنطيين في شمال إفريقيا، وهددوا عاصمة الروم (القسطنطينية) ذاتها في ولاية عثمان ﷺ ، بل دخلوا الأندلس على الروم الغربيين ، وإن لم يمكثوا فيها.

الصراع مع الروم في العصر الأموي :

وكما فصلنا في (ص ؟ وما بعدها) فأن الصراع مع الروم كان هو المحور الأساسي لحروب الدولة الإسلامية إلى جنب حركتهم شرقا في بلاد السند (باكستان) وكرمان (بلوشستان) ، سجستان (إيران) ، وخراسان (أفغانستان) ، وبلاد ما وراء النهر (وسط آسيا) ، وتميز الصراع آنذاك بأنه طور هجومي ، واستطاع فيه المسلمون انتزاع كامل شمال إفريقيا من الدولة البيزنطية. وانتزاع الأندلس من ملول (القوط). ودخلوا بلاد الفرنجة (الغال) وهي فرنسا فدخلوا مدنها تولوز وليون وبوردو. حيث توقف الزحف عند مدينة (تور) شمال غرب فرنسا.!!

وهكذا شمل الصراع الروم الشرقيين (البيزنطيين) والغربيين (ممالك غرب أوربا).. كما استولى المسلمون خلالها على بعض جزر المتوسط.

وحاصروا القسطنطينية عدة مرات. ولم يكن للروم مبادرات هجومية مهمة خلال المرحلة الأموية. وكان أهم ذلك :

- غارات الجراجمة (المردة) :

أغار الجراجمة على الثغور الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان سنة 70هـ بتحريض من الروم، مهتبلين انشغاله بحرب ابن الزبير وقمع الفتن التي ثارت في عهده، وقد عالجهم عبد الملك بالمال، فقد فاوض الإمبراطور البيزنطي جوستنيان الثاني على أن يدفع له ألف دينار كل أسبوع ، على أن يتخلى عن مساعدتهم في غاراتهم.

- غارات الروم البحرية :

أغار الأسطول البيزنطي على الأسطول العربي سنة 129هـ وهزمه. وتمكن الأسطول البيزنطي من الاستيلاء على قبرص.

وخلال هذه الفترة دخل المسلمون في صراع مع الترك الوثنيين في وسط آسيا، وواصل القائد الفاتح (قتيبة بن مسلم) حتى فتح أفغانستان وبلاد ما وراء النهر وتركستان الغربية والشرقية ووصل إلى تخوم الصين مضيفا إلى رقعة الدولة الإسلامية نحو (5 مليون) كيلومتر مربع. فيما كان نظراؤه يتقدمون في فتح بلاد السند وشمال الهند، لتصل الدولة الإسلامية خلال الخلافة الأموية لأقصى اتساعها عبر الفتوح.

الدولة العباسية والصراع مع الروم:

أولا : الصـراع مـع الـروم خـلال المرحلـة العباسـية الأولى (مرحلـة القوة):

كما رأينا تفصيلا ، فقد كان الصراع مع الروم هو المحور الأساسي، وشبه الوحيد خلال تلك الفترة. وقد كان في بدايته هجوميا عبر نظام الصوائف والشواتي. ثم تحول دفاعيا بشكل شبه كامل تقريبا ، وكثرت غارات الروم على خط الدفاع الطويل معهم، والممتد من تخوم الجزيرة شرق الأناضول وإلى شمال الشام وصولا إلى أنطاكية والبحر المتوسط شمال غرب الشام.

وكان من أهم الغارات التي تعرضت لها الدولة خلال تلك الفترة:

* غـارات الخـزر مـع جمـوع مـن الـترك علـى أرمينيـة سـنة 147هـ وسبيهم المسلمين وأهل الذمة وتخريبهم مدينة تفليس (عاصمة جورجيا اليوم) ، ثم غارتهم ثانية سنة 183هـ.

* غـارات قراصـنة البحـر (الميـذ) علـى البصـرة سـنة 148هـ وسـنة 149هـ وسـنة 153هـ وسـنة 178هـ وسـنة 179هـ وسـنة 225هـ وسـنة 227هـ وسنة 231هـ.

* وغارتهم على جدة سنة 151هـ.

* غارات الروم بمراكبهم على دمياط (مصر) سنة 238هـ.

أما الروم الغربيون (ممالك أوربا الغربية) فقد كانت الهدنة هي طبيعة العلاقة معهم. وقد تحولت لعلاقات حسنة أحيانا كما كان بين الرشيد وشارلمان مللك بلاد الغال (فرنسا الحالية) حتى تبادلوا الهدايا.

ثانيا : صراع العباسيين والدول الإسلامية المستقلة مع الروم منذ العصر العباسي الثاني ، وإلى قيام الدولة العثمانية (247هـ – 922هـ) :

لم يتوقف الصراع مع الروم بشقيهم ، الشرقي (الروم البيزنطيين)، والغربي (ممالك أوربا المسيحية). وكما أسلفنا فقد غلب عليه منذ انصرام العصر الذهبي للدولة العباسية ، الطابع الدفاعي ، إلا في حالات قليلة. والحقيقة أنه مع ضعف الخلافة المركزية لبني العباس في بغداد. تصدت الدول المستقلة ، كما مر معنا في ثنايا مختصر تاريخها لشرف مهمة الجهاد ، دفعا وطلبا ، وحماية الحوزة والدفاع عن ديار المسلمين وأنفسهم وأعراضهم ..

فوجدنا السلاجقة في بلاد الري والأناضول ، يجاهدون الروم البيزنطيين بضراوة ، وكذلك فعل الحمدانيون ، في شمال غرب بلاد الشام. ولما قامت الدولة الأتابكية ، قام الزنكيون بجهاد الصليبيين الذين قدموا من ممالك أوربا ، ولم يأل قيصر القسطنطينية في دعمهم

على مدى قرنين من الزمان. فلما قامت دولة الأيوبيين ورثوا من أولاد عمومتهم.

الزنكيين مهمة الشرف تلك ..، فلما ورث المماليك حكم مصر والشام ، ورثوا معها إتمام المهمة الشريفة ، ونظفوا بلاد الشام من دنس الصليبيين نهائيا. فيما كان السلاجقة مستمرين بجهاد الروم في آسيا الصغرى ، حتى قام العثمانيون من أحفادهم وحملوا شرف الراية التي كانت ما تزال خفاقة يحملها الملوك والأمراء المختلفون رغم ما اعتورهم من فسوق وصراع على الملك ، وقد مر معنا ذكر طرف منها ..

أما في مغرب بلاد المسلمين ، فما زال الأمر كذلك كما رأينا. فقد قام الأغالبة ، والموحدون ، والمرابطون .. وغيرهم مت ملوك وأمراء ممالك المغرب الأقصى بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ، كلما سولت للروم – بشقيهم – أنفسهم أن يهاجموا ديار الإسلام. وأما في دولة الأندلس ، فما فتئت غبار الحرب معقودة بين المسلمين ، ونصارى أسبانيا المدعومين من ملوك أوربا .. إلى أن استطاعوا في النهاية أن يديلوا دولة الإسلام هناك بعد أن دبت الفرقة والضلال ، والتعاون مع النصارى في ملوك الطوائف. عندما استباحوا أن يستنصروا بهم على بعضهم ..فسلطهم الله عليهم وادالوا دولتهم ...

وهذا استمرت السنة مضطردة .. إلى أن تسلم راية جهاد الروم .. الدولة العثمانية الإسلامية الناشئة التي كانت تدك حصون

القسطنطينية في مشرق المسلمين .. فيما كان الروم الغربيون يدكون حصون غرناطة في مغربها على شواطئ الأطلسي.. لتبتدئ حقبة جديدة من هذا الصراع الأزلي بيننا وبين الروم.

الدولة العثمانية والصراع مع الروم:

ثم ولدت الدولة العثمانية من أحفاد السلاجقة الأتراك، في الأناضول، وتمكن السلطان محمد الفاتح من دك أسوار القسطنطينية بمدافع زنة قذائفها يصل إلى (3 طن) سنه (1452م)!. بعد أن نهضت الدولة العثمانية نهضة وازت وفاقت نهضة الروم البيزنطيين ودول أوربا المتطورة آنذاك..

وشكل سقوط القسطنطينية زلزالا على مستوى التاريخ، حتى اعتبره المؤرخون نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وحق لهم.. فقد كان هذا سببا في انسياح العثمانيين في الفتوح شمالا وجنوبا وغربا، ونهضتهم حتى وصلت دولة الإسلام تحت راياتهم إلى الحجم الإمبراطوري وأعادت توحيد أجزاءها تحت خليفة واحد، بعد أن نقل العثمانيون الخلافة إليهم وجعلوا مركزها القسطنطينية التي غدا اسمها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام تلك التي صار اسمها فيما بعد (إسطنبول).

كما كان بداية نهضة الدول الأوربية وما تلا ذلك من الثورة الصناعية والثورات الإقتصادية والاجتماعية. وبذلك ولدت دول أوربية حديثة ذات بأس. حيث تولت الصراع مع دولة الإسلام آنذاك وهي الخلافة العثمانية.

وقد انساحت جيوش العثمانيين تفتح بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود والبلقان ودول شرق أوربا، حتى وصلت إلى أسوار (فيينا) عاصمة النمسا، أواخر القرن السابع عشر حيث توقفت. وبدأت أوربا هجومها الصليبي المعاكس الثاني..

وفيما كان الأتراك ينساحون في أوربا وآسيا بعد فتح القسطنطينية عام 1452م، كانت جيوش النصارى تحاصر آخر ممالك المسلمين في الأندلس. لتسقط آخر معاقل الإسلام في أوربا الغربية (غرناطة) سنة 1493م. وليتأجج الصراع بين العثمانيين ودول أوربا الاستعمارية، التي حملت مشعل حضارة الرومان الصليبيين بعد الإمبراطورية البيزنطية الرومانية من القسطنطينية. وهكذا استمر الصراع بين الإسلام والروم طيلة فترة الخلافة العثمانية، إلى أن تمكنت الدول الأوربية من إسقاطها وإعلان ذلك عام 1924م، حيث تقاسمت الدول الاستعمارية إرثها، وهو مجموع بلاد العالم العربي والإسلامي. فيما تقاسمت من دول العالم..

العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية والصراع مع الروم :

لم يتوقف صراع المسلمين مع الروم بغياب المسلمين كقوة سياسية عن المسرح الدولي بسقوط العثمانيين. لقد استمر صراع الإسلام ممثلا بالشعوب الإسلامية وحركاته الجهادية والتحررية ضد قوى دول أوربا الاستعمارية في كافة بلدانه.. ففي أقصى مشرق المسلمين، انساحت جيوش الروس لتسقط العواصم الإسلامية في آسيا.. فاستولت قواتهم على بلاد البشكير و تتارستان و القرم وشرق البحر الأسود وسيبيريا والقفقاس. ثم زحفوا على جمهوريات وسط آسيا وأسقطوا عواصمها الكبرى بعد مقاومة ضارية وخسائر مليونية، وسقطت تركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، وعواصم الإسلام الشهيرة مرو / بخارى / ترمذ / طشقند.. ما بين مطلع القرن 16 وعام 1904م حيث استقرت جيوش روسيا القيصرية على ضفاف نهر جيحون الذي يشكل حدودها مع أفغانستان.. التي كانت في مجال النفوذ الإنكليزي..

وبعد أن استولت دول أوربا على بلاد العالم العربي والإسلامي في آسيا وإفريقيا استمر المسلمون في صراعهم مع الروم الجدد متمثلين بالدول الاستعمارية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا والبرتغال وبلجيكا.. وغيرها. حيث تقاسمت هذه الدول احتلال العالم، وكان نصيب الأسد فيها لبريطانيا ثم فرنسا..

حيث قسمت وزارتا المستعمرات في (باريس / لندن) إرث الدولة العثمانية، وخاصة بلاد العالم العربي، فيما عرف بمؤامرة أو اتفاقية (سيكس ـ بيكو) التي أبرمت سنة 1919م.. ولتُدخل بريطانيا في الصراع مع المسلمين عاملا جديدا هم اليهود. بإطلاق الوزير البريطاني (بلفور) وعده المشؤوم، بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. وهكذا رزحت بلاد الهند والسند (باكستان) وأفغانستان وإيران وجنوب شرق آسيا وكثير من الدول الإسلامية، وفيها الجزيرة العربية والسودان ومصر والعراق والأردن وفلسطين، تحت الإحتلال الإنجليزي. ورزحت كل من سوريا وفيها لبنان وتونس والجزائر وأجزاء من المغرب وقسم من القرن الأفريقي تحت الإحتلال الفرنسي.. وأخذت أسبانيا أجزاء من المغرب وموريتانيا وبعض البلاد الأفريقية كما أخذت إيطاليا ليبيا وأجزاء من القرن الأفريقي ..

وكانت أغلب بلاد وسط إفريقيا الإسلامية قد سقطت تحت احتلال تلك الدول الأوربية قبل ذلك. وكانت حصة الأسد فيها لفرنسا كما سقطت جزائر المحيط الهندي والهادي من الفلبين إلى أندونيسيا إلى سنغافورة إلى تيلاند وماليزيا وبورما وبنجلادش.. تحت احتلالها أيضا قبل ذلك. وقد شكلت المرحلة الاستعمارية تلك ميدانا للصراع بين الشعوب الإسلامية والروم ممثلين بدول أوربا الاستعمارية. ولم تخف الدول الاستعمارية اليهودية الرومانية الروح الصليبية في

حركتها الاستعمارية تلك وقد ظهرت في كثير من تصريحاتهم. ومن ذلك: أن القائد البريطاني (اللورد اللنبي) لما ركز علمه ذي الصليبين فوق جبل الزيتون في بيت المقدس صرخ قائلا: (الآن انتهت الحروب الصليبية).. بروح الثأر لهزيمة أجداده على يد صلاح الدين الأيوبي. أما (غورو) الجنرال الفرنسي فقد كان من باكورة أعماله أن زار قبر صلاح الدين وضربه بالسيف وكسر قطعة حجر منه ما تزال محفوظة في المتحف الحربي بدمشق، ليقول له:(ها قد عدنا يا صلاح الدين). أما الإيطاليون فقد كان نشيدهم العسكري أيام احتلال ليبيا.. ينضح بالأحقاد الصليبية ويفتخر بذهاب الجند لقتل المسلمين... والأمثلة كثيرة على الروح الصليبية لحركة الإستعمار الحديث.

الصراع بين الروم أنفسهم بعد غياب المسلمين عن مسرح القوى الدولية وتحولهم إلى غنائم استعمارية :

وهكذا تغير شكل النظام الدولي ليصبح مجال الصراع فيه بين الروم أنفسهم على الغنائم الاستعمارية و السياسات الأوربية، مما أشعل حربين عالمتين مدمرتين، استمرت الأولى مابين (1914ـ 1918م) وأزهقت فيها أوربا زهاء 9 ملايين نفس، وتمكنت ألمانيا فيها من جر الدولة العثمانية التي تولى زمام أمورها (الماسون) ويهود الدونمة فجرتها إلى دخول الحرب إلى جانبها، مما برر تقاسم أشلائها بخسارة ألمانيا الحرب وكذلك حليفتها الدولة العثمانية المتماوتة.

ثم اشتعلت الحرب العالمية الثانية ما بين (1939 - 1945م) لتزهق أوربا بالإضافة إلى روسيا وأمريكا زهاء 82 مليون نفس بشرية ولتسفر تلك الحرب عن تدمير بنية أوربا التحتية، اقتصاديا واجتماعيا، لتسمح بميلاد قوتين عظيمتين استعماريتين جديدتين على وجه الأرض هما (روسيا / أمريكا) حيث تسابقت دول أوربا لتنتمي إلى حلف إحدى هاتين الدولتين فدخلت دول شرق أوربا مع الإتحاد السوفيتي مكونة حلف وارسو بزعامة موسكو. ولتدخل معظم دول أوربا الغربية في حلف أمريكا مكونة حلف الناتو بزعامة واشنطن ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النظام الدولي يقوم فيها الصراع بين هذين القطبين حيث لم يعد للمسلمين وجود على المسرح الدولي كقوة تمثل طرفا، لأنهم صاروا

في قصعة الغنائم، تتناهبهم تلك الدول وتديرهم في فلكها على دأب أجدادهم من الغساسنة و المناذرة..

النظام العالمي الحديث وقيام الإمبراطوريتان السوفييتية والأمريكية وصراعهما على النفوذ:

كما أسلفنا أدت الحرب العالمية الثانية إلى دمار أوربا وتقهقر دولها الاستعمارية عن مرتبة الصدارة، وبروز قوتين عظيمتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية. ومن ثم دخلت دول أوربا الشرقية كشبه مستعمرات للإتحاد السوفييتي لتشكيل حلف وارسو وما يسمى بالمعسكر الشرقي. ولتدخل أوربا الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا في حلف أمريكا وتكون حلف الناتو أو المعسكر الغربي. وقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عام 1945م عن إعادة رسم ميزان القوى في العالم على هذا الأساس. وأُنشأت عصبة الأمم المتحدة من الدول الكبرى لوضع أساس لنظام دولي عالمي جديد في حينها.. ثم تعدلت لتقوم هيئة الأمم المتحدة. ونهضت الصين كقوة اقتصادية ونووية وبشرية وفرضت نفسها في مصاف الدول العظمى. لتكوّن مع أمريكا والإتحاد السوفيتي وفرنسا وبريطانيا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن. المؤسسة الأهم المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

وبدأت الحرب الباردة بين القطبين في مجالات التجسس وسباق التسلح وصراع النفوذ في إلحاق أكبر قدر ممكن من دول العالم الثالث تلك في فلك هذا الحلف أو ذاك.

وكانت الثورة البلشفية الشيوعية قد قامت في روسيا سنة 1917م وحل الإتحاد السوفييتي بفلسفته اللينينية الماركسية محل روسيا القيصرية. ودعم الإتحاد السوفييتي بعيد الحرب العالمية الثانية حركات التحرر في البلدان التي لم تكن قد استقلت عن الدول المستعمرة خلال الثورات التي قامت عليها في مرحلة ما بين الحربين. كما انتشر الفكر الإشتراكي والشيوعي في كثير من الدول وحمل مبدأ الثورة على الدكتاتوريات المدعومة من قبل الدول الاستعمارية لاسيما أمريكا ودول أوربا الغربية. ودعم الإتحاد السوفييتي تلك الحركات وأدى الصراع على النفوذ بين أمريكا والإتحاد السوفيتي إلى قيام نظام الحروب بالوكالة بدعم الروس السوفييت لتلك الحركات.

وقد أدت حروب الوكالة وصراعات النفوذ إلى اكتساح السوفييت لمعظم دول العالم الثالث ولاسيما في كثير من دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وقد رسخ السوفييت أقدامهم في بلاد عربية مهمة مثل العراق وسوريا ومصر واليمن الجنوبي وليبيا والجزائر والقرن الأفريقي.

وقد قامت تبعا لذلك عدة حروب بالوكالة تقاتلت فيها دول متعددة أو حتى شعوب دولة واحدة في صراع النفوذ هذا، كتلك التي قامت في كوريا والفيتنام والقرن الأفريقي واليمن الشمالي والجنوبي ولبنان وكذلك العديد من دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

كما لعبت الدولتان على حبل الصراع العربي الإسرائيلي بالدعم السافر من قبل أمريكا لإسرائيل وتمثيل السوفييت دور دعم الجانب العربي. والملاحظ أن كثيرا من تلك الحروب والثورات قد ضيقت مجالات النفوذ الأمريكي حتى يمكن القول أن حصيلة جولات الملاكمة تلك بين أمريكا والسوفييت الروس قد أبرزت تفوق الروس بالنقاط في معظم تلك الجولات.. إلى أن ارتكب الروس في نشوة الظفر والتقدم تلك غلطتهم التاريخية القاتلة فأقدموا على احتلال أفغانستان عام 1979م بصورة شبه مكشوفة إثر سلسلة انقلابات شيوعية مدعومة من قبلهم على الملكية فيها منذ عام 1965م.. وهكذا حققوا في قفزة استراتيجية نصف الطريق إلى الحلم القيصري بوصولهم إلى المياه الدافئة في الخليج العربي إذا لم يبق بينهم وبينه من فاصل إلا مثلث بلوشستان الباكستاني الإيراني بمسافة لا تزيد عن 500 كيلومتر.

وبدا وكأن أمريكا قد قبلت الأمر الواقع وسلمت ولم تبد حراكا يذكر رغم صفارات الإنذار باقتراب الخصم اللدود إلى منابع النفط التي يتحكم من يسيطر عليها باقتصاديات العالم الرئيسية. ولم يتوقع أحد

المفاجأة التي حصلت وقلبت وجه العالم بل ذهبت به إلى مرحلة تاريخية جديدة عصفت بكل ثوابته القديمة..

هزيمة روسيا في أفغانستان وانهيار الإتحاد السوفييتي. وقيام النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا كقطب أوحد ينفرد بمقدرات السياسة والاقتصاد في العالم:

لم يدر في خلد أحد من صناع السياسة وعباقرة العسكرية وأفذاذ المفكرين أنه يمكن لشعب يشغل المرتبة الرابعة في قائمة أفقر شعوب العالم، يمكن له أن يصمد لأقوى قوة عسكرية في الأرض ومتاخمة له بحدود يزيد طولها على 1000 كيلومتر توفر له إمدادا لوجيستيا نموذجيا ومباشرا.. ولكن شاء الله أن تتحقق المعجزة.. فقد صمد الأفغان لعملاء الروس من حكامهم منذ عام 1965 إلى 1979م مما سبب الإطاحة بالانقلابات الواحد تلو لآخر. ثم صمدوا للغزو المباشر والمواجهة العسكرية الشرسة مع الآلة العسكرية الساحقة للجيش الأحمر ثلاث سنوات (1979ـ 1982م) حتى اقتنعت الإدارة الأمريكية وحلفاءها في الناتو بأن هناك فرصة تاريخية لتحطيم الجيش الأحمر السوفييتي على قمم وسفوح الهندوكوش بصورة أسوأ كثيرا مما فُعل بالجيش الأمريكي في فيتنام. فقرر الكونغرس سنة 1982م تبني الجهاد الأفغاني وركوب موجته..

وأدي الإذن الأمريكي بدعمه والأمر بذلك لحلفائهم الأوربيين وأذيالهم من دول العالم الإسلامي، ولاسيما دولا رئيسية مثل الباكستان التي تزيد حدودها مع أفغانستان عن 2200 كيلومتر والسعودية التي تتمتع بنفوذ المرجعية والحرمين على المسلمين، ومصر ذات الوزن الإستراتيجي في العالم العربي والإسلامي، وسواها من الدول إلى فتحت أبواب كافة أنواع الدعم بالمال والسلاح للجهاد الأفغاني.. فقد ساهمت أمريكا وحلفاؤها الأوربيون بحصص مالية كبيرة وألزمت دول الخليج ولاسيما السعودية بدفع حصص كبيرة من الدعم، وانفتح الباب أمام كل من أراد من المسلمين دعم الجهاد الأفغاني، وفتحت الباكستان سفاراتها أمام من يريد الذهاب إلى هناك، وخفضت بعض شركات الطيران العربية قيمة تذاكر السفر أمام من يريد الجهاد! فقد كان ثمة إجازة من أمريكا. واستفادت الحركات الإسلامية ولاسيما الجهادية من الفرصة فتواجدت في الساحة وخاضت معركة نصرة المسلمين.. بالمختصر؛ لقد قدر الله أن تتوفر كل الظروف للانتصار المذهل.. وليس هنا مقام التاريخ لهذه التجربة الفريدة في تاريخ المسلمين بل والعالم في حيثياتها وما نتج عنها، وهو موضوع مهم جدا يحتاج أسفارا خاصة به. ولكن المتعلق بموضوعنا هنا أن نقول أن النزاع بين الجيش الأحمر السوفييتي وحلف وارسو برمته وبين المسلمين على أرض أفغانستان، أسفر عن نصر مذهل أجبر الروس على جر أذيال

الخيبة والهزيمة والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سنوات، أي عام 1989م متكبدين عشرات آلاف القتلى والجرحى وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من 50.000 آلية عسكرية فضلا عن حطام مئات الطائرات..

وهكذا ربحت أمريكا آخر جولة في الحرب بالوكالة مع السوفييت بالضربة القاضية حيث قام المسلمون بلكم الإتحاد السوفييتي تلك اللكمة! وكانت الحصيلة لصالح أمريكا.. وكانت نقطة البداية لانهيار المعسكر الشرقي وانفراد أمريكا بالسيطرة على العالم وتمكنها من إعلان النظام العالمي الجديد.

وتدحرجت الكرة بسرعة إذ أُجبر الروس على إعلان تفكك الإتحاد السوفيتي، وحل حلف وارسو وإزالة جدار برلين بين الألمانيتين.. وسرعان ما استقلت الجمهوريات المتعددة عن روسيا وسقطت الأنظمة الشيوعية في دول أوربا الشرقية تباعا كأحجار الدومينو، وقام محلها أنظمة سارعت للارتماء على أعتاب القوة العظمى الوحيدة في العالم أمريكا..

وهكذا تغيرت معطيات النظام الدولي ليقوم على أنقاضه مرحلة جديدة يمكن التاريخ لبدايتها بـ 1990م موعدا لانطلاق ما سمي بـ (النظام العالمي الجديد).

واجتمع (غورباتشوف) الذي أِشرف على حل الإتحاد السوفييتي بـ (مرغريت تاتشر) رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك بالرئيس الأمريكي

(ريغان). ليعلنوا أن الإسلام وحضارته وشعوبه هم العدو المقبل للحضارة الغربية.. وطرحت فكرة توسيع حلف الناتو ليشمل روسيا ودول أوربا الشرقية، أي دمج (وارسو) في (الناتو) عمليا ولما سُئل عن جدوى ومعنى بقاء حلف الناتو بعد زوال المعسكر الشرقي، ولم لا يحول لحلف اقتصادي وثقافي؟ أجاب القائمون عليه بأن هناك ضرورة لتقويته وتوسيعه لمواجهة الخطر القادم والمتمثل بالإسلام والأصولية الإسلامية.. ثم خلف (كلينتون) (ريغان) ليعلن انطلاق حملات مكافحة الإرهاب الإسلامي.. وبدأت أمريكا رسم سياسات العالم والتدخل في مصائر شعوبه ودوله. ومن أبرز الآثار التي نتجت عن قيام النظام العالمي الجديد على العالم العربي والإسلامي ما يلي:

استدراج أمريكا للعراق لغزو الكويت وتزعم أمريكا وبريطانيا ودول الناتو لحلف دولي من 31 دولة، حيث أُلزمت بعض الدول العربية والإسلامية بالدخول في غزو العراق والخليج. حتى وصل الحشد إلى ما يقارب المليون جندي! كان نصفهم من الأمريكان وشكل الإنجليز 20% منهم فيما شارك الناتو فيه بكامل الأعباء والمسؤوليات.. وأسفرت الغزوة التي كانت باكورة الحملات الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي، كما صرح بذلك أكثر من مسؤول أمريكي، أسفرت عن تثبيت أمريكا لأقدامها في الخليج واحتلاله عمليا.

وكشفت كثير من الدراسات عن هذا البرنامج وهو احتلال منابع النفط والطاقة بشكل مكشوف، كان قد خطط له منذ أوائل السبعينيات أيام الرئيس (كارتر) وشكلت قوات التدخل السريع الأمريكية (المارينز) خصيصا له. وهكذا بدأ برنامج الصليبيين الجدد باجتياح الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

إلزام الدول العربية المعنية والفلسطينيين والعالم العربي والإسلامي من ورائهم بتوقيع اتفاقيات السلام والتطبيع مع اليهود وبدأ البرنامج الصهيوني بالسير نحو طرد الفلسطينيين والسيطرة على المنطقة عبر برنامج التطبيع الثقافي والإقتصادي والسياسي والاجتماعي مع اليهود.

انطلاق ما يسمى بحملات مكافحة الإرهاب ضد الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية، التي تطورت لتكون حملات ضد كافة الصحوة الإسلامية ووصلت في عهد (بوش) الذي تلا (كلينتون) لتكون حملات إبادة أو تركيع لكافة المسلمين. وهكذا بدأت مؤامرة تصفية مكتسبات الجهاد الأفغاني وانطلقت حروب الإبادة ضد المسلمين في البوسنة والشيشان، وانطلقت الحكومات العربية والإسلامية بتنفيذ ما أوكل إليها من تصفية قواعد وتنظيمات الصحوة الإسلامية والجهادية بكاملها في كل مكان.

وهكذا أعيد المسلمون قسرا إلى مسرح الصراع مع الروم بعد أن أسفر صراع الروم فيما بينهم خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى إلى

الثانية ثم مرحلة الحرب الباردة عن حسم المنافسة لصالح أمريكا التي سارعت بريطانيا بالدخول في ركابها وانجرت دول أوربا الناتو من كان راغبا منها ومن كان راهبا للسعي خلفها في إدارة هذا النظام العالمي الجديد.

آخر الحلقات في صراعنا مع الروم :(صراع المسلمين مع أمريكا وحلفائها) حاليا :

أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م، واحتلال أمريكا للعراق، واشتعال الحرب الصليبية ضد المسلمين بقيادة أمريكا ورئيسها الحالي جوج بوش منذ مطلع القرن21:

انتهت ولاية (كلينتون). وأسفرت الإنتخابات الأمريكية عام 2000 عن فوز (جورج w بوش) إبن الرئيس الأمريكي (جورج بوش) الأب الذي انطلق النظام العالمي الجديد والحملات الصليبية في عهده. واستطاع حفنة من رجال أبيه ومن بعض المتطرفين المسيحيين المتصهينين، ممن يطلقون على أنفسهم اسم **(المحافظون الجدد)** الانضمام إليه لتشكيل الإدارة الأمريكية الجديدة. وتسابق القادة والسياسيون والمفكرون والمنظرون منهم إلى إعلان مبادئهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ولم يستحوا منها. فاستعلن أحدهم بالقول:(إن الأمريكان هم ورثة الإمبراطورية الرومانية وأن أعداءها في التاريخ هم أعداءها في الحاضر والمستقبل). ولم يخف بوش فيما بعد قوله (بأنه يقود حملة صليبية على المسلمين). ولم يعد موضوع أولوية دعم إسرائيل واحتلال منابع النفط وزيادة رقعة مكاتب مكافحة الإرهاب في عواصم دول العالم ولاسيما العربية والإسلامية سرا. وانطلقت أمريكا في سياسة تحجيم أوربا ودول

العالم الرئيسية واتخذت الإدارة من مشروع مكافحة الإرهاب عالميا برنامجا لتصفية الحركات الإسلامية وجر الحكومات العربية والإسلامية إليه طوعا وكرها.

وكانت حركة طلاب العلوم الشرعية في أفغانستان أو ما يسمى بـ (حركة طالبان) قد استطاعت إنهاء الحرب الأهلية وهزيمة الأحزاب المتصارعة في أفغانستان ووضعت حدا لانتشار الفساد في الأرض، وأقامت نظاما للحكم بالشريعة الإسلامية، وأعلنت قيام إمارة أفغانستان الإسلامية، ودخلت كابول سنة 1996م وأعلن الملا مُحَمَّد عمر أميرا للمؤمنين فيها. واستطاعت إلى عام 2000م ترسيخ أقدامها وحكمها في أفغانستان والسيطرة على نحو 94 % من مساحتها.

ولما كانت حملات مكافحة الإرهاب قد ضيّقت أقطار الأرض على كثير من شباب الحركات الجهادية، وكثير من الشباب المسلم خاصة من البلاد العربية ووسط آسيا، أصبحت الإمارة الإسلامية في أفغانستان ملاذا ومهجرا لكثير من كوادر وشباب تلك الحركات. فأصبح تدمير الإمارة الإسلامية وإخراج هذه النخبة المهاجرة المجاهدة الذين سموا (الأفغان العرب) منها. وابتدأت أمريكا ذلك بسلسلة من إجراءات الحصار السياسي والإقتصادي والتشويه الإعلامي والمواجهات الأمنية.

وفي صبيحة 11 سبتمبر 2001م، تمكن 19 شابا من المجاهدين التابعين لتنظيم القاعدة الذي يتزعمه الشيخ المجاهد (أسامة بن لادن)، تمكنوا من اختطاف عدد من الطائرات والدخول بها في عمليات استشهادية في واشنطن ونيويورك فدمروا أبراج مركز التجارة العالمية، وجانبا من مبنى الـ (بنتاغون) مقر وزارة الدفاع الأمريكية مما أسفر عن مقتل وجرح عدة آلاف من الأمريكيين ..

ومع أن هذه العمليات شكلت تصعيدا كبيرا بعد عدد من العمليات الأخرى الأصغر حجما ضد الأهداف الأمريكية التي قام بها تنظيم القاعدة أو غيره من التنظيمات بسبب موجة الاعتداءات الأمريكية على المسلمين ودعمهم لليهود في فلسطين ولكافة أعداء الإسلام. إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية والدولية استطاعت تصوير ما تلا ذلك الحدث من ردود أفعال أمريكا الوحشية الطاغية، وإطلاق حرب عالمية لمكافحة الإرهاب ومحاربة المسلمين على كل صعيد، استطاعت تصوير ذلك على أنه رد فعل مبرر بسبب هجمات الإرهاب الإسلامي على أمريكا وأمنها القومي...

وابتدأ بوش حربه العالمية على الإرهاب، وكان من ذلك:

شن حرب إعلامية عارمة من أجل شحن الأجواء وتهيئتها، بتصوير المسلمين عموما والصحوة الإسلامية و الجهاديين خصوصا على أنهم الخطر المحدق بالبشرية. والتضخيم من حجم هذا العدو

وإمكاناته حتى وصل إلى الزعم بأن الجهاديين يمتلكون أسلحة الدمار الشامل، وأحدث تكنولوجيات العصر، وعشرات آلاف المقاتلين المدربين المنتشرين في عشرات البلدان... ودمجت أمريكا كل ذلك تحت مسمى (القاعدة) الذي صنع الأعلام الأمريكي من اسمها (بعبعا) مخيفا يجب محاربته ، حيث أدخلت تحت هذا المسمى كل جهد إسلامي في مواجهتها، بل كل من أرادت سحقه في حملتها. وبهذا بررت أمريكا كل ما تلا ذلك من عدوان وإجراءات، وبررا زحفها في حملة احتلال على الشرق الأوسط والعالم الإسلامي..

الهجوم على الإمارة الإسلامية في أفغانستان وإسقاط حكومة طالبان وتدمير البنية التحتية للمجاهدين الأفغان العرب وغير العرب فيها.

إطلاق حملة مكافحة الإرهاب وإلزام كافة الدول بها، وعقد عشرات المؤتمرات من أجل ذلك. ورفع بوش شعار جده قابيل (لأقتلنك)! وأطلق مقولة (من لم يكن مع أمريكا في حربها مع الإرهاب فهو ضدها) ولم يترك أي هامش للحياد.

أطلق بوش يد أجهزته الأمنية من الـ CIA والـ FBI وسواها، وما تبعها من أجهزة أمن من باقي دول العالم التي أدخلها طوعا أو كرها في حملة بربرية من القتل والأسر والتنكيل والتشريد وإقامة المعتقلات التي

فاقت معتقلات النازية في إجراءاتها ضاربا بعرض الحائط بكل نداءات الهيئات الدولية والأمريكية المعنية بحقوق الإنسان.

في شهر مارس 2003م فرغت أمريكا من إعداد الأجواء السياسية والإعلامية على مدى عام ونصف من التهويل من أجل تضخيم إمكانية العراق ونظام صدام حسين، بامتلاكهم لأسلحة الدمار الشامل، واخترعت وهما آخر هو علاقة (صدام حسين) بـ (القاعدة). وصنعت خوفا من تسرب أسلحة الدمار الشامل (الموهومة) من العراق إلى القاعدة والإرهابيين، بناء على هذه العلاقة (الموهومة). فزحفت جيوش أمريكا وحليفتها بريطانيا بنحو 300.000 جندي مدجج بأرقى ما وصلت إليه التكنولوجية العسكرية عبر التاريخ. وهاجمت العراق انطلاقا من أراضي عدد من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها الكويت وقطر والسعودية والأردن ومصر وباكستان وتركيا.. وعلى مدى عشرين يوما دكت الطائرات والصواريخ الأهداف المدنية والعسكرية ثم أعلنت في أول شهر يوليو انتهاء عملياتها واحتلال العراق. وسارع مجلس الأمن الدولي بكامل أعضائه لإضفاء الشرعية على هذا الإحتلال بعد أن تخلت روسيا وفرنسا وألمانيا عن معارضتها المتعثرة للحرب ودخلت في الفلك الأمريكي.

يهيئ بوش الأجواء الآن هو وكبار رجال إدارته وإعلامه للقفز نحو الخطوة التالية، سوريا وربما إيران ويلوح بتقسيم السعودية والاستيلاء

على مصر.. وليس هنا محل استعراض تاريخ يجب كتابته وتحليله بكل دقة وأمانة نحو أجيال المسلمين القادمة. إلا أن الأهداف المعلنة بلا حياء من قبل بوش وإدارته قد أعلنت بلا خفاء وهي:

تغيير خارطة الشرق الأوسط السياسية بتبديل بعض الأنظمة وإعادة رسم ملامح وجودها.

تغيير خارطة الشرق الأوسط جغرافيا بتقسيم دول وإنشاء أخرى وتوسيع البعض وقضم أطراف أخرى.

إعادة رسم معالم الثقافة والمكونات الحضارية والدينية العرب والمسلمين وتبديل مكوناتها بما يضمن انسجامها مع أفكار المستعمر والقضاء على كل بذور النهضة والمقاومة.

العمل على ربط منطقة الشرق الأوسط بالاقتصاد الأمريكي عبر اتفاقيات للشراكة الإقتصادية والتبادل التجاري تدخل إسرائيل في صلبه ويحول شعوب المنطقة إلى عبيد مستهلكة للإنتاج الأمريكي وإدارة الصهيونية.

احتلال العراق لأجل غير مسمى والسيطرة بذلك على أكبر احتياط نفطي في العالم فضلا عما تسيطر عليه من نفط الخليج ووسط أسيا بما يضمن لأمريكا أن تمسك بشريان الاقتصاد العالمي وتتحكم بدول أوربا وروسيا وشرق آسيا والصين.

فرض المشروع الصهيوني لدولة إسرائيل التي أصبحت تمتلك الجيش الوحيد وليس الأقوى فقط في المنطقة بعد أن فككت أمريكا جيش مصر ودمرت جيش العراق ووضعت لسوريا برنامج إلغاء جيشها وعدم تحديثه وإلغاء التجنيد الإلزامي فيه مما يخفض عدده إلى الحد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط.

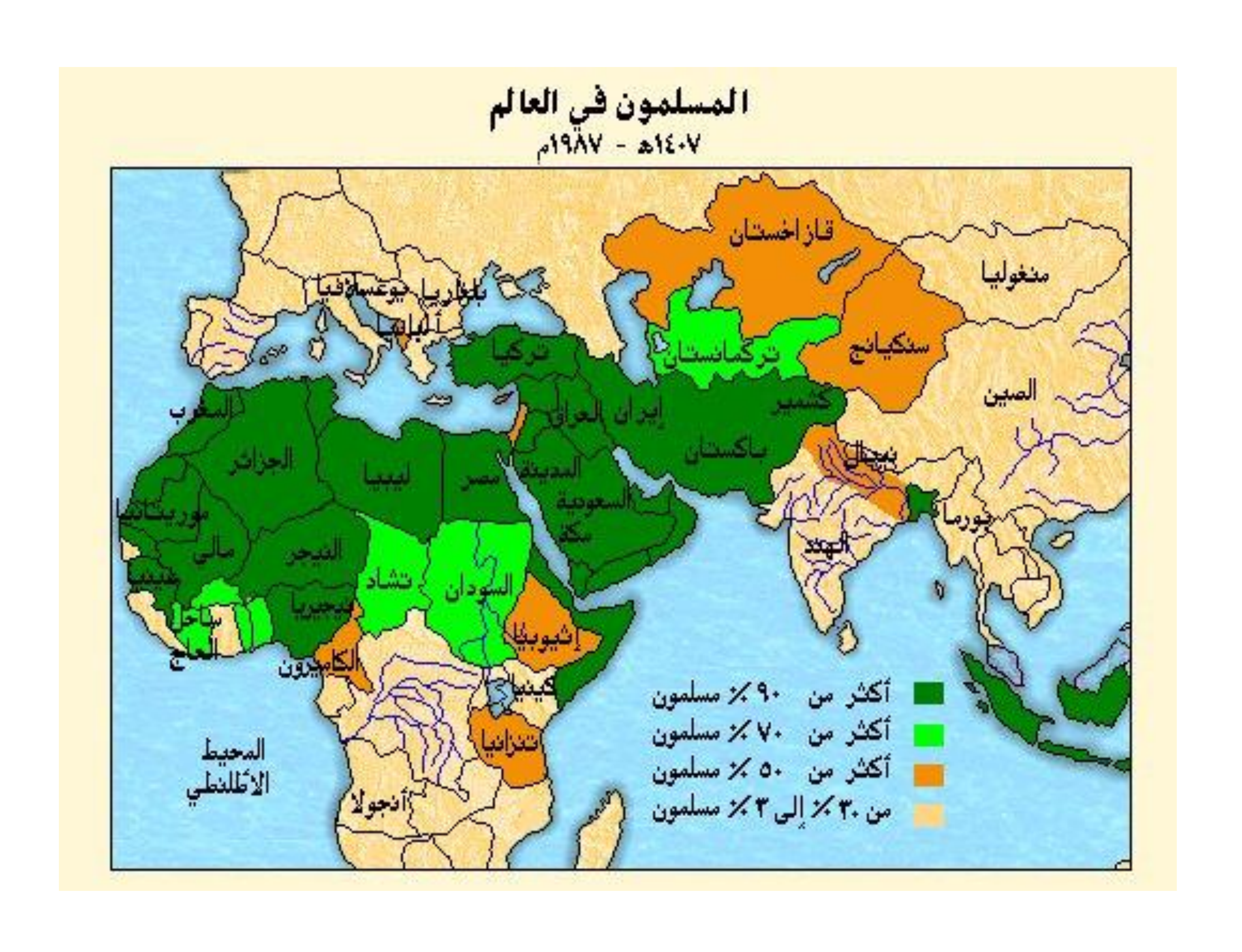
وهكذا عاد شعار (لأقتلنك) ليرفع من جديد على يد هولاكو القرن الحادي والعشرين: (مستر بوش!) وحملته الصليبية اليهودية الأمريكية البريطانية الجديدة.

وليستمر الصراع بكل جلاء بين الإسلام والمسلمين وخصومه الروم الجدد كما كان عبر 14 قرنا. تماما كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .. صراعا أبديا أزليا مع الروم. وسيستمر كذلك إلى قيام الساعة.

خلاصة النظام الدولي، وصراع المسلمين مع الروم عبر التاريخ الإسلامي

المرحلة وتاريخها	أطراف الصراع	ملاحظات
المرحلة النبوية بعد قيام دولة المدينة: 1 هـ – 11 هـ	المسلمون × مشركي جزيرة العرب المسلمون × الروم	عم الإسلام جزيرة العرب بعد عام الوفود مؤتة . تبوك . بعث أسامة رضي الله عنه
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: 11 هـ – 13 هـ	المسلمون × المرتدين في الجزيرة المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	تثبيت الإسلام في الجزيرة بداية فتوح العراق فتح الأردن وجنوب فلسطين
خلافة عمر رضي الله عنه: 13 هـ – 25 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	فتح العراق وفارس (القادسية . نهاوند) فتح الشام ومصر
خلافة عثمان رضي الله عنه: 25 هـ – 33 هـ	المسلمون × الفرس المسلمون × الروم	زوال فارس ودخولها في الحضارة الإسلامية فتح شمال إفريقيا ودخول الأندلس وبعض جزر المتوسط
خلافة علي رضي الله عنه: 33 هـ – 40 هـ	الفتنة الكبرى المسلمون × الروم	لا حول ولا قوة إلا بالله هدنة مؤقتة
الخلافة الأموية: 41 هـ – 132 هـ	المسلمون × الترك وسط آسيا المسلمون × الروم	فتح تركستان والسند وما وراء النهر تثبيت الفتح في شمال إفريقيا والأندلس وفتح بعض جزر المتوسط

الخلافة العباسية: 132هـ –656هـ	المسلمون × الروم المسلمون × التتار	مواجهات العباسيين مع الروم البيزنطيين, هدنة مع الروم الغربيين (ملوك أوربا) . المسلمون في الأندلس × الروم الغربيين
دول الطوائف الإسلامية: 656 هـ – 1452م	المسلمون × الروم	المسلمون × الصليبيين والبيزنطين في الشام. المسلمون في الأندلس × ملوك أسبانيا وأوربا
الدولة العثمانية: 1452م – 1924م	المسلمون × الروم	الصراع بين الدولة العثمانية والدول الأوربية خلال مرحلة الفتح ثم مرحلة السقوط
المسلمون تحت الإحتلال خلال ما بين الحرب–ي–ن: 1914م – 1945م	الروم × الروم المسلمون × الروم	أوربا × أوربا الحرب العالمية الأولى والثانية المسلمون يجاهدون الإحتلال
المسلمون تحت حكم نواب الإستعمار: 1945 م – 1990م	الروم × الروم المسلمون × المرتدين نواب الروم	الحرب الباردة: روسيا × أمريكا الحكام المرتدين × الصحوة الإسلامية
النظام العالمي الجديد: 1990 م – 20؟؟م	أمريكا × كل البشرية ! المسلمون × الروم بقيادة أمريكا	نظام القطب الأوحد والسيطرة الأمريكية على الأرض. الحركات الجهادية × أمريكا وحلفائها


المسلمون في العالم
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
قازاخستان
منغوليا
بلغاريا
ألبانيا
تركمانستان
سنكيانغ
تركيا
الصين
المغرب
كشمير
إيران
العراق
الجزائر
ليبيا
مصر
المدينة
باكستان
نيبال
موريتانيا
السعودية
مكة
بورما
مالي
النيجر
الهند
تشاد
السودان
نيجيريا
إثيوبيا
الكاميرون
كينيا
تنزانيا
المحيط الأطلنطي
أنجولا
أكثر من ٩٠ ٪ مسلمون
أكثر من ٧٠ ٪ مسلمون
أكثر من ٥٠ ٪ مسلمون
من ٣٠ ٪ إلى ٣ ٪ مسلمون

الفصل الرابع
الصراع مع الروم
ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ

- عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**).
- وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (**ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا ، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن. أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**).

الفصل الرابع
الصراع مع الروم
ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ

كما تبين لنا من الفصل السابق فقد استمر صراع المسلمين مع الروم منذ عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا وما زال. وقد أخبر رسول الله ﷺ في بعض الآثار التي تعتبر من معجزات نبوته ﷺ عن أن قتالنا معهم قتال أزلي مستمر إلى قيام الساعة ومن تلك الآثار:

جاء في مسند الحارث وزوائد الهيثمي ج2 / ص 713 :

باب قتال فارس والروم: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن بن محيريز قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**) وقد أورده ابن حماد في كتاب الفتن ج2/ ص 479.

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله. الحديث رقم 17335:

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ

الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿ **أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ** ﴾ فَقَالَ لَهُ عمرو أَلَمْ أَزْجُرْكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا).

وفعلا فقد صدّقت أحداث التاريخ ما كان قد أخبر به رسول الله ﷺ. فما أن قامت دولة الإسلام على عهد النبي ﷺ حتى بدأ اشتباك المسلمين مع الروم وتتابع ذلك كما أوجزنا سابقا بلا توقف حتى يومنا هذا. فقد قرأت في إحدى الصحف أيام حرب الخليج الثانية. (عاصفة الصحراء وتحرير الكويت) أن بعض المؤرخين قد أحصى الحروب التي قامت بين المسلمين والروم. فبلغت أكثر من 3600 حرب بين مختلف دول الإسلام ودول الروم! خلال 1410 سنين.

فقد قاتل المسلمون أمما كثيرة، من الفرس والترك والسند والهند والمغول والصين.. وغيرهم وقد كانت جميعها حروبا وصدامات محدودة بتاريخها وزمانها. ولكن التاريخ أثبت أنها الروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن وكلما تلاشت دولة منهم آلت القيادة إلى أخرى، فهم أهل جيوش البر والبحر. وما زلنا وإياهم في قتال وسيبقى ذلك إلى قيام الساعة. فحتى اليهود سينتهي القتال معهم بإبادتهم في معركة الحجر والشجر. وحتى يأجوج ومأجوج سينتهي القتال معهم حيث يهلكهم الله تعالى. ولكنهم الروم ودولهم وممالكهم والقتال معهم إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث وهم أشد الناس على المسلمين.

بل تقوم الساعة والروم أكثر الناس كما في الحديث الصحيح رغم أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق وهم غالبيتهم وما ذاك إلا لأنهم حازوا من الخصال – بقدر الله – ما مكنهم من البقاء.

فقد جاء في مسند الإمام أحمد: (**عن المستورد الفهري أنه قال لعمرو بن العاص تقوم الساعة والروم أكثر الناس فقال له عمرو بن العاص أبصر ما تقول قال أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال عمرو بن العاص إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالا أربعا إنهم لأسرع الناس كرة بعد فرة وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف وإنهم لأحلم الناس عند فتنة والرابعة حسنة جميلة وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك**).[50]

ومن المفيد ونحن نتصدى في البحث للإجابة على السؤال الهام، الذي كتب الكتاب من أجله وهو: (كيف نواجه أعداءنا في عالم ما بعد سبتمبر بقيادة أمريكا ؟) أي كيف نتصدى للحملات الصليبية اليهودية الثالثة بنجاح إن شاء الله. من المفيد أن نعرض للمحطات الرئيسية في صدامنا مع الحملات الصليبية السابقة، لنتلمس مفاتيح النصر والهزيمة فيها، عبر دراسة تحليلية هادفة. وهي مادة هذا الفصل إن شاء الله.

---

[50] (مسند أحمد 17334)

كيف سارت تلك الحملات الأولى والثانية وهذه الثالثة الأخيرة؟ من كان أطرافها من جانب الروم؟ من قام بالمواجهة والدفع والمقاومة من جانب المسلمين؟ من كان معنا ومن كان علينا من داخلنا ومن خارجنا خلالها؟

ولن أقف هنا مع تفاصيل أحداث التاريخ، فهو مسجل معروف في مراجعه، ولا سيما تاريخ الحروب الصليبية الأولى وكذلك الثانية التي تمثل تاريخ العرب الحديث. وقد مر نبذة عن ذلك في الفصل السابق. ولكني سأكتفي هنا بالتحليل واستقصاء العبر واستخلاص الدروس.

فهذا الفصل من أهم مرتكزات دعوة المقاومة في مجال فقه الواقع واستكشاف أسباب النصر والهزيمة ..

وسنأخذ من التاريخ المحطات الرئيسية الثلاثة لحملات الروم على المسلمين. ونعتبر لها تقسيما تاريخيا نظريا، حيث نلاحظ أنها كانت على الشكل التالي:

- **الحملات الصليبية الأولى** (من منتصف القرن الحادي عشر وإلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي تقريبا)، على سواحل بلاد الشام ومصر وكان فيها احتلال بيت المقدس.
- **الحملات الصليبية الثانية** (1800-1970م) تقريبا. على مكونات الدولة العثمانية والعالم الإسلامي ولاسيما العالم

العربي بعد معاهدة (سيكس-بيكو 1919م) ووعد بلفور (1917م).

- **الحملات الصليبية الثالثة** (1990- 2004 م وما زالت) على العالم الإسلامي عامة والشرق الأوسط خاصة.

وهناك ملاحظة واضحة وهي أن مركز الصراع كان في الحملات الصليبية الثلاثة يدور في بلاد الشام وما جاورها من بلاد العراق ومصر وجزيرة العرب بشكل رئيسي. وهناك كانت مفاتيح النصر والهزيمة لكلا الطرفين.

ولا ننسى أن ساحة الصراع الحديث (منذ القرن السادس عشر وإلى اليوم) مع الروم المعاصرين عموما، قد امتدت على طول رقعة العالم الإسلامي وعرضه واستهدفت كافة بلاده من أقصى جزر الفلبين في المحيط الهادي شرقا وإلى أقصى سواحل مراكش وموريتانيا على ضفاف الأطلسي غربا. ومن وسط آسيا والقرم والبلقان وشمال إفريقيا شمالا، وإلى أواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأندونيسيا جنوبا.

المرجعيات عند المسلمين

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصليبية الثلاثة ومعادلات القوى فيها. من المفيد أن نلفت النظر إلى مفهوم المرجعية والقيادة لدى المسلمين عبر التاريخ الإسلامي لأن ذلك يساعد كما سنرى على فهم إدارة ذلك الصراع.

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن (أولي الأمر) كمصطلح سياسي شرعي لدى المسلمين، هم العلماء والأمراء. وبحكم النصوص الشرعية وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس الناس وقياداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثالث في المرجعية لدى المسلمين إلى جانب الأمراء والعلماء. وهكذا يمكن تحديد المرجعية لدى المسلمين عبر تاريخهم. بثلاثة مرجعيات. هي بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السياسية: وتتكون من الخليفة الشرعي حال وجوده أو من السلاطين والملوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك التي غلبت على معظم التاريخ الإسلامي.

المرجعية الدينية: وتتكون من علماء الدين الإسلامي حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبار علمائهم وفقهائهم المتبوعين عبر التاريخ الإسلامي. ثم ظهرت القيادة الروحية للطرق الصوفية ومشايخها ذوي الأتباع والنفوذ. وكثيرا ما كان أئمة

المذاهب أنفسهم أئمة للطرق الصوفية المتبوعة في أغلب رقعة العالم الإسلامي.

المرجعية الاجتماعية: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر التي تكون البنية الأساسية للمجتمعات العربية والإسلامية.

وهكذا كان عبر التاريخ الإسلامي في حالات الوحدة السياسية تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن الناس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

ولست هنا بصدد الاستطراد في تحليل ذلك ودوره في التاريخ الإسلامي وآثاره السياسية والاجتماعية إلا بالقدر اللازم لفهم بنية المقاومة في المجتمعات الإسلامية ضد الحملات الصليبية، ودور هذه المرجعيات في ذلك.

كما أن من الضروري أن أوضح أن هذا التقييم الدراسي القائم على الملاحظة والاستنتاجات، ليس تقييما للصواب والخطأ في مناهج تلك التجمعات لا من الناحية العقلية ولا من وجهة النظر الشرعية. فقد يفيد البحث أن شريحة معينة أو مذهبا معينا كان له دور في المقاومة نذكره بحسب أهميته، من دون أن يكون ذلك- كما يفترض أن ذلك مفهوم- تزكية لتفاصيل معتقدات ونهج وطريقة تفكير

أصحاب تلك الظاهرة. فهو تقييم وتصنيف دراسي وليس تقييم ترجيح وتصويب للمناهج والمعتقدات على سبيل تحديد الصواب من عدمه. وفق موازين السياسة الشرعية.

وأعتقد أنه في حين يجهل أكثر المسلمين اليوم دور هذه المرجعيات وتماسكها وأثر ذلك على تماسك الأمة وقدرتها على المقاومة، فإن العدو قد أدرك ذلك وعمل على تحطيم هذه المرجعيات الثلاثة ما وسعه ذلك. واخترع بدائل لها أو أفسدها وجعلها تخدم أغراضه كما سنرى بالسير مع تلك الحملات في الدراسة التحليلية التالية.

الحملات الصليبية الأولى (1050–1291م)

المستخلص على سبيل النبذة من المراجع التاريخية، أنه لما ضعفت خلافة بني العباس وصار النفوذ من حول الخليفة العباسي للقادة والجند الذين كان معظمهم خلال النصف الثاني من تاريخها من الأتراك الذين نصبوا سلطانا منهم كان الحاكم الفعلي لمركز الخلافة وما حولها. وانحصر نفوذ الخليفة في الغالب في قصره أو في بغداد وما حولها.. ومع الوقت استقل الأمراء الذين يتبعون للخليفة نظريا في أطراف دولة الخلافة بدول وممالك متعددة، كثيرا ما تصارعت فيما بينها أو تصارع كبراؤها على الملك والسلطان فيها. وتقسمت تلك الممالك في كثير من الأحيان لتشتمل على مجرد مدن صغيرة أو حتى

قلاع وحصون. فمملكة في الموصل، وأخرى في بيروت، وثالثة في طرابلس، ورابعة في حلب، وأخرى في دمشق وهكذا. وسيطرت الشيعة على بلاط الخليفة ببغداد، وانتشر القرامطة في الخليج العربي، وسيطر الإسماعيلية والنصيرية من غلاة الشيعة على سواحل الشام وقامت الدولة العبيدية التي نسبت نفسها للفاطمية وأقامت خلافة مستقلة لها في مصر استمرت ما يقرب من قرنين.

خلال ذلك الوقت مطلع القرن الحادي عشر الميلادي أطلق بابا الفاتيكان نداءه إلى ملوك أوروبا بضرورة تخليص بيت المقدس وصليب الصلبوت - الذي يزعمون كذبا أن المسيح صلب عليه- من أيدي (الكفار) — يقصد المسلمين- وسرعان ما استجاب الملوك من مختلف أوروبا ولاسيما إنجلترا وفرنسا وألمانيا للنداء لمصالح سياسية واقتصادية كما يذهب كثير من المؤرخين ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن دوافعهم أيضا. وتعاون قيصر القسطنطينية مع تلك الحملات بتزويدها بالمؤن عند مرورها من أراضيه في شرق أوربا وآسيا الصغرى وكذلك بوضع الأسطول الروماني في خدمتهم.

وهكذا تتالت الحملات الصليبية التي يؤرخ لها المؤرخون بسبع حملات رئيسية على سواحل الشام وجنوب غرب الأنضول (في منطقة الرها وهي ما بين أدنه ولواء اسكندرون في تركيا اليوم) ومصر أخيرا عبر مائتي سنة. وتمكن الصليبيون خلالها من احتلال بيت

المقدس وإقامة إمارة مركزية فيه، وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصليبية المستقلة عن بعضها بحسب ارتباطها بملوك أوروبا المتعاونين على المسلمين المتصارعين فيما بينهم في كثير من الأحيان.

كانت الإمارات الإسلامية المحاذية للإمارات الصليبية ضعيفة مفككة متصارعة فيما بينها، كإمارات حلب وحماة ودمشق وحمص والموصل. وقد شهدت الكثير من الانقلابات والتصارع الداخلي. وأذاق الأمراء والسلاطين فيها شعوبهم ويلات المكوس وأنواع المظالم. وهكذا احتل الصليبيون المناطق الواقعة بحسب مصطلحات الجغرافيا المعاصرة منطقة لواء الاسكندرون والساحل السوري غرب الشام من الجبل إلى البحر المتوسط ومنطقة لبنان وفلسطين بالكامل. ولم يستطع الخليفة العباسي الضعيف في بغداد أن يفعل شيئا. ولم يحرك الخليفة الفاطمي في القاهرة ساكنا، بل شهد تاريخ الفاطميين تعاونا مع الصليبيين. كما سجل التاريخ تعاون النصيرية الذين يسكنون الجبال الغربية في محاذات الساحل في سوريا مع الصليبيين أيضا حيث قاتلوا إلى جانبهم. وشهد العالم الإسلامي خاصة والمشرق العربي عامة حالة شديدة الاضطراب والضعف في تلك الفترة.

ولكن الوثائق التاريخية التي تثبت هذا الحال المتدهور على صعيد المرجعية السياسية تثبت في الوقت ذاته أن تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميا برز فيه الكثير من العلماء الكبار والأئمة والخطباء ،

وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدينية ومسؤولية سياسة الناس إلى جانب المرجعية الاجتماعية بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء...

حيث كانت البنية الاجتماعية القبلية متماسكة سليمة البنيان، وهكذا رجع الناس إلى رؤوسهم من العلماء ورؤوس القبائل وصدروا عن رأيهم.

ومع قدوم الصليبيين هب العلماء والخطباء يحثون الناس على الجهاد ويطرقون أبواب الأمراء يحرضونهم على القتال، بدء من باب الخليفة في بغداد وصولا إلى أبواب أمراء الشام... ولكن المراجع التاريخية تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد أنواع الأمراء وحكام المدن والحصون.. وقد ذكر بعض المؤرخين من قصص تلك المرحلة، أن العلماء جالوا المساجد واستحثوا الناس وجمعوا أموالا من أجل بناء جيش للجهاد، وطرقوا أبواب الأمراء بحثا عن أهل لهذه المهمة، فلم يرحب بهم أحد من الأمراء حتى سمعوا بأحدهم على أنه مظنة خير ونخوة، فذهبوا إليه ودفعوا إليه المال بعد أن وعدهم خيرا، ثم رجعوا إليه ولم يعثروا عليه فبحثوا عنه شهرا في بادية الشام فوجدوه قد خرج للصيد وبنى بأموالهم التي جمعت لجهاد الصليبيين قصرا في البادية ليأوي إليه مع ندمائه وحاشيته في ليالي الصيد والقنص!!

وروى المؤرخون أن حال أكثر الأمة آنذاك كان انصرافا إلى الدنيا وزخرفها ورووا كيف أن الخطباء والوعاظ كانوا يلهبون حماس الناس في المساجد التي كانت تضج بالبكاء والعويل، حتى ما إذا خرج الرجال من المسجد عاد كل إلى دنياه لا يلوي على شيء... وكأنما يعيد التاريخ نفسه اليوم!!

وسرعان ما أفاقت الأمة من الصدمة وعملت المرجعية الدينية عملها في الأمة، حيث تروي الكتب التي أرخت لتلك المرحلة كيف قامت هذه المرجعية الدينية بشحذ همة رجال الأمة وكيف تجاوبت المرجعية الاجتماعية ورؤوس القبائل والعشائر في الشام وما حولها مع نداءات الجهاد، وباشرت نخب الأمة آنذاك بالاشتباك مع الصليبيين منذ اليوم الأول .. إلى أن تصاعدت المقاومة.

واستردت الأمة مرجعيتها السياسية بسرعة بقيام أحد أمراء شمال الشام وهو الأتابك الأمير المجاهد (عماد الدين زنكي) الذي تصدى للصليبيين شمال غرب الشام واستطاع إسقاط إمارة الرها الصليبية.فلمع نجمه والتف المجاهدون وبعض الأمراء حوله وبدأت تتكون نواة الدولة الزنكية التي كانت عاصمتها في البداية الموصل (شمال غرب العراق على حدود الشام) ثم انتقلت إلى حلب (شمال غرب الشام) في عهد ابنه الملك (نور الدين محمود زنكي) رحمه الله. الذي تولى بعد أن اغتال الحشاشون الباطنية من نصيرية الشام أباه،

فتولى الإمارة وامتد سلطانه ليشمل شمال العراق وسوريا و الأردن ولتقوم الدولة الزنكية وليحمل نور الدين على عاتقه مهمة بناء القاعدة الأساسية للجهاد ضد الصليبيين في المشرق، حيث يعود الفضل إليه رحمه الله في كل الأمجاد التي حصلت فيما بعد على يد صلاح الدين. وتاريخ هذه الفترة مشهور جدا. قد تناولته الكتب ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما يغني عن الترديد والاستطراد.

فقد قضى الملك الزاهد نور الدين حياته مجاهدا للصليبيين في الشام، محققا الانتصار تلو الآخر وامتد سلطان الزنكيين إلى دمشق التي صارت عاصمتهم بعد حلب في الجهاد.

واهتم الصليبيون بالاستحواذ على مصر لما لها من أثر في دعم من يستحوذ عليها في الصراع على الشام. حيث أغراهم ضعف الفاطميين ومكاتبة بعض كبار وزرائهم للصليبيين في بيت المقدس يستقدمونهم إلى مصر ويعدونهم بتسليمها. وأدرك نور الدين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدين شيركوه) ليدعم جيش الخليفة الفاطمي ضد الحملة الصليبية المرتقبة على مصر. واصطحب أسد الدين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدين الأيوبي) رغم كراهته لمغادرة الشام. ولكن أقدار المجد كانت بانتظاره في مصر.

توفي أسد الدين شيركوه الذي كان الخليفة الفاطمي يستقوي به على وزرائه المتصارعين على السلطان والمتآمرين مع الصليبيين. فاختار الخليفة الفاطمي صلاح الدين لمنصب الحاجب الذي يرأس الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه على أمراء الفاطميين. وحصلت الحملة الصليبية على مصر واستبسل صلاح الدين وجيش الشام ومصر، وأمدهم نور الدين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصليبية التي هاجمتهم برا وبحرا بمساعدة أسطول الروم القادم من القسطنطينية. وبعيد النصر بقليل توفي آخر الخلفاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدين نهاية الخلافة الفاطمية، وخطب الجمعة باسم الخليفة العباسي وأعاد المذهب السني الشافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها. حتى خشي نور الدين ومعاونوه في دمشق من استقلال صلاح الدين بملك مصر، فأرسل إليه مرات يستقدمه، فأبطأ صلاح الدين عليه، حتى هم نور الدين بالخروج إلى مصر بجيشه ليضمن ضمها إلى مملكته من أجل توحيد مصر والشام في الجهاد ضد الصليبيين.

وكان من قدر الله ولطفه أن توفي نور الدين الملك الزاهد المجاهد. فأعلنت أسرته ولده إسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره. فنزل صلاح الدين إلى دمشق معترفا بإسماعيل ومن أجل مناقشة مواجهة الصليبيين واجتمع أهل الحل والعقد من علماء وقادة

مصر والشام على بيعة صلاح الدين الأيوبي سلطانا على بر مصر والشام، حيث اقتنعوا بعدم صلاحية أن يؤول الأمر إلى طفل في ظروف مواجهة الصليبيين، وضرورة قيام سلطان قوي لولاية أمر المسلمين وقيادة الجهاد. وبذلك قامت الدولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدين إلى مكاتبة الأمراء في الحجاز واليمن وشمال إفريقيا وكذلك ملوك السلاجقة في الري شمال العراق ، وكذلك توطدت علاقته بالخليفة العباسي في بغداد محاولا رص صفوف الأمة في المواجهة المقبلة. حيث كان صلاح الدين قد عقد هدنة مؤقتة مع الصليبيين حتى يفرغ من القضاء على فتن صغار الأمراء من الفاطميين في مصر والمتناحرين على الإقطاعيات والحصون في الشام. ثم نقض الصليبيون الهدنة بإغارة قائدهم (أرناط) على قافلة للحجاج جنوب الأردن فنقضت الهدنة واشتعل القتال وتتالت انتصارات صلاح الدين وتتوجت بمعركة حطين ثم بفتح بيت المقدس لينصب صلاح الدين منبر الجمعة الرائع الذي كان نور الدين زنكي رحمه الله قد أمر بصناعته ليضعه في المسجد الأقصى لأول خطبة جمعة بعد الفتح. وكان القدر أن ينصب في عهد صلاح الدين ويخطب عليه إمام مسجد الجمعة في حلب الذي كان قد بشر بالفتح الذي تم سنة 583 هجرية. في نفس الموعد الذي بشربه الشيخ!!

ولما أدركت الوفاة صلاح الدين، قسم المملكة بين أبنائه الذين سرعان ما اختلفوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الذي تولى ملك مصر والشام وحصلت في عهده آخر الحملات الصليبية التي كانت على مصر، والتي قادها ملك فرنسا (لويس التاسع) الذي أسره الملك العادل وأودعه السجن في المنصورة. ثم أطلق سراحه. وهناك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصليبية العسكرية كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكري للشرق الإسلامي وضرورة العمل على الغزو الفكري حيث شكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصليبية المعاصرة التي قامت على التبشير والتغريب ثم الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون.

ثم توفي الملك العادل بعد أن حمل مهمة جهاد الصليبيين، ثم لما آل الأمر إلى الملك الصالح إسماعيل الذي صار سلطانا على الشام، وإلى عمه الملك نجم الدين أيوب الذي صار ملكا على مصر. وتواطأ إسماعيل مع الصليبيين واستعان بهم ضد نجم الدين في مصر وأعطاهم عددا من القلاع والحصون، وسمح لهم بشراء السلاح من أسواق دمشق. فوقف له بالمرصاد سلطان العلماء في زمانه (العز بن عبد السلام) عالم دمشق، فسجنه ثم أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سلطان مصر الذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد. وصارت قوة كل أمير من أمراء مصر والشام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الذين كان كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان. وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشام تبعا لذلك،بعد وفاة نجم الدين أيوب أثناء معركة المنصورة (1250م). حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثم تنازلت له عن الملك. لتقوم بذلك الدولة المملوكية. وكان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام – رحمه الله – القصة التاريخية المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنهم عبيد غير أحرار. واضطروا للنزول على فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال المسلمين حتى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجهاد ضد التتار الذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشام ... وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي المجاهد (قطز) الذي لم يفت له سلطان العلماء بالأخذ من أموال العامة لشراء السلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال أمراء المماليك لذلك الغرض. فأفتاه وحرض

المسلمين على الجهاد في مصر والشام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار.. أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظاهر بيبرس قطز على السلطان بعد أن اغتاله وهم عائدون من عين جالوت ليظفر بالملك وبهجة النصر! ومع ذلك حمل بيبرس مسؤولية جهاد الصليبيين في الشام زهاء 27 ، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم. حيث تم الجلاء الكامل في عهد السلطان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصليبية الأولى (1291م).

والمستخلص من مسار هذه الحملات دروس وعبر كثيرة وما يخصنا لهذا البحث هو معرفة ما كان من أمر المرجعيات التي تولت إدارة المواجهة في الطرف الإسلامي:

1- **المرجعية السياسية:** كانت غائبة ابتداء. ثم تكونت عبر الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك.

2- **المرجعية الدينية:** تولت المواجهة إلى أن قامت المرجعية السياسية. ثم وقفت ردءا لها إلى نهاية المواجهة.

3- **المرجعية الاجتماعية:** وقفت إلى جانب المرجعيتان. واكتمل النصاب، فواجهت الأمة الإسلامية أمة الصليبيين.

وكانت معادلة المواجهة في الحملات الصليبية الأولى باختصار:

أمة الإسلام × أمة الصليب ← انتصرت أمة الإسلام

لم تواجه أمة الإسلام بشرائح قليلة، ولا بعصابات صغيرة، ولا بتنظيمات محدودة لا سرية ولا علنية... لقد وقفت الأمة بكاملها للحملات الصليبية وهزمتها. ولم يعطل صراع الأمراء والسلاطين على الملك ولا خور عامة الأمة وقعودها عن الجهاد.

۞۞۞۞۞۞۞

الحملات الصليبية الثانية (1798–1970م)

أقامت الحملات الصليبية الأولى في المشرق العربي زهاء مائتي سنة. مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإسلامية. ليس عسكريا فحسب. فقد كان هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجارية بين الإمارات الصليبية والإسلامية من حولها. وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدين الأوربيين أن يزوروا بلاد المسلمين ويطلعوا على البون الشاسع في التفكير والتطور والنظام السياسي والإقتصادي والحياة الاجتماعية والثقافية. كما تمكنوا من نقل كثير من

المخطوطات والكتب حتى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصليبية من أسباب عصر النهضة في أوروبا ونهاية العصور الوسطى.

وفي أواخر أيام الحملات أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم.

وفي الحملات الأخيرة على مصر(1249 ميلادية)، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا مع آلاف من جنوده الصليبيين بيد المماليك، وأودع السجن. وهناك كان لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين. وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة).

ثم ما لبثت الحملات الصليبية الأولى أن انتهت كليا بسقوط عكا سنة (640 هجرية – 1291 ميلادية).

وهكذا أدرك الغرب الصليبي أنه لا يمكن التغلب على المسلمين بالقهر والقوة العسكرية لأن ذلك يستفز لديهم بسبب المشاعر الدينية وطبيعة عقيدتهم كل أسباب المقاومة والقتال. وأن السبيل إلى ذلك هو غزوهم فكريا وتغيير طريقتهم في الاعتقاد والتفكير لتجفيف جذور قوتهم وقدرتهم على المقاومة ومن ثم يسهل الاستيلاء عليهم عسكريا.

الغزو الفكري للمسلمين ونتائجه العملية في الميدان السياسي:

انتهت الحملات الصليبية الأولى نهاية القرن الثالث عشر، وابتدأت الثانية مطلع الثامن عشر. فكيف استفاد الصليبيون من مدة 500 سنة للإعداد والتخطيط للعودة على خبرة ومعرفة ؟!

منذ عادت بقايا الحملات الصليبية مدحورة إلى أوربا انكب العلماء والمفكرون الأوربيون على دراسة خلاصة حضارتنا العربية والإسلامية ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدراسة الشرقية. ومع انهيار الحكم الإسلامي للأندلس 1492م. حصل مثل ذلك وخلال القرون السادس عشر والسابع والثامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين. ثم نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربا على دعم المهام المقدسة للبحارة والمكتشفين .. وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هؤلاء البحاثة والبعثات الإستشراقية والاستكشافية في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات التي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا ...

وأذكر على سبيل المثال من ذلك أني دخلت مكتبة جامعة الدراسات الشرقية في لندن للبحث عن كتب في التاريخ السياسي المعاصر للجزائر، فلما دخلنا إلى دليل كمبيوتر المكتبة علمت أن

المكتبة تحوي على ما طوله 114 كم من الرفوف المرصوصة بالكتب من مختلف الدراسات واللغات من العربية وسواها ! ولما طلبت منه كتب عن الجزائر ... علمت بوجود 30000 كتاب عن الجزائر بمختلف اللغات. فلما حددنا اللغة العربية أذكر أنها كانت ما يربوا عن 5000 كتاب فلما حددنا المطلوب باللغة العربية عن التاريخ السياسي المعاصر للجزائر عثرت على 263 كتاب. ووجدت ضالتي من وثائق مرحلة الاستقلال في عشرات الكتب منها !! فتأمل ... وقد عرفت بالصدفة أن المكتبة تحوي 6000 مخطوطة بلغة البشتون تعود لتواريخ مختلفة ولك أن تتساءل. كم من البشتون يعرف قراءة لغتهم المكتوبة ؟! فيما درسها علماء أوربا وقرؤوا مخطوطاتها !

ولقد رأيت مثل ذلك في مركز (جورج بومبيدو) في باريس وهو مكتبة مقروءة مسموعة مرئية تحتوي مئات آلاف الكتب والأبحاث والدراسات ...، وسعت عن مثل ذلك عن جامعات هولندا وألمانيا ويرها. ورأيت في أسبانيا مكتبة (الأوسكوريال) قرب مدريد حيث تحتوي زهاء خمسين ألف مخطوطة عربية، عدا ما تحتويه مكتبة الفاتيكان وسواها من مراكز التبشير والتنصير ..

باختصار.. لقد توغل الإستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه .. لقد تحركوا بعلمية وعملية .. إنهم الروم وخصالهم. هؤلاء الذين لا

يعرف أكثرنا عنهم إلا ظاهر قشرتهم الحضارية حاليا من الانحلال والفجور والمجون .. ولكن القاعدة الحضارية لهذه الأمم الرومية أعقد من ذلك بكثير. ولا بد من أن نعرفهم كما عرفونا ونقاومهم على بصيرة كما غزونا على بصيرة ومعرفة ...

وقد كتب بعض المؤرخين والبحاثة العرب والمسلمين عددا من الكتب حول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المرء من ترابط هذه المواضيع الثلاثة ... وهكذا بدأ الغزو الفكري لبلادنا مع قدوم حملة نابليون (1789م). وبدأ تغلغل الماسون في البلاد العربية والخلافة العثمانية. وبدأت رياح التغريب والإستعمار الفكري تهب على بلادنا قبل الإستعمار الذي أتى بزخمه أواسط القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .. وكان قد بدأ منذ القرن السادس عشر يقضم أطراف العالم الإسلامي.

وعلى منحى مواز للغزو الفكري دأبت طلائع الإستعمار على صناعة الصنائع الاستعمارية وإقامة علاقاتها بمختلف شرائح المجتمع ولاسيما قطاع أمرائه وعلمائه وهكذا تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإسلامي الذي كان يرتمي مريضا يحتضر مع الخلافة العثمانية. فلما نضجت الطبخة الاستعمارية الكبرى. أعان الإستعمار على غزواته ما حققته أوربا مما أسلفنا من النهضة العلمية والثورة الصناعية

والتطـور في مجـال السـلاح ووسـائل النقـل السـريعة .. وهكـذا دهمنـا الإستعمار وقد توفر له كل شيء وتساقطت بلاد المسلمين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخر السوس ساقها وتآكلت جذورها ودب العطب في كل مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيا وعلى كل صعيد ..

لقد أوصلتها السنن لأن يتحقق لنا ما أخبر به بن خلدون من قيام الممالك وزوالها واندثارها.. وهكذا شهدت الحضارة نقلتها الرابعة بحسب توينبي كما أسلفنا في الفصل السابق من الشرق الإسلامي إلى أوربا الغربية الصليبية ووريثتها أمريكا.

بداية الحملات الصليبية الثانية:

ويمكن التأريخ للحملات الصليبية الثانية ودفعتها الرئيسية بمطلع القرن التاسع عشر حيث انطلقت حملة نابليون إلى مصر سنة 1789م. مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإسلامي وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية على شواطئ بلاد المسلمين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإسلامي يرجع إلى أواسط القرن السادس عشر. حيث وصلت بهم الجرأة أن ينشئوا مستعمرات لهم على شواطئ جزيرة العرب وحتى على التفكير في غزو الحرمين كما حاول الأسطول

البرتغالي ذلك. ولكن العثمانيين وقوتهم البحرية المسيطرة أفشلت المحاولة. وما لبث العثمانيون أن سيطروا على البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب. وبعد أن سيطر الإنجليز على مستعمرات البرتغال على سواحل إفريقيا والهند والجزر الواصلة إلى الفلبين، وبعد احتلالهم لشبه القارة الهندية، تمكنوا من احتلال السواحل الجنوبية للجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي – الفارسي- وأقاموا بالتعاون مع مشيحات الخليج محميات لهم تتبع عمليا التاج البريطاني. ولم يتجرؤوا - لفهمهم الحضاري واستيعابهم- على التفكير في احتلال قلب الجزيرة العربية ولاسيما الحجاز، لوجود المقدسات فيها وخشية وجود الخلافة المركزية (العثمانية) ولو شكليا، وخشية أن يستفز إعلان الجهاد العام من قبلها دفاعا عن الحرمين المسلمين ضد بريطانيا في مناطق هي في غنى عن الصدام معهم فيها.

ثم بدأ التسابق الفرنسي - البريطاني بشكل سافر على قلب العالم الإسلامي جنوب المتوسط في بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا والجزيرة العربية فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التاسع عشر وزحف إلى جنوب فلسطين كما احتلت فرنسا تونس والجزائر وأجزاء من شمال مراكش ما بين 1830- 1844م. كما دخلت أسبانيا الصحراء المغربية ومنطقة الريف سنة 1860م.

وبلغت الحملات الصليبية الثانية نقطة الذروة بعيد الحرب العالمية الأولى وخسارة الدولة العثمانية للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرت الماسون على إدارتها. والحجر على آخر خلفائها السلطان عبد الحميد. فأبرمت معاهدة أو مؤامرة سيكس بيكو سنة 1917م وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عن وزارة المستعمرات البريطانية بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود بعد أن تسيطر عليها بريطانيا بحسب الاتفاقية التي جعلت فلسطين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربي كله تحت احتلال جيوش الحملات الصليبية الثانية تحت مسمى الاستعمار الحديث. فدخل الجنرال الفرنسي (غورو) دمشق سنة 1920م واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القدس سنة 1921م، واحتل الجيش البريطاني فلسطين وشرقي الأردن والعراق بعد أن غدرت بريطانيا بالشريف حسين ونكثت بوعودها التي كان قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) من أجل كسب معاونته وجر العرب للانقلاب على الأتراك العثمانيين. حيث خدع الشريف حسين وظن أن بريطانيا سوف تعاونه على إقامة خلافة عربية على أنقاض العثمانية تشمل جزيرة العرب والعراق والشام فقاد ما عرف باسم الثورة العربية الكبرى حيث قاتل العرب في الحجاز والشام إخوانهم الأتراك من جنود الخلافة

بدعم وتعاون من الإنجليز. وكانت بريطانيا قد احتلت مصر والسودان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا (1904م).

هذا عن العالم العربي، أما في العالم الإسلامي فقد تقاسمته أوربا الاستعمارية كذلك. فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيران تحت الاحتلال البريطاني، ووُضعت تركيا باسم الاستقلال والجمهورية تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليهودي (مصطفى كمال أتاتورك) الذي أقام الجمهورية التركية وأعلن إسقاط الخلافة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الدول العربية والإسلامية للعالم الصليبي، فيما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الدول الإسلامية في وسط إفريقيا..

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذ أواسط القرن السادس عشر في حركة استعمارية التهمت الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى فاحتلت روسيا بلاد القرم والبشكير وتتارستان وبلاد القفقاس; الشيشان وداغستان وجورجيا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت على سيبيريا بالكامل وحطت جيوش القياصرة رحالها على ضفاف نهر جيحون على حدود أفغانستان سنة 1904م بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإسلام الكبرى; مثل مرو وبخارى وترمذ وسمرقند وطشقند ... ثم ورثت روسيا الشيوعية بعد الثورة

البلشفية 1917م تلك المستعمرات بعد أن قضت على الأسرة القيصرية وكان لليهود الروس دور رئيسي في الثورة الشيوعية فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بريطانيا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم. فقد تبنت بريطانيا أميرا شابا من أسرة آل سعود التي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، حيث تعرفت وزارة المستعمرات على عبد الرحمن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الذي يدعوه قادة التنصير في جزيرة العرب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جزيرة العرب.[1] وهكذا عرضت بريطانيا على عبد الرحمن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة 1898م، فمولت بريطانيا حملته الأولى على نجد سنة 1901م ثم ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدعوة الوهابية وعاود الكرة في السنة التالية. وتمكن بمساعدة بريطانيا التي أمدته بالمال والخبراء والضباط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدعوة الوهابية حصل عبد العزيز على مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدعوة الوهابية الذين ساعدوه فتمكن من دخول نجد والاستيلاء عليها. وبعد تفكير عميق تخلت بريطانيا عن (الأشراف) في الحجاز لصالحه لتضع كامل بلاد

---

[1] أنظر محاضرة (صانعوا الخيام) للشيخ سلمان – رزقه الله – العودة .

نجد والحجاز ومعظم جزيرة العرب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أعلنته بريطانيا سلطانا على نجد والحجاز سنة 1935م لتقوم (الدولة السعودية الثالثة). وأبرم التاج البريطاني مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده. ثم أمدت بريطانيا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى على بقيتهم في معركة (السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بريطانيا على فلسطين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليهودية للهجرة التي أقامتها الحركة الصهيونية. وضخت في فلسطين مئات آلاف اليهود الذين شحنتهم السفن من مختلف الدول الأوربية ولم يكن عدد اليهود الأصليين في فلسطين يجاوز 15000 نسمة عندما احتلتها بريطانيا. وشعر المسلمون بالخطر الداهم وقامت الثورة التي قادها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله الذي قدم من الساحل السوري لإحياء الجهاد في فلسطين سنة 1936م. واشتعلت المعارك بين المسلمين واليهود، فاستنجدت بريطانيا بعبد العزيز آل سعود لإخماد الثورة. فأرسل ابنه ووزير خارجيته فيصل من أجل إقناع الفلسطينيين بوقف الثورة وإعلان الهدنة. فاقنع فيصل زعمائها بالوثوق

بوعود (صديقتنا بريطانيا) على حد زعمه. وهكذا أجهضت الثورة الرئيسية التي وقفت في وجه حملات التهجير والتهويد في فلسطين. ثم تتابعت جهود مختلف الدول الأوربية في دعم وكالة الهجرة اليهودية وإمداد اليهود بالمال والسلاح حتى وصل عددهم سنة 1947م إلى 650 ألف نسمة. وتمت مسرحية دخول الجيوش العربية وهزيمتها في فلسطين سنة 1947م فأعلن اليهود ميلاد دولة إسرائيل لتسارع الجمعية العامة للأمم المتحدة وبمباركة من دول أوروبا وأمريكا وروسيا للاعتراف بها.

وهكذا زرعت الحملات الصليبية الثانية الكيان السرطاني اليهودي في أقدس مقدسات المسلمين واحتل اليهود نصف مدينة القدس بعد أن استولت بريطانيا الصليبية على بلاد نجد والحجاز بصورة غير مباشرة عبر صك الملك الوراثي في عبد العزيز وأبنائه.

إذن ...

لقد سقط العالم العربي والإسلامي برمته تحت الإحتلال الغربي الذي لم يخف هويته الصليبية. فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بريطانيا ذي الصليبين على قمة جبل الزيتون في بيت المقدس قائلا : **(الآن انتهت الحروب الصليبية)**. وكذلك ذهب الجنرال غورو الفرنسي إلى ضريح صلاح الدين وضرب قبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له: (**ها قد عدنا يا صلاح الدين**). وصرح موسوليني حاكم إيطاليا

الاستعمارية بأنه يحمل أمجاد الرومان إلى جنوب المتوسط.. وهكذا كان سلوك باقي الدول الأوربية حيث ذهبت.

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العلني طيلة ما سمي بمرحلة الإستعمار القديم. إلى أن أدت الثورات الجهادية، والحركات التحررية إلى إجبار الدول المستعمرة على تغيير أسلوبها إلى مرحلة الإستعمار الحديث. لتتابع الحملات فتكها بكافة بلاد العالم الإسلامي بشكل أذكى وأدهى. فبدأ إعلان استقلال الدول العربية والإسلامية منذ مطلع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمارات العربية المتحدة، التي أعلن (استقلالها!!) سنة 1973م. أما الممالك الإسلامية التي احتلها الروس فلم ينفك عن الإحتلال المباشر إلا بعضها عند تفكك الاتحاد السوفييتي سنة 1990م.

وكما أسلفت فإن استقلال تلك البلاد كان شكليا. وأدى قيام روسيا وأمريكا كدولتين عظميين إلى أن ترث كل منهما القيام بمهام الإستعمار الحديث في معظم تلك الدول ولم يبق لفرنسا وبريطانيا إلا بعض الفتات الاستعماري هنا وهناك.

وقد سجل التاريخ الحديث أن الثورات الجهادية التي قارعت الاستعمار وواجهت الحملات الصليبية الثانية قد اشتعلت في كافة بلاد العالم الإسلامي، ولم تترك الاستعمار ينعم بالهدوء . فكانت الثورات ما تلبث أن تهدأ لتندلع من جديد. فقد أجبرت ثورات

العلماء بريطانيا على الرحيل مبكرا عن أفغانستان ، ثم جلت عن الهند وباكستان بعد احتلال دام قرابة قرنين ، وكذلك أجبرتها ثورات العراق ومصر والسودان وعدن على الرحيل بعد خسائر كبيرة، وكذلك خرجت فرنسا من الجزائر وتونس والمغرب وسوريا بعد خسائر فادحة . وبنفس الطريقة خرجت إيطاليا من ليبيا وكذلك أسبانيا من المغرب ... وهلم جرا.

والدارس لمسار الحملات الصليبية الثانية يجد بعض النقاط الهامة في الإختلاف وتطوير الصليبيين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثانية، ومن أهم ذلك:

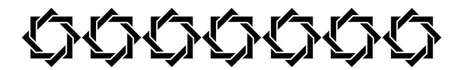
أن الحملات الصليبية الأولى كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي. في حين كانت الحملات الثانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماري وسياسي من أجل الصراع على النفوذ. وكذلك ذات بعد حضاري يقصد إلى نشر ثقافة المستعمر ونظمه العلمانية في البلاد المستعمَرة.

أن الحملات الصليبية الأولى تركزت على سواحل المشرق والشام فقط، في بيت المقدس وأكنافه وسواحل سوريا ولبنان. في حين استهدفت الحملات الصليبية الثانية كامل بلاد العالم العربي والإسلامي، وتركزت في الشرق الأوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المقدس.

أن الحملات الصليبية الأولى استهدفت الأرض باحتلالها، في حين استهدفت الحملات الثانية احتلال الأرض والإنسان المسلم الذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافة أبعاد مكوناته الحضارية.

وهذه أهم الملاحظات، وهي أن الحملات الأولى تمت في حالة جهالة تامة من قبل المستعمرين الصليبيين بالأرض الإسلامية وسكانها وكامل مكوناتهم الحضارية والدينية والثقافية. في حين تمت الحملات الثانية بناء على معرفة تفصيلية ودراسات متعمقة مكنتهم من الدخول على بصيرة توغلوا فيها وفق خرائط واضحة المعالم للأرض والشعوب وتركيبتها النفسية والعرقية والدينية وكامل مواصفاتها. وهذه نقطة تحتاج الوقفة التالية:

فماذا كان من شأن المرجعيات الثلاثة في قيادة المجتمعات العربية والإسلامية؟؟



حالة المرجعيات الإسلامية خلال الحملات الصليبية الثانية:

على صعيد المرجعيات السياسية:

كانت قد سقطت تماما بسقوط الخلافة العثمانية عمليا (منذ نهايات القرن الثامن عشر) ثم رسميا (1924م) وكان حال القيادة السياسية لا يقل إن لم يزد سوء في الغالب عن أحوال أمراء المشرق المتنازعين أيام غزو الصليبيين والتتار. وبالإمكان القول أن المسلمين كانوا بلا مرجعية سياسية عمليا.

على صعيد المرجعية الدينية:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية. وتمثلت في تلك المرحلة بأئمة المذاهب الفقهية ، ومراكز الإشعاع الديني ككبريات المساجد في كل بلاد المسلمين. وبرزت في هذه المرحلة الطرق الصوفية كمرجعية دينية في أكثر بلاد المسلمين. حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المرحلة العثمانية وما سبقها. وهكذا قام العلماء وأئمة الصوفية بدعوة العامة للجهاد والمقاومة وقادوا تلك الانتفاضات الجهادية بأنفسهم.

على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد كان النظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربي والإسلامي وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدينية مما وفر القاعدة الشعبية لوقود الثورة.

وهكذا عمت الثورات على الإستعمار العالم الإسلامي بأكمله. مثل ثورة الإمام شامل في القفقاس على الروس والتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والتي أخمدها الروس بكل قسوة ، فتحول المسلمون في جهادهم إلى الحفاظ على دينهم وقومياتهم سرا. وما زالت الثورات تندلع ضد الروس طوال تاريخهم. وكذلك قامت ثورات ضد الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان التي انتهت بجلائهم. وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثورة المهدية في السودان والانتفاضات التي قادها علماء الأزهر في مصر. وكذلك ثورة علماء اليمن على الإنجليز. كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجزائر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجهاد الإسبان وتحالف جيوش أوربا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جيوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال. وكذلك قاد عمر المختار و السنوسيين الجهاد ضد إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة... وكذلك كان الأمر في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وهكذا ورغم غياب المرجعية السياسية، تمكنت المرجعيتان الدينية والاجتماعية من لم شمل الأمة ، وإطلاق المقاومة عبر حروب

العصابات الجهادية وأنواع المقاومة المدنية والعصيان وأعمال التظاهر والكفاح السياسي. مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المستعمرين على الرحيل وإعطاء تلك البلاد استقلالها. ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المرحلة التالية من الحملة الصليبية الثانية بأسلوب ماكر خبيث.وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث.

وكانت معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثانية خلال مرحلة الاستعمار العسكري إلى الاستقلال بعد أن دخل اليهود فيها بشكل أساسي منذ الحرب العالمية الأولى فصارت المعادلة على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام

ومرة أخرى يمكننا القول هنا أن المقاومة والمواجهة لم تكن من فعل عصابات محدودة ولا تنظيمات سرية ولا نخب عقدية فقط وإنما شملت أمة الاسلام في كل قطر حيث التفت حول زعماء الجهاد والثورة. فلما كانت قضية الصراع قضية أمة في مواجهة أمم تأهلت الأمة للانتصار ورحل الاستعمار.

وهنا ينتقل الحديث إلى مرحلة الاستعمار الحديث ما بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة والتي تناولتها في المحاضرات السابقة التي غطت هذا البحث تحت عنوان المرحلة الثانية من الحملات الصليبية، ثم أجد الآن أنها مرحلة مستقلة مهدت للحملات الثالثة ولذلك سأتناولها هنا بعنوان مستقل هو ما يلي.

مرحلة الاستقلال السياسي (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث:

خلال المرحلة الممتدة ما بين حصول الاستقلال في البلاد العربية والإسلامية، وقيام النظام العالمي الجديد (1990م) أي منذ الأربعينات إلى السبعينات بحسب استقلال الدول وإلى سقوط الاتحاد السوفيتي وتفرد أمريكا بإدارة العالم وقيادة الروم المعاصرين. تحولت الدول الأوربية وروسيا وأمريكا اللتان دخلتا على خط الاستعمار تحولت إلى مرحلة عرفت بمصطلح الإستعمار الحديث. والذي لم تنفك منه بلاد العرب والمسلمين إلى يومنا هذا. حيث ورثت أمريكا وإدارتها الصهيونية مهمة قيادة الحملات الصليبية الثالثة كما سنبين لاحقا إن شاء الله.

أما عن هذه المرحلة ، فاستكمالا لما كان المستعمرون الأوربيون قد قرروه من الغزو الفكري للمسلمين من أجل إحكام السيطرة عليهم. لم يضيع المستعمرون الوقت واستفادوا من تجربهم السابقة وما أسسوه من مشاريع التبشير والاستشراف والاستعمار. فقد قدمت مع جحافل

الاحتلال الأولى وسائل الغزو الفكري والثقافي. فافتتحت المدارس التبشيرية والجامعات الغربية وأنشئت المطابع والأندية الاجتماعية والثقافية ، والصحف ودور النشر، ونشر الاستعمار أفكار التغريب والعلمانية وأنشأ الأحزاب الوطنية على أساسها ليؤهلها لمرحلة الاستقلال. وشجع الاستعمار عبر النشاطات الأدبية والفكرية والثقافية عمليات التغريب، كما فتح الباب على مصراعيه لخروج الشباب المثقف إلى الدول المستعمِرة من أجل إكمال دراساتهم الجامعية والعليا. ليعودوا محملين بأفكاره وثقافته وقد بهرتهم حضارته وملئت قلوبهم وعقولهم ولم يبق لهم من النسبة إلى أمتهم إلا لون البشرة ولغة اللسان !! وقد أسفرت هذه الجهود عبر مرحلة الإستعمار التي استغرقت عقودا في بعض البلاد ، وجاوزت القرن في بلاد أخرى كما في الجزائر وشبه القارة الهندية، بل أكثر من ذلك في مناطق أخرى كوسط وأطراف آسيا وبعض بلاد إفريقيا. وأثمرت هذه الجهود الاستعمارية بالغة الذكاء عن نتائج غاية في الأهمية كونت مقومات الاستعمار الحديث ومهدت للحملات الصليبية الثالثة. ومن تلك النتائج:

أنشأ المستعمر على عينه نخبا سياسية في بلادنا وأهلها لتحل محله وتسهر على حراسة مصالحه وتقوم بأعبائه بأبنائنا، فتحقق له

المكاسب ولا يتحمل خسائر المواجهة مع المقاومة. لأن هذه النخبة الوطنية تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

إختار الإستعمار بحسب أحوال كل بلد شكل السلطة؛ إما أسرا حاكمة تتوارث الملك كما في بلاد جزيرة العرب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه. وإما أحزابا سياسية تتدوال السلطة عبر حياة نيابية مسرحية كما في الهند وباكستان وبعض الدول العربية. في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكرية لبلاد أخرى، كما مصر وسوريا والعراق. كما أوجد نوعا من الدكتاتوريات المدنية في صنف ثالث. لتتولى تلك السلطات الحكم من بعد رحيله فيما عرف بمرحلة الإستقلال.

أشرف المستعمر عبر تسليط الضوء الإعلامي والمسرحيات السياسية والعسكرية أحيانا على صناعة هذه النخب التي قرر الاعتماد عليها لتبدو أمام شعوبها وكأنها صانعة الإستقلال. وتمت سرقة الجهود الجهادية التي قام بها العلماء والمرجعيات الدينية والشعوب التي جاهدت تحت شعار الإسلام من أجل تحقيق الاستقلال. وهكذا سارت المظاهرات المصفقة من قطعان البشر التي مسخها الاستعمار مع الوقت لتحمل أفكار القومية والوطنية وتنتمي إلى تيارات الفكر السياسي الغربي من اشتراكية وديمقراطية وشيوعية ولبرالية رأسمالية وسواها. وهكذا أعلن الإستقلال الشكلي في بلادنا وطبّلت الشعوب

وزمّرت للأصنام المصطنعة التي حملت على عاتقها مهمة استمرار المرحلة الثانية من الحملات الصليبية الثانية وسيطر الاستعمار الحديث على بلادنا بشكل كامل.

ربط المستعمر هذه الأنظمة التي صممها ورسم حدود بلادها وشكل بنيتها به عبر أساليب عديدة من أهمها إقامة القواعد العسكرية لجيوشه في أكثر تلك البلاد بحيث يستطيع نشرها وإعادة السيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدولية. كما ربط تلك الأنظمة والبلاد (المستقلة!) بالمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والأمنية بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكري.

أقام المستعمر عبر شركاته الاحتكارية الكبرى، وما قيدنا به من الاتفاقيات الإقتصادية وما وضعنا به تحت الإشراف القسري بمؤسسات النقد الدولي، ما شكل عمليا إخطبوطا أمسك بكافة مقدرات بلادنا وضمن له نهب ثرواتنا ولاسيما النفطية والغازية والثروات المعدنية. وأنشا مع عملائه وشركائه من أبناء وطننا الذين تكونوا من رجال السلطة وكبار التجار. وبهذا قام الإستعمار الاقتصادي بامتصاص دماء شعوبنا وقوت أبنائنا. ليحصل على ما جاء من أجله بجيوشه الجرارة ولكن دونما خسائر ولا عساكر في هذه المرحلة.

نشر المستعمر مؤسسات التنصير وحماها. فتعرضت بلاد العالم الإسلامي لحملات كثيفة من التنصير لم تثمر في قلب العالم الإسلامي والعربي إلا عن تشكيك بعض المسلمين بدينهم وإضعاف ارتباطهم به ولكنها نجحت في أطراف العالم الإسلامي كأواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا كالفلبين وأندونيسيا وبنغلادش وبورما حيث تنصر عشرات الملايين من المسلمين!.

عمل الإستعمار الحديث عبر نوابه الأشاوس هؤلاء! على استبعاد الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزال الله في بلاد المسلمين. وقام أبناؤنا الذين تخرجوا من كليات الحقوق والقانون في جامعات الغرب، بوضع دساتير وتشريعات و قوانين مبنية على أصول القانون الغربي والحضارة الرومانية ودساتيرها الوثنية. وقام هؤلاء (المشرّعون) الذين اغتصبوا (حق الألوهية والتشريع) بسن القوانين وصياغة الدساتير التي استمدت من القانون الفرنسي والبريطاني وصارت أساس بنية السلطات والهيكل السياسي في بلاد المسلمين.

عمل المستعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوناتها الدينية والاجتماعية والحضارية عموما على تحطيم المرجعيات الثلاثة التي تحدثنا عنها والتي تولت هزيمته في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية:

فأما المرجعية السياسية:

فقد أسقطت الخلافة ثم تولى المستعمر بنفسه المرجعية السياسية. ثم تولى تسليمها إلى من نصبهم من الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين ليتبعوه في كل شيء فيحكمون بقوانينه ، ويقيمون نظامهم السياسي على أصوله ، ويبنون أفكارهم وأحزابهم على أفكاره المستوردة، ويرتبطون به بكل أواصر الولاء والمودة. وهكذا دمرت المرجعية السياسية للمسلمين وغابت نهائيا منذ سقوط الخلافة حتى بشكلها الرمزي 1924م.

وأما المرجعية الدينية:

فقد ركز المستعمر حربه على المساجد والعلماء والهيئات الدينية المستقلة عند الحكومات كالأزهر في مصر، وجمعيات علماء الإسلام ومؤسساتهم المختلفة ... فاستمال نوابه عبر سيف المعز وذهبه كثيرا من أقطاب الوسط الديني ورجالاته وعلمائه. واستحوذت حكومات الإستقلال بعد الإستعمار على المؤسسات الدينية ودمجتها في وزارة سميت وزارة الأوقاف أو الشؤون الدينية أو ما شابهه..

وأنشأت أكثر الحكومات مرجعيات دينية منافقة تعمل بأمر السلطان وتصدر الفتاوى المفضلة بحسب الإرادات الملكية والرئاسية كما حصل لإدارة الأزهر في مصر والزيتونة في تونس وهيئة كبار

العلماء والأمر بالمعروف والقضاء الأعلى والدعوة والإرشاد في السعودية وقس عليها ما جرى في سواها.

وعمدت أجهزة الإعلام وسياسات الدولة إلى تشويه كل من أبى من العلماء المخلصين وأئمة المساجد المستقلين والعلماء وطلاب العلوم الشرعية فقطعت أرزاقهم وحاصرتهم ماديا ومعنويا ، ومع الوقت حولتهم في نظر المجتمع (المتحضر) كما يسمونه ويروجون في الإعلام إلى نموذج مضحك من التخلف والنفعية والبعد عن الواقع ... وهكذا راقبت الحكومات المساجد وفرضت خطب الجمعة واستوعبت بشكل أو بآخر هذه المرجعية الدينية التي كانت الملاذ الأخير للأمة. ونجحت هذه الخطة الاستعمارية بشكل متفاوت بحسب بلاد المسلمين فقد كان نجاحها باهرا في العالم العربي ولاسيما الشام ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الجزيرة. وكان تاما كاملا كما في تركيا في. حين كان أقل من ذلك في بعض البلاد ، ومحدودا كما في أفغانستان والباكستان وما شابهها من الظروف... ولكن بالإجمال .. تم تدمير أو شل المرجعية الدينية الكلاسيكية التي حفظت للمسلمين المحرك الوجداني للمقاومة عبر التاريخ.

ومن الإنصاف أن نقول ونذكر أنه رغم الدور البارز الذي لعبته المرجعيات الدينية في مقارعة الإحتلال إلا أنها كانت ومنذ المرحلة العثمانية تسير نحو التخلف وتعتريها الأمراض والعلل على صعيد

انتشار البدع والطرق الصوفية الغالية والمتحللة والداعية إلى الخنوع. كما أصاب المرجعية الدينية عموما البعد عن المنهج العلمي الشرعي والتخلف في مجالات الإبداع والاجتهاد. مما سهل على المستعمر والحكومات عزلها وتفكيكها مع الوقت. بل استطاع المستعمر أيام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السلطان وتجاوزها في الاثر والضرر على الأمة وبدا أن هذه المرجعية الدينية ذاتها بحاجة إلى ثورة تجديد تعيدها لأصولها الصحيحة ونضارتها وجدارتها التاريخية.

أما على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد تم تفكيكها مع قيام الدول الحديثة والمدن الكبرى وهجرة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وتهلهلت وعجزت عن أن تكون رابطة عصبية تمكن زعماءها ورؤوسها من لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السياسية. وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر. ففي حين ما تزال القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جزيرة العرب وإفريقيا .. تفككت هذه الروابط بشكل شبه كامل ، وغاب أثر هذه

المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدول نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة.

وهكذا قامت أنظمة الردة في العالم العربي والإسلامي لتتولى حكم شعوبها بالحديد والنار وتقوم بكافة مهام الإستعمار لصالحه من أجل الحفاظ على عروشها.

فمن الذي واجه مصائب هذه المرحلة الماكرة من الحملات الصليبية الثانية بإدارة نوابها من الحكام المرتدين ؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسية لمرجعيات الأمة وانهيار مقومات الصمود والمقاومة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه. بمناوأة الإستعمار في أهدافه السياسية والاقتصادية. ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا على نفس الأفكار الوافدة من الغرب. وتبنى معظمها في العالم العربي والإسلامي الإيديولوجيات القومية اليسارية أو الليبرالية الديمقراطية.. ولأن هذه المعارضات هي أيضا صنائع إستعمارية من الناحية الفكرية، أمكن للمستعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السلطة للانقلاب على الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانية والمعارضات السياسية. كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر والباكستان والجزائر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من

البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا.. وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد. فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحكومات بالتداول، ولكن الحال العام ومقومات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر. في حين حافظ الإستعمار الحديث على قبضته بالاستغلال الاقتصادي وامتصاص الثروات وعلى سيطرته على مركز الإشعاع الصليبي والفكري الغربي عبر حكومات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كل شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية التي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربي والإسلامي خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان ، فأدخل البلاد حيث وصل في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع الغرب كما حصل في مصر والجزائر وسوريا واليمن الجنوبي والصومال وغيرها. وشهدت مرحلة الحرب الباردة والصراع بين القطبين حالة انعكست على بلادنا بالاضطراب السياسي نتيجة تبعية الأحزاب القومية والوطنية واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب. بحسب صراع تلك البيادق

على السلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجية التي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسياسي من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشعوب الإسلامية من كافة تلك الخيارات التي سمح لها الشرق أو الغرب الصليبي بالتنافس. في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها على التوجهات الإسلامية بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأمة إلى مستوى مواجهة الانهيار الذي غدا شاملا في كل منحي الحياة ...

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فلسطين والشطر المتبقي من القدس بل ولتحتل أجزاء من الدول العربية المجاورة تزيد مساحتها على ستة أضعاف مساحة فلسطين عبر حروب مسرحية كان أهمها نكسة (5 يونيو حزيران 1967م). حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأمة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السياسي ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات على شعوبها.

ولأن الله تعالى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وبقاء طائفة ظاهرة على الحق في هذه الأمة تقاتل على هذا الدين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم على ذلك، نشأ في هذه الأمة ومنذ الأيام الأولى لسقوط الخلافة، بذور الصحوة الإسلامية والنهضة المباركة في هذه الأمة على شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب. ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأمة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها. وسأترك

التفصيل في ظاهرة الصحوة للفصلين القادمين. ولكن أكتفي هنا بذكر معادلة المواجهة وأطراف الصراع في تلك الفترة بين الصليبيين وقوى المقاومة في هذه الأمة.

فقد انتشرت ظاهرت الصحوة الإسلامية بأشكال شتى، فكان أبرزها ما قام على شكل أحزاب سياسية دخلت المعترك السياسي سعيا إلى السلطة من أجل تطبيق الشريعة. وقام بعضها على شكل مدارس فكرية عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم الشريعة، في حين قامت في أماكن أخرى على شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح.. ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المسلحة مع الحكومات المرتدة. وكان لهذه الظاهرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصراع الحضاري على كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإسلامي وبعض العادات والأعراف الدينية التي بدأت تغزو كافة المجتمعات العربية والإسلامية.

وأحس الغرب الصليبي والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحكومات بدء حملات المواجهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جذورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها... وهكذا تحول الصدام في الأمة

من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصحوة وبين الحكومات المرتدة صنيعة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة من القمع والسجون وحل الأحزاب وإغلاق الصحف والجمعيات ... ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النظام العالمي الجديد وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا.كانت بلاد العالم الإسلامي جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصراع الذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود + طائفة (حكام) الردة × الصحوة الإسلامية ← هزمت الصحوة

والملاحظ على هذه المعادلة أمور في غاية الأهمية، غيرت طبيعة قوى الصراع ونتيجته عما حصل في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ومن ذلك:

أولا: اختفاء دور الصليبيين واليهود في المواجهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الردة بقيادة الحكام من أوليائهم لمهمة المواجهة.

ثانيا: خروج الأمة وشعوبها من المواجهة لعدم ظهور العدو الحقيقي ، وأخذ الصراع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المواجهة مع هذه القوى الجبارة على عاتق الصحوة الإسلامية التي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف على أحسن الأحوال بحسب كل بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدور الهام في هذه المرحلة من الصراع للمؤسسة الدينية الرسمية وكتيبة علماء السلطان لتؤكد وتساعد على خروج الأمة من المعركة وانحصارها في الفئات القليلة للظاهرين على الحق. حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشرعية والشهادة بالإسلام والإيمان على الحكام المرتدين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمور شرعيين) وبالتالي أكدت القناعة لدى العامة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم بالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعمارية هي ضمن صلاحياتهم

بصفتهم أئمة شرعيون. وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصدام بين تلك الحكومات والصحوة الإسلامية بمختلف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهادية المسلحة منذ أواسط الستينات. ولكن الذي حصل في نهاية هذا الصراع أنه لم يأتي عام 1990م إلا وقد دحر نواب الإستعمار وطلائع الصليبيين من حكامنا المرتدين قوى الصحوة بمساعدة أسيادهم المستعمرين وبدعم استراتيجي من أجهزتهم الدينية المنافقة وآلاتهم الإعلامية الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مدارس الصحوة الإسلامية وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة. في حين وقفت شرائح الأمة من هذه المعركة المصيرية موقف المتفرج بكل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

ومن المفيد جدا أن نعرض لخلاصة البرنامج الاستعماري في الغزو الفكري منذ بداية الحملات الصليبية الثانية بقيادة أوربا ، وإلى قيام الحملات الصليبية الثالثة الأخيرة بقيادة أمريكا.

مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة (1798م – 1990م):

سأعتمد في بناء هذه الفقرة على بعض الكتب البالغة الأهمية التي لخص فيها شيخنا الشهيد عبد الله عزام – رحمه الله– خلاصة أسباب وطبيعة الإنقلاب الشامل الذي حصل في أحوال العرب والمسلمين خلال هذه الفترة. وهي كتاب (**خط التحول التاريخي**) ، وكتاب (**أضواء على القومية العربية**) وكتاب (**السرطان الأحمر**). حيث تشكل مادة هذه الكتب أساسا في فهم أسباب ما نحن فيه مما نعيشه اليوم ، وفهم برامج الحملات الأمريكية الحالية ، التي سرعان ما يكتشف المرء بقراءته لهذه الكتب:

أن برنامج الأمريكان اليوم مطلع القرن الحادي والعشرين ، حول الشرق الأوسط الكبير ، وبرامج تغيير المناهج التعليمية والدينية ، وبرامج رامسفيلد) (لحرب الأفكار) .. ما هي إلا عبارة عن تطبيق مكرر– ولكن بحماقة – لبرنامج الإستعمار الأوربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من قبل.

حيث سأنقل مقاطع واسعة منها باختصار وتصرف طفيف، وأضع تلك النقول بين قوسين [..] مشيرا إلى مكانها في المصدر وهو:

(موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن عبد الله عزام) ، وأضع تعليقاتي وإضافاتي في ثناياها بين قوسين {..}. وقد كفتني كتبه الثلاثة هذه – رحمه الله رحمة واسعة – عن العودة اللازمة لعشرات المراجع التي تغطي تاريخ وأحداث تلك الفترة ، وهو أمر غير متيسر لي الآن ونحن نعيش مرحلة المخابئ والمطاردات الأمريكية – أخزاهم الله – ..، وأعيد التنويه إلى أن تراث الشيخ عبد الله يحتوي من الكنوز السياسية والفكرية والشرعية ما يجعله ركنا أساسيا للتربية الفكرية والمنهجية للمجاهدين في هذا الزمان. فجزاه الله ما هو أهله.

قال الشيخ عبد الله عزام – رحمه الله –:

[لقد شهدت المنطقة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الماضية ، تغيرا بدأ بطيئا ثم أخذ يشتد تدرجيا حتى إذا بدأ النصف الأول من القرن العشرين بلغ التغيير قمته ، وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما. حتى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه ، وأن محاولة التصدي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح. وكانت معركة التغيير على ثلاثة أطوار:

الطور الأول: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القتال.

الطور الثاني: المعركة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر والثقافة والدين.

الطور الثالث: المعركة بين أبناء الشرق أنفسهم في ميادين الفكر والدين والسياسة.

(1) – أما الطور الأول:

فكان للغرب صولات وجولات إبان الحروب الصليبية ، ثم انتهت بهزيمته نهائيا وخروجه مهزوما مدحورا.

(2)– أما الطور الثاني:

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة ، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المسلمين موتا بطيئا ، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المسلمين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطاغوت ، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربية تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات ، وسلمت مقاليد الأمور لهم ، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت دوائر التعليم والإعلام – الصحافة والراديو ومن ثم التلفزيون – بأيدي الطبقة المنسلخة عن الشرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصليبي الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب – المستشرق الإنجليزي –:

(هذا – التعليم – هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها ، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها ، وحينئذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التعليمية في الهند:

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير).

وهي نفس كلمة (اللورد ليد) – المعتمد البريطاني عن كلية فيكتوريا سنة (1936م):

(ومتى تسنى للجمهور بأن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي).

(1) – أما الطور الثالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسموه ، ومجيء الأنظمة المحلية ، والعسكرية بالذات ، فقد كان هذا الطور أشد الأطوار تأثيرا ، وفرضت الحضارة الغربية بالقوة العسكرية التي تسمى بالوطنية والتقدمية والشعبية ، وهذه الأنظمة التي جاءت بضجة الزفاف الوطني ، والتي قدمت إلى الأمة بأهازيج شعبية حماسية ،

وتحت هذا الضجيج والصخب قام أبناء الوطن – المستغربين – الحاكمين بنصب المشانق وسحق المبادىء و اجتثاث القيم ، وإبادة العلماء والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين – من العذاب والاضطهاد – أضعاف أضعاف ما رأوه أيام الإنجليز والفرنسيين ، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان على يد أمان الله خان في أفغانستان.

ما لقيه الأكراد على يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون على أيدي الأنظمة العسكرية المنبثة في أرجاء العالم العربي والإسلامي فهي نسق واحد ونموذج واحد في محاربة الحق وأهله ينسجون على منوال سابقيهم ويسيرون على نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية التي عامل بها الغرب أبناء المسلمين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصورة التي عاملهم بها الحكام المحليون (الإنجليز السمر).

خطوط التغيير:

هذا وقد سار التغيير في العالم الإسلامي في خطوط ثلاثة متوازنة:

1- الخط الأول: خط الإفساد الأخلاقي.

2- الخط الثاني: خط محاربة مصادر التشريع الإسلامي وتمييع النصوص.

3- الخط الثالث: خط التمزيق الأمة الإسلامية.

أما الخط الأول: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر – رئيس المبشرين – في مؤتمر القدس سنة (1934م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالله ، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم).

فكان التركيز على المرأة وإخراجها ، وعمل الإتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة ، والمعاهد الرياضية للبنات ، ونشر العري والمسا بح ودور الأزياء ، والصورة العارية ، ودكاكين التجميل. حتى أصبحت المرأة كما قال (موروبيرجر) في كتابه – العالم العربي اليوم: (**إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الدين**).

وقد بدأت ثورة المرأة على الإسلام بوضوح في مصر إبتداءً من منيرة ثابت: (أول صحفية مصرية) والتي يسمونها (الفتاة الثائرة)

وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

ثم جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (1919م) بمظاهرة نسائية ، وأحرقن الحجاب في الشوارع العامة. وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامة وسمت نفسها على الطريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت على نفسها لقب (أم المصريين).

ولقد كان زوجها سعد زغلول زعيما من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه (المرأة الجديدة).

وصدرت الصحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور).

ونادى (لطفي السيد) بالتعليم المختلط وفرضه على الجامعة المصرية. ولذا فقد أشادت (هدى شعراوي) بهذا الفعل ، ثم أ يده طه حسين وسمير القلماوي .. وغيرهم.

وفي تركيا سنة (1929م) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب ، ونظام الحريم ، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (1965م) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس.. وهكذا في باقي البلاد.

أما الخط الثاني: (التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي وتمييع نصوصها)

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه: وتميز القرآن المكي ، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي ، واعتبار الوحي انفعالا نفسيا وحالات عصبية.

وكان أول من جاهر من ذراري المسلمين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو (طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي اتبع فيه مصدر التشكيك الذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: وقد كان التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

وقد جاء الهجوم على السنة من نواح كثيرة أهمها:

التعرض لشخصية الرسول ﷺ والنيل منها.

التركيز على صحيح البخاري باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا – أضواء على السنة المحمدية –)

(وصالح أبو بكر – الإسرائيليات في البخاري –) وكتبت مجلة العربي (راجعوا البخاري فليس كل ما فيه صحيح).

التركيز على النيل من شخصية أبي هريرة كأكثر روا عن رسول الله ﷺ – رواية –. والطعن بشخصية السيدة عائشة كمصدر غني من مصادر نقل هذا الدين.

والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل (القذافي) في ليبيا لنبذ السنة نهائيا.

اللغة العربية: باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكِّن تسلم).

العامية بدل الفصحى: ابتداء من (ونلهلم سبيتا) (الألماني: مدير دار الكتب المصرية) ، ثم (ويلمور) القاضي الإنجليزي ، و(نليكوكس) – المهندس الزراعي الإنجليزي – وأخيرا جاء سلامة موسى ، وقاسم أمين ، ثم كتب بالعامية المصرية كل من يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس.

اتخاذ الأحرف اللاتينية بدل العربية: ونادى بهذا عبد العزيز فهمي – مصر – وسعيد عقل – لبنان –.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- (الدعاية) للشعر المنثور بد الشعر الموزون. {لكون الشعر العمودي أحد أهم أوعية اللغة العربية}.

التاريخ الإسلامي: والتركيز على الشبهات فيه وتضخيم مساحة الإختلاف بين الصحابة ﭭ. والتركيز على أن الدولة العباسية هي دولة الإماء والخمور والغلمان خاصة في عهد الرشيد {كما روج لذلك} –كتاب الأغاني للأصفهاني – ثم تشويه تاريخ الدولة العثمانية الإسلامية واعتباره نوعا من الإستعمار.

استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية:

ففي مصر – قائدة العالم العربي – أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد سنة (1906م) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة على غرار الجامعات الفرنسية. فقامت الجامعة المصرية (1908م) واستلم رئاستها بعد فترة لطفي السيد.

وقد ظهرت كتابات تنادي بالذوبان بالغرب مثل كتابات طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حيث يقول: **(علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم**

شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يُحب منها وما يُكره ، وما يُحمد منها وما يُعاب).

وقد بدأ هذا الخط أيام (مُحَّد علي باشا) من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدعوة إليه أيام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (مُحَّد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي. ووضع إسماعيل نظاما للأزهر سنة (1872م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإسلام نهائيا عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ شهريا (12) جنيه وحامل شهادة اللغة العربية يأخذ (4) جنيهات ، وأما الأزهري يأخذا (112) قرشا مصريا.

ثم ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهائيا) وقطع الصلة بالإسلام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين ، سلامه موسى، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر ، وعبد العزيز فهمي...

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإسلام والثقافة الغربية) ويتزعمها (الشيخ جمال الدين الأفغاني ومُحَّد عبده).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطـوير: ومعنـاه تمييـع النصـوص الإسـلامية ، وإدخـال الإلحـاد والعلمانية الغربية بالثوب المقنع البراق ، ومن هذا القانون تطوير الأزهر الذي صدر أيام عبد الناصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة التي صنعها الإسلام بين الشرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيـق العـالم الإسـلامي كمـا يقـول جـب: (لعـل الآراء الجديـدة وحـاجات الحيـاة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإسلامي وتمزيق وحدته).

الإتصال بالثقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

رفـع شـعار الحريـة: وقـد قامـت الحكومـات العلمانيـة في العـالم الإسلامي بتوفير الحرية الفكرية إذا استعملها الناس ضد الدين.

الدعوة إلى دين عالمي: كما نادى به : (كالغرلي) : ومعنى الدين العالمي إنهاء الإسلام نهائيا وذوبانه في بوتقة اليهودية العالمية.

التقـارب بـين الأديان: كمـا نادى بـذلك (آصـف علـى قبطـي الإسماعيلي) وأصبحت المؤتمر تعقد من أجل هذا الشأن.

الـدعوة إلى أنـواع للإسـلام: كالإسـلام الكلاسـيكي. والإسـلام الحديث كما قال فضل الرحمن الهندي ، وبه قال أحمد خان مؤسس الكليـة المحمديـة الإنجليزيـة الشـرقية (نشـر الإسـلام الحـديث المتـأثر

بالمذاهب الغربية) وكذلك تكرار أسماء الإسلام الهندي والإسلام الباكستاني والإسلام التركي.

العلمانية (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإسلام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

الإصلاح الديني: كما يسمونه ، كما حصل في برنامج (التحطيم الكمالي للإسلام) باسم الإصلاح الديني كما يسميه (سميث) و(بروكلمان) وغيرهم من المستشرقين ، ومعنى الإصلاح الديني تغيير نصوص الإسلام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإسلام.

وقد كان الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكية بالذات عدة مؤتمرات لمحاربة الإسلام على رأسها المؤتمرات التي عقدت في جامعة (برنستون) في أمريكا.

مؤتمر جامعة بن ستون سنة (1947م) واسمه (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

مؤتمر جامعة برنستون سنة (1953م) واسمه (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة).

مؤتمر لاهور الذي عقد سنة (1955م) بترتيب المستشرقين الغربيين وفشل تماما.

الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة:

ومن وسائله:

القومية: العربية والكردية والهندية.

الدعوات العالمية: كالشيوعية.

الدعوات الإنسانية الماسونية – اليهودية – وفروعها مثل نوادي الليونز ، والروتاري ، شهود يهوه ، بني برث ، (أبناء العهد).

الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام: مثل :

القاديانية – البابية – البهائية – النصيرية– الدروز...] .اهـ .

<u>**خط التحول التاريخي:**</u>

[إن أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية هو عملية التحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنفسية والعقلية أمام أعدائها ، فاستخذت أمام الأصنام ، وركعت على أقدام الطغاة ، وأصابها الوهن الذي عرفه رسول الله ﷺ بأنه (**حب الدنيا وكراهية الموت**). ففي الحديث الصحيح :الذي رواه أحمد : (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل : من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل**

أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

- فكيف أصبحت (خير أمة أخرجت للناس) غثاء..؟
- وكيف أصبح الخير النافع زبدا وجفاء..؟
- وكيف خلفت الأسود قرودا..؟
- وكيف ولدت ليوث الغاب خنازيرا..؟

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو هزيمتها في أعماقها. فهذا هو الداء القاتل ، إن أشد رمية أصابت الأمة في مقتلها هي فقدان الثقة بنفسها. فالشعوب إنما تنتصر يوم أن تتفاعل بمبادئها وتحيا بعقائدها وتستعلي بدينها. ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى..، وهذا المبدأ هو الذي سطره رب العزة في سبب النصر والهزيمة إذ يقول سبحانه:

﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (آل عمران:165). فالهزيمة تبدأ داخلية ثم تنعكس على ساح المعركة. والخلل يبدأ في أعماق النفس ثم نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة. فكيف تمت عملية التحويل ؟!

أوربا وحرب الكلمة بدل حرب السيف:

في الحملات الأخيرة على مصر (1249 ميلادية)، آخر أيام الأيوبيين وأول أيام المماليك ، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة. وهناك كان لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين. وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة).

وهكذا أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم.

وكانت حملة نابليون على مصر نقطة بارزة في تحول المعركة وأساليبها ، فلقد غزا نابليون مصر (1798م) مدججا بأحدث الأسلحة الفرنسية ومدافعها ورشاشاتها. ودخلت الخيل الأزهر وداست سنابكها الحصير الذي خرج عشرات الألوف من علماء الأمة ، فانتفض الأزهر وهب دفاعا عن كرامة هذا الدين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الذين وقفوا بجانبه كيعقوب القبطي ومن وقف معه الأروام ونصارى الشام وغيرهم. وأخيرا انقض (سليمان الحلبي) على (كليبر) نائب نابليون الذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من أبرز المعالم في أوروبا الحديثة ، إذ أدت إلى تصميم أوروبا على خوض معركة اللسان بدل معركة السنان . واتجهت إلى نزع هذا الدين من أعماق هذه الأمة ليغرسوا بدله القومية والعصبية وغيرها من الشعارات لمحاولة لملأ الفراغ.

فقد جاء في مؤتمر (الشرق الأدنى وثقافته) الذي أقامه مجموعة من المستشرقين في جامعة أمريكية جاء في:

(أننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نخرج أثار ما قبل الإسلام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عقيدة الإسلام إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكن يكفي تشتيت ولائه).

وجاء في تقرير أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس:

(بينما كان الشرق الأدنى مطمحا لأفكار بناء الإمبراطوريات كان أيضا مطمح جماعة أخرى من الناس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادهم الصليبيون عن تحقيقه عن طرق السيف).

{ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار لإسلام ن الإفساد، في مصر والشام}.

- **مُحَمَّد علي باشا (وريث نابليون) (1904– 1949م):**

وجاء مُحَمَّد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نابليون ، وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا ، وبدأ بإرسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين ، ومن بين الذين ذهبوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الذي عاد داعية للثقافة الغربي وكتب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ونقل القانون الفرنسي. واتخذ مُحَمَّد علي باشا رجلا فرنسيا – وهو طبيب – مستشارا له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكان لهذا الفرنسي تأثيرا كبيرا في تغريب مصر. وفي عهد مُحَمَّد علي أدخلت القوانين الفرنسية لتحل تدريجيا محل الشريعة الإسلامية. وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين. ومن أعمق الآثار السيئة التي حلت أيام مُحَمَّد علي باشا أنه فتح أبواب مصر والشام – عندما خضعت له – للمبشرين النصارى ، فقد كانت موصدة دون هؤلاء بسبب صرامة الدولة العثمانية وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشأوا جامعتين في لبنان:

الأولى: الكلية السورية الإنجيلية التي أنشأها البروتستانت ثم أصبح اسمها (الجامعة الأمريكية) – بيروت.

الثانية: كلية العزير التي أنشأها الكاثوليك ثم أصبح أسمها (الجامعة اليسوعية).

ولقد كانت الجامعة الأمريكية نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة التي تركت أثارا عميقة في عملية تحويل العالم العربي، ومن هذه الاتجاهات الإتجاه القومي الذي كان يراد له أن يحل محل عقيدة الإسلام في القلوب لملء الفراغ الذي خلفه الإسلام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة.

جاء في كتاب المجتمع العربي / جامعة بيروت / كلية الآداب:

(إن أول جمعية بدأت تدعو إلى القومية العربية هي جمعية مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى (الياس حبالين) من بلدة ذوق مكايل. وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازخي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية).

وأصبحت القومية العربية بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النصارى دينا جديدا حل محل الإسلام كما قال علي ناصر الدين في مقدمة كتبه قصة العرب ، هامش ص : 38 (**العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين ، لأن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، فالقومية العربية هي نبوة هذا العصر**).

وقدمت لنا الجامعة الأمريكية ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القومية في المنطقة: فأسس حزب القوميين السوريين: أنطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثم جورج عبد المسيح.

وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق النصراني ، زكي الأرسوزي النصيري ، ورئس حزب القوميين العرب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق – الأستاذ في الجامعة الأمريكية.

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون: (لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية خلال عشرين قرنا).

وقد نجحت الدول الغربية في توجيه مُحَمَّد على باشا لتأدية أكبر خدمة للغرب ومنها:

1. زلزلة سلطة الدولة العثمانية الإسلامية على الشرق ومحاربة تركيا في موطن كثيرة.
2. تنشيط حركة التبشير النصراني في المنطقة.
3. تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.
4. ضرب الحركة الإسلامية التي ظهرت في الجزيرة العربية (الحركة الوهابية).
5. إدخال القوانين الغربية لتطبيق على المسلمين.

وكل القضايا التي فعلها (الخمسة المتقدمة) خطيرة وأحدثت أثرا كبيرا في حياة المسلمين خاصة فيما يتعلق بإدخال الدين الجديد (دين نابليون) أي القوانين الفرنسية وخلطها بالقانون الإلهي فأنشأ دينا

جديد خليطا من (الدين الفرنسي والدين الإسلامي) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الله هو رفاعة الطهطاوي. وأما أستاذه الكبير فهو الدكتور (كلوت) الذي وجه الحياة المصرية في أكثر مناحيها. وأما بالنسبة لضرب الحركة والوهابية (دعوة التوحيد) في الجزيرة العربية فأرسل مُحَمَّد علي ابنه إبراهيم باشا سنة (1231هـ) (سنة 1815م) إلى جزيرة وفي سنة (233هـ) (1817م) فدخل إبراهيم باشا (الدرعية) عاصمة الدعوة. وقضى على الحركة الوهابية.

وقبل أن نطوي صفحة مُحَمَّد علي باشا لا بد من وقفة عند رفاعة الطهطاوي الذي كان له أكبر الأثر في عملية التحويل.

لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات مُحَمَّد على إلى باريس) في باريس من (1826-1831م) فرجع وكتب كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي كتبه أثناء إقامته في فرنسا وعرضه على أستاذه (جومار). وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا ، وقد قام في تخليص الإبريز بترجمة الدستور الفرنسي وبتمجيد الثورة الفرنسية التي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التاريخ.

وفي زمن الخديوي إسماعيل كان الطهطاوي عضده الأيمن في الإفساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (منهاج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و (المرشد الأمين للبنات و البنين) وهو يبدي اهتماما ظاهرا بالتاريخ الفرعوني ويسمى رمسيس الثاني (فرعون سيدنا

موسى) : (فخر الدولة المصرية في الأزمان الجاهلية ومصباح تاريخها). ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصاريف الربوية دون تعليق . ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الأناقة والفتوة والرياضة ويعجب بالمرح ويشجع الطهطاوي على اختلاط الجنسين ، وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعية ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعارا جديدا (أخوة الوطن). هذا الشعار الذي أصبح دينا لدعاة القومية والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدين التونسي) الذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربية في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإسلام العظيم في نفوس أبنائه.

- **صالون الأميرة نازلي فاضل:**

كانت نازلي ابنة مصطفى فاضل – أخ إسماعيل باشا – وكان مصطفى وليا للعهد ثم أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثم إلى أوروبا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثم عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربية. ففتحت صالونها ملتقى هواة السلطة ومحط أنظار الذين

يحلمون بالعلو في الأرض ، لأن الصالون أصبح يحظى برعاية (كرومر) – المعتمد البريطاني في مصر– وكان الرواد الدائمون لهذا الصالون ممن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة وبمالها.

من بين هؤلاء الذي يعتبرون علية مجلسها:

– **سعد زغلول**: الذي جاء من الشارع – دون جاه ولا علم ولا مال – وتولى رئاسة مكتبها وبقي حتى سن السادسة والثلاثين لم يتزوج ثم تزوج (صفية ابنة مصطفى فهمي) رئيس وزراء الإحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاما ، والغريب أن هذا الزواج من ابنة رئيس الوزراء التي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها. وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (**صفية زغلول**) وتكنى (**بأم المصيريين**).

ومن رواد الصالون: الشيخ **جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ مُحَّمد عبده** ولقد اطلعت على رسالة بين الشيخين عن الأميرة مما يدمي القلب عن حالة قادة الفكر الإسلامي!! في ذلك الوقت.

ومن رواد الصالون كذلك:

لطفي الخولي. ثم جيء **بقاسم أمين** الذي رد مرة على أحد الفرنسيين (داركور) ، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإسلام. فقام أمين ورد عليه وبين أن الإسلام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسية واحتشامها بلباسها. وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول و مُحَّمد عبده صدر الأميرة نازلي على قاسم أمين

لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك. ثم اقترحوا حلا لرضا الأميرة عليه بأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (1900م) بكتاب (تحرير المرأة) الذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشيخ مُحَّد عبده . وقبل سنوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد مُحَّد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وبقيت بريطانيا ترعى هذا الصالون وروداه حتى أوصلوهم إلى سدة الحكم:

فقد أصبح مُحَّد عبده مفتيا للديار المصرية ، وأصبح سعد زغلول وزيرا للمعارف ثم رئيسا للوزراء وأضحى لطفي السيد (أستاذ الجيل) رئيسا للجامعة المصرية وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

ولطفي سيد : هذا هوا الذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس آراء كرومر والدفاع عنها ، والدعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كان صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا بفصل مصر عن العالم العربي الإسلامي.

فمثلا سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربية قائلا: (إنها وحدة بين أصفار).

وسار في هذا الخط طه حسين الذي قال : (**إن الدين واللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السياسية ، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**) ، وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة جديدة) (1928م) لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين: (**لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**).

وفي سنة (1927م) مات زغلول ليأتي النحاس رئيسا للوفد ، حيث فرضته الدبابات البريطانية في 4 فبراير سنة 1942م رئيسا للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

– **صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي**. ولقد كان لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصرية الطيبة. أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم بسبب كون زوجها رئيسا للوزراء، وهي كما ذكرنا ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي ابنة سلطان باشا الذي وقف بجانب الإنجليز ضد الثورة العرابية وقد استلم من الإنجليز مبلغا ضخما لقاء عمالته ثم أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج ابنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في الخمسينات من عمره فأصبح اسمها (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الإنجليز وقد أُخذت هدى

إلى أوربا ولدى عودتها من رحلتها ، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد ، وشكلت (جمعية السيدات المصريات).

- **كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب:**

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الذي يدير مصر منذ الاحتلال سنة 1882 إلى 1906م، وقال الدكتور النشار (أعلن كرومر منذ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر)[51].

ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية وحمل على الإسلام من خلال تركيا التي تمثله ، ونشر الإنجليزية ، وحارب العربية ، ونادى بفكرة مصر للمصريين ، وحط من قيمة الأزهر ورجاله رقى طبقة المتفرنجين ، وكان يقول:

" سوف يجد محبو الوطنية أحسن أمل لهم في ترقي أتباع مُحَمَّد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدرج "[52]

---

[51] لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من برامج الأوربيين في ما أسموه (**حرب الكلمة**) منذ القرن التاسع عشر . وقارن برنامج (**كرومر**) الحاكم البريطاني لمصر منذ (1882) ، مع برنامج (**بريمر**) الحاكم الأمريكي للعراق منذ (2003) . واستراتيجية (رامسفيلد) و (رايس) **لـ (حرب الأفكار**) و (**تطوير المجتمعات**) العربية والإسلامية دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا **!** لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق ..ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكي الذي يقوم على **الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي** الذي حرم **ثقافة الأوربيين ومكرهم !**

[52] الآن (عراق) مستقلة بالتدرج !!

ألـف كرومـر كتـاب (مصـر الحديثـة New Egypt) وادعـى أن الإسـلام منـاف للحضـارة ويعلـم أتباعـه الحقـد علـى مخالفيهم !! وهـو ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كـان لطفـي السـيد أحـد الـذين حملـوا لـواء الـدفاع عـن كرومـر وسياسته في صحيفته (الجريدة) ، وصحيفة المقطم.

أما دوجلاس دنلوب:

فهـو أحـد سيئات كرومر الكبرى. فلقـد شـجع كرومر المبشـرين في مصر والسودان إلا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة في التعرض للناس في الشوارع خشي أن يؤدي عملهم هذا إلى يقظة الناس ومن ثم تتفجر ثورة وطنية بحمية إسلامية. فحد من نشاطهم ، فرفع المبشـرون تقرير إلى الحكومـة البريطانيـة فأرسـلت بريطانيـا عتـابا إلى كرومـر فـرد علـى المبشـرين بأني سـأعمل عـن طريـق راهـب واحـد أضـعاف عملكـم ، وأحضـر دنلـوب سـنة (1889م) وهـو راهـب تخـرج مـن كليـة لاهـوت بريطانية وعينه كرومر (1897م) سكرتيرا للمعارف. ثم سنة (1906م) عين مستشارا لوزارة المعارف ، وقد كان دنلوب هو الوزير الفعلي.

وكـان ينفـذ سياسـة كرومـر (**عقـل بريطـاني وأيـدي مصـرية**)[53] ويرفع شعار سيده :

---

[53] – الآن (عقل أمريكي يهودي بريطاني) .. وأيدي عراقية وأردنية وسعودية وباكستانية ومصرية ....إلى آخر قافلة السوائم !!

(متى توارى القرآن ومكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة).[54]

وقد حارب دنلوب اللغة العربية والأزهر ، وشجع الإنجليزية وأصبح تدريس العلوم والرياضيات والكيمياء والجغرافيا بالإنجليزية وحارب التعليم العالي بحجة أن المصريين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكتب الإسلامية أو التي فيها عاطفة إسلامية مثل كتب علي مبارك وعبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب ، أنه رسم المناهج التي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربية وقسم التعليم إلى قسمين :

- ديني : وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده.
- ومدني: حارب فيه كل كلمة دينية ، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلم الحقيقي – وإذا احتاج إلى بعضهم كان يدفع للواحد 112 قرشا مصريا في الشهر ، هكذا كانت الحال في مصر – رائدة العالم العربي – أواخر القرن التاسع العشر وأوائل القرن العشرين.

ففي السياسة: يرجع الأمر إلى الإنجليز فمعتمدهم هو الحاكم الفعلي للبلد وأما الخديوي فلا يملك من أمره شيئا.

[54] – الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيات وسور الجهاد والتحريض على الكراهية من مناهج التعليم . وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحق) !! يحرض على التسامح بين الذئاب والنعاج ! وتدخل الحكومات الأئمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف !

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الإنجليز.

والأزهر: مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الإعـلام: الإذاعـة مـديرها لطفـي السـيد وأمثالـه كمـا أنـه مـدير الجامعة، والصحف اليومية والدورية. والمجلات معظمها بي النصارى كالأهرام ، والمقطم ، والمقتطف ، الهلال ، ما ينوف على عشرين منها بأيدي النصارى ، ووزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

والجامعة : بيد لطفي السيد. ثم جاء طه حسين ليواصل الدور من خـلال كتبـه (الشـعر الجـاهلي) و (الأدب الجـاهلي) لينكـر ربانيـة القرآن وأطلق كلمته.

(للتـوراة أن تحـدثنا عـن إبـراهيم وإسماعيـل وللقـرآن أن يحـدثنا عـن إبراهيم وإسماعيل ولكنا لا نرى هذين مصدرا تاريخيا موثوقا) ثم استلم الجامعة ، ثم المعارف قال بعضهم " انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين ".

وفي أواخـر القـرن التاسـع عشـر حصـل أخطـر حـدث في العصـر الحديث وهو مؤتمر بال (1897م) الذي عقده هرتزل في سويرا.

مؤتمر بال في سويسرا 1897م :

يكاد كثير من مفسري التاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصر الحديث ، وهو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي، إذ دأبت بعده اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسلمين للوصول إلى أرض الميعاد.

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولد سنة (1860م) وفي سنة (1894م) حضر محاكمة الضابط اليهودي (دريفوس) الذي يحمل الجنسية الفرنسية حيث اتهم هذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه بجريمة الخيانة عشر سنوات مع تجريده من مناصبه العسكرية ، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل. إذ ظن أن دريفوس حكم ظلما بسبب دينه اليهودي وقال – من شاء أن يُنصف في هذا المجتمع فلينتصر – وصمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود ، وبعد هذا الحدث بسنة أي سنة (1895م) أصدر كتابه (الدولة اليهودية) وهو شبيه بالكتاب الذي أصدره موسى هيس (من روما إلى القدس).

وفي سنة (1897م) استطاع أن يجمع المنظمات الصهيونية في مؤتمر صهيوني عالمي في بال ، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) التي تعتبر أخطر الوثائق في العصر الحديث ، ومعظم التدمير الذي حل بالبشرية في القرن العشرين كانت بسببها.

نصوص من البرتوكولات:

البرتوكـول الثـاني (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. نحن الذين رتبنا نجاح دارون – من قبل – وإن فرويد منا ، وإن ماركس ونيتشة منا ، وسنبقى ننشر آراءهم لما لها من أثر هدام على الفكر الأممي). (الفكر الأممي) يعني فكر الأمم غير اليهودية، وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليهود هذه فقال تعالى :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: 75).

ليس من حرج ولا إثم علينا – اليهود – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليهودية.

البرتوكول الثالث: (سننشر بين الشعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة. وسنستمر بالترويج لهذا الأدب ، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

البرتوكول الرابع: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية).

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) التي قالها بتبجح وصلف: (نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه).

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليهود يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليهود من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثم أحضرتها روسيا. وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا ، وسقوط الدولة العثمانية.

وقد كان البرتوكول الرابع عشر يقول: (يجب علينا أن نحطم كل عقائد الأديان).

السلطان عبد الحميد يعرقل على اليهود الطريق إلى فلسطين:

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876–1909م).

حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد ، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة.

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897م) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

5- إنشاء أسطول عثماني.

6- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

7- مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.

8- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل: " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال:

(إن أراضي الوطن لا تباع ، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه).

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901م) وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل: (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا: (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني).

فطار هرتزل مع قره صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان. (ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له ، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها ... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى

فلسطين تقتطع من إمبراطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد وفي سنة (1904م) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس.

وتكالب الماسون على إقصائه ، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا ، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة ، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

(حسين جاهد يالشين) أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور. فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قره صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى جورجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟ أعلنوا الدستور سنة (1908م) ثم استطاع

الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر ، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1- قره صو .2- أستيدي باشا .3- عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية.

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة (1909م) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام ، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن:

الإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين – حقيقية – في يد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية والإنقلاب على السلطان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالمية ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين.

تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان الصالح عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية وأصبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية ، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليهود.

وهكذا توالت النكبات على تركيا ، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – هؤلاء علمانيون لا متدينون ، المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم ، الديون تتراكم ، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة:

وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى وتقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا ، واستراحت

أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية مع اليونان. وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال. وهناك بعض المحللين التاريخيين والسياسيين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث التي كانت تعسكر قواتها على مقربة من أرض المعركة كان لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الذي ينتظره وهو محاربة الإسلام وإسقاط الخلافة.

وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

حالة العالم الإسلامي بعد منتصف القرن التاسع عشر (إلى منتصف القرن العشرين):

كان العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين نائما في سبات عميق مستسلما للذل قد استمرأ السياط التي بيد جلاديه تلهب ظهره.

وقد اتفق الغرب الذي يقبض بخناق العالم الإسلامي على أمرين:

- أن لا تقوم للإسلام قائمة.
- أن تقوم الدولة اليهودية في فلسطين.

والعالم الإسلامي قسمان: العالم الإسلامي العربي. والعالم الإسلام غير العربي.

- **أحوال العالم الإسلام العربي:**

أما العالم الإسلامي العربي: فقلبه النابض مصر وهي في قبضة بريطانيا وقد رأينا كيف عاثوا بها فسادا عن طرق أسرة مُحَمَّد علي وعن طريق صنائعهم فيها ، وكانت الأردن والعراق وفلسطين تحت وطأة الإحتلال البريطاني كذلك ، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر.

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الأفريقي ، حيث صممت أن تحول الشمال الأفريقي إلى ماخور كبير من مواخير

باريس من تونس حتى طنجة. وفرضت اللغة الفرنسية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في 16 مايو سنة 1930م الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشخصية البربرية بدل الشريعة الإسلامية. وذلك للتفريق بين العرب والبربرية. وتحويل البلد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المسلمين عن دينهم.

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل ، ويوسف السودا ، وفيكتور خلاط، شبح الفنيقية ، وإحياء أسماء هاينبال ، وصناعة حزب القوميين السوريين ، وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية. وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة المتوسط (الأوروبية) وليست عربية فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جزيرة العرب. ويجب تقليد الأوربيين في مأكلهم ومشروبهم وملبسهم وحياتهم.

وأما فلسطين: فهي تحت إدارة المندوب السامي البريطاني- اليهودي (هر برت صموئيل). الذي يمهد لإقامة دولة اليهود فيها. ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالإضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسة العلمانية وإقصاء التربية

الإسلامية والتاريخ الإسلامي عن الحياة المدرسية. وكانت الإذاعة بأيديهم.

وأما النصيريون في سوريا: فكانت فرنسا بالإضافة إلى ما تقدم من وسائل بريطانيا في عملية التغيير ، كانت ترعى طائفة النصيريين الذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المسلمين. وهذه الطائفة الذين كانوا قد اتخذوا من بينهم إلها وهو (سليمان المرشد) وقد كان راعيا للبقر واتخذ رسولا اسمه (سليمان الميدة) كان يعمل راعيا للجمال ، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا يرغال) شرقي اللاذقية، وكان المستشار الفرنسي يسجد له مع الساجدين ليزيد أتباعه غيا. وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع !.

أحوال بقية المسلمين في العالم الإسلامي:

أما عن المسلمين في بقية العالم الإسلامي فحدث عنهم ولا حرج، فزيادة عن الجهل المطبق الذي يتضور فيه غالبية المسلمين ، شجعت الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا الطرق الصوفية المنحرفة التي لا تفهم من الإسلام إلا العزلة السلبية والصبر على الإستعمار ، لأنه ابتلاء من الله. والتمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرايات فوقها من أجل التبريكات ، وإشغال الشعب بعيد ميلاد المشايخ وتتويجهم ثم الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور على أنصابهم.

وزيادة على هذا فقد ابتدعت نبوات جديدة وظيفتها إلغاء الجهاد، وترسيخ الولاء لبريطانيا.

1- ففي الهند: أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني. وهذا المتنبيء ولد سنة (1840م) في قاديان ، وأصيب في شبابه بالهستيريا.. وفي سنة (1884م) أعلن حرمة الجهاد ضد الإنجليز في كتابه (براهين أحمدية).

وفي المرحلة الثانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة (1891م) وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإسلام توضيح مرام، إزالة أوهام).

وقال: أنه المسيح الموعود.

وفي المرحلة الثالثة أعلن أنه نبي سنة 1900م، وقد ادعى أن الله جمع جميع الأنبياء في شخصه.

قال بشير محمود (أحد الدعاة القاديانيين) : (غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل) !!.

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه على الولاء لبريطانيا. يقول محمود أحمد خليفة ميرزا غلام أحمد في رسالته : (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة 1931م) :

(أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية – إن شاء الله – وإن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة بريطانيا وهذا شرط البيعة فيها).

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد: (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع لملأ خمسين خزانة. وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل).

2- البابية والبهائية في إيران:

وهذا دين آخر رعته بريطانيا وحرصت على نشره روسيا من أجل تمييع العقيدة الإسلامية. والبابية مؤسسها شيعي يدعى (ميرزا علي مُحَمَّد الشيرازي) تلقب بالباب واشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها). وادعى النبوة أولا ، ثم ادعى أنه المظهر لله ، ثم أسس تلميذه (البهاء) دين البهائية.

وفي سنة 1848م عقد البهائية مؤتمر بدشت ، وأعلنت البابية نسخ الشريعة الإسلامية بالبابية. ثم أعدم البهاء ، وتفرقت جماعته إلى فرق (في نواحي إيران).

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن النواة الأولى لأتباع الباب كان لليهود فيها عدد كبير منهم ... وقد كان قسم من أعمال السفارة الروسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية.

وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار، الأول ادعى فيه أنه عيسى عليه السلام ، ثم ادعى النبوة ثم ادعى الألوهية ...

مدرسة مد الجسور نحو الغرب:

لقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن الغرب آثر أن لا يستعمل القوة إلا في حالات الضرورة القصوى لأنه أدرك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز– بالذات – أن من أفضل الطرق لضرب جذورهم في أرض المسلمين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحواجز وإزالة الفواصل وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المسلمين والكافرين [55]، ومن هذه المدارس:

- مدرسة مُحَّد عبده في مصر.
- مدرسة أحمد خان ، وعلى طريقته وحيد الدين خان. (في الهند).

[55] الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج ، عن طريق افتتاح المراكز الثقافية ، والمؤسسات العلمية والبحثية العالية. وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا ، وأبناء الأغنياء والشخصيات السياسية والاجتماعية في بعثات دراسية إلى أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا. وتصرح أمريكا في دعايتها لبرامج تلك البعثات ، أن هؤلاء الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كل المجالات ، وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل !

مدرسة مُحَّمد عبده في مصر :

يختلف المفسرون لأحداث التاريخ حول شخصية مُحَّمد عبده وفي تحليل مواقفه السياسية وصلته بالاحتلال البريطاني [56]:

فمنهم من يغالي فيه ويرى فيه المصلح الذي أيقظ مصر من سباتها العميق ، وأنه بذل وسعه في إصلاح الأزهر ، وأنه كان لا يستطيع مواجهة بريطانيا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإسلامية والقيام بالإصلاح الجذري للأزهر والعلماء. ومن هؤلاء تلميذه مُحَّمد رضا ، ومُحَّمد البهي..

ومنهم من يرى أنه قام بدور كبير في خدمة بريطانيا أكثر من العلمانيين الصرحاء، وذلك لأنه مد الجسور بين النفسية المصرية الإسلامية والنفسية الإنجليزية الحاقدة ، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لا بد من التعاون مع بريطانيا.

ومن أصحاب هذا الرأي الشيخ عليش شيخ الأزهر الذي كفر مُحَّمد عبده.

ومهما يكن من أمر فهناك قضايا كبرى لا نستطيع إغفالها في حياة مُحَّمد عبده:

[56] أما نحن فلا نختلف ، ولا ريب عندنا أن محمد عبده كان ماسونيا عميلا لبريطانيا مرتدا ملحدا في دين الله. ونحن متفقون مع شيخ الأزهر في زمانه (الشيخ عليش) رحمه الله . حيث كفره علنا وبين وجوه ردته – قاتله الله – وسامح الطيبين المغفلين المخلصين، المخدوعين به.

1- دخوله الماسونية وهذا أثبته له حتى تلميذه وأثبت حصوله على أوسمة في الماسونية من الملحق الثقافي الأمريكي في المحفل الماسوني اللبناني.

2- وقوفه بجانب كرومر ضد الخديوي عباس.. ومكانته الرفيعة لدى الإنكليز وتدخلهم لدعمه في كل ملمة به. كما خصوه بمنصب الإفتاء في مصر وحصروه فيه.

3- كان مُحَّمد عبده من رواد صالون الأميرة نازلي كما أسلفنا. وقد حفظت صور لمحمد عبده يخالط فيها بعض نساء الإفرنج وغيرهن من خليعات مصر في ذلك الزمان.

4- كان كرومر يقول للخديوي عباس:

(إسمح لي أن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشيخ مُحَّمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت).

وقد جاء في كتاب كرومر (مصر الحديثة): (**إن مُحَّمد عبده كان مؤسسا لمدرسة حديثة قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة**).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه : (أين يتجه الإسلام) :

(ومن ناحية أخرى نجد أن الشيخ مُحَّد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي الجاف عن التعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الذي غزا الشرق والغرب).

لا أشك أن تفسير مُحَّد عبده للقرآن والذي نقله تلميذه مُحَّد رضا يدل على الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم على صدور المسلمين واستحياء من المستشرقين. حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعية ، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له ، وأول الجن بالميكروبات ، والطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب، والحجارة مت سجيل بالجراثيم ..!

فأين كان مُحَّد عبده من قوله تعالى :

﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود:113).

مدرسة أحمد خان بهادور في الهند :

لقد أقلق بريطانيا وجود علماء صادقين مجاهدين في شبه لقارة الهندية من أمثال الشيخ (أحمد بن عرفان الشهيد (1842م) الذي ألهب شعلة الحماس والجهاد في نفوس المؤمنين في الربع الأول من القرن التاسع عشر. ولذلك لجأت إلى تربية صنائع دينية تمسح من الأذهان فكرة الجهاد فاخترع تعددا من المدارس مثل:

القاديانية ، وقدمت ميرزا غلام أحمد على أنه نبي ينسخ الجهاد.

أحمد خان. العلماني الذي نادى بإلغاء الجهاد أيضا.

وقد ولد أحمد خان هذا سنة 1817م في دهلي، ثم عمل في خدمة بريطانيا أمينا في الحكم الجنائي 1837م. ولدى قيام المسلمين بالجهاد سنة 1857م، وقف أحمد خان ضد الثورة الإسلامية ، وخلص كثيرا من البريطانيين من القتل ، ودفع مبلغا ضخما من ماله لإنقاذهم ، وألف كتابا عن أسباب الثورة أنحى فيه باللائمة على المسلمين الجهلة.

وقد منحته بريطانيا وسام نجمة الهند. وفي سنة 1875م أنشأ (الكلية الشرقية الإنجليزية) في عليكرة. واسمها الآن (الجامعة الإسلامية). وهلك سنة 1898م.

ومن أهم محاولات أحمد خان:

إنشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثلاثة (الإسلام ، النصرانية، اليهودية).

محاولة إثبات صحة الأناجيل، وكتب في هذا كتابا سنة 1862م أسماه تبيان الكلام.

نادى بالمذهب الطبيعي الدهري ، وقال أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله – والعياذ بالله– ولقب نفسه بالطبيعي.

زعم أنم النبوات تكتسب بالرياضة الروحية. إلغاء فريضة الجهاد.

مدرسة وحيد الدين خان في دلهي بالهند:

وقد أشد وحيد خان بسلفه أحمد خان. وكان من أفكاره التي جاءت في كتبه:

1-الدعوة إلى إنشاء مركز عالمي عصري بشرط أن يبتعد عن السياسة بكل شكل.

2-ترك الدنيا لأهلها وتذكير الناس بالموت فقط.

3-إلغاء الجهاد والدعوة لترك مواجهة الغرب ، والدعوة إلى الإستكانة والذل والصبر.

4- أن الأنبياء بعثوا للمؤمنين الفاسدين.

المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإسلامي سنة 1932م:

خلال الثلث الأول من القرن العشرين، نجح اليهود وحلفاؤهم الغربيين في مجالات شتى في العالم الإسلامي..

فقد أسقطوا الخلافة العثمانية ، وزجوا بتركيا في الحرب العالمية الأولى، فحطموها وتقاسموا ممتلكاتها ، وقد وقف الزعماء العرب بسذاجتهم إلى جانب الحلفاء والإنجليز خاصة ضد إخوانهم المسلمين الأتراك العثمانيين، ظنا منهم أنهم سف يساعدوهم على قيام مملكة عربية مستقلة !ولمن الحقائق التي سبق أن أشار إليها القرآن كانت غير

ذلك ! يقول لورنس (رجل الإستخبارات البريطاني) الذي رتب الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين لمساعدة بريطانيا التي أغدقت الوعود الكاذبة للشريف حسين والي مكة والحجاز آنذاك. يقول: (كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ، وكان لهم ثقة بالعدو. إنني أكثر ما أكون فخرا أن الدم الإنكليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضناها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد)..

لقد قال ويزمن بعد ذلك : (لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود)!

ثم بدأ الغرب عن طريق التعليم ينفث السم في أوصال هذه الأمة، فأفسد الناشئة ، وأفسد النساء وحطم المكونات الأسرية ، وأدخل أندية الماسون والروتاري في نخبة المجتمعات .. ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام ..

يقول **المستشرق الإنكليزي جب** في كتابه وجهة العالم الإسلامي :

[عن **(التعليم)** [57]:

إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المسلمين وتغريبها ، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها ، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل .] !

ويقول :

[**إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على الصحافة ، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي ، ومديرو الصحف القومية معظمهم من التقدميين والصحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى .]** !

ويضيف بأن التعليم والصحافة قد ترك المسلمين لا دينيين إلى حد بعيد :

[**إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته .]**

---

[57] انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتعليم , **ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك** . وتذكر الإلحاح والإجبار الذي تمارسه أمريكا اليوم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التعليم .وعقد الحكومات العربية والإسلامية بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشعار الخادع : **(تطوير مناهج التعليم)** .

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين :

1- **المعاهد الدينية.**

2- **الحركات الإسلامية** : التي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة ، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها .

و يقول: [**إن الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين !**]

زعيم المبشرين (زويمر) يصف المسلمين الذين يريدهم الغرب سنة 1933م [58]

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القدس سنة 1933م:

[** .. إن مهمتكم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام.

**** لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذ الثلث الأخير من القرن**

[58] **إقرأ ..وتمعن ..وستفهم** : أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الروم الصليبيين الأوربيين , والروم المتصهينين الجدد الأمريكيين . اللهم إلا ما أشرنا إليه من **خصائص الكاوبوي الأمريكي** , وثلاثيته : **الحمق والجهل والبطش** ..لأنه يستعجل النتيجة. ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة .

التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية ، تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية.

** أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل تمهيد.

** إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية . وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الإستعمار ، لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات ، فإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك .] !

ويقول زويمر :

[إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ 1882م على برامج التعليم في المدارس الابتدائية ، أخرجت منها القرآن ، ثم تاريخ الإسلام ، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ، ولا هي مسيحية ، ولا هي يهودية. ناشئة مضطربة ، مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا ، فلا للدين ، ولا للكرامة ، ولا للوطن حرمة] ! اهـ.

لقد وصف(**زويمر**) الجيل خلال القرن التاسع عشر والثلث الأول القرن العشرين وصفا دقيقا. ولكنه خاب فأله فيما بعد ، ولم يصدق ظن (**جب**) ، الذي رأى أن الشرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب.

لقد كان الله – عز وجل – لهم بالمرصاد. (فقد نهضت الصحوة الإسلامية بمدارسها المختلفة ، ثم أفرزت الصحوة الجهادية ، وعادت الأمة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:36)]. **اهـ** [59]

[الدعوة القومية والأسباب الحقيقية التي كانت وراءها:

السبب الرئيسي: هو محاولة الغرب استعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية ، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان ، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا ، خاصة بعد حملة نابليون على مصر.

طموح مُحَّد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل إمبراطورية قومية عربية.

[59] (الذخائر العظام – ج908/1– 939) .

التخلص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتى يرث الغرب ممتلكاتها.

محاولة النصارى التخلص من تركيا لأنها كانت تطبق عليه الجزية وبعض الواجبات الاستثنائية التي تقابل المسلمين دفع الزكاة والقيام بالجندية لحماية الدولة الإسلامية.

وطمعا من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات التي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

التطور التاريخي للفكرة القومية:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الإسلام إلى القومية ، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء (الله أكبر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة (1904م) من مصر وجاء مُحَمَّد علي باشا، وكان مُحَمَّد علي ضابطا ألبانيا – لا يعرف العربية جاء مع الحملة التي أرسلها الخليفة إلى مصر لمقاومة نابليون ، وكان مُحَمَّد علي يتيما طموحا ذكيا ، ولكنه كان أميا ، فكان مصابا بعقدة النقص بسبب أميته ، فأراد أن يحضر مصر ويطورها ، فقضي على المالك ونودي به حاكما على مصر.

مُحَمَّد علي باشا والفرنسيون:

كان مُحَمَّد علي معجبا بالفرنسيين ، فهو منذ صغره على صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion) ثم استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره ، فأشار عليه بفكرة القومية (وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا التي كان يديرها على الشعوب الصحيح بالقومية العربية) وبدأ مُحَمَّد علي يرسل البعثات إلى فرنسا ، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية ، ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس (1826– 1831م) فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية.

إبراهيم باشا في بلاد الشام:

كان مُحَمَّد علي باشا يطمع في امبرطورية عربية تنفصل عن الحكم العثماني ، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا واحتل الشام كلها ، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشام سبع سنوات (1833– 1840م) وقد كان لهذه السنوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن ونيف.

فماذا صنع إبراهيم باشا في الشام:

ألغى الأحكام الإسلامية المطبعة على النصارى في الشام ونادى بمساواتهم بالمسلمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

شجع الجمعيات التبشيرية ومدارسها ، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء والسائحين والمبشرين ، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشام.

أ- قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) وكان من بين رجالاتها[60]:

(**أيلي سميث**). الذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من (1834-1857م) فنقل المطبعة التي كانت للبعثة من مالطة إلى بيروت وبدأت تطبع بالعربية وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشام ، وأقام سميث هو وزوجته في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدرسة في بلاد الشام من هذا النوع.

الدكتور (**كورنيليوس فاندك**) جاء طبيبا مع البعثة الأمريكية وبقي يعمل 55 سنة في بلاد الشام (ربما كانت جهوده أكبر الجهود الفردية الأجنبية قيمة وأكثرها أثرا في التطور الثقافي في البلاد.

ناصيف اليازجي : (1800-1871م) لبناني نصراني ، عمل مع البعثة الأمريكية ، وفي مطبعتها مع سميث وفانديك ، و قام هو وابنه

---

[60] لاحظ قدم المحاولات الأمريكية للتسلل للمنطقة , حيث لم يتمكنوا لقوة بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك . حتى جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النصارى المتهودين.

إبراهيم اليازجي بترجمة التوراة ، وكان ابنه إبراهيم هو أول من أسس (جمعية بيروت السرية) ذات الطابع القومي.

وإبراهيم هذا كان نصرانيا ماسونيا ، عاش ما بين (1847-1906م)، مات في مصر ونعته المحافل الماسونية فيها ، وهو صاحب القصيدة التي تنادي بالثورة على الأتراك.

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ ... لقد طما السيل حتى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة ... حقكم بين أيدي الترك منتهبُ
لنطلبن بحد السيف مأربنا ... فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

بطرس البستاني: (1819–1883م) ، وهو لبناني كان يعمل مترجما في القنصلية الأمريكية في بيروت ، غير دينه من ماروني إلى بروتستنتي بسبب صداقته مع سميث و فاندك . وظفه المبشرون مدرسا في مدرسة عبية ، ترجم التوراة مع سميث واستغرق في الترجمة عشر سنوات ، أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و (دائرة المعارف للبستاني).

أصدر في فتن عام (1860م) (بين النصارى والدروز في لبنان) مجلة اسمها (نفير سورية) يدعو إلى الوحدة القومية ، أسس عام (1863م) (المدرسة الوطنية) كان يدرس هو وناصيف اليازجي فيها. وأصدر عام (1870م) مجلة اسمها (الجنان) صحيفة نصف شهرية سياسية وأدبية ، – شعارها (حب الوطن من الإيمان). وأصدر صحيفتي (الجنة) و (الجنينة).

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القومية العربية، فلقد قام تلاميذهم بالتنظيمات القومية التي آتت أكلها فيما بعد وأثمرت هذا الإقصاء لدين الله عن الحياة وتربية الرواد الذين يعتبرون القومية مثلهم الأعلى الذي تقدم له القوانين والتضحيات.

من ثمار البعثة الأمريكية عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بإنشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

الجامعة الأمريكية في بيروت (1866م):

وكان اسمها في البداية (الكلية السورية الإنجيلية) ، وكان أول رئيس لها هو (دانيال بلس) راهب أمريكي يحمل الدكتوراه في اللاهوت ، وبقي رئيسا للجامعة حتى عام (1902م) وخلفه ابنه (هوا رد بلس) ، وأثر الجامعة الأمريكية في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القومية. ولقد خرجت الجامعة أجيالا من قادة بلاد الشام على مدى قرن ونيف. ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الذي تخرج على يديه (جورج حبش).

البعثة الكاثوليكية – اليسوعية ، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية (1847م) وأسست مدرسة يوسف التي عرفت فيما بعد بالجامعة اليوسعية.

ج – اللعازريون : افتتحوا كلية (عين طورة) في لبنان.

– الجمعيات القومية:

ومن الأعمال التي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجمعيات التي تنادي بالفكر القومي وأهمها:

1- جمعية الآداب والفنون عام (187م):

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكية وعلى رأسها سميث وفاندك والبستاني وناصيف اليازجي ، ولم يمض عليها عامان حتى بلغ

أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النصارى السوريين في بيروت ، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي ، وبقيت الجمعية خمس سنوات.

2- **الجمعية الشرقية عام (1850م)** : أسسها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبر ونر.

3- **الجمعية العلمية السورية عام (1857م)**: بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضوا ، اشترك فيها بالإضافة إلى مؤسسيها من أتباع البعثة الأمريكية بعض المسلمين والدروز ، ونالت اعتراف الحكومة بها عام (1868م).

(كان أول صوت ظهر لحركة العرب القومية هو صوت إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجمعية فألقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي).

4- **جمعية ببيروت السورية عام (1875م)**: يقول جورج انطونيوس : (يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى العام (1875م) أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية – الجامعة الأمريكية – ببيروت جمعية سرية وكانوا جميعا من النصارى ، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية ، ويمثلون الصفوة المختارة والمستنيرة في البلاد ، وكانت الماسونية قد دخلت قبل

ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوروبا ، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم)

من هذا ندرك:-

أن بداية العمل القومي المنظم كان في بلاد الشام عن طريق النصارى.

أن هؤلاء النصارى من تلاميذ البستاني واليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكية.

إن من بين المؤسسين إبراهيم اليازجي صاحب شعار الجمعية.

لنطلبن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

وكذلك كان فارس نمر باشا (نصراني لبناني) وصهره (شاهين مكاريوس) من مؤسسيها ، وهؤلاء الثلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية - اليهودية — هي التي تبنت فكرة القومية العربية ، وهي نفس الأيادي التي كانت تحرك في الوقت ذاته (القومية

الطورانية) التي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليهود الإيطاليين.

وأن الذي أوحى بفكرة تأسيس جمعية بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ، وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية).

وقد كان يشك أن مدحت باشا – زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار – وراء تشكيل الجمعية ، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام (1880م) :

(ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها) وكان مدحت آنذاك واليا على الشام.

ولكن حزم السلطان عبد الحميد ومتابعته للجمعية ومنشوراتها جمد نشاطها ، وكان أهم منشورات الجمعية هو المنشور الثالث الذي صدر في 31 ديسمبر 1880م وحدد مطالبهم بأربع نقاط.

منح سوريا مع لبنان الاستقلال.

الاعتراف بالعربية لغة رسمية.

رفع الرقابة عن حرية التعليم.

عدم إرسال أبناء العرب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

هجرة دعاة القومية إلى القاهرة :

نتيجة مكافحة السلطان عبد الحميد للجمعيات السرية القومية ، انتقل أولئك الدعاة الأوائل للقومية إلى القاهرة حيث يجثم كرومر المعتمد البريطاني . فهاجرت العائلات النصرانية إلى القاهرة لتبث من هناك الأفكار العلمانية والدعوة القومية ، ولتنطلق منها لمحاربة تركيا. وكان من أبرز تلك الأسماء التي استقرت في القاهرة :

فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس ، صاحب جريدة المقطم اليومية ، ومجلة المقتطف الشهرية وهما ماسونيان.

سليم تقلا الذي أسس جريدة الأهرام اليومية التي مازالت إلى يومنا هذا.

جو رجي زيدان : صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة.

أديب اسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير صحيفة التجارة) ، وكان هذان النصرانيان يعملان بإدارة جمال الدين الأفغاني، وهو الذي أسس هاتين الصحيفتين.

روز اليوسف ، وقد جاءت من الشام وكانت نصرانية ، وتظاهرت بالإسلام ، وسمت نفسها فاطمة يوسف ، ولكنها سمت صحيفتها باسمها القديم (روز اليوسف).

أحمد فارس الشدياق- ماروني اعتنق المذهب البروتستانتي على يد البعثة الأمريكية ، ثم جاء مصر وأصدر صحيفة (الجوا ئب) ثم أسلم على يد (باي تونس)] اهـ[61].

[(جمال الدين الأفغاني) و (مُحَمَّد عبده) و (عبد الرحمن الكواكبي):

ولا بد هنا أن أشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العلماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإسلامية ، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخلافة. وهم:

الأفغاني: وكان يحتضن كثيرا من النصارى واليهود ، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهوديا ، وقد حضر موته هو ونصراني آخر اسمه (جو رجي كنجي) ، وكان ينزل في لندن ضيفا على (مستر لنت) البريطاني صاحب كتاب (مستقبل الإسلام) ، وعندما حاول الخليفة منع الأفغاني من الخروج من تركيا توسط له السفير البريطاني وخرج وكان الأفغاني رئيسا لمحفل الشرق الماسوني.

أما مُحَمَّد عبده: فكان صديقا حميما لكرومر ، وصرح بأن الشيخ عبده سيبقى مفتيا لمصر مادامت بريطانيا فيها ، وكان ماسونيا ، وكان من رواد صالون الأميرة نازلي فاضل ، ومن تلاميذه: أحمد لطفي

[61] (الذخائر العظام : ج 1 / 879 - 882) .

السيد العلماني الذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريدة) وسعد زغلول ، وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة) ، وهؤلاء كان لهم أثر عميق في مجرى الأحداث في مصر.

وعبد الرحمن الكواكبي (1849–1903م): وكان جل أصدقاؤه وتلاميذه من المسلمين واليهود والنصارى. وكانت دروسه في مقهى (سبنلددبار) ، نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى) ، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد) ، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التمسك القومي:

(دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط ، دعونا تجتمع على كلمة سواء ، ألا وهي فلتحيا الأمة ، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء) ، (هذه الأمم أوروبا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الإداري).

هؤلاء الثلاثة [62] كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية ، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانية إلى الإسلام كما يقول البرت حوراني.

[62] الثلاثة هم : **عبد الرحمن الكواكبي (السوري)** ، والشيخين **جمال الدين (الأفغاني)** وتلميذه **محمد عبده (المصري)**. ومن المؤسف أننا درسنا في كل مراحل التعليم في بلادنا : أطفالا وشبابا ، أنهم من رواد **الإصلاح والتنوير** ، **والتحرر** ... بل إنني أتذكر أن عبده والأفغاني كانا يعتبران من المدرسة الإصلاحية في مناهج الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية ويرد ذكرهم بالثناء والتزيين ..فلا حول ولا قوة إلا بالله !

وحطموا الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين ، وأصبحت نفوس المسلمين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية ، يقول البرت حوراني:

(ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه ، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

ثم جاء تلاميذ مُحَمَّد عبده ليعمقوا هذا التيار وليقودوا بعلمانتيهم.

فمثلا لطفي السيد: عمق الوطنية الإقليمية وتزعم الدعوة إلى التاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول: وسلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني على الصعيدين السياسي والاجتماعي ، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشيخ عبده.

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كان يدعو إليه الشيخ عبده ، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتى أن الكتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشيخ عبده ، وقد اطلع على مسودته هو وتلميذه لطفي في جنيف سنة (1897م) كما ذكر لطفي السيد وقاسم أمين.

ولـذا تعـزى الفصـول الفقهيـة في الكتـاب إلى الشـيخ مُحَمَّد عبـده – كما يظن – لأن قاسم أمين لا علم لهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد ، وكذلك لا بد من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريـب وهـو عبـد العزيـز فهمـي – صـديق لطفـي السـيد الحمـيم ، وصـديقهم الثالـث طـه حسـين الـذي فصـل مـن الجامعـة بسـبب كفـره الصريح في كتابه (الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا على فصل طه حسين من الجامعة المصرية.

هذه المجموعة هي التي فرغت الشعب المصري من الإسلام لتحل محلة أفكـار جديـدة مـن الفرعونيـة والعلمانيـة والوطنيـة اللادينيـة ، وقـد تكون الصداقة بين هؤلاء وبين الشيخ عبده إن هي إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الإسلام ، ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل – من أجل جـذبهم – في كثـير مـن القواعـد الشـرعية الـتي تحـدد الولايـة والعـداوة والصـداقة والمقاطعة ، وأفتى بكثير مـن الفتـاوى مـن أجـل رفـع الحـواجز بينـه وبـين كرومـر مـن جهـة ، وبينـه وبـين هـذه الفئـة مـن جهـة أخـرى ، مثل الفتوى الترنسفالية ، وفتواه في المرآة والطلاق بالإضـافة إلى تفسـير كثيرا مـن الآيات الغيبيـة في القـرآن تفسـيرا يكـاد يخرجهـا عـن اللسـان العربي ويلغي مضمونها بالكلية .

جاء في تقرير كرومر سنة (1906م) المقدم إلى الحكومة البريطانية عن حزب مُحَّمد عبده :

(... وهؤلاء راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم وإخوانهم في الدين، ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الإسلامية ، ويتضمن برنامجهم – إن كنت فهمته حق الفهم – التعاون مع الأوربيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم).

ويقول كرومر :

(إني أشك كثيرا أن صديقي مُحَّمد عبده ما كان إلا إدريا (Agnostic).

ويقول صديقه بلنت – الإنجليزي – :

(أخشى أن أقول أن مُحَّمد عبده – بالرغم من أنه المفتي الأعظم – ليس له من الثقة بالإسلام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية).

وأصدق كلمة في مُحَّمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية :

(فلعل الشيخ مُحَّمد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين ، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد).

ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري – كذلك – :

(أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى مُحَمَّد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين ، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات ، ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة ، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني، كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر).[63]

الدعوة القومية بداية القرن العشرين:

وأما دعاة القومية العربية فبالإضافة إلى نصارى الشام في القاهرة الذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها ! فقد كان يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النصارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري. وهو نصراني سوري ألف سنة (1904م) جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس. وكان هدفها الذي أعلنته تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية ، ونشر سنة (1905م) كتاب (يقظة الأمة العربية) باللغة الفرنسية ، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربي) حيث صدر العدد الأول منها في أبريل سنة (1907م) ، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة (1908م).

يقول ساطع الحصري احد كبار الكتاب القوميين: (إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي وضع آماله العربية السورية في فرنسا أولا

[63] لاحظ التركيز الإنكليزي الأوربي على أمور رئيسية , يتكرر التركيز عليها اليوم من قبل الاستعمار الأمريكي ؛ ومن أهم ذلك :
– تمييع مسألة الولاء و البراء وإزالة الحواجز النفسية ووضوح الأحكام الشرعية في الفرق بين المؤمن والكافر .
– الإصرار على إفساد المرأة كبوابة لإفساد الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها .

وفي إنجلترا ثانيا) وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيدا لمؤتمر باريس سنة (1931م).

مؤتمر باريس سنة (1913م):

يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرون مؤتمر باريس أساسا للقومية الحديثة ، وكان عدد المشتركين (24) عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المسلمين ، ويقول عنه أنيس الصايغ بأنه كان خاليا من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدول الأوربية التي كانت تشجع الحركة القومية وتمدها بالأموال ، وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل جريدة (الطان : Le tamp) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية – أي الشمال الأفريقي ، فإن فرنسا تشرف على المؤتمر وهي تحكم الشمال الأفريقي ، وشكر وزراة الخارجية الفرنسية ، ورفض المؤتمر إشراك مصر في المؤتمر ، وقد طالبوا بجعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربية واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم بإدخال (3) وزراء عرب وخمسة من الولاة العرب كذلك في سلك الدولة .] اهـ .

عوامل هامة في تطور الحركة القومية :

هنالك عوامل هامة كان لها أثر كبير في تأجيج نار القومية العربية في الرابع الأول من القرن العشرين، ومن أهم هذه العوامل:

استلام جمعية الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد في (27) نيسان سنة (1909م) ، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية ، ومن فلاسفتها خالدة أديب – اليهودية – التي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف. وكذلك ضيا كوك ألب وهو تلميذ اليهودي دوركايم وتلميذ اليهودي الآخر مويز ألب ، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم على الإطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق ، فأنور بولندي ، جاويد – يهود دونمة – كاراسو – يهودي أسباني ... وبدأت جمعية الإتحاد والترقي بفرض عملية التتر يك على جميع المحافظات العربية وغيرها ، ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج ، وبدأت عملية التتريك كذلك في أجهزة الدولة ، وقد ظهر هذا واضحا في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الذي انتخب على أثر إعلان الدستور سنة (1908م) فأشرفت جمعية الإتحاد والترقي على الإنتخابات لتكون النتيجة في جانب الجنس التركي ، فكانت النتيجة أن نجح (150) من الأتراك و (60) من العرب ، بينما العرب متفوقون في عدد السكان بنسبة (5 :2).

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيدي السلطان عبد الحميد أنشئت (جمعية الإخاء العربي العثماني) وفي (2) أيلول سنة (1908م) بعد الدستور بشهر ، فعاشت هذه الجمعية ثمانية أشهر ثم حلتها الجمعية الإتحادية.

وقد أدت عملية التتريك الجبري على يد يهود الدونمة إلى ردود فعل عنيفة لدى العرب بإنشاء الجمعيات السرية والعلنية.

تشكيل الجمعيات العلنية والسرية التي تنادي بالقومية العربية ، وتنادي بفصل الدول العربية عن الأتراك ، ولو على الأقل عبر الحكم الذاتي في داخل الدولة العثمانية ، بحيث يكون للعرب إدارة أمورهم الداخلية من تعليم و اقتصاد وثقافة ، ومشاركة الدولة العثمانية في الأمور الخارجية كالدفاع وغيرها.

3– تولية جمال باشا واليا على بلاد الشام ، وكانت خالدة أيب اليهودية أمينة سره ، وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العرب ويحسن إليهم في بداية الحرب الكبرى ، لئلا ينضم العرب إلى معسكر الحلفاء ضد تركيا ، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سوريا ، وكان يحس بوجود التجمعات القومية السرية في بلاد الشام و يعلم أن العرب قد ضاقوا ذرعا بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا ، فكان العرب يبحثون عن مخرج ، واتصل زعماؤهم بفرنسا ، مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كل من بيروت ودمشق ويضبط وثائق فيها

تثبيت اتصال قادة التنظيمات والجمعيات بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العثمانيين ، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطرف عن القضية طمعا في وقوف العرب لجانب تركيا في الحرب.

وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحرب ضد تركيا إلى جانب بريطانيا استشاط جمال باشا غضبا وأمر بإعدام (11) شخصية عربية في (21) آب سنة (1915م) بعد المحاكمة العسكرية في (عاليه) في لبنان.

وفي (6) أيار سنة (1916م) شنق (21) شخصية عربية أخرى منهم عبد الحميد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيان التركي) ، وسليم الجزائري مساعد عزيز المصري في الجمعية القحطانية ، وكانت كذلك للمرة الثانية في عاليه.

ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربي ، وقد نفذ جمال باشا الإعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل ، إلا أنه لم يصغ إليهما ، وقد كان الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته على الأرض وداسها وقال:

(طاب الموت يا عرب).

4- دخول الشريف حسين الحرب العالمية إلى جانب بريطانيا ضد تركيا ، فقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاما ، وكان السلطان عبد الحميد يخشى منه. وبعد إعلان الدستور سنة (1908م)

اختارته جمعية الإتحاد والترقي ليكون أميرا لمكة ، وعارض عبد الحميد في هذا التعيين.

وقد كان إعلان الدستور في (24) تموز سنة (1908م) بعد مؤتمرات طويلة المدى أدارها أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الذين كان معظمهم من اليهود الدونمة أو الأتراك المتهودين الذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك ، وقد كانت الجمعية تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين إلى الجنسية الإيطالية.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف ، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد ، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة) ، و كراسو من اليهود الإسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا ، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا : إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي ، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء ... كما أنه

كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية – أو الشبيهة بالدولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سالونيكا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدون – شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء هم من العرق اليهودي ، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا ، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالإسم ، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى ... وفي تلك الفترة التي نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سيرة التاريخ).

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي ، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914م) يريدون التخلص منه وكان عبد الله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) وبـ (رونالدستورز) المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني. وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا ، إلا أنه لم يلق أي

تشجيع منهما ، وقال له كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد الله نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربي و متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة (1914م) ، وكان عبد الله متحمسا لإعلان الحرب على تركيا ، بينما كان الأمير فيصل يرى الوقوف معها. وفي سنة (1915م) زار فيصل دمشق واستانبول ، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها .

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الإثنين (5) حزيران سنة (1916م)،

(وسبحان ربي ! فقد كانت هزيمة العرب في يوم الاثنين (5) حزيران سنة (1967م).

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب –رضي الله عنه– بالمدينة أعلن الحرب بعد أو وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها ، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانية ، واستلم مكماهون معتمدا بريطانيا في مصر ، وحدثت المكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون ، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك ، وهُزم الأتراك ، وحصلت اتفاقية سيكس بيكو لتقسيم البلاد

العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وأعطيت فلسطين لليهود بوعد بلفور ، وكان الجزاء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه ، ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما ، وكان يصب جام غضبه طيلة حياته على مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م) ، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم ، في السراء والضراء: شرفاء ، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب. أقول: ثعلب ، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز. وصدق الله العظيم :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران:149).

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة ، فـد كتب شكيب أرسلان إلى الشريف عندما بلغه عزمه لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا :

(أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم و مقتولهم استيلاء إنجلترا على جزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين).

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة ، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا ،

وكان بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو ... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).

ويقول وايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة) ، هذا هو لورنس الذي كانوا يسمونه – ملك العرب غير المتوج.

وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام ، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا. فابتلع الغرب أولا دول البلقان : النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908م) -أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور- وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط ، وانفصلت بلغاريا ، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911م) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912م). وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية). وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي — لقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم أساتذة المحافل الماسونية في سالونيك ، وفي بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي، فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت ، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكرية.

القومية بعد الحرب الأولى (1914 – 1918م):

تعتبر وقفة العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع على أساس القومية. إذ لم يكن الإنجليز يحلمون في يوم من الأيام أن يقف العرب بجانبهم بوصفهم كفار ضد بني دينهم وعقيدتهم (الأتراك المسلمون).

يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصحراء العربية كما يسمونه):

(وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية ؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي و الإلهام ، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التفكير القومي.

كتبت (الايكونومست) في حزيران سنة (1962م) تحت عنوان (الإسلام ضد القومية) مايلي:

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا بجانب الإنجليز – الكفار – من أجل التحرر من المسلمين الأتراك . باستثناء من (الإخوان المسلمين) فليس هناك في العالم العربي

اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الإسلامية فوق قوميتهم العربية).

ولكن بعد الحرب الأولى إن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله على كاهل العالم العربي، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها ، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيام ثورة سنة (1936م) فلسطين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحربيين الأولى والثانية أدت إلى ازدياد التفكير القومي أهمها:

الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة ، ورفع الطبقة الممزقة اجتماعيا ، المتفلتة أخلاقيا ، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم ، الجديد وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القومية كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الديني ، وأخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الإسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

إسقاط الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك ، وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخلافة وقيام حركة (الإخوان المسلمين) على يد حسن البنا.

3- بروز التفكير القومي على شكل تنظيمات يقودها المسيحيون، وبروز حزب البعث ، والقوميين العرب ، والقوميون ، السوريون على السطح ، وكانت الجامعة الأمريكية محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] اهـ .[64]

<u>ولنعرض إلى نموذج من نماذج الفكر القومي العربي ومنهجه السياسي التي ازدهرت أشباهها في العالم العربي والإسلامي:</u>

حزب البعث العربي الاشتراكي:

تكون حزب البعث الاشتراكي من حزبين:

1- **حزب البعث العربي**: وقد أسسه الأرسوزي وعفلق.

[64] (الذخائر العام : ج1/ 882-889)

2- **الحـزب العـربي الاشـتراكي**: الـذي أسسـه سـنة (1938م) عثمان الحوراني ، ثم آلت قيادته إلى أكرم الحوراني ، وقد انضم أكـرم الحـوراني سـنة (1936م) إلى الحـزب السـوري القـومي وانسحب منه سنة (1938م) لينضم إلى حزب الشباب العربي الاشتراكي.

وفي (1952/1/26) انضم الحزبان الأول والثاني فكونا حزب البعث العربي الاشتراكي.

حزب البعث العربي:

اختلـف في المؤسـس ، فمـنهم مـن قـال ميشـيل عفلـق وصـلاح البيطار، ومنهم من قال زكي الأسوزي ، إلا أن حركة (23) شباط التي عملهـا صـلاح جديـد النصـيري سـنة (1966م) في سـوريا أحلـت الأرسوزي أبا روحيا للحزب ، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهي عبارة عن نواة تنظيمي كل من عفلق و الأسوزي ، وقد بقيت هذه العصبة من (1932- 1939م).

وفي سنة (1939م) انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربي).

أما زكي الأرسوزي: فهو رجل مصيري ، ملحد ، لا يتكلم العربية ! متأثر بمباديء الثورة الفرنسية والنازية ، وخاصة كتاب نيتشة : (هكذا

تلم زرداشت) عن موت الإله ونشوء الإنسان السوبرمان ، بدأ يتعلم العربية بعد سنة (1940م) ! وكان الأرسوزي يرى الجاهلية العربية مثله الأعلى ، ويعتبرها المرحلة العربية الذهبية.

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة (1946م) بالقرآن فعاب علي نزعتي الدينية).

مبادئ حزب البعث:

المنقولة عن مباديء الحزب القومي الذي شكله الأرسوزي سنة (1939م) ورمزه النمر.

1-العرب أمة واحدة.

2-للعرب زعيم واحد يتجلى من إماكانات الأمة العربية يمثلها ويعبر عنها.

3-العروبة وجداننا القومي ، مصدر المقدسات ، عنه تنبثق المثل العليا ، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.

4-العربي سيد القدر ، وفسرها الأرسوزي مستشهدا بالإنجيل:(لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الذي في السموات).

يقول الجندي:

(وفي 1940/11/29م. كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزبا نسميه حزب البعث العربي).

(أصبحت مباديء الحزب القومي هي مباديء حزب البعث العربي هي هي).

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا على كل القيم القديمة ، أعداء لكل ما تعارف عليه البشر ، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان).

(اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا أيضا ،رغم كل ما زعم البعثيون فيما بعد من مزاعم التبرير).

أما مشيل عفلق:

وفي آذار سنة (1949م) جاء حسني الزعيم فأيده البعث ، ثم اختلفوا معه فألقى ميشيل عفلق في السجن ، فكتب مذكرة استعطاف له فخرج ثم جاء (الحناوي) بعد حسني الزعيم فاختار ميشيل وزيرا للمعارف ، فاغتنمها فرصة ليرسل البعثيين في بعثات دراسية إلى فرنسا ، فعادوا واستلموا الجامعات الإدارات.

كان الصراع على أشده بين قادة الحزب ، حتى أنه في انتخابات سنة (1955م) للمؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس إنجليزي، والحوراني فرنسي ، والبيطار عمل لأكثر من دولة).

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج.

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

1- لقد كان الحزب مأوى يتجمع فيه كل الناقمين على الإسلام أو الطامعين في الحكم ، فانتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلما إلى دولتهم النصيرية ، ودخل فيه الإسماعيليون مثل سامي الجندي و عبد الكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليهود: مثل أحمد رباح الذي كان رئيسا للحزب في دمشق.

وإيلي كوهين: ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي ذهب إلى الأرجنتين ، وأقام صداقة مع أمين الحافظ، ثم دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت) ، وسكن حي (أبو رمانة) في دمشق ، وأصبح شقته الحصن الحصين الذي يأوي إليه قادة البعث وفوق أسرة كوهين شرب نخب النصر سليم حاطوم وعبد الكريم زهر الدين يوم الإنقلاب البعثي (8 آذار 1963م) ، وعرضت على كوهين الوزارة، واستشار بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل فلم يوافق ، وكان يسمى الشاب الثوري الأول ، وكان الشخص المدني الوحيد الذي يدخل المطارات والقواعد العسكرية ، وأخيرات اكتشفت السفارة الهندية أن يهودي من خلال الإشارات اللاسلكية التي يرسلها إلى إسرائيل يوميا، وكانت فضيحة عالمية ، وحوكم كوهين ، وكان الذي يحاكمه هم تلاميذه وربائب حجره، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخفى مصائب الحزب البعثي

الحاكم .. وكان سليم حاطوم هو رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمته، وبسرعة فائقة طويت القضية ، وأعدم كوهين ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الذي تديرهم اليهودية العالمية من خلال المرأة والكأس.

2- إن المؤسسين الحزب البعث ليسوا مسلمين أصلا فزكي الأرسوزي نصيري ملحد ، وميشيل عفلق مسيحي – قيل أنه يوناني الأصل.

3- إن مباديء حزب البعث كفر صريح ، (العروبة مصدر المقدسات ، عنه تنبثق المثل العليا ، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء ، العربي سيد القدر) فالمثل العليا هي العروبة وليس الإسلام أو القرآن والسنة.

4- كان أتباع البعث الأوائل ملحدين ، أعداء للأديان جميعا. قال سامي الجندي في كتابه البعث : (لقد كنا خوارج على الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها جميعا).

5- ويقول : (إن الحزب رغم ادعائه القومية والوطنية لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية أخطر قضية العربية في العصر الحديث) .

6- لقد تسلق النصيريون على سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكريا ومدنيا ، وفي (22) شباط سنة (1966م)

قام صلا جديد – النصيري – بإقصاء عناصر أهل السنة من مراكز القوى – وفي سنة (1970م) عندما جاء حافظ الأسد – بالحركة التصحيحية جعل الدولة نصيرية خالصة.

7- إن الأحزاب القومية ليس لها أيديولوجية (عقيدة) تجاه الكون والإنسان والحياة ، ولذا بقيت إطارا فقط دون مضمون، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية ، ولذا فإن الأحزاب القومية كلها أصبحت: (عربية الإطار والمظهر شيوعية الحقيقية والمخبر) وهذا الذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية) بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الإقتصادية ، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشيوعية هي حقيقة هذا التيار.

8- لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم ، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة (1965م) في سوريا تسلط العسكريين على الحزب وإقصاء المدنيين من اللجان المركزية للحزب ، فطرد عفلق، بل حكم عليه بالإعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار ، ثم لوحق البيطار حتى اغتالته النصيرية في منفاه في باريس سنة (1981م). وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم في إنقلاب (1968م) على عبد الرحمن

عارف ، فجاء به تلميذه صدام حسين الذي أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ثم بالتالي رئيسا لجمهورية العراق.

وقد سئل صدام حسين في مقابلة صحيفة له طبعت ووزعت في الأردن سنة (1981م):

ما علاقتك بميشيل عفلق ؟ فرد صدام :

(**علاقة الابن بأبيه. ولولا ميشيل ما كان صدام شيئا**) ، ومن المعروف أن صداما كان حارسا خاصا لميشيل عفلق من بداية الستينات ، وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السياسيين ، وفي سنة (1979م) صفى الرئيس صدام حسين – منذ الأيام الأولى لحكمه – معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التجربة المرة) ، ومطاع الصفدي (حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عله النصيريون ثم قتلوه ، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي على كل الأديان والقيم المباديء. فاستعانوا أولا بذراري المسلمين الداخلة في حزب البعث ، ثم صفوهم تدريجيا ، وأصبح الكفر هو شعار الدولة في كل الأجهزة: كتب إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية (1967/4/25م):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العرب الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ). تعالى الله عما يلحد المجرمون.

وقال شفيق الكمالي يمدح صداما:

تبارك وجهك القدسي فينا   كوجه الله ينضح بالجلال

{ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه !! وتعالى الله عما افترى هذا الكلب الذي سرعان ما لاقى جزاءه في الدنيا قبل الآخرة.

ولتوفيق الكمالي مع صدام قصة هي في الحقيقة من آيات الله .. ففي الحرب العراقية الإيرانية 1979-1986م عرض الخميني وقف الحرب مقابل استقالة صدام ، وفي إحدى جالسته الخاصة ، قال هذا الشاعر توفيق الكمالي لجلسائه ، لو أن سيادة الرئيس قبل وحقن الدماء..، ورفعت الإستخبارات التقرير ، فاستدعى صدام الكمالي ، الذي اعترف باقتراحه معتذرا بأنه رأي أن ذلك سيكون من فضائل الرئيس الكثيرة على الأمة .. فأمره صدام أن يمد لسانه ، وأخذه بيده وقطعه بمدية حادة.. وهكذا ألقي صدام اللسان الذي شبه وجهه القذر ، بوجهه سبحانه وتعالى ..، فألقي في المزبلة التي يستحقها بيد ذات الطاغية الذي امتدحه ، فسبحان الله رب العالمين.

وقد سمعت هذه القصة من أحد تسجيلات الشيخ عبد الله عزام رحمه الله . }

وعندما دخلت قوات البعث حماة سنة (1964م) كانت تهزج قائلة:

هات سلاح خذ سلاح   دين مُحَّد ولى وراح

وفي سنة (1980م) خرجت سرايا الدفاع والحزبيون يهتفون (سقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله لا الوطن ولا رسول إلا البعث) (لا إله إلا ساجي – ابن سليمان المرشد – الذي ادعى الألوهية بين النصيرية في الأربعينات!).

{ وفي النصف الثاني فمن الثمانينات ، وبعد القضاء على الثورة الجهادية في سوريا ، خرجت مظاهرة بعثية نصيرية في مدينة حمص التي يضم ثراها قبور عشرات آلاف الصحابة ﭬ ، وكانوا يهتفون : (حلَّك يا الله حلَّك..تعين حافظ محلك) ..

– (حلك) تعني بلهجة تلك المنطقة (حان لكَ).. أي (آن لله) أن يستخلف حافظ الأسد ربا مكانهُ..– أستغفر الله العلي العظيم– ولعنة الله على الطغاة الملحدين . }

9- لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحرب الثانية (1939م)، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم وذا فقد تأثر بها .. فمثلا كان زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية ، وخاصة بكتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله ...) وأما

عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) و(جيد) ، فجاءت أفكارهم تلخيصيا للإلحاد والقلق الذي كان يعاني منه نيتشه الذي كان يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء) ، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتخلص في ثلاثة نقاط:

1-الإلحاد 2- إن فكرة القيامة هي التي جعلت من المسيحية (أخلاق العبيد) إذا أن، حقد الضعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة ، فاستسلم الأقوياء للأساطير ، وعم ظلام المسيحية العالم.

3-اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستية:

1-(البعث قدر الأمة العربية) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هي قدر الأمة الإيطالية) وهو الحق الإلهي عند هتلر ، وهو نفس كلام ترو تسكي:(إن الحزب الشيوعي لا يخطئ لأنه تجسيد للحتمية التاريخية).

2-إن العقيدة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تنافس ، إنها تدرك بالإحساس).

3-(إن القدر الذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس الكلام موسوليني (إن القدر

الذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ، ونتصرف بقسوة).

4-(إن البعث هو الطليعة ، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها) ، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هي حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير).] اهـ.[65]

{ تذكرني هذه الشواهد ، بما لفت نظري أثناء دراستي التاريخ في جامعة بيروت ، ما وجدته في أحد الكتب المقررة عن وحدة إيطاليا ، وجدت تشابها كبيرا بين فكر وأعمال أحد دعاة القومية والوحدة الإيطالية – لا يحضرني اسمه الآن – وما كنا نسمعه من أفكار عفلق و الأرسوزي وحزب البعث في سوريا ، ومن ذلك الشعار الثلاثي ، وتسمية جريدتهم البعث .. وغير ذلك. ولا أشك الآن أن أفكار البعث صنعت في أقبية الماسونية ، ومؤامرات الصليبية ، حتى أني قرأت في إحدى الصحف أن البابا قال لعفلق في إحدى لقاءاته معه : لقد نجحت يا ميشيل فيما فشلت فيه الحروب الصليبية !

ثم كانت تجربة عبد الناصر والضباط الأحرار ، ودعواهم القومية العربية نموذجا شبيها في مصر لما سلف من نموذج البعث في سوريا والعراق . }

[65] (الذخائر العظام :ج1/889-892)

الانقلابات العسكرية والقومية:

إن الأفكار الجديدة لا بد لها من قيادات عسكرية تفرض آراءها بالقوة ، وبهذه الطريقة استبدل الإسلام بالقومية والإشتراكية.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربية في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادت شابة عسكرية يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادىء.

يقول قسطنطين زريق:

(إن العرب لا بد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة وتقدمية، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية ، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب).

ويقول جب:

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي وعلى الشباب منهم خاصة).

وفكرة القومية قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنية.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين الثابتة على السلطة في الدولة ... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

ومن المعلوم أن العسكريين لا علم لهم بإدارة الأمم ولا رعاية الشعوب ولا سياسة الجماهير ، ولذا تدار البلاد من خلالهم . لقد وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجية الأمريكية فئة العسكر لانقلاب سنة (1952م) في مصر وصفا دقيقا يصلح لكل العسكريين فيقول:

(إن هؤلاء الأولاد يظنون أنفسهم أعضاء عصابة (روبين هود) الهزلية، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثورة) ، ولكني لم أجد واحد استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثورة ... إنهم لا يهتمون بالسياسة .. ولعل هذا من حظنا نحن وعبد الناصر معنا ... إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون).

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبد الحكيم عامر – غداة إطلاق النار على عبد الناصر في ميدان المنشية – سنة (1954م) عما حققته الثورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف عما تحققه الثورة ، وأن جمال هو الذي خطط ونفذ ، وهو الذي يعرف خطوات المستقبل).

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي اليوم):

(إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير ... فأصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربا).

يقول مايلز كوبلاند:

(إن عبد الناصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كان عليها أن تخلقه أي تربي حاكما دكتاتوريا مثله).

ولذلك فإن مناداة عبد الناصر بالقومية سنة (1954م) كان بإشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند – رجل المخابرات الأمريكي –، ولقد كان لمناداة عبد الناصر أثرا بالغا في العالم العربي، وما كان للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها ، ولقد مهد عبد الناصر لهذا الانتشار القومي وكذلك نجاح البعث وتغلغل الشيوعية وانحسار الإسلام من المنطقة كلها. ولكن الأفكار التي فرضت على المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض – كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار – كما يقول بنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطىء ، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر وفرمانات الحاكم المطلق ... فكانت النتيجة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد ، ولا صلة له بحاجات مستقبلة.[66]

[66] وهذا بالضبط ما تفرضه أمريكا اليوم فرضا في البلاد العربية والإسلامية وهو ما تسميه الشرق الأوسط الكبير !

ولقد نادى (كوك ألب) التركي ، بفصل الدين عن الدولة (علمانية الدولة) ، ونادى بوجوب أخذ ثقافة الغرب بحذافيرها ، ومع الاحتفاظ بالثقافة القومية أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الإسلام نهائيا عن الحياة مع عدم السماح للناس أن يسموا هذا العمل إلحادا أو زندقة ، بل على الناس أن يسموا هدم الإسلام سلاما.

ويعتبر الغربيون كوك ألب (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) كما يقول هارولد سميث] اهـ.

القومية التركية الطورانية:

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في (استانبول) مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العالية ، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره ، والذي يرميها عن قوس واحدة ، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883م) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تم خلالها بذر بذرة القومية.

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية فهو: هجرة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848م) ، واعتناق

هؤلاء الإسلام ، حيث أصبحوا من الطبقة المتنفذة في الدولة، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي) ، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا ، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك ، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي ، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية ، وكان لها تأثير هام في تقدير التاريخ التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن أعضاء (جمعية الإتحاد والترقي) كلهم ماسون (منظمة يهودية عالمية) ، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية. ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التي تخضع للسيادة العثمانية ، وبدأوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيا ، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي ، وكان على رأس هذه الشعوب (العرب) الذين اتخذوا من هذا السلوك

مبررا للوقوف بجانب بريطانيا ضد الأتراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ، وكان لهذا نتائج وخيمة على العالم الإسلامي.

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية ، لذلك ففي سنة (1908م) وبعد ثلاثين عاما من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبرالية الغربية على تركيا).

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التقت القومية الطورانية والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة ، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القومية العربية تقدمت قليلا على الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محا ضن أجنبية ، فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية ، بينما الطورانية

نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الإسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوئل لكل من الدولتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته ، فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندى الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي ، ومنذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف ، فأنور باشا بولندي مرتد ، وجاويد من الطائفة اليهودية (الدونمة) ، وكراسو (من اليهود الإسبان) في سالونيك ، وطلعت باشا من أصل غجري ، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بـ (كونت).

الرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين من بطرس البستاني ، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي ، والشدياق وأديب إسحق ونقاش وشميل وتقلا وصروف وزيدان ونمر ومشاقة ، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى ، ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني) وميشيل عفلق (نصراني) – قادة البعث ، وأنطون سعادة وجورج عبد المسيح من قادة الحزب القومي السوري حبش – من قادة القوميين العرب. وكلهم نصارى !!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا : (**إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير ، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه**).

إن الأصابع الماسونية- اليهودية –كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

هناك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالإسلام في تركيا ، انتقلت لتواصل عملها في القاهرة ! فمثلا عزيز المصري كان في جمعية الإتحاد والترقي، ثم أنشا (الجمعية القحطانية) و (جمعية العهد)، والحاخام اليهودي في استانبول – ناحوم حاييم ـ إنتقل إلى القاهرة بعد إسقاط الخلافة في تركيا وكان له تأثير في السياسة المصرية ، أيام عبد الناصر. وكذلك إسماعيل أحمد أدهم ، جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد) وأسس (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد).

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى: (كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يزال اليهود يحرصون على ربط العرب بقوميتهم .يقول (أبا إيبان) - الذي كان وزير خارجية إسرائيل – في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة (1967م) ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي) .] اهـ. [67]

قال الشيخ عبد الله عزام:

وأخيرا فإنا نقول: إن واقع العرب يدل دلالة واضحة على النتائج التي توصلت إليها الدعوات القومية والإقليمية والعلمانية هي :

قطع صلة العرب بالدولة الإسلامية.

تمزيق العالم العربي إلى دويلات هزيلة حتى تبقى في قبضة العالم الغربي والشرقي ، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

تضخم الكيان الإسرائيلي الذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كل فترة جزءا من بلاد العرب.

---

[67] (الذخائر العظام : ج1/ 893 – 895)

انهيارات في معظم النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

نشوء أجيال ليس لها هوية معينة ، وليس لها أي مبدأ في الحياة ، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقيا ، متفسخة اجتماعيا ، متفككة أسريا، أفئدتهم هواء ، تراهم كل يوم في رأي ، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزيائهم في الاعتقاد والاقتصاد والثقافة والاجتماع ، يقول زويمر – زعيم المبشرين – مخاطبا المبشرين :

(إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام فجاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الإستعمار ، لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات).

إن هذا الشرق لم يشهد في يوم من الأيام وحدة ولا عزة ، ولم يكن له كيان إلا بالإسلام الذي وحده أول مرة ، ولن يجد نفسه مرة ثانية إلا بالإسلام.

لقد مزقت القومية أوربا فنقلها العرب ليمزقوا أمتهم الإسلامية ، بل ليفتتوا الشعوب العربية نفسها.

كما يقول توينبي متسائلا ومعترفا بذنب بلاده وحضارته :

(فهل من الضروري حقا أن يتفتت العالم العربي كما تفتت الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا – لسوء الحظ – إلى عشرين دولة

مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط. هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية ، ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليدا تاما. إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة ، ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة ، بل إلى حكم بالموت والفناء).

إن النغمة التي عزفتها الطبقات المتسلطة في العالم الإسلامي والعربي هي نغمة القومية ، وهي مزوقة جميلة تشنف الأسماع وتبهج القلوب ، ولكنها مخدرات تذبح الشعوب من خلالها على مذابح الشهوات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطاغوت ، وإن الخرير الذي يعكسه صوت النزيف الدموي قد جذب كثيرا من القطعان لتساق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة ... كان القومية ... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

وإن سبب انتشار القومية في العالم العربي هو سيطرة الغرب نفسه على العالم الإسلامي.

يقول المؤرخ الإنكليزي توينبي في كتابه (الغرب والشرق والمستقبل):

(ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية ويرى أنه جزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملا على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى ، ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذه الداء السياسي الغربي – القومية – عن طريق الشعور الإسلامي القومي بالوحدة)!!.

إن القومية ليست الدواء الناجع لأمراضنا ، بل هي داء عضال مما أصابنا.

يقول سميث: **(وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق ، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه ، لن تثمر الجهود البتة).**

وما أجمل كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا الحديث :

(نحن قوم أعزنا الله بهذا الدين ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

قال الله تعالى :﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾

(الأنبياء:10) .

فالمسلمون والعرب يُذكرون بالقرآن ، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأمة ، ولقد تقدم العرب أول مرة إلى البشرية على هدي هذا القرآن ، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف:44) . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (المائدة: 68).

فأهل القرآن ليسوا على شيء ، ولا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم ، وعملوا به في حياتهم ، وطبقوه في واقعهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ (النساء:66).

جاء في تقرير ديلسبس – القنصل فرنسا العالم في سوريا – في (1956/8/19م) الذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) مايلي:

(من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان ، المكانة التي يحتلها الدين في نفوس الناس ، والسلطة التي له في حياة الناس ، فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة ، وفي اللغة، وفي الأدب وفي جميع المؤسسات الاجتماعية.

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدين الذين ولد فيه ، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن ، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين ، وأمة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو ، وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب).

القوميات والإقليميات الجاهلية:

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كل مكان نغمات الارتباط بالجاهليات التي تسبق الإسلام حتى يقطع الصلة بالإسلام ويتجاوزها.

ففي المغرب: حاولت الإدارة الفرنسية أن تشد أزر الروح الجنسية بين بربر مراكش ، فقامت بإصدار الظهير البربري في 16 مايو سنة 1930م الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية.

وفي إندونوسيا: اكتشف الحضارة الجاوية – الهندوكية.

وفي لبنان: أثار سعيد عقل ويوسف السودا وفيكتور شبح الفينيقية، وقالوا بأن لبنان لا ينتمي إلى العرب ، بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط – إيطاليا ، واليونان.

وفي مصر: أثيرت الحضارة الفرعونية ، خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون ، وبعد أن حل شاملبيون ألغاز(حجر روزيتا) ، وتولى سلامة موسى ، ولطفي سيد ، ثم سعد زغلول ، وطه حسين الدعوة إلى الفرعونية ، وبدأت تظهر أسماء رمسيس ، الأهرام ، نفرتيتي ، أبو الهول ، واتخذ أبو الهول شعارا يمثل نهضة مصر ، وفي زمن عبد الناصر أقيم السد العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ معبد (أبي سنبل الفرعوني) ، ونقل تمثال رمسيس – فرعون موسى – إلى القاهرة

وكلف الملايين ، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تركيا للأتراك) ومصر (للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس:

(أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخية والاجتماعية للحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك ، وهذا المبدأ الذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة).

ولذلك كان الكماليون يقولون:

(نريد أن نبني إسلاما تركيا يكون ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزي).

وفي مصر العربية كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصرية التي تلعب بها الأصابع الغربية (الإنجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر) ، فقال طه حسين (المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا) ، وقال طه حسين : **(لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي) !.**

وعليه فانه ليس من الغريب أن ترى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنية حيث تأسست قبل قرن تقريبا هيئات غربية للإشراف على التنقيب في العالم الإسلامي لربط المسلمين بالآثار وبالقيم والأعلام الذين كانوا قبل مجيء الإسلام ، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق ، وعملت (مارييت) في مصر ، و(سشلمان)

في تركيا ثم أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنية ، وليس عجيبا بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة (روكفلر اليهودية) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار ، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النص في صك الانتداب البريطاني على فلسطين مادة (21) : (يجب أن تضع الدولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات).كل هذا لقطع صلة بإسلامهم وربطهم بالجاهلية الأولى، حتى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة الذي عقد في جامعة (برنستون) سنة (1952م) : (إن في بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط في هذه الأيام نهضة حضارية هي من ناحية جديدة ، ومن ناحية أخرى بعث القديم ، إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت على عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

وفي إيران: قام الصفويين والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الإسلامي. فأنشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية ، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة ، وبزغ مذهب زرداشت من جديد ، واحتل مكانا مرموقا في بلاد السبع والشمس ، وبدأت العمارات الجديدة تبني على لطراز الأخميني القديم ، وأقام الشاه مُحَمَّد رضا بهلوي احتفالا بمناسبة مرور (25) على كورش صانع الأمبرطورية الفارسية ، وثارت في إيران قوميات أخرى مثل: البلوش، والأكراد والعرب.

وفي العراق: ثارت النعرات ، فنادى بعضهم بالقومية العربية ، ونادى الأكراد بقوميتهم والكردية والأتراك بالتركية ، وثارت الدعوات الآشورية والكلدانية.

وفي الهند: تأججت نار العصبية الهندية ، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية ، ويرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكة إلى نهر(جنجا) ، ويتغنون بأبطال الهندوم (بهيم أرجن ، رام ها).

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربي على أنه استعمار واستبعاد واحتلال الغريب لأرض الوطن ، وهذا الذي يفخر به المسلمون ، مما جعل المسلمين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة إسلامية ، وبفكر إسلامي. تكون فيها جنسية المسلم هي عقيدته ودينه وإسلامه.

وقد قال إقبال يخاطب المسلم – حيث كان – :

(لا تقس أمم الغرب على أمتك ، فإن أمة الرسول الهاشمي صلى الله عليه وسلم فريدة في تركيبها ، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شرق الأردن وبين الفلسطين وبين أبناء شرق الأردن ، وأصبحنا نسمع عن مدن: مؤاب ، وفيلادلفيا ، وعمون.

لقد صدق فينا قول رب العزة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة:20)

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه:124).

وصدق رسول الله ﷺ: (**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم**).

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب الله ، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق الله ، وحصدنا ما زرعنا من بذور القومية ثمار القطيعة والتمزق والضياع والخذلان والخسران:

﴿ **أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ (التوبة:126) .

لقد آن لنا أن نرجع إلى الله ، وننبذ من أيدينا كل أو صار الجاهلي ، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى** ﴾ (طه:123). إما الله أو الفناء ، إما الإسلام أو الدمار .]

اهـ.[68]

۞۞۞۞۞۞۞

[68] (الذخائر العظام : ج 1 /901)

الشيوعية في العالم العربي خلال القرن العشرين:

[لقد أشرف اليهود على تنظيم وتكون الأحزاب الشيوعية في العالم العربي فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشيوعي اليهودي الفرنسي (روبنسون) :

(لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبية في البلدان العربية في مصر وفلسطين ، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد ، وانتهت دون أن تثير اهتماما كبيرا).

وفيما يلي نورد الأسماء اليهودية المؤسسة للشيوعية في البلدان العربية:

1- **الحزب الشيوعي في مصر:**

بدأ التنظيم سنة (1921م) في الإسكندرية على يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شارلوت). وفي سنة (1927م) أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التنظيم ومتابعته.

ثم انتدبت روسيا اليهودي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها (بنك كوريل) في مصر ، وشكل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو).

ثم تشكلت (منظمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة التي كان يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثورة ، شكل هذه

المنظمة اليهودي (ايلي شوارتز) ، ثم غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): (نحو حزب الشيوعي مصري) ، ثم انضمت إلى (حدتو).

(منظمة الفجر الجديد) أسسها اليهوديان يوسف درويش وريمون دويك ، ثم أصبح اسمها (د . ش) الديمقراطية الشعبية.

(المنظمة الشيوعية المصرية) (م .ش .م): أسسها اليهوديان أوديت وزوجها لمون سدني.

(منظمة تحرير الشعب): أسسها (مارسيل إسرائيل).

2- **الحزب الشيوعي في العراق:**

أسسه اليهود وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليهود ، وعلى رأس قادته ساسون دلال ، ناجي شميل ، وصديق يهوذا ، ويوسف حز قيل ، وكلهم من اليهود.

ويروي قدري قلعي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) ص (21-22) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب – بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها –كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول: (رحنا نضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد ، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم بينما نعتبرهم نحن إخواننا ، وأخذنا نسب القومية العربية أمامهم ، بل رحنا ننتقص من العرب ، ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر ، وزعماؤهم

العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك ، ومررنا على إخواننا اليهود دون حاجة إلى دعوة ، واستغللنا بعض الرفيقات للتأثير على بعض الطلبة.

3- الحزب الشيوعي السوري اللبناني:

تأسس الحزب سنة (1924م) بعد الحزب الشيوعي الفلسطيني والمصري ، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تايبر) اليهودي الروسي، وكان يساعده ثلاثة يهود هم: ميك ، أوسكار ، مولر.

ثم دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الروس ، وهم عيون موسكو الثلاثة جوزيف بيرجر ، اليهوبيتر، نخمان لتفينسكي.

وقد كان الحزب السوري اللبناني تابعا للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين ، ثم تبع الحزب الشيوعي الفرنسي.

4- الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني:

لقد كان التفكير بفلسطين من القضايا الكبرى التي تشغل رؤوس قادة الثورة البلشفية ، ومنذ الأيام الأولى من الثورة: أصدر لينين في روسيا قرار ذا شقين بحق اليهود.

أولا: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانونية.

ثانيا: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور – وزير خارجية بريطانيا – في (2) تشرين الثاني سنة (1917م) بأقل من عشرين يوما.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتنظيم الشيوعي في فلسطين ، فكان الذي تأسس سنة (1919م) أول حزب في المنطقة ، وقد شكله أولا اليهودي الروسي (روزشتاين) ، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشيوعي الروسي للتنظيم في فلسطين ، وهما: جاك شابيليف ، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشيوعي الفلسطيني في بداية الأمر يهودا روسيين.

ثم أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطا ملحوظا في فلسطين ، ثم انتدب (س. افربوخ) اليهودي – الملقب بأبي زيام – لتنظيم الحزب الشيوعي في البلاد العربية ، وكان الأخير صديقا للينين في سويسرا ، وأبرز الشيوعيين في الفلسطين ، وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي في فلسطين من (1924-1929م).

وكانت عضوية الحزب الشيوعي الفلسطيني أولا ، قاصرة على اليهود و دخله قلة من الفلسطينيين العرب ، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشيوعية وغير مؤتمنين على أسرارهم ، وفي سنة (1937م) تأسست أو حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي الناصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي ، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (1939م) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني ، وكان سكرتيرها اليهودي (بن فكي) ، ومساعده توفيق طوبي ، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بريطانيا ، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب.

وفي حرب (1948م) تحول أعضاء عصبة التحرر إلى قادة عصابات مسلحة ، يذبحون الشعب الفلسطيني فانسحب بعض الشباب المغرر بهم ، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدفعون عن اليهود ويقفون بجانبهم ، منهم المحامي إبراهيم بكر في الناصرة ، وفؤاد نصار في يافا ، وغيرهم من قادة الشيوعيون العرب في فلسطين.

وبعد نكبة (1948م) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة ، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طوبي وإميل حبيبي ، وهذان الأخيرين عضوان في الكنيست اليوم ، وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة) ، وكانت نشرات الحزب الشيوعي تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية : طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني، أي (القسم المحتل).

وفي سنة (1950م) ضمت الضفة الغربية إلى الأردن وقد اعتقل طلعت حرب الشيوعي في رام الله وهو يوزع المنشورات الشيوعية التي أحضرها من إسرائيل ، سنة (1951م) ، عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وعبارات عبرية.

سنة (1952م) صدر الأمر من موسكو بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الشيوعي الفلسطيني، وكان فائق وراد لا زال في المنطقة المحتلة ، فسمحت له القوات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائدا من قادة الحركة الشيوعية ، ولتقدمه منطقة رام الله سنة (1956م) نائبا عنها في مجلس النواب الأردني ، ويومها قدمت القدس يعقوب زيادين – الشيوعي النصراني – نائبا عنها.

وفي سنة (1957م) حل الحزب الشيوعي الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر ، وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني عدة محاضرات أولها (الشيوعية وإسرائيل) جاء فيها (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري ، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة ، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال).

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (1977م): أقام الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) له حفلا تأبينيا في الناصرة تلك فيه زعيم الحزب (ماير ملنر) ، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما ، وتوفيق زياد

صاحب فكرة (يوم الأرض) – 30 آذار – ، وتوفيق هذه عضو في الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (1978م) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشيوعي الأردني الإسرائيلي، منها ما جاء بالنشرة الشيوعية الأردنية في نيسان سنة (1977م) ما يلي: (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثابتة ي القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (راكاح).

وقد كان محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشيوعيان – الممثلان للأرض المحتلة – يحملان علم إسرائيل في مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة: (وقد ثبت بما يقطع كل شبهة قيام تنظيم موحد ، وترابط عقائدي ، وتخطيط ، وتكامل في التخطيط والهدف بين كل من الحزب الشيوعي الإسرائيلي والأحزاب الشيوعية العربية ، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن ، يعرف أن الكثير من المنشورات الشيوعية العربية كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل ، وإن كثيرا من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا من إسرائيل بعد أن تتلمذوا وتدربوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين).] هـ .

(الذخائر:974- 976) .

الشيوعيون العرب وقضية فلسطين:

رأينا فيما سبق أن التنظيمات الشيوعية في العالم العربي ، كلها أشرف عليه اليهود وسهروا عليها ، وأما قادة الشيوعيين الذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا على أيدي دهاقين اليهود بعد أني غيروا عقولهم فأصبحت يهودية ، وقد كان اليهود يعلقون آمالا كبيرة على هؤلاء التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكية في المنطقة.

وفي سنة (1948م) كان الشيوعيون العرب – من أبناء فلسطين – يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي).

وعندما كان قرار التقسيم. وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار ، عاد الشيوعيون العرب يؤيدون التقسيم . فقد أعلن السكرتير العام للشيوعيون العرب – خالد بكداش – قائلا: (الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة ، لقد عارضت الإتحاد السوفيتي الصديق حتى اللحظة الأخيرة ولم تخطب وده. صحح أن اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعدا له ، فيقول: (كانت قيادة الحزب الشيوعي يمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة ليهودية في فلسطين ، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات

الديمقراطية في الشرق الأدنى ، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بد وأن يلتقي في أرض الميعاد ، وإن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية التي تتخطى المبررات و الوقائع القومية).

ولقد عرف الناس جميعا موقف الشيوعية المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم ، فقد رموا العرب المشردين – الذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم – عن قوس واحدة. وهاجموهم واعتبرهم معتدين ، وكانوا يصفون اليهود بأنهم مظلومين، وقد كانوا يعتبرون الدفاع عن فلسطين رجعية دينية ومؤامرة ضد اليهود.

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد) : (مرحبا بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط لهما الإشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (15) مايو سنة (1948م) تحت عنوان :(غزت جيوش البلاد العربية فلسطين): (وهذه الحرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربية وتكبت البروليتاريا الصاعدة (اليهود) الثورية في فلسطين).

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشيوعيون ينادون بالصلح معها. فقد كان الشيوعيون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس) سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي التي كان ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشيوعي الأردني سنة (1957م) محاضرة في الجفر قال فيها: (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة ، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال)

وبعد قيام الثورة الفلسطينية واشتداد عودها اندس الشيوعيون في أوساطها وصاروا ينادون بمقالتهم (التفريق بين اليهودي والصهيوني) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

قالوا: نحن لا نقاتل اليهود الشرفاء إنما نقاتل الصهيونية.

ولا ندري كيف نفرق في الميدان العام بين يهودي شريف؟! على حد زعمهم وبين صهيوني ، بينما يرى قادة المنظمات الصهيونية أن كل صهيوني يهودي. بل صهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس (جبل اليبوسيين) ، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون ، إهتفي يا ابنة أورشليم).

يقول هرتزل : (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون: (أنا يهودي أولا وإسرائيلي بعد ذلك ، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه).

وأخذ قادة الثورة الفلسطينية ومنظماتها يثقفون الشباب الثقافة الثورية !! ثقافية ماو وجيفارا. وثورية لينين وستالين ، وآراء ماركس وحياة كاسترو. لقنوا الشباب عشرين اصطلاحا يلفون ويدورون حولها ... إمبريالية ، برجوازية . ديماغوجية ، بروليتاريا...

وظن الشباب أنهم قد ملكوا شيئا جديدا استبدلوه بدين الله – عز وجل – واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبالمقدسات.

وأعلنوا الحرب ضد الرجعية (دين الإسلام) ، إلى صراع داخلي نقل إلى كل بيت بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه ، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤلوا منظمة الأنصار (الشيوعية) – التي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق – يحضرون في مجمع النقابات سنة (1969-1970م) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصهيونية وليس اليهود الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثورية في أمانة العاصمة في عمان في (10) نيسان (1970م) أسبوعا كاملا بعيد ميلاد لينين المئوي ، وما بقي مفرق طريق ، ولا باب ، ولا بقالة ، ولا حانوت ، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم !! – غارس دولة الإلحاد في الأرض –.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب ، وأسماؤهم الحركية أبو جهل، أبو لهب ، وماو ، وجيفارا ، وهوشي منه.

أما سر الليل عندهم : فهو شتم الدين الرب ، وأما طعامهم : فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثم يأكلونها ، لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف ، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصحراء اسمه (مُحَمَّد ﷺ).

ولقد رأيناهم عندما كان الشباب المسلم المجاهد الذي يحمل السلاح ، يرفع الأذان في التجمعات الفدائية ، كان أبناء لينين وماوتسي تونغ يصفقون ويلعنون ويرفعون أصواتهم قائلين:

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي!

وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة:58).

ولا يزال الشباب المسلم المجاهد الذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل – عندما يقوم الصلاة – يعاني من الضجة التي يفتعلها الذين يعملون لحساب جورج حبش و نايف حواتمة ، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشباب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثوري في الأردن ، رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرة أخرى في (اليمن الجنوبية الديمقراطية) – أرض عاد – ينظم جامعات ومعاهد و لماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القومية العربية الشيوعيين، لولا أنها جبهة واحدة سخرت لمحاربة الإسلام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم و(شاكوشتهم) وتنظم طلائع القومية العربية ممثلة بشخص جورج – اسمه ليس عربيا –) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته ، ولإرسال العبوات الناسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل الأطفال والبنات.

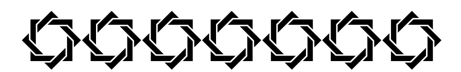
وأدركت عندها أبعاد المؤامرة العالمية ضد الإسلام وأهله. أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثوريين الاشتراكيين ، فكم من الرفيقات !! قد غرر بهن باسم فلسطين وكنت تدخل قواعدهم – خاصة – في مكاتب المدن كعمان ، فتجد ذوات البنطال الضيق

اللواتي ينمن على أنغام الموسيقى ويستيقظن على أوتار العود بين مجموعات الخنافس والهيبيين!!.

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (1979م) كانت أصوات هؤلاء ترتفع فتقول:

(مطالبنا شرعية خبز وحرية والشاب بجنب الصبية).

وقد رأيت أحد الشباب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر ، فقال هذا الشاب الطيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإسلام ، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثوريين : (مطالبنا على الكشوف رجعية ما بدنا يشوف) أي: لا نريد أن نرى الإسلام]اهـ.[69]



[69] (الذخائر العظام : 984- 986)

هزائم العرب والمسلمين وتفككهم ومسيرهم نحو قعر الهاوية خلال النصف الثاني من القرن العشري:

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن العشرين استقلال الدول العربية والإسلامية ، وكان استقلالا شكليا مبرمجالم يكن في حقيقته أكثر من عملية تحول في أسلوب المحتلين المستعمرين إلى ما عرف باسم الإستعمار الحديث. حيث فتت الإستعمار العالم العربي إلى نحو 22 دولة ، وفتت العالم الإسلامي إلى ما بلغ بمجموعه أكثر من 55 دولة ، وقد تسلط على حكم تلك البلاد بترتيب دقيق ومباشر من الإستعمار، نماذج متعددة من أنظمة الحكم ، فكان منها الأسر الو راثية المالكة ، ولاسيما في مناطق الثروات الطبيعية الكبيرة الهامة ولاسيما مناطق النفط. وكان منها الأنظمة الديكتاتورية العسكرية القمعية ، ولاسيما في مناطق الحركة والنشاط والوعي والثقافة ، كما في بلاد العراق والشام ومصر. وكان منها أنظمة ديكتاتورية تسترت بالنظام الليبرالي الغربي .. وغير ذلك.

ولكن كل تلك الأنظمة ساست شعوبها بالقمع والظلم والقهر ، ومارست عليهم سياسات الإفقار والتجهيل ، والسير بهم نحو دروب الفسوق ونشر الفواحش ، والتيه والضلال ..

كما حكمت كل تلك الأنظمة بلا استثناء – بالقوانين الوضعية المستوردة من بلاد الغرب المستعمر كُلاً أو جزءً ..

وخلال تلك الأعوام انحط العالم الإسلامي إلى أسفل قائمة الدول المتخلفة التي تعاني من كمّ هائل ومتنوع من الأزمات .. وبسبب ذلك، وبسبب ما أوجد الغرب في تلك البلاد من التيارات الفكرية والسياسية المتعددة المشارب والأهواء بين فلسفات الشرق الشيوعي الاشتراكي الملحد ..، وهرطقات الغرب الإباحي الليبرالي المتهتك .. قام صراع مرير على السلطة في كثير من تلك البلاد ، وتمكنت كتل سياسية مناوئة للأنظمة الحاكمة من الوصول للحكم ، وقدمت نماذج مغايرة عنها لم تكن أقل منها كفرا وظلما وتيها وانحلالا ، واستمر مسلسل الضياع والأزمات.

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حروبا إقليمية فيما بينها، ولم يحل الدين الواحد ، ولا حتى روابط القومية بين الحكام وبين قيام تلك الحروب. فحرب بين إيران والعراق ، وبين العراق والكويت ، وبين اليمن والسعودية ، وبين السعودية ومصر. وحروب بين ليبيا وتشاد وبين الجزائر والمغرب ، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقوى متعددة في لبنان ، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج ، بين السعودية وقطر ، وبين قطر والبحرين ، وقتال ضار بين النظام الأردني والفلسطينيين ، وبين النظام السوري والفلسطينيين ، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين ، وتهديدات كادت تشعل الحرب بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق ، وبين السودان وإريتريا ، وبينها وبين

تشاد ... إلى آخر تلك الصراعات والحروب التي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعباد ولم يكن منها صراع واحد يمكن اعتباره على حق وباطل ، أو أن فيه رائحة من دواعي القتال الشرعي .. وإنما قتال على نزوات الملوك والحكام ، لتكون العزة لفلان أو لعلان ، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المسلمين.

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأعداء فينا، فاحتل اليهود ثلثي فلسطين سنة 1948م ، بخيانة قيادات الجيوش العربية السبعة. ثم احتل سنة 1967م ما تبقى من فلسطين والقدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك ، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها على 5 أضعاف مساحة فلسطين ، كل ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كل من سوريا البعث والنصيرية ، ومصر عبد الناصر والقومية العربية ، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن. وفي سنة 1973م حول النظام النصيري في سوريا ، ونظام الخائن أنور السادات النصر العربي اليتيم الوحيد ضد اليهود إلى هزيمة عسكرية ثم سياسية، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوات المصرية التاريخي لقناة السويس تحت صيحات الله أكبر. والزحف الرائع للقوات السورية التي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قواتها في مرتفعات الجولان ..

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة 1980م ثم اتفاقيات فصل القوات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل ، ثم ما تلا ذلا من

الخيانات التي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم ما سمي بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، خسر العرب كل شيء بما فيها أرضهم ومقدساتهم بل وكرامتهم ، أمام إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربا .. وأما في العالم الإسلامي فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها .. فاحتلت الهند كشمير ، واحتفظت روسيا القفقاس والجمهوريات وسط آسيا ، وفقد المسلمون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربا الشرقية ، وكذلك في العديد من الدول الأفريقية وجنوب شرق آسيا ..

وأما منذ 1990م، ومنذ تسلمت أمريكا راية العدوان وتحكمت في العالم واتخذت من الشرق الأوسط (الكبير) وهم معظم العالم العربي والإسلامي مجالا لغزواتها وطموحاتها الإمبراطورية ونهبها الاستعماري ، فقد وصل العالم العربي والإسلامي إلى قعر الانحلال والتفكك والهزائم وكان فاتحة ذلك ، احتلال أفغانستان ودخول القوات الأمريكية اليهودية الصليبية المشتركة عاصمة الرشيد (بغداد) في أبريل 2003م.

وبالاختصار، فقد سجلت العقود السبعة الأخيرة تاريخا أسودا محزنا للعرب والمسلمين امتلأت فيه الأرض بين جور الحكام وعدوان المستعمرين جورا وظلما وبلاء وظلمات وهزائم وبلاءات لا يعلم مداها إلا الله.

جذور البلاء وأسباب الهزيمة:

قال الشيخ عبد الله عزام طيب الله ثراه : [لقد لخص رب العزة ﷻ- أسباب الهزيمة في سطر واحد.

فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ (المجادلة:20)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى:30).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:149) .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود:113) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد:

(بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

إذن فخلاصة أسباب الهزيمة:

- عصينا الله فهزمنا.

- نسينا الله فنسينا.

- تحدينا الله فأذلنا.

وأضاف رحمه الله :

وأنا أسوق لك بعض أخبار العالم العربي خلال الستينيات والسبعينيات للإثبات:

اختطف الجيش السوري ، مدير مخابرات إربد (شمال غرب الأردن) ، فبادره مدير استخبارات درعا (جنوب غرب سوريا) بشتم آل البيت ، فقيل له ألا تستثني الرسول الكريم: فأجاب هو على رأس القائمة.

قال أحد (الملاعين) قادة المنظمات الفلسطينية في الأردن ، قبل فتنة أيلول الأسود : (لو امتدت إلينا يد الله لقطعناها) تعالى الله عما يشركون.

عرضت في مصر سنة 1967م مسرحية اسمها (أصل الحكاية) ألفها (بكر الشرقاوي) ، وكان بطلها (الله سبحانه) وتقول المسرحية أن الإنسان خلق قبل الله. تعالى الله عما يلحد الجاحدون.

الدبابات المصرية التي دخلت سيناء في حرب 1967م كان مكتوبا عليها (ناصرنا ناصر) ! أي الذي سينصرنا هو (جمال عبد الناصر)! بينما كتب اليهود على دباباتهم نصوصا من التوراة.

بتاريخ (1965/1/24م) دخلت الدبابات لأول مرة في تاريخ دمشق مسجد بني أمية بالمصلين فاستشهد منهم مائتان وأغلق الجامع أياما لإزالة ما علق بستائره ومحرابه من دماء المسلمين.

وفي ذلك اليوم قال مذيع دمشق (إننا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذه العصر).

في مدينة جنين /الضفة الغربية/ فلسطين قامت مظاهرة خرجت من مدرسة جنين الثانوية وهجموا على دار الإخوان وأخرجوا المصاحف والتفاسير و مزقوها و داسوها بالأقدام على طول الشارع العام وذلك في شهر نيسان سنة (1967م) قبل الهجوم بشهرين.

عندما أعدم جمال عبد الناصر المفكر الإسلامي سيد قطب – رحمه الله – وزع أهل مدينة نابلس / فلسطين الكنافة احتفاء بهذا النصر.

قالت لي إحدى المثقفات وهي تناقشني: عمر بن الخطاب لم يعمل مثل عبد الناصر فغضب زوجها وقال: والله إن مُحَمَّدًا لم يعمل مثل عبد الناصر.

كانت كلمة (سر الليل) في بعض قواعد الجبهة الديمقراطية في الأردن سنة (1969م) ؛ سب الرب ، وشتم الدين ، وعلى سبيل المثال قاعدة (حرثا).

في تجمع للفدائيين في قرية (الرام/ إربد/ الأردن) سنة (1969م) عندما كان الشباب المسلم (الإخوان المسلمون) يؤذنون للصلاة يصطف مقابلهم الجبهة الشعبية الديمقراطية / نايف حواتمة والجبهة الشعبية / جورج حبش ينشدون:

إن تسل عني فهذي قيمي   أنا ماركسي لينيني أممي

وقد رأيت هذا بنفسي.

1) (ليلي خالد) تسمى مجموعتها مجموعة (جيفارا) وتعلن في صحيفة لبنانية أنها (ماركسية) وأنها أكبر من أن تؤمن بالله لأنها سخافة.

2) أعلنت (فدوى طوقان) في صحيفة إسرائيلية أنها تنكر وجود الله: فتقول لها الكاتبة الإسرائيلية (لهذا بنينا وهدمتم ... وغلبنا وانهزمتم).

3) يقول سعد جمعة: (في يدنا وثائق تثبت أن المخابرات الأمريكية والبريطانية كانت وراء إنقلاب البعث في العراق في (17) أيلول سنة (1968م) وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبية هو العميل

الشهور (لطفي العبيدي) وكان العبيدي على اتصال مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر).

4) يقول هيكل في عدد الأهرام (1971/1/15م) : وهو يستعير لسان الأديب الفرنسي مالرو: (لدي تصور عن انتشار الإسلام في مصر بسرعة ، وإن مصر دائما تبحث عن فرعون يمثل سمو روحها ... إن الإسلام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربي ، لكنه انتشر بسرعة بعد الخلافة حين أصبح الخليفة – بالسلطان الزمنية والروحية في يده – فرعونا يلبس بدل التاج عمامة).

5) كتبت جريدة البعث العراقي – في أول مرة استلم فيها البعث لعراق عن ميشيل عفلق (الله العائد) وقال شاعرهم:

ياسيدي ومعبدي وإلهي حسبي ألم فتاتكم حسبي.

6) قال إبراهيم خلاص في مجلة (جيش الشعب السورية) في (1967/4/25م) (قبل الهزيمة بشهر واحد):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن: أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال الإستعمار والمتخمين وكل والقيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ) .

7) كتبت عناصر الوحدات والسرايا والحزبيون – التابعون للسلطة في سوريا – لافتات تقول مايلي: (يسقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث).

كان هذا في رجب سنة (1400هـ) الموافق أيار سنة (1980م).

وأظن أن هذا النقل من هذا الغثاء يكفي.

وأنقلك إلى صفحة أخرى عن أعدائنا – ليهود –.

1- تقول ابنة دايان في كتابها (جندي من إسرائيل): لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا أن العدو على الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمنا.

(**وتقول**: إن مراسيم الطقوس في التوراة – أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات ، وعندما أحضروا لنا طعاما طازجا مطهيا قبل المعركة – يوم السبت – (1967/6/3م) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الإستنفار).

2- تقول جولدا مائير (إن أساس قوتنا الوحيد هو ارتباط كل يهودي في الدنيا بنا ارتباط العقيدة).

3- حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليوم – السبت – فسارا على أقدامهما حوالي 6 كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت ، مع أنهما قد بلغا من العمر عتيا.

4- كتب ابن غوريون إلى ديجول – رئيس وزراء فرنسا – سنة (1967م) يقول: (إن سر بقائنا بعد التدمير البابلي والروماني وحقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدس ، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية في آخر سنة (1926م) لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة ، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالما عاديا ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا).

5- وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن – وهو ما يعتبر توصية عامة لإسرائيل – هدفنا هو بناء حضارة تقوم على المثل الصارمة للآداب اليهودية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد ... فإذا استهدف اليهود في نشاطهم قيما حقيقية ... عندما يطل الله بعطف على أبنائه الذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور ، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية).

6- عندما دخل دايان القدس سنة (1967م) قال: يا لثارات خيبر ، وقال الجنود الإسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الإذاعة الإسرائيلية: مُحَمَّد مات .. مُحَمَّد مات.. وخلف بنات.

7- لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل لأن أمها ليست يهودية ، والتوراة تعتبر النسب للأم.

8- يقول بيغن أثناء لقاء مع السادات حول الضفة الغربية : (أنا رجل مؤمن بالتوراة ، رباني الأب الروحي جابوتنسكي –كما ربى حسن البنا عندكم سيد قطب ، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربية مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية).

حدثني هذا الإخوة عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة (1948م) الذين قاموا بترجمتها من العبرية.

قال ابن غوريون عندما دخل القدس سنة (1967م) : (هذا أعز يوم علي منذ دخولي أرض الميعاد).

بعد احتلال القدس (1967م) جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا.

11-في مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة (1969م) يقول المذيع له: أنت شاب في العشرين من عمرك وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة من كاليفورنيا فما الذي حفزك ؟ قال الشاب : لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة التي أحسها في الدفاع عن معتقداتي الدينية لا تعدلها سعادة في الدنيا.

12-لقد أحيت إسرائيل اللغة العبرية – لغة التوراة – بعد أن درست منذ ثلاثة آلاف عام – فأسماء: الهستدروت ، الكنيست ، إيلات أصبحت هي أسماء مؤسسات ومدن.

13-هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا انتصر اليهود ؟ ولا يغر البعض قوله: أننا مسلمون أفضل من اليهود على أية حال ، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما : (أما بعد ، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد يتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ... فإن ذنوب الجيش أخوف من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ... فإن استوينا وإياهم في المعصية كان لهم فضل في قوة ... وإن الله سلط المجوس الكفار على اليهود وهم أهل الكتاب).] اهـ.[70]

انتهى النقل من كلام **الشيخ عبد الله عزام** رحمه الله.

۞۞۞۞۞۞۞

[70] (الذخائر: ج1/955 – 958).

النظام العالمي الجديد 1990م وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا:

استتب الأمر للغرب بالسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي. ونجحت خطته في تولية أوليائه مسؤولية رعاية شؤونه دون أن يتكبد أي خسائر. وامتصت الاحتكارات الأمريكية والأوربية الكبرى زبدة خيرات بلادنا وثرواتها دونما رقيب ولا حسيب ودون أي بادرة مقاومة. وانهار الإتحاد السوفييتي بعد غلطته التاريخية في أفغانستان كما رأينا. وأعلن رؤساء حلف الناتو أنهم اختاروا الإسلام عدو استراتيجيا بديلا.. وآتت الحملات الدولية والإقليمية لمكافحة الإرهاب بعيد الجهاد الأفغاني ضد الروس أكلها. وتشتت كوادر التيار الجهادي وتنظيماته وتحقق للغرب ما يريده من تفكيكها وحوصرت الصحوة الإسلامية السياسية ودجنت أحزابها وادخلت في متاهات اللاجدوى ودروب الإنحراف... واستتب الوضع لإسرائيل وانخرط الثوريون الفلسطينيون في مسارات أوسلو! وأفتى علماء المسلمين الكبار بشرعية الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية! كما أفتو بشرعية التطبيع مع الإحتلال اليهودي لفلسطين وبيت المقدس!!

فلم يكن هناك فيما يبدو أي سبب ظاهر يدعو الغرب للعودة إلى أسلوب الحملات العسكرية على المسلمين. ولكن المفاجأة كانت في

أن الغرب بقيادة أمريكا وتبعية بريطانيا وأوربا الناتو وروسيا قد قرروا الزحف عسكريا على العالم الإسلامي عامة وعلى الشرق الأوسط خاصة، فيما يبدو وكأنه عملية إعادة احتلال مباشر جديد، وسيكس بيكو أمريكية بريطانية صليبية جديدة.

فلماذا أقدم الغرب على هذه الخطوة؟ علما أن غنائمه كانت تصل باردة بلا عناء ولا دماء يتكفل بإيصالها زعماء العرب والمسلمين!

في رأيي يعود ذلك إلى عدة أسباب. منها ما يتعلق بالصليبيين وقيادتهم الجديدة أمريكا وحلفائها. ومنها ما يتعلق باليهود ومشروعهم الصهيوني في إسرائيل. ومنها ما يتعلق بما استجد من ظروف عالمنا الإسلامي وصحوته الجهادية. واختصر ذلك في النقاط التالية:

أسباب الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي منذ 1990م:

أولا: الأسباب المتعلقة بالروم الجدد (أمريكا – أوربا – روسيا):

1. التدهور الاقتصادي والركود والتضخم وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي الغربي بشكل حاد، نتيجة أسباب كثيرة أهمها تقلص العائدات الاستعمارية من العالم الثالث نتيجة صحوة الشعوب وإدراكها لقيمة ثرواتها ونشوء بعض الأنظمة الوطنية التي تعمل على سد أوجه الفقر في بلادها ووقف نزيف النهب من مخزونها الوطني نحو الغرب الإستعمار. كما

عانت الحضارة الغربية نتيجة الترف ورفاه العيش من تراجع القطاع المنتج في المجتمع في مجالات الزراعة والصناعات الأساسية على حساب توسع هائل في مجالات الشرائح المستهلكة غير المنتجة من الحرف الكمالية. (الفنون – الأمن – البحوث – التجار – الرياضيين...الخ) كما تراجع الميزان التجاري نتيجة عجز الدول الفقيرة عن استهلاك ما تنتجه الدول الغنية وانخفاض قدرات الشراء لديها وبالتالي انخفاض قدرة الغرب الصناعي على التصريف. كما أن هناك عاملين قاتلين نخرا في بنية الحضارة الغربية اقتصاديا واجتماعيا، أطنب كثير من البحاثة والكتاب الغربيين فيهما مؤخرا بجرأة وصراحة ودقوا لها ناقوس الخطر وهما (تفشي الربا في كل مفاصل الاقتصاد الغربي) وكذلك (عمل المرأة في مجالات عمل الرجال وإخلائها لموقعها في المنزل) فقد تحقق للاقتصاد الغربي بسبب (الربا) ما بشر الله من أعمل به من (المحق) كما قال تعالى: (يمحق الله الربا). فالاقتصاد الغربي ومعظم العالمي يصير إلى (المحق) عمليا. كما خلف عمل المرأة انتشار البطالة في أوساط الرجال. وكذلك أدى إلى دمار البنية الاجتماعية للأسرة وتراجع الاقتصاد. كل هذا وغيره جعل الدول الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا بحاجة إلى رفع وارداتها

الاستعمارية لسد عجزها الاقتصادي عن طريق السيطرة على منابع الثروة ولاسيما منابع الطاقة (البترول والغاز) في الشرق الأوسط الخليج العربي الفارسي ومحيط بحر قزوين. وحتى تستطيع أمريكا أن تسيطر على عصب الاقتصاد العالمي وبالتالي تستنزفه لصالح اقتصادها.

2. **سحر القوة الذي سيطر على الإدارة الأمريكية وجنون الحلم الإمبراطوري:**

تضخمت القوة العسكرية الأمريكية بشكل هائل ، حتى غدت بمفردها أكبر من مجموع قدرات الناتو وروسيا مجتمعة بحسب تقارير مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية. كما تقدمت قدراتها التكنولوجية بشكل مذهل جعل منها قوة أسطورية لا تنازع ولاسيما في مجال القدرات الجوية والصواريخ العابرة والسيطرة على أنحاء الأرض بالقدرات التجسسية الهائلة للأقمار الصناعية وقدرتها على توجيه الرمايات الصاروخية والجوية والبحرية. وبامتلاكها لأضخم ترسانة نووية في العالم... كل ذلك ولد بشكل طبيعي لدى الإدارة الأمريكية الحلم بالانفراد بحكم العالم وقد طفحت كتابات منظريها بذلك حتى قبل القضاء على الاتحاد السوفييتي ربما بعقدين من الزمن حيث تبنوا ونظروا للإنفراد بحكم العالم والتخطيط لأن يكون القرن الحادي والعشرون قرنا أمريكيا وأن

تقود أمريكا حضارة الروم وترث أمجادها وتغزو العالم. وكان من الطبيعي أن تفكر أمريكا من أجل تركيع حلفائها ودحر خصومها بالإمساك بشريان الحياة وعصب الحركة للعالم الصناعي وذلك باحتلال منابع النفط وامتلاكها مباشرة. والسيطرة على المعابر الاستراتيجية للعالم ونشر قواتها في كافة أرجائه ومنع نهوض أي قوة مناوئة لها وامتلاكها لأسلحة دمار شامل استراتيجية. هذه القناعات التي تبلورت أواخر القرن العشرين لدى مجموعة من المنظرين والساسة في الحزب الجمهوري ممن أسموا أنفسهم (المحافظون الجدد). والذين تبنوا لسوء الحظ عقائد الحلم الصهيوني وقيام إسرائيل واجتماع اليهود فيها كمقدمة لنزول المسيح بعد حرب كونية مع المسلمين... إلى آخر ترهاتهم التي تختلط فيها أساطير الدين بأحلام الاستعمار.

3. <u>سعي الدول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصليبي المتجذر لدى جميعهم:</u> فالخوف من أن تمتلك أمريكا وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوة وأن تتحكم بها. وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار. جعلها تشارك جميعا في حرب الخليج الثانية بفاعلية. وبلغت نسبة المشاركة الأوربية ما لا يقل عن 25 % في حين شاركت بريطانيا وحدها

بـ 15 % وزادت نسبة الأمريكان في القوات التي بلغت مليون جندي على 55 %. حيث أسفرت حرب (عاصفة الصحراء) أو (تحرير الكويت) كما أسموها عن تدمير العراق وجيشه وترسيخ أقدام بريطانيا وأمريكا في قلب المنطقة العربية والإسلامية سنة 1991م. كما شاركت أوربا وفرنسا وبريطانيا والفاتيكان بصورة رئيسية بالحرب الصليبية على المسلمين في البوسنة (1994-1996م) من أجل توحيد الدين في القارة الأوربية الساعية إلى الوحدة على الهوية الصليبية. أما روسيا فقد تولت فصلا صليبيا مستقلا في الشيشان القفقاس منذ (1994م) وإلى اليوم حيث ما زال المسلسل الدموي يجري بمشاركة أوربية أمريكية بالدعم بالصمت أو بالمواقف السياسية والإعلامية. إلى أن حملت أمريكا حملتها الكبرى على العراق في حرب الخليج الثالثة التي أسموها (حرية العراق !) والتي قامت بها أمريكا وبريطانيا بمشاركة لوجستية فاعلة من قبل كامل دول الناتو رغم الموقف الفرنسي الألماني والروسي المعارض الذي ما لبث أن لحق بالركب الاستعماري من أجل حصة في كعكة العراق حيث اعترفوا بالإجماع بحالة الاحتلال الأمريكي للعراق في مجلس الأمن ثم تابعوا التدحرج نحو المسار الأمريكي على

استحياء خف مع الوقت ليصير إلى الوقاحة الصريحة. وهكذا حضرت الحملات الصليبية بسبب هذا الدافع الذاتي.

ثانيا : نضوج المشروع الصهيوني واقتراب اليهود من موعد هدم المسجد الأقصى وإعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية:

لم يخف كبار زعماء الصهاينة في كتاباتهم ومقابلاتهم حلمهم الأكبر وهو إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. ولم يستحوا من إعلان عزمهم على هدم الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. كما لم يخفو عزمهم على إقامة دولة يهودية صرفة وما يقتضيه ذلك من طرد ما تبقى من المسلمين والعرب من أرض فلسطين.

وبعد أن دجنت إسرائيل بالتعاون مع أمريكا أنظمة الحكم في الجوار أو ما يسمى بدول الطوق وتمكنت بواسطة السادات من تفكيك الجيش المصري واختصاره لأقل من الثلث عدديا وتسليحا وبعد أن كفل لهم الملك الحسين الخائن حاكم الأردن وولده من بعده أطول حدود لهم مع الجوار. وتكفل النصيرية في سوريا أيضا بتفكيك الجيش السوري أكبر جيوش المنطقة وأشدها تسليحا تدريجيا، وضمن نصارى لبنان أمان حدودها الشمالية. انتقل اليهود لمرحلة فرض التطبيع السياسي والإقتصادي والثقافي على الدول العربية بل وطمحوا لأن يشمل ذلك العالم الإسلامي. ولم يبق في المنطقة من القوى

العسكرية العربية إلا العراق ومن القوى الإسلامية إلا الباكستان فوضع اليهود نصب أعينهم هدف تدمير الجيش العراقي أولا. ثم الباكستاني ولما كانوا لا يستطيعون ذلك بأنفسهم كان لا بد من استقدام الجيوش الصليبية ولاسيما الجيش الأمريكي ليقوم بالمهمة كما أن اليهود بما فطروا عليه من ذل ومسكنة وخوف وجبن لا يطمئنون لجيشهم المتفوق عددا وتسليحا على مجموع ما تبقى من قوة عسكرية في دول الجوار حتى مع وجود أكثر من 250 رأس نووي جاهز لتدمير ما يريدونه من أهداف من حولهم. فهم يخشون أن تتمرد الشعوب العربية والإسلامية على صنائعهم الحاكمة في عواصم العرب والمسلمين ويجدون أنفسهم بملايينهم الستة محاطون بمئات ملايين الشعوب الغاضبة التي تناصبهم العداء وتحمل من الأحقاد المقدسة ما يكفي لسحقهم إن اتيحت الفرصة لتلك الشعوب. ولذلك عمل اليهود على استقدام جيوش النصارى لترابط في المنطقة وتبقى وتعمل على تفتيت دولها إلى كيانات أصغر وتفتعل حروبا داخلية مذهبية وعرقية تضمن الاستقرار والسيادة والتفوق العسكري بل تضمن أن تكون إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تمتلك جيشا في المنطقة. ولم يكن هذا الهدف صعبا على الصهاينة بعد أن أدت دسائسهم ومكرهم وأعمال الاختراق والتجسس وشراء الذمم والتغلغل بالأسلوب اليهودي على مدى نصف قرن. أدت إلى سيطرة اليهود على حكومة أمريكا وحكومات معظم دول الناتو.

وتشـير الإحصـائيات إلى نسـبة عاليـة مخيفـة مـن الـوزراء وأعضـاء الحكومـات وأعضـاء البرلمـانات والأجهـزة النافـذة والأحـزاب السياسـية الرئيسـية وكافـة وسـائل الإعـلام العالميـة وأجهـزة السـينما والإنتـاج التلفزيـوني والصـحف ... كلهـم يهـود أو أولاد أو أزواج ليهـوديات. وهذا يعني يهود يتهم بحسب عقيدة التي تعتبر أبن اليهودية يهودي.. هذا فضلا عن سيطرتهم التامة على النظام المصرفي والمؤسسات المالية الكـبرى في العـالم وتحكمهـم في الأمـم المتحـدة ومـا ينبثـق عنهـا مـن مؤسسـات ... لقـد وصل اليهود إلى ما ذكره القرآن من العلو الكبير وها هـم يفسـدون في الأرض كيـف يشـاؤون .. واسـتطاع أحبـار اليهـود المتسـللون إلى النصـرانية ولاسـيما للمـذهب البروتسـتانتي السـائد في أمريكـا وبريطانيـا .. أن يخترعوهـا ويؤسسـوا في أمريكـا مـذاهب ومنظمـات كنسية صليبية متطرفة تقوم على ازدواجية المصدر العقدي بحيـث تكـون العقيـدة في الـولايات المتحـدة الصـهيونية وآمـال إسـرائيل وأحلامهـا وأفضـلية شـعبها المختـار. حـتى بلـغ أنصـار هـذه المنظمـات والكنائس عشرات الملايين وصارت مواردها المالية بالمليارات وما أصبح تملكـه مـن شـبكات التلفزيـون ووسـائل الإعـلام مـا يجعلهـا إمبراطوريـة طاغيـة مكنـت اللـوبي الصـهيوني مـن أن يتلاعـب بالكـونغرس والانتخـابات الأمريكيـة كيفمـا أحـب .. وهكـذا ظهـر المنظـرون الجـدد في السياسـة الأمريكيـة في الحـزبين الـديمقراطي والجمهـوري وخاصـة في

الثاني وتولوا دعم برامج إسرائيل التي اقتربت من تحقيق أهدافها... وهكذا ساق اليهود الجيش الأمريكي وجيوش أوربا الصليبية ليحتلوا الشرق الأوسط ويفتتحوا ذلك بتدمير آخر الجيوش المتبقية وهو الجيش العراقي عبر حرب 1991م وحرب 2003م. فيثأروا لليهود من العراق وأرض بابل بحسب معتقداتهم ويثأروا لمرحلة الأسر البابلي ويذيقوا أحفاد أولئك الأجداد أبشع ألوان الذل والهوان كما ضمنوا تفكيك العراق وسحق قدراته.. وتجدد الضغط باتجاه سوريا التي ألغي فيها نظام التجنيد الإلزامي لأول مرة في تاريخها منذ الاستقلال مما سيقلص عدد الجيش السوري الذي يناهز مليون جندي إلى أقل من 20 % منه ليقوم على المتطوعين الذين تتكون غالبيتهم الساحقة من النصيرية وأبناء الأقليات الدينية الأخرى ويبقى المسلمون السنة وهم الغالبية الساحقة من سكان سوريا أكثرية غير مسلحة يسلخ اليهود وعملاؤهم جلدهم متى شاؤوا. كما تتجه أنظار أمريكا علنا لتفكيك وتقسيم تركيا و الباكستان والسعودية ومصر.. وتنشر في الشرق الأوسط الادنى وهو ما يسمونه منطقة العمليات الوسطى أكثر من 1.5 مليون جندي أمريكي يرابط نحو مليون منهم في البلاد العربية من بغداد إلى طنجة منهم نحو الثلثين في منطقة الشرق الأوسط !!! وهكذا كانت الاسباب الصهيونية أساسية في حضور الصليبيين. وإعلام بوش هذه الأيام إطلاق مشروع ما أسماه (الشرق الأوسط الكبير)..

ثالثا: أسباب متعلقة بظروف العالم الإسلامي:

كما سيأتي التفصيل في الفصلين التاليين عن مسار الصحوة الإسلامية الجهادية. فقد أدى نشاطا لصحوة الإسلامية التي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسية / جهادية مسلحة. إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصليبيين والمشروع الصهيوني في المنطقة. فقد انتشرت الأحزاب التي تبني المشروع الإسلامي واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدول العربية و الإسلامية. بل بعضهم أن يشكل الحكومات كما في تركيا أو كاد كما في الجزائر .. كما أدى النشاط الدعوي لمختلف مدارس الصحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا. ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السلطات لمختلف مجالات الصحوة السلمية والذي كان ترتيبا لحصار الصحوة أدى إلى امتداد الصحوة الجهادية وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العرب الأولى في أفغانستان (1984-1992م). فقد شكلت الظاهرة الإسلامية تهديدا حقيقيا للأنظمة العربية والإسلامية وأصبح الصليبيون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة التي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافة مدارس الصحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى

خطورة الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجوده العسكري الفعلي هو خير ضامن لمصالحه. وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديدة تقسم المقسم و تجزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسب ما يتخيل مصالحه بنفسه وبحراسة حراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصليبية الثالثة وتجتاح الشرق الأوسط من جديد.



محطات الحملات الصليبية الثالثة (1990–2003م):

1– حرب العراق الأولى (عاصفة الصحراء – حرب تحرير الكويت):

افتتحت أمريكا حملاتها الصليبية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (1990م) مباشرة بتنفيذ برنامجها الذي أعدت له من أواسط السبعينات وشكلت من أجله آنذاك قوات التدخل السريع للسيطرة على منابع النفط وتحدثت العديد من الدراسات والكتب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكي.

وفعلا وكما صار معروفا في وسائل الإعلام فقد تم استدراج صدام حسين عن طريق السفيرة الأمريكية في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت. وكان الجيش العراقي قد بلغ مستوى رفيعا بعد حرب الخليج الأولى مع إيران (1979-1987م). ومنذ ذلك الحين ضربت القوات الأمريكية والبريطانية بجرانها في المنطقة. وكما ذكرت آنفا في مطلع البحث فقد قدمت حكومات الدول العربية وعلى رأسها السعودية ودول الخليج والمغرب و الباكستان وسوريا والأردن ومصر وتركيا مشاركة فعالة. فقاتلت جيوشها الجيش العراقي تحت القيادة الأمريكية. ولكن العامل الأبرز في تحولات معادلة القوى في الحملات الصليبية الثالثة كان في دخول الأجهزة الدينية الرسمية ومؤسسات علماء السلطان وقسم كبير من قيادات الصحوة الإسلامية إلى جانب هذا

الحلف بقيادة أمريكا. حيث دفع بهم الحكام الخونة إلى إصدار الفتاوى التي تضفي الشرعية على حضور الصليبيين وتمركزهم في جزيرة العرب وسيطرتهم على عقر دار المسلمين. ولكن أدهى ما في هذا الأمر هو انزلاق المدجنين والفاسدين من بعض قيادات الصحوة إلى التوقيع على فتاوي تشرع لذلك وذلك نتيجة دخولهم عبر بوابات الديمقراطية ليصبحوا جزءا من السلطات الرسمية في حكومات الردة. فكانت هذه الفتنة جزءا من الثمن الذي يدفعه المتخوضون في مستنقعات السياسة اللاشرعية أنهم تجاوزوا ما روي عن رسول الله ﷺ:

(ومن أتى أبواب السلاطين افتتن) (وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا).

وسحقت القوات الأمريكية الجيش العراقي وخلفت أكثر من 300 ألف قتيل بين المدنين والعسكريين ودمرت البنية التحتية للعراق التي بنيت عبر نصف قرن من الإستقلال ثم ضربت الحصار القاتل على العراق لمدة ثلاثة عشر عاما قتلت خلالها أكثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة النقص الحاد في الغذاء والدواء.

وهكذا أهلت أمريكا العراق للحرب التالية التي أجهزت عليه فيها في مارس وأبريل 2003م.

وبعيد الحرب العراقية الأولى مباشرة وكإجراء احتياطي ضد المقاومة المفترضة التي ستنشأ كرد فعل على هذه الحملات الصليبية ، والتي من المفترض أن تقوم بها أوساط الحركات الجهادية وشباب الصحوة الإسلامية، أطلقت أمريكا حملتها لمطاردة الجهاديين ورموز الصحوة الجهادية تحت دعوى مكافحة الإرهاب. وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنية العالمية والإقليمية خلال ولاية كلينتون الذي خلف بوش الأب لتتابع أمريكا هجماتها على العالم الإسلامي فتتابع حصار العراق وتتولى إجبار الدول العربية والإسلامية على مشاريع التطبيع مع اليهود وتتولى بنفسها مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما وصفوه.

2- المذابح الصليبية للمسلمين في البلقان والقفقاس (1994-1997م):

في زحمة زخم الهجمة الأمريكية الصليبية على العالم الإسلامي ومزاعم مكافحة الإرهاب والأصولية الإسلامية. استغل الروس الظروف العالمية في مواجهة المسلمين وشنوا حربهم الدموية على الشيشان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المسلمون الشيشان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليوم...

كما شن الصرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدول الأوربية حرب إبادة على المسلمين في البوسنة ثم كوسوفو.. حيث ارتكبت أبشع المجازر التي راح ضحيتها مئات الألوف من المسلمين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصرب أن تقتل أكثر من 8000 مدني بوسني مسلم أكثرهم من النساء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربا منذ الحرب العالمية الثانية.

3- حصار الإمارة الإسلامية في أفغانستان ثم تدميرها سنة (2001م):

لم يرق للأمريكان وأوربا الناتو التي خططت ونفذت الحرب الأهلية بين فصائل المجاهدين في أفغانستان (1992-1996م) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربي بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهادية في تلك الحرب الأهلية ،لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإسلامية. كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإرهاب العالمية لكوادر التيار الجهادي والأفغان العرب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكام المرتدين.

فبدأت أمريكا وأوربا عمليات الحصار الاقتصادي والسياسي على الإمارة الإسلامية منذ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الذي اختتمه بقصف 75 صاروخ كروز على بعض معسكرات المجاهدين العرب والطالبان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبية ومكافحة الإرهاب الإسلامي حيث افتتح حملته تلك بعد أحداث سبتمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإسلامية

إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العرب والمسلمين إلى أفغانستان في ديسمبر 2001م.

4- حرب احتلال العراق (مارس 2003م). والزحف الأمريكي على الشرق الأوسط :

وقد تكلمنا عنها فيما سبق بما يغني عن الإعادة.

حالة المرجعيات في العالم الإسلامي ووقوف التيار الجهادي وحيدا في مواجهة الحملات الصليبية الثالثة:

أما المرجعية السياسية للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصليبي منذ إسقاط الخلافة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة . بل إن الذي حصل أن حكام بلاد المسلمين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصليبيين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الدينية:

فقد تولت الحكومات الخائنة العميلة تصفيتها في كافة بلدان العالم العربي وأكثر العالم الإسلامي كما مر معنا في الفقرات السابقة. وقد حاولت الصحوة الإسلامية أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية.

خصوصا أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التالية بالتفصيل لم تستطع الصحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع الفقهية وأئمة الطرق الصوفية. ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبية وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته...

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمواجهة الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الاجتماعية:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذ منتصف القرن العشرين نتيجة الإستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية. فتابع ذلك سيره بتسارع كبير.. وتراجع دور البوادي والأرياف في السياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنية التي لا تقيم وزنا لهذه الروابط. وباستثناء بعض البلدان الإسلامية كأفغانستان واليمن .. وبعض البلدان الأخرى. كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المواجهة. وقد كان من سياسة الحكام جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كل منها على حدة .. وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدينية أو للدينية

والسياسية معا. ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المواجهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المواجهة الأخيرة.

إذن من وقف للحملات الصليبية الثالثة منذ 1990 وإلى 2001م؟؟ :

في الحقيقة وباختصار..

لقد قدمت الحملات الصليبية الثالثة بعد أن صفت من أمامها كل إمكانيات المقاومة. فقد قضت على المرجعيات كلها تقريبا. وقضت إلى حد بعيد على مقومات نشوء المقاومة والمواجهة في الشعوب العربية والإسلامية. ولئن كانت الحملات الثانية قد قدمت على بصيرة وخبرة من تجارب قرنين من الزمن خلال الحملات الأولى وعلى دراسات وأبحاث لهذه الأمة على كافة الأصعدة عبر 500 سنة بعدها. فإن هذه الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة تأتي على خلفية كل ذلك بالإضافة إلى تجارب الحملات الثانية وما وفرته خدمات طبقة المرتدين من الحكام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزمن.

كما توفرت لها كل إمكانيات النجاح. ولئن كان هناك شيء من التوازن في معطيات المواجهة على الأرض بين قوات الحملات الصليبية الأولى وحتى الثانية وبين قوات المجاهدين التي واجهتها عددا وعدة ، فإن تقهقر المسلمين إلى حضيض التخلف في معظم الميادين. ونهوض

الحضارة الأمريكية تكنولوجيا عسكريا إلى قمة التطور، وما سبق من تدمير نواهم الحكام لكل إمكانيات المقاومة جعل الساحة عمليا شبه خالية في هذا الصراع وصارت المواجهة اليوم غير متوازنة البتة.

وأما خلاصة نبضات المقاومة للحملات الصليبية الثالثة وأعوانها المرتدين والمنافقين خلال (1990- سبتمبر 2001م) فيمكن ذكر أهمها بحسب التسلسل الزمني بحسب ما أتذكره الآن على الشكل التالي:

- حركة الجهاد المسلح في الجزائر (1991- 1995م) والتي تم القضاء عليها خلال السنتين التاليتين من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التعاون بين المخابرات الجزائرية والفرنسية وبعض المخابرات العربية حيث أخرج الجهاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن جمهوره بسبب انحرافه (يمكن لمن أراد تفاصيل عن تلك التجربة العودة إلى كتاب – شهادتي على الهاد في الجائر – للمؤلف).
- المواجهات الجهادية المسلحة التي قامت في ليبيا ضد نظام القذافي (1993-1995م) والتي كان أبرزها محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا والتي تمكن النظام من تحديد نشاطها العسكري في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التنظيمي الدعوي السري والنشاط في المهجر.

- حركة نفاذ الشريعة شمال غرب باكستان سنة (1996م) والتي قضت عليها الحكومة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإسلامي وتخلف حركات الصحوة في باكستان عن نصرتها.
- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة الشهيد أبو الحسن المحضار رحمه الله والتي قضي عليها في مهدها (1998م).
- حركة الشباب الجهادي في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة الشهيد أبو عاشة اللبناني والتي قضي عليها في مهدها (1999م).
- حركة طالبان التي انطلقت سنة 1994م وأقامت الإمارة سنة 1996م وسقطت أواخر 2001م وكانت بمن لحق بها من التجمعات الجهادية العربية والباكستانية والوسط آسيوية أهم الظواهر الجهادية خلال العقد المنصرم.
- الإنتفاضة الفلسطينية المسلحة التي انطلقت سنة 2000م وما زالت إلى الآن وهي من أهم فصول المواجهة والمقاومة الجهادية للحملات الصليبية اليهودية الثالثة.

- عدد من المحاولات الجهادية المحدودة والمبادرات الفردية التي قام بها المجاهدون ضد مختلف أشكال تواجد الصليبيين في العالم العربي والإسلامي والتي حصلت في بلدان مختلفة خلال العقد المنصرم

ومن ذلك بعض عمليات المقاومة المتواضعة في السعودية ضد الأمريكان والتي كان أهمها تفجيرات الرياض والخبر.

- عمليات المقاومة والدفاع عن النفس التي قام بها حطام التيار الجهادي في مواجهة حملة المطاردات بعد سبتمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مواجهة الكارثة التي نفذتها الحكومة الباكستانية خلال ملاحقة الناجين على أراضيها والتي أسفرت عن مقتل عشرات المجاهدين العرب وأسر ما يزيد على 600 منهم سلمتهم إلى أمريكا ليستقروا في معتقل غوانتانامو التاريخي. وغيره من السجون الأمريكية في أماكن عدة..
- حركات الجهاد التي نشرت في وسط آسيا ضد الحكومات الشيوعية المدعومة من الاتحاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (2001/1993م) ثم ما تلاها في أوزبكستان (2001/1997م).
- وكذلك جهاد المسلمين في تركستان الشرقية (2001/1996م) ضد الحكومة الصينية.
- هذا بالإضافة إلى حركات المقاومة والمواجهة التي تمت ضد القوى الصليبية في ساحات الجهاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجهاد الذي حصل في البوسنة (1996/1994م) وكذلك في الشيشان خلال نفس الفترة وما تلاها والذي ما زال مستمرا. وكذلك المواجهة البطولية التي قام بها المجاهدون في الصومال. وكذلك

حركات الجهاد القديمة والمستمرة خلال هذه المرحلة في الفلبين وكشمير وإرتيريا وبورما وأندونيسيا وغيرها من الجبهات التي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضد الصليبيين وغيرهم من الكفار المستعمرين.

- بالإضافة لبعض العمليات التي قام بها تنظيم القاعدة ضد التواجد الأمريكي في المنطقة والتي كان أهمها عمليات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام ونسف البارجة الأمريكية كول في عدن. ثم كان آخرها العمليات الاستشهادية في نيويورك وواشنطن (11- سبتمبر 2001م) والتي افتتحت فصلا جديد من المواجهة بين الصليبيين والمسلمين وغيرت وجه التاريخ ومعطيات الصراع.

وبالنظرة الدارسة لمعادلة الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثالثة منذ 1990م وإلى احتلال العراق 2003م نجد أن معادلته قد أخذت الشكل التالي:

أمة اليهود (على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى (على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ←

هزمت قوى المقاومة.. وحصر التيار الجهادي.. وشلت الصحوة الإسلامية ..

وخرجت الأمة من المعركة.

وقفه تأملية مع معادلات الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثلاثة:

وجدنا أن معادلات الصراع كانت مع تلك الحملات على الشكل التالي:

الحملات الصليبية الأولى (1050/1291م) : وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام   **(1)**

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار القديم) (1800/1970م):

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام   **(2)**

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف الحكومات المرتدة × الصحوة الإسلامية ←
هزمت الصحوة الإسلامية وخرجت الأمة من المعركة (3)

الحملات الصليبية الثالثة (المرحلة الأمريكية) (1990–2003م) :

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى (على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ←
هزمت قوى المقاومة .. وحصر التيار الجهادي .. وشلت الصحوة .. وخرجت الأمة من المعركة (4)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التاريخية الرهيبة وما نستخلصه منها من دروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقومات النصر حيث حصل كي يتكرر معنا بإذن الله نجد من ذلك:

1. إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أننا انتصرنا في المعادلتين (1) و(2) وانهزمنا في (3) وانسحقنا في (4) وواضح تماما أننا انتصرنا عندما واجهت الأمة عدوها عسكريا رغم الفارق الهائل في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة على هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأمة عدوها بكامل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشيشان وفي البوسنة رغم أننا في زمن الهزيمة والتراجع.

وكذلك توضح المعادلات أننا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدو ووقفت الامة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المواجهة بل وانضم قسط من الأمة إلى العدو ولم يبق في المواجهة إلا حفنة قليلة من الجهاديين. وكأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

أمة الإسلام × أمم الكفر ← انتصرنا

نخبة من الأمة × أمة الكفر + منافقي الأمة ← انهزمنا

فأول الدروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيد الأمة إلى المواجهة بحيث (تعود المواجهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هو حاصل الآن. وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النخبة الأمة بأن من وقف مع العدو ليس منها وإنما من العدو (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وأن مواجهته من صميم الجهاد وليست فتنة.

2. أن الأمة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشرعية القدوة التي تحركها في حين لم تستطع الصحوة ولا نخبتها الجهادية أن تشكل مرجعية تقنع الأمة بالتحرك معها وأن على أي نخبة ستتصدى للمقاومة أن تعمل على أن تشكل مرجعية تشمل قيادات الجهاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأمة من حولها.

3. أن العدو قد انهزم أمامنا في ساحات المواجهة العسكرية ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية التي تولد بذور المقاومة في الأمة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المقاومة كما أشرنا آنفا. (راجع / مستويات المقاومة المقدمة).

4. أن اليهود قد دخلوا الحملات الصليبية الثانية كعنصر مساعد في الإستعمار القديم. ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصليبية الثالثة. ويجب علينا أن نواجههم بهذه الصفة ونعطي تدمير طليعتهم إسرائيل وأداتهم أمريكا أولوية تناسب حجم دورهم وخطره في المرحلة القادمة.

5. تبين المعادلتين (3) (4) أن المرتدين قد حسموا المعركة لصالح العدو الصليبي اليهودي عمليا، وذلك بخداع الأمة بانتمائهم المزيف للمسلمين وهويتهم الوطنية المزورة. فيجب على طلائع الجهاد والمقاومة وإعلامهم الموجه وقياداتهم المفكرة والمنظرة لمستقبل العمل أن تعيد إبراز دور المحرك الأساسي للمرتدين وهم الصليبيون وتحريك المقاومة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأمة في المعركة ويقنعها بقتال المرتدين تبعا للصليبيين على أنهم

جزء من العدو الحقيقي والأساسي وأنهم ليسوا أكثر من مجرد ستار له.

6. تبرز المعادلة الأخيرة دور أمريكا كقوة قائدة للحملات وككتلة رئيسية في الوزن العسكري مما يعطي مواجهتها أولوية كبرى كما يلفت النظر بفهم التناقضات الداخلية داخل الحلف الصليبي وما بين محاوره الثلاثة (أمريكا – بريطانيا / أوربا الغربية /روسيا) إلى ضرورة العمل على فك هذا الحلف والإنفراد بالمحور الصهيوني الأمريكي ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل على هذا في النظرية السياسية من الفصل الثامن إن شاء الله.

7. من خلال المتابعة نجد أن الشعوب الأوربية كلها قد وقفت وراء جيوشها وملوكها داعمة مؤيدة في الحملات الصليبية الأولى وكذلك في الثانية. ولكن انتشار مفاهيم التواصل الحضاري وحركات السلام في كثير من شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفة بالإسلام في أوربا جعل جماهير غفيرة مليونية العدد تقف موقف المعارضة والشجب لتلك الحملات حتى في بريطانيا. في حين وقفت الغالبية الساحقة من المجتمع الأمريكي المتصهين

وراء رئيسها الصليبي المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التفكير فيه ونحن نصيغ نظريات المقاومة القادمة.

8. إن نظرة في الصورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيام الاسلام الأولى لتكون:

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المؤمنين المجاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإسلام وأهله المؤمنون المصابرون غرباء كما بدؤوا غرباء.. فطوبى للغرباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم.

9. الملاحظة الأخيرة. وهي في غاية الأهمية وتشكل ركنا أساسيا في فهم طبيعة صراعنا الحالي ويجب أن تكون ركنا أساسيا من العقيدة الجهادية للمقاومة في هذا الزمن وهي الفقرة الهامة التالية:

دور المنافقين من علماء السلطان. والفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية في هزيمة الأمة المسلمة وطليعتها المجاهدة أمام الأعداء:

أمام الحملات الصليبية المعاصرة خلال الإستقلال ولاسيما بعد الحملة الصليبية الأمريكية الجديدة.

فكما مر معنا في الفصل السابق عن كيفية نشوء مدرسة علماء السلطان في التاريخ الإسلامي منذ تحول الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض ثم الجبري ثم قيام حكم الطواغيت. وكيف اتبع المسلمون سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى. وأصبحت السلطة فيهم كما كانت عبر التاريخ في كل الممالك الضالة تقوم على (الحاكم والكاهن والأعوان). فقد اصطف علماء السلطان على أبواب سلاطين بني أميه منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري ولم يمض على وفاة رسول الله ﷺ إلا خمسين سنة. وسجلت لنا أقوال علماء الحق الذين اعتزلوا أبواب الأمراء بعض النصوص في نهي أولئك والتشنيع عليهم وتحذير العامة من فسادهم ؟.. فقد قام في مقابلة ذاك الفريق التعيس من علماء السلطان علماء للحق صدعوا به واحتسبوا على الأمراء وقاموا بحق الله في الحكام والمحكومين. وما زالت هذه الطائفة تقل في حين تتوسع فرقة علماء السلاطين مع الوقت و تفسد دورها مع ازدياد وتطور فساد الملك من العضوض إلى الجبرية إلى ملك الطواغيت إلى أن قامت اليوم فئة علماء الإستعمار وفقهاء البنتاغون وجهز آلات

حرب الأفكار من علماء مكافحة الإرهاب تحت قيادة رامسفليد.. !
ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كان دور هذه الفئة الخبيثة من علماء السلطان محدودا في تأييد الحملات الصليبية الأولى حيث وقفت الأمة ومرجعياتها الدينية في وجه ذلك الغزو الصليبي. واقتصر دور الفاسدين منهم على تأييد الملوك والأمراء الذين خانوا أمتهم وتعاونوا معهم من أمثال الصالح إسماعيل أيوب ملك دمشق الذي والى الصليبيين وأدخلهم أسواق دمشق وباعهم السلاح وملكهم بعض حصون المسلمين وكذلك بعض أمراء الأندلس الذين تعاونوا مع النصارى وملكوهم حصون المسلمين وتعاونوا معهم. وقد ذكرت وثائق التاريخ طرفا من ذلك من مثل ما قاله الإمام ابن حزم الذي عاش ذلك الحين في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي. قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه ، في كتابه (**التلخيص في وجوه التخليص**):

[**فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة. وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى. لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك ؛ أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله ﷺ ، ساع في الأرض بالفساد. للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضادهم . وإباحتهم لجندهم قطع الطريق. ضاربون للجزية**

والمكوس والضرائب على رقاب المسلمين. مسلطون لليهود والنصارى على قوارع طرق المسلمين. معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله. غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم ، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم. الناصرون لهم على فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم. والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها. فنحن نراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس.

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه. فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه. وأن ينكر بقلبه. هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبوا على أمرهم) اهـ.

وهكذا لم يغفل الاستعمار الصليبي الذي قاد الحملات الصليبية الثانية منذ القرن السابع عشر وإلى منتصف القرن العشرين دور هذه الشريحة الخبيثة في إسناد احتلاله وإجهاض المقاومة وتجفيف جذورها في الأمة. فكما لم يهمل ملوك وسلاطين المسلمين في تلك الحقبة دورهم في تركيع الشعوب واستعبادهم وانتزاع طاعة الناس لهم.لم يهمل المستعمر ذلك .. فقد استطاع الإنجليز في كل مكان احتلوه من العالم

الإسلامي تجنيد بعض العلماء وبعض الصوفية أئمة الطرق لهم في مصر والسودان وشبه القارة الهندية وغيرها. فقد كتب (كرومر) المندوب البريطاني المشرف على استعمار مصر كثيرا من الرسائل إلى مُحَّد عبده (شيخ الأزهر) في حينها وأثنى عليه وعلى تعاونه. ولما مات مُحَّد عبده كتب (كرومر) إلى حكومته ينعي فيه أخلص أصدقاء بريطانيا في مصر!! حيث كان لمحمد عبده وأستاذه الأفغاني من قبل دورا بارزا في حركة التغريب والغزو الفكري في أوساط المسلمين بل وصل الحد إلى أن يكونوا أعضاءا في أول محفل ماسوني في الشرق الأوسط !!

بل ذهب الإنجليز لأبعد من استخدام علماء السلطان ، فلقد استحدثوا مذاهب جديدة من العدم وأوجدوا لها ملايين الأتباع مع الوقت في شبه القارة الهندية مثل مذهب القاديانية. والبهائية وسواها.. الذي كان أهم أهداف استحداثه أنه يسقط الجهاد ضد الإنجليز.. كما استطاعت فرنسا تجنيد بعض علماء الشام وشمال إفريقيا وأئمة بعض الطرق الصوفية الذين أفتوا بأن (فرنسا قدر الله). ومن يحاربها فهو كمن يحارب قدر الله ويرفض ما قدر وكتب على المسلمين!

كما لعب بعض علماء المسلمين وشيوخ الطرق في وسط آسيا والممالك الإسلامية في القفقاس وما حولها دورا بارزا في النفاق للقياصرة وللثورة البلشفية ولينين ولستالين ذاته... والوثائق متوفرة لمن أراد جمعها وليس هنا محل الاستقصاء.

فلما رحل الإستعمار وقامت الحكومات الوطنية والأحزاب السياسية المحلية صار لكل حزب شيوخ وعلماء دين في حملاتهم الانتخابية وقوائمهم من المرشحين. وصار لكل حكومة منذ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتاء تنافق لها .. ومما نذكره في سوريا أن (أحمد كفتارو) وزير الأوقاف الحالي وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذ 1970م وإلى اليوم (أي طيلة عهد حافظ أسد وابنه بشار). كان سنة 1954م يقود الحملة الانتخابية (لخالد بكداش) مؤسس الحزب الشيوعي السوري واللبناني. الذي أدخل الإلحاد والشيوعية إلى بلاد الشام. فقد قاد حملته الانتخابية في المساجد! في مواجهة الحملة الانتخابية للإخوان المسلمين ومرشحها الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. فقد كان يخطب اثر صلاة الجمعة في المسجد الأموي ليثني على خالد بكداش الذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعات! فيما ينتظر الناس والشيخ فراغه من النوافل حتى يبدؤوا الحملة الانتخابية.. فتأمل !! وهكذا كان لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتى وقف الشيخ الدكتور العلامة (سعيد رمضان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة التي راح ضحيتها زهاء 50 ألف مسلم من الشعب المسلم السني على أيدي الجيش النصيري وقائده حافظ أسد. قال البوطي: (لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المجاهدين لما انتفضت المدينة مع المجاهدين) فحل لولي الأمر أن

يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتى كان آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال: (اللهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه - أي حافظ اسد- قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وان مُحَّدا عبدك ورسولك اللهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى !!!!!!!. وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحكومات اللبنانية (النصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حكام دول الخليج. وكان له مقام رفيع في الندوة الحسنية عند الملك الحسن الثاني في المغرب. وكتاب البوطي العجيب (الجهاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الذي توصل فيه إلى أن المجاهدين للحكام في هذا الزمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حق!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض !... وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجزائر ضد الانتفاضة الجهادية الرائدة في الجزائر قبل أن تستولي الاستخبارات على قيادتها وتصبغها بالتكفير! ولم يعجبه ولا حتى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة على الحكومة الشرعية!!.

وفي مصر كان لعبد الناصر في مصر بعض شيوخ الأزهر الذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم. وكان للسادات من بعده في مصر فقهاء للتطبيع والسلام مع اليهود مثل الشيخ الشعراوي الذي كتب القصائد في مدح فاروق ثم كتب الشعر في الثناء على إنقلاب عبد الناصر ضد الملك فاروق ! وامتدح الأخير! ثم ألّه السادات وكان هو الذي رد على من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سبحانه وتعالى عما يجحد الجاحدون! ثم نافق الشعراوي لمبارك حتى قبيل أن يلتئم عليه قبره بأيام في واقعة مشهودة .. وهو الذي قرأ البيان الذي وقع عليه ستة من العلماء منهم شيخ الأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف والشيخ مُحَمَّد الغزالي والشيخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضد الحكومة ليس جهادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف :(ذلك بأننا لا نعلم بأن حكام مصر قد ردوا لله حكما) ! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها. فلم يروا أنه رد لله حكما في (مصر) ! البلد المسلم الذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!. وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر

من أن تحضر. وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب..!

كما كان لآل سعود في السعودية هيئة كبار العلماء والدعوة والإرشاد، والقضاء الأعلى وغيرها من المؤسسات الدينية الرسمية التي كان لها مآثرها منذ أسسها الملك فيصل. وقل مثل ذلك عن علماء المغرب الأقصى الذين يركعون ويسجدون للملك ويتعذرون بدعوى سجود الملائكة لآدم وأنه سجود شكر وليس سجود عبادة وكيف لا يسجدون كما سجد الملائكة لآدم والملائكة خير منهم والملك من أولاد آدم – على الأرجح – !

ولا ننسى شهادة أبو شقرة العالم (السلفي) في الأردن. الذي قال أنه نظر في حال الأمة فوجد أن مجدد القرن الخامس عشر الهجري هو جلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله. ولا ندري كيف حل الإشكال مع علماء السعودية الذين عقدوا مؤتمرا في الذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز الرياض مع أعوان الإنكليز ووجدوا أن المجدد هو الملك عبد العزيز آل سعود! وهكذا قل مثل ذلك عن كافة الدول العربية و الإسلامية وموقف علماء السلطان مع ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وعن تسويغهم لحكمهم بغير ما أنزل الله وما يسومون الناس به من العذاب والمكوس وصولا إلى موالاتهم لليهود والنصارى..

ولكن الأنكى من الدور البشع الذي لعبه علماء السلطان إلى جانب حكومات الطواغيت والحملات الصليبية الثانية والثالثة ، هو الدور المفاجئ الذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية ذاتها. فإذا كان العلماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السلطة، فقد دخل بعض قيادات الصحوة أولئك في السلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن. كما سنرى في الفصل القادم إن شاء الله. وهكذا وبصفتهم يمثلون الدين والعمل الإسلامي وينتمي بعضهم إلى قطاع العلماء. فتكامل البلاء بهم ليكوّنوا مع علماء السلطان والمؤسسة الدينية الرسمية عكاز الكهانة إلى جانب الحكام.

ولكن الدور الأخبث لطائفة علماء السلطان برز مع قدوم الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا منذ 1990م على الشرق الأوسط. فلما زحفت إلينا جحافل الأمريكان والأوربيين وحلفائهم المرتدين وعساكرهم. تولى علماء السلطان وفقهاء الضلالة والفاسدين في الصحوة كسح الألغام أمام تلك العساكر وتحطيم أي إمكانية مقاومة قد تنشأ ونزع غطاء الشرعية عنها سلفا. وقد تولى تنظيم ذلك النظام الحاكم في السعودية وجهازه الديني الذي بادر إلى إطلاق فتاوى جواز الاستعانة بالكفار للضرورة من قبل أولياء الأمور الشرعيين وإضفاء الشرعية على ما حصل. وبذلك قطعوا الطريق على من يفكر

بالجهاد. وشكل مؤتمر مكة 1990م الذي دعي له 413 شخصية من كبار علماء المسلمين وقيادات الصحوة والرموز الدينية من كافة دول العالم الإسلامي الثمانية والخمسين . وحضر منهم 398 شخصية. فأصدروا بيانا ختاميا شرع للوجود الأمريكي والتعاون معه ضد العراق بصفتها استعانة شرعية. ثم تتالى البلاء لتصدر الفتاوى من السعودية بجواز التطبيع مع اليهود حيث تولى مفتي الديار الشيخ ابن باز إصدار الفتوى التي لا يعبر عن مدى فداحتها إلا أن نعلم أن (بيريز) رئيس وزراء إسرائيل في حينها لما ذكرها أمام أعضاء الكنيست وقفوا يصفقون لها وأثنى (بيريز) على الشيخ المعتدل ودعا شباب المسلمين لإتباع آراء هذا الشيخ الجليل وعدم السعي وراء آراء أمثال حزب الله المتطرف.. فتأمل إلى أين وصلت الفتنة والبلاء!

وعلى مدى عقد أسود من الزمن (1990/2000م) تولى الجهاز الديني الرسمي وعلماء السلطان وعملاء الصحوة الإسلامية في السلطات المرتدة الحاكمة وبرلماناتها ووزاراتها مكافحة التيار الجهادي جنبا إلى جنب مع مشروع مكافحة الإرهاب الذي قادته أمريكا وانعقدت من أجله عشرات المؤتمرات الأمنية في العالم وفي بلاد العرب والمسلمين. مما أدى إلى تشريد الجهاديين وتمزيقهم شر ممزق.

ولما قامت دولة الشريعة في أفغانستان على يد طالبان (1994/2001م) تولت هذه المرجعيات الدينية العميلة إسقاطها جنبا

إلى جنب مع الجهود الأمريكية الصليبية بدافع من حكامهم. وحتى في المسائل الصارخة الحساسية لم يستحِ أولئك العلماء والقادة العملاء أن يسدوا خدماتهم الجليلة تلك. ومن أوضح وأفظع الأمثلة على ذلك أنه لما اتخذ أمير المؤمنين في أفغانستان (ملا مُحَّد عمر) قرارا بهدم الأصنام الأثرية العملاقة لبوذا،هرع فريق من هؤلاء العلماء ورموز الإسلام ، وكان على رأسهم الشيخ القرضاوي إلى أفغانستان بدفع من حكامهم المدفوعين من أسيادهم ، بتحريك من المنظمات الصليبية الدولية ، للحيلولة دون هدم الأصنام ! وكانت فضيحة للجهاز الديني الرسمي في العالم العربي والإسلامي ولاسيما في السعودية ومصر. الذين اتخذوا من تلك الفعلة المجيدة لطالبان قضية لتشويههم والعمل على إسقاطهم. وهو ما حققته أمريكا أواخر 2001م بمشاركة فعالة من حكومة باكستان ودول الخليج وهياكلها الدينية المنافقة.

ولما قامت بعض الأعمال الجهادية المحدودة بعيد حرب العراق الأولى 1991م وإلى سنة 2000م ضد الصليبيين الغزاة ، أصدرت هيئة كبار العلماء أقبح الفتاوى بالحكم على المجاهدين بالإفساد في الأرض وأن عقابهم القتل والقطع والنفي. فدعوا الناس لحربهم وتوعدوهم بعدم دخول الجنة التي صارت ملكا لباباوات المسلمين القابعين في السعودية يوزعون أملاكها على الناس ، ويحددون من يروح ريحها ومن لا يروح ، كما فعل باباوات النصارى في العصور الوسطى!

ولما جاءت أحداث سبتمبر 2001م وتذرعت بها أمريكا وزحفت على أفغانستان وأسقطت الإمارة الشرعية فيها ثم أطلق جورج بوش حملته الصليبية تحت شعار مكافحة الإرهاب. هب الهيكل المنافق من علماء المسلمين وكثيرون من قيادات الصحوة لينضموا إلى تلك الحملة بكل جدارة وإخلاص وتفاني.

ويكفي كي يمتلئ القلب حزنا والنفس كمدا أن تتابع البرامج الدينية وخطب الجمعة عبر الفضائيات اليوم من المسجد الحرام إلى المسجد النبوي إلى المسجد الأزهر إلى كبريات المساجد في عواصم بلاد العرب والمسلمين لتشهد الدور الرائد الذي تؤديه المؤسسة الدينية الرسمية وما تقدمه من خدمات جليلة لأمريكا . حتى أصبح لبرامج مكافحة الإرهاب وصب جام الغضب والتضليل والتهمة بالانتماء للخوارج وعصابات الإجرام والمخدرات ... على كل من تسول له نفسه مقاومة أمريكا في غزوتها الصليبية ومقارعة حكام بلادنا المرتدين الذين يقودون طلائع حملتها. ولا يتسع المكان للشواهد هنا وقد جمعت كثيرا منها مع مسودات بحث كنت أعده قبل سقوط كابل وكان بعنوان (**الفرقان بين علماء الرحمن وعلماء السلطان**) ونماذجهم منذ علماء بني أمية إلى فقهاء البنتاغون اليوم. وأسأل الله أن يعينني على جمعه مرة أخرى وإخراجه.

وألخص الدور الذي لعبه وما يزال يلعبه علماء السلطان والفاسدون من قيادات الصحوة إلى جانب الحملات الصليبية الحديثة في أربعة أهداف أساسية بالإضافة لخامس أشد شرا منها على المدى البعيد وهذه الأهداف هي:

1- الحكم بإسلام الحكام المرتدين الحاكمين لبلاد العرب والمسلمين رغم تشريعهم من دون الله وحكمهم بغير ما أنزل الله وولائهم للأعداء الكفرة وسهرهم على مصالحهم والقتال دفاعا عنهم إلى جانب عساكرهم وتحت قيادتهم ، فضلا عما يرتكبوه من ألوان الكفر والفساد واعتبار كل ذلك فسوقا وظلما لا يعدوا أن يكون كفرا أصغرا لا يخرجهم من ملة المسلمين. وبالتالي الحكم بشرعيتهم كأولياء أمور لهم على الرعية المسلمة كافة حقوق الطاعة والولاء والتعاون.

2- الحكم بمشروعية الإحتلال الصليبي الأمريكي وغيره لبلاد المسلمين بدعوى أن ذلك استنصارا مشروعا بهم تبرره الضرورة. والإفتاء بمشروعية التطبيع مع اليهود. وإسباغ الشرعية على احتلال فلسطين بدعوى أن كل ذلك قد تم بموجب اتفاقيات ومعاهدات سياسية وعسكرية واقتصادية تمت بين الكفار وأولياء الأمور الشرعيين. بما فيهم عرفات وسلطته صاحبة أوسلو ومدريد وخارطة الطريق.

3- تحريم المقاومة للمحتلين الصليبيين واليهود ، بوصفها إرهابا للمستأمنين والمعاهدين، وخروجا على أولياء الأمور الشرعيين. وسحب الشرعية بذلك عن أي شكل من أشكال جهادهم.

4- الحكم على المجاهدين والمقاوميين بأنهم مفسدون في الأرض. وإباحة قتلهم وسجنهم وتعذيبهم ومطاردتهم من قبل أولياء الأمور(المسلمين!)

(الشرعيين!) وأسيادهم (المستأمنين!) و(المعاهدين!) الذين صاروا بكامل عتادهم ومئات آلاف من جنودهم وطائراتهم وقنابلهم الذكية وصواريخهم المدمرة (ذميين!). وتحريم خفر ذمة ولي الأمر الذي أمنهم وجاء بهم من أجل مصلحتنا ونصرتنا!. فكيف يخيفهم الإرهابيون!!

5- أما الخامسة الفاجعة الأخبث من كل هذا والأبعد أثرا في تحطيم جذور الإسلام والمقاومة عند المسلمين؛ فهو ما يقوم به علماء النفاق وفقهاء البنتاغون والقيادات الفاسدة في الصحوة من إفساد عقيدة المسلمين بدعوى (الوسطية) و(الإعتدال) و(الإسلام العصري المنفتح) و(حوار الحضارات) و(الشفافية) و (الحكمة في الدعوة) و... و... وغيرها من الشعارات الزائفة التي يتم عبرها (أمركة الإسلام) اليوم.

وقد تولت الفضائيات التي تنتشر سمومها القاتلة انتشار السرطان في جسد الأمة وكذلك أجهزة الإعلام والنشر الأخرى هذه الدعاوى التي

أصبح الإعراض عليها جريمة تدل على أن صاحبها من الإرهابيون! ويأخذ عليها بالنواصي والأقدام ، وأقل عقوباتها الإعدام.

وهذا البند موضوع يستأهل أن تكتب فيه الكتب الكثيرة لغزارة مادته وكثرة شواهده وليس كتابنا محل ذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتسع الخرق على الراقع. بل تاه المرقعون وسط مئات الخروق التي تغوص الأمة في أنحائها والله المستعان.

وهناك حالة خاصة من بين كل أجهزة السحرة والكهان وعلماء السلطان في كافة أنحاء العالم العربي والإسلامي تستأهل الوقوف معها بشكل منفصل لخصوصيتها وخطرها وهي:

المؤسسة الدينية الرسمية للمملكة العربية السعودية ودورها إلى جانب الحملات الصليبية الثالثة:

يحتاج الحديث عن هذه المؤسسة الخبيثة المتشعبة العريقة ، ودورها الشيطاني في حرب الله ورسوله والمؤمنين إلى مجلدات مستقلة. ويا ليت كان بإمكاني توفير الوثائق والمراجع عن نشأتها وفتاويها ورصيدها في عالم النفاق، لتفرغت إذا لإخراج هذا السفر الهام. وأسال الله أن يقيض لذلك أقلاما للحق من أهل بلاد الحرمين ذاتهم من يقوم بذلك وهم أدرى ولا شك بشعابها فهناك مواضيع عظيمة يجب التحقيق فيها قد قامت بها الحكومة السعودية عبر هذه المؤسسات الدينية الرسمية وأذكر من ذلك بالعناوين لمن أراد البحث والتحقيق ملفات مثل: دور السعودية في (تدمير الجهاد الأفغاني و مطاردة المجاهدين الأفغان العرب) (تدمير الجهاد العربي في البوسنة) (حصار المجاهدين العرب وإخوانهم في الشيشان) ودعم روسيا واعتبار المسألة الشيشانية شأن داخلي روسي – كما صرح مؤخرا ولي العهد السعودي عبد الله بن عبد العزيز أثناء زيارته لموسكو سبتمبر2003م – وكذلك (دورها في اختراق وتوظيف الأقليات الإسلامية في العالم) (دورها في اختراق وتوظيف الجاليات الإسلامية في المهجر) (دورها في إسقاط الإمارة الإسلامية في أفغانستان) (دورها في حرب العراق الأولى والثانية) (دورها في مكافحة التيار الجهادي ضمن حملة مكافحة الإرهاب)

(دورها في دعم الأنظمة العربية التي تعرضت للمواجهة من قبل حركات جهادية مثل ما حصل في سوريا والجزائر) ... والقضايا كثيرة ودور هذه المؤسسة الدينية وتاريخها وإنجازاتها بحث يطول ولكن وللفائدة وعلى سبيل النبذة ألفت النظر إلى نقاط مختصرة:

- بدأ تكون نواة هذه المؤسسة الدينية منذ عهد الملك عبد العزيز الذي استطاع أن يضحك على لحى بعض الطيبين في نجد ويقنعهم بأنه جاء ليجدد دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله. فلما اكتشف (الإخوان) خدعته وواجهوه ، بعد أن نصبه الإنجليز سلطانا على نجد والحجاز، أبادهم في معركة (السبيلة) بتعاون من الإنجليز حيث انقسم الإخوان على أنفسهم ، ووقف بعضهم معه بدعوى أنه ولي الأمر. ومن هناك كانت البداية.
- تولت المؤسسة الدينية التي لم تكن قد تبلورت بعد بالتعاون مع أمراء الأسرة بعد عبد العزيز خلع سعود وتنصيب الملك فيصل ولي أمر جديد. فكان من باكورة أعمال هذا الداهية (مؤسس العلمانية في السعودية) أن قنن لهذه المؤسسة وجعلها رسمية فتأسست مع الوقت (**هيئة كبار العلماء**) وهيئات ومؤسسات أخرى مثل (**الدعوة والإرشاد**) و (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) و(**هيئة القضاء الأعلى**)... إلخ. وتمت هندستها ليقوم مفتي الديار على رأسها وليتكون أول (**فاتيكان**) حقيقي

للمسلمين يرأسه **(بابا)** للمسلمين ، سعى السعوديون بقوة (البترو دولار) وحرمة الحرمين أن يفرضوه على العالم العربي والإسلامي. ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد... وساعد على ذلك الشق الخارجي من المؤسسة الدينية السعودية التي جاء في طليعتها **(رابطة العالم الإسلامي)** و**(الهلال الأحمر السعودي)** و**(الندوة العالمية للشباب الإسلامي)** و**(هيئة الإغاثة العالمية)** وغيرها من المؤسسات الرسمية بالإضافة إلى عشرات المؤسسات الدعوية الخيرية الأهلية غير الحكومية – نظريا – وقد مكنت الميزانيات المليارية و تأثير الحرمين وما أسبغته على ملوك السعودية وعلمائها من شرعية ومرجعية، مكنتها من أهدافها التي رسمت بعناية في لندن وورثتها من بعد واشنطن ونفذتها الرياض بكل حذاقة. ومع الوقت وتوالي الملوك بعد فيصل زاد فساد هذه المؤسسة الدينية ولاسيما بعد وفاة عالمها الذي حاول الإصلاح مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله الذي اكتشف بدايات الكفر والضلال في المؤسسة الحاكمة واصطدم معها برسالته القيمة (تحكيم القوانين) ورسائله مشهورة إلى أمراء آل سعود. ثم عاجلته المنية قبل أن يحقق شيئا. ثم تأصل الإنحراف في عهد خلفه **الشيخ عبد العزيز بن باز**، والركن المتين الآخر **الشيخ ابن عثيمين** الذي شكل مع مفتي الديار الركيزة الأساسية لشرعية آل سعود والجبهة الأمامية

في ترقيع سوآتهم. ثم خلفهم الأسوأ من ذلك بعد أن أفضيا إلى ما قدما، واستلم راية الكهانة في بلاد الحرمين الشيخ **عبد العزيز آل الشيخ** سنة 2000م. وبقية الأعوان من (آلات) الشيخ و(ماكينات) الملوك!

وقد ساعد على نجاح هذه المؤسسة عوامل عدة كان في طليعتها:

1. استغلال المرجعية الدينية للحرمين ووجودهما تحت حكم آل سعود.
2. الميزانية المالية الهائلة التي صرفت لعمل ونشاطات هذه المؤسسات.
3. الميزانية الهائلة التي صرفت على الدعاية لهذه المؤسسات ورجالاتها وعلمائها وإنجازاتها حتى زرعت في عقول المسلمين وواقعهم في كل العالم العربي والإسلامي.
4. وجود كم هائل من الدعاة المخلصين والعاملين للدعوة والإسلام بكل تفاني خدموا في هذه المؤسسات من باب إيصال الخير لأهله والتعاون على البر والتقوى غير واعين للنتيجة النهائية ومن سيحصد ثمرة الجهود من آل سعود ثم الصليبيين واليهود.

5. استغلال الهوية السلفية والمذهب الوهابي على صاحبه رحمه الله والذي انتشر وصار له قواعد وقبول في أوساط الصحوة ولا سيما الجهادية منها في العالم العربي والاسلامي وما مارسته هذه المؤسسات من طباعة الكتب وتوزيع النشرات التي تحمل العقيدة السلفية وغيرها من العلوم وما فيها من الخير. وما لقيه هذا العمل من القبول في العالم الإسلامي. إلى أن وجدت الحكومة السعودية نفسها مؤخرا متورطة في حمل عبئ رسالة الدعوة الوهابية التي شكلت أساسا في قاعدة فكر أكثر جماعات التيار الجهادي المعاصر مما أوقعها هذه الأيام في أزمة حقيقية مع أمريكا فقررت بإكراه منها محاربة هذه الهوية فجأة بعد أحداث سبتمبر عندما اكتشف الأمريكان مصيبتهم في عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين والتي ركزت الدعوة الوهابية عليها جدا.

- المشكلة الحقيقية التي سببتها هذه المؤسسة السعودية للأمة الإسلامية والعربية عموما هو أن كافة مؤسسات وشخصيات علماء السلطان في عموم بلاد العرب والمسلمين يقتصر دورها المخرب ونفاقها على الإطار المحلي ويتسع جزئيا بما يتناسب مع حجم دولتها وقوة حكومتها ودورها الإقليمي، إلا المؤسسة السعودية. فإنه وللأسباب آنفة الذكر يتعدى ضررها ليشمل

كافة العالم الإسلامي حيث صار لها مرجعية مقبولة في كل البلاد. وذلك بسبب التداخل المربك الذي حصل بينها وبين الصحوة الإسلامية المباركة التي نشطت في السعودية وصار لها علماؤها ودعاتها خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين (1400–1420 هجرية) وكانت المشكلة أن تلك الصحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدينية الرسمية وتخرجت على علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدينية تلك وعلى رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورا مشينا إلى جانب الحملات الغازية والحكومات العميلة القائمة في السعودية وغيرها. حتى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المجاهدين والدعاة في السعودية ذاتها ، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة.

- لقد تعمقت أزمة المسلمين مع هذه المؤسسة عندما التبس أمرها وأمر علمائها وفتاويها المناصرة للاستعمار وعملائه ، المحاربة للجهاد والمجاهدين وكل من فكر في المقاومة. بسبب أن التيار الجهادي المعاصر كما أسلفت قد استند في كثير من أساسيات فكره ومعتقداته ولاسيما في اعتماد فقه الدليل

وأصول الولاء والبراء وكثير من أساسيات العقيدة إلى نفس المدرسة الفكرية العقدية (السلفية) التي تتاجر بها المؤسسة الدينية السعودية. ويتبناها كثير من الدعاة الطيبين الذين تداخل نشاطهم معها. مما جعل شرائح كبيرة من رواد الفكر الجهادي داخل المملكة وخارجها يكنون الكثير من الاحترام والتبجيل لهذه المراجع. فكان أثر ذلك بالغ السوء على أوساط الجهاد. وتعرض المدركون لواقع حال هذه المؤسسة إلى صدامات وجدل عنيف داخل أوساط الجهاديين وإلى الكثير من العنت وهم يحاولون كشف زيف هذه المؤسسة. وهكذا حاربت هذه المؤسسة الجهاد والمجاهدين داخل المملكة وخارجها وكان لها أثرا سيئا على الجهاد في عدد من البلاد العربية والإسلامية ودورا في حصار الإمارة الإسلامية وإسقاط طالبان، وفي الحملة على الجهاد والمجاهدين الدائرة بقيادة أمريكا تحت شعار الحرب العالمية في مكافحة الإرهاب. وتقف اليوم بالمرصاد لأعمال الجهاد والمقاومة ضد الأمريكان في السعودية. ولاسيما بعد الهجمات المظفرة التي قامت في شهر مايو (2003م) عندما نسف استشهاديون سعوديون المساكن الفاخرة لأسر العسكريين الأمريكان والعاملين في استخباراتهم في الرياض.

- ويكفـي اسـتطلاع بسـيط لوسـائل الإعـلام السـعودية مـن صـحف ومجـلات وإذاعـة وتلفزيـون لـترى سـيل الفتـاوى والمقابلات مع عشرات العلماء من المؤسسة الرسمية وغير الرسمية وقـد اصـطف كلهـم ليكيلـوا الشـتائم والـتهم الباطلـة للشـباب المجاهـد مسـتغلين بعـض أخطـائهم ، ويكيلـوا المـديح وعبـارات الـولاء للنظـام الإسـلامي الأوحـد في الـدنيا الـذي يقـوم علـى الشـريعة الإسـلامية كمـا يزعمـون! وليملـؤوا الـدنيا ضـجيجا بحقوق الكفار والمعاهدين ويلبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون..
- وقـد أثارت المواقـف المخزيـة للمؤسسـة الدينيـة الرسميـة في السـعودية حفيظـة المجاهـدين والعلمـاء المخلصـين والشـرفاء مـن أبناء الجزيرة وصرحوا بذلك في كثير من الأدبيات والبيانات.
- **قـد جمعت بعض ذلك مما أصدره الشيخ أسامة بن لادن حول هذه المؤسسة الدينية وكذلك بعض ما أصدره أحد أبرز المعارضين السياسيين للنظام السعودي وهو الدكتور سعد الفقيه في كتاب بعنوان (شهادة قادة المجاهدين ورؤوس الإصلاح والمعارضة في بلاد الحرمين على علماء السلطان في بلادهم المسماة "سعودية")**
- والـرجلان مـن الثـقـاة بصـرف النظـر عـن رأينـا في طريقتهمـا المتبـاينتين في مواجهـة النظـام السـعودي ومؤسسـاته الدينيـة

وغيرها. وأقتطف من كتابي المذكور شواهد قصيرة من بعض ما قالوه:

جاء في البيان رقم (11) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أسامة بن لادن) تاريخ 1415/7/27هـ – 1994/12/29م وهي بعنوان:

رسالة مفتوحة إلى الشيخ ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود..

[فضيلة الشيخ : لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدين ، وتجاه الأمة ، وتنبيهكم إلى مسؤولياتكم العظيمة ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .. أردنا تذكيركم في هذا الوقت الذي انتفش فيه الباطل ، وعربد المبطلون المضلون ، ووئد الحق ، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون ، والأغرب أن ذلك لم يتم بعلم منكم وسكوت فقط ، بل مرر على ظهر فتاواكم ومواقفكم ، ونحن سنذكركم – فضيلة الشيخ – ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالا ، مع أنها قد تهوي بها الأمة سبعين خريفا في الضلال كي تدركوا معنا ولو جانبا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.

وإليكم بعض الأمثلة:

1-إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة حيث فشت المنكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد ، كما فصلت ذلك مذكرة

النصيحة التي تقدم بها نخبة من العلماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح الحرمات والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي في البلاد ، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين وتعج بها البلاد طولها وعرضها. ومما هو معلوم بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشروعة من قبل النظام الحاكم ومصدق عليها منه ، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز !! ، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس ، بعدم التفرق بين حكم من يتعاطى الربا فقط وحكم من يشرع الربا ويقننه.

مع أن الفرق بينهما واضح كبير ، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات ، أما مشرع الربا ومقننه فهو مرتد كافر كفرا مخرجا من الملة بعمله هذا ، لأنه جعل من نفسه ندا لله وشريكا له في التحليل والتحريم – وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريبا إن شاء الله-.

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ البقرة (279) ، فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف

بالإدمان على تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه ، وقد قال ﷺ: ((**الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**)) صحيح رواه الحاكم.

وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ((**فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع وإلا ضرب عنقه**)) اهـ (رواه بن جرير بسنده عن ابن عباس)، هذا فيمن يتعاطى الربا فما بالكم بمن يحلل وشرع الربا؟!!.

إن ما تتخبط فيه البلاد من أزمات اقتصادية وسياسية وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله وجزء من الحرب التي أعلنها سبحانه على من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المنكرات والمحق الذي حكم به على الربا ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾ (البقرة 276).

2- وحينما علق الملك الصليب على صدره ، وظهر به أمام العالم فرحا مسرورا ، تأولتم فعله وسوغتموه مع شناعة وفظاعته رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

3- ولما قررت قوات التحالف الصليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج - بتواطؤ مع النظام – احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع

الـذي أهـان عـزة الأمـة ولطـخ كرامتهـا ، ودنـس مقدسـاتها، معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضرورة ، مهملة قيود هذه الاستعانة ، وضوابط الضرورة المعتبرة شرعا.

4- ولما قام النظام السعودي الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الردة الاشتراكية الشيوعية في اليمن ضد الشعب اليمني المسلم في الحرب الأخيرة التزمتم الصمت ، ثم لما دارت الدائرة على هؤلاء الشيوعيين ، أصدرتم – بإيعاز من هذا النظام – (نصيحة !!) تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين !! موهمة الناس أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دمائهم ، فمتى كان الشيوعيون مسلمين ؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان؟ أم أن هناك فرقا بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟

وما زال النظام الحاكم يؤوي أئمة الكفر هؤلاء في مختلف مدن البلاد ، ولم نسمع لكم نكيرا ، وقد قال ﷺ: ((**لعن الله من آوى محدثا**)) (رواه مسلم) .

5- وحينما قرر النظام البطش بالشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي – اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى استصدر منكم فتوى سوغ بها كل ما تعرض ويتعرض له الشيخان ومن

معهما من دعاة ومشائخ وشباب الأمة من البطش والتنكيل ، فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظالمين.

هذه بعض الأمثلة التي لم نقصد منها الحصر ، ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانا بالسلام مع اليهود ، التي كانت فاجعة للمسلمين ، حيث استجبتم للرغبة السياسية للنظام لما قرر إظهار ما كان يضمره من قبل من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليهود ، فأصدرتم فتوى تبيح السلام مطلقا ومقيدا مع العدو ، فما كان من رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها ، كما أعلن النظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع العدو.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين القوات الاحتلال اليهودية والصليبية ، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضافتكم الصبغة الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب واليهود.

إن هذا الكلام خطير كبير ، وطامة عامة لما فيه من التلبيس على الأمة (...)

وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأمة ، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدة في هذا الصدد منها مناشداتهم إياكم قبل مدة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السلام، الاستسلامي المزعوم مع

اليهـود، مبينـين عـدم استيفائه للشـروط اللازمـة شـرعا، محـذرين مـن المخاطر الجمة الدينية والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين على تلك المناشدة الشيوخ الأفاضل: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، عبد الله بن حسن القعود ، حمود بن عبد الله التويجري – رحمه الله – حمود بن عبد الله الشعبي ، عبد الرحمن بن ناصر البراك ، سلمان العودة ، إبراهيم بن صالح الخضري ، عبد الوهاب الناصر الطريري ، إبراهيم بن مُحَمَّد الدبيان ، عبد الله بن حمود التوجري ، عبد الله الجلالي ، عائض القـرني ، وغـيرهم كثـير – حفظهـم الله جميعـا – وسـتجدون نـص مناشدتهم مع هذه الرسالة إن شاء الله.

وفي حرب اليمن الأخيرة ، لما صدر الكلام المشار إليه سابقا ، أصدر خمسة وعشرون عالما فتوى معارضة له مبينة الصواب الشرعي في المسألة ، ومن هـؤلاء العلمـاء الأفاضـل : عبـد الله سـليمان المسعري، حمود بن عبد الله الشعبي ، عبد الله الجلالي ، سلمان العودة ، د.سفر الحوالي ، د.ناصر العمر ، يحيى بن عبد العزيز اليحيى، د.عبد الله بن حمود التويجري، وغيرهم كثير – حفظهم الله جميعا –.

وفي البيان رقم (12) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أسامة بن لادن) بتاريخ 1415/8/28هـ. 1995/1/29م، وهي بعنوان:

الرسالة الثانية إلى الشيخ عبد العزيز بن باز.

جاء فيها ما نقتطف منه ما يلي:

[غير أن الجميع فوجئ لا لأنكم أكدتم فتواكم السابقة بما نشرته الجريدة المدعوة ((المسلمون)) بتاريخ 19 شعبان 1415هـ.الموفق 20 يناير 1995م في عددها ((520)) فقط ، بل لما تضمنه هذا التأكيد أيضا من إضافات وتفسيرات لمفهومكم لما يسمى بالسلام مع اليهود ، حيث تضمنت تلك التفسيرات أمورا لم يكن اليهود وعملاؤهم يحلمون بصدورها منكم لما أشادوا بالفتوى السابقة وصفقوا لها (...).

إن الأمة عموما وأهالي فلسطين خصوصا كانوا ينتظرون منكم القيام بواجبكم الشرعي تحريضا على الجهاد واستنهاضاً للهمم له وحثاً للناس عليه و تأييداً ودعما للناهضين بأعبائه من الأفراد والجماعات.

وما كانوا يتوقعون منكم مثل هذه الفتوى التي تؤثم المجاهدين لتحرير الأقصى وفلسطين ، نعم تؤثمهم ، لأنهم بعملياتهم الجهادية ضد اليهود يخرقون اتفاق غزة أريحا الذي وقعه ((ولي أمر المسلمين في فلسطين)) كما زعمتم ، وخرق اتفاق وقعه ولي أمر المسلمين لا يجوز!!

وبهذه الفتوى تثبطون وتصيبون بالإحباط أولئك الذين قدموا الآباء والأبناء والأخوان والأزواج شهداء في سبيل الله لتحرير القدس وفلسطين ، لأنهم بمقتضى هذه الفتوى يكونون ماتوا على معصية لأنهم خرقوا اتفاقا عقده ((ولي أمر المسلمين في فلسطين)) هذا معنى كلامكم ومقتضى فتواكم ، فهل تعون ما تقولون ؟!أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟!.(...)

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

خامسا: إن ما يبعث على الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم ، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى ، أهم ما يميزه:

1- أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حكام السوء في أهوائهم السياسية ، ومواقفهم على تصرفاتهم.

2- وفي سبيل ذلك يتعسف الأدلة ويلوي أعناق النصوص لتستجيب لتلك الرغبات.

3- وإذا لم تسعف النصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكام لمرادهم.

4- أنه قائم على الجهل بالواقع الذي هو مناط الحكم ولا تجوز

الفتوى على جهل به (1).

5- ولأنه مبني على رغبات الحكام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.

6- وقد أوردنا في رسالتنا السابقة من الأمثلة ما يشهد بصدق هذا الكلام.

ولا يخفى ما في هذا المنهج من البطلان الظاهر والفساد الجلي لأنه قائم على التشهي والمحاباة في إصدار الفتاوى. اهـ.

كما جاء في منشورات الحركة الإسلامية للإصلاح التي يرأسها الدكتور سعد الفقيه في لندن:

النشرة " 24" بعنوان " الشيخ بن عثيمين أجوبة تثير أسئلة " بتاريخ 12 ربيع الثاني 1417هـ 1996/8/26م صدرت هذه النشرة بعد نشر جريدة " المسلمون " لمقابلة مع الشيخ مُحَّمد بن عثيمين، وهي بعنوان: (الشيخ ابن عثيمين... أجوبة تثير أسئلة).

مقتطفات من بعض فتاوى ابن عثيمين السياسية الشرعية ومن ذلك:

قال الشيخ في معرض رده على سؤال حول طاعة ولي الأمر :

((وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شك أنه من الخطأ. المصلحة التي تحصل غير مرجوة في هذا الطريق،

المصلحة التي يريدها هذا لا يمكن أن تحصل بهذا الطريق. بل يحصل بذلك مفاسد عظيمة لأنه مثلاً إذا قام طائفة من الناس على ولي الأمر في البلاد وعند ولي الأمر من القوة والسلطة ما ليس عند أحد ما الذي يكون ؟ هل تغلب هذه الفئة القليلة ؟ لا تغلب بل بالعكس يحدث الفوضى والفساد. ولا تستقيم الأمور ، والإنسان يجب أن ينظر أولاً بعين الشرع ، ولا ينظر أيضاً إلى الشرع بعين عوراء ينظر إلى النصوص من جهة دون الجهة الأخرى، بل يجب أن يجمع بين النصوص)).

وأما في السؤال الآخر حول البيعة فقد قال الشيخ: ((لا شك أن هذا[1] خاطئ وإذا مات فإنه يموت ميتة جاهلية لأنه سيموت وليس في رقبته بيعة لأحد . والقواعد العامة في الشريعة الإسلامية أن الله يقول ﴿ **اتقوا الله ما استطعتم** ﴾ فإذا لم يوجد خليفة للمسلمين عموماً فمن كان ولي أمر في منطقة فهو ولي أمرها. وإلا لو قلنا بهذا الرأي الضال لكان الناس الآن ليس لهم خليفة ولكان كل الناس يموتون ميتة جاهلية ، ومن يقول بهذا ؟ الأمة الإسلامية تفرقت من عهد الصحابة تعلمون أن عبد الله بن الزبير في مكة ، وبني أمية في الشام ، وكذلك في اليمن أناس وفي مصر أناس ، وما زال المسلمون يعتقدون أن البيعة لمن له السلطة في المكان الذي هم فيه ويبايعونه ويدعونه

---

[1] يقصد المواطن المسلم الذي ليس عنده بيعة لولي أمر بلاده.

بأمير المؤمنين ولا أحد ينكر ذلك فهذا شاق لعصا المسلمين من جهة عدم التزامه بالبيعة ومن جهة أنه خالف إجماع المسلمين من عهد قديم)) .

وفي معرض جوابه عن قضية البيعة قال الشيخ : ((ثم إنه إذا بويع الإنسان بالإمرة على بلد من البلاد ثم جعل له ولي عهد فهو ولي عهده من بعده. إذا انتهت ولاية الأول صار الثاني ولي أمر بدون مبايعة ولا يصلح الناس إلا هذا ، لو قلنا أن ولي العهد ليست له ولاية عهد حتى يبايع من جديد صارت فوضى. لكن مثل هذه الآراء يلقيها الشيطان في قلوب بعض الناس من أجل أن تفترق جماعة المسلمين ويحصل التحريش الذي بينه الرسول عليه الصلاة والسلام إذ قال: إن الشيطان قد آيس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم)).

ا هـ.

وقد علق الفقيه على فتاوى ابن عثيمين تعليقا لاذعا ساخرا يناسب ما حوته من الدجل والأباطيل التي يصل إلى حد التناقض مع صريح القرآن وصحيح السنة وإجماع علماء الأمة في كل تاريخها.

وفي النشرة (28) بتاريخ 11/جمادى الأولى 1417هـ 23/سبتمبر 1996م، صدرت هذه النشرة بعد أن نشر تعليق للشيخ ابن باز حول بيان ابن لادن والدعوة لمحاربة الأمريكان، وهي بعنوان: (ابن باز بين مُحَّمد بن عبد الوهاب وابن تيمية).

قال سعد الفقيه:

لكن آلمنا أي إيلام هذه التزكية العظيمة التي أعطاها الشيخ للدولة السعودية الحالية بقيادة خادم الحرمين ، قال الشيخ: ((**وهذه الدولة السعودية دولة مباركة نصر الله بها الحق ونصر بها الدين وجمع بها الكلمة وقضى بها على أسباب الفساد، وأمن بها البلاد ، فحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله**)).

وهذا القول من الشيخ خطير جدا لأن الشيخ يعلم تمام العلم أن هذا الذي قاله هو عكس الواقع بالضبط، والذين يرددون بأن الشيخ يدلس عليه مخطئون لأننا نعلم يقينا ، ونحن شهود على ذلك في الدنيا والآخرة ، أن هذا الأمر غير صحيح ، وأن الشيخ على اطلاع كامل وتفصيلي على ما يجري في البلد ويعلم كل تفاصيل المخالفات الشرعية التي يرتكبها النظام على مستوى الدولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين، بل إن الشيخ كما يعرف القريبون منه أعلم بكثير ممن يدعون أنهم على علم بما يجري ، لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون من عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح للشيخ نفسه ، ولقد شهدنا شخصيا جلسات كثيرة بسط فيها الواقع للشيخ بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة ، بل إننا نستطيع أن نقول إن الحجة قد أقيمت على الشيخ وأن الذمة قد برئت معه من قبل عدد كبير من

المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين ، وأن إقامة الحجة في بيان الواقع على التفصيل للشيخ قد حصلت مرارا وتكرارا من قبل أناس يثق الشيخ و يأخذ بحديثهم.والذي يشك في ذلك ليس عليه إلى قراءة مذكرة النصيحة التي قدمت للشيخ وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العلماء والشيخ هو رئيس تلك الجهتين. ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة على من قرأها. والذين يحاولون الدفاع عن الشيخ من خلال تصويره كرجل ساذج جالس في سرداب لا يتعرف إلا على ما يطلعه النظام عليه مخطئون ، فالشيخ على اتصال بالعالم كله داخلياً وخارجياً ، وعلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبره عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم.

ولذلك فإن الشيخ يرتكب خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين يزكي الدولة هذه التزكية وهو يعلم حالها ، ويعلم كذلك من خلال اطلاعه الشرعي خطورة مثل هذا العمل ، فالشيخ ليس غريباً عن مؤلفات وأقوال علماء الدعوة وخاصة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب. الشيخ مثلاً يعلم يقيناً أن النظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة.

فماذا يقول الشيخ إذا بقول مُحَّد بن عبد الوهاب عن أولئك الذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله ؟

قال رحمه الله: ((**إن هؤلاء الطواغيت الذي يعتقد الناس فيهم**

وجوب الطاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، كيف لا وهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم . ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفرهم ، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً لا ينقلهم إلى الكفر ، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق ، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم))[71]

فإذا كان مجرد عدم التكفير جريمة كبرى عند الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب ، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإسلام ويزكي دولتهم ونظامهم ويحمل على من أنكر عليهم).(...)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾

(البقرة:159) .

وهذا في مجرد كاتم العلم فقط. فكيف بمن يذهب إلى أبعد من مجرد كتمان العلم إلى تزكية الطاغوت وتزكية الذي يوالي أعداء الله وتزكية الظالم المحارب للإسلام والدعوة ، والناشر للربا والفساد؟.

ونحن يسرنا أن يتوب الشيخ من هذا الأمر ويقلع عن مثل هذه التزكيات الخطيرة التي تدخله في كلام الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب

---

[71] (الرسائل الشخصية ، 188).

ويسرنا أن يتحول الشيخ من مدافع عن النظام إلى مدافع عن الحق والدين وكاشف لجرائم النظام ضد الإسلام ، ولكن هذا ليس هو الأهم ، إن الأهم هو أن يتذكر المسلمون أنهم لا يأخذون الدين إلا ممن يوافق كلامه الكتاب والسنة وينزل علم الشرع بأمانة وإخلاص على الوقع حتى يكون موقعا عن الله في ركب العلماء المصلحين. والمسلم ليس متعبداً بكلام ابن باز ولا ابن عثيمين بل هو متعبد بقول الله وقول رسوله ﷺ، ومن فضل الله علينا أنه ليس في الإسلام كهنوت ولا فاتيكان يحتكر تفسير القرآن وفهم السنة ، بل إن الحق الذي في الكتاب والسنة هو الحكم على الرجال وليس الرجال حكم على الكتاب والسنة ، إن مشكلة الشيخ ابن باز ليست مجرد تزكية النظام بل لقد اضطر الشيخ أن يتناقض أكثر من مرة في فتاويه بسبب مداراة النظام ، ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى الشيخ في تحريم الاستعانة بغير المسلمين التي وجهت لجمال عبد الناصر ، والتي قال فيها الشيخ أن الاستعانة لا تجوز حتى عند الضرورة[1]، وكان ذلك هو هوى النظام في تلك الفترة ، ومرت السنين وانقلبت الصورة فاحتاج آل سعود لقلب الفتوى فانقلب معهم الشيخ ولم يكتف بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرها واجبة وآثم من لم يعملها ، تناقض آخر وقع فيه الشيخ عندما أصدر بيانا ينصح فيه حكمتيار بالانضمام إلى

---

[1] أفتى الشيخ بمثل هذا التحريم للمجاهدين في سوريا ضد حافظ الأسد عندما حرم الاستعانة بالأحزاب المرتدة وبالنظام العراقي في ذلك الجهاد، وكان نص فتواه ((تحريم الاستعانة مطلقا))، راجع كتاب ((الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا)) للمؤلف (264/1).

(ولي الأمر) رباني مع أن حكمتيار له جيشه وله أرضه التي يسيطر عليها ، وميزة رباني أن هوى الدولة معه ، وعندما حصلت حرب اليمن كان الانفصاليون الشيوعيون في حكم الخوارج على الحاكم حسب نظرية الشيخ ، ومع ذلك فقد أصدر الشيخ بيانا يدعو فيه إلى حقن الدماء والصلح بين الفريقين ولم يدع إلى الانضمام إلى ولي الأمر، لأن هوى النظام كان مع الشيوعيين ، هذا فضلا عن قائمة الفتاوى الصادرة من الشيخ تبعا لرغبة النظام وأولها فتوى استدعاء القوات التي اعتبرها الشيخ واجبة وليست مجرد جائزة ، ثم بيان هيئة كبار العلماء ، ضد خطاب المطالب وبيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضد لجنة الدفاع ، وبيان الهيئة في الأمر بتوقيف الشيخين سلمان وسفر من أجل ((حماية المجتمع من أخطائهما)) والفتاوى الأخيرة التي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدم واعتبار قتلهم من أعظم أنواع الفساد في الأرض.

ترى هل قرأ الشيخ كلام شيخ الإسلام بن تيمية فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السلطان.

قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى:

(ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله ، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة) .[72]

نسأل الله أن يبصر المسلمين جميعا بدينهم ويرزقهم الفرقان الذي يفرقون به بين علماء الرحمن وعلماء السلطان...)).اهـ.

وفي النشرة (31) بتاريخ 2 جمادى الآخرة 1417هـ، الموافق 10/14/ 1996م، وهي بعنوان:

(جريمة كبرى في سجون آل سعود) أورد الفقيه معلومات خطيرة عن التعذيب في السعودية وحمل العلماء الرسميين المسؤولية في ذلك فقال:

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم ، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء على نفسياتهم العالية.

---

[72] الفتاوى ج35 ص372-373 .

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السجون أن الذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهادي يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله ، حيث يطلب من كل من له علاقة بذلك التيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكام والمجتمع والعلماء ، وإذا لم يوافق عذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، فإن أصر على الرفض ، يهدد بالاعتداء الجنسي فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة و لربما تم تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة التي تحصل في قلب جزيرة العرب وعلى يد زبانية (دولة التوحيد) إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الذي اقترحه مستشارو وزارة الداخلية القادمون من شمال إفريقيا[1] ، والذين نجحوا في إقناع وزير الداخلية بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع ، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشباب والقضاء على معنوياتهم ونفسياتهم. نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم ، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فردية شاذة ونادرة دون علم، رؤسائهم ، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه

[1] كان من أبرز مستشاري وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز فريق من خبراء الأمن المصري يرأسهم وزير الداخلية المصري الأسبق زكي بدر الذي عرف بفجوره وبذاءته وسقوطه فضلاً عن كفره.

الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخلية شخصيا.

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء أخوته من المتنفذين ، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة ، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف ، ويستحق ما يترتب على ذلك في الحاضر والمستقبل ، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الخارجية ، وإذا كان نايف لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة كما فعل في حياته الشخصية ، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة على إخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتهم به نايف.

بل إن المسؤولية تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشرعية صفات التوحيد ، ويمعنون في تزكية هذا النظام وحرصه على الدين والدعوة وخدمة الإسلام وأنه قد حقق على يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله) فهؤلاء لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المنكر الصريح والمعلن ، والذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان، بل إنهم في الحقيقة ، ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة – شريكون في الجريمة ، نعم شركاء فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان التي يتكئ عليها النظام في استقراره، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج التي يحتج بها النظام في ممارساته،

بل إن جريمتهم أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب على الله ورسوله والحيدة عن الحق الذي استأمنهم الله عليه. والمصيبة أنهم يعلمون كل ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السلف من أمثال الإمام مالك والإمام أحمد بن تيمية وغيرهم ، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله ، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الذي يدافع عن الظالم ويزكيه أعظم من جرم وإثم ومآل الظالم نفسه ، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض السذج على الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظلم والفسوق والعصيان ، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول على مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت ، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النظام نفسه ، وإذا كان الناس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الذين لا يعملون بعلمهم ﴿كالحمار يحمل أسفارا ﴾.بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإسلام لم يقصروا في حفظ النصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

إننا نقولها مرة أخرى ، أن العلماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة ، ونشهد أمام الله ثم أمام الناس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشرع وعلما بالواقع). ا هـ.

وفي **النشرة (33) بتاريخ 16جمادي 1417/2هـ – 28 أكتوبر 1996م،** **بعنوان: (من هم علماء الإسلام؟)** قال الفقيه:

التمييز بين علماء رسميين وغير رسميين لم يكن واضحا قبل أن تدخل الصحوة في مواجهة مع النظام والتي بدأت بشكل واضح منذ أزمة الخليج الثانية ، وتصاعدت بعد ذلك في الخطوات الإصلاحية التي تلت أحداث تلك الأزمة ، ثم بلغت ذروتها في الحملة الشرسة ضد العلماء والدعاة ، التي شنها النظام قبل سنتين ومازالت قائمة إلى الآن.

ليس المقام هنا مقام تصنيف العلماء ، ولكنه استجماع للصورة التي تكونت إثر تلك المحنة والتجربة القاسية ، ومن ثم مراجعة المواقف والنظرات تجاه العلماء الرسميين ، وخاصة أولئك الذين كانوا يصنفون إلى عهد قريب ، وكأنهم جزء من كيان الصحوة والحركة الإصلاحية.

لا يجادل أحد بأن آل سعود يعتمدون بشكل كبير على مؤسسة دينية ضخمة تؤمن لهم (الشرعية) ويجمع كل آل سعود – حتى الملحدين منهم – على ضرورة هذه المؤسسة ، لتأمين انقياد الشعب ، الذي يشكل الدين جزءا رئيسيا من تركيبته النفسية والثقافية ، وأهم مكونات هذه المؤسسة الدينية ، هي هيئة كبار العلماء، والقضاة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورغم ضخامة هذه المؤسسة

من حيث العدد ، لكن قيمتها المعنوية مرتبطة بعدد قليل جدا من العلماء ، منحوها ثقلها في الوقت الحاضر وحولها إلى قوة فاعلة ، ولولا الارتباط برمز أو رمزين من أولئك العلماء لتهاوت كل تلك المؤسسة وتهاوى ثقلها تماما ، وسبب ذلك أن الذين يشكلون هذه المؤسسة ، سواء كانوا أعضاء في هيئة كبار العلماء أو قضاة أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ن هؤلاء نوعين ، الأول مغمور غير معروف وليس له تاريخ علمي أو دعوي يجعل منه صاحب ثقل ينتفع به النظام ، والثاني مشهور ومعروف لكنه مفضوح في خيانته للدين ومتفق على أنه يأكل بدينه ويبيع الفتاوى ويتاجر بعلمه الشرعي، ويبقى سوى أولئك شخص أو شخصان من المعروفين المشهورين بسعة معرفتهم بالعلوم الشرعية ونشاطهم العلمي و التدريسي ، وفي نفس الوقت صلاحهم على المستوى المالي والسلوكي ، ونجاتهم من مشكلة المتاجرة (ماليا) بالفتاوى والمرافق الدينية.

قبل أن تبدأ مواجهة الصحوة مع النظام ، وقبل أن يدخل العلماء في اختبار (تغيير المنكر) كان قد سطع نجم هؤلاء للسببين المذكورين سابقا، ولسبب آخر هو غياب المواجهة بين الإسلام والنظام مما جعل المقياس محدودا على الصلاح الشخصي والأمانة المالية ودرجة الزهد والتنسك ، أما اختبار العلماء على قدر مواجهتهم للظلم وصدعهم

بالحق وإنكارهم للمنكر ، فلم يكن ذلك الميدان قد فتح بعد ، ولذا فاز نفر قليل من العلماء الرسميين بالقبول لدى الناس ، وكسبوا مصداقية كبيرة.

جاءت أزمة الخليج وكان الاختبار الأول فانكشف العلماء الرسميون لأول وهلة ولم يقل واحد منهم كلمة الحق ، بل لقد تجاوز بعضهم الفتوى بجواز الاستعانة بالكفار إلى جعلها واجبة ومن ثم آثم من لم يقم بها. وحين تحرك الدعاة والعلماء ينتقدون الأوضاع الخاطئة سعياً لتغيير المنكر بلسانهم وقياماً بواجب البلاغ والصدع بالحق الذي تخلف عنه أولئك الرسميون ، حدث تطور آخر.

حيث تشكل بأمر ملكي لجنة خماسية يرأسها الشيخ بن باز مهمة هذه اللجنة تأديب أولئك الدعاة وفصلهم عن الخطابة ومنعهم من تأدية الواجب الشرعي، وتقوم هذه اللجنة بدراسة القوائم التي تقدمها لها وزارة الداخلية والتقارير التي يعدها جهاز المباحث ، ثم تقرر من خلال ذلك أن فلاناً يجب إيقافه عن الخطابة أو التدريس ، وفلاناً يجب فصله تماماً وفلاناً يجب تنبيهه. وإذا قدمت القوائم لهذه اللجنة فقلما ينجو منها أحد فالجميع يوقف أو يفصل ، وعلى يد هذه اللجنة فصل عشرات بل وربما مئات من الخطباء والدعاة. وفي حين كانت فتوى الهيئة بإضفاء الشرعية على احتلال الكفار لجزيرة العرب دعماً شرعياً دون حدود للنظام ، فقد كان تشكيل اللجنة الخماسية

المرة الأولى التي ينكشف فيها كون هذه المؤسسة جزء من النظام. لقد ظن الكثير من الدعاة والمصلحين أن هذا التطور دخيل على أعضاء هذه المؤسسة والحقيقة هي غير ذلك ، فلم يكن هناك تغير في سياسة وتفكير أولئك العلماء وكل الذي حصل أنهم أصبحوا في الواجهة مع النظام فانكشف الدور بعد أن كان لا مواجهة.

بعد ذلك أخذت مواجهة الدعوة من قبل هذه المؤسسة الدينية شكلاً سياسياً مفضوحاً حين أصدرت هيئة كبار العلماء بياناً ضد خطاب المطالب ، وتحولت إلى مدافع عن النظام ضد الدعاة والمصلحين ، وكذلك ضد الشعب كله الذي دعم هذه المطالب . ولم يكن بيان الهيئة ضد خطاب المطالب زلة أو هفوة بل كان عملاً مؤسساً مقصوداً ، وثبت ذلك حين تكرر ذلك الموقف في بيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة ، ذلك البيان الذي احتوى من العبارات ما لا يقبلها حتى المسلم العامي ، لأنه تهجم على النيات والمقاصد واتهم معدي المذكرة بسوء النية وقصد التخريب ، ثم عادت الهيئة وكررت العملية في بيانها ضد لجنة الدفاع ، توطئة للحملة الأمنية التي شنت ضد اللجنة بعد ذلك جاءت مرحلة المواجهة الحقيقية والشاملة مع الدعوة والمصلحين وعلماء الحق ، حيث سخرت الهيئة مظلتها وخاصة الشيخ عبد العزيز بن باز لاعتقال الشيخين سلمان وسفر، في خطاب

طويل ، استخدمه النظام علناً في تبرير اعتقال الشيخين وشن الحملة الضخمة على المصلحين والدعاة.

ومنذ أن اعتقل الصفوة من العلماء وازدادت حملة القمع والاعتقال وأعلنت الحرب المكشوفة على الدعوة والهيئة لا تزال في ولائها المطلق وطاعتها التامة للنظام ، وتكرر الموقف تلو الموقف في التفاني في تزكية النظام والدفاع عنه واتهام كل من يسعى لإنكار المنكر بإثارة الفتنة والبلبلة ، بل وأبعد من ذلك التبرع بمجموعة من الفتاوى في وصف أعمال أخرى بالفساد في الأرض وضرورة تطبيق حد الحرابة على فاعليها.

إن إدراك هذه القضية وتصورها على الوجه الصحيح ضروري جداً لسلامة مسيرة الصحوة ، وهناك فرق كبير بين أن يعتبر هؤلاء العلماء جزء من كيان الصحوة ودعاة الإصلاح وعلماء الدعوة، أو أن يعتبروا جزءاً من النظام بل ركناً من أركانه وأكثر أهمية له من جهاز المباحث وجهاز الإعلام.

إن مهمة العالم في الإسلام ليست مجرد صلاحه الشخصي ونزاهته المالية ، بل إن مهمته هي التوقيع عن الله، وحمل أمانة العلم، ووراثة النبوة، والعالم يقترف جريمة عظيمة لمجرد قعوده عن واجب البلاغ وكتمان العلم، قال تعالى: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات**

والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾.

ولا يسلم العالم من هذه اللعنة – لعنة الكتمان – إلا إذا أدى ما جاء في الآية التي تتلوها { إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم }.

وكتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة ، لكنه عدم إنزالها على الوجه الصحيح ، في النوازل التي يستوجب على العالم إنزال النصوص عليها. هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط ، فكيف إذا خان الأمانة ، وكذب على الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله . فهؤلاء هم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾.

هذه هي الطريقة التي وصف القرآن بها العلماء وميز بها من يقوم بواجب البلاغ أو يكتم البلاغ وأشد من ذلك من يكذب على الله ويخون الأمانة.

والحديث هنا ليس في مقام نصح وتذكير أولئك العلماء ولو أن نصحهم وتذكيرهم واجب مهما عظمت جريمتهم ، لكنه حديث موجه لشباب الدعوة ، وكل المنتمين لمسيرة الإصلاح أن يعرفوا رجالهم.

إن تراكم الشهرة والسمعة الحسنة لبعض العلماء الذي اجتمع قبل أن يبدأ الاختبار الحقيقي ينبغي أن لا يحرفنا عن الطريقة القرآنية في معرفة العلماء المتبعون المطاعين.

وليس المطلوب هنا تحريم فلان أو سب فلان أو لعن فلان ، لكن المطلوب هو ألا يخدع شباب الإسلام نفسه ويستمر في التعامل مع أولئك العلماء وكأنهم قيادات إصلاحية ورؤوس في إنكار المنكر.

إن توقير شخص معين لعلمه ولسنه أو لجهد بذله في يوم من الأيام ، لا يعني أبداً وضعه في موضع القيادة والاتباع واللجوء عند النوازل ، بل الأولى الرجوع إلى القرآن والسنة وتعلم طريقة التعامل مع العلماء على ما ورد في القرآن والسنة ، ومعرفة العلماء الحقيقيين الذين تستفتيهم الأمة وتنزل عند اختياراتهم.

وما نقل عن الشيخ ابن عثيمين في جريدة المسلمون وما نقل عن الشيخ ابن باز في الصحافة السعودية ، مما تناوله مقالي ((الإصلاح)) يمثلان نموذج الانكشاف لهذه المجموعة.

وهي فرصة لمن يريد التقييم على الطريقة القرآنية والنهج المحمدي، والقريبون من الشيخين يلاحظون التزامهما على المستوى الشخصي

من حيث العبادة والاستقامة ومن حيث النزاهة المالية والزهد ، ويلاحظون كذلك سعة علمهم الشرعي وقدراتهما في التدريس والتعليم، لكنهم يلاحظون كذلك ما عنيناه في كلامنا السابق من مشكلة كبيرة في القضية الأهم وهي قضية قيامهم بواجب البلاغ.

نحن نتمنى على الشيخين ابن باز والشيخ ابن عثيمين أن يتوبا إلى الله ويصلحا ويبينا بمعنى بأن يعترفا بما كان مخالفاً من كلامهما للشرع وينبها الأمة على هذا الخطأ كما جاء في هدي القرآن. ونتمنى أن يتحول الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين إلى صادعين بالحق مواجهين للظلم ، محاربين للطغيان ، داعمين لكل راية دعوة وإصلاح.

غير أن الأهم هو أن يدرك شباب الصحوة والمنتمين لمسيرة الإصلاح حقيقة العالم العامل، الداعي لعلمه، الصابر على الأذى فيه، المجاهد في سبيله. وحقيقة العالم الذي كتم ما علمه الله ، بل كذب على الله ورسوله وخان الأمانة.

لقد مضى من الزمن ما يكفي للاختبار ، ولقد أثبتت الأيام أن هيئة كبار العلماء وكل المنتسبين لها لم يقفوا ولا موقفاً واحداً مع الدعوة وضد الظلم . ولقد سجلت كل مواقفهم مع الظلم والطغيان وضد الدعوة، وأنه لمن الحمق وسوء التصرف أن يلجأ المرء لعدوه من أجل أن يحميه.

إن مشكلة أعضاء المؤسسة الدينية ليست مجرد العجز ، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول : ((أنا عاجز)) ويستقيل ويخرج منها كفافاً ، لكن أحداً منهم لم يعمل بذلك ولو عمله لصنع خيراً كثيراً ، لكن مشكلتهم هي الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع الباطل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى والدفاع عنه بما يستطاع.

هذا الحديث ليس المراد منه أن يقال أن فلاناً صالح ، وفلاناً من أهل الجنة ، وفلان من أهل النار ، فالله أعلم بقلوب الناس ومقاصدهم ونياتهم وأعمالهم وخواتيمهم ، لكن المقصود هو الجانب العملي في القضية ومن هو العالم المتبوع.

وكأننا في هذا الاستعراض قد علمنا حقيقة العالم المتبوع ، وهل يستحق أعضاء هيئة كبار العلماء هذه الصفة أم لا). ا هـ.

وفي النشرة (155) بتاريخ 9 ذي الحجة 1419هـ – 5 أبريل 1999م، وهي بعنوان: (رسالة مفتوحة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز) قال الفقيه:

اسمح لنا يا سماحة الشيخ أن نستعرض سجلكم من خلال السنين الماضية في قضية البلاغ.

لقد صدر عنكم أقوال كثيرة تزكون فيها الدولة وتصفونها بأحسن الأوصاف الشرعية رغم أنكم على اطلاع كامل وتفصيل على ما يجري

في البلد وكل تفاصيل المخالفات الشرعية التي يرتكبها النظام على مستوى الدولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين .

بل إنكم كما يعرف القريبون منكم أعلم بكثير مما يدعون أنهم على علم بما يجري لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون ما عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح إليكم ، ولقد شهدنا شخصياً جلسات كثيرة بسط فيها الواقع لكم بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة ، بل إننا نستطيع أن نقول أن الحجة قد أقيمت عليكم وأن الذمة قد برأت معكم من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين ، وإن إقامة الحجة في بيان الواقع على التفصيل لكم قد حصل مراراً وتكراراً من قبل أناس تثقون بهم وتأخذون بحديثهم. ولا أدل على ذلك من مذكرة النصيحة التي قدمت لكم وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العلماء وأنتم ترأسون تلك الجهتين ، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة على من قرأها . ونحسب أنه لا يسعكم الاعتذار بحجة أنكم لا تتعرفون إلا على ما يطلعكم النظام عليه ، بل أنتم على دراية تفصيلية بالأوضاع ، ومتابعة إجبارية أجبركم عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم. ولذلك فلربما ترتكبون خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين تزكون الدولة هذه التزكية ، وأنتم تعلمون حالياً وتعلمون كذلك من خلال اطلاعكم الشرعي خطورة مثل هذا العمل ، فمثلكم ليس غريباً على مؤلفات وأقوال علماء

الدعوة وخاصة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب. فإذا كنتم تعلمون يقيناً أن النظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة ، فما هو موقفكم من قول مُحَمَّد بن عبد الوهاب عن أولئك الذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله قال رحمه الله:

((إن هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم وجوب طاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام كيف لا وهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم ، ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفرهم ، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً لا ينقلهم إلى الكفر ، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق ، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم ((الرسائل الشخصية 188)).

فإذا كان مجرد عدم التكفير جريمة كبرى عند الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإسلام ويزكي دولتهم ونظامهم ، ويحمل على من أنكر عليهم.

وأنتم يا سماحة الشيخ تعلمون يقيناً أن النظام قد فرض الربا فرضاً على الناس وأقام له الصروح العاتية ودعمه بخزينة الدولة وجعل اقتصاد الدولة قائماً عليه. وتعلمون يقيناً أن النظام يوالي الكفار ويدعمهم وينصرهم ويستنصر بهم ويمكن لهم وينفذ مخططاتهم ويتآمر معهم ضد

المسلمين ، وتعلمون يقيناً أن النظام يشجع الفساد الخلقي ويساهم في انتشاره من خلال الإعلام والتعليم ومن خلال دعم خلايا الفساد المحمية من قبل الأمراء ومن خلال تحجيم الدعوة وتعطيلها. وتعلمون يقيناً ما يرتكبه النظام من جرائم ضد الدعاة وما يشنه من حرب عليهم سجناً وتشريداً وحصاراً وإرهاباً ، بل إنكم من أعلم الناس بذلك لأنكم غالباً ما تكونون أول من يخبر عن حادث اعتقال أو مداهمة أو إيقاف أو مثله. وتعلمون يقيناً أشكال الظلم الواقعة على الأفراد والجماعات والقبائل من قبل النظام كنظام ومن قبل المتنفذين فيه كأفراد ، لأن كثيراً من المظلومين غالباً ما يلوذون بكم ويكتبون لكم مستنجدين.

إن مشكلتكم يا سماحة الشيخ ليست مجرد تزكية النظام بل لقد اضطررتم للتناقض أكثر من مرة بسبب مداراة النظام ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى تحريم الاستعانة بغير المسلمين التي وجهت لجمال عبد الناصر، والتي قلتم فيها أن الاستعانة لا تجوز حتى عند الضرورة ، ومرت السنين وانقلبت الصورة فلم تكتفوا بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرتموها واجبة وأثم من لم يعملها.

وتكرر منكم تغيير الفتوى متابعة للحاكم في قضيتي أفغانستان واليمن ، هذا فضلاً عن قائمة الفتاوى الصادرة منكم تبعاً لرغبة النظام وأولها فتوى استدعاء القوات ثم بيان هيئة كبار العلماء ضد خطاب

المطالب وبيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضد لجنة الدفاع، وبيان الهيئة في الأمر بتوقيف الشيخين سلمان وسفر من أجل " حماية المجتمع من أخطائهما " والفتاوى الأخيرة التي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدم واعتبار قتلهم من أعظم الفساد في الأرض. ترى هل قرأتم كلام شيخ الإسلام بن تيمية فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السلطان ، قال في الفتاوى " ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة) الفتاوى ج35 ص372-373.

إن كتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة ، لكنه عدم إنزالها على الوجه الصحيح ، في النوازل التي يستوجب على العالم إنزال النصوص عليها. هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط ، فكيف إذا خان الأمانة ، وكذب على الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله. فهؤلاء هم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾.

إن مشكلتكم يا سماحة الشيخ ليست مجرد العجز ، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول : ((أنا عاجز)) ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن مشكلتكم هي الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع الباطل و تأييده بالكلمة والموقف والفتوى.

لقد آن الأوان ما دام في العمر بقية أن تسعوا لحسن الخاتمة وطيب الذكر بعد أن تقوموا بواجب الإصلاح والتبيين، ألا قد بلغنا اللهم فاشهد). ا هـ.

وأعتقد أن في هاتين الشهادتين ما يكفي للتعريف بالمؤسسة الدينية الرسمية للسعودية على لسان بعض أهلها من المخلصين والشرفاء والله حسيبهم. وقد تفاقم الأمر الآن وكثرت الأقلام و الألسنة المتذمرة في أوساط الصحوة الإسلامية في لسعودية ولمن أراد مزيدا من هذا أن يتجه إلى مواقع الإنترنت التي وجد فيها كثير من هؤلاء العلماء متنفسا للصدع بالحق والتعبير عن آرائهم.

۞۞۞۞۞۞۞

موقف علماء السلطان في العالم الإسلامي من الإحتلال الأمريكي للعراق:

عندما غزت أمريكا العراق في مارس 2003م. فشلت عبر سنة من العمل الدبلوماسي قبلها في المؤسسات الدولية والأمم المتحدة في الحصول على شرعية واضحة لغزوها بالعراق. وقد أدى التهاب الشارع العالمي عامة والعربي خاصة بمشاعر الرفض والاستياء إلى خوف وذعر في أوساط الحكام العرب من تبعات احتلال العراق. وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام.

كما أدى تصريح الإدارة الأمريكية بنيتها استهداف الخارطة السياسية والجغرافية للشرق الأوسط إلى إرباك الحكام العرب بسبب الخوف على عروشهم. وعدم القدرة على مواجهة أمريكا، بعد أن كبلوا أنفسهم بما يمنعهم من ذلك. وقد أعطت الحكومات الضوء الأخضر لوسائل إعلامها ومنها منابر المساجد بإعلان مواقف الرفض للحرب في العراق. وقد كان هذا حال عموم العالم العربي والإسلامي باستثناء دولة الكويت التي أعلنت التأييد رسميا وعمليا لأمريكا وحربها على العراق. ومع ذلك فقد أرغمت أمريكا سبع دول عربية على فتح أراضيها ومياهها وأجوائها للعدوان وعلى تقديم الخدمات اللوجستية وهكذا قدمت كل من الكويت وقطر والبحرين وعمان والسعودية

ومصر والأردن خدماتها وكذلك باكستان وقدمت تركيا دعما جزئيا نتيجة الرفض والاستحياء والإجبار.

ويبدو أن تذمر الحكام العرب من الرعونة الأمريكية التي ضربت بعرض الحائط بكرامتهم و مصالحهم ولم تراعي قدرتهم على العمالة النسبية ويحتمله الشارع العربي من ذلك. وقد انعكس هذا نوعا من غض البصر عن شيء من حركات التنفيس الشعبية كالمظاهرات والمؤتمرات التي انتهى غالبها بقتل الشرطة و قوات مكافحة الشغب لبعض المتظاهرين وتكسير عظام بعضهم. كما جعلت هذه الأجواء المؤسسة الدينية الرسمية والمساجد شبه الحكومية تعيش حالة من صحوة الضمير التي اختلط فيها الصدق والعاطفة لدى بعض العلماء مع رغبة الحكام بممارسة شيء من الضغط على أمريكا. ففوجئنا بشيخ الأزهر(سيد طنطاوي) الذي شغل جل وقته بمكافحة الإرهاب يفتي مع بداية الحرب بالجهاد في العراق ويبيح العمليات الاستشهادية ضد القوات الغازية ويمهد الأجواء للتظاهر في الجامع الأزهر. وتبعه بمفاجأتنا (مفتي الدولة النصيرية) في سوريا (أحمد كفتارو) يدعو شباب المسلمين للعمليات الاستشهادية وهكذا أخذ كثير من العلماء وقيادات الصحوة الرسمية وشبه الرسمية راحتهم على الفضائيات وبدأوا يدعون للجهاد.

بل إن دفعات الشباب المجاهد تحركت إلى العراق تحت سمع وبصر بعض الأنظمة العربية وعبرت إلى العراق من سوريا.

وسرعان ما سارت الحرب بالشكل المعروف لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها من مكافحة العلماء للإرهاب في وسائل الإعلام إلى جانب حكوماتها وسيدتهم أمريكا.

ولكن العجيب الملفت للنظر أن صحوة الضمير المؤقتة هذه لم تصب المؤسسة الدينية السعودية بل على العكس.. كانت جهود العلماء السعوديين منصبة على الحديث عن عدم مشروعية الجهاد في العراق ضد أمريكا أثناء معارك الغزو وبعدها. وعدم صحة رايته والعزف على أوتار التهور الذي أوصل الناس إلى غوانتانامو. بل وصل العزف إلى العلماء المستقلين من رواد الصحوة العظام. وعلى سبيل المثال ما فاجأنا به الشيخ سلمان العودة (بفقه المشروع الخاص) في مقابلة له مع إحدى الفضائيات العربية أثناء الحرب: **فعندما سئل عن مشروعية الذهاب للجهاد في العراق وهل هو فريضة لأن العدو حل في العقر**.. تهرب من الإجابة وراح يحدثنا عن أمر عجيب مفاده: أنه لو نزل العدو لا يجب على كل الأمة أن تذهب للدفاع بل لابد لكل أحد أن ينشغل بمشروعه الخاص الذي قد يكون دعوة إلى الله. أو مشروع تخرج جامعي. أو مجلة يصدرها. أو عملا يعمله. أو ربما

مشروع زواج. أو حتى قراءة كتاب .. ووصل الأمر به أن يقول حتى ولو كان المشروع الخاص ؛ جلسة تأمل!!.

ولا أدري تأمل في ماذا؟! أهو تأمل في الأعراض تنتهك أم في النفوس تزهق ؟! أم في الكفر يرتع حتى من حوله حيث يجلس ويصلي ويتأمل؟!.

هذا من أحد العلماء المستقلين، ناهيك عن سيل الفتاوى من أئمة الحرمين الرسميين وفقهاء مكافحة الإرهاب على شاشات الفضائيات من علماء السلطان في السعودية.

وهكذا كان. والشواهد كما قلت تمتد لتشكيل كتابا أسودا مستقلا كبيرا،عن دور المؤسسة الدينية الرسمية في بلاد العرب والمسلمين. في دعم الحملات الصليبية الثالثة ومحاربة من قاومها. ولله الأمر من قبل ومن بعد!

واليوم تقف المؤسسة الرسمية السعودية في طليعة المؤسسات التي تقف بالمرصاد للجهاد والمجاهدين ولاسيما في السعودية و تطور الأمر لافتتاح المراكز الإعلامية لجمع جهود المفكرين والعلماء في مكافحة الإرهاب ظنا من الحكومة السعودية وعملائها العلماء أن ذلك سيغير من المكر الذي خططته أمريكا للنظام السعودي وحكمت عليه بالتغيير وعلى خارطة الجزيرة بالتقسيم وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه)!

۞۞۞۞۞۞

وختاما أقول :

إن فهم معادلات القوى في صراع الإسلام والمسلمين مع الحملات الصليبية يشكل مادة أساسية في العقيدة الجهادية. وأساسا لازما للبحث عن سبل صحيحة للمقاومة يمكن أن تحمل بها النخبة الجهادية الأمة على الوقوف معها في مواجهة هذه الحملات الغازية وأداء هذه الفريضة وصولا إلى النصر بإذن الله.

وبعد استعراض الحملات الصليبية ولاسيما الثانية والثالثة ننتقل للفصل التالي وهو استعراض تاريخ الصحوة الإسلامية ومدارسها.

هذه الصحوة التي وقع على عاتقها مواجهة الإستعمار منذ انحلت المرجعية الدينية الكلاسيكية للمسلمين وفقدت دورها في مواجهته بعد أن واجهتنا بحكام من أبناء جلدتنا وعلماء وإسلاميين في طليعة جيوشهم وأجهزة أمنهم. فإلى الفصل الخامس بإذن الله.

۞۞۞۞۞۞۞

الفصل الخامس
مختصر مسار الصحوة الإسلامية المعاصرة
(1930 – 2003 م)

قال الله تعالى:

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ (هود:116)

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: " **ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**"، **فقال قائل**: **ومن قلة نحن يومئذ، قال**: "**بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"**.

وقال رسول الله ﷺ: (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**) ..

الفصل الخامس

مختصر الصحوة الإسلامية المعاصرة

1930 – 2003 م

سقطت الخلافة العثمانية عام 1924م رسميا بعد أن بدأت مرحلة الذبول منذ مطلع القرن التاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العشرين. وكانت الدول الصليبية قد قصمتها من أطرافها ثم تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السقوط.

كانت بوادر صحوة إسلامية قد بدأت تولد منذ أواسط القرن الثامن عشر. وقد حاول بعض روادها ترميم الدولة العثمانية وإصلاحها والتعاون مع صلحائها والتوجهات الحثيثة للسلطان عبد الحميد في الإصلاح ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر. فسقطت الدولة وبدأت مرحلة الإستعمار وغابت الخلافة منذ ذلك الحين أي قبل 79 سنة. فحصل ردة فعل في العالم الإسلامي على هذا الزلزال. تمخضت عن ميلاد صحوة إسلامية مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخلافة واستعادة الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية.

وكان أبرز مدارس الصحوة وبؤرها الناشئة ما يلي:

- **مدرسة الإخوان المسلمين:**

وقد أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله عام 1928م. ووضعت إعادة الخلافة شعارا وهدفا لها. وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره:

(**الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد في سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.**) وقد انتشرت جماعة الإخوان المسلمين في مصر حتى دخلت معظم مدنها وقراها وأصبحت أكثر الجماعات التي عاصرتها في مصر وما حولها. وخلال مدة وجيزة انتشرت في بلاد الشام. وانضوى فيها عدد من الجمعيات الإسلامية والحركات واستقطبت كثير من الكوادر والشخصيات ونمت حتى صار قواعدها بعشرات الآلاف. ومن ثم تمددت لتنتشر في مختلف بلاد العالم العربي والإسلامي حيث قامت جماعات إما بنفس الاسم وإما بأسماء محلية ولكنها تنطلق من نفس القواعد وتقوم على نفس الأسس. ويمكن تلخيص منهج دعوة الإخوان المسلمين لما قامت على أنها حركة مزيج من بعض الأفكار السلفية وبعض الأصول الصوفية والنزعة الجهادية والبنية الحركية التنظيمية مع توجهات سياسية واضحة بالإضافة لوجود ملامح للروح القومية والعاطفة الوطنية. وقد مارس الإخوان بحسب ظروف كل بلد النشاط السياسي وخاضوا الإنتخابات. وكان لهم

مساهمات جهادية في فلسطين ، وضد الإنجليز في مصر. وصار لهم مع الوقت مشايخهم ومؤلفاتهم ومكتبتهم الواسعة. كما اعتمدوا منهجا متميزا تطور مع الوقت وتبدلت ملامحه ومارسوا التربية والدعوة بموجبه.

وتعتبر حركة الإخوان المسلمين بحق كما يدعونها (الجماعة الأم) لمعظم الحركات الأصولية السياسية ، وحتى كثير من الجهادية في العالم العربي والإسلامي. وقد ولدت حركة الإخوان المسلمين حركات بأسماء أخرى كما أن تجمعات شبابية حملة فكرها وأعطت لأنفسها أسماء محلية ولكنها كانت كلها جماعات خرجت من نفس العباءة.

فكان من تلك الجماعات التي نشأت مستقلة في بلادها على هذه الطريقة. - الجبهة القومية السودانية — حركة الإتجاه الإسلامي في تونس والتي تحول اسمها إلى حركة النهضة — حركة حماس في الجزائر التي أسسها محفوظ النحناح والتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم — حركة النهضة الجزائرية — حركة الإصلاح والتجديد في المغرب — حركة الطلائع الإسلامية التي أسسها الشيخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المهاجرين والطلاب في أوربا....إلخ.

- **حركات قريبة فكريا من منهج الإخوان:**

في بعض بلدان العالم الإسلامي مثل حزب السلامة في تركيا الذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثم حزب الفضيلة. ومثل الجماعة الإسلامية في باكستان. ومثل ذلك بعض الجماعات في جنوب شرق آسيا الإسلامي.

- **حزب التحرير الإسلامي:**

أسسه الشيخ الفلسطيني (مُحَّد النبهان). وقد نشأ في الأردن وفلسطين وانتشر حزب التحرير في الأربعينات رفع أيضا ولكنه تميز بأنه كان أكثر ميلا للتربية والتوجيه السياسي وطرح نظرية إقامة الدولة الإسلامية بعد توفر النصرة والشوكة للدعوة التي تهاجر إلى مكان حصول ذلك وجعل الجهاد متوقفا على حصول ذلك ومال إلى العمل السري وتبنى مبدأ العمل الانقلابي في بعض البلدان.

- **المدارس الإصلاحية التربوية:**

التي تبنت نشر الوعي الديني والتأسيس العلمي لإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات المسلحة كحركة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وقد فرجت هذه المدارس أرضا لرؤية السياسية بمفهوم المقاومة الحضارية والمدنية الاستعمار وصولا إلى تأهيل الناس الجهاد.

- **جماعات التبليغ والدعوة:**

وما شابهها في الطريقة والمنهج. وقد ولدت هذه الحركات في شبه القارة الهندية وكانت فكرتها تقوم على إصلاح الفرد المسلم على مستوى العبادات والسلوك وتأسيس قاعدة من الأساسيات الشرعية والتفرغ لذلك بعيدا عن معتركات السياسة ومصادماتها حتى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن تعرقل السلطات ذلك وقد امتدت الحركة وصار لها ملايين الأتباع والمريدين وتقوم فكرتها على أن يبذل المنتسب لها جزءا من وقته على المستوى اليومي والأسبوعي والشهر والسنوي للخروج في سبيل الله في رحلات دعوية من مسجد إلى مسجد حيث يلتقون الناس ويدعونهم إلى الصلاح والدين والالتزام...

- **الحركات السلفية ومدارس أهل الحديث:**

وهي حركات وجدت أن كثيرا من البدع قد لحقت معتقدات المسلمين وأميتت في مقابلها الكثير من السنن وأن كمية الشركيات والضلالات قد ألغت أصل الاعتقاد والصحيح لدى أكثر المسلمين حتى كادت تخرج عن أصوله وأن طريق الفلاح هو في الدعوة أساسا إلى تجريد التوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع يصل تلقائيا إلى تأهل المجتمع لقيام الحكم الإسلامي. وقد كانت معظم الحركات السلفية في العالم العربي والإسلامي أشبه بطريقة علمية تربوية وقد لعب تبني الدولة السعودية الثالثة التي تولاها عبد العزيز وحلفاؤه من بعده للدعوة الوهابية للمتاجرة بها في الجزيرة في القصة التي جاء لفتة عنها في الفصول السابقة إلى أن الحلف الذي قام بين المؤسسة الدينية الحكومية والأهلية والحكومة ساهم في قيام حركة نشطة من التدريس في الجامعات وقيام الجمعيات والمؤسسات الرسمية والأهلية بنشر الدعوة وأفكار مؤسسها وأحفاده وعلماء الدعوة من بعدها وإحياء تراث الشيخ ابن تيمية وسواه من أئمة الدعوة السلفية كابن القيم والشاطبي وسواهم وأوى نشر تلك المؤلفات وما يبنى عليها إلى زيادة انتشار الدعوة السلفية ومدارس أهل الحديث في العالم العربي و الإسلامي. وإن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم.

ولقد ولدت حركات فيما بعد من خلال اندماج أفكار بعض الحركات ببعضها . فولدت الحركة المسماة (السرورية) نسبة إلى أحد دعاتها وهي نوع من فكر الإخوان الحركي والتوجه السلفي. كما ولد التيار المسمى (السلفية الجهادية) وهي فرع من الفكر القطبي والدعوة السلفية مدارس معاصرة وليدة مدارس قديمة، كذلك بعض الجماعات الصوفية الحركية التي مزجت بين التربية والتصوف والتوجهات السياسية كما في شمال إفريقيا وغير ذلك .

وخلال هذه الفترة (1930–2000م) التي نغطيها بالتحليل الموجز. نشأت كذلك بعض الحركات الصوفية الجهادية كتلك التي نشأت في شبه القارة الهندية ووسط روسيا وكذلك شمال إفريقيا في هذه الفقرة.

وهكذا قام كثير من الدعاة والعلماء والخطباء والكتاب والمفكرون الإسلاميون بالتأثير في مسارات الصحوة بحسب نشاطاتهم وعطائهم. وانتشرت ظواهر التدين والعودة للالتزام من انتشار الحجاب واللحى ومظاهر الالتزام وازدهار حركة الطباعة والنشر والتجارة في الكتب الإسلامية المختلفة وطباعة المجلات والجرائد الإسلامية ونشطت كثير من المساجد بالدعوة وحلقات العلم والذكر والإصلاح والمؤسسات والجمعيات الأهلية في مختلف صنوف البر والتقوى ودخل مختلف أنواع الإسلاميين جماعات وأفراد معترك الحياة السياسية والفكرية والأدبية كما قامت العديد من الصدامات العنيفة بين الإسلاميين وبعض

الحكومات .. وباختصار فرضت ظاهرة الصحوة الإسلامية نفسها على المجتمعات الإسلامية وصارت معلما بارزا من تاريخهم المعاصر.

- **الأطوار الرئيسة التي مرت بها الصحوة الإسلامية:**

يمكن أن نميز مسار الصحوة الإسلامية منذ انطلاقها وإلى اليوم أربعة أطوار رئيسية من حيث بنيتها الحركية والمنهجية وأدائها وسماتها العامة في كل مرحلة:

أولا:المرحلة الأولى (1930-1965م) (مرحلة النشأة):

ويمكن أن تسميها مرحلة (**ما قبل التبلور**) وأهم ما يميز هذه المرحلة أن السمات العامة للصحوة كانت مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المسلمين. وما شابهها فقد اختلطت فيها المؤثرات الصوفية الآتية من البنية الكلاسيكية للمرجعية الدينية للأمة خلال المرحلة العثمانية ، مع المؤثرات السلفية التي هبت مع رياح التجديد والإصلاح التي كان أبرزها ميلاد وانتشار الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية. منذ القرن الثامن عشر وما واكبها من دعاة لهذه المدرسة في مناطق أخرى. ممتزجة بشيء من المشاعر القومية التي ظهرت أواخر الدولة العثمانية كرد فعل على سياسة (التتريك) التي طبعت آخرها ، مما حفز الشعوب الاخرى لاسيما العرب وغيرهم على العصبية القومية

والالتفاف حولها كما اتسمت مدارس الصحوة ومناحيها بالتهاب الشعور الوطني لأن المرحلة كانت مرحلة مواجهة استعمار. كما طبعها أسلوب التربوية والإصلاح السلوكي ...

وكانت فترة غنية نسبة بالمؤلفات التأسيسية لتلك المدارس. كما مارس أكثر رموز وجماعات الصحوة الجهاد بشكل أو بآخر ضد المستعمرين عبر الجهاد المسلح ، أو عبر المقاومة المدنية والعمل السياسي .

ثانيا: المرحلة الثانية (1965م– 1990م) وهي مرحلة (التبلور والتمايز) المنهجي والهيكلي لحركات الصحوة:

وذلك خلال مرحلة الإستقلال تحت حكم الحكومات الوطنية التي طبعتها العلمانية والتبعية للاستعمار، بعد ذهابه كما مر معنا في الفصول السابقة. حيث هبت رياح التغريب وانطلاق سعار الغزو الفكري الذي نشر المذاهب العلمانية والتيارات القومية والوطنية والمدارس السياسية والفكرية ذات المنشأ الغربي كالديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغيرها... ونظرا لقيام حكومات على مفاهيم تناقض الدين واصطدامها بشكل طبيعي مع مختلف مدارس الصحوة التي لعبت الدور الأساسي في مواجهة الاستعمار. وتمكن تلك التيارات العلمانية من قطف ثمرة جهود حركات تلك الصحوة

والشعوب التي جاهدت الاستعمار تحت شعار الإسلام. طرحت على الصحوة إشكالات منهجية نتيجة الوضع الجديد ومسائل فقهية يجب أن تحدد منها موقفا سياسيا شرعيا وعمليا. فالحكام مسلمون ظاهرا، ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعا. وهم وأعوانهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس. ويوالون الكفار ويعاونونهم على المسلمين!. وهناك أجزاء ما تزال محتلة ولاسيما فلسطين ومشكلتها المزمنة وموقف الحكومات الخياني منها... ومسألة الصدام مع السلطات أم مهادنتها، مفارقتها أم موادعتها.. أم مفاصلتها ومواجهتها؟ أم الدخول فيها من بوابة الممارسات (المشروعة) ! و(القانونية) و(الدستورية) !.. هذه الأحوال فرضت على الصحوة أن تتمايز صفوفها وتتبلور بناء على موقفها من هذه المسائل وطريقة تعاملها مع السلطات المرتدة الحاكمة الغاشمة. ومن المسائل الفكرية والعقدية المطروحة... وانقسمت بذلك الصحوة إلى أربع مدارس رئيسية، حيث استمرت الصحوة بالنمو والعطاء ولكن من خلال التمايز في بنيتها ومناهجها، هذه المدارس هي:

1. **صحوة غير سياسية:**

وهـي المـدارس والتيـارات والجماعـات الـتي رأت السـلامة لمسـار الـدعوة ولأصـحابها في اعتـزال السياسـية والعمـل مـن خـلال الـدعوة والإصلاح كل بحسبه.

ورغـم اختـلاف منظـورات كـل مدرسـة مـن هـذه عـن غيرهـا وربمـا تناقضـهـا كليـا إلا أنهـا التقـت إزاء المشـاكل المطروحـة علـى الأمـة علـى نقطـة اعتـزال السياسـة والبعـد عـن معتركهـا ومـن هـذه المـدارس الغيرسياسية أكثر الحركات الصوفية ومساجدها وزعاماتها والذين عـادوا لتبني مبدأ التربية السلوكية والعبادة وإصلاح علاقة الفرد بربه حتى بلغ بأحد أقطابها الكبار في بلاد الشام شيخ الطريقة القادرية في وقته في سـوريا ومـا حولهـا أن يلقـن أتباعـه عنـد الانتسـاب للطريقـة أن يصـلوا ركعتين ابتدعهما لهم ينوي فيها المصلي قائلا (أصلي لله تعالى ركعتين سنة ترك السياسة.. الله أكبر ويستفتح الصلاة)...

ومـن هـذه المـدارس اللاسياسـية(جماعـة التبليـغ والـدعوة) بفروعهـا ومساجدها ودعاتها وأتباعها الجوالين في سبيل الدعوة ... حيث يتولى الموجهون و المسؤولون ضبط مسألة عدم تسرب السياسة ومسائلها إلى مساجدهم ومؤتمراتهم !!

واشترك في اعتزال السياسة المدارس التي اصطلح عليها بـ (السلفية العلمية) الذين تفرغوا لإصلاح العقائد والجهد في نشر العلم الشرعي ،

ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها وباقي أبواب العلوم الشرعية بناء على ذلك . ونشأت منها مدرسة الشيخ الألباني تحت شعار(التصفية والتربية)..

ومن المدارس التي آلت للفكر والبحث والتربية ما سمي بـ (القطبية) وهي (القطبية العلمية السلفية) أيضا والتي أخذت بالمنهج الفكري للأستاذ مُحَّمد قطب وكثير من الجوانب الفكرية لأخيه الشهيد سيد قطب رحمه الله ، طارحة منهجه السياسي الحركي جانبا. ومن هذه المدارس من اتسم بالصوفية التربوية الشبه حركية ، مثل جماعة العدل والإحسان في المغرب. ومن على شاكلتها.... والفت النظر هنا إلى ما ذكرته في المقدمة بأني لست هنا بصدد تقديم دراسة نقدية من النواحي المنهجية والبنيوية وذكر الايجابيات والسلبيات ، وإنما بصدد التصنيف العام.

وكما قلت فقد التقت هذه المدارس على ما فيها من خلافات و تناقضات على فكرة **خلاصتها**:

أن تغيير الأوضاع والنهضة بالأمة يرجع إلى إصلاح الفرد. فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وصلح حاكموه فكما تكونوا يولى عليكم. وأما مشاكل الأمة المحلية والخارجية فليس لهم بها علاقة ، وليس لها من دون الله كاشفة..!

وأما الفوارق بين مختلف هذه المدارس في طريقة إصلاح الفرد .. فهذا يرى ذلك سلوكيا والآخر يراه عقديا أو تربويا أو فكريا ... وهكذا ولم تستطع هذه التوجهات أن تقدم تصورا منطقيا لآلية تولد حلا للمشاكل القائمة عبر هذه التربية ولا مدتها ولا مراحلها وقصارى ما عبر عنه الأستاذ الجليل مُحَّد قطب في أحد كتبه في مطلع التسعينيات والذي كان بعنوان (حول تطبيق الشريعة) يقول بعدما عرض طريقة التربية للقاعدة الصلبة قال مما أذكر نصه (وعندما تمتد القاعدة الصلبة وتصبح بندقة تستعصي على الكسر .. ذات يوم ... يأتيها فرج الله وتقوم دولتها وعندها يدخل الناس في دين الله أفواجا ...!!) .

وأما الشيخ الألباني [وما زلت بصدد التعريف والمثال وليس التقييم والتعليق] فقد كانت آخر فتاويه وهو يندد بالجهاد والمجاهدين في مواجهة الحكومات بفتواة الشهيرة:

(الخروج على الحكام في هذا الزمان هو في حقيقته خروج على الإسلام) !!!!!

كما تدور طروحات الصوفية والإصلاحية أيضا في أفاق المغيبات عن التغيير وآليته. ويبدو لي أن بطش الحكومات وطريقة تعاملهم مع الصحوة في كافة البلدان أواخر الخمسينيات ومطلع عقد الستينيات ساهم إلى حد كبير في صياغة مدارس الصحوة اللاسياسية رغم أنه لا

يمكن نفي الإخلاص ولا الحرص على سلامة الدعوة وأبنائها من وراء هذا المنهج في كثير من الأحيان من كونها السبب وراء هذا المنهج .. والله تعالى أعلم.

2. **صحوة سياسية:**

وقد كانت هذه المدارس من الصحوة في منطلقها على النقيض تماما من سابقتها. فقد وصّف هؤلاء الحال توصيفا أقرب للصحة. فقالوا أن مشاكل الأمة ذات الأسباب الداخلية أو الخارجية هي مشاكل سياسية ولا بد أن يبحث لها عن حل من خلال ممارسة السياسة كما أن من الحيف والغلط العقدي حتى ، شطب السياسة من الدين تحت أي دعوى. وأن الحل ليس في اعتزال السياسة من أجل تفادي الصدام مع السلطات وتلافي بطشها وإنما يكون ذلك من خلال اقتحام ميدان السياسة من خلال القنوات المشروعة والقانونية التي تتيحها السلطات كلا بحسبها وذلك عن طريق تشكيل الأحزاب الإسلامية والجمعيات السياسية وشبه السياسية والنشاط الفكري والأدبي والسياسي ودخول معترك الإنتخابات والديمقراطية إن وجد أو التسلل إلى أجهزة السلطات والمعارضات بحسب الإمكان وحسب أوضاع كل بلد. وقد حمل رايات هذه الصحوة السياسية أحزاب الإخوان المسلمين ومن شابههم وما انبثق عنهم من حركات مشابهة

سواء تحت نفس المسمى أو تحت المسميات المحلية. وشهدت هذه المرحلة (1965-1990م) وربما قبل ذلك بقليل في البلدان سريعة الاستقلال كما كان حال مصر وسوريا والباكستان وتركيا. فقامت تجارب كثيرة في مجال الديمقراطيات (الإسلامية)! ثم تتابعت التجارب إلى مطلع التسعينيات ومازالت ولكنها دخلت بعد قيام النظام العالمي الجديد في طور جديد سنتحدث عنه لاحقا إن شاء الله ومن تلك التجارب السياسية هذه:

- تجربة الإخوان المسلمين والإسلاميين في الإنتخابات البرلمانية في سوريا بعيد الإستقلال 1946م إلى مطلع الخمسينيات إلى بدء عهد الانقلابات العسكرية منتصف الخمسينيات ومطلع الستينيات.
- تجربة الإنتخابات والحياة البرلمانية أواخر أيام الملكية في مصر قبيل إنقلاب عبد الناصر 1952م.

ثم شهدت الحياة السياسية في معظم العالم العربي والإسلامي مرحلة الديكتاتوريات العسكرية والحزبية خلال الستينيات والسبعينيات. حيث كانت هذه المرحلة مرحلة تصادم بين الصحوة والسلطات. قضى معظم الدعاة وحتى السياسيون منهم قسطا من حياتهم في السجون ليخرجوا بأفكار ديمقراطية أكثر تطورا...

فشهد عهد أنور السادات في مصر انفتاحا بعد أن خلف عبد الناصر مطلع السبعينيات وفتح أبواب السجون للإسلاميين لمواجهة المد اليساري المتنامي فدخل الإخوان وبعض شخصيات الصحوة الاخرى الحياة السياسية الحزبية في مصر...

- ثم رخص الملك حسين في الأردن للإخوان وعدد من الجماعات الإسلامية مجال العمل وتطور هذا أواخر الثمانينيات ليكون مشاركة في الحياة النيابية. بل ودخل بعضهم الحكومة والوزارات.
- وفي ملكيات الخليج والجزيرة العربية والمغرب حيث شكل الإسلاميون وبعض مدارس الصحوة جزء من حاشية السلطة الملكية ولاسيما في السعودية.
- ثم ابتدأت الكويت تجربتها البرلمانية كأول دولة في الخليج يدخل الإسلاميون فيها الحياة السياسية كأحزاب ...
- ثم خاض الإتجاه الإسلامي في تونس أيضا تجربة مأساوية بزعامة الغنوشي...
- وتحالفت الجبهة الإسلامية القومية السودانية بزعامة الترابي مع جعفر النميري وصارت شطر السلطة ثم قادت انقلابا وحكمت السودان ثم عادت للمعارضة.
- وكذلك كان للإخوان المسلمين ونظرائهم من تيار الصحوة تجربتهم البرلمانية الحزبية في اليمن.

- ولكن أبرز التجارب الديمقراطية العربية ، كان ما حصل في الجزائر بعد الانفتاح الذي أحدثه الرئيس الشاذلي وصعود نجم الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتجربتها التي تشكل درسا بالغ الدلالة.
- أما على الصعيد الإسلامي فأبرز التجارب وأقربها للعالم العربي، كانت تجربة الجماعة الإسلامية في باكستان ، وقد دخلت التجربة الديمقراطية الحزبية منذ وقت مبكر وما زالت إلى اليوم.
- وكذلك تجربة حزب السلامة في تركيا منذ الستينيات والتي أوصلت زعيمها أربكان مرتين إلى سدة الحكم الأولى كنائب لرئيس الوزراء أواسط الستينات ، والثانية وهي الأهم سنة 1996م حيث أحرزت الأغلبية البرلمانية وتولى أربكان رآسة الوزراء سنة 1995م وفي الحالتين أطاح العسكريون بالتجربة..

وبالإجمال بقيت معظم مساهمات الإسلاميين في الحياة السياسية في المعارضة وشكلت جزءا يسيرا من قوتها في البرلمانات التشريعية ، ووصلت في حالات نادرة إلى السلطة التنفيذية كما في (الأردن- الجزائر- تركيا-) ولكن تم في كل الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار.

- ومع بداية التسعينيات لحق كثير من المدارس الغير سياسية من الصوفية والسلفية والتبليغ والدعوة وغيرهم من سبقهم من الإخوان

ونظرائهم في الممارسة البرلمانية. وتسللت الديمقراطية لمعظم مكونات الصحوة الإسلامية تقريبا كما سنرى وسنأتي على شيء من التعليق حول هذه التجربة في الفقرة التالية إن شاء الله.

3. **صحوة جهادية:**

بعيد قيام حكومات الإستقلال على قاعدة الحكم بغير ما أنزل الله ، والولاء لمن ولاّهم من القوى الاستعمارية الشرقية والغربية،اصطدمت مختلف شرائح الصحوة بهم. ومارست معظم الحكومات سياسة البطش والقتل والسجن والتنكيل. وبدأت تتفاعل تلك الأحوال وتعزز نتائجها على كافة صعد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبدأت تتكون بذور الثورة على ذلك الواقع وتتكون دواعي الجهاد في فكر الصحوة الإسلامية.

لقد توصل نفر من المفكرين والدعاة الأوائل مطلع الستينيات إلى أن مشاكل الأمة قائمة تطول : أولها حكم الكفر وولاء الأعداء ... وليس أقلها العدوان والظلم و الإحتلال وسرقة الثروات و. و. و... وهذه مشاكل يحرس العدو بقائها عبر نوابه بقوة السلاح والحديد والنار وسلاسل السجون وسياط الجلادين وتوصلوا إلى أن مقتضى دين الله في مثل هذه الأحوال هو أن يكون الجهاد فرض عين لإقامة حكم الله في البلاد أولا وكذلك دفاعا عن دين الدين والأنفس

والأموال والأعراض... فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي حيث طرح فكر الحاكمية والولاء والبراء والتمايز والمفاصلة ...

وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رحمه الله. وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي – رحمه الله – في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتتالت المساهمات وتكونت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الذي ما لبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثم الشام ثم شمال إفريقيا وغيرها ... وتتابعت التجارب كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين التاليين إن شاء الله.

4. صحوة شاذة منحرفة:

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصحوة السابقة مع طواغيت العرب والعجم من حكام بلاد المسلمين ولد في تلك الظروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عرف بتيار **التكفير**. أو **التكفير والهجرة** كما أسمته وسائل الإعلام. وقد ولد ابتداء في مصر ولكن وجدت له بذور في كل بيئة شابهت معطياتها الفترة التي ولد بها هناك.

فقد جاهر معظم الحكام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتشريع بغير ما أنزل الله إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك. واتخذ هؤلاء الحكام لهم شرطة وأعوانا وأجهزة استخبارات وأمن وبطش .. وأقامت الحكومات السجون وقاعات التعذيب بلا حسيب

ولا رقيب. كما أقام كل حاكم إلى جانبه عكازا من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإسلام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشرعية، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشرعي من الحقوق... فيما جنحت كثير من رموز الصحوة السياسية وغير السياسية إلى المداهنة والتلعثم في قول الحق. بل وتجرأت على دخول هياكل السلطة وأجهزتها واتسمت الصحوة بالعجز عن مواجهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأمة في حياة استهلاكية لاهية عابثة ... وبطبيعة الحال، كان في شباب الصحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة على دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدين وقواعده وضوابطه. ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته ...

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر ، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشباب المعذب أن لا شك في أن هؤلاء كفرة .. ولا شك أنه استنتاج صحيح. ثم نظر الشباب إلى علماء منافقين يعلمون كل هذا ويشهدون عليه بالشرعية ويسوغونه ، فقالوا لا شك في كفر هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا .. ثم نظروا إلى قيادات صحوة عاجزة مداهنة منكفئة ..، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه.. وحكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة الصحوة على هذا الضلال

بالفسوق والظلم ، ولكنهم لم يتجرؤوا ، أولم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر ... فحكموا على هذه الأنظمة وأجهزتها بالإسلام وبمجرد الظلم والفسق. فهنا حصلت الصدمة الفكرية في رؤوس بعض الشباب فأعملوا القاعدة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) على كل المستويات ، جاهلين أن هذه القاعدة هي في كفر المجمع على كفره بلا تأويل واستنتاج كاليهود والنصارى والمجوس.. ، فأسقطوها على من لم يكفر أولئك الحكام وتتابعت السلسلة المنكودة. فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر ..

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السجون .. ولد فكر التكفير. وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا على حدود التكفير فكفروا بعضهم بعضا .. وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التكفير وتوسعهم فيه ...

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هؤلاء إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر الناس من الرذائل والفساد. فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات .. ثم كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها ، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها على تربية أنفسهم وأولادهم على الدين والفضيلة فولدت فكرة الهجرة ... وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل

والحيف الذي وقع عليهم من السلطات وعلمائها ، ثم من الصحوة وقيادتها .. ثم من الناس والمجتمع ... فتفاقمت الظاهرة .. واختلفت زوايا الانحراف فيها .. واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المسلمين) وكفروا من ورائهم ... وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التكفير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض. واختلفت الآراء في تفسير نصوص العلماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف و التبيُّن).. وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات توفر أسباب النمو لهذه التيارات الشاذة التي آذت الإسلام والمسلمين والصحوة ، وآذت نفسها. ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبية التيار الجهادي والصحوة الإسلامية كلها ، حيث نسبت الحكومة إلى كل من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المسلمين صالحهم و فاسدهم.

وهذه خلاصة قصة التكفير في أوساط الصحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي..

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التكفير.

وكدأب الشيطان دائما .. طلب بعض أقطاب هذا التيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التيار أمراؤه و فقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة .. وغلب على أتباعه العنف في كل الأحوال. واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثم دماء بعضهم ، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجهاد والصحوة ومستقبل الإسلام حيث أرادت، كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين القادمين إن شاء الله.

وهكذا تبلورت مدارس الصحوة الأربعة هذه. ومع التواصل الذي ازداد في هذه الفترة عبر كل وسائل الاتصال انتشرت هذه المدارس في بلاد العرب بحسب أسبقية استقلالها وانتشار الصحوة فيها كما انتشرت في بض بلاد المحيط العربي مثل تركيا وباكستان وأطراف إفريقيا ... ونتيجة حركة الهجرة الكثيفة التي دفعت بملايين الشباب المسلم من الطلاب والعمال إلى المهجر في أوربا وأمريكا وأستراليا وكندا وسواها... هاجر نتيجة القمع والمطاردات كثير من كوادر وقيادات

ودعـاة الصـحوة الإسـلامية مـن مختلـف مدارسـها إلى بـلاد الغـرب وسـواها. وأقـاموا المراكـز الإسـلامية والمسـاجد. كمـا قامـت كثـير مـن الجماعات والمؤسسات الأهلية بالخروج إلى هناك بلا إكراه وإنما بقصد نشـر الـدعوة والإسـلام فانتشـرت مـدارس الصـحوة الأربعـة هـذه في أوساط المهجر ونتيجة الحرية المتوفرة وتوفر إمكانيات الاتصال والنشر .. ساهمت مراكز الصحوة في الغرب في إعـادة تصدير مـا تطـور مـن فكرها وتجاربها. وصار لها صحفها ومجلاتها ووسائل اتصالاتها وصارت الصحوة الإسلامية في المهجر جزءا مهما ساهم في دفع مسارها وأثراه وزاده عطاء على كافة الأصعدة. كما صار الغرب وأوساط الجاليات مسرحا لتواجد كافة مدارس الصحوة المتواجدة في العالم الإسلامي.

ثالثا: المرحلة الثالثة: (1990–2000م): مرحلة الأزمات:

كـان العقـد الأخير من القرن العشرين بعد انطلاق النظام العالمي الجديد ، عقدا مفصليا بالغ الأهمية في تاريخ الصحوة الإسلامية بكافة مدارسها الأربعة وما ينضوي في كل مدرسة من مناحي. ومواجهتنا مع طواغيت بـلاد العرب والمسـلمين وكمـا أشـرنا في الفصـل السـابق فقـد شهد مطلع هذا العقد انطلاق النظام العالمي الجديد واختياره للإسلام والصـحوة الإسـلامية خاصـة خصـما اسـتراتيجيا وحضـاريا وعقـديا بـل

وعسكريا في مواجهة الحضارة الغربية بعد أن آل قيادها لأمريكا وأتباعها من دول أوربا الناتو.

ويمكن اختصار سياسة الغرب في مواجهة الصحوة بنيابة الحكام وأجهزتهم المختلفة خلال هذا العقد بالنقاط المختصرة التالية ؛ حيث سنذكرها ثم نتبع ذلك بخلاصة مسار كل مدرسة من المدارس الأربعة سالفة الذكر وهي المدارس: اللاسياسية. والسياسية. والجهادية. والتكفيرية. فقد اتسمت مواجهة الحكام والغرب للصحوة بما يلي:

1. ضرب الإتجاه الجهادي من الصحوة الإتجاه المعتدل منها بحسب موازينهم.
2. توسيع قاعدة الأصولية (المعتدلة) بحسب مفهومهم بتوسيع باب المشاركة الديمقراطية للإسلاميين لتدخل مؤسسات السلطة من أجل تحقيق الهدف آنف الذكر في البند السابق.
3. مساعدة تيار التكفير على البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الإستخبارات. و اتباع سياسة إعلامية لخلط التكفير بالجهاد من أجل عزل الجهاديين عن الأمة والإيقاع بينهما. وهذا ما طبق في الجزائر(1993–1997م) ونجح..
4. إطلاق حملة (الإسلاميين على الطريقة الأمريكية) عبر وسائل الإعلام في هجمة للتغريب والانحلال ، من أجل تفكيك الجذور الأصولية للإسلام التي تضمن توليد بذور المقاومة.

5. إنطلاق حملة مكافحة الإرهاب الأمنية ضد التيار الجهادي.
6. إنطلاق حملة مكافحة الإرهاب الإعلامية السياسية ضد التيار الجهادي باستخدام المؤسسة الدينية الرسمية كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإسلام المعتدل.

ولنقف مع أثر هذ السياسات في المواجهة على مسار كل مدرسة من مدارس الصحوة الأربعة خلال العقد الأخير من القرن العشرين.

أولا: الصحوة اللاسياسية: (1990–2000م):

لعل أبرز ما يميز ما حل بمدارس هذه الصحوة من أمثال بعض مدارس الصوفية والسلفية والدعوة وأصحاب المذهب الإصلاحي خلال هذا العقد هو أمران اثنان:

أولهما: تسيس كثير من رموزها وجماعاتها مع الوقت ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني عبر أبواب الديمقراطية التي فتحتها الحكومات على مصراعيها لتحقيق الهدف المبيت بتمزيق الصحوة وجعل مدارسها الثلاثة تقف في حصار ومواجهة التيار الجهادي فقد دخل كثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسلفية مجال الديمقراطية والعمل الانتخابي إن بصورة مستقلين أو بصورة تجمعات وكتل برلمانية في مختلف الدول العربية والإسلامية التي فتحت المجال.

ثانيهما: إحياء عقيدة الإرجاء ببعد وهوية سياسة معاصرة بين مختلف مدارس هذه الصحوة على تناقضاتها العقدية من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية. بحيث أعيد التركيز على إسلام الحاكم وإيمانه ، والفصل بين هويته هذه وطريقة حكمه وسياساته وممارساته العامة والخاصة.

وكان الهدف فيما يبدو هو رفع الحرج الشرعي عن المشاركة في مؤسسات الحكومة التشريعية والتنفيذية والقضائية الذي يسببه إطلاق حكم الكفر عليها.

وبهذا بدأت قاعدة هذه المدارس بصفتها اللاسياسية تضمر. وبدأت تتداخل عمليا في طروحاتها السياسية وبالتالي الشرعية مع المدرسة الأخرى التي سبقتها بهذه الممارسات بعدة عقود. وقد شكلت هذه الكتل منافسا حقيقيا ضمن صف الصحوة الإسلامية للمدرسة السياسية للإخوان المسلمين وأشباههم في بعض البلدان ، خصوصا عندما دخل بعضهم في تحالفات انتخابية مع تيارات علمانية !!!!. وقد حصلت في حالات أخرى تحالفات عديدة بين المدرستين الإسلاميتين لتشكيل كتل إسلامية كبيرة وجبهات عمل مواجهة للتيار السياسي الحاكم أو العلماني المعارض.

1. **الصحوة السياسية (1990–2000م):**

شهدت فترة (1970-1990م) ازدياد حدة المواجهات الصدامية بين مختلف مدارس الصحوة والحكومات العربية والإسلامية وأجهزتها الأمنية. سواء في صدام الجهاديين مع الحكومات عسكريا كما حصل في سوريا ولبنان ومصر وليبيا والجزائر وسواها. أو في مصادمات السياسيين من الدعاة وبعض رموز العلماء والخطباء مع الحكومات... وأسفرت هذه المواجهات عن امتداد شعبية الصحوة الإسلامية عموما وانتشار الفكر الجهادي وقاعدته الشعبية خاصة. وكما قلت فقد رأت الحكومات ومستشاروها الغربيون ومن يديرون حاضر ومستقبل تلك الأنظمة ، أن الأمور تتجه نحو الخطورة فكان المكر الذي تفتقت عنه عقولهم بعد مرحلة ملئ السجون والمقابر الجماعية بالإسلاميين هو الانفتاح السياسي معهم. فأفسح الحكام المجال للإسلاميين لدخول لعبة الديمقراطية والمشاركة فيها ، إما بصفة إسلاميين ، أو تحت لافتات أحزاب علمانية مرخصة... أو بصفة مستقلين. وشهد هذا العقد (1990-2000م) تحولا مهما في ممارسات ومناهج الإخوان المسلمين والمدارس المتفرعة عنها من أجل تبرير تلك الممارسات السياسية. فألفت كتب وأبحاث كثيرة. وكتبت مقالات وألقيت خطب حماسية تشجع على هذا الإتجاه والاستفادة من القنوات المشروعة والفرصة المتاحة إلى آخر تلك المبررات ... وشارك الإخوان المسلمون

وفروعهم وبعض الكتل الإسلامية الأخرى في الإنتخابات البلدية في معظم البلاد العربية والإسلامية. كما شاركوا في الإنتخابات البرلمانية كما حصل في الأردن ومصر ولبنان والكويت ... ودخلوا بصفات متعددة مؤسسات شبه حكومية في السعودية ودول الخليج. وانطلقت التجربة البرلمانية في تونس والمغرب وكذلك موريتانيا والجزائر في آخر ذلك العقد المنصرم. وحصل مثل ذلك في معظم بلاد العالم الإسلامي ولاسيما أشهر تلك التجارب في باكستان وتركيا...

وكان أهم تلك التجارب من حيث حجمها ودلالتها السياسية ما جرى في تونس والباكستان وأخيرا الجزائر ثم تركيا... حيث اقتنعت السلطات في نهاية هذا العقد ونهاية القرن العشرين بضرورة إقفال هذا الباب ، والعودة للمواجهة مع كافة مدارس الصحوة على الطريقة الإستئصالية كما سنرى إن شاء الله في الفقرة (رابعا) من مراحل الصحوة. **ولكن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن مناهج الإخوان المسلمين وفروعهم من الحركات الإسلامية قد شهدت انقلابا على كثير من أساسيات المنهج الذي بني على أفكار مؤسسة الأوائل كحسن البنا وعبد القادر عودة وخاصة سيد قطب رحمهم الله تعالى وازدادت زاوية الإنحراف المنهجي انفراجا بسبب التسكع على أبواب السلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانية القائمة على أصول الردة والتشريع من دون الله والولاء للكفرة وأعداء هذه الأمة ..**

وسنأتي على وقفة أثر تفصيلا مع مسألة الديمقراطية في الفصل الثامن إن شاء الله.

2. **الصحوة الجهادية (1990– 2000م) :**

كانت الصحوة الجهادية –كما سنرى في الفصل القادم بشيء من التفصيل إن شاء الله – قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة ، واتسعت فيها قاعدتها الشعبية ،ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي ... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984م) أمام الصحوة الإسلامية عموما والجهادية خصوصا، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992م) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس عن انتشار معظم كوادر الجهاديين والمطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربا الغربية وما شابهها مثل كندا وأستراليا وغيرها .. أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان...

ولكن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) وضعت خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب والتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر2001م كما سنرى إن شاء الله ...

ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

- **الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990–2000م:**

1. **تجفيف المنابع المالية.**
2. **استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر.**
3. **اتفاقيات التسليم وتبادل المجرمين الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة.**
4. **إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام الجهاديين.**
5. **نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي.**
6. **التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب.**
7. **الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين عزلهم.**

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهادية إلى عناصر تعيش هاجس المطاردات والاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات... وتكفلت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم التي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين الغرباء الفرارين بدينهم.

وهناك ملاحظة مهمة وهي ظهور مدرسة جهادية جديدة في هذه الأثناء يمكن تسميتها:

- **ظاهرة الجهاد الفردي:**

فبسبب الأجواء الضاغطة على ضمير أصحاب الضمائر من شباب هذه الأمة. فقد بدر من بعضهم بين الحين والحين ممارسات جهادية هنا وهناك من قبل أفراد لا ينتمون لأي تنظيم، وهذه الظاهرة قديمة، بدأت منذ قدوم الحملات الصليبية الثانية مطلع القرن الثامن عشر، من قبيل ما أقدم عليه الشهيد (سليمان الحلبي) الذي هاجر من حلب في شمال الشام إلى القاهرة مرورا ببيت المقدس حيث التقى بعض العلماء وتحصل على فتوى بقتل الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية على مصر، والذي استخلفه نابليون عندما عاد إلى فرنسا،

فقتله سليمان رحمه الله وكانت الحادثة مطلع أسباب جلاء الحملة الفرنسية عن مصر ثم أعدم رحمه الله وأعدم معه العالم الذي أفتاه. وتكررت هذه الظاهرة بحسب الظروف.

ولكن خلال العقد (1990–2000م) وبعد انطلاق الحملات الصليبية الثالثة وقيام النظام العالمي الجديد، بدأت هذه الممارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهادية تستأهل الوقوف معها ودراستها وتنميتها كما سيأتي معنا إن شاء الله. فقد تعرض بعض العسكريين والمدنيين ومختلف أشكال وجود الصليبيين لعمليات جهادية فردية رائعة ومجدية شكلت إرباكا للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فإني أعتقد أنها تشكل أهم مرتكزات المواجهة القادمة بإذن الله.

3. **الصحوة الشاذة وتيار التكفير (1990–2000م):**

من المهم جدا لفهم ظاهرة التكفير أن نفهم المعادلة المكونة له والتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل = ميلاد تيار التكفير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منذ ميلادها مطلع السبعينيات وإلى اليوم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشار، لا في أوساط الصحوة الإسلامية ، ولا في أوساط عامة المسلمين. ففي حين لم يقف التواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية و الجهادية رغم اختلافها وخلافاتها ، حيث قام التواصل الفكري والعلاقات الشخصية بل والتعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه..

وللطبيعة بالغة السوء التي طبعت فكره وسلوك أفراده ;من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية ، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعية، لم يستطع هذا التيار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا على شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض . ولكن يجدر لفت النظر تحت عنوان هذه الظاهرة إلى ملاحظات مهمة :

- **الملاحظة الأولى:** هي أنه رغم أن جماعات تيار التكفير قد كفرت جماهير المسلمين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأنهم لم

يكفروا الحكام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكام ولم يكفروا من لم يكفر هؤلاء ... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم. إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جهاد الحاكم الكافر الذي فاصلوا الناس على كفره! ولم يعرف لجماعات التكفير أنهم قاتلوا الحكام إلا في القليل من التجارب. ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى الذين حلوا في عقر دار المسلمين. في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المسلمين. وهذا ما لفت الأثر الشريف النظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم : (**يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن**).

- **الملاحظة الثانية**: هي أن الحكومات الطاغوتية ومن وراءها من أعداء الإسلام أدركوا أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته. وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديين يريدون تعبئة الأمة وتجنيدها لمحاربة الأعداء الخارجيين من الكفار مثل اليهود والصليبيين والوثنيين الهاجمين علينا، ولمواجهة الطواغيت من الحكام الذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم. في

حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأمة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثاني الذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراساتهم المتفرغة لحرب الإسلام والمسلمين أن إلصاق تهمة التكفير بالجهاديين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكام وأعوانهم وعلماءهم .. ويكفرون عوام الناس (وهو زعم باطل) لأن الجهاديين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التكفير هكذا خبط عشواء. ولهم فقههم المنضبط المعتمد على عقائد أهل السنة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلامية أكبر دليل على ذلك ... فإلصاق الحكومات هذه التهمة بالجهاديين هو من أهم السبل لفصلها عن جماهيرها. ولذلك عملت على هدم الجدار الواضح الفاصل بين هذين الاتجاهين المتناقضين في المنهج والأهداف وأعني (تيار الجهاد) و(ظاهرة التكفير).

- **الملاحظة الثالثة والهامة جدا**. أن أجهزة الإستخبارات المعادية لهذه الأمة والعاملة ليل نهار على ابتكار أسباب مواجهة صحوتها الجهادية. لما رأت فائدة أفعال التكفير المشينة ولاسيما بعد جريمتهم الشنعاء في حق الجهاد والأمة في الجزائر التي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفصل

السادس في نبذه عن تجربة الجزائر إن شاء الله. رأت أن من أنجح الوسائل لمواجهة الجهاد و الجهاديين لفصلهم عن الأمة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم الناس فينعزلون عنهم فيسهل القضاء عليهم. وهذا ما طبقوه في الجزائر. ولما درست أجهزة الإستخبارات هذه الظاهرة (التكفيرية) اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير الذي يولد طبيعيا في الأجواء التي أشرت إليها. فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي ومن الأمثلة على ذلك ما جرى في السعودية منذ حرب عاصفة الصحراء الكويتية. وولادة بذور الجهاد والمقاومة. فقد عمدت الإستخبارات السعودية التي اتخذ وزير داخليتها **نايف بن عبد العزيز** ، من وزير الداخلية المصري الأسبق سيئ السمعة (زكي بدر) المشهور بنظرياته الإستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الإستخبارات المصرية مستشارين لتأسيس جهازه القمعي في السعودية منذ 1991م. وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التكفير وتهمة الجهاد المترقب في السعودية به.

فقد حدّث عدد من الناجين من سجن (الرويس) الشهير في جده من السعوديين وغير السعوديين من الجهاديين. أنه بعد حادثي انفجار الرياض والخبر سنة 1994م وما تلا ذلك من نشاط بعض التنظيمات الجهادية في السعودية اعتقل آلاف الشباب للاستجواب ممن كان لهم سابقة جهادية أو كانوا مظنة ذلك. وقد تعرض الشباب لمختلف صنوف التعذيب البشعة التي استوردها الأمن السعودي من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب. ولكن الذي استفادوه من تجربة الأمن الجزائري هو فائدة تيار التكفير في تدمير الجهاد! وكان ذلك من أهم التجارب: فعمدوا على استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكونات طرف المعادلة الأيمن:

قال أحد الذين شهدوا التجربة في سجن الرويس بجده في السعودية: [كان يأتينا بعد جولات التعذيب الجسدي من الضرب والكهرباء.. مشرف على التعذيب النفسي رجل شيعي من (النخاولة) [1] عرف نفسه باسم (أبو نايف)، في الستين من عمره أعرج. فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدين والرب ومقدسات الإسلام و الهزء بشعائره وشتم الجهاد والمجاهدين .. ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثم يقول لنا بعد ذلك : أنتم تريدون حكم الشريعة ؟! وما هذا الذي يحكم به ولي الأمر ؟

---

[1] النخاولة: أسم يطلق على الشيعة في السعودية.

أليس شريعة ؟ ألا تعجبكم شريعة الـ (..!!..) [ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة]، ويضحك ويضحك الجلادون. ويتابع : هذا الشيخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة ، وأنها دولة التوحيد ... و يتابع على هذا المنوال.. وكثيرا ما أُخذ الأخوة المعتقلون من الجهاديين فجمعوا عراة يسترون سوآتهم بأيديهم، ثم ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثم يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثم يأتيه بمجسم بلاستيكي لعضو ذكري تناسلي، ويبدأ يمرره على دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه. ثم يطالبه بعد ذلك بالتوقيع على أوراق محضر يعترف فيه بأنه يكفُّر ولي الأمر، ويكفر العلماء ، ويكفر المجتمع السعودي!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتُصب من قبل جلادين سعوديين!!] موظفون يتلقون المرتبات من (دولة التوحيد التي نفع الله بها وتحقق على يديها من الخير ما لا يعلمه إلا الله!!) على حد شهادة الزور التي طالما كررها مفتي الديار- أبوهم الوالد - وهيئة كبار العملاء ، ويبدوا أن هذا من بعض ذلك الخير!!.

وقد أسلفنا بيان المعارضة السعودية بصدد هذه الأمور الشنيعة التي ترددتُ كثيرا في إيرادها حياء وحفظا لمشاعر من يقرأ هذا الكتاب . ولكني وجدت أن (حق الحق أوجب من حق الخلق) كما قال ابن القيم رحمه الله: ويجب أن يعلم الناس جزء مما يدور على الأقل.

وأضاف الشهود من سجناء (الرويس) بأن المعتقلين الأجانب من الدول العربية الأخرى قد عذبوا عذابا شديدا كي يوقعوا على اعترافات يقولون فيها أنهم نقلوا فكر التكفير إلى السعودية ، وأنهم أدخلوا إلى المملكة أسلحة وذخائر. كل ذلك تحت وطأة التهديد وأساليب التعذيب التي تشابه ما عرف استخدامه في بلاد عريقة في ذلك مثل مصر وسوريا والأردن وتونس وغيرها. وقد ذكر لي بعضهم بأنه كان هناك وجبة تعذيب بالسياط تسمى (الموزة) لأن المعتقل يقشر جلده فيها!! ويربط للخلف يداه برجليه فيتقوس ظهره ويصير شكله كالموزة ويضرب على بطنه و... وهناك قفص حديدي يسمى (سندريلا) يعلق به المعتقل وتشد أطرافه الأربعة إلى القضبان ثم يدور بسرعة ويكهرب بين فترة وأخرى ويخرج المعتقل مغشيا عليه فيصب عليه الماء ويطالب بالاعترافات ... وهكذا .. فتأمل المعادلة من جديد ..

حاكم كافر ظالم + جلاد مجرم يردد الكفر ثم يذكرهم بحكم العلماء على ولي الأمر بالتوحيد (وهنا تتحرك آلية التكفير في ذهن المعتقل المسكين) ثم يترك المعتقلون في زنزانات جماعية يدس فيها من ضباط الاستخبارات أو بعض من ابتلي بالتكفير ليهيج النقاش في هذه الأجواء فتستنسخ جينات التكفير، ثم توقع الاعترافات مقابل الإفراج.

فسبحان القائل: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ** ﴾ (الشعراء:221).

هذه الشهادات سمعناها سنة 1995م. ولم يكن قد بدأت في السعودية

أي مواجهة حقيقية. أما الآن وقد بدأت بوادرها فلدى الاستخبارات السعودية أرشيفا ضخما من هذه الكنوز التكفيرية ، ليستند إليها الجهلة من علماء السلطان ويفتوا بأن المجاهدين للأمريكان وأذنابهم من آل سعود هم من التكفيريين الخوارج !...

والمتابع لوسائل الإعلام وتغطيتها للأحداث التي يديرها الجهاديون اليوم، يرى التركيز على تهمة الإخوة بأنهم خوارج ، وعلى فكر الخوارج الأولين ، من خلال إخراج مسرحي يتهمهم بأنهم قد شقوا عصى المسلمين ، وكفروا الحاكم والمحكوم ، وخزنوا المتفجرات في مكة والمدينة، ووضعوا القنابل داخل المصاحف المفخخة ! وقتلوا الأبرياء من المسلمين والمستأمنين ... إلى آخره. وقد نجحت المصيدة إلى حد كبير. فقد خرج عدد من العلماء الموثوقين في السعودية ليشاركوا في هذه المسرحية التي أعدها وأخرجها الأمير نايف ومستشاروه من استخبارات الدول العربية.

وهذه الملاحظة من أهم ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التكفير والاستخبارات. وسيأتي بعض التفصيل عندما نعرج على ذكر نبذة عن كارثة الجهاد في الجزائر في الفصل القادم إن شاء الله.

- **رابعا: الصحوة الإسلامية في عالم ما بعد سبتمبر (2001م) :**

كان الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الرئيس الفرنسي الراحل – إلى جهنم – (ميتران) بقوله: (سنضرب الإسلام المتشدد بالإسلام المعتدل). وقد أدى هذا إلى افتتاح العهد الديمقراطي الزاهر لتصبح المدارس الإسلامية السياسية عمليا جزءا من (الملأ)– ملأ الفرعون ، إلى جانب (الحاكم والكاهن والأعوان). فحققت الصحوة بعض المكاسب ولكن الثمن كان أن تقف في وجه المد الجهادي.

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصل أمر منطقي لم يكن في حساب الغرب ولا عملائه المرتدين، الذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخم الروح الدافقة في الإسلام وطبيعته. وانظر إلى بعض آيات الله:

- **فالإسلاميون (المعتدلون) كما يسموهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإسلام.**

فإذا ما اتيح لهم المجال (مساجد... مدارس.. ندوات.. محاضرات.. مؤلفات... صحف.. قاعات برلمان .. تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضاعة إلا مشاريع الإسلام والحديث عن: (تحكيم الشريعة.. الجهاد من أجل فلسطين .. قضايا العدل والظلم ..

مكافحة الفساد .. الإصلاح الاجتماعي.. الالتزام والأخلاق الإسلامية..إلخ) وحتى مع وجود أغراض شخصية، ومصالح حزبية ، فإن هذه الرسائل سواءً أخلص أصحابها أم زاودوا بها من أجل التجارة

بالشعارات ، فإنها ساهمت إلى حد كبير في توسيع القاعدة الشعبية للإسلام والتصورات الدينية. وكان هذا كسبا أفقيا هائلا على طريق أسلمة المجتمعات التي تدرك بفطرتها بعد أن دبت فيها الروح الدينية الحاجة إلى مواجهة تلك الأوضاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.

- **كما أن الجهاديين أو (المتشددين) كما يسمونهم ، يجدون في مثل هذه الاستراحات وأجواء الاسترخاء السياسي والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظيم الصفوف واكتساب قواعد أوسع داخل الهامش العام للصحوة. وقل مثل ذلك عن الإسلاميين الدعويين غير السياسيين.**

فدبيب أسلمة المجتمعات العربية والإسلامية، وهو ما بسمية الغرب (العودة إلى الأصولية) يقض مضاجعهم. وإن كان الشطر الكبير والسواد الأعظم من المجتمعات يسير نحو الفسوق والعصيان والانسلاخ من الدين وفق برنامج العلمنة ومن يقوم عليها. إلا أنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكون للحق وجود ولا لمن يحمله حق في الحركة والحياة. وعلى مر عقد من الزمن اكتشف الغرب الصليبي وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديدا هو: نريد (**ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المسلمين**) !!

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه. لأن الديمقراطية تعني حكم الشعب بنفسه وتعني مبدأ سيادة الأمة. فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصل المبدأ. ولكن الغرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكام والعلمانيين في بلادنا، كانوا مستعدين إلى لحس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا : (**ديمقراطية.. ولكن .. بلا إسلاميين!!**).

وسرعان ما تحول الشعار إلى التطبيق العملي فأغلقت معظم الدول الهامش الديمقراطي. واختارت دول أخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابية أو تعديلات دستورية تترك للإسلاميين القشور، بحيث لا يستمر منهم في اللعبة إلا الانتهازيون من الإسلاميين أو المستعدون لتفصيل الإسلام وإعادة خياطته على ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإسلام والمسلمين.

وهكذا قمعت الديمقراطية الإسلامية في الجزائر بكل قسوة (1991م) بالإنقلاب العسكري وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتى الآن على نحو مئة وخمسين ألف نفس. كما حُمل الديمقراطيون الإسلاميون وزعيمهم أربكان عبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقى بهم في السجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السياسي. وانقض مشرف في إنقلاب عسكري على ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما (**ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريا مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي !**). وفصل الأردن

واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإسلاميين أقلية في دهاليز البرلمان. أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء.. أو وزارة المطاحن والثروة السمكية .. في بلاد لا تطل على البحار ! وهكذا ...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الروح النابضة لهذا الدين الرباني. ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسلام إن ضربوا الإسلاميين وواجهوا الصحوة بالانقلابات والسجون والبطش ... أعطوا مبررات حمل السلاح وتمدد الجهاديون ونمو عموديا ونوعيا.! وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السياسي كي يواجهوا الجهاديين بالمعتدلين، تمدد الإسلام أفقيا وقاعديا وانتشر !! فعادوا للبطش، فعاد الجهاد للنمو! فعادوا للانفتاح ، فعاد الإسلام للتمدد والتوسع !! في حلقة متكررة من مكر الله بهم ..

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتصالات وعالم الفضائيات والإنترنت قد فتحت عقول الشعوب. وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة. وأن إسرائيل محاصرة بالأصولية. وأن منابع النفط وأكداس سلاح جيوش الحكومات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبية يقودها متشددون. فقرر الغرب الغزو

والاحتلال المباشر لمركز الصراع (الشرق الأوسط) الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب. وبسط سيطرة أكبر على ما بقي عبر دعم الولاة المرتدين لمزيد من البطش ، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكرية. ليصل الوجود الأمريكي فقط ، في منطقة العمليات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربي والقرن الإفريقي) إلى نحو 1.5 مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة ، وتتوزع قواها من كابل وطشقند ومرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المسلمين ، إلى بغداد وعمان وجزيرة العرب .. إلى مصر والصحراء الغربية والصومال في الشرق الأوسط .. إلى طنجة وسواحل الأطلسي في أقصى غرب بلاد الإسلام. وهو ما يسمونه اليوم (الشرق الأوسط الكبير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كل المناحي. وكان فاتحة ذلك كما رأينا تدميرا لإمارة الإسلامية في أفغانستان ، واحتلال العراق وإعلان الحرب على الصحوة بكامل أطيافها وصحح بوش مقولة ميتران عندما قسم الإسلاميين إلى معتدلين ومتشددين متشردين .. ليصبح الشعار بالأسلوب الأمريكي:

(ليس هناك إسلام معتدل ! كل الإسلاميون متشددون ويجب القضاء عليهم). لتشمل الحرب الأمريكية الكل ، بدء من الجهاديين ، ووصولا إلى المعتدلين مرورا بأصغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام.

وكان هذا من فضل الله. إذ أسفرت هذه السياسة ليس فقط عن حشر الصحوة بكاملها و تأهيلها للمقاومة وحمل السلاح. وإنما عن فتح الباب لرجل الشارع العادي أن يحمل السلاح تحت شعار الإسلام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كما صاح رئيس مصر أمام البرلمان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحد مئة بن لادن ... ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر الله هذا به. فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حكام بلاد المسلمين. وكان من ذلك ما سمعته البارحة من ولي العهد السعودي عبد الله .. في خطاب هستيري موجه للشعب مساء.

1-8-2003م يقول:

(كل متستر على إرهابي فهو إرهابي مثله. وكل متعاطف مع إرهابي فهو إرهابي مثله. وعندما تواجه الدولة الإرهابيين فلا مكان للحياد ولا الموقف الوسط).

وهو فحوى شعار بوش الحالي:

(من ليس معنا في حربنا على الإرهاب فهو ضدنا ولا مكان للحياد).

وفعلا تسير المعادلة مع فضل الله لتتحقق أهم الشروط السببية بالنصر بدخول كامل الأمة قسرا أو طوعا في المعركة. وأما أسباب النصر القدرية فذلك نصر الله ينزله متى شاء على من شاء حيث شاء... ونسأل الله أن نشهده ونكون من وقود تحقيقه في سبيل الله.

وأما أثر هذه السياسة الخرقاء على مدارس الصحوة الأربعة خلال السنوات القليلة بعد سبتمبر 2001م فهي باختصار كما يلي:

أولا : الصحوة الإسلامية غير السياسية بعد سبتمبر 2001م:

في عمان عاصمة الأردن .. صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والدعوة) في المعتقل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله:

(نحن لم نمارس جهاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحن ندعوا إلى الله في مساجدنا ونصلح الناس وننقذهم من الفساد وعالم الخمارات والجرائم ...) ! فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الذي وعى درسه : (هذه هي المشكلة : أنتم الأوتوبيس ! تحملون الناس من الشارع إلى المسجد. فيأتي الإخوان فيحملونهم من المسجد إلى السياسة ! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشباب للجهاد والتطرف ! نريد قطع كل هذا الطريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!..)

وهذا يشرح كل حقيقة المواجهة اليوم. إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة...

وهكذا تواجه الحكومات اليوم الصحوة الدينية اللاسياسية وتقمعها. فتغلق المساجد وتضيق على المدارس وتحظر الخطب .. بل تحيل السعودية الآن أكثر من 1800 خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي ! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقومات عالم الهيمنة الأمريكية ما بعد سبتمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصولية! في إطار حرب الأفكار و المناهج ..وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مواجهة المتشددين ، وأعلنت معظم الدول الإسلامية عن تعديل برامج التدريس الديني والعام . وبلغ بوزيرة الثقافة في باكستان (زبيدة جلال) أن تطالب ، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور: (آل عمران والأنفال والتوبة). لأنها تدعو للإرهاب!!

ثانيا: الصحوة السياسية في عالم ما بعد سبتمبر (2001م):

فكما أسلفت. تغلق اليوم عليهم منافذ الممارسة السياسية الفاعلة. ويتعرضون للقمع. وإن كان من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود ، وللتميع بلا ضوابط. لقد تجاوزا المنهاج ، منهاجهم. بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف .. سمعت منذ أيام أحد المرشحين من الإخوان المسلمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر ، ردا على سؤال الصحيفة له

بقولها: أنت إسلامي فكيف تمثل 400 صحفي فيهم من كل الطيف. فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل الإسلامي والنصراني والشيوعي ومن له دين ومن لا دين له !) فتأمل إن كان هذا الكلام يترك قدره على التأمل !.

ويجلس ممثل الحركة الإسلامية في العراق في المجلس الحكم المحلي رآسة (بر يمر) ليمرر ويبرر الإحتلال ! ويكافح الإخوان المسلمون والسروريون في السعودية الجهاد والجهاديين ويسلمون عناصره للمخابرات ، ويدعوهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم ! وقل مثل ذلك عن الإسلاميين في البرلمان في المغرب..

لقد أصبح من تبقى في لعبة السياسة من الإسلاميين الديمقراطيين جزءا أساسيا من كتائب النظام العالمي الجديد في مواجهة حملة رايات الجهاد والمقاومة في الأمة ...

ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجابي لهم يضيق يوما بعد يوم حيث يحاول الإسلاميون السياسيون مكافحة الإستعمار تحت قبة البرلمان! والحد من طغيان الفراعنة عبر المسيرات ! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك !

ثالثا : الصحوة الجهادية بعد سبتمبر(2001م):

اتخذت أمريكا من الجهاديين ، جماعات وأفراد ، وحتى من أنصارهم ومؤيديهم هدفا لحربها. بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأمة الحي ، وسلاحها المتبقي في الدفاع عن نفسها ، ولتفاصيل هذه المواجهة وقائع كثيرة مشهودة ، أترك التفصيل فيها إلى الفصل القادم إن شاء الله.

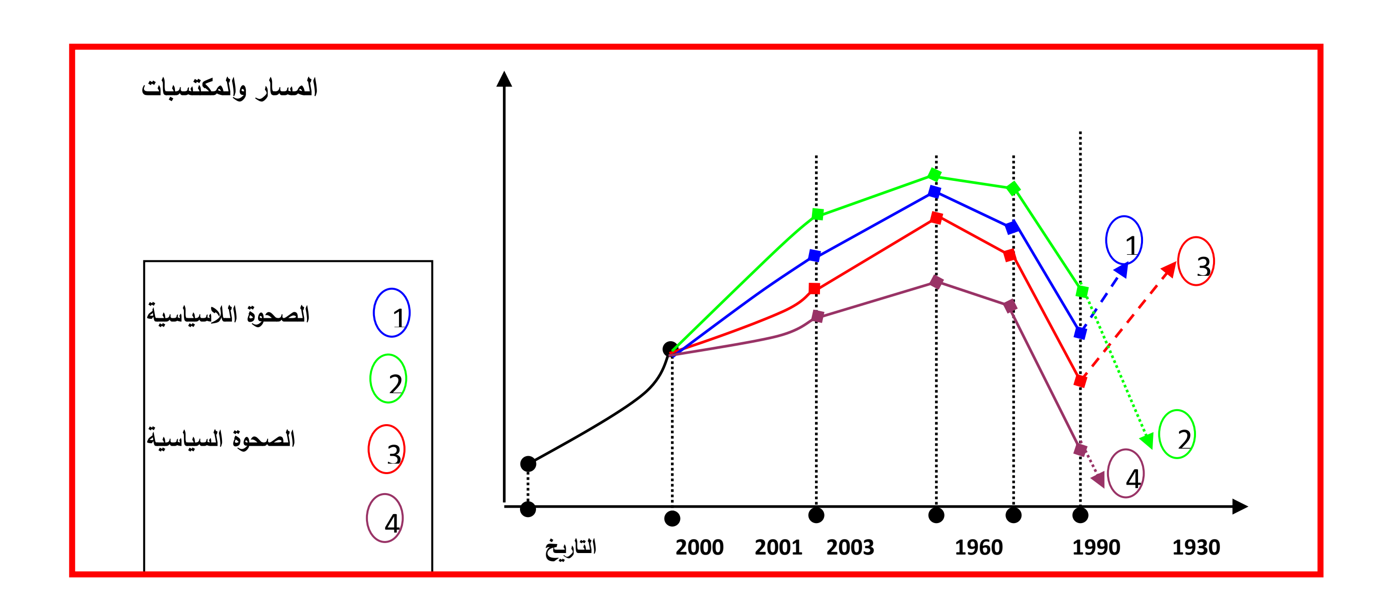
رابعا : الصحوة الشاذة للتكفيريين بعد سبتمبر (2001م):

لقد زادت هذه الظاهرة انكماشا. ولولا ما يحاول الإعلام العربي والإسلامي في بعض المناطق كالسعودية إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد. والحمد لله.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمسار الصحوة الإسلامية وخلاصة حصادها عبر أكثر من سبعين عاما مضت على ميلادها ، بقي لنا أن نختم هذا الفصل بخلاصة وأن نلفت النظر إلى ظاهرتين مهمتين من مظاهر الصحوة الإسلامية غير الجهادية لأننا سنترك تغطية الملاحظات الجهادية للفصل السادس.

- **الخلاصة في مسار الصحوة الإسلامية ومآلها خلال (1930-2003م):**

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصحوة الإسلامية بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصالح منها إلا بأن تعيد النظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشريعة الإسلامية بانضباط المسلم الملتزم. ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجديد في ظل الحملات الصليبية الأمريكية المعاصرة في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق. ويمكن التعبير عن مسار الصحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

1. أن الصحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخلافة 1930م تقريبا.
2. سارت مدارس الصحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو 1960م تقريبا.
3. تابعت كل مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى 1990م بشكل متمايز.
4. ما بين (1990-2000م). تقارب مسار الصحوتين السياسية والغير سياسية باقتراب الثانية من الأولى.
5. تراجع مسار الصحوة الجهادية منذ 1990م لتصل إلى عام 2000م وقد أنهكت.
6. مع اقتراب سنة 2000م بدأت جميع مدارس الصحوة تنهار في عطائها ومسارها.
7. مع عام 2001م وابتدأ عالم ما بعد سبتمبر... برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصحوة. مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السياسية والشاذة. ومع بوادر نهضة للصحوة الجهادية بسبب ظروف الاستعمار المباشر. بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصحوة اللاسياسية نتيجة ظروف

القهر والاستعمار والعجز العام. كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

وعلى اعتبار أني أنتمي للتيار الجهادي واكتب له. وما تناولي لمدارس الصحوة الاخرى إلا اختصارا وبقدر ما تداخلت فيه مع مسار الصحوة الجهادية. فإن تفصيلات تصوراتي عن الإصلاح والمساهمة في صنع مسار المستقبل ستنصب على الكتابة في آفاق التيار الجهادي وبرنامج إصلاح مساره عبر ما تبقى من فصول الكتاب.

وأما إصلاح مسار الصحوة السياسية والغير سياسية فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم. وإن كان لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ، فهي أن يبتعد الإسلاميون عن أبواب السلاطين ومؤسسات الردة الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية. لأن دخولها حرام لا تقره الشريعة ، ومعصية لله لا تبرره التمحكات السياسية – كما سنرى بالأدلة الشرعية لاحقا إن شاء الله – وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتوحيد على أنهم متأولين للمصالح المرسلة ، واستصحابا لحالة الاستضعاف.

وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ : (**وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا**). وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، أكبر برهان على هذا الأثر.

وأما إصلاح الصحوة الشاذة وما أفرزته من التكفير. فإن كان من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الله وينخرطوا في جهاد الكفار الأصليين وعملائهم المرتدين ويتركوا العدوان على المسلمين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العالمين للإسلام. وأسأل الله أن يصحلهم ويتولى أمر من أبى.

وأما النصيحة الخاصة بأصحاب الصحوة الغير سياسية فهي أن يركزوا على دورهم الهام جدا اليوم في ظل هجمة الاستعمار الثقافية والمنهجية. التركيز على حفظ دين الأمة بالدعوة والتعليم والاهتمام بالحفاظ على الدين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما النصيحة الإضافية الخاصة بأصحاب الصحوة السياسية فهو أن يعملوا في مجالات المقاومة المدنية والعمل السياسي والإعلامي وفق ضابطي مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السلطان ومثلث السلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).

لأنهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مواجهة الأمة.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هي صريحة وربما قاسية. بأن عالم سبتمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المواجهة.

فإما مع الحملات الصليبية من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الله إلى النار إن شاء الله و بئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جهاد ومقاومة مسلحة أو مدنية باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كل لنفسه من المعالي ما وسعه ...

وكما قال تعالى :﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت:6).

وكما قال ﷺ : (**فمن برئ فقد سلم ولكن من رضي وتابع**)..

ويوم القيامة يدرك مدرك ، ويندم نادم ، حيث لا ينفع الندم، أنهما طريقان ولا حياد ، ففريق في الجنة وفريق في السعير. ولا سواء.

ونسأل الله منازل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الوقفتين الهامتين مع مسار الصحوة السياسية والغيرسياسية فهما:

وقفة مع ظاهرة الإرجاء السياسي في الصحوة.. ووقفة مع ظاهرة الممارسات الديمقراطية عند الإسلاميين. وسنتناول الأولى هنا ونترك

نقاش الثانية لفقرة الفكر والمنهج في الباب الأول من الفصل الثامن في الجزء الثاني إن شاء الله.

1. وقفه مع انتشار عقيدة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية :

يعود ظهور مذهب المرجئة إلى ظهور علماء السلطان عند ظهور الملك وذهاب الخلافة الراشدة حيث بدأ افتراق السلطان والقرآن.

وخلاصة ذلك المعتقد المنحرف أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإعلان باللسان بعد أن اخرج أصحاب هذا المذهب العمل من مسمى الإيمان. وقالوا (الإيمان هو التصديق) (ولا يضر مع الإيمان معصية). ومن (قال لا إله إلا الله حكمنا بإسلامه بصرف النظر عما بلي به بعدها من أقوال أو أفعال). وأبطلوا كل قواعد نواقض الأيمان المفصلة بأدلة القرآن والسنة وأقوال الفقهاء المعتبرين.

روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون فقال : كيف أصبحت يا نضر ؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين. فقال : ما الإرجاء ؟ فقلت : دين يوافق الملوك ، يصيبون به من دنياهم ، وينقصون من دينهم. قال : صدقت.

وقد أخذ فقهاء السلاطين بهذا المذهب حتى أطلق العلماء المحققون على مذهب المرجئة فهو دين يعجب الملوك. فهم مسلمون بحسب هذا المذهب ، وأولياء أمور ولهم الطاعة وإن أخذوا مالك

وجلدوا ظهرك .. قالت الأمة رضينا .. هم مسلمون وقد اخذوا المال وجلدوا الظهر .. ولكن فقهاء السلاطين وسعوها عليهم قليلا؛ لتصبح وإن نهك عرضك ! وإن سفك دمك! وإن صاح بلسان الحال والمقال كما نادى سلفه :

﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:51).

! وإن صرح بعدم صلاحية الشريعة لهذا الزمان! وإن والى أعداء الله ! وإن قاتل وسير الجيوش للقتال بين أيدي اليهود والنصارى لتسفك دماء المسلمين! ..وإن ..وإن..

أليس ولي الأمر يصلي العيدين ؟ ويحتفل بالمولد النبوي؟ أليس يزني بدعوى نكاح المتعة التي قال بها بعضهم ؟ أليس إذا جرد الأحرار والحرائر المسلمات من ثيابهم في المعتقلات وعذبهم له دليل من قول علي ﷺ لرسولة حاطب ﷺ (لتخرجن الكتاب أو لنضعن الثياب)! أليس لولي الأمر أن يقتل ثلث الرعية لتسلم له الثلثين! .. وقد ورد بكل ذلك أدلة بحسب المدلسين من العلماء الدجالين اليوم .. فهذا الدين لفرط يسره قد احتوى مسيلمة!

وهكذا خرج الإمام الجليل الراحل إمام العلماء ابن عثيمين بتطوير لمذهب المرجئة ليقول: (واعجب ما شئت لما قال عن قول تكاد الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدا: قال :

(وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال ، لا شك أنه من الخطأ). ثم استدرك كي لا يظن ظان أنه قصد أولياء الأمور في بلده فهم ولله الحمد حاكموهن بالشريعة. فبين أن قصده ؛ أنه لو كفر ولي أمر في بلاد أخرى فلا يجوز الخروج...).

فرد بقوله هذا صريح القرآن ، وصحيح السنة ، ومعتقد إجماع الأمة ! لسواد عيون آل سعود وأشباههم! ثم تولى الألباني مدرسة أخرى معاصرة في مذهب الإرجاء فقال: (الخروج على الحكام في هذا الزمان هو خروج على الإسلام ذاته) ! وشهد عليهم بالإسلام. ثم قام الدجال الذي يسمونه المفتي الأعظم في باكستان (رفيع عثماني) ، ليقول أن الذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم ضد غارات الجيش الباكستاني عليهم ، ليسوا شهداء !فرد حكم حديث رسول الله ﷺ بأن من قتل دون ماله أو عرضه أو نفسه أو مظلمته أو دينه فهو شهيد. وأن الأمريكان وأشكالهم مستأمنون ذميون لا يجوز العدوان عليهم ، ولا في بلادهم .. وسحب من دار الفتوى إباحة سابقة بالعمليات الاستشهادية. وقال: نحن لا نكلف بالجهاد إلا إذا دعى إليه ولي الأمر (مشرف ..كما كان الأمر أيام ضياء الحق عندما دعى لجهاد الروس !!! وقال أن من قاتل مع الأمريكان ضد المسلمين

يأثم ولا يكفر ، وأن التشريع من دون الله ذنب ولا يخرج من الملة وهو كفر أصغر على اشد الاحتمالات !!) ..إلخ.

وقل مثل ذلك عن أئمة الدعوة وعلوم الدين من المرجئة المعاصرين في هذا الزمان من رحل منهم وأمره إلى الله ومن ما زال حية تسعى... ويلفت النظر في مدرسة الإرجاء السياسي المعاصر. أنها تحملت أن ترجئ وتعذر في تناول الملوك والسلاطين وأعمالهم ولكنها ما تحملت أن ترجئ في أعمال المجاهدين فحكمت عليهم أنهم كلاب أهل النار! ولا يروحون رائحة الجنة! وأنهم يقتلون ويصلبون وتقطع أطرافهم من خلاف وينفوا من الأرض في الدنيا!

كيف يقتلون نصرانيا محتلا جاء بإذن ولي الأمر فصار ذميا مستأمنا ومعاهدا ؟ فجاء المجرمون من الذين يدعون الجهاد فأراقوا دم هذا الصليبي (الطاهر) ! وخفروا ذمة (المرتد) الذي أمّنه ؟!

والأعجب من أمر مدرسة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية ملاحظة غريبة! وهي أن أقطابها من غلاة التصوف إلى غلاة من يدعون السلفية. كفروا بعضهم على فهم الأسماء والصفات ومذهب الأشعرية والماتوريدية والسلفية وأصحاب الحديث ... واختلفوا على ذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ! ولكنهم اتفقوا- وسبحان مؤلف القلوب - على إسلام الحاكم وأسمائه وصفاته! كما حصل

منهم في المغرب والباكستان وحيثما تواجدت المدرستان... فوسعهم في ملوك الأرض ما لم يسعهم في ملك السموات والأرض ومن فيهن!.

ويبدوا أن الباحث لا يجد مبررا لهذا المذهب إلا أن يبرر لأصحاب الدخول في مكونات الملأ لما اختاروا السياسية والعمل بالديمقراطية. فهم سيدخلون البرلمان (مؤسسة تشرع من دون الله) وسيدخلون الحكومة (مؤسسة تحكم بغير ما انزل الله) .. فكيف يجوز ذلك إن حكموا بكفر الحاكم وهم من طائفته وشركائه وملئه ؟! فما المخرج ؟! إما لا يدخلون ! وإما يحكمون بإسلامه! فاختاروا الأسهل و الأمتع! وحكموا بإسلام مرتد يبارز الله الحرب والعداء. وينازعه أخص خصوصيات الألوهية.

وإليك قصة عشتها بنفسي وهي ذات دلالة! وأوردها على سبيل المثال فقط. وإلا فالشواهد هذه الأيام أكثر من أن تحصر.

لما هاجرت من سوريا إبان انهيار الحركة الجهادية وكنت قد انتسبت للتنظيم الجهادي (الطليعة المقاتلة). آل أمري لأن أكون عضوا في تنظيم الإخوان المسلمين ثم عضوا في قيادة الجهاز العسكري للإخوان سنة 1980م. وكنا في بغداد ولم نكن بصفتنا كوادر عسكرية نعلم عما تخطط قياداتنا السياسية. ولكننا فوجئنا بهم يوقفون العمل العسكري ويحلون عمليا أجهزته ويعلنون بدء مرحلة الجهاد السياسي ويعلنون في مارس 1982م (بعد أن تسببوا في دمار حماة وتصفية المجاهدين في

عموم سوريا) يعلنون قيام تحالف وطني يضم (الإخوان المسلمين- الجبهة الإسلامية- مجموعة من علماء الصوفية المستقلين – حزب البعث اليميني التابع للعراق برعاية صدام آنذاك – الأحزاب العلمانية الفرعية) من أجل مواجهة حزب البعث اليساري النصيري في سوريا. وكتبوا لذلك ميثاقا (إسلاميا علمانيا) على قدر هوية من شكل التحالف.. ثم وُسع (التحالف الوطني لتحرير سوريا) ليدخل فيه (رفعت الأسد) النصيري أخو حافظ أسد! رفعت ! الذي كان يتولى المجازر والمقابر الجماعية للإخوان المسلمين وغيرهم من المسلمين! لأنه صار معارضا للنظام الذي يقوده أخوه ! في صراعه على السلطة معه. وتبع هذا التوجه منهاج فكري جديد وفقه جديد كان على جهاز التربية في الإخوان أن يلقنه للمجاهدين. وكتب الشيخ(منير الغضبان) من الإخوان المسلمين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية - سامحه الله-) كتب كتاب (التحالف السياسي في الإسلام) وتولى مع الشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غده ، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المرحلة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرسول ﷺ. حتى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله (عندي أزمة ! كيف أدرس الشباب هذه الكتب التي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التحالف الوطني ثم أدرسم كتاب معالم في الطريق لسيد قطب؟!)

ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثورة الجهادية في سوريا – آلام وآمال) المنشور سنة 1990م.

وفي نفس الفترة روى لي أحد الموجهين في الإخوان المسلمين الأردنيين في عمان سنة 1989م. أنه لما قرر الإخوان الأردنيون دخول البرلمان الأردني والوزارات أي السلطتين التشريعية والتنفيذية عند (جلالة) الملك حسين (المعظم) كما يردد راديو عمان ! قال لي أخونا: (إسمع هذه الأعجوبة:

لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السبعينيات. فطُلب إلي أن اعتقد كفر الملك حسين لأنه يحكم بغير ما أنزل الله. وكان كتابنا الأساسي (معالم في الطريق). وكنت قد قرأت شيئا من كتب التفسير فقرأت قول بعض التابعين عن ذلك (كفر دون كفر) وظننت أن حسين مسلم وليس كافرا، وإن كان ظالما فاسقا. فتعرضت بعد ما بحت بعلومي عن إسلام الحاكم الظالم تعرضت لمحكمة إخوانية أمهلني فيها التنظيم مدة لأعتقد كفر الملك حسين أو أفصل من التنظيم! وجُمدت عضويتي خلالها. فنظرت في الأمر وهداني الله لما هداهم إليه وأعلنت كفر الملك حسين وعدت عضوا في التنظيم. وصرت موجها فيه بعد سنين أدرس الشباب أدلة كفر الملك حسين من معالم في الطريق وغيره . وفي هذه السنة (1989–1990م) أي بعد ما يقرب من عشرين عاما على تلك الحادثة ، دخل الإخوان الأردنيون البرلمان ودخل بعضهم الوزارة. وكتب

الإخوان رسائل فقهية تشهد بإسلام حسين وجواز دخول البرلمان ، وأجاز بعضهم تولي الوزارة ولم يجز البرلمان. على مذهب سيدنا يوسف في العمل عند الفرعون وزير خزانة ! وذهب بعضهم للعكس وأجاز فريق ثالث الأمرين. ولكنهم اتفقوا مجددا على إسلام حسين حتى يحلوا مشكلة دخول السلطة).

يتابع صاحبي: (ولكنني كنت قد امتلأت قناعة على مدى عشرين سنة في الإخوان المسلمين بمسألة كفر الملك حسين ودرستُها ودرّستها، فكيف أأَسلمه الآن بمجرد بيان من التنظيم؟! فثبتُ على موقفي. وتعرضت لمحاكمة تنظيمية جديدة أُعطيت خلالها مهلة للاقتناع بإسلام الملك حسين وإلا فصلت من التنظيم!! وجُمدت خلال هذه المدة عن العضوية !) فقلت: فماذا فعلت؟ فقال: (قررت فصل التنظيم من عضويتي!! وقررت تجميدهم عن كونهم إخوان مسلمين. هؤلاء لا يمكن أن يكونوا لي إخواننا ، وما أدري ماذا بقي لهم كمسلمين؟!.)

وهكذا دخلت قواعد الإرجاء على الصحوة الإسلامية ليتبعوا سنة أصحاب النسيئة يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله !!.

هذا هو التفسير الوحيد لظاهرة الإرجاء السياسي. أهواء السياسة وفن الممكن. وضريبة التسكع على أبواب السلاطين وتصديق حديث رسول الله ﷺ :

(ومن أتى أبواب السلاطين افتتن) (وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا). هي الحقيقة بكل بساطة لقد افتتن المرجئة السياسيون في أبواب السلاطين وبعدوا كثيرا عن أصول شريعة الله. ولغة العرب واضحة : (**افتتنْ**) من (فتن) (يفتن) فهو (فتّان) و (مفتون) ...

وأما السبب الثاني، أو التفسير الثاني لظاهرة الإرجاء السياسي فهو سياط الجلاد في السجون وسياسة جلسات (الموزة) وكهرباء (السندريلا) آنفة الذكر. وتفضيل الإنتماء لتيار الإرجاء عن الدخول في تيار شدته 220 فولت !!

وأما ثالث التفسيرات.. فهو الشيطان وتلبيساته. وهكذا ، وبين تلبيس إبليس، وسياط جلاد خسيس ، ومكاسب كرسي في البرلمان التعيس، ولد هذا الفقه الخبيث. وجلس فقهاء السلاطين والدعاة المنحرفون داخل مؤسسات السلطة.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وغني عن القول أن هناك إرجاء من نوع آخر هو إرجاء العلماء المنافقين الذين كتموا ما أنزل الله عن علم . وباعوا شريعة الله وبدلوها عن فهم . بسبب بريق ذهب السلطان والطمع في قوله : ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء:42) .

وهذا إرجاء بين في طبيعته وأسبابه لا يحتاج إلى نقاش. فقد عرفنا على أصحابه كتاب ربنا عندما قال تعالى:

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحل أسفارا ..﴾ ..، عندما زاد في بيان أحوالهم بقوله:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف 175-176) .

الفصل السادس
مسار التيار الجهادي وتجاربه
(1960 – 2001 م)

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(العنكبوت:69)

وقال رسول الله ﷺ :

(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء).

وقال صلى الله غليه وسلم :

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).

وأخبر عن ثباتهم ﷺ فقال :

(لا تزال أمة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)..

الفصل السادس
مسار التيار الجهادي وتجاربه
(1960 – 2001 م)

أولا: تعريف التيار الجهادي وتصنيفه:

ابتدءا أقول: إن الأصل المتفق عليه كتعريف عام، ينص على أن الجهاد في سبيل الله هو: الجهد المبذول لتكون كلمة الله هي العليا. وهو يعني بإطلاقه القتال في سبيل الله وبذل النفس والمال في سبيل نصرة دين الله والدفاع عن المسلمين،دينهم ودمهم وعرضهم وما لهم وأرضهم.. وعليه فالقائم بهذا العمل ابتغاء وجه الله ولتكون كلمة الله هي العليا هو المجاهد في سبيل الله. وإذا اجتمع الرهط أو الجماعة من المسلمين على ذلك فهم (مجاهدون في سبيل الله).

ولكن هذا الفصل يختص بنوع خاص من هؤلاء (المجاهدين)، يحتاج أصحابه مصطلحا وتعريفا محددا يجمعهم وينسحب على مدارسهم وتجمعاتهم المتعددة، أو حتى على علمائهم وكوادرهم وأفرادهم.. وهو ما اصطلح عليه بمسمى (التيار الجهادي). وقد كنت في محاضرات وتسجيلات سابقة قد وسعت ما يشمله المصطلح عندما وصلت إلى هذا الفصل، ولاسيما في مجموعة المحاضرات المعنونة باسم (الجهاد هو الحل لماذا وكيف) وكذلك في محاضرات أشرطة الفيديو وهي من آخر إنتاجي وكانت بعنوان هذا الكتاب. فقلت فيها: أن

التيار الجهادي (**هو مصطلح شامل لكل من حمل السلاح فردا أو جماعة أو تنظيما يجاهد أعداء الإسلام تحت شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله**) وقلت في حينها أن هذا التعريف يترك جانبا مسألة المناهج والأساليب والأهداف المحدودة ويتجاوز تقيمها. وقلت أن التيار الجهادي مرحلة وظاهرة انبثقت عن الصحوة الإسلامية خلال القرن المنصرم.

ولما عدت لما كتبته أو قلته في دروسي تحت هذا التعريف المتوسع، وجدت أن التيار الجهادي الذي تناولت مساره في تلك المحاضرات- وأتناوله هنا- لا ينسحب على كل من يندرج تحت ذلك التعريف العريض (الذي يشمل كل مجاهد في سبيل الله) والذي يشكل مجموع جماعاتهم وأفرادهم وهو. ما يمكن أن يسمى بـ (الظاهرة الجهادية المسلحة). ولذلك أعيد صياغة التعريف بشكل أدق هنا فأقول:

***التيار الجهادي:**

ويشمل على التنظيمات والجماعات والتجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي و الإسلامي. باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة. بسبب حكمها بغير ما أنزل الله ، وتشريعها من دون الله ، وولائها لأعداء الأمة من قوى الكفر المختلفة ، كما تبنوا منهاج الجهاد المسلح

ضد القوى الاستعمارية الهاجمة على بلاد المسلمين معتبرين تلك الأنظمة التي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمسلمين.

ورغم أن جماعات وأفراد التيار الجهادي يشتركون مع غيرهم من مكونات (الظاهرة الجهادية) في مبدأ الجهاد المسلح ضد الأعداء الخارجيين المعتدين على أهل الإسلام وبلادهم ومقدساتهم مع الجماعات والأفراد الذين تصدوا لجهاد هؤلاء الأعداء كما في فلسطين والشيشان والبوسنة وكشمير والفلبين وإرتريا وغيرها.. إلا أنهم تميزوا بالفكر المنطلق من مبادئ الحاكمية والمفاصلة مع أنظمة الجاهلية، وبمبادئ الولاء والبراء وموقف المؤمنين من الطاغوت وأوليائه.. إلى غير ذلك مما سنعرض له من تفاصيل منهجية.

ولذلك سأصطلح على الفريق الثاني من الممارسين للجهاد ضد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والوثنين وغيرهم من أعداء المسلمين باسم (الجماعات المجاهدة). وهذه مصطلحات تصنيف وتقسيم دراسي، وليس تقسيم عقدي أو منهج تقييم.

فالأصل العقدي كما قدمت، هو أن المجاهد في سبيل الله ؛ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح واشتهر من أحاديث السنة : روى أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، الرجل

يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

(**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**)(رواه مسلم).

وقد أذكر المصطلح باختصار في ثنايا البحث بقولي (الجهاديين) إشارة إلى المنتمين للتيار الجهادي - وقد اشتهر هذا المصطلح - وبقولي (المجاهدين) إلى أفراد الصنف الآخر. ولا يغيب عن الذهن أيضا أن هذا التصنيف هو بحكم الغالب في المجموع، فقد يحتوي التيار الجهادي من لا يحمل تفاصيل فكره ومنهجه وهذا قليل. وقد يحمل فكر التيار الجهادي أفراد من جماعات مجاهدة للكفار الأصليين من المستعمرين والأعداء الخارجيين وهذا كثير، ولاسيما في الجماعات المجاهدة التي انبثقت عن أصول جماعات الإخوان المسلمين أو جماعات التيار السلفي .. ولكن توجه تلك الجماعات كان للأعداء الخارجيين ولم تتبن منهجا معلنا في ذلك لأسباب حركية وسياسية .. في الغالب، أولأسباب منهجيه أحيانا.

إذن أعود بعد هذا التفصيل لاختصار التعريف فأقول:

(الجهاديون) أو(**التيار الجهادي) هم الجماعات أو الأفراد الذين حملوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي، أو ضد الأعداء الخارجيين، وحملوا فكرا محددا يقوم على**

مبادئ الحاكمية وقواعد الولاء والبراء وأساسيات الفكر الجهادي السياسي الشرعي المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم.

وإذا أردنا أن نقوم بعملية تصنيف للجماعات والأفراد الذين مارسوا الجهاد المسلح خلال النصف الثاني من القرن العشرين وإلى اليوم والذين يشكلون بمعظمهم ما أصطلح عليه باسم (الظاهرة الجهادية المسلحة) تصنيفا عموميا لأخذ فكرة أكثر تحديدا عن فحوى التعريف السابق نجد أن بالإمكان إجراء نوعين من التصنيف:

الأول: وفق مجالات جهادها والعدو الذي استهدفته.

والثاني: وفق مناهجها في التفكير والاعتقاد والمنهج السياسي الشرعي.

ولكن قبل ذلك يجب أن نلفت النظر إلى التفريق الهام بين الجماعات المجاهدة أو الجهادية، وبين تلك التنظيمات التي تحمل السلاح تجاه مختلف أشكال أعداء الأمة، ولكن ليس جهادا في سبيل الله وليس لإعلاء كلمة الله، أو أداء لفريضة الجهاد بقصد الواجب الديني كعبادة .. وإنما لدوافع مختلفة قد تكون (وطنية تحررية)، أو لدوافع (سياسية) ضد حكومات دكتاتورية، من أجل تبديل النظام اللاديني القائم، وإقامة نظام لا ديني آخر يقوم على مبادئ القومية أو الوطنية أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الشيوعية .. أو سوى ذلك من المذاهب السياسية والفكرية العلمانية المعاصرة..

فهذه الأخيرة منظمات نضالية أوكفاحية وليست مجاهدة ولا جهادية. وقد يكون حمل السلاح لأسباب من الرجولة والحمية أو شجاعة أو رياء ومفاخرة ... إلى آخره. ولا يعتبر عملها الذي قد يكون محمودا من وجهة النظر الوطنية أو التحريرية أو النضالية.. ولكنه ليس عبادة يثاب فاعلها عليها، ولا أجر له في الآخرة، وليس قتله شهادة في سبيل الله، وإنما هجرته وقتله إلى ما هاجر إليه بحسب نيته. بل قد يكون آثما أو مرتدا بحسب الأهداف التي قاتل من أجلها .. فالجهاد ؛ هو ما كان في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والشهيد كما عرفه رسول الله ﷺ هو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

وأما المجاهدون الذين يشكلون أفراد الظاهرة الجهادية. فهم الذين يقومون بالقتال في سبيل الله تعبدا لله، وأداء لفريضة افترضها الله على المسلمين في أحوال محددة. فيقومون بالجهاد كفعل ديني عبادي. وهذا أمر يجب أن يكون واضحا. وأما تصنيف أنوع المجاهدين اليوم فعلى الشكل التالي بناء على ما أسلفت، مما يساعد على تعريف التيار الجهادي وتميزه عن غيره من مكونات (الظاهرة الجهادية المسلحة المعاصرة) عموما.

ثانيا: تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية:

تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مجالات جهادها والأعداء الذين جاهدهم:

1. **التيار الجهادي: أو (الجماعات أو التنظيمات الجهادية): أو (الجهاديين):**

وهي الجماعات الأفراد الذين تبنوا فكرة جهاد الحكومات الطاغوتية المرتدة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله على أنقاضها. أو دفعا لظلمها الواقع على المسلمين، بناء على فكر جهادي سياسي شرعي محدد سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أخرى من الجهاد كدفع الصائل وجهاد الأعداء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة و الشيشان وسواها. ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التنظيمي). يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة على الجهاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

2. الجماعات أو التنظيمات المجاهدة :

وهي المنظمات والجماعات التي تخصصت في جهاد الأعداء الصائلين على بلاد المسلمين وخاصة اليهود (كما في فلسطين)، أو الصليبيين المحتلين كالأمريكان (كما في جزيرة العرب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيين عموما، أو الملحدين كما الروس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشيشان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا... أو أي نوع من الأعداء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنية، ولكن على أساس إسلامي وجهادي كما أسلفنا، وبهدف تحرير تلك البلاد، ثم إخضاعها للحكم الإسلامي، أو دفاعا عن الدين والأرض والعرض والنفس والمال.. كعبادة وفريضة شرعية.

3. الجماعات والأفراد المجاهدين من أجل تغير المنكر بالسلاح أو لدفع المظالم:

وغالب هذه الظاهرة يقوم على الجهاد الفردي والمبادرات الشخصية، وغالبا ما لا يكون لها جماعات محددة أو أمير، وإنما أفراد أو شراذم صغيرة تقوم بأعمال جهادية مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداء لفريضة عبادية وبناء على تصورات ودوافع دينية، لإزالة منكر هنا أوهناك، كتدمير مواقع الخمر أو الزنا أو

المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظلم أو العدوان على المسلمين ، أو على دينهم وشعائرهم ومقدساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر التي يعتبرونها منكرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب ..

ولست هنا بصدد تقيم الصواب أو الخطأ أو الجدوى من هذه الأعمال، وهل حققت الهدف من إزالة المنكر، أم أدت إلى مناكير أكبر.. ولكني أذكر هذا الصنف هنا نوع من أنواع المجاهدين الذين قاموا بذلك كعبادة وأداء لواجب ديني، وهذا أصل نيتهم.

- **تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مناهجها في التفكير والسياسة الشرعية:**

وتنقسم بصورة رئيسية إلى نوعين رئيسيين:

1. **جماعات منهجية:**

وهي التي لها منهج فكري سياسي شرعي محدد ومفصل، وموقف شرعي من عموم المسائل السياسية الشرعية أو العقدية والفكرية عموما.

2. **جماعات غير منهجية:**

وهي الجماعات التي اجتمع أفرادها على أداء فريضة الجهاد لهدف من الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصائل أو إزالة المنكر أو دفع

المظالم أو قتال حكومة أو سوى ذلك، و على حمل السلاح من دون أن يكون لها منهج سياسي شرعي مفصل يحدد الموقف من المسائل السياسية وغيرها.

وتنقسم الجماعات الجهادية المنهجية إلى ثلاث أقسام رئيسية:

1. **الجماعات الجهادية الحركية:**

ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الولاء و البراء والحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان.

2. **الجماعات الجهادية السلفية:**

وهي الجماعات الجهادية التي ضمت إلى الفكر السابق، الاعتماد على عقائد السلف وفق فتاوى الإمام ابن تيمية وأمثاله من أقطاب المدرسة السلفية، واعتمدت فقه الدعوة النجدية وأفكار الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأفكار من سار على هذا المنهج ممن جاء بعدهم.

3. الجماعات المجاهدة الإصلاحية والتربوية (الصوفية الجهادية – جماعات العلماء الجهادية...):

وهي الجماعات التي قامت على أسس تربوية ومنهجية علمية أو مذهبية أو طرقية وتكون لها كيان تنظيمي وارتبط أعضائها ببيعة إلى رئيسهم أو شيخهم أو قائدهم .. ثم حملت السلاح للجهاد ضد الأعداء الخارجيين غالبا، أو في مسائل داخلية أحيانا.

كما تنقسم الجماعات الجهادية غير المنهجية إلى قسمين:

1. جماعات مجاهدة منظمة:

وهي الجماعات التي يرتبط أفرادها ببيعة وأمير وقيادة. وتقوم لها هياكل إدارية تنظيمية. ويربط أفرادها القضية الجهادية التي اجتمعوا عليها، كدفع الصائل أو إزالة أي منكر من المنكرات، أو التصدي لأي شكل من أشكال أعداء الإسلام والمسلمين. ولكن من دون أن يكون لهم منهج فكري محدد للاعتقاد والتربية..

2. كتل وأفراد وتجمعات مجاهدة غير منظمة:

وهي محاولات الأفراد أو الكتل الصغيرة والشراذم المجاهدة التي قام أعضاؤها هنا وهناك بأعمال جهادية مشروعة، ولكن دون أن يكون

لواحدهم أو مجموعهم فكر محدد ولا منهج اعتقاد وتربية، أو رابط يربط بين أعضائهم.

وهذا الفصل الذي نحن بصدده يركز على دراسة بعض ملامح وتجارب التيار الجهادي المسلح بشكل محدد. وهو أبرز وأهم مكونات الظاهرة الجهادية المسلحة. وأكثرها أثرا بل يشكل أساس الظاهرة، والجانب الأهم فيها من حيث الحجم والأثر ومستقبل المواجهة بيننا وبين أعدائنا والله أعلم.

- **ثالثا: نشأة التيار الجهادي المعاصر ومراحل تطوره فكريا وحركيا (1960–2001م):**

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التيار الجهادي نتاجا طبيعيا للتطورات السياسية لمرحلة ما بعد الإستقلال(الشكلي) عن الإحتلال في بلاد العالم العربي والإسلامي. كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإسلامية المعاصرة ، التي كانت قد انطلقت منذ سقوط الخلافة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات. أي قبل ميلاد التيار الجهادي بنحو ثلاثة عقود على الأقل. بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصحوة الإسلامية وأحوال كل بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السياسية عموما...

فكما مر معنا في الفصلين السابقين. فقد تولى الإستعمار الحديث للبلاد العربية والإسلامية تحطيم مقومات المقاومة والنهضة في الأمة بعد إسقاط الخلافة، وتمكن من تحطيم مقومات المرجعيات السياسية والدينية والاجتماعية في غالب بلاد العالم العربي والإسلامي. وأدت النقلة النوعية في أسلوب الإستعمار، من الإستعمار القديم أو (العسكري المباشر) لبلاد المسلمين إلى أسلوب الإستعمار الحديث (الاقتصادي والسياسي والثقافي)، وتنصيبه لحكومات الردة من أجيال العلمانية أو من التجمعات الخائنة العميلة) نائبة عنه في تحقيق أهدافه...

وأدى ذالـك إلى خـروج الأمـة مـن ميـدان الصـدام لخفـاء دور المستعمر الخارجي وتولي الحكومات (الوطنية) المحلية للحكم ... وبحكم طبائع الأشياء كان لا بد لتلك الحكومات من أن تصطدم مع مختلف مكـونات الصـحوة الإسـلامية الـتي قامـت أساسـا مـن أجـل العـودة بالمسلمين بشكل أو بآخر- بحسب كل مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء على تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقـد قامـت حكومـات الإستقلال كلهـا بـلا استثناء في بـلاد العـالم العـربي والإسـلامي، علـى أسـس علمانيـة تفصـل الـدين عـن الدولـة. وحكمـت جميعهـا بغير مـا أنـزل الله، وتـولى المـارقون مـن أبنائهـا مهمـة التشـريع مـن دون الله، كمـا تولـوا مهمـة العمالـة والـولاء لأعـداء الأمـة وخدمـة أهـدافهم جهـارا. هـذا بالإضـافة إلى مـا تحلـت بـه كـل تلـك الحكومات بلا استثناء من مواصفات الظلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسلوكي وغير ذلك ..

وزرع الإسـتعمار الكيـان الصـهيوني في قلـب العـالم الإسـلامي في فلسـطين، وقامـت دولـة إسـرائيل عـام 1947م رسميـا علـى معظـم أرض فلسـطين، ثم أتمـت إسـرائيل احتلالهـا بالإضـافة إلى أجـزاء مـن مصـر وسوريا والأردن ولبنان سنة 1967م.

وشـكلت قضـية فلسـطين عبئـا ضـخما في وجـدان العـالم العـربي والإسلامي.. ورسخ الإستعمار الغربي احتلاله الاقتصادي للعالم العربي

والإسلامي واستنزف خيراته... ودعم وحفظ الحكومات الديكتاتورية التي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصحوة الإسلامية وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الذي عقب مرحلة الإستعمار ... وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها كما رأينا في الفصل الخامس.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحل يكمن في التربية والإصلاح واعتزال السياسة ... رأى آخرون الحل والإصلاح في اقتحام ميادينها من البوابة المشروعة (قانونا)، من خلال ما تتيحه تلك الحكومات .. رأى الفريق الثالث (والذي نحن بصدده في هذا الفصل) أن الخرق قد اتسع على الراقع، وأنه لا بد من حمل السلاح لعلاج هذه الأوضاع .. لاسيما بعدما أثبتت تلك الحكومات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظافر الصحوة دائما عبر تصفية قياداتها باغتيال زعمائها أو زجهم في السجون لعشرات السنين، ومطاردة أتباعهم وتضييق كل سبل الدعوة إلى الله حتى السلمية منها .. وهنا .. بدأت تتبلور الأفكار الأولى لميلاد التيار الجهادي المعاصر .. نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن المنصرم..

كانت حركة الإخوان المسلمين (بصورة رئيسية) المحضن الطبيعي الذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر. فقد كونت دعوة

حسن البنا رحمه الله مناخا مناسبا لهذه التطورات. ولا أدل على ذلك من شعارها الذي اختصر منهجها (الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، رغم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكري والمنهجي، من مؤثرات صوفية وسلفية ووطنية وديمقراطية وسوى ذلك. كما شكلت ممارساتها الجهادية المبدئية دليلا آخر على صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التيار والفكر الجهادي في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المسلمون في مصر وسوريا في حرب فلسطين سنة 1947- 1948م. وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهو الجهاز العسكري للجماعة لأهداف جهادية، وقد قام أعضاء هذا الجهاز بعد اغتيال حسن البنا رحمه الله سنة 1949م بقيادة وإدارة المقاومة السرية في قناة السويس وما حولها مطلع الخمسينيات. وشارك الجهاز في دعم حركة عبد الناصر والضباط الأحرار بالإطاحة بالملك فاروق. ولكن هذا الهالك كان قد رتب مع أعداء هذه الأمة برنامجه الذي تضمن تصفية الحركة الإسلامية في مصر وطليعتها حركة الإخوان المسلمين.

فقام بسجن قيادتهم والآلاف من قواعدهم سنة 1954م ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة 1965م وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام

الآخر لحركة الإخوان المسلمين .. فقد عصفت الانقلابات العسكرية بحكومات الإستقلال الوطنية الديمقراطية التي توالت منذ 1946م. ومنذ 1954م توالت الانقلابات التي رعتها المخابرات الأمريكية وتجاربها في سوريا، إلى أن تم تجهيز الأجواء لحزب البعث العربي الاشتراكي ليقوم بانقلابه سنة 1963م. وكان على أولى أولوياته تصفية الصحوة الإسلامية من الإخوان وغيرهم، ومحاربة الإسلام بكل مكوناته .. وشكلت مصر وسوريا المحضن المبكر لميلاد وتبلور فكر الجهاد ونظريات عمله، وتكررت هذه الصورة في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي. وعملت تلك التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية وحملات التغريب والعلمنة التي قامت بها الحكومات المختلفة على طرح مسائل هامة على فكر الصحوة الإسلامية ومنهجها..

ففي الباكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ العبقري الفذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله مادة أساسية لتبلور فكر الجهاد .. فقد انتقد رحمه الله الحالة البليدة التي تعيشها الأوساط الدينية التقليدية في باكستان .. وطرح عبر كتبه ومقالاته وجريدة حركته التي أسسها باسم(الجماعة الإسلامية في باكستان) كثيرا من أهم المسائل السياسية الشرعية، وعرض واقع المسلمين المعاصر من خلالها.. وكتب عن مقتضيات شهادة التوحيد .. وعن أسس الولاء والبراء .. وعرف الجهاد وأغراضه وأهدافه .. وكتب حول ميلاد الدولة

الإسلامية ومميزاتها وعن دستورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها. وأشتمل أحد أهم كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) على كثير من أساسيات الفكر الجهادي المعاصر..

ولكن رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بلا منازع والذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التفكير ونظريات الحركة في (التيار الجهادي المعاصر) كان بلا شك الأستاذ الشهيد المعلم (سيد قطب) رحمه الله. الذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا وباحثا ناقدا لا معا. وعاش نضوج الفكر خلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والستينات، وهي زوال الملكية وثورة الضباط الأحرار. واحتلال فلسطين والعدوان على مصر .. واحتك عن قرب بالإخوان المسلمين وتأثر بحركتهم. وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكا أثر بالغ في اكتشافه لطبيعة الحملة الصليبية المعاصرة على العالم العربي والإسلامي، بالإضافة لما حباه الله من بصيرة نافذة .. وقلم أخاذ وروح شفافة .. وقد شكلت أجواء السجن الذي زجه فيه عبد الناصر مع أكثر قيادات الإخوان المسلمين منذ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات .. المحيط العام الذي خط فيه كتاباته الرائعة التي تعد بحق الأساس الفكري والمنهجي للتيار الجهادي المعاصر في العالم العربي والإسلامي .. فقد ضم كتابه الفريد (في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسرون من الآثار،

خلاصة النظريات الحركية للفكر الجهادي المعاصر، وخلاصة ما أراد سيد طرحه من مفاهيم. وكان كتابه (معالم في الطريق) هو الأهم على صغر حجمه، وحوى خلاصة ذلك الفكر وطروحاته الجهادية الانقلابية الثورية. وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الأخرى من مثل كتاب (خصائص التصور الإسلامي) و(هذا الدين) و(جاهلية القرن العشرين) وغيره .. منهجا متكاملا لفكر جهادي حركي معاصر يناسب تلك المرحلة.

كان فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكري للصحوة الإسلامية عموما وللإخوان المسلمين خصوصا. وكان على الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات..

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا .. فقد كانت نظرياته في الحاكمية والولاء والبراء، والمفاصلة مع الجاهلية والتمايز في الهوية والمنهج.. مفرقا هاما كان على الإخوان أن يقرروا السير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتى عن ثوابت أساسية كان عليها المنهج عندهم.

واختار الإخوان الطريق الثاني تجنبا للصدام مع السلطة وبدت آثار السجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكرية الجديدة. فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا على كتاب (معالم في الطريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار

المواجهة والصدام مع الجاهلية التي يجسدها النظام السياسي القائم، وما يفرض على المجتمعات من تحول .. وهنا افترقت حركة الإخوان المسلمين والصحوة السياسية المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين .. فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد..

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجديد وبداية مسار التراجع الذي ابتدؤوه من حينها، وكانت خلاصة نظريته أن رواد الصحوة الإسلامية عبارة عن دعاة إلى الإسلام والإصلاح، وليسوا قضاة على الحكام والناس وما هم فيه من أحوال، حتى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه. وشكل هذا الكتاب أحد أهم مرتكزات الإرجاء السياسي المعاصر في الحركة الإسلامية الناهضة، حيث شملت شهادته بالإسلام السلطات المرتدة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين وهذين الفكرين بداية لتشكيل المدرستين الرئيسيتين في الصحوة الإسلامية، وهما المدرسة السياسية، والمدرسة الجهادية. وأدى هذا الجو الفكري -كما بينا آنفا- إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا على هامش تلك الصراعات الفكرية وقد سبق بيانه.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكري للصحوة السياسية. وأعود للسير مع التيار الجهادي وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته..

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهوية الفكرية للتيار الجهادي، إلا أن كتابات هامة أخرى قد برزت في تلك المرحلة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانوني الشهيد عبد القادر عوده رحمه الله، الذي أعدمه عبد الناصر، وكذلك كتابات الشيخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله وغيرهم ... ، وقد حاول سيد قطب رحمه الله وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهادي سري يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشباب المجاهد الذين كان معظمهم أعضاء في الإخوان المسلمين ، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعدم بتهمتها رحمه الله. ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كان قد رآها في سجنه. فقد روى بعض معاصريه في السجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته التي يكتب عليها والذي يحوي الأوراق التي خط عليها أفكاره ... ينفتح و تأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطير بها في كل اتجاه ... فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدنيا .. وأما القول الذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قال الشهيد المعلم سيد قطب رحمه الله تعالى:

(إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها

وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة. والناس لا يتبنون الأموات)..

وهكذا انتشر فكر سيد في كل الدنيا .. ولقد رأيت كتابه معالم في الطريق في أفغانستان مترجما للغة البشتو والفارسية .. بل لقد بلغني أن أحد المجاهدين القدماء أيام جهاد الروس دخل إحدى المدارس في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش على الحدود الشمالية لكشمير والصين قريبا من بدخشان وممر واخان ، تقع على ارتفاع أكثر من 5000 متر عن سطح البحر .. في منطقة لم يدخلها من مقومات الحضارة شيء ،لا ماء ولا كهرباء ولا سواها. وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية !!.

فسبحان الله !! لقد حملتها عصافير الحق المهاجرة... وحطت بها هناك منذ عشرات السنين بعد إعدامه رحمه الله .. ولعله لا يوجد اليوم لغة حية من لغات المسلمين، إلا وقد ترجم إليها كثير من كتب سيد رحمه الله، فضلا عن اللغات العالمية. هذا العملاق الذي أدرك الصليبيون اليوم وزعيمتهم أمريكا في حملتها لمكافحة الإرهاب أثر فكره. فجعلوا مكافحته والنيل منه وتشويهه أحد أهم مرتكزات حملتهم الفكرية الإعلامية الحالية وهجومهم على مناهج التربية والتعليم عامة في بلادنا وعلى مناهج التعليم الديني خاصة.

وأما في سوريا. المحضن المهم الثاني لمنشأ الصحوة الإسلامية و(التيار الجهادي المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة (1960-1965م)

الشيخ الشهيد مروان حديد رحمه الله. وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المسلمين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشيخ مروان حديد رحمه الله بأن بلاء كحزب البعث الذي بدأت تغلب على قيادته العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء على الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجهاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشيخ مروان كاتبا وإنما خطيبا بارعا وشاعرا حركيا مجاهدا. فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب الله) كما أسماه أولا، والذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين). وقام بمحاولة جهادية قمعتها دبابات السلطة البعثية سنة 1965م... ثم عاود الكرة سنة 1970م ثم ما لبث أن اعتقل ثم أعدم سنة 1975م رحمه الله.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهادية معاصرة ضد حكومة في العام العربي (1975-1982م). وظهر في الإخوان المسلمين في سوريا الشيخ (سعيد حوى) رحمه الله وتتالت كتبه التي حملت الفكر الجهادي وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات.. وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء). وكان منها كتب ؛ (الله) (الرسول) (الإسلام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) وكان من أهم كتبه التي نظرت للفكر الجهادي؛ كتاب(خطوة للأمام على طريق الجهاد المبارك)، وكتاب (جند الله

ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند الله تنظيما وتخطيطا). وهي قمة عطائه الفكري الجهادي... حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكريا نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهادي في سوريا. انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له.

وأعتقد أن من هناك .. من مصر والشام كانت البداية .. أما في معظم باقي بلاد العالم العربي .. فقد كانت الظروف السياسية المحلية متشابهة والحالة الاستعمارية كذلك أيضا وانشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السودان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار.

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر.. وبحكم تقدم نظام التعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربي كله تقريبا، استقدمت كافة دول الجزية العربية المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التعليم الأولى (الابتدائية.. والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها .. وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا، ولاسيما الجزائر خلال ثورة (التعريب) التي قام بها الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمواجهة سياسة الفرنسة التي فرضتها فرنسا على مدى 130 سنة من الإستعمار.. استقدمت تلك الدول المدرسين أيضا من مصر وسوريا..

ونظرا إلى أن دعوة الإخوان المسلمين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا.. كان كثير من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم .. فكان هذا من أهم أسباب حمل الدعوة الأم ، وهي الركن الأساسي في الصحوة السياسية والجهادية من بعد إلى تلك البلاد، بالإضافة لانتشار ظاهرة الصحوة الإسلامية المحلية عموما في كل تلك البلاد وانتشار ظاهرة الكتاب الإسلامي والاتجار به، وكثرة المطابع والصحف، ونشاط الحركة الثقافية في العالم العربي والإسلامي إبان مرحلة الإستقلال.

وهكذا هبت رياح الصحوة الإسلامية ومدارسها على بلاد العالم العربي والإسلامي، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر والتأثير..

ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي. ومحضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي)- نسبة إلى سيد رحمه الله- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ مُحَّمد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المسلمين في

السبعينات من مختلف البلاد.. أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية ، من بلاد نجد والحجاز.. التي دعيت زورا (السعودية).!

فقد قامت الدولة السعودية الثالثة -كما سبق الإشارة لذلك- بتخطيط ودعم من الإنكليز، وتوج الملك عبد العزيز آل سعود سلطانا على بلاد نجد والحجاز وما ألحق بها،وتكونت المملكة العربية السعودية سنة 1935م. وكانت البضاعة الرائجة التي استولى عليها عبد العزيز، لتكون مادة دعايته وخداعه للناس هي ، زعمه إحياء دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله. التي كان قد قضي عليها تقريبا، بإسقاط الدولة السعودية الثانية خلال صراعها مع الخلافة العثمانية، التي استعانت بحاكم مصر آنذاك مُحَمَّد علي باشا لهذه المهمة.

وورث أولاد عبد العزيز بعده عملية التجارة بالدعوة الوهابية.. وكان لله بهم و بأعداء الإسلام مكر لطيف. فقد تابع الأبناء بعد أبيهم التجارة بالدعوة الوهابية. وأقاموا المؤسسات الكثيرة وبذلوا جهودا كبيرة وأموالا طائلة لهذا الغرض. وقد عمل في هذا المجال كثير من المخلصين للدعوة والدين..

وهكذا تتلمذ جيل من رجال الصحوة الإسلامية خلال العقود الثلاثة في الستينات والسبعينات والثمانينات، على كبار العلماء الذين ورثوا الدعوة الوهابية وحملوها.

وبوجود الأجواء المناسبة والأموال الطائلة بسبب طفرة النفط في تلك الفترة. ازدهرت الدعوة الوهابية بدعم من الحكومات السعودية المتعاقبة.

فأحييت دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب وكبار أئمة الدعوة النجدية،أخرجت كتبهم القيمة،كما أحيي تراث الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكذلك كتب غيرهم من دعاة العقيدة السلفية ومدرسة أهل الحديث ، وتولت الحكومة السعودية طباعة وتوزيع ملايين النسخ منها عبر السنين..

وتولت المؤسسات الدينية الحكومية والأهلية والجامعات السعودية طباعتها ونشرها وتدريسها وبثها في كل بلاد العالم الإسلامي.. وقام على هذا العمل علماء مخلصون كثيرون وعلماء أفاضل من أهل الجزيرة وممن تتلمذ على أيديهم ..

كان مدار الدعة الوهابية والعقيدة السلفية كما هو معلوم على إحياء فقه الدليل ومنهاج أهل الحديث وعقائد أهل السنة والجماعة. والتركيز على محاربة البدع والانحرافات التي اندست عبر كثير من الطرق الصوفية المنحرفة وما خلفته من الركود والاستسلام والتخلف الفكري. كما ركزت هذه الدعوة على مسألة الولاء والبراء. ومناصرة أهل الإيمان ومعادات الكفار من اليهود والنصارى والمشركين وأوليائهم من المنافقين .. كما تركز هذه الدعوة كما هو معروف على تجريد التوحيد وإفراد الله

وتوحيده بربوبيته ألوهيته .. وتنزيهه بأسمائه وصفاته. والتشديد على تكفير من نازع الله في ربوبيته أو ألوهيته بتشريع أو شرك أو حكم مناف لحكمه .. الخ ..

وكان من سياسة السعودية، لأغراض الحكام الدعائية التي التقت مع أغراض الدعاة المخلصين استقدام مئات ألاف الطلاب الأجانب من مختلف بلاد العالم الإسلامي كوافدين للدراسة ، وفتح باب المنح الدراسية لهم في الجامعات السعودية المتخصصة في التعليم الدين. مثل جامعة الإمام مُحَّد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وغيرها.

وفي تلك الأوساط تخرج مئات ألاف الطلاب من الشباب المسلم حاملا تلك الأفكار عائدا إلى بلاده منذ مطلع الستينات وإلى الآن حيث تحول الحكومة السعودية تغير هذه النهج تجاوبا مع برنامج أمريكا في تغيير البنية الفكرية والثقافية للمسلمين في إطار حرب الأفكار خلال حربها الشاملة على ما تسميه الإرهاب والتطرف والأصولية في العالم العربي والإسلامي.

وكما ذكرت فقد كان قد ذهب إلى السعودية من مصر وسوريا خلال تلك الفترة آلاف المدرسين ، وكان كثير منهم من دعاة الإخوان المسلمين ، ومن رواد الصحوة الإسلامية عموما.

كما صارت السعودية في عهد الملك فيصل خاصة مهجرا طبيعيا للمطاردين والمنفيين من قيادات الإخوان من مصر في عهد عبد الناصر، حيث كان فيصل في حرب معه. كما فر إليها كثير من دعاة ومشايخ الإخوان من سوريا بسبب اضطهاد البعثيين منذ أواسط الستينيات.. وعمل أكثر هؤلاء مدرسين في الجامعات الإسلامية في السعودية.

وحصل هناك تمازج هام جدا خلال العقود الثلاثة الهامة من عمر الصحوة (1960- 1990م). بين الفكر الحركي لمدرسة الإخوان المسلمين وخاصة القطبية منها، وبين الفكر العقدي والتراث الفقهي للدعوة السلفية ، والمدرسة الوهابية.. ثم انطلق هذه التمازج عائدا إلى مصر والشام ثانية ثم إلى باقي العالم العربي والإسلامي.

وقد ولد هذا التمازج مدرستين هامتين جدا في الصحوة الإسلامية منذ أواسط السبعينيات ، وهما:

- **المدرسة السرورية:**

(نسبة إلى اسم أحد أوائل دعاتها) ، ويقوم منهجها على مزيج من الحركية الإخوانية والفكر السلفي الوهابي. وهي مدرسة تنظيرية فكرية سياسية دعوية ، لم يكن لها عمليا تحرك يمكن أن يسجل له تجربة عملية. ولسنا هنا بصدد الحديث عنها.

- **مدرسة (السلفية الجهادية):**

والتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحركي الجهادي القطبي، مع تبني العقيدة السلفية ومنهج الدعوة الوهابية. وهي الهوية الفكرية المنهجية الرئيسية التي طبعت التيار الجهادي خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التيار الذي نحن بصدده في هذا الفصل.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمية في فهم الهوية الفكرة للتيار الجهادي المعاصر..

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السياسي التربوي ، والحركية القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء على مبادئ الحاكمية .. البعد السياسي الشرعي والحركي في منهج التفكير في التيار الجهادي المعاصر.

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدعوة الوهابية وإنتاجها الفقهي، الأرضية الفقهية والعقدية التي أجابت على أكثر المسائل السياسية الشرعية العالقة التي طرحها وأثارها المنهج الجهادي الحركي ودعوته للمواجهة مع الأنظمة الجاهلية الحاكمة في العالم الإسلامي من قبيل إقامة البرهان الشرعي على كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المسلمين.. ثم تسلسل الأحكام الشرعية تبعا لذلك ، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم

وقتال أعوانهم ... إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشرعية المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصحوة الإسلامية المنهج الديمقراطي.. وطرحت تصورات شتى للإجابة على مسألة المشكلة والحل في واقع المسلمين المعاصر.. ودخلت مدارس الصحوة الإسلامية المختلفة في مساجلات فكرية وفقهية كثيرة.. شكل فقه الإمام ابن تيمية والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهادي في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجزالقول ونلخص البنية الفكرية للتيار الجهادي المعاصر بالمعادلة التالية:

أساسيات من فكر الإخوان المسلمين + المنهج الحركي للشهيد سيد قطب + الفقه السياسي الشرعي للإمام ابن تيمية والمدرسة السلفية + التراث الفقهي العقدي للدعوة الوهابية ←

المنهج السياسي الشرعي الحركي للتيار الجهادي.

ولقد كان الميدان الأساسي لنضوج هذه المكونات الفكرية المنهجية خلال السبعينيات والثمانينيات في مصر والشام والجزيرة العربية وخاصة في بلاد الحرمين. ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا ، مع الإشارة إلى أنه كان لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد

العرب والمسلمين وطبيعة مكونات الصحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طيعة الفكر الجهادي الذي ولد فيها وطبيعة التجربة تبعا لذلك.

فقد كان التأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن ، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النظام الأمني الصارم فيها، كما كان التأثير محدودا في دول الخليج العربي والسعودية بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها ، وبسبب قلة السكان وركود الحياة الفكرية والثقافية فيها آنذاك.. أما ليبيا وبلاد المغرب العربي فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصحوة الإسلامية فيها إلى مطلع السبعينيات ، بحكم ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها وعمق التأثير الغربي للاستعمار الفرنسي فيها .. على أنه سجلت محاولات جهادية مبكرة في المغرب (1963م) ، وفي الجزائر (1973م) .. من غير أن يكون للمد الفكري للتيار الجهادي المشرقي المولد والذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك. وكذلك كان التأثير محدودا في القرن الإفريقي والصومال نتيجة ظروفها.. حيث انتقلت معظم مؤثرات الصحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدول العربية المجاورة مثل السعودية ومصر والسودان وتأثروا بأفكار الصحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصحوة المحلية وظروفها..

كذلك كان الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإسلامي مثل أندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط إفريقيا.. وكذلك دول الجمهوريات السوفيتية في وسط آسيا والقفقاس..

أما أكثر دول العالم الإسلامي تأثرا وتأثيرا في الصحوة الإسلامية وعموم مدارسها في العالم العربي فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال..

أما التيار الجهادي من حيث ميلاد الفكر وانتقال أصحابه إلى ميدان التطبيق والمواجهة مع الحكومات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدة مثل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ... في كل بلد.. بالإضافة إلى مستوى ونوع الصحوة الإسلامية ووصول المؤثرات الفكرية للتيار الجهادي لذلك المكان ..

ثم جاءت تجربة الجهاد الأفغاني (1984- 1992م) لتتكون المدرسة الجهادية التي دعي أصحابها بـ (الأفغان العرب) ، ليدخل التيار الجهادي مرحلة العولمة كما سنرى في الفقرة التالية إن شاء الله.

وقد قامت محاولات جهادية للعديد من جماعات التيار الجهادي ضد بعض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربي والإسلامي، بمستوى وحجوم مختلفة منذ مطلع الستينات وإلى نهاية القرن العشرين ، يمكن ذكر أهمها بحسب تسلسلها الزمني وبحسب ما يحضرني كما يلي:

- **أهم المحاولات والتجارب المسلحة للتيار الجهادي (1960–2000م):**

(1)– حركة الشبيبة المغربية في المغرب الأقصى (مراكش). بقيادة الشيخ عبد الكريم مطيع . ضد حكومة الملك الهالك الحسن الثاني سنة (1963م).

(2)– محاولة الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله وتنظيم الجهاد ضد حكم عبد الناصر في مصر سنة (1965م).

(3)– حركة الشيخ الشهيد مروان حديد رحمه الله ضد حكم البعث في سوريا سنة (1965م).

(4)– حركات الجهاد ضد الأنظمة الشيوعية في أفغانستان قبل الإحتلال السوفيتي (1965–1975م).

(5)– تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحرب الأهلية 1972م.

(6)– حركة الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ الشهيد مصطفى بويعلي رحمه الله في الجزائر (1973–1976م).

(7)– الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشيخ مروان حديد (1975–1982م).

(8)– حركة تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ضد أنور سادات ثم ضد خلفه حسني مبارك (1981–1997م).

(9)– المحاولة الجهادية ضد حكم القذافي في ليبيا (1986م).

(10)– بعض المحاولات الجهادية المحدودة والمحاولة الانقلابية للجهاز العسكري لحركة الإتجاه الإسلامي في تونس.(1986م).

(11)– التجارب الجهادية للجماعات المتعددة في الجزائر إبتداء من سنة (1991م).

(12)– المواجهات الجهادية ضد نظام الحكم الشيوعي في طاجيكستان منذ (1992م).

(13)– المحاولات الجهادية المحدودة في بلاد الحرمين (السعودية) منذ (1994م).

(14)– المواجهات الجهادية في ليبيا (1994–1996م) وتجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة.

(15)– الإنتفاضة المسلحة لـ (حركة نفاذ شريعة) شمال غرب الباكستان (1996م).

(16)– محاولات تكوين جماعات جهادية في المغرب الأقصى منذ (1996م).

(17)– المحاولة الجهادية ضد نظام (كريموف) الشيوعي الأمريكي في أوزبكستان. وتشكل الحركة الإسلامية في أوزبكستان (1998م).

(18)– التجربة الجهادية لجيش عدن أبين في اليمن منذ (1999م).

(19)– المحاولة الجهادية في جبال النبطية في لبنان (2000م).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهادية ضد مختلف أشكال الإحتلال والعدوان الخارجي على بلدان المسلمين، مما صنفته تحت مسمى الحركات والتنظيمات المجاهدة تمييزا له – من حيث التصنيف الدراسي– عن التيار الجهادي الذي نحن بصدده ، والذي يكون معها ما أسميته الظاهرة الجهادية المعاصرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين. ومن أهم تلك التجارب والحركات مايلي:

- **بعض تجارب المواجهات والحركات المجاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:**

(1)– حركات الجهاد والمقاومة ضد الإحتلال الهندي في (كشمير) و(ولاية آسام الهندية).

(2)– حركات الجهاد ضد الهندوس في بورما والأركان.

(3)– حركات التحرير المجاهدة في الفلبين ،مثل (جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف).

(4)– الجماعات التي جاهدت في إرتريا ضد الإحتلال الإثيوبي.

(5)– الجماعات المجاهدة الإحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(6)– الحزب الإسلامي في تركستان الشرقية الذي يجاهد الإحتلال الصيني لتركستان.

(7)– (جماعة التوحيد) التي تشكلت من مجاهدي أهل السنة، خلال الحرب الأهلية في لبنان في مواجهة التحالف المسيحيوالقوى (الطائفية النصيرية) المدعومة من النظام السوري (1975–1982م).

(8)– الجهاد ضد الإحتلال السوفيتي في أفغانستان (1979– 1992م).

(9)– حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ (1987م).

(10)– حركة الجهاد الإسلامي، لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ (1989م).

(11)– مواجهات الجماعات الإسلامية الكردية لنظام صدام حسين في العراق ، ثم لعدوان الأحزاب الكردية العلمانية في كردستان العراق منذ (1990م).

(12)– التجربة الجهادية في البوسنة ضد العدوان الصربي (1994–1996م).

(13)– التجربة الجهادية ضد الإحتلال الروسي في الشيشان والقفقاس منذ (1995م).

(14)– المواجهات الجهادية ضد عدوان النصارى في أندونيسيا منذ (1998م).

▪ **رابعا: المحطة الرئيسية الكبرى في تاريخ التيار الجهادي:**

(الجها الأفغاني ضد الروس) وتجمع المجاهدين (الأفغان العرب) (1984-1992م)

احتلت جيوش الإتحاد السوفيتي الروسي البائد أفغانستان علنيا سنة (1979م) بعد أن فعلت ذلك بطريق غير مباشرة عبر عدد من الانقلابات العسكرية الشيوعية منذ (1965م). وأدى دخول الغزاة إلى إنخراط عموم الشعب الأفغاني بقبائله وعلمائه ومختلف طبقاته في الجهاد والمقاومة.

كما أشرت سابقا في ثنايا البحث لم يتوقع أحد أن يصمد هذا الشعب الفقير المعدم المتخلف لهذا الغزو الجبار. وبدا وكان أمريكا قد سلمت بضم هذه الرقعة إلى المخزون الاستعماري للروس كما ضموا وسط آسيا و القفقاس وغيرها ... ولكن المقاومة الباسلة للشعب الأفغاني ما بين (1979-1982م) لفتت نظر الإدارة الامركية ومنظريها الاستراتيجيين الكبار من أمثال الرئيس الأسبق (نيكسون) الذي قام بنفسه بزيارة ميدانية آنذاك لمعسكرات المهاجرين الأفغان على الحدود الباكستانية. فقرر الكونغرس تبني مسألة الجهاد الأفغاني كساحة ترد فيها أمريكا الصاع الفيتنامي للروس بأضعافه، بل ولتجعل منها آخر

ساحات الحرب الباردة التي سيحسم فيها ذلك الصراع بالضربة القاضية كما حصل خلال عشر سنوات ..

أشرفت أمريكا على صناعة حلف عالمي لمواجهة الروس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف الناتو ودوله كاملة، دول أوروبا الغربية وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدولارات على كل دولة من تلك الدول، وساهم الجميع بذلك.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الذي كونته أمريكا لدعم الجهاد الأفغاني كان من دول العالم العربي والإسلامي، و التي كان في طليعتها وأهمها دورا (السعودية) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التعاون الخليجي) .. فقد ساهمت السعودية ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدعم المالي لتلك الحرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجهاد في أفغانستان أن تصل إلى المجاهدين الأفغان كما لعبت السعودية بمرجعيتها الدينية بحكم سيطرتها على الحرمين، وبمؤسساتها الدينية العلمية دورا إعلاميا بارزا. وأشرف على برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز..

كما لعبت الباكستان الدور الرئيسي ميدانيا، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (2200) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرئيسية لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدعم للجهاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكرية (ISI) والترئسها آنذاك الجنرال (حميد كل)، دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهادية والإشراف على تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدعم الميداني ، الذي كان يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القتال والإسناد بالأسلحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيا في معارك جلال أباد (1989م) .. أما مصر فقد كان من أبرز مشاركتها،الإتفاق مع الأمريكان على سداد جزء من ديونها لهم على شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكستان. وكذلك شهدت هذا، فقد كان مألوفا لدينا فتح بعض صناديق الذخيرة والسلاح وعليها شارة الجيش المصري، وذلك أن أنور السادات كان قد أتخذ قرارا باعتماد التسليح الأمريكي للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الروسي في مصر فيما عرف بسياسة الإنفتاح .. فكان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات.

ولقد لعبت تلك الدول بالإضافة لأكثر دول العالم العربي والإسلامي، بل والغربي وتابعيه، دورا إعلاميا بالغ الأهمية في دعم

الجهاد الأفغاني، والترويج له وحض كل من شاء وحتى بعض من لا يشاء على المساهمة ..

وأما الحليف الثالث الذي أدخلته أمريكا - أو بالأحرى - سمحت بدخوله على خط تأييد الجهاد الأفغاني. فقد كان (الصحوة الإسلامية) بكامل طيفها وحركتها. فقد جاشت العواطف في صفوف الصحوة قيادات وقواعد بشكل تلقائي، وبفعل التعاطف الدين مع أخوة الدين والعقيدة الذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإسلام والمسلمين .. وهكذا انتقل الضوء الأخضر من أمريكا لأذيالها حكاما وحكومات العالم العربي والإسلامي، لتشعله بدورها أمام الحركات الإسلامية، لتشارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الذي التقت فيه الأغراض والمصالح .. وكان للدول العربية والإسلامية مصالح في هذا الضوء الأخضر استجابة للسيد الأمريكي .. وهي تلميع سمعتها بمساعدة المسلمين. وفتح باب الهجرة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السياسية و الجهادية فيها لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصولية بعيدا، هناك على بعد آلاف الكيلومترات .. ولعلها تلقى بغيتها في الشهادة في سبيل الله، ويستريح الحكام من ضوضائها في بلادهم ..

وهكذا وباشتعال الضوء الأخضر أمام الصحوة .. اشتعلت خطب الجمعة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانات والمنشورات

والمؤلفات والصحف، وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصحوة، تروج للجهاد الأفغاني وتنادي (يا خيل الله اركبي) ..

فركبت عشرات الألوف ممن كتب لهم السعادة بالمشاركة.

[وألفت النظر إلى أني أكتب هذه الفقرة كشاهد عيان وكمشارك خلال تلك المرحلة ، حيث شهدتها منذ (1987م) وإلى (1992م) ، ثم واكتبها متابعا عن كثب إلى (1996م) ، حيث عدت للحضور ميدانيا في شوطها الثاني المختلف كليا عن الشوط الأول خلال الفترة الممتدة من أواسط (1996م) وإلى نهايته في ديسمبر (2001م)].

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات و تنظيمات الصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة ، التي كان لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة وليس هنا محل استعراض أهداف كل فريق منهم وما استفاده وما حققه، وإنما ذكرته لأهمية هذه المحطة المباركة على التيار الجهاد المعاصر خلال تلك المرحلة وما تلاها إلى اليوم بل وعلى المستقبل فيما أعتقد ..

وهكذا قام حلف غير مباشر بين مختلف من جمعهم العداء للشيوعية والإتحاد السوفيتي، أوكان لهم غرض في مواجهته والقضاء عليه، بدا من أمريكا وحلفائها في المعسكر الغربي، وانتهاء بأعدائهم في التيار الجهادي، ومرورا بحلفائهم حكام بلاد العالم العربي والإسلامي

وكذلك مختلف أوساط الصحوة الإسلامية، على اختلاف منظور مدارسها لأمريكا والغرب والحكومات.

وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي .. حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة وللإسلاميين و الجهاديين وجمهورهم خاصة . وهما :

1. **دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.**
2. **شبهة عمالة المجاهدين العرب ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه :**

وأعود للتذكير بأن قيمة شهادتي هذه، تأتي من ميدانية مشاركتي وقربي من مصادر المعلومات وممن أدار الأحداث ، خلال تلك الفترة في أوساط الجهاديين والإسلاميين من عرب وأفغان ..

1. دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني:

لقد سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسطر عليها اليهود والصليبيون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في أفغانستان. وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير. فقد عملوا

على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدء من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم .. وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية!!، وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة !!. واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة.. وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين..ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا !. وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة ، إلى (هوليود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان ، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة..!!

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفا بعقول من صدّقه، على دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة، عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى

الكتب إلى الصحف ، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات.. إلى غير ذلك..

علما أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سنوات من دخول الروس، وقبيل انسحابهم بقليل ، ولم يستخدم في المعارك الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا عدد محدود من الطائرات.. ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المجاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه ، كعادتها في سرقة حصتها من كل المساعدات المالية والعينية التي جاءت للمجاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسلاح والذخائر، التي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم..

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني الذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المجاهدين خلاله أكثر من مليون مجاهد مسلح. وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشهداء، وخمسة ملايين مهاجر، من شعب كان تعداد سكانه لا يجاوز 16 مليون نسمة .. وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من /30/ ألف جندي روسي على الأرض، وأكثر من /150/ ألف من المليشيات

الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين.أي من (1973–1992م).. ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجهاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة .. وهذا هو سحر الإعلام الأمريكي، وميدان انتصار هؤلاء الجبناء المخادعين، الذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف !!

2. شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا و ارتباطهم بـ (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

من العجيب اليوم. أن البرامج الإعلامية العالمية والعربية من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها. تمر بهذه (الكذبة) بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أخرى على أنها شيء مسلم به معروف بديهي !!

فيقدمون للناس كذبة كبرى على أنها حقيقة مفادها :

أن المخابرات الأمريكية (CIA) هي التي صنعت (الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي. وان هذه الصنائع انقلبت عليها

اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين .. وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الإستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق. ويقولون أن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة على سمعة الجهاد و الجهاديين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية بعون الله:

- **أما أن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب والمسلمين هي إفراز لتجمع الأفغان العرب في الجهاد الأفغاني فالحقيقة هي العكس تماما..**

والحقيقة هي أن الجهاد العربي في أفغانستان هو نتيجة للجهاد العربي قبله، وهو أحد إنجازات التيار الجهادي العربي في بلاد العرب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا.

فإن التيار الجهادي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات . وقد قامت كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات. أي قبل من الجهاد الأفغاني بعشرين سنة. بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجهاد العربي في أفغانستان ، هم من بقايا

وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي . فالشيخ عبد الله عزام من رموز و قدماء المجاهدين في فلسطين، وقد نفاه النظام الأردني من عمان لطروحاته الجهادية ومعارضته للنظام . والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية ، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن .. وغيرها.. وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب والإعلام ، والعمل العسكري ، والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال.. إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبة صغيرة سنة (1984م)، فتصاعد منذ (1987م) وإلى (1991م) ليبلغ زهاء أربعين ألفا من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات.

أما عن العلاقة المزعومة للجهاد العربي في أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة (CIA) ، فإن كان لهؤلاء الأوغاد من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الذي أعطوه لأزلامهم من حكام بلاد العرب والمسلمين بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي

وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا تعترضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشرعية. وكذلك في الدور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربية والإسلامية في الترويج للجهاد الأفغاني . وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة – وفي أن تترك المجال للدعاة الصالحين من أئمة الدعوة والإصلاح في السعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشرعية .. وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضة الجهاد بماله لنصرة أخوة العقيدة والدين .. وأن تشجع من أراد من الشباب الذهاب إلى هناك، حتى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة (75 %) لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية. ولاشك أنه كان لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات. كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان. وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني. ولاشك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية و الوطنية في

هذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا. بل كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والإستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم . فإذا كانت الإجازات الأمريكية لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجهاد العربي في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر.. وكان لعملائهم الصغار من الحكام في السعودية والباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك ..

أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب برامجهم، أو معاونتهم على العمل العسكري، أو أي علاقة عملية على الأرض، فهذا محض كذب وافتراء .

ولقد عملتُ شخصيا في مجالات التدريب العسكري، وكمحاضر في المجالات الفكرية والمنهجية. وكنت على تماس مع قيادات الجهاد العربي في أفغانستان. وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة. ولست هنا في مجال التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان، حتى أسرد وقائع التدريب وآلية العمل. ولقد كان بالمختصر مجموع جهود فردية مخلصة، ابتدأت بالكوادر الجهادية القديمة وبعض الكوادر العسكرية المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جيوش عدد من الدول العربية والإسلامية،

والـذين كـان لمسـاهماتهم دور مفيـد جـدا، ثم بـدأت تـتراكم وتتجمـع خبرات الكوادر الناشئة في الساحة.

والمطلع على الوضع الفكري والنفسي والمنهجي، وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل وصغار أعوانهم، لدى القيادة الجهادية العربية وقواعدها من الشباب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة..

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافة أطراف الحلف غير المباشر الذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السوفيتي، كلا على حدة عمليا، ومجتمعين على هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السياسة وتقاطع المصالح عبر التاريخ. وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء..

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة.، بعد أن كال لها الإتحاد السوفيتي وحلف (وارسو) ضربات موجعة في أكثر من مجال .. وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان ، وقد استغلوها بصورة صحيحة و حصلوا على ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها ...

وأرادت أوربا الغربية ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصة كدول

أوربية، وكلا لمصالحها منفردة .. وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي .. واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق..

وأرادت الباكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكستان يحتاج كتابا مستقلا . وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات ؛ لدعم الجهاد الأفغاني أولا، ثم لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثم لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثم لمواجهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسليمهم لأعدائهم خامسا.. ثم تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا .. ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا... والحبل على الجرار .. وهكذا نفذت الحكومات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما ... ولعنة الله على الظالمين والمنافقين ..

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية.. ومصر.. وسواها.. وعن الهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار .. التي لعبت لعبتها أيضا.. وصولا إلى حركات الصحوة الإسلامية والجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر...

ويصح هذا على مختلف التنظيمات العربية والإسلامية التي حضرت أفغانستان ..

باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها. فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي، وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية .. فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة أخوة العقيدة والدين ، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتنظيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كان هدف الجهاديين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كان هدفهم منحصرا بعد نية الجهاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشهادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كان هدفهم أمرين استراتجيين إثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما و بحسب ما لمست شخصيا بسبب تماسي المباشر، بل عضويتي في التيار الجهادي، ومن ثم هذا الجمع الذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل الذي أحبه وأنتمي إليه وهو : **(الأفغان العرب)**:

1. **أما الهدف الأول لمعظم الكيانات والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد والتدريب**.. وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامة، واستقطاب أموال

التبرعات، وتدريب أفراد التنظيم ، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على تفكير معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية العربية، وسواها من الأعجمية. وهو: (إسقاط حكومات الردة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله).

2. العمل على تحرير أفغانستان..

وإقامة حكومات إسلامية شرعية فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله وفي كل قضايا المسلمين، بدء من فلسطين وانتهاء في كل قضية للإسلام فيها نصيب وهوية..

ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في توجهاتهم..

حتى بالنسبة لي شخصيا، فقد كان هدفي الذي حملني إلى أفغانستان، والذي فشلت في تحقيقه فيها خلال شوطها الأول (1987-1992م). فقد كان إعادة بناء تنظيم جهادي يعمل على متابعة المشروع الجهادي الذي قام في سوريا (1975-1982م). وانهار لأسباب ذكرتها مفصلة مع تاريخه، في كتابي الموسع (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا- آلام وآمال) والذي نشرت الطبعة الأولى منه في

بيشاور (1990م). بالإضافة لقناعتي بالهدف الثاني ومساهمتي فيه وأسأل الله القبول.. ثم أثرت فيَّ أفغانستان ، وغيرها من التجارب بعد ذلك إلى الإتجاه الأممي الجهادي العالمي فيما بعد، وإلا فإني قدمت أفغانستان أولا مثل غيري لذلك السبب الخاص ببلادي ومصيبتها الذاتية.

فهل حقق التجمع الجهادي العربي أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعين على هزيمة الدب الروسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق ، وليس هنا محل سرد التفاصيل التي لعلي أسجلها إن يسر الله لي الكتابة في تاريخ ودروس تجاربنا خلال الشوطين الجهاديين للأفغان العرب في أفغانستان (1984-1992/1996-2001م) ..

وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهادي من تلك التجربة، هو عولمة التيار الجهادي فكريا وحركيا.. وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة ، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا .. لقد كان هذا أكبر المكاسب.

بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكري للمسلمين في تاريخهم الحديث ، وإثبات قدرة الإسلام والمسلمين على هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيات، وزرع هذه القناعة في أمة أوشكت تقتنع بقدر الهزيمة.

والمكاسب كثيرة .. بالإضافة للمكاسب الشخصية التي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر..

وأما الخسارة الأساسية في نظري، فهي في أن الظروف من جهة، والجمع غير المتجانس من جهة أخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات التي أدارت ذلك الجمع الجهادي بالقدرة على توليد تجمع أو تيار جهادي عالمي منظم ، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة وساحة الصحوة الإسلامية. وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكم من الشباب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المجاهدين من بلاد متعددة ، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات .. ما كان يمكِّن من ذلك ، في فرصة نادرة الحدوث.. ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

وأما على صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة علاقتهم بـ (CIA) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير الإتحاد السوفيتي.. فكلام باطل أيضا. وعلى سبيل المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة..

- **الشيخ عبد الله عزام رحمه الله:**

وقد عرفته وكثيرا ما ترددت إليه. وقد عملت فترة قصيرة معه، وكان جل عملي أيامها مع الشيخ أسامة حفظه الله. فكان هدف الشيخ عبد

الله موجزا، وكثيرا ما تحدث عنه بنفسه وسجله في أشرطته ومحاضراته وهو:

1. إقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان.

والانطلاق جغرافيا منها في عملية تحرير إلى ما شاء الله من البلاد وإلى فلسطين والقدس بشكل أساسي.. وكان يحدث عن فتح موسكو وبكين وبيت المقدس من أفغانستان.. وكانت هذه آماله ولسان حاله رحمه الله.. كما قال الشاعر ..

على قدر أهل عزم تأتي العزائمُ	**وتأتي على قدر الكرام المكارمُ**
وتعظم في عين الصغير صغارها	**وتصغر في عين العظيم العظائمُ**
ذو العقل يشقي في النعيم بعقله	**وأخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ**

ولمن ينكر مثل هذه الآمال من الأقزام اليوم، ولاسيما ممن ينسبون أنفسهم للصحوة الإسلامية. لم ينس المتنبي- لله دره- قائل هذه الأبيات، أن يضيف....

ومن البلية نصح من لا يرعوي　　عن غيه وخطاب من لا يفهمُ

2. **(عسكرة شباب المسلمين) :**

وكان هذا الهدف الثاني للشيخ عبد الله ، رحمه الله وأكرم نزله وهو باختصار ، نشر التدريب العملي تدريبا ومساهمة في القتال. ونسأل الله أنه يجعل له مثل جميع أجور الأفغان العرب لا ينقص من أجورهم شيئا إن شاء الله ،لأن الشيخ كان هو المؤسس والمربي، والمظلوم الذي لم تعرف الأمة حقه ولاحق تراثه إلى اليوم ، ببركات المنتفعين من قيادات الصحوة الإسلامية ، وجهود أعداء الإسلام ممن يعرفون قيمة أمثاله ويعملون على دفن آثاره- رحمه الله ..

فقد كان يقول : (**أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدا فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد** ..) ولقد حصل له- رحمه الله – أكثر مما أشتهى.

فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من (40) ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني ، وتدرب عسكريا أكثر من نصفهم. وشارك في القتال أكثر من نصف الذي تدربوا .. ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال 2.5 %. فقد كانوا (خلال ثماني سنوات) زهاء ألف شهيد رحمهم الله تعالى.

وكان لهذا الجمع دور تاريخي سآتي على ذكر بعض جوانبه بعد الانتهاء من الرد على هذه الفرية العجيبة. وهي: دعوى صناعة

(CIA) وأمريكا للتجمع الجهادي العربي في أفغانستان ثم إنقلاب الجمع عليها.

والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث الشيخ الشهيد عبد الله عزام- أبو مُحَّد- رحمه الله. يرى المساحة الهائلة التي زرعها في قلوب أتباعه وقرائه من الكراهية والحقد المقدس على أمريكا وأعوانها .. وعلى المرتدين وأزلامهم. كيف لا؛ وهو من ضحاياهم في فلسطين والأردن ثم باكستان حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد (بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر) ، الذين تبقى مهمة الاقتصاص منهم أمانة في أعناق أجيال المجاهدين. قتل الله المجرمين وتقبله في الشهداء.

وأما أنه أفتى في كتابه القيم (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) بجواز أخذ المساعدات من الأمريكان لجهاد الروس المعتدين أو العكس.. فهو صحيح. وهي حال الضرورة التي تلجئ إليها المسلمين ، إذا دهمهم صائل و أشفوا على الهلكة... وهذا أمر معروف ، يقدره الفقهاء بشروطه. وقد أفتى الشيخ للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدين من حكام العرب ومن سواهم. **وأما الجمع الجهادي العربي فقد كان جمعا معطيا لا آخذا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدولارات من زكاة أموال المسلمين وتبرعاتهم. فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجهاد والإعداد وكفالات أسر المجاهدين والشهداء العرب وأنفق أكثر المال على الجهاد الأفغاني**

ذاته. كما أوصل المجاهدون العرب بأمانه ما جاء وقفا على الجهاد الأفغاني ذاته لأصحابه من المجاهدين والمهاجرين من أيتام وأرامل ومحتاجين .. هذا عن دور الشيخ عبد الله عزام.

- **أما الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله :**

فقد أخذ حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتى في تهمته. فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا. إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن. وعن تجارة بترولية بين الرئيس بوش الأب وأحد أخوة الشيخ أسامة ، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السعودية في بيشاور في ترتيب الجهاد العربي في أفغانستان ، والحقيقة أن المخابرات السعودية كانت تشرف على مساهمات السعوديين ، وتداخلت عناصرها من خلال الإسلاميين السعوديين ، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السعودية .. وكان التعاون مع الجهات الرسمية السعودية قائما فعلا.. وتتحدث التهم والخيالات الإعلامية عن ربط المخابرات السعودية لابن لادن بالمخابرات الأمريكية... بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (CIA) ! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السعودية واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الديني والوطني! وذهب

البعض أبعد من هذا ، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الإستخبارات الأمريكية أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العرب والمسلمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق ..!!! واستشهدوا على ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتى الآن عمدا .!!. إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات واللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

وحقيقة الأمر أبسط من ذلك ولا تحتاج كل هذه التعقيدات. ولئن قدر الله لي وتناولت في كتاب مستقل يتعلق بتلك الأحداث، وأرخت لتلك المرحلة، لكتبت ما يشفي إن شاء الله من الحقائق الميدانية، عن أحداث عشتها بنفسي وعاصرت أصحابها وعملت معهم، أو بقربهم عبر مسار التيار الجهادي وإلى الآن ولله الحمد.

وأما على سبيل الإختصار فأقول:

كان الشيخ أسامة بن لادن- فرج الله كربته وحفظه - قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الروس لها مقدما للتبرعات المالية .. وقرر- فيما بلغني عن الثقات ممن عاصروا تلك المرحلة - الاستقرار والتفرغ للجهاد ميدانيا إلى جانب الأفغان مطلع سنة (1986م). بعد تأسيس الشيخ عبد الله عزام لمكتب الخدمات سنة(1984م) ، فعمل معه مدة، ثم بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم القاعدة مطلع سنة

(1988م) بعد ازدياد وفود المجاهدين العرب ولاسيما من السعودية واليمن – وهي ميدان صلاته ومعرفته– إلى أفغانستان..

وكانت حركته من السعودية علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكية الأصل في دعم الجهاد الأفغاني. وبقي الحال كذلك إلى سنة (1990م) حيث شكلت حرب الكويت إشكالا شرعيا وعقديا لعموم تشكيلات المجاهدين الأفغان العرب، ومن ضمنهم عناصر القاعدة التي تولى التدريب والتوجيه والتربية الفكرية فيها عناصر من التيار الجهادي من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكرية ..

وقد شكل الشيخ أسامة القاعدة لأهداف جهادية في أفغانستان وفي خارجها، وذلك لدعم قضايا الجهاد وتنظيماتها في أماكن عديدة. وكان له مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية السابقة. وتحولت آمال مشروعه لتصبح على مستوى اليمن الموحد فيما بعد .. فكان مثله مثل عموم التنظيمات الجهادية ذات المشروع الخاص. ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجهاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتدريب لعناصر مشروعه ، مثله مثل باقي الأفغان العرب. كما عمل كغيره للهدف العام ، وهو العمل على إقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد تحريرها.

وقد عملت بنفسي بصورة متقطعة في مجال التدريب العسكري في معسكرات القاعدة، خلال الفترة مابين مطلع (1988م) و (1991م). كما عملت محاضرا أيضا في المجالات المنهجية والسياسية الشرعية ودروس حرب العصابات فيها وفي غيرها من التنظيمات. والمعسكرات، واحتككت بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجهاد العربي الأفغاني. ولم يكن للقاعدة في حينها أي توجهات أخرى خارج أفغانستان ميدانيا، ولم يكن للشيخ أسامة مشروعا مباشر إلا اليمن. بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهادية في أماكن كثيرة ، وهذا في حدود إطلاعي الذي أعتقد أنه كان قريبا جدا من حقيقة الواقع لقربي من الشيخ آنذاك فقد كنت أحد أعضاء الصف الأول فيها حول الشيخ.

وفي سنة (1991م) غادرتُ أفغانستان عائدا إلى مقر إقامتي في أسبانيا وانقطعت علاقتي عمليا بهم إلى سنة (1996م) حيث تلاقينا في ضيافة طالبان.

كما غادر الشيخ أسامة و معظم إدارته ومن تبقى معه من الكوادر إلى السودان ، ولم يكن قد تبدى عليهم أي توجه آخر في العمل.

كانت ساحة الجهاد العربي في أفغانستان أيام جهاد السوفييت متداخلة جدا. وكان دور السعودية ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها

الاستخباراتية والعسكرية كبيرا. وكان كثير من مسؤوليهم على علاقة عمل مباشرة مع إدارت العمل العربي ، الذي كان الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة في رأس إدارته .. وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجهاد الأفغاني ، الذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدعم له من الإستخبارات السعودية أو الباكستانية. وأما من كان لهم مشاريع جهادية خاصة فكانوا على النقيض في قناعتهم. فلم يكونوا على تماس بهؤلاء ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنت من هذا الفريق ، رغم قربي من الدائرة الأولى حول الشيخ أسامة في حينها وإلى (1991م).

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المجاهدين العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة. إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا ولا على سبيل المزاح .. فالوسط الجهادي العربي الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترا تجاه بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعض المضافات أو المعسكرات العامة المفتوحة (مثل الملحق العسكري في السفارة السعودية- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان..

لكن الذي لم أر وسائل الإعلام أو الكتب التي تتعرض للشيخ المجاهد أسامة بن لادن حفظه الله قد تعرضت له على أهميته في تفسير ما جرى في تلك المرحلة وما بعدها، فهو:

توقيت التغير الفكر والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفا وتوجها عليه وعلى القاعدة ضد أمريكا فيما بعد.

فقد كان هناك عاملين أساسين قد سببا ذلك وهما بتسلسل الأهمية:

1. أن الشيخ أسامة قد بنى القاعدة على جهود كوادر من تنظيم الجهاد المصري أساسا، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى. ولم يكن معظمهم أعضاء في القاعدة، وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع. فقام هؤلاء الجهاديون – وكنت من بينهم لفترة – ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء و الحاكمية ..وغيرها من الأمور السياسية الشرعية ، وفقه الواقع في تلك المعسكرات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين..!

فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية. ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت، والذي كان قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك يحمل منهج و بصمات فكر الصحوة

الإسلامية في السعودية ، وهي مزيج فكر الإخوان المسلمين والسرورية ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين. - وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة — .

وكان هو وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون ، على فسقهم ومظالمهم.. ويكنون احتراما شديدا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم ..

ولم يكن بيننا كجهاديين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشيخ أسامة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، ولكن التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهادي وفهم الواقع ومنطلقات السياسة الشرعية كان جليا بيننا كجهاديين وبينهم .. والذي حصل مع الوقت ، أن الشيخ أسامة- حفظه الله - تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهادي، وتقبله ثم تبناه ثم صار أحد رموزه .. وأظن أن مما ساعد على ذلك، إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديين ، كان العامل الثاني وهو..

2. موقف السعودية ومؤسساتها الحاكمة وعلماءها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوات الأمريكية في السعودية.

فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية. وفهم بحكم ألمعيته وإدراكه للواقع، وذكائه الحاد. أبعاد أهداف الوجود الأمريكي في المنطقة ،ووفرت له فترة الإقامة في السودان (1992-1996م) مدة كافية للتفكير. إنتقل خلالها من المعارضة الإعلامية اللينة لحكومة آل سعود مع الاعتراف بشريعتهم (أنظر بياناته باسم هيئة النصيحة والإصلاح 1- 10)، إلى الدعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدينية الرسمية المنافقة.. (انظر البيانات 11-17) (وقد أوردت مقتطفات من هذه البيانات في الفصل الرابع – عند فقرة: المؤسسة الدينية السعودية ودورها في دعم الحملات الصليبية الثالثة) وانظر كتاب (شهادة قادة الجهاد والإصلاح في بلاد الحرمين) .. للمؤلف.

ثم بدأ الأمريكان بالضغط على السودان لطرد الشيخ أسامة ، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشباب السعودي المجاهد الذي هضم الفكر الجهادي في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، ولم يكن لأولئك الشباب أي علاقة عمل تذكر بالشيخ أسامة ولا القاعدة، من مثل الذين فجروا مجمع سكن الأمريكان في العليا في الرياض ، أو قاموا بعض الأعمال المحدودة. وكان الأمريكان

والحكومة السعودية يعرفون ذلك. فلما طردت السودان الشيخ أسامة وعاد إلى أفغانستان في عهد طالبان 1996م. كان حوله مجموعة من الذين يحملون فكر المواجهة الأممية مع أمريكا. وحلفائها وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي، وفهمه للواقع إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة ومنها النظام القائم في السعودية يمر حتما بمواجهة أمريكا.. وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة :

(1) العلماء يضفون الشرعية على آل سعود.

(2) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة..

وهناك إحدى طريقتين للموا جهة مع آل سعود وهذه الأوضاع ..

1- إما مواجهة آل سعود وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس ، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من (70) سنة.

2- وإما طريق أسلم .. وهو **ضرب الوجود الأمريكي .. فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم ، في أعين المسلمين في بلاد الحرمين .. فتدافع المؤسسة الدينية عنهم .. فتسقط شرعيتها معهم .. فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحا أمام الناس..**

وأختار الشيخ أسامة الخيار الثاني ، وأعتقد أنه كان مصيبا إلى حد كبير. يقدرهذا من يفهم الأوضاع في السعودية ومكوناتها الدينية والاجتماعية والسياسية.

كما كان الشيخ أسامة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السوفيتي، ورأى كيف سقطت كل الحكومات الديكتاتورية في دول حلف (وارسو) بسقوطه.. مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها. واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافة مكونات النظام العربي القائم ، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإسلامي.

فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد على جهاد أمريكا. وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع رأس الأفعى كما دعاها وليس مع ذيولها الكثيرة.

وقد حضرت إليه في أفغانستان بعيد وصوله إليها بنحو أربعة أو خمسة أشهر ، لإجراء مقابلة تكمل فيلما وثائقيا عن المعارضة السعودية أواخر عام 1996م بثته الـ (BBC). وكذلك بعد عدة أشهر، في مايو 1997م. لإجراء مقابلة تلفزيونية بثتها الـ (CNN). (حيث كنت قد أنشأت في لندن مركزا للإعلام والدراسات متخصص في صراعات العالم الإسلامي).

وعلى هامِش ذلك العمل ، جلست معه عدة مرات ، وكانت هذه قناعته باختصار..

ولما عدت للإقامة في أفغانستان نهائيا في عهد طالبان بعد ذلك بسنة ونيف.. سنحت لي فرص عديدة على مدى السنوات الأربعة التي أقمناها في ظل الإمارة ، لزيارات أخوية قمت بها إليه، ولعدد من أصدقائي الآخرين العاملين معه.. وكان ما ذكرت هو فحوى دعوته لكل من يزوره من العرب والعجم من قيادات الصحوة وشبابها.

وأعتقد أن الفكرة التي اختارها ، في جهاد الأمريكان كمفتاح لحل جميع المشاكل في الجزيرة العربية والمنطقة بأسرها، كانت صحيحة، بصرف النظر عن رأيي في تفاصيل طريقته في عمله، وأداء تنظيمه من أجل تحقيق تلك الأهداف آنذاك.

ثم بدأ الشيخ أسامة حفظه الله يتوغل في تلك القناعة ، ويجمع المبررات لهذه المعركة ويختار لها التكتيكات اللازمة بحسب وجهات نظره.

فزعمُ من افترى عليه أنه عمل مع الأمريكان أثناء جهاد الروس، ثم انقلب عليهم، هو زعم باطل.. مبني على التجني والحقد أو الجهل، بسبب دعاوى وسائل الإعلام المعادية.

والقصة باختصار أنه قد جمعه وجميع المسلمين آنذاك، قاسم مشترك مع الأمريكان في ضرب الروس لعدوانهم على أفغانستان .. فلما انتهت المعركة، تنبه الجميع إلى أن العدو المقبل هو القوة الوحيدة التي انفردت

بإدارة العالم ، وإنشاء النظام العالمي الجديد، وغزت بلاد الحرمين .. وراحت تجهز الحملات الصليبية على الشرق الأوسط...

فأكمل ابن لادن الواجب وأعلن الجهاد بدوره على القوة التي جاءت للعدوان بدورها .. وكذلك فعل معظم من أراد الجهاد معه ، أو مستقلين عنه كما كان حالي وحال أمثالي.

وحتى تكون الصورة واضحة ؛ فمثلا لو ساعدنا الفرنسيون أو غيرهم من الأوربيين ، أو الروس ، أو الصين.. ساعدونا اليوم في جهادنا لأمريكا، كما أظن أنهم ربما سيفعلون يوما ما.. لصار بيننا قاسم مشترك .. ولو انتصرنا على أمريكا، وقاموا بدورهم يغزون بلادنا كما أظن أنهم سيفعلون لو فعلوا ما قبلها ، سننقل الجهاد ضدهم .. ولو وجدناهم انتقلوا للموادعة والتعاون على المفيد وحسن الجوار، سيجدون أن في ديننا سعة لأن نفعل مثل ذلك معهم.. كما أظن أنهم لا يفعلون إلا في إطار التكتيكات المرحلية..

ورغم أني أحس أني أسهبت وأطلت في دحض هاتين الشبهتين، ولكن ذلك لأني وجدت وسائل الإعلام تنشر هذه الافتراءات عامدة أم جاهلة بشكل بالغ الأذى للمجاهدين والمسلمين .. وأظن في عرضي هذا كشهادة حية ، فائدة لمن يتوخى الحقيقة ليستفيد منها.

وكما أنهيت فقرة الشيخ عبد الله عزام رحمه الله بأبيات جميلة للمتنبي. فأرى أن أنهي أيضا بما يناسب مقام الشيخ أسامة في التوجه

اليوم لحرب أمريكا بأبيات جميلة أخرى لنفس سلطان الشعراء، فإني أرى في اختيار الشيخ أسامة للمعركة مع رأس الكفر والطغيان أمريكا صورة لما قال المتنبي، وهو قوله:

إذا غـامرت فـي شـرف مـرومِ — فـلا تقنـع بمـا دون النجـومِ
فطعـم المـوت فـي أمـر حقيـر — كطعـم المـوت فـي أمـر عظـيمِ
يـرى الجبنـاء أن العجـز عقـل — وتـلك خديعـة الطبـع اللئـيمِ
وكـم مـن عائـبٍ قـولا صـحيحا — وآفتـه مـن الفهـم السقيـمِ
وكـل مزيـة فـي المـرء ترجـى — ومـا مثـل الشـجاعة فـي الحكـيمِ

فرحم الله الشيخ عبد الله عزام في من قضى نحبه ، وحفظ الله الشيخ أسامة ، وجعلنا وإياه ممن ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وغفر لهما ولنا ولجميع المسلمين ..

وأعود بعد هذا الاستطراد المفيد إن شاء الله لموضوع الفقرة وهو:

▪ أثر الجهاد الأفغاني (1984–1992م) على التيار الجهادي المعاصر منهجيا وحركيا:

▪ تحولت (بيشاور) .. المدينة الحدودية الدافئة شتاء الملتهبة صيفا. التي كان السلطان محمود الغزنوي رحمه الله، قد اتخذها عاصمته الشتوية، في غزواته المجيدة في فتوح الهند في القرن الرابع الهجري. تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصحوة العربية والإسلامية تقريبا .. وخلال سنوات ازدهار ذلك الجمع مابين (1986م) و(1992م).. أصبحت ميدانا لتلاقي كل الأفكار والمناهج والطروحات التي كنت تسود الصحوة الإسلامية من دعوية، وإصلاحية، وسياسية، وجهادية، وحتى من الكتل الشاذة فكريا.. وازدحمت فيها مئات المؤسسات الخيرية الإنسانية العربية والإسلامية والأجنبية التي قدمت لأغراض شتى. تحت ستار تقديم الخدمات لأكثر من (3) مليون لاجئ أفغاني تدفقوا إلى باكستان. التي ربما قطن أكثر من مليونيين منهم في بيشاور وما حولها .. وقد زار بيشاور خلال تلك الفترة ، مئات الشخصيات الإسلامية. من علماء، وشيوخ ، وكتاب ، وشعراء ، ورموز، وقادة حركات .. لتقديم جهد ما ، أو للإطلاع ، أو

للدعاية، أو للرياء والسمعة، أو للتكسب ، أو لأي نية أخرى صالحة أو طالحة..

ومن بيشاور كانت تتدفق المساعدات المالية والعينة والعسكرية وسوى ذلك على الحدود الأفغانية لتجد طريقها الصالح أو الطالح إلى حيث قصدت ألم تقصد ...

والجهاد الأفغاني ودور العرب فيه مسألة جديرة بالتأريخ والتحليل والاستفادة .وهو أمر يحتاج كتبا مستقلة. ولكني هنا بصدد أثر ذلك الجمع على التيار الجهادي العربي المعاصر ..

كان آحاد ربما لا يصل عددهم إلى عشرة قد توجهوا إلى باكستان بغية دعم المجاهدين الأفغان بعيد الغزو الروسي المعلن خلال عام (1979-1982م). ودخل ثلاثة أو أربعة منهم أفغانستان فعليا للمشاركة في الجهاد. كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المسلمين لتقديم بعض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة..

* ولكن التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان يبدأ عمليا، منذ (1984م) عندما تفرغ الشيخ عبد الله عزام كليا للجهاد الأفغاني ميدانيا، بعد أن عمل مدة مدرسا في كلية الشريعة في الجامعة

الإسلامية في أسلام أباد وكان– فيما بلغني – عن بعض شهود تلك المرحلة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السلطات في عمان ..

عمل الشيخ عبد الله عزام على عدة محاور لنصرة الجهاد الأفغاني كان من أهمها..

1. تأسيس (مكتب الخدمات) الذي تولى تقديم ونقل المعونات والتبرعات للمجاهدين والمهاجرين الأفغان.

2. تأسيس مجلة الجهاد التي كانت منبره الرئيسي للدعاية للجهاد الأفغاني.

3. تأسيس معسكر صدى قرب الحدود الأفغانية، داخل الأراضي الباكستانية في منطقة القبائل من أجل تدريب الشباب العربي الذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة منذ (1984م).

4. القيام بأسفار ورحلات دعائية ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وحث الشباب على الرحيل إليه والاستفادة منه وأداء فريضة الجهاد .. وكان باكورة كتبه (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) الذي لاقى شهرة واسعة ، وجدلا واسعا كذلك. ثم كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان). وقد أفتى فيه بالفرض العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار للذهاب للجهاد في أفغانستان.واستطاع الحصول على أكثر من (80) توقيعا من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي

وعلى رأسهم كبار العلماء في السعودية و كبيرهم الشيخ ابن باز. وكذلك من بعض مشايخ الأزهر. وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة. وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم .. وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورا مهما، بالإضافة لمجلة الجهاد التي سرعان ما تحسن مستواها، وصارت مجلة مصورة تنقل الصور الحية للجهاد والمعاناة في أفغانستان، فصار لها مكاتب توزيع في أوربا وأمريكا وبعض بلدان العالم العربي.. لعب كل ذلك دورا بارزا في عملية التحريض..

وقد سمعت في بعض أشرطة الشيخ عبد الله عزام ، أن عدد الشباب الذن ثبتوا معه في (معسكر صدى)، سنة (1984م) وصل إلى (12) مجاهدا وتضاعف فقط خلال (1985م) فوصل إلى (25) مجاهدا ثم بلغ مع منتصف (1986م) أقل من (200) مجاهد بقليل، من مختلف الجنسيات ربما كان معظمهم من السعودية ومصر وفلسطين.

وفي نهاية (1985م) أو مطلع (1986م) حضر الشيخ أسامة بن لادن – فيما بلغني– ليشارك ميدانيا بنفسه في الجهاد بعد أن كانت زياراته السابقة لتقديم الدعم المادي.

وبالتعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجهاد المصري من أوائل من قدم لأفغانستان، افتتح الشيخ أسامة مركزا عسكريا متقدما على أحد المعابر الهامة لإمداد المجاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة التي

تنتشر فيها الغابات. وقدر الله أن يقوم الروس بهجوم كبير لإغلاق ذلك المعبر في رمضان (1986م). وشارك مجموع الشباب الذين كانوا مع الشيخ أسامة والشيخ عبد الله عزام في تلك المعركة الشرسة التي استغرقت زهاء شهر. وحقق المجاهدون الأفغان نصرا كاسحا على القوات الروسية، بما فيها طلائع الكوماندوس التي أنزلت في المنطقة. ولعب أولئك الرهط القليل من المجاهدين العرب، دورا بارزا في تلك المعركة وأدت عملية الدعاية الواسعة التي غطى بها الشيخ عبد الله عزام عبر وسائله الإعلامية ، وكذلك الجولة الدعائية الهامة التي قام بها الشيخ أسامة في السعودية ،أدت إلى تقاطر المجاهدين العرب بأعداد كبير ليصل عددهم مطلع (1987م) إلى عدة آلاف كان أكثرهم من السعودية واليمن . ومن هناك كانت البداية عمليا. حيث تزايد العدد ليصل ذروته أواخر(1989-1990م) ويتجاوز (40) ألفا من المجاهدين العرب والمسلمين من كافة بلاد العالم الإسلامي..

*كانت الحركية الجهادية في مصر، وشطراها الرئيسيان (الجماعة الإسلامية) و(جماعة الجهاد) ، قد دخلت في صراع إثر مقتل السادات (1981م) مع حكومة خلفه حسني مبارك ، وأضطر العديد من أبرز قياداتها والكثير من عناصرها للخروج من مصر تحت ضغط الحملات الأمنية لدول الجوار. ومع ازدهار أخبار الجهاد الأفغاني، بدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور. كما كانت الثورة الجهادية التي نشبت في

سوريا ما بين (1975-1982م) ، قد دمرت عمليا. وانساح من تبقى من عناصرها في أقطار الأرض. و يمم عدد محدود جدا منهم وجهه أيضا شطر أفغانستان، و استقروا في بيشاور وكنت وبعض خاصة أصدقائي من هؤلاء ولله الفضل والمنة. كما كان لعض الكوادر الجهادية من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء الشيخ عبد الله عزام قد لحقوا به أيضا .. وبدأ آحاد من الكوادر الجهادية والعسكرية من هنا وهناك يتوجهون إلى تلك الساحة الجذابة التي سلطت عليها كل الأضواء والدعاية .. وفي (1986م) اثر محولة جهادية انتهت بقمعها من قبل الحكومات الليبية، خرج أيضا بعض كوادر الجهاديين إلى هناك .. وكانت الحرب الأهلية في لبنان قد وضعت أوزارها، وتلقت الحركات الإسلامية السنية ضربات أمنية في شمال لبنان على يد الإستخبارات السورية، فهاجر بعضهم أيضا إلى تلك الساحة ..كما حضر بعض الإخوة من الإسلاميين من أكراد العراق.. وكانت هذه باكورة تجمع كوادر من التيار الجهادي العربي ليكون النواة الأولى للجهاديين داخل وسط التجمع العربي المجاهد في أفغانستان، والذي كان يتضخم بتسارع كبير ..

*كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري ، بارزا ونوعيا في الساحة العربية وكذلك كان حضور الجماعة الإسلامية بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين.. إلا أنهما

لعبتا – ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية– دورا مؤثرا. كما كان لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض (السروريين) من السعودية وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكمية والولاء والبراء وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية.. وحتى الأعجمية التي أمت الجهاد الأفغاني. كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة– ومنها كتابي عن تاريخ تجربتنا ودروسها — ولله الحمد ، دورا فكريا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي ، التي بدأت تترك بصماتها على الجمع العربي. ولما كان حضور مدارس الصحوة الإسلامية الأخرى قويا أيضا في الساحة ، عبر سيطرتها على المؤسسات الطبية والتعليمية وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المسلمين والمنظمات الشبيهة بهم.. وكذلك التبليغ وغيرهم.. بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإسلامية السعودية الحكومية وشبه الحكومية ، وما حملته معها من بصمات.

المؤسسة الدينية الرسمية.. وقد أحضر كل هؤلاء كتبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم ، وتراثهم الفكري و الدعوي .. ونظرا لأن نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات كانت فترة تألق وتفاعل بيت مدارس الصحوة الإسلامية.. فقد صارت بيشاور ومضافاتها ومعسكرات التدريب في باكستان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار

والتماس الفكري والصدام في كثير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات. وهكذا وجد التيار الجهادي ، ومن يمثله في ساحة الجهاد العربي في بيشاور ومعسكرات أفغانستان أنفسهم يصطدمون مع جبهتين رئيسيتين:

- جبهة الإخوان المسلمين والفكر الديمقراطي السياسي الذي كان أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المعسكرات التي يستطيعون الحركة فيها.
- جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي ، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية ، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين. ويدعوا إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية)...

وشيئا فشيئا ، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع ، ولنصاعة الحق وشيوع منهج إتباع الدليل.. بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي. وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي. وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي ، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب).

*كان تمازج الفقه والعقيدة السلفية مع الفكر الحركي الإخواني القطبي - الذي أشرت إليه آنفا- قد بدأ يختمر في مصر خلال السبعينيات ومطلع الثمانينيات.. ولعب كتاب (الفريضة الغائبة) الذي كتبه الشهيد (عبد السلام فرج)، من الجماعة الإسلامية، والذي شارك في اغتيال السادات، وأعدم بعد ذلك - رحمه الله وجزاه وإخوانه عن المسلمين خيرا- لعب ذلك الكتيب دورا هاما في إعطاء رغم بساطة محتواه وأسلوبه وصغر حجمه. إلا أن المهم الجديد الذي أضافه للفكر الجهادي ، كان طرح فتاوى ابن تيمية في حكام التتار الذين حكموا بلاد الإسلام ومنها الشام لما غزوها وزعموا أنهم مسلمين ، رغم أنهم بدلوا الشرائع وحكموا بغير ما أنزل الله ، كما طرح مسألة المقارنة بين حكام المسلمين وأعوانهم وجنودهم اليوم ؛ وبين أولئك التتار وفتاوى العلماء في كفرهم ووجوب قتالهم مع من قاتل معهم على من فيهم من الجاهلين والمكرهين.. وإسقاط تلك الأحكام على واقع الحكومات العربية وفي بلاد المسلمين، وعلى جنود شرطتهم واستخباراتهم ورجال أمنهم.. وقد صلت هذه المقارنات إشكالات كبيرة وإجابات على أسئلة ملحه طرحها جهاد الحكومة وأعوانهم..

وكان لجماعة الجهاد مؤلفات أخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور. وكان الصدام الفكري بين، الفكر الإسلامي الديمقراطي الذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين

الفكر السلفي – قبل أن تنتقل إليه العدوى الديمقراطية – على أشده أيضا في ساحة الصحوة عامة ، وانتقل كذلك إلى أهم ساحاتها آنذاك، في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عددا من الأبحاث الهامة ، وتوجت ذلك بالكتاب القيم ؛ (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره. وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب (الأفغان العرب). وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية في حينها ، وبقي واحدا من أهم كتب التيار الجهادي. وفي سياق نشاط الجهاديين في التأليف والنشر ، طبعت في بيشاور سنة 1990م كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا–آلام وآمال) ، الذي فرغت من تأليفه سنة 1987م، والذي نقل لأوسط الأفغان العرب خلاصة تاريخ ودروس أطول وأهم التجارب الجهادية المعاصرة ضد حكومات الردة..

وافتتح الشيخ أبو حذيفة المصري ، أحد كوادر جماعة الجهاد – فرج الله كربته– مركز النور للإعلام مي بيشاور ، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديين تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة.

وبدأت بعض التجمعات الجهادية الناشئة تدخل على خط العطاء ، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية ، واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة ، وعقدت الكثير من

الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة .. ثم استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج..

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكري، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التيارات الفكرية المكونة لطيف الصحوة الإسلامية .. أن الفكر الجهادي الحركي ممزوجا بالمؤثرات السلفية الجديدة التي أسلفت الحديث عنها آنفا .. قد بدأت تطغى على الساحة وتكتسح قواعد آلاف الشباب العربي من الذين قدموا لساحة الجهاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التنظيمات الجهادية القديمة والجديدة، والتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها .. وتكونت لها هياكل وإدارات، وكوادر وأمراء حيث كان الكثيرون منهمكون على هامش الجهاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجهاد والثورة للبلاد التي قدموا منها .. وكان هذا من كرم الله الذي لم يحسب حسابه أولئك الذين خططوا لفتح أبواب التسهيلات لهذه الجموع من أجل خدمة أهدافهم الكبرى ..

* ولم تخل تلك المخاضات الفكرية من ميلاد بعض الظواهر الشاذة. من بعض النتوءات التكفيرية والغالية ، والتي نتجت عن التفاعلات الثورية للفكر الجهادي وأجواء الحماس إلى جانب. تواجد المدارس

السياسية وطروحاتها الديمقراطية المفرطة في التميع خلال تلك الساحة، في أجواء فرضت فيها ظروف النظام العالمي الجديد على ساحة العالم العربي والإسلامي مسائل كبرى مثل التواجد الأمريكي العلني بعد السري في الخليج.. ووباء التطبيع مع اليهود ومعاهدات السلام، والغزو الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي لملامح النظام العالمي الجديد .. وما أوجدته هذه الطامات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في أوسط علماء السلاطين، وبعض قيادات الصحوة ذاتها.. وما سبب ذلك من ردود أفعال في أوساط البعض القليل من الشباب الذين لم يكن ينقصهم الحماس ولا الجهل. ولكن بقي ذلك في أطر محدودة.

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديين، كما تشكلت نويات من التنظيمات الجهادية الجديدة ، من بلاد لم يكن قد تبلور فيها مثل تلك التنظيمات. مثل ليبيا والجزائر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان... وكذلك من بعض البلاد الإسلامية مثل الفلبين وأندونيسيا وتركيا وغيرها.

وباختصار...

يمكن القول أن جيلا جهاديا متميزا فكريا ومنهجيا وحركيا قد ولد هناك، في أجواء الجهاد العربي في أفغانستان ، أطلق عليهم الاسم المعبر الجميل ؛ (الأفغان العرب) ، ميزهم فوق ما تميزوا به من وضوح المنهج وصحة المعتقد ، أنهم استمدوا همتهم للجهاد من إيمانهم بمعية الله ، وقناعتهم بقدرتهم على إسقاط القوى العظمى ..

فما عادوا يهابونها ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا .. وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير..

وحقيقة يصح أن يقول من كتب الله لهم شرف ذلك الحضور ما قاله الشاعر العربي عن يوم ذي قار .. يوم العز العربي بعد طول المذلة أمام القوى العظمى في ذلك الزمان:

لو أن كل معدكان شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فلنا أن نقول:

لو أن كل موحدْ كان شاركنا في يوم أفغانَ ما أخطاهم الشرفُ

فقد أسقطنا مع إخواننا الأفغان الإتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الشرقي ...

وأعتقد أن يسقط أتباعنا ومن امتد العمر به منا ، مع من يشاء الله من عباده أمريكا زعيمة المعسكر الصليبي الغربي الجديد...

إن شاء الله تعالى .. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء..

- **خامسا: التيار الجهادي ومرحلة الملاذات والشتات (1991 – 1996م):**

فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيديهم .. توجه المخطط الأمريكي الغربي نحو أفغانستان في منحيين اثنين تجاه تلك الساحة. الأول أفغاني والثاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان ، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن دولة إسلامية وتحكم بالشريعة وتنهض بإعمار أفغانستان. وكان البرنامج المقرر افتعال مرحلة من الحرب الأهلية تستهلك المخزون الإستراتيجي من السلاح و مئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان. وهذا ما نفذوه خلال (1992-1996م).

وأما فيما يعيننا في هذا البحث. فقد كان جهدهم منصب على تفكيك الجمع الجهادي العربي وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في

بلادهم وفي أنحاء الأرض. وهكذا انتقل التيار الجهادي إلى مرحلة جديدة استمرت من (1992- 1996م) ، يمكن أن نسميها بـ (مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة).

فقد عاد أولئك الآلاف من المجاهدين إلى بلادهم في الغالب، وبدل أن يرحب بهم كأبطال ومجاهدين عملوا تجاه الهدف المشترك لأولئك الحلفاء، بدء بأمريكا وانتهاء بأذيالها من الحكومات التي سهلت ودعمت جهادهم .. وجد أولئك الشباب أنفسهم غرباء في أوطانهم التي تفتح لهم أبواب المعتقلات وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدوة وتوجه لهم التهم .. ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم يقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة الشنيعة .. وقد ولد هذا ردود أفعال شتى ، ونقل بعض شرائح الجهاديين إلى ممارسات معاكسة .. كذلك فقد أدت عودة تلك الشرائح الجهادية إلى بلادها من أجواء العزة والكرامة والجهاد وحمل السلاح، لتصطدم في بلادها بعد أن رقت إلى تلك المعاني السامية، بواقع أقل ما يمكن يوصف به أن هو البعد عن شريعة الله ، والمتاهة في أجواء من الخنوع والخيانة والمذلة .. فقامت محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل من الإعداد للمواجهة مع حكومات بلادها على أمل إسقاطها وإقامة حكومات شرعية إسلامية.. ولكن كافة تلك المحاولات اصطدمت بواقع غاية في الصعوبة وعدم التناسب مع ما

تصبوا إليه من أهداف. ودخلت مع أجهزة الأمن في بلادها في عمليات مواجهة ، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرها. وإلى تصعيد المواجهة الأمنية بين الحركات الجهادية والإسلامية في تلك البلاد وبين حكوماتها الضالة.. المارقة..

وكان من أهم تلك المحاولات التي تلت الجهاد الأفغاني ما حصل من قيام الجماعة الإسلامية المسلحة وتأسيسها على أيدي بعض الأفغان العرب من الجزائر بالتعاون مع تيارات جهادية محلية إثر الإطاحة بالإنجاز التاريخي لجبهة الإنقاذ عبر الإنقلاب عسكري (1991م). وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا (1994م) .. وهما أوسع المحاولات في تلك المرحلة. بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها، كما سنأتي على شيء من التفصيل لأهم المحاولات الجهادية في هذا العصر ، في فقرة تالية ضمن هذا الفصل إن شاء الله..

هناك قسم آخر من الأفغان العرب وهم قدماء الجهاديين الذين غادروا بلادهم أصلا إثر مشاكل أمنية، وهم مطاردون من حكوماتهم إما قبل أو أثناء الجهاد الأفغاني ، ومعظم هؤلاء من تنظيمات جهادية سابقة، كبعض أعضاء تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية من مصر وبعض الجهاديين من سوريا وليبيا وتونس ، وبعض الأعداد المحدودة من جنسيات أخرى ..

وهؤلاء لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم كما فعل الآلاف من الأفغان العرب من بلاد مثل السعودية ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها .. وقد توزع هؤلاء المطاردون أمنيا في ملاذات أمنية مختلفة على بعض ما تبقى من الهوامش السياسية والفجوات الأمنية قبل استحكام السياسة العالمية لمكافحة الإرهاب بعد قيام النظام العالمي الجديد .. وكان من أهم تلك الملاذات ..

1. **أوربا والدول الغربية:** وذلك عبر فرص اللجوء السياسي. وكان من أهم تلك البلاد، بريطانيا التي أمها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسية من الأفغان العرب والتيار الجهادي ، من مختلف الجنسيات ثم الدول الإسكندنافية. ثم باقي دول أوربا الغربية وبعض الشرقية وأستراليا وكندا ..
2. **السودان:** التي كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت على الحكم موصلة الحركة الإسلامية الرئيسية فيها للسلطة. والتي كان من سياستها خلال مرحلة (1991-1995م) ، فتح الباب للتنظيمات الجهادية للانتقال إلى السودان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديين إلى هناك وكان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر. والشيخ أسامة وقياديو تنظيم

القاعدة، بالإضافة للكتلة الرئيسية من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا .. وجهاديين من جنسيات أخرى.

3. **بلاد أخرى لا تشكل خطورة أمنية** على رعايا بلدان عربية أخرى من الجهاديين ولوكانوا مطاردين في بلادهم في حينها ، قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمي والدولي فيما بعد. وأهم تلك البلاد .. اليمن ،التي أمها جمع متنوع من جنسيات شتي من الجهاديين والأفغان العرب. ثم تركيا وكذلك سوريا التي آوى إليها قسم من الشباب المجاهد من دول شمال إفريقيا وليبيا .. هذا بصورة رئيسية، في حين انتشر آحاد من الجهاديين بأسرهم وأطفالهم ، في بقاع أخرى حتى وصل بعض هؤلاء المهاجرين الغرباء الفرارون بدينهم من القابضين على الجمر في هذا الزمن إلى أقصى أنحاء المعمورة.. من الفلبين.. إلى أندونيسيا.. إلى تايلند.. إلى أمريكا الجنوبية.. حتى إلى بعض مجاهيل إفريقيا..

4. **البوسنة والشيشان:** فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان ، اشتعال الجهاد في البوسنة ما بين (1993-1995م)، فيما كان المسلمون يتعرضون لمذابح الصرب والكروات.. مما أوجد ساحة جهادية جديدة أمها آلاف الشباب المجاهد من البلاد العربية وبعض الإسلامية .. وقد كان في طليعتهم بعض الجهاديين. الذين خرجوا من ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة.

وكذلك توجه بعض الأفغان العرب وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب وبعض رفاقه من الأفغان العرب إلى الشيشان ليؤسسوا بؤرة جهادية حملت مشعل الجهاد وأضافت لصفحات الجهاديين في الربع الأخير من القرن العشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة التي شهدتها مناطق مختلفة قبل ذلك ..

كانت الأعوام (1992-1995م) أعوام مريحة نسبيا لهؤلاء الغرباء المشردين .. وقد مكنت هذه السنوات الأربعة الجهاديين المنتشرين في أقطار الدنيا، من العمل على نشر الفكر والدعوة الجهادية، ورغم أن مآخذ عديدة قد تذكر على تجارب هذه المرحلة سآتي على ذكر بعضها في آخر هذا الفصل إن شاء الله .. إلا أن هذه السنوات كانت سنوات دعوة وانتشار ..

ورغم أن حملات مكافحة الإرهاب قد أشعلها أمريكا عمليا منذ (1990م)، وتصاعدت مع الوقت لتبلغ ذروتها منذ (ديسمبر-2001م)، إلا أن تلك الحملات لم تدخل مرحلة الشدة إلا منذ أواخر (1995م) عمليا .. حيث وضعت أمريكا ضمن برنامجها لمكافحة الإرهاب كما مر معنا في الفصل الخامس ، برنامجا تضمن إلغاء الملاذات الآمنة. بالإضافة للممارسات الأمنية الأخرى ..

كان من أهم الشرائح التي عملت إيجابيا في نشر فكر الجهاد ودعوته .. تلك التي تركزت في الغرب ولاسيما أوربا، وفي طليعتها الدول (الإسكندنافية) ، وفي (بريطانيا).. فقد عمل الجهاديون مستغلين الظروف المريحة نسبيا ، والإمكانيات المادية وهامش الحرية- قبل إقفاله- والذي كان يتوفر في تلك الدول. عملوا على إصدار النشرات والأبحاث وإعادة بث ما كان قد أنتج في مرحلة الجهاد الأفغاني أو على مر التجارب الجهادية ، السابقة الندوات والمحاضرات وارتياد المساجد والإحتكاك بالجاليات الإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية لا تقل وربما تزيد ازدهارا عن تلك التي تجري في العالم العربي والإسلامي. حتى أن بعض الحكومات العربية ضجت واشتكت من الحرية التي يعيشها الإسلاميون والجهاديون هناك ، وعقدت عشرات المؤتمرات لمكافحة ظاهرة الأصولية الإسلامية في مختلف ميادينها ومن ذلك الهامش في الدول الغربية. حتي تمكنوا من إقفال كل ذلك عمليا ما بين (1995-2000م).

وقد شهدت بنفسي تجربة فريدة للدعوة الجهادية خلال إقامتي في بريطانيا (1994-1997م) واستطعت من خلال تلك الأجواء – كمثال- أن أكتب في العديد من النشرات والمجلات الجهادية التي كانت تصدر في بريطانيا مثل (الفجر) الصادرة عن الجماعة المقاتلة بليبيا ، و(المجاهدون) الصادرة عن لجماعة الجهاد في مصر ،

و(الأنصار) المقربة أيامها من الجماعة الإسلامية والمسلحة في الجزائر قبل انحراف الاخيرة هذه عن الجادة .. وشهدت لندن الكثير من الندوات والدروس واللقاءات التي كانت تسجل وتنشر إلى مختلف دول العالم حيث تتفشى الصحوة الجهادية.

إلى أن بدأت نذر العواصف الأمنية تهب على تلك الملاذات تباعا .. فبدأت موجات التضييق ثم الاعتقالات أو الطرد والإبعاد تطال كل تلك الملاذات آنفة الذكر بلا استثناء. وقد مر شيء من الإشارة لذلك في الفصل الخامس. فطردت السودان واليمن من لديها .. واعتقلت تركيا وسوريا والأردن من طالته أيديها وسلمتهم لبلادهم .. وبدأت الدول الأوربية كلها بلا استثناء الموسم بالتضييق وانتهت بزج مئات الجهاديين في سجونها ، حيث ما يزال كثير منهم إلى اليوم رهن الاعتقال العرفي بلا محاكمات ولا قانون، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم المعتقلين لدى الأنظمة البوليسية والديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي ودول العالم الثالث..

وهكذا دخل الجهاديون في مرحلة جديدة من المحنة كانوا بحاجة فيها إلى ملاذ ومتنفس جديد، وكان ذلك المتنفس ما يسره الله تعالى في أفغانستان مرة ثانية ..

- **سادسا: الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان في أفغانستان (1996–2001م)**

هذا العنوان هو عنوان لفصل من أهم فصول تاريخ الصحوة الإسلامية والجهادية المعاصرة على الإطلاق ، حيث يشكل أدق وأخطر مراحلها. وهو موضوع كتاب مستقل أعتزم كتابته إن شاء الله. وذلك فور انتهائي من هذا الكتاب الذي نحن بصدده .. حيث أشعر بالمسؤولية التاريخية، والأمانة العظيمة لكوني أحد قلائل الشهود الأحياء المتبقين من الذين يمكنهم كتابة هذه الشهادة الحية عن تلك التجارب العظيمة وأصحابها، ونقل تلك الدروس النفيسة لمن وراءنا من الأجيال القادمة، ولاسيما أولئك العازمين على حمل راية لجهاد وأمانة الدعوة إلى الله، في زمان استكبار الباطل وتشريد أهل الحق.

ولكني في هذه العجالة ؛ سأتعرض لأبرز آثار هذه المرحلة على التيار الجهادي المعاصر الذي نحن بصدد استعراض مراحله في هذا الفصل، معرضا عن كثير من التفاصيل بالغة الأهمية خشية الإطالة ، وخشية إثارة الحساسيات التي يلزم لإزالتها إسهاب وشرح لا يحتمله موضوع الكتاب.

وخلاصة ذلك في نقاط رئيسة موجزة على الشكل التالي:

- انطلق طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (1993م)، واستطاعت التقدم والسيطرة على وسط و جنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثم دخول كابل عام (1996م) وإعلان الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وإعلان زعيم طالبان الملا مُحَّد عمر- حفظه الله- أميرا للمؤمنين فيها. (وقد كتبت حول نشأة طالبان ومسارها خلال الفترة /1993- 1998 م/ بحثا مستقلا بعنوان :- أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم - لمن أراد التفصيل العودة إليه).
- سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كوادر وأعضاء التيار الجهادي في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حملات المطاردة أو ما سمي بـ (الحرب الدولية لمكافحة الإرهاب) بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ أوائل التسعينات واشتدت ما بعد (1995م). فبدأ هؤلاء يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان ، ليبتدئ العرب شوطهم الثاني في أفغانستان مع النصف الثاني سنة (1996م).
- مع الترحيب وحسن الجوار الذي أبداه الطالبان لتلك الطلائع القادمة، وفي مقدمتهم الشيخ أسامة ومجموعة من عناصر تنظيم القاعدة .. وبعض الرموز والجهاديين من قدماء الأفغان

العرب .. بدأت الساحة تستهوي عموم الجهاديين وأصحاب الطموح باستئناف المسار إلى هناك ...

- ومع إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية وسيطرة الطالبان على نحو(94 %) من الأرضي الأفغانية. بدأت دار الإسلام الوليدة والوحيدة في الأرض ، من منظور الجهاديين وعموم الإسلاميين تستهوي كثيرا من غير المطاردين والمضطرين للبحث عن ملاذات. بغية الهجرة الشرعية إلى دار الإسلام الوليدة هذه.
- وخلال عام (2000م) كانت المعسكرات والمضافات العربية قد انتشرت في مدن أفغانستان الرئيسية ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قندهار)، والمدن الشرقية مثل خوست وجلال أباد. وبدأ المهاجرون الجدد والمحاربون القدماء من الأفغان العرب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المهاجرين.. ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السياسي والاقتصادي والحملة الإعلامية والدولية التي أحاطت بالإمارة الإسلامية الوليدة من كل جانب. وأعتقد أن عدد الذين قدموا وغادروا أفغانستان خلال هذه المرحلة (1996-2001م) ، بلغ عدة آلاف من الرجال. ولكن الذين استقروا منهم في أفغانستان كانوا قريبا من (350 أسرة) ونحوا

(1400) مجاهـد ومهـاجر عـربي مـن مختلـف الجنسـيات. بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمجاهدين والمهاجرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان وطاجيكستان التي تتعـرض فيهـا الحركـات الإسـلامية إلى طغيـان آخـر حصـون الشيوعية في العالم. وكذلك من تركستان الشرقية التي تحتلها الصين وتذيق المسلمين فيها ألوان العذاب والهوان ..

- وخلال هذه الأجواء.. تواجدت التنظيمات الجهادية العربية الرئيسية .. وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجهاد في بلادها ضد طواغيت تلك البلاد، من أجل إقامة حكومات إسلامية على أنقاضها بحسب تصوراتهم ..
- ولست هنا إلا بصدد تسجيل خلاصة تاريخ ذلك المسار، وليس التعرض لتقيم تلك الجموع والكتل وأهدافها وطرق عملها في هذا الحيز الموجز. وسأترك ذلك التفصيل العام إلى الكتاب الذي أشرت إليه وأسأل الله العون والتوفيق لإنجازه بما يرضي الله تعالى .. كما قدمت جموع وكتل جديدة من جديد من بلاد عربيه متعددة، تسعى إلى تكوين نفسها.. وولدت كتل وشبه تنظيمات جهادية جديدة حاول أصحابها شق طريقهم من خلال تلك الأجواء ..

- ويمكن القول أن كافة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديين، رغم أن أكثريتهم لم تكن تنضوي داخل التنظيمات الرئيسية، ولم يؤم أفغانستان في هذه المرحلة كما في الأولى ، أنواع أخرى من طيف الصحوة الإسلامية، فقد اختلفت الظروف الدولية تجاه هذه الظاهرة وصارت على النقيض. ففي حين كان الجمع الأول ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالمية -كما أشرت آنفا - كان هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالمية.
- ورغم أن سوادهم الأعظم إن لم يكن كلهم، من الجهاديين فكرا واتجاها ، إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية، بغض النظر هنا عن رصد الأعداد والتعرض للتقييم. فقد ضم هذا الجمع الطيف التالي – بحسب الحجم :-

1. **المتدربون:** وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل، ولم يستقر هؤلاء الا مدد التدريب التي تتراوح ما بين الأشهر القليلة إلى السنة.
2. **المهاجرون:** وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، و إعمارها والجهاد معها ،

دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخليين أو خارجين ..

3. **التنظيمات الجهادية**: التي قدمت لتتابع أهدافها وبرنامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها .. ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية- السرية – الهرمية) سواء من البلاد العربية أو بعض الإسلامية..

4. **الشيخ أسامة بن لادن وإدارة تنظيم القاعدة**: ومن لحق بدعوتهم، والذين كان هدفهم هو الدعوة والعمل على مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. من خلال هذا الحصن المنيع (أفغانستان). والاحتماء بحكومتها الجديدة (الطالبان) وأميرها المصابر(الملا مُحَّمد عمر). فرج الله كربته..

5. **تنظيمات وجماعات أعاجم وسط آسيا**: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة و نصرة دار الإسلام والجهاد معها .. وبين الإعداد للجهاد في بلادهم . وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و (المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين. بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى..

6. **المجاهدون من باكستان:** وكانوا خليطا من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان وهي امتداد لطالبان فكرا ومنهاجا ، بالإضافة لأعضاء التنظيمات الجهادية المختلفة العاملة على جبهة كشمير، والتي رأت في أفغانستان خط إعداد خلفي جيد لمتابعة نشاطها. بالإضافة للمجاهدين فرديا دون الجماعات والتنظيمات .. وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية ، حجما يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفا.

- شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التيار الجهادي وتطوره في بعد جديد ..

فقد أدت الحملات الإعلامية التي شنها الشيخ أسامة بن لادن ضد أمريكا وعدوانها على المسلمين ونداآته لتخليص الحرمين من الإحتلال الأمريكي والغربي.. ثم إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته ، وهو تبني القضية الفلسطينية. وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم ، بالعدوان الإسرائيلي الصهيوني على المسلمين في فلسطين، وإدخال قضية الحرم الثالث في القدس، ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين .. أدت هذه الحملات المركزة والمنظمة ، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة. ودخول تلك الموجهات

إلى الفضـائيات الأمريكيـة والعالميـة و العربيـة ولاسـيما قنـاة (الجزيـرة) القطرية ، التي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم .. أدت إلى أن يأخذ التيـار الجهـادي بعـدا جديـدا نحـو عالميـة المرحلـة .. رغـم أن معظـم التنظيمـات العربيـة أو كلهـا لم تغـير شـيئا مـن أهـدافها ولا برامجهـا (القطريـة– السرية– الهرمية) ، ولا تحولـت باتجاه دعـوة الشـيخ أسـامة حتى اللحظات الأخيرة من العام (2001م) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الإتجاه..

وافـق هـذه المرحلـة أحـداث عالميـة بالغـة الأهميـة و الأثـر علـى العـالم الإسـلامي .. وكـان في طليعـة ذلـك اشـتعال الإنتفاضـة الفلسـطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة التي انطلقت منذ سنوات ، إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الاستشهادية منذ سنة (2000م). وتفاقمت الأوضـاع في المنطقـة العربيـة كلهـا نتيجـة هـذا التصـعيد بالإضـافة إلى ازدياد آثار الحصـار الأمريكـي القاتـل المـدمر علـى العـراق، منـذ (1991م)، وآثار ذلـك أيضـا.. بالإضـافة لإشـعال حمـلات المطـاردات الأمنية والحرب العالمية على الإرهاب بقيادة أمريكا ، حيث سارت في ركابها كافة دول العالم ، ولاسيما حكومات الدول العربية والإسلامية..

وسـرعان مـا صـار الجمـع العـربي في أفغانسـتان وكـذلك رمـزه الشـيخ أسامة بن لادن ، النجم الحاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربية

والعالمية مصدر الهام و تثوير للصحوة الإسلامية وامتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهادي وأنصاره في العالم ..

- أخذت التنظيمات والبؤر والتجمعات الجهادية العربية تكون نفسها في أفغانستان .. ولم يأت عام (2000م) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المعسكرات أو التجمعات والمشاريع الجهادية (**أربعة عشر**) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا ، معترفا به رسميا من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدفاع والداخلية والإستخبارات برامج ضبط وتنسيق وتعاون.. سواء في تنسيق دعمهم وجهادهم إلى جانب طالبان ، أو في برامجهم الذاتية. عدا المجموعات الباكستانية التي كان لها أيضا ترتيبها الخاص وكانت متعددة.
- وهذه التجمعات التي كانت مستقلة عن بعضها تماما هي:

المجموعات غير العربية:

1-**المجاهدون الأوزبك:** وكانت مجموعة كبيرة العدد نسبة للمجموعات الأخرى ، وكان برنامجهم يهدف إلى نقل الجهاد إلى أوزبكستان ، والإطاحة بنظام (كريموف) الشيوعي – الأمريكي !، وذلك لما يكون الوضع في أفغانستان قد استتب للطالبان. ومن خلال البرمجة التامة معهم. وكان برنامجها في ذلك الحين هو التجنيد والإعداد والتدريب. وكانت مجموعة

مرتبطة بالطالبان. وقد بايع أميرهم (مُحَّد طاهر جان) الملا مُحَّد عمر، بيعة إمام عام. وكذلك بايع نائبه القائد العسكري الشهير (جمعة باي) رحمه الله. وكان لهم برنامجا طموحا جدا للتجنيد والدعوة في أوساط الأفغان الأوزبك ، وهم جالية تعد أكثر من خمسة ملايين نسمة ، كثير منهم من المهاجرين من أوزبكستان منذ أيام احتلال القياصرة ، وما تلاه من مجازر ستالين ولينين..، وكانت مجموعة منظمة عالية الكفاءات والإمكانيات المادية ، حيث تدعمها جاليات أوزبكية مهاجرة منتشرة في بلاد كثيرة.

2-**المجاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين:**

وكانت مجموعة محدودة ، هاجر أكثرهم فرارا من الحكم الصيني خفية ، وكان برنامجهم تربويا شاملا بعيد المدى نظرا للظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون في تركستان الشرقية بعد أن طبقت الحكومات الصينية المتعاقبة سياسة الهجرة الصينية إلى بلادهم ، ونجحت في تغيير خارطتها السكانية ، لينخفض عدد المسلمين التركستان من أغلبية ساحقة إلى نحو نصف السكان ، حيث أسموها (سيانغ يانغ) يعني (الأرض الجديدة) ، ناهيك عن الإجراءات الشرسة منذ الحكم الشيوعي لماو تسيتونغ ، وكان من برنامج هذه المجموعة إرسال بعضهم لداخل بلادهم من أجل إخراج المزيد من المهاجرين وإعدادهم ، تمهيدا

للعمل العسكري الذي ينونه ضد الصين ، وكان أميرهم الشيخ الشهيد (أبو مُحَمَّد التركستاني) رجلا فذا ونشيطا من أروع نماذج المجاهدين الفارين بدينهم ولا نزكيه على الله ، وقد قتله الجيش الباكستاني في (وزيرستان) في نوفمبر 2003م. قاتلهم الله ، ورحمه رحمة واسعة .. وقد بايعت المجموعة الملا مُحَمَّد عمر بيعة عامة أيضا ، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملي ضد الصين والاكتفاء بتربية من يلحق بهم ، نظرا لحاجة الطالبان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكية ، فالتزموا ذلك.

3- **المجاهدون الأتراك:** وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك، وقد عملوا بشكل سري جدا ، وكان برنامجهم التدريب ، ولا أدري إن كان لهم برنامج عملي في بلادهم في حينها.

المجموعات العربية:

4- **تنظيم (القاعدة)** بزعامة الشيخ أسامة بن لادن – حفظه الله تعالى –. وبرنامجهم معروف ، وقد بايع الشيخ أسامة أمير المؤمنين بيعة إمامة كما أسلفنا.

5- **الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا**. وكان أميرهم (أبو عبد الله الصادق) فك الله أسره – وكان برنامجهم الرئيسي الإعداد لجهاد

نظام القذافي في ليبيا ، والمشاركة في دعم القضايا الجهادية عامة ، والمساهمة في دعم طالبان. وكان لهم مساهمة طيبة في ذلك.

6- **الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب (مراكش)**. وكان برنامجهم الإعداد وتدريب عناصرهم الذين يفدون ويغادر أكثرهم ، وكان هدفهم جهاد النظام الحاكم في المغرب الأقصى. وكان أميرهم يدعى أبو عبد الله الشريف.

7- **جماعة الجهاد المصرية**. وكانت قد تقلصت إلى حد كبير وكان هدفهم إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها ، وهدفهم معروف وكان جهاد النظام الحاكم في مصر. وكان أميرهم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله تعالى.

8- **الجماعة الإسلامية المصرية**. وكانت مجموعة صغيرة جدا ، انحصر وجودهم بصفة الهجرة ، ولم يكن لهم نشاط مهم بعد تبني مبادرة وقف جهاد النظام المصري التي عرفت باسم (مبادرة وقف العنف). وكان أكثر رموزهم الهامة يقيم في إيران كما هو معروف ، وانتقل بعضهم آخر أيام طالبان إلى أفغانستان.

9- **تجمع المجاهدين الجزائريين**. وكان هدفهم لم شعث من استطاعوا من إخوانهم لإعادة ترتيب الجهاد في الجزائر بعد النكبات التي مني بها.

10- مع **المجاهدين من تونس**. وكان هدفهم الإعداد والتدريب وجمع الشباب التونسي ، بغية الجهاد في تونس ، وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية ، وكان فيهم كوادر سبق لها الجهاد في البوسنة.

11-**تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين** ، وكان برنامجهم الإعداد والتدريب ، للجهاد في الأردن وفلسطين. وكان أميرهم الأخ (أبو مصعب الزرقاوي).

12-**معسكر خلدن** (**معسكر تدريبي عام**). وهو من أقدم المعسكرات العربية ، ويعود تأسيسه لأيام مكتب الخدمات والشيخ عبد الله عزام. وكان أميره الشيخ المجاهد المعروف باسم (ابن الشيخ – صالح الليبي) فرج الله أسره ، يعاونه الأخ أبو زبيدة ، فرج الله عنه. وكانت أهداف المعسكر تدريبية محضة لدعم الجهاد في كل مكان. وكان له إنتاج طيب عبر السنين ربما تجاوز عدد من تدربوا فيه منذ تأسيسه سنة 1989م العشرين ألفا.

13-**معسكر الشيخ أبو خباب المصري** (**معسكر تدريبي عام**). وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التدريب على تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

14-**مجموعة معسكر الغرباء (وهي مجموعتنا) وكانت مرتبطة بالطالبان وكان لها أيضا (معسكر تدريبي عام ، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات ...)**. وقد أسَّستُها سنة 2000م، من أجل تأسيس مدرسة تدريبية تقوم

على الإعداد الفكري والمنهجي السياسي الشرعي والتربوي العسكري الشامل ، وهو ما رأيت أن ساحة الأفغان العرب قد افتقرت إليه في شوطيها على حد سواء ، وكان الهدف الآخر من تأسيسها إطلاق دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (التي فصلتها في هذا الكتاب) ، بالإضافة إلى الارتباط العضوي بالإمارة الإسلامية والمساهمة في بنائها والدفاع عنها ، والعمل في أفغانستان من خلال الترتيب مع أمير المؤمنين مباشرة.

وقد شرحت أهداف المجموعة باختصار للملا مُحَّد عمر وبايعته في 15 محرم 2001م. وارتبطت مجموعتنا من حينها بأمير المؤمنين وعملت من خلال وزارة دفاع الإمارة الإسلامية.

- ثم تصاعدت الحرب الأمريكية والغربية بمشاركة من الدول الإسلامية على طالبان وأفغانستان. ولاسيما على الشيخ أسامة والقاعدة الذين قاموا بتنفيذ هجومين على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام.. ثم الهجوم الاستشهادي الآخر على المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن في اليمن ، خلال هذه الفترة (1997-2000م) بالإضافة للتصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة من أفغانستان منذ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية التي كان يحرض المسلمين فيها على حرب أمريكا وجهادها.

- وتصاعدت الضغوط الأمريكية والعالمية والتهديدات الجدية ، والحصار الاقتصادي والإعلامي على أفغانستان.. وبدأت أمريكا تنذر بالحرب على الإرهابيين فيها وخاصة خصمها العنيد، الشيخ أسامة. ثم وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سبتمبر 2001 م..
- فقد قامت مجموعة من أعضاء القاعدة بالهجوم الاستشهادي التاريخي الشهير على أبراج نيويورك والبنتاغون صبيحة الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001م.

ورغم عدم إعلان القاعدة عن مسؤوليتها عن العمليات ، إلا أن أصابع الاتهام والقرائن لدى الأمريكان كانت واضحة.. وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها.. وإبادة من تستطيع إبادته من طالبان ومن التجمعات الجهادية والعربية المتواجدة تحت عباءة أمير المؤمنين ..

ولست هنا بصدد الانخراط في التأريخ لأحداث بالغة الأهمية شهدتها بنفسي ، بل كنت جزأ منها في أفغانستان.. وكما أسلفت فلدي العزم على ذلك إن شاء الله وأعان .. ولكني سأقتصر هنا على ماله علاقة بهذا الفصل وهو أثر ذلك الحدث على مسار التيار الجهادي..

ذلك الأثر الذي أدى بحسب ما أعتقده إلى وضع نهاية مأسوية للتيار الجهادي وإنهاء مرحلته التي امتدت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي وإلى سبتمبر2001م ..

حيث دخل التيار الجهادي محنة الأخدود المعاصر الذي ابتلع معظم كوادره خلال السنوات الثلاثة التالية (2001-2004م).

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الذي جرى بعد ذلك بسنتين .. مرحلة تاريخية جديدة من تاريخ التيار الجهادي بل الصحوة الإسلامية والعالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع ..

- **بعض مترتبات الحدث وتوابعه:**

لقد كانت خسائر العدو في هجوم سبتمبر كبيرة بكل المقاييس ، وأرجو أن تكون قد وضعت بداية السقوط الحقيقي إن شاء الله لهذه الدولة البربرية الهمجية المسماة (الولايات المتحدة الأمريكية) ، التي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربية المعاصرة، التي باشرتها دول أوروبا الاستعمارية وساهمت فيها روسيا ثم ورثت كل صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت على أساسها نظام الاستكبار اليهودي الصليبي المعاصر.

لقد كانت **القاعدة** جزء رئيسيا من كتلة المجاهدين **الأفغان العرب** في أفغانستان، والذين كانوا بدورهم جزءا هاما من **التيار الجهادي** العام، الذي يتكون من مجموع التنظيمات والجماعات والتجمعات التي تنتشر

في معظم بلدان المسلمين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من الأفراد والكوادر الجهادية من العلماء والمفكرين والدعاة والكتاب الذين حملوا جميعا الفكر الجهادي الذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المسلح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظلم عن الإسلام والمسلمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأمة..

ولقد دمجت الآلة الأمريكية كل ذلك التيار ومكوناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصحوة الإسلامية على اختلاف مدارسها تحت مسمى **(القاعدة)** وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإرهاب. وهذا موضوع يستأهل البحث وليس محله هذا الكتاب، لأن أمريكا حققت من وراء هذا التعميم غير الواقعي أهدافا في غاية الخبث والخطورة.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك ، وتهدم جدار البنتاغون على رؤوس جنرالات أمريكا ، انهيارات كثيرة في الصف الإسلامي، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة ، وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافة أطراف ومدارس الصحوة الإسلامية ، وكان أكثرهم تضررا التيار الجهادي وتنظيماته وكياناته المختلفة كافة ، على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كل مكان .. بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل العدو كل مسلم في كل مكان. وقد كان هذا سببا

في أن كثيرا من أوساط الصحوة الإسلامية ، بل وحتى بعض الجهادية لم تنظر لهذا العمل المجيد بعين الارتياح.

وقد انتقده كثير من المسلمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء على المسلمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد ..
- وأنه برر الهجمة الأمريكية وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإسلامي وإنزال أفدح الخسائر بالمسلمين.
- وأنه ألغى عمليا معظم البرامج الذاتية لكثير من مشاريع الجهاد القطرية والإقليمية بالتبعية تلقائيا.
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإسلامية الوليدة في أفغانستان ملغيا القاعدة الوحيدة التي فاءت إليها معظم مشاريع الجهاد وجماعاته وقياداته ... إلى آخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه. ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النظر هذه ما يبررها.

ولكن من جهة أخرى وحتى نأخذ الصورة بكل معطياتها ..، فإن المتابع للسياسات الأمريكية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي ، بل بكافة العالم الثالث وخاصة منطقة الشرق الأوسط ، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السياسية ، عبر الكتب المنشورة، والتقارير

والدراسات التي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون وهينينغتون... يجد أنها قد أعربت وصرحت بأهداف السياسة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين، وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسيطرة على العالم. وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النظر عن أحداث سبتمبر كانت أولم تكن.

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن على أمريكا أن تعمل على أن يكون القرن 21 قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل على تفكيك الإتحاد السوفيتي ، ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة ، وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية ، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسيطرة عليها والتخطيط للسيطرة على المارد المسلم الذي يتململ استعدادا للنهوض على حد تعبيره. كما شكلت أمريكا قوات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النفط منذ أيام كارتر مطلع السبعينات. هذا بالإضافة للسياسة المبنية على معتقدات المتطرفين الصليبين الذين بنوا تصوراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصهيونية كأساس لمذهب المسيحية الأمريكية المتعصبة، التي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليهود بانتظار المعركة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فلسطين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النصارى. هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء على نظريات

صراع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض. وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العالمية بصراحة ، عن ظاهرة (المحافظين الجدد) ، وهي الفئة النصرانية المتصهينة التي ينتمي إليها بوش وأعوانه ..

والدلائل كثيرة جدا على أن أمريكا قد تحركت نحونا منذ أن انهيار الإتحاد السوفيتي وافتتحت ذلك بحرب الخليج ، ثم بسلسلة المؤتمرات الأمنية ضد ما أسموه الأصولية الإسلامية وذلك عقب الإجتماع الهام الذي جمع (ريغان – تاتشر- غورباتشوف) والذي وضعوا فيه علنا الإسلام خصما حضاريا للحضارة الغربية بعد انتهاء الحرب الباردة وقرروا ضم مكونات حلف (وارسو) لتدخل في حلف الناتو الذي سيقود الحرب الصليبية على المسلمين ...

وهناك كثير من الوثائق التي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة. وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العرب والمسلمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سبتمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لولم توجد القاعدة ولم تحدث انفجارات 11- سبتمبر، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت ، وكما اتخذوا اليوم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشام

والجزيرة. فكل أدلة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سبتمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمواجهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية).

وحتى هجوم أمريكا على أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العالمية وعلى لسان كثير من السياسيين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكية في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكية حول الصين ويحاصر إيران من الشرق ويزيل أي إمكانية لحكم المسلمين بالشريعة في أفغانستان حتى لا تكون سابقة تحتذى ، فلم يكن الشيخ أسامة ولا الأفغان العرب ولا مجاهدو وسط آسيا المقيمين في حماية طالبان سبب الهجوم على أفغانستان. بل كان السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشريعة وتمرد نظامهم على شريعة أمريكا في السياسة الدولية. بالإضافة للأطماع الإمبراطورية الأمريكية في المنطقة. والله تعالى أعلم.

- وبعيدا عن اختلاف وجهات النظر من الحدث وتداعياته ، فقد فرض واقعا على المسلمين وأقطاب الصحوة الإسلامية والقيادات الجهادية أن يواجهوه الآن ، وأن يعلموا أن أمريكا قد قررت وفرضت عدوانها على المسلمين ، وبهذا الزخم ورتبته مع اليهود وحلفائها الأوروبيين وروسيا منذ انهيار الإتحاد السوفيتي وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف الناتو ، ووزعت الأدوار، التي خصت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحكومات الردة في العالم

العربي والإسلامي. فهذه الحرب القائمة الآن، فرضها العدو ونفذها، من قبل سبتمبر 2001 م ولم توجدها أحداثها. حرب فرضتها المصالح الإقتصادية والجغرافية السياسية. وهي نتيجة الجذور التاريخية والتصورات الدينية لمعتقدات اليهود والأمريكان عن الصراع مع المسلمين.

- وتفاصيل أحداث سبتمبر معروفة.. وأشهر من أرددها هنا حيث لا مجال للإطالة .. ولذلك سأقفز عن تفاصيلها ، إلى تداعيات الحدث على التيار الجهادي في أفغانستان ، حيث كانت قد تواجدت نخبته على صعيد القيادات والرموز والكوادر وقيادات التنظيمات والجماعات والكتل الجهادية الرئيسية في العالم العربي ووسط آسيا والباكستان في ذلك الوقت ..

- **<u>تداعيات أحداث سبتمبر2001م على التيار الجهادي في أفغانستان:</u>**

- ابتدأ الأمريكان الحرب بموجات من القصف الجوي المركز منذ مطلع شهر 10 وإلى أواسط 11، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحرب على الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.
- من الشمال نحو كابل .. ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشمال الشرقي نحو جلال أباد ،

وسقطت مزار شريف ، ثم كابل بيد تحالف الشمال في شهر ديسمبر 2001 م ..

- واستولت الشراذم وقطاع الطرق والحرامية والقبائل التي عملت في البرنامج الأمريكي على المدن تباعا.. وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع..
- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل.. أعلن عن سقوط طالبان .. وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور.. ثم تابع عملاء أمريكا على الأرض تنفيذ المهام .. التي لعبت ملايين الدولارات دورا هاما في أدائها على الوجه الأكمل قذارة وبشاعة..
- ثم أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحرب العالمية على الإرهاب) والتي لعبت فيها الباكستان الدور الرئيسي.. حيث تولت تصفية واعتقال الذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد على أراضيها.. ثم تلتها مختلف الدول العربية والإسلامية بالمشاركة .. بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار.. مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التيار الجهاد تدميرا كبيرا.
- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربي من الجهاديين والمهاجرين في أفغانستان.. فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تاريخية للتيار الجهادي هي الأسوأ في تاريخه كله .. وكان أمر الله قدرا مقدورا..

وكانت خلاصة الخسائر والمصائب منذ انطلاق أحداث الكارثة وإلى ساعة تحرير هذه السطور في شهر سبتمبر من عام 2004م أي خلال ثلاث سنوات عجاف ، ودون الدخول في التفاصيل كالتالي..

- استشهاد زهاء (400) مجاهد عربي خلال معارك الدفاع عن أفغانستان. حيث استبسلوا في الدفاع عن مختلف خطوط القتال.. أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرئيسية باتجاه الحدود الباكستانية.

- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (150) مجاهد خرجوا من معارك (طوره بوره) بعيد الحرب مباشرة خلال الشهر الأول من عام (2002م). وجرى تسليمهم للأمريكان الذين نقلوهم إلى معسكر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جزيرة كوبا.

- استشهاد نحو (100) مجاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو على طرق السفر، أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (2002م) وإلى سبتمبر (2004م)..

- أسرت القوات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد على (600) مجاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين على أراضيها ..

وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو. أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان.

- إعتقلت إيران على أراضيها أكثر من (400) مجاهد عربي. سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا. وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران .. - بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السجون والمساومات السياسية مع أمريكا.

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمجاهدين العرب الذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (1900) مجاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمهاجرين. تكون الخسائر قد جاوزت ما بيت شهيد وأسير (1600) مجاهد من أصل الـ (1900) أي نحو (75 %) من القاعدة البشرية للأفغان العرب الذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة. كما أدت حملات المطاردة والاعتقال التي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربا وبلدان العالم العربي والإسلامي بل في كل العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التيار الجهادي أو من المظلومين القريبين منهم من الذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصراع ..

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديين من وسط آسيا وخاصة من المجاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا، الذين استشهد معظم كادرهم العسكري وربما جاوز هذا الرقم زهاء

500 شهيد عدى الأسرى.. استشهد أكثرهم في أفغانستان ، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوات الأمريكية في منطقة وزيرستان.

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المجاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطريقة.. وكان آخر هذه الخسائر استشهاد أميرهم (حسن أبو مُحَمَّد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تعالى. وأكرم نزلهم في المهاجرين الغرباء الفرارين بدينهم ، وقد قتله الجيش الباكستاني – قتلهم الله – في شهر 11/ 2003م. أثناء عمليات المطاردة في إقليم سرحد.

حتى صرح (رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي أواسط عام (2003م) أن حملتهم الأمنية والعسكرية على الإرهاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد على (3000) إرهابي بحسب وصفه.. وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع .. فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف هذه الرقم ، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديين والمتعاطفين معهم في بريطانيا وحدها إلى نحو (300) أسير،كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية ، ناهيك عن العشرات الذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدول الأوروبية .. أما في الدول العربية فقد شنت اليمن حملة على الجهاديين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم ، قتل فيها العشرات وأسر المئات .. كما أعلنت

السعودية عن توقيف أكثر من (220) أخ نسبت لهم تهمة القاعدة رسميا. ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والذين حقق معهم في السعودية ، هو رقم من فئة الآلاف ، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السجون ، وذلك أن السعودية واليمن كانتا من البلاد التي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشباب العرب وكانتا من أكثر الدول مطاردة لهم أيضا.. كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كل مكان .. ليكون آخرها ما جرى في المغرب. منذ شهر11/ 2003م. حيث اعتقل المئات أيضا ، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهادي والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال .. وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديين ومعظم المتعاطفين معهم في كافة أنحاء العالم .. من القرن الإفريقي إلى الفلبين .. إلى أندونيسيا وجنوب شرق آسيا.. إلى تركيا.. إلى كل أقطار الدنيا ..

- **لقد كانت المصيبة كارثية و عظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب:**

1- أن هذا الرقم الذي طال ما بين (3000- 4000) عنصر من الجهاديين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن ، والواقع أكبر من ذلك

بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديين في هذا الزمان، بل يضم كثيرا من الدائرة الأساسية للمتعاطفين معهم في العالم العربي والإسلامي وفي الجاليات الإسلامية في الغرب.. فقد مثلت هذه الملحمة عملية استئصال للقاعدة البشرية الأساسية للتيار الجهادي في هذا العصر.

2- أن الضربة القاصمة التي حلت بالمجاهدين العرب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان. قد أطاحت بالنخبة الأساسية من كوادر وقدماء التيار الجهادي. وبخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العاملين من جيل الأفغان العرب الأوائل وهم زهاء (150) كادر مجاهد هو زبدة من تبقى من الرموز والعاملين في التيار الجهادي خلال ربع القرن الأخير من القرن العشرين. وقد سحق القتل والأسر معظم هذه الزهرة.. وربما لا أبالغ إن ذكرت للتاريخ معلومة يعرفها العدو.. ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها.. ولا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هؤلاء من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً .. أسأل الله أن يحفظهم ويعينهم على إعادة البناء.

3- أن الكارثة قد تعدت إلى أن يلتهم الأخدود حتى بعض من تربى على هؤلاء من طليعة كوادر الجيل الجهادي الثالث ، من الشباب الذين قدموا إلى ساحة الجهاد الجديدة في أفغانستان خلال الشوط الثاني

للأفغان العرب (1996–2001م). ولله الحمد فقد نجى كم لا بأس به من هؤلاء ، وتفرقوا في أنحاء الأرض ولله الحمد ..

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفصل بعد هذا الاستطراد المأساوي ، أقول:

أن التيار الجهادي الذي ابتدأ مساره مطلع الستينات. وازدهر أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات. وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان.. قد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سبتمبر (2001م)..

لتبدأ مرحلة جديدة لمسار التيار الجهادي في مواجهة الحملات الصليبية اليهودية المعاصرة ، بإذن الله ..

ومن أجل المساهمة في انطلاق تلك الآمال أكتب هذا الكتاب.. حيث تستهل الفترة بمواجهة الحرب (العالمية على الإرهاب) بقيادة أمريكا. وبغزواتها العسكرية المباشرة في أفغانستان العراق والشرق الأوسط. حيث تبدوا في الأفق ملامح ساحات جديدة للصدام ومعطيات جديدة تترك بصماتها على مسار الجهاد الظافر بإذن الله .. والذي بشر باستمراره وبقائه .. أشرف الخلق مُحَّمد عليه الصلاة والسلام.

- **سابعا: أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين.**

للأسف الشديد.. فإن القاعدة الأساسية في دائرة العمل الإسلامي عامة والجهادي خاصة هي:

(قلة العاملين في قطاع الكتاب. وقلة الكتاب في قطاع العاملين).

ولذلك فقد اندثرت معظم التجارب الجهادية الهامة للتيار الجهادي، بل ولعموم تجارب الظاهرة الجهادية دون أن يكتب عنها أصحابها. وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم ، أو كانوا على احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم .. وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التجارب الطويلة الأمد أو المحدودة..لم يكتب أحد من أصحاب تلك التجارب شيئا يذكر.. أولم يصل على الأقل للانتشار، وقد فات على الأمة وأجيالها القادمة بذلك ، دروسا بالغة الأهمية ، وقصصا وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة.. من تلك الملاحم التي قام بها الجيل الأول والثاني ، من هذا التيار الجهادي ، منذ انطلق وإلى نهايات القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين..

في حين تطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب ، بعض الخصوم ، أو بعض التجار من الصحفيين ، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصحوة الإسلامية من أصحاب الكروش التي تربت تحت برد المكيفات.

وقد حاولت أن أخرق هذه القاعدة بصفتي أحد قلائل الميدانين الذين عملوا في هذا التيار عبر بعض تجاربه، واحتكوا بالكثيرين من رموز تجارب أخرى. وسأورد ملخصا عن ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الفصل..

- فقد كتبت كتاب (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا –آلام وآمال–) وقد اشتمل على خلاصة تاريخ ذلك الجهاد والكثير من وثائقه ودروسه.. ويقع الكتاب في نحو (900) صفحة وطبع سنة 1990م.

- وكذلك كتبت كتاب [شهادتي في الجهاد في الجزائر (1989-1996) م]. والذي فقدت مسوداته النهائية وهي نحو(200) صفحة مع ما تركت من حاجاتي في كابل أثناء سقوطها في ديسمبر (2001م). وأعدت كتابته خلال محنتنا هذه في باكستان وسأنشره مع هذا الكتاب إن شاء الله.

- كما كتبت كتابا موثقا عن محنة المجاهدين الأفغان العرب وعموم الإسلاميين في الباكستان خلال هذه السنوات الثلاثة بعد سبتمبر 2001م ، وسأنشره قريبا أيضا إن شاء الله.

- وقد وضعت الآن فهارس وبعض المسودات لكتاب مهم جدا ليغطي تاريخ ودروس أهم تجارب القرن الماضي فيما أعتقد وهي (تجربة التيار الجهادي في كنف طالبان منذ قيام الإمارة 1996م وإلى سقوطها

بعد أحداث سبتمبر2001م ثم تداعيات ذلك..). أسأل الله أن يعينني على إنجازه بعد إنجاز هذا الكتاب الهام ، ويقدرني على شهادة ترضيه ويعينني على تبعاته. ويكتب لي أجره.

ولذلك ولكي تتم الفائدة من هذا الفصل، سأورد هنا خلاصة بأهم التجارب الجهادية التي وقعت خلال النصف الثاني من القرن الماضي. بحسب ما بلغني من أصحابها مباشرة من خلال معايشتي للتيار الجهادي .. ولعل في هذا حافزا للأحياء من أصحاب تلك التجارب كي يكتبوا عن تجاربهم.

وسأذكرها بحسب تسلسل ابتدائها التاريخي إن شاء الله .. وأهم تلك التجارب:

1- تجربة حركة الشبيبة المغربية (1963م):

والتي أسسها الشيخ عبد الكريم مطيع حفظه الله. وقد حاول إنشاء تنظيم جهادي مسلح للثورة على نظام الملك الحسن الثاني في المغرب. وقد اعتقلت خلايا التنظيم وسجن كثير من عناصرها .. وهاجر من نجى بمن فيهم الشيخ عبد الكريم إلى خارج المغرب واندثر نشاط الحركة ..

وقد عثرت على كتابات للشيخ عبد الكريم مطيع وفيها فكر جهادي ناضج ومتميز بشكل عام .. كما عثرت على كتاب يؤرخ

لتلك المحاولة، ثم فقدته مع مكتبتي في لندن بعد هجرتي المستعجلة في سنة (1997م). ولم يمكن في ذلك الكتاب مادة تاريخية أو منهجية مهمة. كما التقيت بأحد الأعضاء القدماء من ذلك التنظيم أثناء إقامتي في لندن (1994–1997م) وحدثني عن فصول تاريخية هامة في تجربتهم .. ولكنها لا تحضرني الآن..

2-**تجربة تنظيم الجهاد المصري (1965–2000م)** :

كان للشهيد سيد قطب رحمه الله تجربة محاولة لكي يضع دعوته وأفكاره موضع التنفيذ.. وقد تأسس ذلك التنظيم على نخبة من الشباب المجاهد في مصر ممن عاصروه، وكان أكثرهم من كوادر الإخوان المسلمين في حينها .. وقد نشرت وثيقة تاريخية بعنوان (لماذا أعدموني) نسبت للشهيد الراحل (سيد قطب) يدل سياقها وشهادة بعض من عناصر على صحة نسبتها إليه.. وبحسب تلك الوثيقة فقد ذكر سيد قطب رحمه الله ؛ أن نخبة من الشباب المجاهد كان قد شكل بعض الخلايا السرية بغية مواجهة نظام عبد الناصر إثر الهجمة الوحشية التي قامت بها أجهزة الأمن والقضاء المصري في عهد الهالك عبد الناصر على الإخوان المسلمين سنة (1965م). ومن قبلها سنة (1954م) حيث إعدام بعض كوادرهم وسجن عشرات الآلاف منهم في السجون التاريخية الرهيبة .. وقد ذكر في تلك الوثيقة؛ أن أولئك

الفتية قد قصدوه ليكون أميرا لذلك التنظيم وأنه قد قبل أن يكون موجها وأبا روحيا لهم ، وأنه وضع معهم بعض المخططات العسكرية .. وذكر أنه اعتقل مع أولئك الشباب إثر تلك المحاولة..

وقد حكم على (سيد قطب) رحمه الله بالإعدام وقتل مع نفر من أولئك الشباب ..حيث وئدت تلك المحاولة في مهدها.

وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته. ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضا .. أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره. قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره .. لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري الذي إعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عملية اغتيال أنور السادات (1981م). ومازالت قيد السجن إلى يومنا هذا.

ويبدو أن محاولات جهادية عديدة قد حصلت في مصر بعد ذلك، وكان من أبرزها المحاولة التي دعيت بأحداث (الفنية العسكرية) .. وهي محاولة انقلابية محدودة وفاشلة. قادها الشهيد (صالح سريه) رحمه الله وحوكم فيها عدد من كوادر الجهاديين وأعدموا ..

ولكن تنظيم الجهادي عاد إلى النشاط وتبلور بشكل جيد في عهد الإنفتاح زمن السادات في النصف الثاني من السبعينات ثم تلا ذلك رحيل عدد من قياداته وكوادره وعلى رأسهم الدكتور (أيمن

الظواهري) إلى أفغانستان سنة (1986م). وقد عاصرت هذه التجربة عن قرب من خلال علاقتي الوطيدة مع أقطابها خلال تجربة الأفغان العرب بشوطيها في أفغانستان. ورغم أني أعتقد أن التجارب الجهادية في مصر هي من أنضج التجارب الجهادية في العالم العربي والإسلامي على الصعيد الفكري والمنهجي وأكثرها عطاء ورسوخا، وكذلك فإنها من بين التجارب الأهم على الصعيد التنظيمي والحركي ... إلا أني علمت من الدكتور أيمن أن أحدا لم يتفرغ لكتابة تاريخها الذي تملك وثائقه أقبية التعذيب والتحقيقات في أجهزة مباحث وأمن الحكومة المصرية .. وقد اطلعت على مسودات كتاب في هذا الصدد أرسله إلي الدكتور أيمن للإطلاع عليه مطلع سنة (2001م) في كابل ، وكان طيبا. ولكنه كان محدودا جدا قياسا لطول وحجم تلك التجارب .. وقد ناقشت الدكتور في ذلك وحرضته على التوسع فيه لأنه خير شاهد حي ومطلع وميداني، يتوجب في حقه كتابة ذلك التاريخ ، وكنه اعتذر لأن المشاغل الحركية كانت تشغله عمليا على مدار الليل والنهار في أفغانستان تلك الأيام. واسأل الله أن يمد في عمره وعمر من تبقى من إخواننا من ذلك الجيل عسى أن تكتب تلك التجارب ..

وقد حاول الدكتور (أيمن الظواهري) وعدد من كوادر تنظيم الجهاد بعد وصولهم إلى أفغانستان العمل على تأسيس تجربة جهادية مهمة ضمن تجارب التيار الجهادي المعاصر.. وذلك من خلال تجربتي

الأفغان العرب (1991-1996م) و(1996-2001م). وأختصر أهم ما يحضرني من تلك التجربة من خلال المعايشة والقرب من روادها ونشأتها بالنقاط التالية:

- وصل الدكتور أيمن مع كوكبة من كوادر تنظيم الجهاد من مصر إلى بيشاور سنة (1986م) وما تلاها، وذلك بعد أن كان قد سجن لثلاث سنوات على ذمة قضية تنظيم الجهاد ودوره في قتل السادات، وكان لهم حضور ونشاط بارز وسط الأفغان العرب خلال مرحلة (1986-1991م).
- حصل تعاون على أكثر من صعيد بينهم وبين (الشيخ أسامة بن لادن) الذي كان يعتزم إنشاء تنظيمه الخاص الذي عرف باسم القاعدة آنذاك والذي تأسس رسميا مطلع (1988م) وقام على جهد عدد من الكوادر والمدربين كان من أبرزهم كوادر تنظيم الجهاد.وكان من أبرز أولئك الشهيد (أبو عبيدة البنجشيري) رحمه الله الذي توفي أثناء إدارته لعمل القاعدة في كينيا إبان إقامتها في السودان (1992- 1996م) في حادث غرق سفينة في بحيرة (فكتوريا). وكذلك الشهيد (أبو حفص المصري- مُحَّمد عاطف) الذي استشهد في معارك سقوط الإمارة نوفمبر (2001م) في قصف أمريكي لمقر إدارته في قندهار وكان المسؤول العسكري للقاعدة. وقد استفاد تنظيم الجهاد من هذا التعاون الذي وفر له

إمدادا ماديا مهما مكنه من إنشاء معسكراته المستقلة في أفغانستان وإدارة الحركة ومتابعة نشاطه في مصر ...

- كان خلاصة البرنامج الاستراتيجي لتنظيم الجهاد المصري هو الاعتماد على إحداث انقلاب عسكري يقوم به ضباط أعضاء في التنظيم كان قد زرعهم في الجيش المصري منذ أيام أنور السادات. واستمرت خلاياه إلى أن قضي عليها مع حملات الاعتقالات الكثيفة التي تعرض لها التنظيم فيما بعد .. وكانت فكرتهم العامة كما فهمتها مشافهة من الدكتور أيمن في أكثر من جلسة خاصة ؛ هي إحداث إنقلاب تدعمه خلايا عصابات كان يجري إعدادها خلال تلك الفترة ...

- بعد مقتل السادات وبسبب تداخل العلاقات بين أعضاء تنظيم الجماعة الإسلامية الذين نفذوا العملية وأعضاء من تنظيم جماعة الجهاد الذي كان لهم مشاركة فيها .. اعتقل عدد من كوادر تنظيم الجهاد العسكريين من أبرزهم الشهيد الرائد (عصام القمري) رحمه الله .. ولكن تلك الضربة الأمنيةلم تأثر على سير عملهم السري .. في خلايا الجيش ولا خلايا العمل السري المدني..

- بعد سياسة التصفية التي اتبعتها وزارة الداخلية المصرية.. ولاسيما في عهد وزيرها المجرم (زكي بدر) ، ضد تنظيم الجماعة الإسلامية شبه العلني الذي كان قد اعتمد إستراتجية الدعوة المفتوحة والثورة

الشعبية متأثرا بأسلوب الثورة الإيرانية ، قرر تنظيم الجماعة الإسلامية الرد على استفزازات الدولة وسياسة (الضرب في سويداء القلب) كما عبر عنها (زكي بدر).. عن طريق اغتيالات رؤوس النظام مقابل اغتيالات الدولة لرؤوس الجماعة.. وقرر تنظيم الجهاد الذي تشترك قيادته مع قيادة الجماعة الإسلامية بالتواجد في بيشاور(باكستان) والولايات الحدودية في أفغانستان في تلك الفترة من الجهاد الأفغاني .. قرر المساهمة في المواجهة نصرة لهم متجاوزا البرنامج السري في الإعداد والتخطيط لانقلاب عسكري ، ظنا منهم أن من الممكن أن يسير هذا البرنامج التكتيكي إلى جانب ذلك البرنامج استراتيجي ..

- أدى اعتقال أحد العناصر المدنية من تنظيم الجهاد السري إلى اعتقال أحد الضباط من أعضاء التنظيم العسكري ، وجر هذا الاعتقال تدريجيا إلى معظم الكوادر العسكرية للتنظيم. وبدأ الانهيار في تنظيم الداخل (في مصر) .. وذلك فيما أذكر أواخر (1989م) أو أوائل (1990م)..
- تتابعت الكارثة وتلقي التنظيم ضربتين أمنيتين بعد ذلك وأودت إحداهما بنحو (900 معتقل) من التنظيم السري المدني والتالية بنحو(600 معتقل) ..كانوا يشكلون معظم القاعدة الشبابية

للتنظيم داخل مصر والتي كان قد تم إعدادها على أعلى المستويات خلال مرحلة الجهاد الأفغاني..

- غادرت قيادة تنظيم الجهاد إلى السودان برفقة الشيخ أسامة بن لادن ونخبة قيادته وكوادره. على أثر نجاح الإسلاميين بالإنقلاب الذي أوصل الترابي والبشير إلى السلطة .. وابتدأ تنظيم الجهاد العمل من جديد في ظروف مواتية جدا نتيجة وجودهم على الحدود الجنوبية الطويلة لمصر مع السودان .. وكان ذلك بدعم وترتيب مع الحكومة الجديدة في السودان وأجهزة استخباراتها .. وكذلك فعلت الجماعة الإسلامية .. وافتتح التنظيم معسكرا وعددا من القواعد له في الخرطوم وبدأ بإعادة ترتيب أوراقة بدعم وتمويل من الشيخ أسامة كما عرف ذلك واشتهر فيما بعد .. وكان الهدف إسقاط نظام حسني مبارك وإقامة حكومة إسلامية في مصر، حكومة تقلب التوازن الإستراتيجي مع كل أنواع الأعداء في منطقة الشرق الأوسط ..

- عصفت أعاصير السياسة بهذا البرنامج .. وقلبت القيادة السودانية ظهر المجن للجهاديين فيها، وابتدأت بالأخوة الليبيين ثم المصريين ثم الباقين بمن فيهم الشيخ أسامة الذي وقف معهم منذ انطلاقتهم موقفا بطوليا وجريئا، وساعدهم في إعادة تسليح الجيش.وبناء الاقتصاد.. ولكنهم خانوا الوفاء ونكثوا العهود..

- أدت هذه الضربة إلى تدمير ما كان قد بني من جديد من برنامجهم في مصر.. وأجبرت الحكومة السودانية الشيخ أسامة على وقف تمويل برنامج العمل في مصر.. ثم ضغطت على الجميع وانتهت بطردهم.
- لحق الدكتور أيمن ومن تبقى من كوادره .. بالشيخ أسامة بأفغانستان في ظل طالبان بعد عدة رحلات من التشريد في عدد من البلدان خلال (1996-1998م) .. وآثر عدد آخر ممن تبقى من الكوادر والخلايا الانتظار في دول الشتات المختلفة ..
- عاود تنظيم الجهاد وتنظيم القاعدة تجربة التعاون والبناء في مجالات التمويل والتدريب. ولكن الشيخ أسامة كان قد توصل إلى قناعة راسخة بتوحيد الإتجاه في مجال مواجهة أمريكا ، فيما بقي تنظيم الجهاد كغيره من التنظيمات على (تطلعاته القطرية وأسلوب السري ومنهجه الفكري الجهادي)..
- وقع الدكتور أيمن على بيان الشيخ أسامة بإعلان (الجبهة العالمية لتحرير المقدسات)، أواخر سنة (1997م) فيما نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بعيدا عن ذلك. وسرعان ما بدأ تنظيم الجهاد يدفع ثمن ذلك التوقيع في مواجهات الحملات الأمنية الأمريكية العالمية على الإرهاب .. وبدأت تتساقط كوادره وعناصره المتناثرة في مختلف دول العالم .. واختطف العديد منهم من دول مختلفة

وسلموا إلى مصر.. من تايلاند .. إلى ألبانيا.. إلى أذربيجان .. إلى الإمارات العربية.. غيرها. فيما أعتقل بعض أعضائهم في دول أخرى لم تسلمهم وأودعوا السجون فيها كما في بريطانيا ..

- استمر الدكتور أيمن بعزيمته الفريدة ، وصبره الدؤوب مع من تبقى من كوادر بمتابعة المحاولة ولم يستلم للأمر الواقع الذي فرضه النظام العالمي الجديد، والذي جعل المحاولات الجهادية القطرية السرية الهرمية.. خارج التاريخ عمليا ..

- افتتح التنظيم معسكرا خاصا به .. واستقطب من تبقى من كوادره وحاول الاستئناف .. ولكن الظروف والمعطيات عامة ولاسيما الأمنية منها ، حيث عصفت الاعتقالات بالتنظيم في الخارج .. جعلت الشيخ الدكتور أيمن الظواهري يقتنع بالاتجاه المتاح للجهاد والعمل في أفغانستان مع الشيخ أسامة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية لقناعات سياسية و ميدانية بدأت تتشكل عنده .. وقد تابعت هذا التحول معه بنفسي وتحدثت معه عن ملابساته طويلا قبيل أحداث سبتمبر بقليل .. وربما أعرض لشيء من تفاصيل ذلك في الكتاب الذي سأفرده لتاريخ الأفغان العرب في مرحلة طالبان إن شاء الله وليس هنا مكان هذه التفاصيل..

- أعلن الدكتور أيمن بيعته للشيخ أسامة بن لادن وضم تنظيم الجهاد لتنظيم القاعدة أواسط سنة (2001م) رسميا.. مما أدى لانشقاق

الحفنة من الرجال الذين تبقوا معه من الكوادر في أفغانستان إلى فريقين.. فريق وافقه على هذا التوجه.. وفريق أصر على متابعة الجهد في برامج العمل لإقامة حكومة إسلامية في مصر على أنقاض حكومة حسني مبارك عن طريق الجهاد بالأسلوب القديم .. واعتبروا حلَّه للتنظيم غير مشروع وأن مهمة الأمير إدارة التنظيم وليس حله وإلحاقه بتنظيم آخر.. وقاد هذا الفريق الأخ أبو السمح (ثروت صلاح شحاتة). وهو محامي من الكوادر القديمة في التنظيم ومن قدماء الأفغان العرب أيضا..

- لم تمهل أحداث سبتمبر كلا الجناحين كي يمضي بعيدا في برامجه وطموحاته. وسرعان ما اجتمع كل من تبقى من الأفغان العرب في معركة المصير والدفاع عن النفس وعن الإمارة التي كان القدر قد رسم ظروف سقوطها .. واستشهد معظم من تبقى من الكوادر في تلك المعارك وتحرك الدكتور أيمن الظواهري بعد أن بذل وسعه واستشهدت زوجته وابنه الوحيد مُحَّد وطفلته الرضيعة رحمهم الله.. خلال هجمات القصف الوحشي التي قام بها الطيران الأمريكي..واستقر مع الشيخ أسامة في مخبئهم المتنقل – حفظهم الله – ليتابعوا مسار الجهاد والتحريض كما هو مشهود .. وسارت كوكبة أخرى مع الأستاذ (ثروت شحاته) على دروب الهجرة

والتشريد مرة أخرى لتستقر في سجون إيران كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام.

- وكانت هذه خلاصة المسار الحركي لتنظيم الجهاد الذي تابعة الدكتور أيمن في خارج مصر. ولا أدري إن كان ثمة براعم له لعل الله يكتب له النمو واستئناف المسار والمد في مصر مع السائرين ..
- أما عن الهوية الفكرية لتنظيم الجهاد المصري. فمن خلال العرض السابق ، ربما يمكن القول بأن التنظيم قد انتهى حركيا. ولد أواسط الستينات وانتهى في أخدود سبتمبر (2001م).

ولكن من الأهمية بمكان ، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير .. فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله .. والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر .. ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر و مهم ، كان من أهمه .. كتاب (العمدة في إعداد العدة) .. للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.. وكتابه القيم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف). والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد) ، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة التي أصدرها تباعا في بيشاور خلال الفترة (1988-1992م). بالإضافة لعدد من التسجيلات الصوتية والمرئية للدكتور أيمن الظواهري – حفظه الله – ولا تأتي أهمية الدور الفكري والمنهجي

لتنظيم الجهاد المصري من أهمية مكتبته فقط وإنما من كونها صارت أساسا فكريا ومنهجيا لأغلبية التنظيمات والتجمعات ومعظم الأفراد في التيار الجهادي منذ مطلع التسعينات وإلى اليوم. وصار عليها مدار كافة ما كتب فيما بعد من الإنتاج الفكري و الإعلامي لمختلف شرائح التيار الجهادي والأفغان العرب.. وكذلك لما عرف باسم (السلفية الجهادية) أو غيرها من المدارس الجهادية في العصر الحديث . فجزاهم الله كل خير وتقبل منهم بفضله وكرمه .. كما كان للكوادر العسكرية الأولى لتنظيم الجهاد المصري في ساحة الجهاد الأفغاني ومجموعة الكوادر العسكرية والمدربين الأفذاذ الذي عملوا في ساحة الجهاد العربي في أفغانستان في شوطه الأول (1986-1992 م) والثاني (1996-2001م). دور ترك بصماته الهامة ضمن مجموع الجهود العسكرية والميدانية لكوادر الجهاد العربي في أفغانستان. سواء من خلال ما تركوه من تراث مكتوب في مجالات الإعداد العسكري والحركي. أو من خلال الجهود العملية في تدريب الجهاديين من الجنسيات الأخرى والكثير من الكوادر التي تخرجت على أيديهم وأيدي أقرانهم ، ومن ثم تابعت العطاء من بعدهم. فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وتقبل منهم أحسن ما عملوا إنه. سميع مجيب.

وأما على الصعيد الشخصي فقد عرفت تجربة جماعة الجهاد عن كثب، وربطتني بمعظم قياداتها ممن حضر أفغانستان علاقات أخوة وصداقات حميمة ، بالإضافة لعلاقات العمل والتعاون في ميادين عديدة. بدء بالدكتور أيمن الظواهري وانتهاء بمعظمهم. وقد رأيت فيهم نماذج فذة للمجاهدين العقائديين الصابرين الفرارين بدينهم. فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم. وعلى الصعيد الفكري فإني ممتن جدا للفضل الكبير الذي نالني على الصعيد الفكري باحتكاكي بهم وتعرفي عليهم. ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز(سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجهاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان ، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر ، فرج الله عنه. وكذلك الدكتور المجاهد والنموذج الفذ .. الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله ، فقد أثر بي كمفكر وكاتب وكقدوة رائعة حفظه الله.. وغيرهما كثير. وأكثرهم قضى نحبه نسأل الله أن يجمعني بهم في الرفيق الأعلى ..

3-**التجربة الجهادية في سوريا: (1965–1983م):**

- يعود تأسيس التجربة الجهادية في سوريا إلى الشيخ مروان حديد رحمه الله. والذي كان قد تربى في الإخوان المسلمين. وأثناء دراسته للهندسة الزراعية في مصر، تأثر بأفكار سيد قطب رحمه الله. وعاد

إلى سوريا ممتلئا حماسا فيما كان حزب البعث العلماني القومي الاشتراكي قد استولى على السلطة .. فنشط عبر المساجد في مدينة (حماة) بالخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لتحكيم الشريعة واعتقل مرارا .. وفي سنة (1965م) داهمت قوات الحكومة عليهم أحد المساجد واشتبك مع عدد من تلامذته في صدام مسلح مع السلطة ، فاستشهد عدد منهم ، وأعتقل الشيخ وآخرون وحكم عليهم بالإعدام. ثم اضطر رئيس الدولة آنذاك الرئيس (أمين الحافظ) إلى الإفراج عنهم تحت ضغط العلماء في سوريا وعلى رأسهم الشيخ مُحَمَّد الحامد رحمه الله.

- كان الشيخ مروان قد تنبه إلى أن مواجهة كبرى مع النظام البعثي لابد آتية.. وأنذر مبكرا من مشروع طائفي نصيري قادم. ولما لم يستطع إقناع الإخوان المسلمين بالإعداد للمواجهة ، توجه بنفسه وتلاميذه للإعداد من خلال العمل المسلح مع منظمة التحرير الفلسطينية من خلال الفصيل الإسلامي فيها. وتمكن من إعداد النخبة الجهادية الأولى لتنظيمه الجهادي.

- سنة (1970م) قام حافظ الأسد والمجموعة النصيرية العلوية في الجيش وحزب البعث بانقلاب أبيض دعي بـ (الحركة التصحيحية) .. وهكذا قفزت الطائفة النصيرية من غلاة الشيعة الباطنية

للمواجهة لتتولى السلطة جهارا نهارا وتحكم المسلمين في سوريا ، تماما كما كان قد حذر منه الشيخ مروان رحمه الله ..

- وعاد الشيخ مروان حديد رحمه الله للتحرك للمواجهة من جديد، وسعى مع قيادة شطري تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا الذين كانوا قد انقسموا خلال تلك المدة ، من أجل السعي في توحيدهم على مشروع مواجهة النظام. ولكن كلا الجناحين ، التابع للتنظيم الدولي برئاسة (الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) رحمه الله ، ونائبه (عدنان سعيد الدين) ، وكذلك لجناح الآخر بزعامة (عصام العطار) ، اتفقا – رغم إختلافهما الكبير – على رفض مشروع الإعداد للمواجهة وآثرا الاستمرار في منهجهما الدعوي السلمي.
- ولما اقتنع الشيخ مروان حديد رحمه الله ، بعدم إمكانية إقناع الإخوان المسلمين بالمواجهة ، شكل تنظيمه الخاص الذي أسماه (الطليعة المقاتلة لحزب الله). وكون له ثلاث نويات رئيسيه في مدينته (حماة) مسقط رأسه، وميدان حركته الرئيسي. وفي (حلب) ثاني أهم مدن سوريا . وفي العاصمة (دمشق). حيث إنتقل إليها مختفيا من أجل الإعداد للمواجهة مع النصيرية ..
- طرد الإخوان المسلمون مروان من تنظيمهم مع مجموعة ممن تأثروا بأفكاره الثورية الجهادية. وحاولوا كبح جماحه. ولكنه تابع تجنيد أنصار له معظمهم من شباب الإخوان وقال قولته الشهيرة : **(لإن**

أخرجني الإخوان من الباب ، لأدخلن عليهم من الشباك ، ولأجرنهم للجهاد..) ، وهذا ما حصل فعلا..

- اعتقل الشيخ مروان حديد سنة (1970م) بعد اشتباك مسلح مع المخابرات في مخبئه في دمشق. ومكث في السجن إلى سنة (1975م) حيث فقد نصف وزنه تحت التعذيب. ثم أعدم بحقنة سامة في السجن كما روي آنذاك. ودفن رحمه الله ، وغيب قبره ولم يسمح لأهله أن يعلنوا له جنازة.
- آلت قيادة تنظيم الطليعة المقاتلة إلى تلامذته. وتسلم الإمارة من بعده الشهيد عبد الستار الزعيم رحمه الله. واتخذت الطليعة خطة سرية للمواجهة عبر الاغتيالات النوعية لرؤوس الدولة من كبار النصيرية. ونفذوا ذلك خلال الأعوام (1975-1979م) ، ولم تستطع الدولة أن تتعرف على هويتهم إلا في آخر تلك المدة بالتعاون مع المخابرات الأردنية.
- أعلنت الطليعة الجهاد على النظام في سوريا صيف (1979م) في شهر شعبان (1399م) وأعلنت عن نفسها باسمها الجديد (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) ، وابتدأت حرب عصابات مدن على مستوى القطر السوري بكامله.
- أعلن الإخوان المسلمون (الجناح الرئيسي المرتبط بالتنظيم الدولي) ابتداء براء تة من تلك المواجهة. وطالب بلجان تحقيق تثبت عدم

علاقتهم بالأحداث. في حين تبنى عصام العطار المواجهة ونسبها إليه. ونشر أرقام حساباته البنكية لجمع التبرعات .. للجهاد طبعا .. من ألمانيا!!

- اضطرب نظام حافظ أسد تحت وقع الضربات العسكرية للمجاهدين من الطليعة ، وقرر مواجهة وتصفية كافة فصائل الإخوان المسلمين، ومن ثم طور المواجهة لتشمل كافة طيف الصحوة الإسلامية. بل وكافة الشريحة المتدينة في البلد .. واتخذت المواجهة شكل حرب بين أهل السنة وهم جمهور المسلمين في سوريا وبين الأقلية (النصيرية) التي تدعى بالطائفة (العلوية) كما سماهم الفرنسيون أيام الإحتلال، ليلبسوا أمرهم على الناس.
- نتيجة انتصارات المجاهدين من جهة نتيجة ، والطمع في قطف الثمرة حملة حافظ أسد عليهم من جهة أخرى. أعلن الإخوان المسلمون دخولهم الحرب ضد النظام أواخر (1979م) بعد عدة أشهر من اندلاعها. وتبنوا المواجهة وراحوا يعملون على الاستيلاء على قيادتها والاستحواذ عليها من الطليعة. ولعبت سياستهم تلك الدور الرئيسي – وإن لم يكن الوحيد – في إجهاض الجهاد المسلح ضد النظام في سوريا ...
- نتيجة أسباب داخلية ونتيجة سياسة الإخوان. ونتيجة الضربات الأمنية للحكومة التي نجحت باستعادة زمام المبادرة .. تقهقرت

الطليعة المقاتلة. وصفي معظم كوادرها قتلا وسجنا.. واضطر من تبقى منها للخروج إلى دول الجوار. حيث فتحت حكومتا العراق والأردن ، المناوئتين للنظام السوري آنذاك الأبواب للمعارضين السوريين من كل مكونات الطيف السياسي.

- إستطاع الإخوان المسلمون بقيادة عدنان سعيد الدين الاستحواذ على قيادة الثورة الجهادية في سوريا وجر من تبقى من الطليعة وكذلك تنظيم عصام العطار، بالإضافة إلى شريحة كبيرة من جماعات العلماء في سوريا على الانضواء تحت قيادتهم منذ (1980م) ..
- قاد الإخوان المسلمون مسيرة الفشل السياسي والعسكري الشامل للثورة الجهادية في سوريا ، إلى أن تم إجهاضها في مواجهات حماة (1982م) الدامية .. حيث قضي على الأجهزة العسكرية لكافة الفرقاء ، وتكبد المسلمون خسائر تجاوزت (50.000) قتيل في أشهر عمليات إبادة جماعية ارتكبتها حكومة عربية في القرن العشرين ..
- وهكذا انتهت التجربة الجهادية السورية التي تمثل أهم وأطول تجربة مواجهة للتيار الجهادي المسلح ضد حكومات الردة في العالم العربي والإسلامي.

- وقد يسر الله للعبد الفقير كاتب هذا الكتاب أن يؤرخ لتلك المرحلة الهامة ، خلال فترة (1975-1985م) .. وذلك في الكتاب الذي كان بعنوان (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا آلام آمال) وقد كتبته خلال (1985-1987م)، ونشر في بيشاور أواخر(1990م). ويحتوي تسجيلا وافيا لتلك التجربة.
- وقد يسر الله لي مواكبة تلك المرحلة حيث كنت قد التحقت بتنظيم الطليعة المقاتلة مطلع سنة 1980م ، ثم وبعد خروجي من سوريا آخر ذلك العام ،التحقت بتنظيم الإخوان المسلمين في سوريا والذي استقر في الأردن وعملت في الجهاز العسكري للتنظيم ، وكنت خلال أحداث انتفاضة حماة 1982م ، واحدا من أعضاء القيادة العسكرية لتنظيم الإخوان المسلمين الذي تشكل في بغداد ، من كوادر الجهاز العسكري – الذين كنت واحدا منهم – ومن القيادة السياسية العليا للإخوان السوريين. مما مكنني من الإطلاع على خفايا سير تلك الأحداث وأسباب هزيمتنا فيها ، وهو ما سجلت تاريخه وخلاصة دروسه في كتابي آنف الذكر.

<u>4- حركة الدولية الإسلامية في الجزائر (1973-1976م):</u>

وهي حركة جهاد مسلحة أسسها وقادها في الجزائر الشهيد (مصطفى بويعلي). وقد كان رحمه الله من المجاهدين الذين شاركوا في

ثورة التحرير الجزائرية سنة (1954م) ، فلما أفضت إلى الإستقلال عام (1963م) وجد أن العلمانيين والشيوعيين والاشتراكيين قد غلبوا عليها وحصدوا ثمرة جهاد شعب الجزائر الذي استمر لأكثر من قرن من الزمن . فأسس تلك الحركة لاستئناف الثورة والجهاد من أجل تحكيم شريعة الله في الجزائر.

وقد قام بحركته في عهد الرئيس (الشاذلي بن جديد) سنة (1973م). وقد سمعت له بيانا مسجلا موجها لرئيس الدولة يأمره فيها وينهاه. ويتوعده بالجهاد إن لم يحكم الشريعة في الجزائر. كما سمعت له بعض الأشرطة يتحدث فيها عن مبادئه الجهادية وينذر علماء السلطان. ولم تطل بحركته المدة.. إذ وقع في كمين للاستخبارات الجزائرية أثناء موعد له مع بعض تجار السلاح وقتل رحمه الله سنة (1976م) واستشهد بعض أعوانه وقبض على آخرين و حوكموا وسجنوا..

وقد حاول بعض تلامذته إحياء الحركة إثر انطلاق الجهاد ضد الحكومة بعد الانقلاب العسكري على المسار الديمقراطي سنة (1991م).. ودخلوا طرفا في محاولة الوحدة الجامعة للجماعة الإسلامية المسلحة سنة (1993م). قبل انشطارها واستيلاء التكفيريين عليها كما ستأتي الإشارة لذلك إن شاء الله.

5- تجربة الجماعة الإسلامية مصر (1975-2001م):

وأوجز خلاصة تجربتها بحسب ما حصلته من المعلومات عنها من خلال الإطلاع على تراثها الأدبي واحتكاكي بالعديد من روادها ومؤسسيها عبر مراحل الجهاد في أفغانستان وخلال إقامتي في أوربا.

فقد تأسست الجماعة ونشطت في عدد من الجامعات المصرية بدء من عام (1975م) .. إثر سياسة (السادات) بالانفتاح وإطلاق المجال للجماعات الإسلامية ، بغية الحد من نشاط التيارات السياسية اليسارية التي شهدت نموا في تلك الفترة .. وقد نشأت الجماعة الإسلامية على منهج فرج بين الفكر الإخواني والمنطلقات السلفية. وجعلت من تطبيق الشريعة في مصر هدف مشروعها. وقد نحت الجماعة منحا شعبيا من خلال تبني قيادتها للدعوة العلنية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق بعض الحسبة في بعض المجالات. وانتشرت خلايا ها عبر المساجد في مصر. وكان منشؤها أصلا في الصعيد، وإليه ينتمي معظم قياداتها .. ولكنها امتدت إلى جامعات الوجه البحري في شمال مصر .. وقد اتخذت قياداتها من الشيخ الدكتور (عمر عبد الرحمن) أميرا عاما لها، لما عرف عنه- فرج الله كربه - من مواقف العزيمة منذ هلاك (عبد الناصر)، حيث أفتى بعدم جواز الصلاة عليه عنه هلاكه، ثم عدد من المواقف الأخرى في عهد السادات.

- وإثر زيارة السادات الخيانية لإسرائيل وإعلانه لاتفاقيات (كامب ديفيد) وبرنامج الصلح والتطبع مع اليهود.. نحت الجماعة الإسلامية منحا فكريا جهاديا، وصدرت عن أحد أقطابها وهو (الشهيد عبد السلام فرج)، أحد أهم الأبحاث الجهادية في العصر الحديث، وهو رسالة (الفريضة الغائبة) وكانت أهميته نابعة من احتوائه على أهم فتاوى الجهاد المعاصر ضد الحكومات القائمة في البلاد العربي والإسلامية ومنها مصر. والحكم عليها بالردة والإفتاء بجهادها وقتال جنودها ورجال أمنها وقياس أحوالها على فتاوى ابن تيمية في قتال التتار ومن كان من أعوانهم من المسلمين المكرهين أو الجاهلين .. وكانت هذه الرسالة من أهم بواكير انطلاق مدرسة السلفية الجهادية المعاصرة.
- ثم ما لبثت الجماعة الإسلامية أن وفقت في تنفيذ العملية البطولية وأعدمت الرئيس الخائن (أنور السادات) في حادث المنصة الشهير، أثناء الاستعراض العسكري السنوي سنة (1981م)، عندما خرج السادات على قومه في زينته فخسف الله به وبمنصته وأرداه قتيلا.. وقد قاد العملية شهيد الجماعة الإسلامية وشهيد مصر والتيار الجهادي المعاصر. (الشهيد البطل خالد الإسلامبولي رحمه الله). وكان ذلك ضمن برنامج انقلابي ضد الحكومة في مصر، لم يقدر أن ينجح منه إلا فقرة اغتيال السادات.

- وإثر تولي حسن مبارك زمام السلطة خلفا لسلفه الهالك أنور السادات .. دخلت الجماعة الإسلامية في حرب استنزاف مع الحكومة المصرية التي وضعت مخططا لتصفيتها باعتقال كوادرها واغتيال رؤوسها .. وافتتحت ذلك باغتيال أحد أبرز دعاتها وهو الشهيد (علاء محيي الدين). وتابعت سياستها هذه ولاسيما في عهد وزير الداخلية المجرم سيء السمعة (زكي بدر). وهكذا قررت قيادة الجماعة الإسلامية دخول حرب استنزاف وتصفيات واغتيال مع الحكومة التي بدأت حملات الاعتقال في صفوفها.
- وجدت قيادة الجماعة الإسلامية في مصر في الجهاد الأفغاني ضد الروس ساحة ممتازة، وفرصة ساحة لتدريب كوادرها والامتداد والتنظيم .. فكان لها حضورا بارزا في مدينة بيشاور في باكستان، وفي المعسكرات والجبهات العربية في أفغانستان. وكان من أبرز الحاضرين من قياداتها في أفغانستان الشيخ (عمر عبد الرحمن) والشيخ (رفاعي طه) والأخ طلعت (فؤاد قاسم) فرج الله عنهم جميعا، والأخ (محمد الإسلامبولي) – أخو الشهيد خالد قاتل فرعون مصر– والأخ مصطفى حمزة .. وغيرهم. وقد قدمت الجماعة الإسلامية بمصر كوكبة من خيرة أبنائها وكوادرها شهداء في معركة الإسلام من خلال الجهاد العربي في أفغانستان.

- إثر العواصف الأمنية التي هبت على أفغانستان وباكستان بإيعاز من أمريكا بعيد سقوط النظام الشيوعي في كابل. شاركت المخابرات المصرية بشكل كبير في الحملة الأمنية على الأفغان العرب بالتعاون مع المخابرات الباكستانية. وخرج معظم قيادات وقواعد الجماعة الإسلامية المصرية إلى السودان بناء على دعوة وتسهيلات من حكومة الإنقاذ برئاسة عمر البشير وجماعة الدكتور حسن الترابي التي فتحت المجال وسعت لاستيعاب العرب في السودان. وكان على رأسهم الشيخ أسامة بن لادن والجماعتين المصريين المسلحتين. جماعة الجهاد ، والجماعة الإسلامية. حيث وعدتهم بفتح المجال لهم للعمل من خلال حدودها الشمالية مع مصر .. وفعلا بدأت الجماعة العمل الميداني من هناك ، ثم حصل لها ما حصل لجماعة الجهاد والآخرين وطلب منهم الرحيل تحت تهديد السلاح من قبل الأمن السوداني لما قرر (الأزوال الأشاوس) تغيير سياستهم والركوع للسياسة الأمريكية وتابعتها المصرية .. وتفرق قيادات الجماعة الإسلامية في عدد من البلدان وتوجه أكثرهم لليمن.. وتحت المطاردات وحملات إلغاء الملاذات الآمنة ، توجه البارزون منهم إلى إيران ، ويمم بعضهم شطر الملاذات الآمنة تحت ستائر اللجوء السياسي في أوربا .. فكان من أبرز من توجه إلى إيران الشيخ (رفاعي طه) .. والشيخ مصطفى حمزة ، والشيخ مُحَمَّد شوقي

الإسلامبولي وآخرين .. في حين كان من أبرز من توجه إلى أوربا ، أبو طلال – طلعت فؤاد قاسم– الذي استقر في الدانمرك. وأسامة رشدي عضو مجلس شورى الجماعة .. وذلك أواخر (1995م)..

- وكانت الجماعة الإسلامية بمصر على علاقة طيبة مع التيار الخميني في الحكومة الإيرانية بحكم عن موقفها الخاص المختلف عن موقف كافة طيف التيار الجهادي من الحكومة الإيرانية. فأثنت على تجربتها الثورية (الإسلامية) وإطرائها في بعض أدبياتها، كما دأب بعض مسؤولوها ومنهم الدكتور عمر عبد الرحمن فرج الله عنه ، على حضور بعض المؤتمرات التي تنظمها حكومة إيران هنا وهناك.. فوفر لهم هذا جسرا لملاذ آمن هناك في فترة العواصف العاتية تلك.
- ورغم أن معظم إن لم يكن كافة البارزين من قيادات ورموز التيار الجهادي وكوادره ، وكثير من قواعده البشرية بدأت هجرة شبه جماعة إلى أفغانستان .عبر ما اصطلحت عليه باسم (الشوط الثاني للأفغان العرب) خلال الفترة (1996–2001م) ، إلا أن القيادات البارزة للجماعة الإسلامية التي استوطنت إيران آثرت البقاء هناك. والتميز بموقف واضح يختلف عن الإتجاه العام للتيار الجهادي من أفغانستان وكان من أبرز ملامح ذلك الموقف:

1. عدم تأييد طالبان صراحة .. وعدم الانخراط في دعمهم ضد تحالف الشمال المكون من قدماء زعماء الجهاد الأفغاني. بل والحذر من الاستدراج نحو أفغانستان.
2. نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بكل وضوح عبر وسائل إعلامها ولاسيما موقعها الناشط على الإنترنت عن توجهات بن لادن في حربه المشرعة مع الأمريكان على عكس ما فعلته جماعة الجهاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري. ولما نوهت القاعدة بتعاون الجماعة معها ، نفت الجماعة ذلك في بيان صرح مفندة ذلك الادعاء.
3. تبنت الجماعة مبدأ وقف الدعوة للمواجهة المسلحة مع الحكومات، وأعلنت (مبادرة لوقف العنف في مصر ضد الحكومة المصرية من طرف واحد) .. وهذا الموضوع يستأهل الوقوف معه لأنه نحى بالجماعة في اتجاه آخر خرج بها عن مسار التيار الجهادي كله، وترك عليه آثارا تتعدى خصوصيات الجماعة.

الجماعة الإسلامية بمصر ومبادرتها لوقف العنف من طرف واحد مع الحكومة المصرية:

تميزت الجماعة الإسلامية بمصر عن عموم التيار الجهادي بفوارق فكرية هامة انعكست فيما بعد على مسارها. وكان من أهم تلك الفوارق:

- تبنيها فكرا يمكن اعتباره وسطا بين فكر (الصحوة عامة) وفكر (التيار الجهادي) من حيث مسائل الحاكمية. فقد أعلنوا عن قناعتهم بردة الحاكم الأعلى في بلدان المسلمين التي تحكم بغير ما أنزل الله ، ومنها مصر واقتصروا في حكم الردة على شخصه ولم يجاوزه إلى نظامه. وبالتالي لم يستبيحوا القتال ضد أعوانه شرعا إلا دفاعا عن النفس..
- تبنى الجماعة مبدأ الشورى الملزمة وطريقة القيادة الجماعية ، واتخذوا من شخص الدكتور عمر عبد الرحمن أميرا اعتباريا ورمزا للجماعة.
- كما تجاوزوا إشكالية شرعية في شروط (الإمارة الشرعية) مما فتح بابا للجدل الطويل العريض بينهم وبين جماعة الجهاد في مصر وشرائح أخرى من التيار الجهادي منذ مطلع التسعينات في أفغانستان. وهي تبنيهم لمبدأ (صحة ولاية الأسير)، كما كان حال الشيخ المجاهد الفاضل الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا–

فرج الله عنه- كما اعتبروا قاداتهم التاريخيين الأسرى في سجون مصر قيادات فاعلة تشارك في القرار الذي تبنى مبدأ الشورى الملزمة. ولست هنا بصدد المناقشة الشرعية للمبدأ وإنما التاريخ بدد تسجيل ، لذكر دور هذه المرتكزات الفكرية والمنهجية في مسار الجماعة فيما بعد منذ أواسط التسعينات ..

باستثناء هذه الإشكالين أكاد لا أجد فوارق منهجية رئيسية أخرى (من الناحية النظرية) لمنهج الجماعة الإسلامية بمصر عن باقي مدارس التيار الجهادي. من حيث فكرهم السلفي الجهادي ورفضهم بل تكفيرهم (لمنهج الديمقراطية) في العمل الإسلامي. مع عذر من مارسها من الإسلاميين بالتأويل أو سوى ذلك .. إلى آخر مكونات الفكر الهادي المعاصر ..

ولكن هذه الإشكاليات المنهجية أوقعت الجماعة التي كانت قد دخلت الصراع فعليا مع الحكومة المصرية في إشكاليات عملية، لما وجد أعضاء جهازها العسكري أنفسهم أمام المتطلبات الفقهية لمعركة استنزاف هجومية دفاعية في ساحة الصدام مع النظام المصري ورجال أمنه واستخباراته.. هذا من جهة ، ومن جهة مهمة أخرى. وجدوا قياداتهم تتكون عمليا من ثلاث أجنحة رئيسية هي:

1-القيادات الأسيرة في مصر والتي اصطلحوا على تسميتها (بالقيادات التاريخية).

2- القيادات السياسية المطاردة في الخارج في المهاجر والملاذات الآمنة.

3- قيادات الجهاز العسكري للجماعة سواء داخل أو خارج مصر والتي تخوض مواجهة عسكرية دامية مع نظام حسني مبارك ، وسرعان ما أثرت هذه التناقضات المنهجية ذات الأبعاد العملية بسرعة مسار الجماعة في النصف الثاني من التسعينات وإلى ما بعد أحداث سبتمبر كما سنرى. فقد زاد الطين بلة أن الجناح العسكري بقيادة الأخ أبو حازم - مصطفى حمزة - قد خطط لعملية كادت تودي بالرئيس حسن مبارك في (أديس أبابا) اغتيالا أثناء مؤتمر أفريقية .. حيث فشلت العملية وقبض على بعض أعضاء المجموعة وسجلوا اعترافاتهم قبل أن يعدموا رحمهم الله. وشكلت هذه العملية إحراجا هائلا للحكومة السودانية التي دبرت الخطط ودعمت العملية لوجيستيا من أراضيها. وكذلك أمام قيادة الجماعة الإسلامية. كما زادة الطين بلة.

اعتقال الدكتور عمر عبد الرحمن في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان قد أتخذ قرارا خاطئا في التوجه للإقامة في أمريكا بهدف الدعوة والنشاط وتوفير الإعلام والدعم المادي للجماعة. ثم لفقت له

هناك تهم باطلة إثر الهجوم الأول على برج مبنى التجارة العالمي في نيويورك وحكم عليه بالسجن مائتي سنة ! ولم تفلح كل محاولات التخفيف والدفاع عنه.. ومع الإعلان شبه الرسمي من قبل قيادات الجماعة الإسلامية على أن أميرهم العملي هو الشيخ (أبو طلال طلعت فؤاد قاسم) الذي استقر لاجئا سياسيا في (الدانمرك) وتبنى مبدأ المواجهة إلى جانب آخرين من جناح الصقور في الجماعة من الداعمين للجهاز العسكري بقيادة مصطفي حمزة من السياسيين من هذا التيار وعلى رأسهم الشيخ (رفاعي طه) والشيخ (مُحَمَّد الإسلامبولي) وكذلك بعض الذين توجهوا لحمل راية العمل الميداني في الجهاد في البوسنة (1994–1995م). ولعبوا دورا مشرفا للجماعة الإسلامية بمصر يعتبر من إنجازات التيار الجهادي المعاصر.

دخل هذا الجناح المتمسك بالمواجهة مع جناح مناقض له بدأ يدعو للمهادنة ووضع المواجهة مع الحكومة المصرية ، و تمثل في قيادات السجون الأسيرة (التاريخية) وبعض قياداتهم في أوربا كان من أبرزهم الأخ (أسامة رشدي). حيث ظهر ذلك التناقض للعلن عندما رفض هذا الجناح الاعتراف بشرعية حادثة (الأقصر). عندما هاجمت إحدى خلايا الجماعة الإسلامية الناشطة في مصر مجموعة من السياح الأجانب وقتلت وجرحت منهم عشرات الأشخاص .. حيث سارعت (القيادات التاريخية الأسيرة) وبعض قيادات أوربا وأبرزهم (أسامة

رشـدي) إلى إدانـة هـذا العمـل وفاعليـه وتخطئتـه ، بـل ذهـب (أسـامة رشدي) إلى الهجوم الصارخ على العمل ومن يقف معه من القيادات السياسـية والعسـكرية للجماعـة! ودخـل في مواجهـة أدبيـة حـتى مـع الكبار منهم من أساتذته من أمثال الشيخ (رفاعي طه. فرج الله عنه).

وفيمـا أذكـر فاجـأت القيـادات التاريخيـة في السـجون المصرية العـالم أجمع بمشروعها الذي عرف (بمبادرة وقف العنف من طرف واحد) في مصر، ودعت الحكومة المصرية إلى أن تبادلها المبادرة بإجراءات تنهي المواجهة ..

وافق طرح تلك المبادرة أوائل أيام تواجدنا في أفغانستان مع بداية (الشوط الثاني للأفغان العرب) فيها في عهد طالبان وربما كان ذلك أواخر 1997م.

وقد تابعت بنفسي مراحل وتطورات هذه المبادرة مع أبرز القيادات الحاضرة للجماعة الإسلامية في أفغانستان. ومع بعض كبارها الذين زارونا من قادمين إيران ومال بعضهم للإقامة في أفغانستان أواسط سنة (2000م) ، وكذلك مع أبرز الرموز الجهادية الحاضرة هناك ، بما يمكنني من أن الحض مراحل تلك المبادرة في نقاط رئيسية:

1- طرح بعض القيادات الجماعة الإسلامية المسجونين في مصر منذ أحداث اغتيال السادات، عن طريق محاميهم الشهير(الأستاذ منتصر الزيات) مذكرة مبادرة يعلنون فيها وقف العمل المسلح في مصر ومبادرة من جانب واحد. داعيين الحكومة إلى التجاوب الايجابي معها .. وسارع إلى تأييدهم الجناح الميال لهذا الإتجاه من قيادات الجماعة في أوربا وعلى رأسهم الأخ (أسامة رشدي)..

2-أربكت القيادات السياسية والعسكرية للجماعة الإسلامية بمصر في الخارج ولاسيما الشخصيات الرئيسية التي تتواجد في إيران وبعضها في أفغانستان. وحصل لغط وإبهام حول موقف القيادة الميدانية العسكرية المطاردة داخل مصر والمباشرة للعمل العسكري ، وكذلك حول موقف الدكتور عمر عبد الرحمن في سجنه في أمريكا. ولكن قيادات الجماعة في مختلف الأطراف ولاسيما المعارضة للمبادرة في الخارج اعتبروا وحدة الجماعة وعدم تمزق موقفها فوق كافة الاعتبارات الأخرى بما فيها المنهجية والمبدئية. ولكن بدت ملامح الرفض للمبادرة لدى عدد من رموز الجماعة كان من أبرزهم الشيخ رفاعي طه ، والأخ محمد الإسلامبولي ومصطفى حمزة .. إلا أن الجميع أبدوا وحدة الصف والتزام رأي الأغلبية كقرار موحد بعد إجراء

المشاورات على كافة الأصعدة. ولكن البعض أعلن تجميد عضويته في مجلس شورى الجماعة لعدم قناعته بهذا الأمركما فعل الشيخ مُحَّد شوقي الإسلامبولي.

3- كافأت الحكومة المصرية تلك المبادرة بالرفض والتصميم على متابعة المواجهة الأمنية. فاختطف القيادي البارد الشيخ أبو طلال (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وهو في طريقة لزيارة قيادات الجماعة العاملة في البوسنة. واغتيل بعض المطاردين المختفين داخل القاهرة في شقتهم في ملابسات غامضة.. وأعلنت أجهزة الأمن والإعلام المصرية ووزارة الداخلية متابعة مطاردة الجماعة وعدم تجاوبها مع المبادرة وبقي هذا موقفها المعلن إلى أواخر سنة (2003م) حيث تجاوبت جزئيا معها كما سيأتي.

4- تبلور القرار الجماعي للجماعة الإسلامية على مستوى قيادات الداخل والخارج على تبني المبادرة. ولم يزد عنت الحكومة قيادات الجماعة التي انتقلت إمارتها إلى الأخ أبو حازم (مصطفى حمزة) بحسب ما بدا ، إلا إصرارا على المبادرة! وطورت القيادات التاريخية (السجينة) ومن ذهب مذهبها من قيادات الخارج المؤيدة للمبادرة موقفها إلى مستوى منهجي خطير حيث بدؤوا بإصدار بحوث شرعية

ودراسات فكرية تأطر وتنظر لما أسموه (نبذ العنف)! وبدؤوا ينتقدون ويخطئون المبادئ التي قامت عليها أسس المواجهة الجهادية مع الحكومات القائمة على أسس الردة ، والتي كانوا قد ملؤوا ساحة العمل الإسلامي بأدبيات جهادية قيمة لإثباتها، تلك الأدبيات التي شغلت حيزا أساسيا من فكر التيار الجهادي مثل رسالة (الفريضة الغائبة) ودستور الجماعة ومنهاجها (ميثاق العمل الإسلامي) و(الإعتصام) و(حتمية المواجهة).. ومئات المقالات التي ملأت نشراتهم الشهيرة مثل (المرابطون) وغيرها. فصدرت عن الجماعة الإسلامية كتب تحت شعار (المراجعات الفكرية) ، تدرجت في التراجعات الفكرية والمنهجية لتدخل في حيز الانهيار العقدي في أساسيات الأصول السياسية الشرعية للفكر الجهادي بل والإسلامي الذي قامت عليه الصحوة. فبدؤوا بالحديث عن حصانة دماء وأموال الكفار في ديارهم ، إلى أمانهم في ديارنا وصولا إلى الدعوة للتعاون مع الحكام في المعركة مع (إسرائيل) وفي معركة التنمية الإقتصادية.. ثم بدأ الغزل والحديث عن العودة إلى ميدان الدعوة السلمية وربما المشاركة السياسية المشروعة .. إلى أن وصل الحد إلى التصريح باعتبار السادات الهالك الذي تشرف أبطال الجماعة الإسلامية نيابة عن الأمة

الإسـلامية باغتيالـه واعتبـاره شـهيدا قتـل ظلمـا ، بـل أسمـاه أحدهم (شهيد الفتنة !!). وقد اطلعت على بعض ما كتب في تلك الكتب من خلال المقتطفات التي روجت لها وسائل الإعلام، وذكر بعضها المحامي (منتصر) الزيات نفسه..عن طريق تلك المنابر الإعلامية الحكومية ..

وبصرف النظر عن التعليق على الأسباب والمسببات والأعذار التي يمكن التماسها للقيادة الأسيرة (فاقدة الشرعية والأهلية أصلا في سجونها).. أو لتلـك القيـادة المطـاردة المحاصـرة في دائرة العجز عمليا بصرف النظر الآن عن كل ذلك يمكن القـول بأن الجماعـة الإسـلامية بمصـر قـد تحولـت نهائيـا عـن هويتهـا الفكريـة ومنهجهـا كجماعـة مـن جماعـات التيـار الجهادي ..

وسأترك نقاش هذا الأمر (مبدأ المبادرة) من وجهة نظري ونظر كل الجهاديين. وأذكر انه كان بوسعنا في تلك الفترة أن نلتقـي في ظـلال طالبـان ونتـدارس الأمـر، ونسـمع الأعـذار والمبررات من أصحابها، حيث رفض الجميع هذه المبادرة جملة وتفصيلا ، مـع الاحتفـاظ بكامـل الـود والاحـترام لإخواننـا وسابقتهم وفضلهم.

5- رفضت جماعة الجهاد المصرية كما أسلفت سابقا وكافة طيف التيار الجهادي المبادرة صراحة وعبروا عن ذلك ضمن ما أتيح من وسائل الإعلام المحدودة إبان مرحلة الإقامة عند طالبان ، والتي تميزت بالانعزال عن العالم عمليا بسبب الحصار على طالبان وبسبب سياسة طالبان الإعلامية المتخلفة.

6- أحرجت قيادات الجماعة الإسلامية في الخارج من تتابع الانهيارات الناشئة عن المبادرة ، ولكن ما كان بوسع أحدهم إلا أن يعبر عن عدم موافقته الشخصية وعن التزامه بوحدة الصف والتزام رأي قياداتهم التاريخية ! التي تشكل الثقل الأساسي في مجلس الشورى .. الذي يقرر بالأغلبية في جماعة لا أمير لها عمليا ويتناثر عناصرها في أنحاء الأرض ويسيطر على قرارها الأسرى في مصر والسجناء نصف الأحرار في ملاذات اللجوء السياسي في أوربا!

7- وحصلت أحداث سبتمبر! ورحل من تبقى ونجى من أفغانستان من كوادر الجماعة إلى حيث تيسر لهم. وربما أن موقف الجماعة المعلن بعيدا عن طالبان وعن بن لادن جعلها من أقل المتضررين بالعواصف العاتية التي دمرت القاعدة

والأفغان العرب ومعظم الكتلة المتبقية من التيار الجهادي كما أسلفنا.

8- ثم وفي أواسط (2003م) فاجأت الحكومة المصرية العالم بتجاوبها الجزئي مع المبادرة بعد (6 سنين) من إطلاقها. وبدأت بإطلاق دفعات من معتقلي الجماعة الإسلامية. فأخرجت عن عدة مئات بينهم (الشيخ كرم زهدي) أحد قياداتها التاريخية ثم أفرجت عن قياديين آخرين. وزاد من خرج من السجن مبادرتهم بمزيد من الكتب والتأصيلات المنهجية لنقض الغزل السابق من بعد قوة أنكاثا.. وسمعت من بعض وسائل الإعلام عن كتاب يقيمون فيه تجاربهم السابقة ، بعنوان (نهر الذكريات)، لم يتسنى لي أن أراه ولكني اطلعت في الصحافة على بعض المصائب التي يتلبسون بها ، فقد انضمت هذه الفئة إلى برنامج رامسفيلد في حرب الأفكار عمليا ، وصاروا جزء من حملة أمريكا والمرتدين لمكافحة الإرهاب ! ولم ينس إخوتنا التائبون من عبادة الله بجهاد أعدائه أن يسجلوا انتقاداتهم لأحداث سبتمبر وصانعيها .. وصارت مبادرة الجماعة الإسلامية محل ثناء من برامج مكافحة الإرهاب الفكرية التي تعج بها وسائل الإعلام العربية هذه الأيام ومحل استشهاد ومضرب مثل لعلماء

السعودية وسواها في مكافحة المظاهر الجهادية المتنامية في السعودية وسواها بفعل واقع الحملات الصليبية الأمريكية الأخيرة .. ويجري الحديث من وقت لآخر عن تمهيد قياداتها لطرح فكرة استئناف مسار الدعوة العلنية سواء كمؤسسات اجتماعية أو كأحزاب سياسة قد تحصل على تراخيص حكومية في المستقبل ..

9- مطلع عام 2004م التقى الرئيس المصري بالرئيس الإيراني على هامش أحد المؤتمرات الدولية في أوربا.. واعتبر المراقبون ذلك مفتاح مرحلة جديدة بين البلدين.. وصرح الرئيسان بعزمهما على تطبيع العلاقات التي تدهورت منذ أيام الثورة الخمينية حيث كان الشاه قد لجأ إلى مصر.. ثم ماكان من استقبال إيران لقيادات الجماعة الإسلامية وإطلاقها لاسم الشهيد خالد الإسلامبولي على أحد أكبر الشوارع الرئيسية في طهران. وبعد عودة خاتمي إلى بلده استجابت الحكومة الإيرانية لطلب مصر المتكرر بإلغاء تسمية ذلك الشارع باسم الإسلامبولي.. ثم تناقلت وسائل الإعلام خبر اعتزام إيران تسليم المعتقلين لديها من المصريين من الأفغان العرب وأعضاء القاعدة إلى الحكومة المصرية.. ومن ثم ذكر أن بعض المعارضين المصريين المقيمين في إيران قد سلموا لمصر

فعليا ، وأن آخرين قد فروا لأفغانستان.. ولا أدري صحة الخبر ولا إن كان هذا قد طال من تبقى من قيادات الجماعة هناك ولم أستطع التحقق من ذلك.

كان هذا خلاصة تجربة وأحوال تلك التجربة الغنية للجماعة الإسلامية ، إلى تاريخ كتاب هذه السطور أواخر سنة 2004م. من خلال إطلاعي عليها عمليا واحتكاكي وصداقاتي مع العديد من قياداتها.. ولو أرادت أن أختصر رأي في تلك التجربة لأوجزته في أربع نقاط:

(1) الإنصاف (2) العذر (3) النصيحة (4) الأمل..

أما للانصاف:

- فأقول أن الجماعة الإسلامية بمصر التي عرفتها عن قرب، قد آلت إلى الزوال مع نهايات القرن العشرين ، مثلها مثل معظم تجمعات وتنظيمات التيار الجهادي التي تنتمي لحقبة (1960-2001م). التي عملت في تلك الفترة ، ثم تلاشت أو انحلت أو دمرت أو تفككت من الناحية العملية. ثم قضت تداعيات أحداث سبتمبر على ما كان قد تبقى منها ، فالجماعة الإسلامية بمصر التي ولدت أواسط السبعينات قد انحلت عمليا وانتهت مع انصرام القرن العشرين وبداية عالم ما بعد سبتمبر .. بل لقد سبقت باقي

التجمعات بالانحلال مع إطلاقها للمبادرة والإمعان فيها بذلك الشكل.. هذا من الناحية العملية. فأما من الناحية الفكرية فالناطقون اليوم باسمها يعلنون فكرا لا أقول أنه مختلف فقط ، وإنما معاكس ومحارب للفكر الذي سطروه في كتبهم التي أثرت تجربتهم في مصر ،بل وأثر التيار الجهادي كله.

وللأمانة والتاريخ يجب القول صراحة ، أنهم يدينون اليوم مسارهم ، ويعتذرون عن أمجادهم ويعتبرونها خطأ ، ويخطون لأنفسهم بذلك مسارا ومنهجا جديدا..

وأما من الناحية التنظيمية.. فالتنظيم قد تلاشى وتشظى ، فمعظم قياداته قد قتلوا رحمهم الله،أو أسروا وانقطعت أخبارهم فرج الله عنهم .. وأما قواعدهم البشرية فقد انحلت وانتهت.

الشيء الوحيد المتبقي هو بعض الكوادر والقيادات التاريخية التي تخرج من السجون الصغيرة إلى السجن الكبير المسيَّج بحدود مصر التي رسمتها سيكس بيكو. حيث يطرحون – نتمنى لهم السداد والتوفيق- فكرا و مشاريع جديدة ، لا يربطها بالجماعة الإسلامية التي نعرفها إلا الاسم.. هذا إن حافظوا عليه وما أظنهم بفاعلين .. فإن من شروط الطاغوت بحسب تجربتنا (كصحوة إسلامية) على من يريد الاستمرار أن ينفصل عن كل شيء حتى عن اسمه ويطلبون تغييره. كما حصل في

تجربة تركيا وتونس و الجزائر وسواها .. هذه هي النقطة الأولى من الإنصاف ..

- أما النقطة الثانية فهي تقديري و احترامي الكبير لتجربتهم.. فقد عرفت الكثير من قيادات وكوادر هذا التنظيم. والحق يقال، فإنهم من أفضل التنظيمات الجهادية دينا وخلقا وسلوكا وإعدادا وتربية، فهم من التنظيمات التي تعبت على عناصرها بالتربية .. وأما منهجهم قبل المبادرة فهو- رغم اختلافي معهم في بعض الاختيارات السياسية الشرعية- من أفضل المناهج التي طرحت في التيار الجهادي وأكثرها تأصيلا .. ولم أسجل عليهم في سابق تجربتهم من مأخذ إلا تنكبهم في بعض الحالات لأصول منهجهم نتيجة بعض الحسابات التنظيمية والمصالح الحبية التي ظنوها كغيرهم من التنظيمات آنذاك. كما حصل من بعضهم إزاء مسألة الجهاد في الجزائر وتأييدهم للديمقراطية ، ومسألة عدم وقوفهم إلى جانب طالبان إلا في المرحلة المتأخرة جدا، حيث عاجل سبتمبر 2001م الجميع..

وأما تجربتهم الدعوية والتنظيمية والعسكرية في مصر، وكذلك تراثهم وإنتاجهم الإعلامي ، فكذلك كانت من أروع وأطول وأغنى تجارب التيار الجهادي المعاصرة سواء في داخل مصر أو في خارجها. وكذلك دورهم و مساهماتهم القيمة النوعية في أفغانستان ضد الشيوعية ، وفي البوسنة في دفع الصائل عن المسلمين..

وأما على الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالعديد من قياداتهم وقواعدهم علاقات أخوة وصداقة ومسار طريق جهاد وهجرة وجيرة مسكن.. فكانوا مثالا للأخوة الأصدقاء والجيران الأوفياء. وفعلا كما قال الإمام ابن القيم وهو يرد بعض الآراء على الإمام أبو إسماعيل الهروي في كتاب مدارج السالكين ، أقول: (**لولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع**).

وأسأل الله أن يتقبل منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عما كان من كان من تقصير وصفف وزلل، هو من طبع عمل ابن آدم ، إنه هو الغفور الرحيم.

وأما العذر فيما أحدثوه من المبادرة دون موافقتهم عليها :

فأقول بأن التضحيات التي قدمتها هذه الجماعة عبر تاريخها هي تضحيات جسام بكل المقاييس ، من الشهداء و المعتقلين والمطاردين، ومن الذين ذاقوا البلاء في سبيل الله، والله حسيبهم. ولقد أسر معظم قيادات وقواعد التنظيم. فقد أعتقل ما يزيد على (90 %) من قياداتهم البارزة في الصف الأول ، منهم ولم ينج مهاجرا للخارج إلا القليل. وأعتقل من قواعدهم وأنصارهم عشرات الآلاف ولم ينج للخارج إلا رهط قليل أيضا .. فتحول التنظيم عمليا إلى تنظيم مأسور بمعظم قياداته وقواعده. وقد صبر المعتقلون لعقدين كاملين من الزمن، منذ

قتل السادات (1981م) إلى نهاية القرن العشرين. لعل جهازهم العسكري في الداخل أو من نجى إلى الخارج يستطيعون تحقيق شيء .. ولكن الظروف العامة التي أحاطت بمواجهات التيار الجهادي مع أنظمة الردة ومن وراءها من القوى الدولية وعلى رأسها أمريكا وحلفاءها في الناتو فيما عرف بالمواجهة العالمية للإرهاب .. لم تكن لتسمح لهم أو لغيرهم بالإنتاج النوعي أو بتحقيق شيء من الانتصار ..

كما أن الشارع المصري ، مثله مثل عموم الشارع العربي والإسلامي قد خذلهم كما خذل التيار الجهادي في أكثر الأمكنة ، نتيجة عوامل كثيرة، مردها للفساد العام ، ولعجز الصحوة الإسلامية وتيهها في دروب السياسة وإعراض قادتها عن الجهاد.. وللانحطاط المريع لعلماء المسلمين في هذا الزمان نحو دروب النفاق أو جحور العجز!

فلم يتجاوب الشارع المصري كغيره في هذا المواجهة بل جر عمليا إما للوقف في صف الدولة أو للانخراط في اللامبالاة وقف المجاهدون وحيدين في الساحة .. ليقتل المئات ويأسر عشرات الآلاف ويطارد من هاجر.. ولتخرب البيوت وترمل النساء ويشرد الأطفال وتتفكك الأسر تحت طائلة الفقر والعوز والحاجة والتشتت.

وأعتقد أن ما تعرض له قيادات الجماعة وقواعدها من التعذيب البدني والنفسي في سجون مصر ذات التاريخ الأسود العريق في مواجهة الصحوة أمنيا و فكريا وإعلاميا، بالإضافة للدور الخبيث الذي لعبه علماء السلطان في مناظراتهم معهم بإشراف أجهزة أمن الدولة.. كان له بالغ الأثر في قرارهم الكارثي الذي دعي بـ (مبادرة وقف العنف)..

فهو في الحقيقة مبادرة وقرار من مجموعة سجناء أسرى .. فاقدي الإرادة لا إعتبار لقراراتهم ولا لآرائهم وفتاويهم لا شرعا ولا عقلا..

فصاحب مثل هذه المبادرات قد يكون معذورا فيما يضل به أو يضل به الناس ، إن تحققت له شروط الإكراه ، ونقدنا هو لمبدأ المبادرة وفحواها، وليس لجميع السجناء من أصحابها .. فالمبدأ مرفوض جملة وتفصيلا. والأخوة معذورون إجمالا والله أعلم.. على خلاف غير المأسورين منهم من الذين تولوا كبر هذا الإنحراف من ملاذاتهم في أوربا. وحتى ما أحدثوه بعد خروجهم من السجن فإني أتناوله بنفس المنظور والطريقة ؛ رفض الإنحراف وعذر المنحرف المكره منهم إكراها حقيقيا. فهم مازالوا سجناء داخل السجن الكبير (مصر) في داخل سور حدودها. والتي يحيط بها وبغيرها اليوم سجن أكبر في عالم ما بعد سبتمبر في كل أنحاء الأرض بإشراف أمريكا. ونسأل الله الثبات على الحق والعزيمة على الرشد.

وأما الأمل:

ففـي أن يخـرج ممـن تبقـى مـن هـذه الجماعـة و أصـلاب هـؤلاء المجاهدين ومن أتباعهم من يكمل المسار؛ مسار الجهاد والمقاومة فيما نستقبل من أيام لحمل الراية، ومن يكمل المسيرة في أرض الكنانة أهم قلاع المواجهة في بلاد المسلمين مع هذه الحملات الصليبية اليهودية الزاحفة ..

وأما النصيحة:

لإخوتنا هؤلاء ، ولكل من ينجرف ليسقط في مثل هذه المنزلقات والهاويات التي ينصبها الطغاة وأعوانهم وفقهاؤهم على طريق السائرين إلى الله اليوم.. فأوجز القول..

يقول الله تعالى:

﴿ **وَالْفِتْنَـةُ أَكْبَـرُ مِـنَ الْقَتْـلِ وَلا يَزَالُـونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَـتَّى يَـرُدُّوكُمْ عَـنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَـتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَأُولَئِـكَ أَصْـحَابُ النَّـارِ هُـمْ فِيهَـا خَالِدُونَ** ﴾ (البقرة 217) .

ويقول عز وجل:

﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْـتُمْ عَلَـى أَعْقَـابِكُمْ وَمَـنْ يَنْقَلِـبْ عَلَـى عَقِبَيْـهِ فَلَـنْ يَضُـرَّ اللَّهَ شَـيْئاً**

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (آل عمران 150/144) .

سبحان الله العظيم.. كان هذا القرآن قد نزل لنا وفينا ... ويقول ﷺ فيما روى البخاري:

(عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال ثم كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب. وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون).

صدق رسول الله. وكأن الحديث يتكلم عن بعض مجاهدي هذا الزمن..نسأل الله العافية.

وأظن أن في كلام الله ، وقول نبيه ﷺ ، ما يكفي من العظة والنصيحة..

فلقد كان مقبولا من إخواننا هؤلاء ، إذ شعروا أنهم قد أحيط بهم ، وأنهم لا طاقة لهم بالمتابعة.. أن يستسلموا ويرفعوا الراية البيضاء.. ويعلنوا التوقف عن مواجهتهم للنظام المصري.. وأن يطلبوا الهدنة أو الصلح بشروط تناسب حالهم.. وكن ليس من حقهم ولا من حق أحد أن ينقض المنهج ذاته ، وأن ينقض الغزل من بعد قوة أنكاثا.. فهو ليس غزله ولا غزل أبيه وأمه ! وإنما غزل المسلمين ، وغزل التيار الجهادي العريق بأكمله، وتراث سلف من آلاف وآلاف الشهداء والصابرين الذين لاقوا ربهم وهم على ذلك في مصر وخارج مصر.

وكما روي عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل عندما سعى إليه بعض المشفقين عليه ، ليجيب المعتصم في المحنة تقية لكف البلاء عن نفسه ويذكره بعياله ، فقال : إن كان هذا عقلك يا أبا فلان فقد استرحت ، وأشار إلى جمهرة من الناس وطلاب العلم ينتظرون على باب سجنه ليكتبوا ماذا يفتي ، وقال له : أأنجو بنفسي وأضل هؤلاء ؟! ولم يجوز رحمه الله التقية لمن كان رأسا متبعا في الدين .. وكان يقول: لا تقية إلا بالسيف.

أما أن يتحول المستسلم تحت أي اجتهاد أو ذريعة كانت – نسال الله العافية – إلى وسيلة في أيدي الطواغيت وأجهزة إعلام الأعداء في الداخل والخارج ليخذل الذين مازالوا سائرين على درب الجهاد

والمقاومة. بل ويسبهم وينقد منهجهم بتزوير الكتاب والسنة ، فاللهم لا ، ولا كرامة هنا لأحد.

فأقل المطلوب من إخواننا هؤلاء ومن ألجئ إلى مثل حالهم ، إذ انسحبوا من القافلة ، أن يمسكوا ألسنتهم ولتسعهم بيوتهم وليبكوا على خطيئاتهم ، وليسألوا الله للثابتين الثبات ، ولأنفسهم فرصة ثانية تعوض ما فات.

ونسأل الله أن يغفر لهم ويثبتهم على الحق ويبعث منهم ومن أتباعهم وإخوانهم من يرفع راية الحق ويعود بالراية إلى عزتها ومكانتها.

أما عن تجربتي وصحبتي للأخوة من هذه الجماعة ، خلال مرحلتي الجهاد في أفغانستان ، وفي لندن مابين ذلك. فقد مكنتني من التعرف على نماذج رائعة من المجاهدين في هذا الزمان ، وقد ربطني بالعديد منهم من مختلف المستويات علاقات أخوة وصداقة.. فكانوا نعم الإخوة الصادقين والجيران الأوفياء.

وكما أسلفت الملاحظ على كوادر هذه الجماعة حسن التربية والتكوين لأعضائها ومتانة الأخوة والرابطة فيما بينهم بالحق وحتى بالباطل أحيانا ! وقد قدر لي أن أتعرف علي العديد من شيوخ هذه الجماعة وكوادرها مثل الشيخ المجاهد العالم القدوة عمر عبد الرحمن فرج الله كربته وفك أسره. والشيخ أبو ياسر (رفاعي طه) فك الله أسره.

والشيخ مصطفي حمزة ، والشيخ أحمد شوقي الإسلامبولي وغيرهم ، .. حفظهم الله تعالى وغيرهم.. وكانت فرصة لمعرفة نماذج للمجاهدين القدوة العاملين. فرحم الله من لاقاه وجمعنا بهم في عليين، وحفظ من بقي ونفع بهم دينه وأهل طاعته.

6- المحاولات الجهادية في تونس إعتبارا من النصف الثاني من الثمانينات:

يعود ميلاد الصحوة الإسلامية بشكلها المعاصر في تونس إلى أواسط السبعينات ، حيث أسس الشيخ (راشد الغنوشي) وعدد من الإسلاميين الآخرين من رفاقه حركة عرفت باسم (الإتجاه الإسلامي في تونس) وبدأت كغيرها من ظواهر الصحوة الإسلامية في تلك الفترة على أسس قريبة جدا من فكر الأخوان المسلمين، بالإضافة لمسحة تونسية خاصة بحكم جذور الصحوة الإسلامية في تونس..

وقد اشتمل الإتجاه الإسلامي في تونس على محاور فكرية متعددة كان بعضها دعوي وبعضها سياسي وبعضها تربوي ، وبعضها جهادي مثله الشيخ الدكتور(صالح كرر) حفظه الله وفرج كرباته وتقبل منه ..

دخلت حركة الإتجاه الإسلامي معتركات سياسية كثيرة مع نظام رئيسها السابق (الحبيب بورقيبة)، وسجن قادها وأوقفت صحفها وخطر نشاطها أكثر من مرة .. وأخذت في آخر أيامها باتجاه الخيار

الديمقراطي والصراع مع السلطة عبر الإنتخابات .. في حين كان لجهازها السري العسكري الخاص المتكون من عدد من الضباط في مختلف صنوف الأسلحة في الجيش التونسي برنامجا للإعداد لانقلاب عسكري يحمل الإسلاميين وإلى السلطة بحسب ما كانوا يتصورون.. ويمثل هذا البرنامج التجربة الأهم لمحاولة جهادية جادة في تونس للإطاحة بنظام الحكم القائم هناك. (وهذه التجربة وإن كان لا يمكن اعتبارها إحدى تجارب التيار الجهادي بسبب الهوية الفكرية لجماعة الغنوشي .. إلا أني سأعرض لنبذة عن تلك المحاولة في هذه الفقرة على إعتبار أن القائمين عليها من الأخوة الضباط كانوا يحملون فكرا جهاديا أقرب إلى فكر التيار الجهادي من قربه إلى فكر الحركة العام ذي الطابع السياسي المختلط ..وهذا ما تبين لي بعد تعرفي على بعضهم عن قرب).

- إلى جانب الإتجاه الإسلامي كان هناك بعض الخلايا الصغيرة لم تجاوز الآحاد في حدود علمي من الشباب الذي حمل الفكر الجهادي السلفي .. وقد قاموا بعدد من العمليات البدائية البسيطة الغضة التجربة، مما أدى إلى استشهاد بعضهم واعتقال الآخرين وفرار بعض الآحاد إلى خارج تونس، وكان من بينهم الشيخ (علي الأزرق) – رحمه الله – الذي أفتاهم بالجهاد **ومشروعية استهداف الدولة وهيا كلها، وقد فر الشيخ إثر فشل تلك المحاولة إلى السعودية**

– التي أعادت تسليمه إلى تونس أواسط الثمانينات حيث أعدم رحمه الله وقد جاوز السبعين من عمرة وهو يردد الشهادتين ويكبر في أحد سجون تونس– كما روى لي بعض من عاصر تلك المحاولة من الأخوة التونسيين..

أما عن محاولة الإنقلاب لجماعة الإتجاه الإسلامي أو ما عرف فيما بعد باسم (حزب النهضة) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي ، فخلاصتها كما بلغتني مشافهة من بعض الذين خططوا لها وأشرفوا عليها من أولئك الإخوة الضباط كما يلي:

- بصرف النظر عن الخلط والخبط المنهجي الذي طبع حركة الإتجاه الإسلامي والطبقة الأولى من قياداتها منذ نشأتها. إلا أن بداياتها انطبعت بالفكر الثوري الانقلابي والجرأة وسعة الأفق السياسي ، وهي صورة للتركيبة الفكرية والنفسية للشيخ (راشد الغنوشي) ..
- كان للحركة تصورا مؤسساتيا طموحا ، عني بتأسيس الكوادر والهياكل التنظيمية لتنظيم يطمح إلى إسقاط نظام حكم ووراثته على كافة الصعد. ولذلك كان للحركة برنامجها في شتى المجالات السياسية والتربوية و الإقتصادية والإعلامية .. الخ وكان من بين تلك الأجهزة التي أنشأتها، الجهاز العسكري للحركة.
- قام مخطط الجهاز العسكري أساسا على زرع عدد من الضباط المتطوعين في الجيش التونسي في أقسام الأسلحة الثلاثة البرية

والجوية والبحرية .. وعلى تجنيد من استطاعوا من الضباط ذوي الميول الإسلامية في الجيش .. وبصرف النظر عن التفاصيل الفرعية فقد كان التنظيم محكما وشديد التخفي في جيش علماني يحظر على عناصره الالتزام بالدين ويراقب حتى همسات المصلين وتسبيحات المؤمنين ، ويعتبرها شبهة تؤدي على الأقل بصاحبها إلى الطرد من الجيش.

- التزم الضباط الشباب من أعضاء هذا الجهاز بالغ السرية بناء على فتاوى تحصل عليها من فقهاء التنظيم ومن استفتاهم بسلوك يخفي أي إشارة إلى التزامهم الديني .. فكانوا يصلون سرا .. بل إذا حضرتهم الصلاة في أوقات الدروس والتدريبات ، صلوا إيماءا.. وكانوا لا يصومون إلا إذا تمكنوا سرا، بل وصل الأمر في التخفي إلى اكتفائهم بلباس الحشمة لنسائهم مع الترخص في كشف غطاء الرأس للضرورة التي كانوا فيها !! ثم مضى التنظيم على مدى نحو عشر سنوات وفق مخططه الذي كان يقوم على فكرة الإنقلاب العسكري أساسا للإطاحة بالسلطة ..

- ووفق ما رواه لي أحد أصدقائي من الضباط الذين أشرفوا على الإعداد للانقلاب ، فقد كان البرنامج محكما وطموحا (وتفاصيله المفصلة الآن عند الأعداء بما يسمح بذكر بعضها للإفادة) ، واستطاع أن يقيم صلات بدول مجاورة وينسق برنامجه على مستوى

عـال.. وكـان وقت التنفيذ إن لم تفتني الذاكرة في عـام (1986م).. بعد أن كانت حكومة بورقيبة قد أطاحت بفوز الإتجاه الإسلامي .. عـبر تزويـر الإنتخـابات بعـد فـوزهم في مراحلهـا الأولى بصـورة أدهشـت المـراقبين لمـا يعـرف عـن المجتمع التونسي مـن التحلل مـن الالتـزام .. وانتشـار مـذاهب العلمـانيين وأتبـاع خطـوات الفرنسـة والتغريب فيه. ولكن بدا في تونس أيضا أن روح الأصالة والتعاطف مع الدين الإسلامي والثقة في مشروعه السياسي طبعت وما تزال تطبع جميع المجتمعات العربية والإسلامية بلا استثناء.

- وبحسـب الـرواة ذوي العلاقـة .. فقـد أدى الضـعف والـتردد لـدى أستاذ جامعي من القسم المدني في التنظيم والذي كان على صلة مع قيادة الضباط الانقلابيين إلى كشف المحاولة قبيل تنفيذه بمقت وجيـز. فسـارع وزيـر الداخلية في حينهـا وهـو الـرئيس الحـالي (زيـن العابـدين بـن علـي) .. إلى إنقـلاب سـريع أبـيض بالتعـاون مـع المخـابرات الأمريكيـة وإدارة أجهـزة الأمـن وبعـض أركـان النظـام مـن السياسيين .. ثم عزل بورقيبة بحجة هرمه وعجزه الصحي ، وتم نقله إلى قصر معزول ليكمل بقية هذيانه وخرفه هناك حتى هلك. وكان قد اعتقل معظم الانقلابيين وفر من تمكن من الفرار.
- ولأن زين العابدين بن علي كان قد رتب انقلابه البديل على عجل .. كـان يتخـوف مـن عمـق جـذور المحاولـة الانقلابيـة الإسـلامية ،

وأضطر إلى عقد صفقة مع راشد الغنوشي وقياداته السياسية إتفق بموجبها على الإفراج عن الضباط الموقوفين ، مقابل اعتراف الجماعة بالنظام الجديد وكفها عن السعي للإطاحة بالسلطة.

- وهكذا أفرج عن زهاء مائتي ضابط من الانقلابيين الإسلاميين الذين خرج جلهم إلى المنافي الاختيارية في عدد من الدول الأوربية باللجوء السياسي ، كما خرجت معظم قيادة التنظيم المدني وعلى رأسهم الشيخ راشد الغنوشي. إلى الدول الغربية ..

- اتجهت جماعة النهضة والشيخ راشد ذاته بعد ذلك الفشل إلى أقصى التطرف المعاكس ، في المنهج السياسي و تبني الطروحات الديمقراطية ، أو ما يسمونه نبذ العنف ،واتخذ الشيخ راشد من لندن منطلقا لتحركاته عبر أوروبا ، متبنيا فكرا ومسلكا يتوافق مع المقاييس الغربية للاعتدال الإسلامي ليس محل تناوله هنا. واستهل ذلك بإصدار كتابه (الحريات السياسية في الإسلام) ، الذي انتهك فيه كثيرا من مسلمات الدين الإسلامي بدعوى منهج الإنفتاح والإعتدال الذي ابتدعه وبلغ حد إنكار وإلغاء معلومات من الدين بالضرورة !..

- وهكذا تلاشت المحاولة الجادة الوحيدة المعاصرة لإقامة الحكم الإسلامي في تونس.

- وقبض على الشيخ (صالح كرر) في فرنسا وألزم الإقامة الجبرية منذ زهاء خمسة عشر سنة ومازال فيها ، خشية أن يتابع تحركاته وتطلعاته الجهادية حيث أنه كان يمثل تيارا جهاديا الجاد في جماعة الإتجاه الإسلامي في تونس. فرج الله عنه ..

- أما على صعيد التيار الجهادي وخلاياه في تونس .. فقد أدى وصول بعض الشباب الجهادي التونسي إلى ساحة أفغانستان في آخر الثمانينات ومطلع التسعينات إلى محاولة بعضهم تشكيل نواة لتجمعات جهادية ، فقامت محاولات فاشلة متكررة لضم تلك المجموعات الصغيرة في تنظيم موحد على غرار ما فعل الليبيون والجزائريون من الأفغان العرب. وقد فشلت كل تلك المحاولات لعدم وجود كوادر مؤهلة بين أولئك الشباب المخلين يمكن أن يقوموا بتلك المهمة ..

- وعندما انفض جمع الأفغان العرب سنة 1992م.. رحل بعض المجاهدين التونسيين إلى السودان محاولين ذلك مرة أخرى دون جدوى .. وارتحل آخرون منهم إلى ملاذات اللجوء السياسي في أوروبا .. لتبقى صفة التشرذم ، طابعا ملازما للجهاديين من الأخوة التوانسة رغم ما توفر بينهم من العناصر المخلصة الطيبة .. أما الضباط الإسلاميون في أوربا فقد أرهقتهم متطلبات الحياة في ظل الحصار و المطاردة من النظام التونسي ، ومحاولات الاستيعاب

التي مارسها عليهم (حزب النهضة في الخارج بزعامة الغنوشي)، التي وصلت إلى حد الحصار المادي والمعنوي .. حتى اضطر بعضهم للرضوخ واللحاق بتنظيم الغنوشي لأسباب مادية ونفسية .. وبقى البعض من المصابرين الغرباء منهم منطوون على أنفسهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا مثل كثير من المستضعفين والمشردين من الجهاديين والإسلاميين في أوروبا أواخر القرن العشرين.

- وعند ابتداء الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان في عهد الطالبان كان من بين المجاهدين العرب الذين يمموا وجههم شطر الإمارة الإسلامية ، رهط من المجاهدين التونسيين كان بعضهم قد نال شرف المشاركة في الجهاد في البوسنة ضد هجمات الصرب وحرب الإبادة أواسط التسعينات .. وابتدؤوا محاولة جديدة لإنشاء تجمع جهادي خاص بهم ، وبدت بعض بوادر النجاح على تلك المحاولة رغم التعثر والتشرذم ، وفيروس التطرف والتكفير الذي أصاب بعض الأخوة من المجاهدين التونسيين وأعاق تلك المحاولات الواعدة .. واستطاع بعض الناضجين منهم أن يؤسسوا لأنفسهم معسكرا مستقلا ، وإدارة لا بأس بمستواها متعاونين مع كوادر الجماعات الأخرى.. وقدموا خدمات تدريبية جليلة للتجمع العربي في عهد طالبان.

- ولكن فيما كان الأخوة منشغلين في مسعاهم ذلك ..كان للأقدار مشيئة أخرى.. فقد دوت انفجارات الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك وواشنطن لتصل شظاياها إلى أفغانستان كما مر معنا.. وجاءت الحملة الصليبية الأمريكية في ديسمبر (2001م).. ليأخذ المجاهدون التوانسة مواقعهم على خط متميز في قمم (طورة بورة) في جبال سليمان غربي جلال أباد إلى جانب إخوانهم حيث كان كافة التواجد العربي في أفغانستان مستهدفا بالهجوم ، وجاءت الأخبار عن صمودهم صمود الأبطال في مواقعهم إلى جانب إخوانهم في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية.
- ورغم أن الإخوة التوانسة كان هدفهم العودة بالجهاد إلى تونس .. وإنشاء تنظيم جهادي يجمع شملهم .. وانصب اهتمامهم على إحياء اتصالاتهم بإخوانهم في المهجر وعلى تأمين متطلبات النهوض بذلك الجمع .. ورغم أنهم لم يعيروا كبير إهتمام لمعركة الطالبان والإمارة الإسلامية .. وكانوا من المترددين في التفاعل معها كإمامة شرعية في أفغانستان نتيجة بعض المآخذ لديهم و لاهتمامهم بمشروعهم ، ورغم أنهم لم يقتنعوا بمحاولات (بن لادن) والقاعدة وتوجهاتها العسكرية أحادية الإتجاه .. كما كان حال معظم التنظيمات والتجمعات العربية في أفغانستان. إلا أن الهجمة الأمريكية قد فرضت نفسها على الجميع..

- وهكذا.. أدى مجاهدو تونس واجبهم ، وثبتوا ثبات الأبطال وسقط منهم العشرات من الشهداء والأسرى كغيرهم .. ونظرا لعددهم القليل أصلا ، وقلة من أعتقد أنه قد سلم منهم من أخدود سبتمبر.. أعتقد أن تلك المحاولات التونسية قد تلاشت بانتظار أن يهيأ الله لتونس جيلا جديدا من المجاهدين .. فرحمة الله واسعة، ورحم هذه الأمة مازال معطاء..
- وعلى الصعيد الشخصي فقد عرفت العديد من أولئك الأخوة ، من الأفغان العرب من تونس ، وكذلك تعرفت في أوربا للعديد من الأخوة الضباط الذين ذكرت طرفا من تجربتهم .. وكذلك كان لي العديد بهم روابط الصداقة. كما قامت بيني وبين من أم أفغانستان من التوانسة روابط التعاون في ظلال طالبان ..
- وما زلت أحمل من تلك الروابط حاني الذكريات .. فرحم الله شهداءهم وفرج عن أسراهم .. وذكر أحياءهم بخير وحفظهم .. فقد كانوا مثالا للطيبة والإخلاص والفطرة الصافية والجد في العمل على حداثة تجربتهم وقلة إمكانياتهم..

7- تجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا:(1990-2001م)

بحسب معلوماتي فقد كانت هناك محاولة جهادية من النويات الأولى لخلايا التيار الجهادي في ليبيا ضد نظام معمر القذافي خلال

النصف الثاني من الثمانينات. ولقد أدي اكتشاف تلك الخلايا ومطاردتها إلى خروج كوادرها الرئيسية إلى أفغانستان ، حيث كان التجمع الجهادي العربي خلال الجهاد الأفغاني قد بدأ يبلغ ذروته. وهناك وفي معسكرات التدريب المنتشرة في أفغانستان وعلى الحدود الباكستانية ، كانت تلك الكوكبة من الشباب الليبيين لا تألوا جهدا في تأهيل كوادرها الأولى في مختلف مجالات التدريب وتعيد صلاتها بليبيا وبعض بلاد المهجر حيث استنفروا من استطاعوا من إخوانهم للمجيء للإعداد والتدريب لمتابعة مسار الجهاد في ليبيا وقد عرف عن أولئك الشباب أنهم من أكثر المجاهدين العرب الذين تواجدوا في تلك الساحة استفادة من الوقت وصبرا على دورات التأهيل العسكرية والتربوية الطويلة المدى التي أخضعوا لها أنفسهم وإخوانهم، وخلال السنوات الثلاثة الأخيرة (1989–1992م)، استطاع أولئك الشباب أن يرتبوا أنفسهم ويؤسسوا التنظيم الذي عرف باسم (الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا).. ويضعوا برنامجا للإعداد واستئناف المسيرة الجهادية في بلدهم ، على الأفكار والأسس والطريقة التي كانت سائدة آنذاك في أواسط التيار الجهادي والأفغان العرب واستطاعوا أن يستوعبوا معظم المجاهدين الليبيين الذين تواجدوا في ساحة الأفغان العرب.

ساهم المجاهدون الليبيون في فعاليات الجهاد العربي في أفغانستان إلى جانب إخوانهم من البلاد الأخرى بكفاءة. وسرعان ما برز منهم

كوادر في مجالات التدريب وفي الجبهات. ثم استقل شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة لأنفسهم بمضافات ومعسكر خاص بهم شأنهم في ذلك شأن معظم الجماعات الجهادية العربية القديمة أو الناشئة ، ثم بايعوا عليهم أميرا للتنظيم وبدأت تتكون بنيتهم الإدارية كتنظيم جهادي بدأ يأخذ مكانه بين التنظيمات الجهادية العربية المرموقة.

كان المنهج الفكري للجماعة الإسلامية المقاتلة يقوم على أسس الفكر الجهادي السائد ، وقد تأثروا بمناهج الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد المصرية ، ويمكن اعتبارهم نموذجا من نماذج جماعات السلفية الجهادية ، وقد بدا هذا جليا عندما نشروا منهجهم الفكري في كتاب بعنوان (الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا).. كما تجلى ذلك عبر نشرتهم الشهرية (الفجر) فيما بعد.. وكذلك في عدد من الأبحاث الفكرية السياسية الشرعية التي أصدروها..

مع هبوب العاصفة الأمنية على العرب في باكستان بموجب البرنامج الأمريكي.. ومع عودة معظم المجاهدين العرب إلى بلادهم كان أعضاء الجماعة الإسلامية المقاتلة من الصنف الذي لا يستطيع العودة إلى بلاده.. شأنهم في ذلك شأن المطاردين من الجهاديين من سوريا ومصر وتونس والعراق وبعض البلاد الأخرى.. فانتقل معظم شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى السودان بعد أن فتح نظام البشير وحليفه الترابي أبواب السودان للإسلاميين والجهاديين بعد تسلمهم

السلطة سنة (1990م) كما مر آنفا ، في حين يمم القليل منهم وجهة شطر ملاذات اللجوء السياسي في بعض البلدان الأوربية والغربية...

تعتبر مرحلة الإقامة في السودان (1991-1995م) مرحلة تأسيس هامة بالنسبة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، فقد مكنتها من إعادة توثيق صلاتها بليبيا ، كما وضعت الجماعة برنامجا طموحا لتأهيل الكوادر في المجالات المختلفة ولاسيما في مجال طلب العلم الشرعي .. واتجه العديد منهم إلى طلب العلم في بلاد الحرمين ، في حين يمم آخرون وجههم شطر موريتانيا.. وفعلا ، لم يأت الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان (1996-2000م) إلا وقد كونت الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا عددا من خيرة الكوادر العلمية الشرعية التي تأهلت في التيار الجهادي والأفغان العرب ..

كان عدد من كوادر الأفغان العرب الليبيين ممن لم يلتحقوا بالجماعة المقاتلة يعمل في معسكرات تنظيم القاعدة، وقد غادروا إلى السودان متابعين عملهم مع الشيخ أسامة بن لادن في المجالات الزراعية والاقتصادية التي ابتدأها في السودان. ولكن نشاط المقاتلة وغيرها من الإسلاميين و الجهاديين داخل ليبيا ضد نظام القذافي ، ولاسيما تحركهم في السودان على مقربة من ليبيا .. أزعج نظام العقيد القذافي ودفعه إلى إبرام معاهدة لتبادل المجرمين ! ووضع برنامج لمكافحة العناصر الإسلامية مع نظام البشير (الإسلامي) .. وسرعان

ما قلب نظام البشير ظهر المجن لكافة الأفغان العرب. ولكن بداية ذلك كانت بالليبيين .. إذ طلبت الحكومة السودانية من تنظيم (المقاتلة) الرحيل عن السودان! كما طلبت من الشيخ أسامة إخراج من لديه من الليبيين من مجالات عمله نتيجة ضغوط ليبيا عليها واتفاقاتها الجديدة معها .. ولم يكن من ذلك بد .. وأدى ذلك إلى بدء رحيل الليبيين عن السودان. ليعيدوا انتشارهم في المنطقة من جديد.. وأدى ترحيل من كان منهم مع تنظيم القاعدة إلى انضمامهم إلى تنظيم (المقاتلة) مضيفا إليها كوادر هامة. حيث كانت المقاتلة حريصة على أن تكون التنظيم الجهادي الوحيد في ليبيا.. وبذلت في ذلك مساع حثيثة داخل ليبيا وخارجها.

كما قلت ، فقد توزعت كوادر المقاتلة وعناصرها في العديد من دول المنطقة .. فعاد البعض إلى باكستان وانتشر آخرون في اليمن والسعودية وتركيا وسوريا والأردن والخليج وبعض دول شمال إفريقيا.. فيما أتجه آخرون إلى ملاذات اللجوء السياسي في بعض الدول الغربية حيث ساعدتهم الأجواء و إمكانية المعلومات والاتصالات على الإفادة في مجال الدعاية والإعلام ..

مع إنطلاق شرارة الجهاد في الجزائر منذ (1993م) سارعت الجماعة المقاتلة كي تكون حاضرة في هذه الساحة الهامة بذاتها ولجوارها لليبيا .. وأوفدت بضع عشرات من مجاهديها ليتواجدوا هناك وليشاركوا

إخوانهم في الجماعة الإسلامية المسلحة في الجهاد ضد النظام الجزائري .. ولكنهـا كانـت تجربـة بالغـة المـرارة. إذا أدت الاختراقـات الاستخباراتية، وسيطرة العناصر الجاهلة والتكفيرية و توجيه المخابرات لها، إلى المنحرفين سيطرة على إدارة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ودفعها في متاهات الإنحراف والتشرذم .. كما سنعرض في النبذة التالية عند التعرض للتجربة الجزائرية .. إن شاء الله. ولكن ما يعنينا هنا هو أن (الإدارة المجرمة للجماعة الإسلامية المسلحة بقيادة أبو عبد الرحمن أمين) منذ 1995م ، أضافت إلى قائمة جرائمها، جريمة اغتيال معظم هؤلاء المجاهدين الغرباء من الجماعة الإسلامية المقاتلة رحمهم الله. بدعوى حملهم لفكر المبتدعة ، وأنهم ليسوا على العقيدة السلفية الصحيحة !! ولم ينج من هؤلاء إلا القليل جدا ممن استطاعوا الفرار إلى مناطق التنظيمات الأخرى ليخرجوا شهودا على ذلك الإنحراف الخطير الذي حصل في الجزائر !!! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

في عام (1994م) بدأت الجماعة المقاتلة نشاطها العسكري في ليبيا. عبر ثلاثة محاور:

1. حرب عصابات مدن داخل ليبيا ، ضد أركان الحكومة الليبية.
2. تمركز بعض العناصر المطلوبة في مناطق الجبل الأخضر شرق ليبيا لتمارس حرب عصابات جبال وأرياف في محيطه.

3. محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي ..

لكن المعطيات الإستراتيجية لبلد مثل ليبيا لم تكن لتساعد على مثل هذه الحركة ..

فعدد السكان قليل ، وليبيا بلد صحراوي مترامي الأطراف ، تتناثر فيه المدن الرئيسية على مسافات شاسعة ، وتتركز في شريط ساحلي ضيق .. بالإضافة للتوقيت غير المواتي الذي انطلقت فيه شرارة تلك المحاولة ، حيث كان التنسيق العربي والإقليمي والدولي لمكافحة الجماعات الجهادية قد بدأ .. مما جعل عملية التنسيق بين إدارة العمل في الداخل والخارج غير ممكنة ، وكذلك أصبحت حركة العناصر من وإلى ليبيا محفوفة بالمخاطر وشبه مستحيلة .. وسرعان ما أوقع نظام الطاغوت في ليبيا خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين ، رغم العمليات النوعية والبطولية التي قام بها أفرادهم خلال تلك الفترة ، ضد أجهزة الأمن وعناصر الجيش والمليشيات الحكومية.

وهكذا صفيت خلاياها في الجبل الأخضر ، وقتل الأخ القائد الشهيد عبد الرحمن حطاب .. وسقط عدد من الشهداء في مدن متعددة واعتقل آخرون .. واضطرت الجماعة المقاتلة للإعلان عن تغيير برنامجها العسكري. معلنة ذلك في بياناتها بما عبرت عنه ببرنامج (الهجوم الإستراتيجي والتراجع التكتيكي).. ليقتصر نشاطها عمليا بعد ذلك على المحور الأخير فقط وهو المحاولات التي كررتها لاغتيال

العقيد القذافي دون أن يوافق ذلك قدر أجل ذلك الطاغوت الخبيث .. فباءت محولات عديدة بالفشل ونجى القذافي المرة تلو الأخرى بأعجوبة .. واضطرت الجماعة لإنهاء نشاطها عمليا في ليبيا...

منذ (1995م) كانت عواصف الحرب العالمية على الإرهاب كما أسموها تتصاعد بسرعة لمطارد كافة الجهاديين في كل مكان .. وقد أوقع التعاون والتنسيق الأمني الإقليمي والعربي والدولي ، كثيرا من كوادر التيار الجهادي ضحايا لتلك الحملات الأمنية الظالمة التي وضعت نصب أعنيها إغلاق الملاذات الآمنة، وتجفيف المنابع المالية ، ومطاردة العناصر الرئيسية لاغتيالها أو أسرها أو تسليمها إلى بلدانها .. وكان نصيب الجماعة المقاتلة من الابتلاء في تلك المرحلة أيضا غير قليل ..، إذ طاردت السلطات في تركيا وسوريا والأردن واليمن والسودان عددا من الخلايا التابعة لهذا التنظيم .. فقبض على بعضهم وسلموا إلى ليبيا كما حصل في السودان والأردن وسوريا وتركيا .. واعتقل آخرون في تلك البلاد أو رحلوا أو اختفوا في أشد حالات الضيق في أماكنهم أو أماكن أخرى .. كما تعرض اللاجئون إلى الدول الغربية منهم كغيرهم من الإسلاميين عموما والجهاديين خصوصا للحصار والتضييق ..

مع تمكن حركة طالبان من السيطرة على أفغانستان وإعلانها للإمارة الإسلامية ربيع (1996م) ، بدأت كوادر من الأفغان العرب

شد الرحال إلى الملاذ الجديد .. ورغم وصول العديد من طلائع التنظيمات والكوادر الجهادية والعربية إلى أفغانستان ولاسيما من قدماء الأفغان العرب .. إلا أن قيادة الجماعة المقاتلة بدت مترددة في اللحاق بهذا الملاذ الجديد وحذرة من فكرة إعادة تجميع كامل بيض التيار الجهادي في سلة واحدة في أفغانستان مرة ثانية .. ولقد كنت من بين أوائل من توجه إلى أفغانستان في تلك المرحلة ، ومن بيين من حثهم وحث الجميع على المجيء وتجمع القوي والانطلاق من هناك من جديد.. وقد إعتبر المترددين في ذلك مخطئين في ترددهم .. ولكن ما حصل في سبتمبر وما تلا ذلك من تداعياتها على التيار الجهادي.. تجعلني الآن أفكر في أن ترددهم وحذرهم ربما كان في حينها في محله .. ولكن كان للأقدار مسارا ومشيئة أخرى .. فهم كانوا مهددين في ملاذاتهم وما كان أحد ليتصور سبتمبر وتداعياته ، فقد أدى نجاح طالبان في بسط سيطرتها على معظم أفغانستان ، والعز الجديد الذي لاقاه من حضر من الأفغان العرب في كنفهم من جهة .. والمطاردات الأمنية التي عصفت بخلايا المقاتلة وغيرها من الجهاديين في أكثر من مكان كما أسلفت ، إلى أن يضطر المترددون إلى اللحاق بأفغانستان خوفا وطمعا .. خوفا من لهيب العواصف الأمنية في مختلف بلاد العالم .. وطمعا في الإفادة من معطيات الساحة والملاذ الجديد .. وتتابع

مجيء الكوادر البارزة من قيادة تنظيم الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان كغيرهم ..

ترددت المقاتلة بادئ ذي بدء في الزج بكوادرها في معارك طالبان الطويلة مع تحالف الشمال خشية الدخول في استنزاف لم يكن ضمن برنامجها من جهة ، ولعدم تبلور قناعتها ربما بعد في تلك المرحلة بالانخراط في معركة الطالبان .. وعدم تبينها لمسألة مشروعية أمير المؤمنين كإمام شرعي ممكن يجب الدخول في كنفه .. ولكنهم وبعد تدارس الموقف مطلع (1999م) بدؤوا ينخرطون في الوقوف إلى جانب حكومة الطالبان شيئا فشيئا .. وما لبثوا أن لعبوا دورا مهما في مساندتهم في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكري والإعلام..

وخلال الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان .. كانت الجماعة المقاتلة من أفضل المجموعات العربية تنظيما وأداء على مستوى الأفغان العرب وتجمعاتهم وجماعاتهم التي بلغ المنظم منها نحو (14) تنظيما وتجمعا ومعسكرا مستقلا .. وكان لهم معسكرا مستقلا وأكثر من مضافة ومركز نشاط ..

وخلال تلك الفترة بدا أن ظلال عالم العولمة الذي بدأ يتسرب إلى تفكير الجهاديين أيضا قد وجد طريقه إلى الجماعة المقاتلة في اتجاه العناصر غير الليبية والاهتمام بأكثر من قضية وساحة. رغم أن

توجههم القطري الليبي ظل واضحا وملازما لكافة نشاطاتهم وبنيتهم الإدارية وإنتاجهم الإعلامي.

لم تنجح محاولات الشيخ أسامة والقاعدة في استمالة الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى توجهاته توحيد محور المواجهة تجاه أمريكا. كما لم يستطع استيعابهم في حلفه الذي أطلق عليه مسمى (الجبهة العالمية لجهاد الصليبيين) .. والذي لم يستمل في آخر المطاف عبر السنوات الخمسة إلا تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.. ويبدو أن الأسباب الرئيسية لذلك تعود إلى قضايا منهجية وأخرى إدارية وأسباب متعلقة بطبيعة التوجه والهدف الإستراتيجي ومنحى الجهد العملي لكل جماعة.. وهكذا بقى تنظيم المقاتلة مستقلا في برامجه ونشاطه في ساحة الأفغان العرب إلى أيامهم الأخيرة ..

وجاء الحادي عشر من سبتمبر .. و(المقاتلة) كغيرها من التجمعات الجهادية العربية منهمكة في نشاطها وحركتها الدؤوبة ، بل ربما أنها كانت الأبرز نشاطا وأداء..

واضطرت الهجمة الأمريكية العاتية جوا والزاحفة برا بالتعاون مع الخونة من الشماليين و شذاذ الأحزاب المختلفة وقطاع الطرق .. اضطرت جميع الأفغان العرب للدخول في معركة الدفاع عن النفس والدفاع عن الإمارة الإسلامية. وعن أمير المؤمنين وحكومته التي بدأت تتهاوى على أكثر من جبهة.

أخذ المجاهدون من الجماعة المقاتلة بليبيا مواقعهم في تلك المعركة، وأبلوا بلاء حسنا في معركة الدفاع عن خطوط شمال كابل .. وكان فصيل آخر منهم يرابط في جهة الجنوب في قندهار وهلمند .. وسقط منهم العديد من الشهداء، وكانت قياداتهم وكبار كوادرهم في طليعة المقاتلين.. كما لعب بعض قياداتهم وكوادرهم دورا بارزا فيما بعد في المعارك المتتالية في أكثر من مكان. إلى أن اضطر من سلم من القصف ومن تلك المعارك إلى الانسحاب تجاه باكستان وتولى أحد قادتهم وهو الشيخ أبو الليث قيادة مجموعات مقاومة للأمريكان على الحدود الباكستاني مع أفغانستان منذ ذلك الوقت إلى الآن حفظه الله.. وثم كان نصيب المقاتلة من البلاء كغيرها من مجاهدين الأفغان العرب لا بأس به أيضا.. فوقع العديد من عناصرها وكوادرها أسرى خيانات حكومة وجيش وقوى الأمن الباكستانية عليهم من الله ما يستحقون .. ليقتل البعض ويسلم آخرون إلى الأسر لدى زعيمة الحملات الصليبية أمريكا..

كانت خسائر المقاتلة كغيرها من مكونات التيار الجهادي العربي والأفغان العرب فادحة.. قتلا وأسرا وتشريدا .. ليعود من سلم من كوادرهم مع من سلم من كوادر التيار الجهادي .. غرباء العصر الحديث ممن نجى من أخدود سبتمبر للتشرد والتخفي في أقطار الأرض من جديد .. فرحم الله الشهداء.. وفرج عن الأسرى وأنجى

المستضعفين من عباده في الأرض في كل مكان وحققه لهم وعده الأكيد بالنصر والفرج والتمكين ..

وقد ربطتني بالأخوة في الجماعة المقاتلة روابط صداقة وأخوة وعلاقات تعاون وعمل في عدة مناسبات ومجالات .. كان أهمها أثناء إقامتي في لندن .. حيث كتبت عددا من المقالات الفكرية الجهادية في مجلتهم الفجر. كما كان بيني وبينهم تعاون مثمر في الكشف عن انحراف الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر اعتبارا من أواخر (1995م)، وقد أدى ذلك التعاون معهم ومع جماعة الجهاد المصرية إلى إعلان البراءة من أعمالها من قبل معظم تكتلات التيار الجهادي في حينها. كما سيأتي بيانه إن شاء الله .. كما قام بيني وبينهم أيضا تعاون طيب أثناء (الشوط الثاني للأفغان العرب) أيام طالبان .. ثم جمعنا السبيل في محاولة دفع البلاء النازل إثر أحداث سبتمبر .. قبيل الخروج من أفغانستان .. وفعلا أعتقد أن الجماعة المقاتلة قد شكلت ركنا أساسيا في التيار الجهادي وكان لها وجود متميز على صعيد الإنتاج والحضور .. وأعتقد أن قياداتها وطلاب العلم فيها، وكذلك كوادرها وعناصرها كانوا من أكفأ رجال التيار الجهادي عطاء وأكثرهم تربية و تأهيلا ..

تقبل الله منهم .. وأحسن مثوبتهم .. وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

7- التجارب الجهادية المعاصرة في الجزائر اعتبارا من (1991م):

سبق أن بينت أن تجربة جهادية مبكرة كان قد قام بها الشيخ الشهيد المجاهد (مصطفى بويعلي) رحمه الله ، في النصف الأول من السبعينات ، فقد كان الشهيد بويعلي من المجاهدين الذين حاربوا ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر. وكان مثله مثل مئات آلاف المجاهدين في حينها يطمحون إلى التحرر من الإستعمار تحت شعار الجهاد ، ليقام في الجزائر حكم الإسلام على إثر ذلك.. ولكن الفرنسيين الذين أتقنوا لعبة الإستقلال كما أتقنوا لعبة الإستعمار، جعلوا الأمر يؤول من بعدهم للعلمانيين والاشتراكيين من أبناء الجزائر الذين تربوا على أفكار أعداء الإسلام ! وكان هذا سببا لتراكم الكفر والظلم الذي دعى شهيدنا مصطفى بويعلي للثورة عليه..

ولكن تلك التجربة سرعان ما قمعت واستشهد قائدها وسجن من تبقى من عشرات المنتسبين إليها لعدة سنين.

وفي نهاية الثمانينات وبعد أن تفاقمت المشاكل الإقتصادية في الجزائر نتيجة الفساد العارم الذي استشرى في كافة مفاصل النظام وإدارته.. انفجرت (مظاهرات الخبز) كما عرفت في حينها ، وأوشك الحال على الانفجار .. فلجأ الرئيس الجزائري آنذاك (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع بطرح سياسة الإنفتاح وإعلان ترخيص تشكيل

الأحـزاب السياسـية والـدعوة إلى انتخـابات ديمقراطيـة حـرة سـنة (1989م).

إستغل البادرة بعض الدعاة من الصحوة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ عهد الإستقلال (1963م) في عهد الرئيس (هواري بومدين) ، وأعلـن الشـيخ عباسـي ومـدني ونفـر مـن الـذين استجابوا للـدعوة ، تشـكيل (الجهـة الإسـلامية للإنقـاذ) لتشـكل تجمعـا عريضـا يضـم كافـة السـاعين إلى المشـروع السياسـي الإسـلامي .. واسـتطاعت الجهـة أن تشتمل على معظم أوساط الصحوة الإسلامية .. وانخرط في عضويتها المفتوحـة الأبـواب ملايـين النـاس بصـرف النظـر عـن أحـوالهم ومشـاربهم فقد التقوا على دعم مشروع الإسلام السياسي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية ..تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر ، وهو حزب السـلطة ! حـزب جبهـة التحريـر الـوطني وتولـت بـذلك معظـم بلـديات الجزائر .. واستفاد جبهـة الإنقـاذ بـذلك للتحضـير للفـوز بالانتخـابات التشـريعية (البرلمانيـة) الـتي جـرت سـنة (1990م) وتمخـض الـدور الأول فيهـا عـن فـوز الجبهـة بأغلبيـة سـاحقة كانـت سـتمكنها خـلال الشـوط الثاني من الـدورة الإكمالية من الأغلبية السـاحقة التي تأهلها لتشكيل الحكومة ولترشح لرئاسة الدولة ..

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها .. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس الفرنسي في حينها ، أن فرنسا على استعداد للتدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة. وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا.

وحصل الإنقلاب. واعتقلت قيادات الجبهة ، وقمعت المظاهرات بالعنف ، وفتح النظم العسكري الذي استولى على السلطة وسحق الديمقراطية بدعم من الغرب المنافق السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين .. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، والتي تعتبر من أهم التجارب الجهادية الجديرة بالدراسة ، وآخر تجارب الجهاديين في المواجهة مع الأنظمة ، وآخرها في القرن العشرين . وقد كان لي منذ ابتداء تلك التجربة عام (1989م) وإلى عام (1996م) ، تماس مباشر وعلاقة ببعض مجريات تلك التجربة سأشير إلى أهم مجرياتها في نهاية هذه الفقرة إن شاء الله.. وقد كانت تجربة شخصية مريرة وغنية بالفائدة .. وقد سجلت ذلك كما ذكرت في كتاب فقدته مخطوطا جاهزا أثناء انسحابنا العاجل من كابل إبان الهجمة الأمريكية على أفغانستان بعد أحداث سبتمبر .. وأعدت كتابة ملخصه وسأنشره قريبا إن شاء الله. وأما هنا فأعرض

لأهم مناحي تلك التجارب التي عايشتها عن قرب من خلال نقاط موجزة رئيسية ..

تجربة الجماعة الإسلامية المسلحة والجماعات الأخرى في الجزائر (1991-2000م) :

كان عدة مئات من الشباب الجزائري. ربما ناهز عددهم الألفين ، قد نفر للجهاد في أفغانستان .. وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المجاهدين بأسا وشجاعة .. ومع بداية التسعينات أخذ المجاهدون من كل بلد يجمعون أنفسهم ويستقلون بكياناتهم من حيث الخدمات والمضافات ومعسكرات التدريب .. رغم بقاء جبهات القتال مشتركة بين الجميع تحت إدارة التنسيق العربية العامة .. وهكذا سعى الجزائريون من الأفغان العرب لتنظيم أنفسهم.

برز (القاري سعيد) كما كان يدعى ، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجزائريين وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجزائريين) ، وقد ربطني بالرجل خلال تلك الفرة وما بعدها صداقة وتجاوزنا في السكن في بيشاور مكنتني من الإطلاع على تلك التجربة، وقد حدثني - رحمه الله- عن طموحاته بتشكيل تنظيم جهادي للعمل في الجزائر بعد الفراغ من الجهاد الأفغاني في عدة مناسبات .. ولم يكن

المشروع مستعجلا ، وإنما كانت أهدافه في إطار التدريب التنظيم والإعداد..

وجاءت أحداث الإنتخابات، وما جرى للجبهة الإنقاذ ، والانقلاب العسكري سنة (1990م) ، لتجعل بالأخوة الجزائريين للعودة إلى بلادهم لمواجهة الحكومة الانقلابية الطاغوتية العسكرية.

وذهب القاري سعيد للاستطلاع في الجزائر، ليعود بقرار ترحيل من معه إلى هناك على مراحل ، ثم عاد إلى الجزائر بعد أن استناب بعض الأخوة في (بيشاور) ليتابع التدريب المكثف وتنظيم عملية الترحيل إلى الجزائر.

كانت ردة الفعل الطبيعة لأكثر من 5.3 مليون ناخب اختاروا المشروع الإسلامي في الإنتخابات وفازوا فيها، ثم انتزع منهم انتصارهم، ليساق عشرات الآلاف منهم إلى السجون، كان طبيعيا أن يرحب أكثرهم بنداءات جهاد السلطات العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم بدعم وتوجيه من الغرب ولاسيما فرنسا ..

كانت ساحة الصحوة الإسلامية في الجزائر آنذاك تموج بكافة مكونات الصحوة الإسلامية العربية التي من المهم معرفتها لفهم تلك التجربة المتشابكة، وكان من أهم تلك الكتل بحسب حجمها و تأثيرها ما يلي:

أولا: الجبهة الإسلامية للإنقاذ :

وتكونت من خليط من مدارس الصحوة وقياداتها والتنظيمات الإسلامية الدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي دونما منهج محدد اللهم إلا الشعار العام. وكان من أهم مكوناتها الرئيسية:

1. **جماعة الطلبة:** التي كان يرأسها الشيخ محمد السعيد – رحمه الله ويعود تأسيسها إلى مجموعة من الطلبة الإسلاميين في جامعة الجزائر من الذين تتلمذوا، على المفكر الإسلامي الشهير مالك ابن نبي ، وكانت تقوم في عموميات فكرها مزيج من أفكار الأخوان المسلمين مع مورثات الصحوة الإسلامية في لجزائر من تراث جمعية العلماء المسلمين ، بالإضافة إلى أفكار مالك ابن نبي– رحمه الله – ...
2. **حركة الدولة الإسلامية:** وهم بقايا حركة الشهيد مصطفى بو يعلي رحمه الله ، وقد تزعمهم ومثلهم في جبهة الإنقاذ الشيخ سعيد مخلوفي – رحمه الله – وكانت مجموعة جهادية سلفية المعتقد..
3. **شريحة عريضة من أتباع الدعوة السلفية:** وقد تزعمهم ومثلهم في الجبهة رجلها الثاني وخطيبها المشهور الشيخ (علي بلحاج حفظه الله) ...
4. **عدد من رموز الدعوة الإسلامية من المستقلين ..**

5. **قاعدة عريضة من عوام المسلمين** المتعاطفين مع المشروع الإسلامي ..

ثانيا: الأخوان المسلمون – فرع التنظيم الدولي في الجزائر :

وكان يرأسهم (محفوظ النحناح)، الذي أطلق على حزبه اسم (حركة مجتمع السلم) ، وقد أبى النحناح الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ ، وبقي مناوئا لها طوال بقية حياته رغم محنتها .. وشن عن المجاهدين هجوما ضاريا.

ثالثا: الأخوان المسلمون المحليون– وهم حزب النهضة الإسلامية:

الذي رئسه (عبد الله جاب الله).. وكان فكرهم مزيجا من فكر الإخوان وفكر الصحوة الإسلامية الجزائرية المحلية ..

رابعا: السلفيون:

والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين ، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية.

خامسا: الشباب السلفيون المتشددون :

وقد شكل بعضهم –كما بلغني – حركة سميت باسم سلفية العاصمة (الجزائر) .. وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).. وقد تفشت فيهم منذ البداية أفكار تتراوح بين التزمت والتكفير والجهل في الدين والدنيا ..

سادسا: جناح من حركة الدولة الإسلامية :

من الذين كانوا مع الشيخ مصطفى بويعلي ولم يروا الدخول في جبهة الإنقاذ لمنهجها الديمقراطي. وكانوا على فكر جهادي سلفي ..

سابعا: (الأفغان العرب الجزائريون) :

كما سموا فيما بعد، وهم الجهاديون المتحركون بين الجزائر وساحة أفغانستان..

كانت هذه أهم مكونات الساحة الإسلامية في الجزائر آنذاك ، بالإضافة لحركات هامشية قليلة التأثير بما حولها كجماعات التبليغ والحركات الصوفية المختلفة ..

بعيد الإنقلاب العسكري بقليل لاذ عشرات من الشباب بالجبال، وبدؤوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.. ثم مالبثوا وبسرعة كبيرة ، أن بدؤوا الصدام المسلح مع الحكومة.

أدت حركة الإعتصام الكبير في الجزائر العاصمة ، والذي دعت له جبهة الإنقاذ ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة وشيخيها الكبيرين (عباسي مدني وعلي بلحاج) بشكل مفاجئ ، دونما أي مقاومة ! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين !!.. وسمعت فيما بعد وأنا أتحرى تلك القضية أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ ، قد خانوهما ولم ينفذ الأوامر بالمواجهة– والله أعلم – وكنت أحتفظ في ملفاتي المفقودة حاليا عن تلك المرحلة ببعض التفاصيل والأسماء ولكنها ليست عندي الآن.. وبقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس ، وعادت مكوناتها الأساسية للعمل بصورة غير مركزية .. وبرز الشيوخ (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام ومُحَّد سعيد مخلوفي و مُحَّد السعيد) – رحمهم الله جميعا – كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها .. وعمت الفوضى السياسية المسلحة البلاد ، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة. وقتل المجاهدون الرئيس الجديد (بوضياف) الذي جاء به الإنقلابيون لتصل الصدامات المسلحة إلى ذروتها ...

نزل (قاري سعيد) كما ذكرت إلى الجزائر لمدة شهر، وقد حدثني بنفسه بعد عودته عن جهود مضنية قامت لجمع الأفغان العرب، مع بقايا فرع جماعة مصطفى بويعلي، ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي الجهادي هناك في جماعة جهادية واحدة. ثم عاد قاري سعيد.. وهاتف نائبه في بيشاور ليخبر بقيام ذلك الجمع وأنهم أسموه (الجماعة الإسلامية المسلحة)، وكان ذلك في أواخر (1990م) أو أوائل (1991م) ..

إنشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكرية .. ورفض آخرون على رأسهم (مُحَّد السعيد وعبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام وسعيد مخلوفي) المهادنة وبدؤوا المواجهة باسم جبهة الإنقاذ .. وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم (جيش الإنقاذ) الذي برز على رأسه (مدني مرزاق) أحد كوادر الجبهة من الذين صعدوا الجبال واشتمل البيان التأسيسي لجيش الإنقاذ على معظم مكونات الفكر الجهادي السلفي وركز على مبدأ رفض العودة للديمقراطية ...

وسرعان ما قمعت الحكومة العسكرية حركات العصيان المدني وحظرت الأحزاب السياسية ، وكان في طليعتها جبهة الإنقاذ - وحركة النهضة – وحركة الإخوان (حماس) - والحركة من أجل الثقافة والديمقراطية (وهي حزب أمازيغي يرأسه آيت أحمد) - وحزب جبهة

التحرير الوطني الذي مثله آخر رئيس وزراء مدني هو (عبد الحميد مهري) .. وأحزاب علمانية واشتراكية وشيوعية صغيرة أخرى.. حيث إستمرت بالمعارضة ثم قمت وخرج كثير من رؤوسها إلى خارج الجزائر.. ووصل عدد المعتقلين من الإسلاميين إلى أكثر من (50 ألف) معتقل ملئت بهم السجون الصحراوية .. وأدى ذلك إلى إرتفاع عدد المسلحين المقاوميين في الجبال إلى ما قيل أنه بلغ عشرات الآلاف .. وأصبحت عملياتهم بالعشرات يوميا..

سيطرت أخبار الجهاد في الجزائر على عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة وبرز اسم (الجماعة الإسلامية المسلحة) كأهم وأبرز التجمعات العاملة عسكريا في مواجهة الحكومة العسكرية .. وبرز اسم أميرها الأول (عبد الحق العيايدة).. الذي ما لبث أن اعتقلته السلطات المغربية أثناء سعيه لشراء السلاح وسلمته للجزائر. وخلفه أخ آخر (لا يحضرني اسمه الآن بدقة ولعله جعفر الأفغاني) ثم قتل رحمه الله ، ثم خلفه مع مطلع (1993م) أميرها أبو عبد الله أحمد الذي تحققت في عهده إنجازات كبيرة...

تصاعدت حدة العمليات العسكرية. واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى على قيادة القوات البحرية في الجزائر العاصمة. ثم فر مع أكثر من (700) سجين من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر .. ثم بذل وسعه في توحيد الفصائل المقاتلة

من جميع الفرقاء .. ثم قتل في ظروف غامضة رحمه الله أواخر (1994م) .. وفي هذه الفترة كان عنف الدولة كبيرا، وصل لحد اغتيال مئات السجناء السياسيين في سجن (سركاجي).. أحد سجون العاصمة الجزائرية في واقعة واحدة..

مطلع (1993م) كانت كافة الأصوات المؤيدة للجهاد في الجزائر تنادي المجاهدين بتوحيد الصفوف. وفعلا أدت جهود كبيرة قام بها العديد من القيادات المجاهدة في (الجماعة الإسلامية المسلحة) من القيادات المجاهدة لجيش الإنقاذ، ولكثير من الخلايا الجهادية المحلية ، إلى حصول تلك الوحدة التي عمل لها الأمير الثاني للجماعة الإسلامية المسلحة ولم يرها لأنه قتل قبلها بقليل رحمه الله. وتولى (أبو عبد الله أحمد) قيادات الجماعة من بعده.. وحصلت تلك الوحدة في عهده.. ونشر شريط فيديو في غاية التأثير، وأبهج أوساط الجهاد مشهد بيعة شيوخ الجبهة من قيادات الجيش الإسلامي للإنقاذ (مُحَّمد السعيد وعبد الرزاق رجام وعبد القادر بشوطي وسعيد مخلوفي) لشاب في عمر أبناء بعضهم ، أميرا للجهاد الموحد باسم الجماعة الإسلامية المسلحة وهو أبو عبد الله أحمد .. وأدت الوحدة إلى ازدهار الآمال بقرب الانتصار الشامل ...

رفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مرزاق) الوحدة وعارضها ، ونال ممن أقدم عليها ورفض الاعتراف إلا بقرارات الشيخين الأسيرين

عباسي مدني وعلي بلحاج لما يخرجون من السجن ! وأصر على البقاء خارج الوحدة .. ولكن عشرات الفصائل والجماعات الثانوية من مشرق الجزائر وغربه وولايات الوسط دخلت الوحدة وصارت الجماعة الإسلامية المسلحة تمثل أكثر من (95 %) من المجاهدين المسلحين الذي صار عددهم عشرات الآلاف مع حلول (1994م).

قتل أبو عبد الله أحمد هو الآخر في ظروف غامضة .. وصدر بيان عن بعض أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية المسلحة بتولي (أبو عبد الرحمن أمين) قيادات الجماعة وتوالي البيعات له من قبل قيادات الفصائل.. ولم يكن بوسع المؤيدين للجهاد في الجزائر في الخارج إلا أن يؤيدوهم ويدعوا لهم وكان ذلك أواخر (1994م) أو أوائل (1995م)...

ومع تولي أبو عبد الرحمن أمين قيادة الجماعة. بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليات في الجماعة الإسلامية المسلحة ومن ذلك ..

- فقد كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة ، وتصعدت المواجهة مع الشرائح المدنية والاجتماعية ذات العلاقة البعيدة مع هيكل الدولة أو السلطة .. وتوعدها بالقتل ، مثل أجهزة الإعلام ..بدء من الوزير ووصولا إلى باعة الجرائد في الشارع. ومثل قطاع التعليم كذلك.. وصولا للأساتذة والمدارس والطلاب .. وكذلك وزارة النفط وصولا للعمال الذين يملؤون السيارات بالبترول !!.. وهكذا..

- التجرؤ على إصدار الفتاوى باستحلال قتل النساء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدولة ..

- تصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتطبة بالحكومة واتخاذها هدفا أساسيا ..

- إرتفاع لهجة التكفير في الخطاب العام .. وغير ذلك من هذه التوجهات الخرقاء.

خلال سنة (1995م) ، تداعت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ اللاجئة في الخارج ، وقيادات الأحزاب السياسية الإسلامية والعلمانية وحتى الشيوعية إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي ، يعرض حل أزمة الجزائر سياسيا ، ولكن عناد الحكومة العسكرية أجهض تلك المبادرة الغربية المشبوهة بتركيبتها ومكان انعقادها..

أواخر سنة (1995م).. تجرأ أبو عبد الرحمن أمين وقياداته المنحرفة المجرمة على اغتيال الشيخ مُحَمَّد السعيد والمجاهد عبد الوهاب العمارة وغيرهما من المجاهدين المنتمين لجماعة الطلبة والذين كانوا قد دخلوا بموجب الوحدة في الجماعة ، وكانوا يطلقون عليهم اسم (جماعة الجزأرة) وهو اسم كان قد أطلقه عليهم محفوظ النحناح انتقادا لمنهجهم .. فقتلوهم بدعوى تحضيرهم للانقلاب على قيادته وبدعوى الحفاظ

على الهوية السلفية للجماعة بزعمهم .. ومن هناك بدأت حقيقة الإنحرافات عن مسار الجماعة تتكشف.

ثم أتبعت تلك القيادة تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية رب العالمين) بتوقيع أبو عبد الحمن أمين على أنه منهج الجماعة الإسلامية المسلحة .. وقد حمل الكتاب من فنون الجهل وألوان التطرف والتكفير والانحراف ما جزم بالهوية المنحرفة الجديدة للجماعة في عهد أميرها هذا ، ووضحت أبعاد الكارثة التي حلت بقيادة الجماعة المسلحة. ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم .. على أنهم مرتدين..!!!

إستغلت أجهزة الإستخبارات الجزائرية هذه الأجواء التي تكشف فيما بعد أنها هي التي سعت إليها وأوجدتها ، ودست العملاء في قيادة الجماعة التي ربما كان (أمين) واحدا منهم .. وأتبعت ذلك كما كشف بعض الفارين من الجيش والقوات الخاصة ممن أجبروا على فعل ذلك أو شهدوه قدرا كي لا تضيع قصة تلك المأساة ..

فأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توفر عجوزا ولا امرأة ولا طفلا ولا حتى حيوانا في تلك المجازر الوحشية التي جرت خلال (1996-1997م) ، حيث شهدت

الجزائر أهوالا وبحورا من الدماء.. وصلت إلى قتل المصلين في رمضان وهم ينصرفون من أبواب المساجد بدعوى أنهم كانوا قد شاركوا في الإنتخابات فارتدوا بذلك !!!.. وكانت أكبر المجازر تجري في المناطق المعروفة بنجاح جبهة الإنقاذ فيها في الإنتخابات السالفة.. وكان هذا بمثابة تصفية حساب من قبل الحكومة مع من اختاروا المشروع الإسلامي كما كشف هؤلاء الشهود بالوثائق المؤكدة لذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة بعد ذلك بعده سنوات.. وقد عرضت قناة الجزيرة بعض المقابلات بالغة الأهمية في هذا المجال .. ونشر بعض أولئك العسكريين شهاداتهم في كتب طبعت في فرنسا وأصبح الأمر الآن واضحا ..

ومع تكشف الحقيقة والتوجه الإجرامي والمنحرف للقيادة الجديدة للجماعة الإسلامية المسلحة.. انفض عنها المؤيدون في الداخل والخارج. وأصدرت الشخصيات والجماعات الجهادية البارزة التي أيدت الجماعة المسلحة خلال مسارها وصدرت بيانات عديدة بذلك من مختلف الجماعات والشخصيات الجهادية ، وكنت من أوائل من وقف ذلك الموقف كما فصلت في شهادتي في كتاب منفصل. كما بدأت الكتائب والفصائل الجهادية في الداخل تنفض عنها في لتنغمس أكثر فأكثر في حمامات الدم المروعة المخزية.. ثم اشتعل القتال بين الجماعة وبعض تلك الفصائل المنفصلة عنها ..

قتل المجاهدون من (جماعة جبل الأربعاء) كما كانوا يسمون ، وهم من جماعة الشيخ مُحَمَّد السعيد رحمه الله ، قتلوا (أبا عبد الرحمن أمين).. وأراحوا الدنيا من شروره ، ليتولى بعده سفاح أكثر إجراما منه قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة ، وهو المدعو (عنتر الزوابري)، الذي تابع مسلسل الإجرام ، ولكن بعد أن ضعفت الجماعة وقلت إمكانياتها .. واستمرت في منهجها بعد أن عزلت في مناطق محدودة إلى أن قتل هذا الأخير سنة (2003م) فيما بعد في الجزائر ...

مع تشرذم المجاهدين وتقسمهم ، وبعد انفضاض الناس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهادي بل والإسلامي.. وصلت المخططات الإستخبارات الجزائرية والخارجية إلى مبتغاها من سيناريو المجازر الذي خططت له. فأطلقت برنامجا للإستسلام بدعوى العفو عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم .. وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مرزاق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني) .. وتبرع عدد من علماء المسلمين في الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني ، ليدعموا نداء الدولة للإستسلام ، و خرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة (2000م) ، ليعلن أن أحداث الجزائر أكبر شاهد على ما ذهب إليه من قول : (**أن الخروج على الحكام في هذا الزمان ، هو في حقيقته خروج على الإسلام ذاته !!!**). واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصحوة الإسلامية كلها بسبب التجربة الجهادية الجزائرية..

لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل على رأيه في فشل خيار الجهاد وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر. بعد أن نجحت الإستخبارات الجزائرية ومن ساعدها من المخابرات العربية والخارجية ، ومشاركة حثيثة من وسائل الإعلام العربي بهدم الحاجز بين مفاهيم الجهاد وبين أفكار التكفير والإجرام والمجازر وحمامات الدم..!

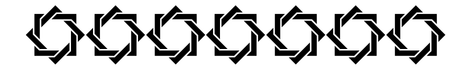
خلال عام 1998م وما بعدها تتابعت الأحداث في الجزائر وكنت قد غادرت (لندن) إلى أفغانستان ، حيث لا يمكن مواكبة الأخبار والأحداث كما يجب في ظل عزلة شبه تامة عن وسائل الإعلام ، بالإضافة إلى ابتعادي عن ملف تلك القضية ومتاهاتها منذ مطلع 1996م بسبب الدوار العظيم الذي تسببت لي به..

ولكن ومن خلال المعلومات التي بلغتني من بعض المجاهدين الجزائريين الأفاضل ممن لاذوا بأفغانستان في مرحلة طالبان ، ومن خلال متابعتي بحسب الممكن لوسائل الإعلام ، وبعض المهتمين بهذه القضية ، وما اطلعت عليه من بعض البيانات التي صدرت بعد ذلك ووصلتنا.. فقد بدا أن الغالبية الساحقة من المسلحين والمجاهدين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني ، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجزائر تريد متابعة المواجهة مع النظام الذي خرج يباهي بانتصار باهر علي الإسلاميين والجهاديين.

ثم ظهرت إلى العلن جماعة أطلقت على نفسها اسم (الجماعة السلفية للدعوة والقتال) بزعامة أميرها (حسن حطاب).. بدا من خلال بياناتها أنها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي ، فركزت في بياناتها على نفي أفكار التكفير والغلو ، وعلى تركيز المواجهة مع أجهزة السلطة العسكرية والأمنية وإبراز الأهداف العامة من أجل إقامة الدولة الشرعية.. إلا أن معظم الأوساط الجهادية بدت حذرة من ذلك، فقد كانت الصدمة بما حصل هائلة. وقد نقلت وسائل الإعلام ومازالت بعض أخبار عمليات تلك الجماعة ومن أبرزها بعض عمليات اختطاف للأجانب ومفاداتهم بمبالغ ضخمة ..

كما أن المجاهدين الجزائريين الذين أموا أفغانستان ، حاولوا بدورهم تجميع أنفسهم وترتيب أوراقهم لإعادة العمل في قضيتهم ، وشكلوا شبه تجمع كان يصارع ظروفا صعبة من أجل إحياء مثل تلك القضية. وبدت بعض علامات التوفيق والتسديد على بعض الناضجين منهم .. ولكن أحداث سبتمبر عاجلتهم كما عاجلت الجميع بما هو معلوم.. واتخذوا مواقعهم في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة .. ونالوا – تقبل الله – منهم حظا وافرا من البلاء وسجل كثير منهم أسماءهم في قائمة الشهداء والأسرى من ضحايا أخدود سبتمبر مطلع القرن الحادي والعشرين.

(وقد سجلت شهادتي عن تجربة الجهاد في الجزائر في كتاب مستقل لأهمية تلك التجربة وهو بعنوان (مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989م–1996م) وأنصح الإخوة بالعودة إليه لأهمية دروس تلك التجربة المريرة).



9- التجارب الجهادية في اليمن (1990- 1998م):

أ. **تجربة الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله (1990- 2001م).**

ب. **تجربة الشهيد أبو الحسن المحضار الجهادية – جيش عدن أبين** (منذ **1998م**).

لطالما اعتقدت أن اليمن من أكثر مناطق العالم العربي جاهزية لأن تقوم فيها حركة جهادية تتوفر لها معظم عناصر النجاح السببية .. ولاسيما بعد قيام الوحدة.. وقد كتبت في ذلك بحثا خاصا من نحو (40 صفحة)، وهو بعنوان (مسؤولية أهل اليمن عن مقدسات المسلمين وثرواتهم) ، حيث أثبت فيه ذلك وحرضت عليه.

فمساحتها الشاسعة التي تقارب (400 ألف كم مربع) وسواحلها الطويلة التي تزيد على (2500 كم) وتحكمها بمضيق باب المندب، وانفتاحها على السعودية ودول الخليج من جهة وعلى القرن الإفريقي وما يوفره من الذخيرة والسلاح في شرق إفريقيا .. وكثافتها السكانية التي تشكل نحو (70 %) من عدد سكان جزيرة العرب، أي زهاء 25 مليون من أصل نحو 40 مليون تقريبا، وطبيعتها الجغرافية المتنوعة والوعرة التي تنتشر فيها الجبال وتعتبر من أصلح المناطق لحروب العصابات الجهادية. وكذلك طبيعة السكان المحافظة المتدينة وبنيتها القبلية السليمة من تحطيم الحضارة الحديثة وسلبيات الطابع المدني

الصناعي. وانتشار السلاح وارتباطه بتقاليد الحياة الاجتماعية. حيث تفيد الإحصائيات الرسمية بوجود أكثر من (70مليون) قطعة سلاح بيد رجال القبائل والسكان. غير ما لدى الحكومة، أي بمعدل أكثر من (3 قطع) سلاح لكل مواطن بما فيهم النساء والعجائز والرضع! كما أن الصحوة الإسلامية فيها قديمة ومتجذرة وتعود إلى مطلع الخمسينات كما أنها متنوعة تشتمل على معظم مدارس الصحوة المعروفة من الإخوان إلى السلفية إلى السرورية إلى التبليغ والدعوة إلى الصوفية إلى آخر ذلك. هذا بالإضافة لطبيعة السكان الذين ميزتهم الشكيمة والقدرات القتالية حيث استعصت اليمن على مختلف أشكال الإستعمار زمنا طويلا ولم تتمكن الدول الاستعمارية من الاستقرار فيها، كما حصل للبرتغاليين ثم الإنكليز ثم العثمانيين ثم الجيش المصري في عهد عبد الناصر..

وفي تجربتنا الجهادية العريقة في أفغانستان (1984-1992م) كان الشباب المجاهد اليمني يشكل ثاني أعلى إحصائية من بين الشباب العرب الذين قدموا للجهاد الأفغاني، وكذلك في شوطهم الثاني (1996-2001م) .. وقد كانوا مثالا للإقدام والشجاعة وخصال الفروسية و أصالة العروبة .. وكم أدهشني وما يزال يدهشني أن لا يقوم فيها حركة جهادية واسعة.

أما من الناحية الإقتصادية فأكثر من (70 %) من السكان يعيشون تحت خط الفقر وسقف القهر، فيما يرتع أكثر باقي سكان جزيرة العرب إلى جوارهم في نعيم مما وهب الله تلك الجزيرة من الثروات التي هي ملك المسلمين عامة وأهل الجزيرة خاصة، وهم سوادها الأعظم.

فكما ترى فإن الأسباب الشرعية والاقتصادية والسكانية والسياسية والجغرافية، وكل ما يعين عادة على تفجرا الثورات الناجحة متوفر فيها، وهنا يكمن العجب من أن لا تقوم فيها مثل تلك الحركة الجهادية، رغم تولي حكومة مهلهلة يقودها طاغوت جاهل منذ سنين طويلة، بل ويحاول أن يولي ابنه من بعده ملكا على الجمهورية الإشتراكية سابقا، الديمقراطية الأمريكية لاحقا !! ولست هنا في محل بحث ذلك وقد بحثته في بحث مستقل كما أسلفت .. والسبب الأساسي في ذلك أن أكثر قيادات الصحوة الإسلامية هم من القاعدين عن الجهاد من ذوي المصالح، وأن أكثر مشايخ الدعوة هم من النفعيين وعلماء السلاطين الذين ألفوا كراسي البرلمانات والاسترخاء في كنف الطاغوت.. بالإضافة إلى هيمنة سلطة زعماء العشائر والقبائل الذين تعودوا منذ عقود وربما قرون أن يبيع أكثرهم دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم .. وقد أثبت هذا بكل جلاء .. تولي قيادات الصحوة الإسلامية وزعماء القبائل الذين يشكلون الثقل الأساسي الذي اجتمع فيما سمى (حزب الإصلاح) إفشال إنتفاضة الشارع الإسلامي فيما عرف بأحداث

الدستور سنة (1993م) ومكافحة كل ما تلا ذلك من محاولات جهادية..

مما جعل القيادات الشبابية المجاهدة الناشئة عاجزة عن إفراز قيادات ميدانية قادرة على سحب قواعد الصحوة الإسلامية والقطاع الكبير ذي الحجم المليوني في اليمن وراءها ..

ومشكلة اليمن كما هيا مشكلة العالم العربي والإسلامي باختصار في كلمتين.. خور العلماء وعجزهم وجهل العوام وضياعهم واستحواذ حب الدنيا وكراهية الموت على الجميع .. إلى أن يأذن الله بالفرج .. ونعود للموضوع:

بعد عودة الشباب المجاهد اليمني من أفغانستان مطلع التسعينات .. وعلى مدى العقد الأخير من القرن العشرين .. قامت محاولات جهادية عديدة في اليمن فشلت كلها لما أوجزت من الأسباب. وكان ابرز تلك المحاولات وأكثرها جدية، محاولة الشيخ أسامة بن لادن منذ (1990م) لتكون أرضية جهادية في اليمن ..

وحركة ما عرف بجيش عدن أبين التي تزعمها المجاهد الشهيد أبو الحسن المحضار رحمه الله أواسط سنة (1998م)..

أ. نبذة مختصرة عن المحاولات الجهادية للشيخ أسامة بن لادن في اليمن:

ينحدر الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله من أصل يمني جنوبي من حضرموت .. فهو أحد أبناء مُحَّمد بن لادن الذي هاجر من اليمن إلى السعودية مع بداية حكم الملك عبد العزيز .. واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود ، و تمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم..

وخلال الجهاد الأفغاني ضد الروس حرص الشيخ أسامة على تكوين مجموعة منظمة حوله ركز فيها على العناصر الجهادية من جزيرة العرب ولاسيما من السعودية واليمن .. وفي التسعينات كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة.. فكثير من اليمنيين الشماليين من الإسلاميين والقبائل يؤيدون ذلك، كما أن ذلك يلقى دعما كبير من كبار التجار(الحضارمة) ذوي القدرات الإقتصادية الكبيرة في السعودية، ومن الصحوة الإسلامية عموما، والتي تكن العداء للشيوعية عامة وفي جوارهم في اليمن خاصة.. ومع توافد عدد من المجاهدين اليمنيين من أصل جنوبي أثناء الجهاد العربي في أفغانستان..

كان المشروع الجهادي الخاص والرئيسي للشيخ أسامة، هو إحداث حركة جهادية في اليمن الجنوبي.. وقد باشر ذلك في سنة

(1989-1990م) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة .. ورغم أن عددا من الجهاديين المقربين من الشيخ أسامة أيامها- وكنت من بينهم- قد حرض الشيخ أسامة على الشروع في ذلك الجهاد مباشرة .. إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ اللامع في حينها عبد المجيد الزنداني بالانخراط فيها .. وما كان لأولئك أن يفعلوا .. وضاعت فرصة ذهبية فيما أعتقد.

ومنذ قيام الوحدة كان مشروع الشيخ أسامة قد تحول إلى المحاولة على مستوى اليمن الموحد. وشكلت مشكلة الصراع على دستور اليمن الموحد، وتناقض الإسلاميين والعلمانيين فرصة لإعلان الجهاد على علي عبد الله صالح وحكومة اليمن الموحد حديثة النشأة .. وقد تحرك الشيخ أسامة لاستغلال تلك الفرصة .. وقدم إليه عدد من مشايخ اليمن كان في طليعتهم الشيخ المعروف (عمر سيف) والذي وضع اسمه على كتاب يثبت كفر الدستور، كان قد كتبه بعض المقربين من الشيخ أسامة، وأثبتوا فيه أيضا كفر الحكومة القائمة عليه وشرعية جهادها.

وسعى الشيخ أسامة إلى مشايخ اليمن وكبار دعاتها من السلفية وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) .. وإلى الإخوان وزعمائهم.. وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على

المشروع. ولكن جميع أولئك خذلوه، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم ، ويسند إليهم المناصب ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات ..

فأما الشيخ الزنداني، فقد أجهض مظاهرة المليون مسلح التي توجهت إلى بوابة القصر الجمهوري، وكان على رأسهم مع زعماء الإخوان وغيرهم .. فقد دخل القصر مع البعض مفاوضا للرئيس .. وخرج إلى المتظاهرين المسلحين المطالبين بسقوط الدستور والحكومة وبتحكيم الشريعة، ليقول لهم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليعد إلى بيته ..) وانفرط الجمع ليصبحوا في اليوم التالي وقد صار الشيخ الهمام عبد المجيد الزنداني أحد نواب الرئيس واحد حكام اليمن الخمسة الذين شكلوا مجلس الرئاسة برئاسة علي عبد الله صالح!!. وعضوية الاشتراكيين الملحدين بحسب مذهب الشيخ القديم!! وتوزع كبارزملائه في الإصلاح ما بين وزير ونائب برلمان.. تحت الدستور الطاغوتي المشرع من دون الله والذي كتب في أعلاه دين الدولة هو الإسلام والشريعة مصدر الدستور والقوانين)!!

وأما الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) فكان موقفه أنكى وأشد ضراوة .. فقد كتاب كتابا وصف فيه الشيخ أسامة على أنه رأس الفتنة في اليمن. وكانت أشرطته بالغة العداء في الهجوم عليه، وفض الناس عن مشروعه تباع على الأرصفة إثر خطب الجمعة، حيث كان يقول أن

بن لادن أرسل له أموال بدعوى الجهاد ابتغاء الفتنه .. فزوج بها الشباب واشترى كتبا للمساجد!!

كما روى شباب مجاهدون من اليمن أن الوادعي شيخ السلفية!! لم يترك أحدا من رموز الصحوة من شره في حينها.. فهاجم قيادات الإخوان و السروريين والصوفيين و الجهاديين .. في حين كان يثني على (علي عبد الله صالح) ويصفه دائما بالأخ الرئيس .. ويؤكد على طاعته لولي أمر مسلم!! وقد سمعت من الشيخ أسامة أمام بعض ضيوفه ذات مرة قوله، بأنه لو سامح كل من آذاه في حياته، فلن يسامح الوادعي ، ومن يعرف سماحة نفس الشيخ بن لادن حتى مع من آذاه ، يدرك مدى تأذيه من ذلك الذي أفضى إلى ربه !.

وأما أكثر قيادات الشباب الجهاديين الذين جندهم الشيخ أسامة ودربهم في أفغانستان .. فقد استمالهم علي عبد الله صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمني وأدخل من أراد السلك العسكري .. والوظائف المدنية، فركبوا السيارات وتولوا المناصب .. وبلغ بأبرزهم أمثال (الفضلي) و(النهدي) أن يعملا في سلك الإستخبارات والحرس الجمهوري كأقرب المقربين من علي عبد الله صالح !! وتلخص هذه الأمثلة الثلاثة الإخوانية والسلفية و الجهادية في اليمن، نموذجا للمشكلة الأساسية في اليمن .. التي كان هذا حال أبرز علمائها وقادة صحوتها ومجاهديها . الذين افتقروا إلى التربية المنهجية الجهادية

خلال فترات إعدادهم التي اهتمت بالتكوين العسكري وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثل تلك الإستدراجات ..

وقامت الوحدة .. وشكلت الحكومة (ومجلسها الرئاسي الخماسي) والبرلمان من أنصار علي عبد الله صالح وحزبه (المؤتمر الشعبي)، ومن الإسلاميين وعلى رأسهم زعماء الإخوان وبعض رؤساء القبائل الذين كونوا (التجمع اليمني للإصلاح) برئاسة حسين الأحمر والزنداني، ومن (الحزب الاشتراكي) من الجنوبيين.. وقد حاول علي عبد الله صالح ونجح في ضرب الطرفين ببعضهما وتقويه نفوذه ثم تقوى بالإسلاميين على الاشتراكيين الجنوبيين .. وقام بعض الجهاديين في تلك الفترة باغتيال لبعض رؤوس الاشتراكيين، الذين خططوا للانقلاب على الوحدة .. ولكن علي عبد الله صالح والإسلاميين .. زحفوا على عدن فيما عرف بحرب الوحدة ... وقضوا على محاولاتهم وفرضوا الوحدة بالقوة. وكان الشيخ أسامة قد أمر أنصاره وأتباعه في اليمن من الجهاديين الذين عادوا من أفغانستان بالدخول في المعركة إلى جانب جيش اليمن الشمالي كما فعل كافة الإسلاميين في الشمال، على إعتبار أن ذلك سيؤدي إلى كسب مرحلة بالإطاحة بالشيوعية. وفعلا لعب المجاهدون من الجهاديين والإسلاميين دورا حاسما وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي ولم تستطع السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في

اليمن !! رغم فتاوى ابن باز وهيئة كبار العلماء بوقف الفتنة والصلح بين المسلمين الشماليين برآسة (صالح) والمسلمين (الشيوعيين) في الجنوب!!

وبحسب اعتقادي ورأى كثير من الجهاديين اليمنيين الذين التقيتهم، فقد كان بإمكان الإسلاميين أن يعودوا إلى الشمال ليفرضوا حكم الشريعة أو يعزلوا صالح ويقيموا الدولة الإسلامية، ولكن الذي حصل هو عودتهم إلى البرلمان وكراسي الوزارات في حكومة علي عبد الله صالح ودستورها العلماني وحكمها المرتد .. وبقى الجهاديون معزولون .. فقد تبع أكثرهم قيادات (الصحوة !!) من السلفية و الإخوانية ! و السرورية !! في حين آثر كثير منهم الرتب العسكرية والمناصب الحكومية والمنافع الشخصية حيث نجح (الشاويش علي صالح...) باستمالتهم إلى الدنيا.

وكان الشيخ أسامة قد إنتقل إلى السودان.. وانهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية تجب نصرتها بزعامة الرئيس البشير و(الإمام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض أعضاء اللجنة الشرعية للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجهاد في الصومال إلى جانب الفصائل الإسلامية وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية ..

كما كان لأتباع الشيخ أسامة وبعض الجهاديين عمليات محدودة، على بدايات أمريكية لإقامة قاعدة عسكرية في عدن حيث أقنعت عدد من صواريخ الكاتيوشا التي أطلقوها على أعمال الإنشاء الأولية للقاعدة ، أقنعت الأمريكان بالعدول عن المشروع ..

ولم تقم بعد ذلك للجهاديين من أتباع الشيخ أسامة أي محاولة تذكر للتحرك الجهادي في اليمن منذ (1994م).. حيث تحول فيما بعد لجهاد أمريكا.

ولما عاد الشيخ إلى أفغانستان أواسط (1996م).. بدأ الشباب المجاهد من اليمن ينضمون إلى الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان .. بمن فيهم أنصار الشيخ أسامة صرح الشيخ أسامة لجريدة القدس العربي سنة 1997م. بأن محطته القادمة جبال اليمن. وعاد مشروعه للانتعاش في اليمن ولكن من خلال إستراتجيته الجديدة ؛ محاربة رأس الأفعى أمريكا، والإعراض عن الدخول في مواجهات مع أذيالها ومن بينهم الذيل الصغير القزم عبد الله صالح في المنطقة الهامة اليمن.

وفي سنة (1999م) فيما أذكر .. قامت خلية من القاعدة بالهجوم الاستشهادي على المدمرة الأمريكية (كول) التي كانت تتزود بالوفود في الموانى اليمنية .. وصعد هذا المواجهة مع الإستخبارات اليمنية التي دخلت في حرب مكافحة الإرهاب إلى جانب أمريكا .. واعتقل

الكثير من الجهاديين ومن بينهم بعض أنصار بن لادن. واشتدت الحرب ضراوة. واضطرت حكومة علي عبد الله صالح إلى الإفراج عن بعض أتباع بن لادن فيما قيل أنه جاء بعد رسالة تهديد منه إلى صالح وتذكيره بأن معركة القاعدة ليست مع الحكومة اليمنية و بإمكانها أن تجعلها كذلك ..

وفي أواخر سنة (2001م) قبيل سبتمبر بقليل جمع بن لادن كبار أنصاره في قندهار ليبلغهم أن يحزموا حقائبهم.. وأنه قد آن الأوان للرحيل إلى اليمن .. وفيما كانت الإشاعات والدهشة والأمل تتداول في ساحة الأفغان العرب حول هذه النقلة .. دوت انفجارات سبتمبر (2001 م). ليتبع ذلك..

ضربٌ يزيلُ الهام عن مقيلهِ ويذهلُ الخليل عن خليلهِ

وتبع ذلك مطاردة الجهاديين في اليمن بدعوى انتماء كل أمة محمد ﷺ .. وكافة أعداء أمريكا من المخلوقات إلى القاعدة بحسب الإعلام الأمريكي وبرامج مكافحة الإرهاب ..

ونال الجهاديين في اليمن قسط كبير من هذه المطاردة، وسقط العديد من الإخوة من القاعدة وغيرهم بين شهيد وأسير في معارك مكافحة الإرهاب في اليمن بقيادة أمريكا وتنفيذ عبيدها المرتدين من

عناصر الجيش والإستخبارات اليمنية.. وتمكنت طائرة أمريكية من تدمير سيارة بصاروخ جو أرض وبموافقة ومعاونة من الإستخبارات اليمنية وجواسيسها العملاء .. فقتلت الأخ الشهيد أبو علي الحارثي وخمسة من إخوانه في إحدى قرى اليمن رحمه الله .. ثم تتابعت أخبار المطاردات التي كان تصل لحد المعارك الطاحنة بين حين وآخر وتحمل نبأ استشهاد أخ هنا واعتقال آخر هناك بزعم أنهم من القاعدة ..

ب. تجربة جيش عدن أبين بقيادة أبي الحسن المحضار رحمه الله منذ (1998م):

كان الشهيد أبو الحسن المحضار زين العابدين- وهو من أشراف اليمن- يتحلى بنفس جهادي متقد، وبشهامة ومروءة عالية أبت عليه أن يتحمل تلك الأوضاع في اليمن خلال العقد الأخير من القرن الماضي .. وقد سمعت بعض الروايات من أخوة يمنين أنه كان قد التقى الشيخ أسامة من أجل إقناعه بإشعال شرارة الجهاد في اليمن ولكنه لم يتوصل معه إلى اتفاق حول كيفية وتوقيت ذلك.

ثم طاف أواسط التسعينات على بعض البارزين من علماء الصحوة في (السعودية) لتحريضهم على دعمه في مشروع للجهاد في اليمن ولكن أحدا لم يجبه إلى ذلك.. بل ذهب كبار المشرفين على تدريس العقيدة ورئاسة أقسامها في الجامعات السعودية، والذين ملؤوا

صفحات الكتب وأشرطة الدروس العلمية بخصائص العقيدة الصافية ومنهج دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب .. ذهبوا في محاضراتهم ومواقفهم إلى التصريح بأن أفضل سبل الدعوة في اليمن هو الخيار الديمقراطي!! كما أيدوا المسار الديمقراطي في تركيا وشمال إفريقيا وسواها .. وهذا من نكبات من عاش في هذه الأزمان رجبا ورأى عجبا..

ولكن همة ذلك المجاهد الهمام أبت عليه السكون .. وقد كان له صولات وجولات مع الحكومة اليمنية وأجهز أمنها، وكان من ذلك موقفه الشهير المشهود عندما إعتقلت أجهزة الأمن نساء المجاهدين من الأفغان العرب الذين التجؤوا إلى اليمن وأبت إخراجهم إلا بترحيل رجالهم الفارين داخل اليمن عنها، وكان له دور في جمع العلماء والدعاة ورؤوس القبائل يستحثوا فيهم الحمية الدينية والنخوة القبلية ولم يهدأ له بال حتى كان السبب الأساسي في الإفراج عنهم وكشف كربتهم .. وقد بذل في ذلك أموالا واستدان على ذمته مبالغ كبيرة في سبيل حركته ودعوته ونشاطه..

وفي أواخر (1997م) بدأ بشكل مجموعة مسلحة وتنظيما مستقلا باسم (جيش عدن أبين)، تيمنا بالحديث الشريف الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه يقول فيه (يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفا هم خير من بيني وبينهم).

ولما تجمع معه عدد من الرجال قيل أنهم بلغوا نحوا من مائتي رجل .. حمل السلاح ومضى برجاله إلى منطقة جبلية وعرة وأنشأ معسكرا له ولجماعته لبدء الحشد لجهاد الحكومة اليمنية ... وقد وصلتنا أخباره إلى أفغانستان ربيع (1998م) وكنا نترقب أن يكون ذلك بداية شرارة الجهاد الذي طالما انتظرناه في ذلك اليمن الذي كان سعيدا قبل أن يحكمه أمثال عبد الله صالح ويتولى الدعوة فيه أمثال زعماء الصحوة فيه هذه الأيام ..

ولكن كبار الدعاة ومشايخ ما يسمى بالصحوة ركزوا جهودا كبيرة على إقناعه بالعدول عن خروجه ذلك ووعدوه بالمناصب والأموال من الحكومة إن هو عاد عن خروجه .. ولكنه أبى. فلعب الدعاة من مختلف مدارس الصحوة دورا مهما في خذلانه وإنزال من استطاعوا من أنصاره وإقناعهم بعدم جدوى المحاولة. وبدأ الشباب ينفضون عنه .. وكان أكبر الخذلان الذي أثر في إنزال كم منهم ، ما جاء من طرف بعض الجهاديين وبعض قدماء الأفغان العرب من الإخوة اليمنيين بدعوى أنها حركة متعجلة وغير ناضجة، ولا برنامج لها. وبدل أن يضم الناصحون له من الإسلاميين والجهاديين جهودهم إليه لترشيد حركته، كان موقفهم سلبيا ، كما بلغني من عدد من الرواة، وأعتقد أن خروجه كان فرصة لهم ولقضية الجهاد في اليمن..ولكنها ضاعت.

وفي صيف (1998م) إعتقلت الحكومة اليمنية عددا من الجهاديين من شباب اليمن بالإضافة لعدد من الجهاديين من الإخوة العرب اللاجئين إليها فقام أبو الحسن المحضار باختطاف عدد من السياح الأجانب للضغط على الحكومة للإفراج عنهم ولكن الحكومة على عكس عادتها في التراضي مع رجال القبائل الذين كثيرا ما اختطفوا سياحا بهدف الحصول على مطالبهم .. اتخذتها فرصة للقضاء على تلك الحركة الوليدة، فحاصرت المنطقة وصعدت الموقف حتى وصل للاشتباك، وقد دفعت إليه في طليعة وحداتها من استطاعت من الدعاة والإخوة لإنزال من يستطيعون من الجبل وإقناعهم بالاستسلام وحسبنا الله ونعم والوكيل. ولما بدأت الهجوم عليهم لم يكن قد تبقى معه إلا بضعة عشرات من الرجال .. فقتل بعضهم وقتل بعض الرهائن .. حيث وصلت بعض الأخبار إلينا في أفغانستان – والله أعلم بصحتها – أن من معه رفضوا إعدام الرهائن لما بدأت الحكومة الهجوم فلم يقتل إلا واحد أو اثنين منهم، وقبض على أبي الحسن المحضار.. وتولت بريطانيا وبعض الدول الغربية الضغط الشديد على حكومة اليمن من أجل إعدام أبي الحسن المحضار .. الذي أعلن عن إعدامه في صيف عام (2000م) فيما بعد .. رحمه الله تعالى ورحم إخوانه وأسكنهم فسيح جناته، وعوض اليمن بهم رجالا صالحين يرفعون راية

الجهاد فيها حتى يخرج منهم أولئك الذين بشربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

علاقتي بالإخوة اليمنيين وملاحظاتي على تجربة الجهاد فيها:

كما قدمت فقد اقتنعت بجدوى الجهاد في اليمن منذ عام (1989م) وكنت أيامها قريبا من الشيخ أسامة الذي أطلعني في حينها على بعض مناحي مشروع جهاده في اليمن، وقد بذلت بعد حرب عاصفة الصحراء التي عرفت بحرب تحرير الكويت وسعيت في إقناع الشيخ أسامة بجدوى وضرورة التحرك إلى اليمن، فقد كانت الأجواء مناسبة جدا بعد حضور الأمريكان إلى الجزيرة، ثم ما كان من أحداث الدستور، ولكنه تصور أن ذلك ليس ممكنا بغير معاونة باقي رموز الصحوة ..

وقد عرفت العديد من الإخوة اليمنيين منذ أيام الجهاد الأفغاني الأول، ولما عدت إلى أفغانستان في الشوط الثاني، اهتممت بالتجارب التي حصلت في اليمن، وسعيت في كتابة تاريخها مع أحد أبرز الشباب الجهاديين من اليمن (وهو الشهيد (مهند) عتش). ولكن الشهادة كانت أسبق إليه رحمه الله.

وخلال ربيع (1998م) وبعد خروج أبي الحسن، حدثني أحد الإخوة من أصدقائه عن حركة المحضار والآمال فيها وضرورة معاونته

بالنصح والتأييد والدعم.. وأخبرني أن المحضار كان يستعين ببعض محاضراتي من تراث أيام الجهاد في أفغانستان، وبكتابي (تجربة الجهاد في سوريا) بإلقاء بعض الدروس التربوية على أتباعه، وأن مثل تلك النصيحة سيكون لها أثرا إيجابيا عليه .. وفعلا حملت الرجل رسالة وشريطا مسجلا يتضمن خلاصة أفكاري ونصائحي عن الجهاد في اليمن .. وذهب الرجل وبلغ الرسالة .. وأخبرني هاتفيا بوصولها للمحضار. وبت أنتظر خبرا لعله يفتح لنا خطوة جهادية تقربنا من مركز الصراع في الشرق الأوسط على الخط المقدس الممتد من اليمن إلى الحجاز والشام. وكنت آمل باللحاق به ونصرته. ولكن وسائل الإعلام ما لبثت أن نقلت إلينا أخبار الكارثة التي ذكرت خلاصة قصتها آنفا.

ثم وصل إلى كابل بعض الإخوة من الذين شهدوا مع أبي الحسن تلك المأساة وأخذت من العديد منهم خلاصة ما جرى. ثم قرأت في بعض الصحف السعودية من أخبار تلك التجربة، أنهم صادروا من معسكر أبي الحسن بعض الكتب والأشرطة التي تحمل فكرنا (الهدام) لطغيان لتلك الحكومات ومن وراءها .. ومن ذلك أشرطة للشيخ (خالد زين العابدين).. وهو الاسم المستعار الذي اتخذته في نشر أشرطة محاضراتي في تجربة أفغانستان ، حيث ربطوا بين ذلك الاسم وكنية الشهيد أبي الحسن المحضار زين العابدين وهو توافق غير مقصود.

كما ذكروا أنهم عثروا هناك على نسخ من كتابي (التجربة السوري). فترحمت عليه وسرني أن يكون ذلك. وسألت المولى جل وعلا أن يشركني في الأجر معهم وأن نلقاهم على حوضه الشريف في طائفة الغرباء .. الفرارين بدينهم إنه سميع قريب كريم ..

وعبر تجربتنا في الشرط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان أيام طالبان، كان يرتاد المعسكر الذي أنشأته قرب كابل للإعداد وبث فكر المقاومة العالمية ومنهاج التيار الجهادي وتراثه بعض المجاهدين من اليمن .. وحرصت على أن أوليهم عناية خاصة لما لتلك الزاوية من العالم الإسلامي من مكانة عندي وأهمية في آمالي عن الجهاد المقاومة .. وقد كتبت بحثا بعنوان (**أهل اليمن ومسؤوليتهم عن مقدسات المسلمين وثرواتهم**) .. وسجلت عددا من الأشرطة في موضوع الجهاد في اليمن .. وقد علمت أنها وصلت الساحة هناك وتداولها الجهاديون والإسلاميون .. وفي أحد الأيام بلغنا خبر إعدام الشهيد أبي الحسن المحضار فتأثرت لذلك كثيرا .. ولم يكن بالوسع عرفانا لجهاد ذلك الرجل المجاهد الشهم الشجاع .. الذي كان له في عنق الكثير من الجهاديين في اليمن وغيرها حقا واجبا، ولم يكن في الوسع إلا أن ندعو لحفل تأبيني في معسكرنا بمناسبة إعدامه.. حيث ذكرت مآثره وترحم عليه الجميع. فرحم الله رجلا تحاببنا معه عن بعد ولم نره، وأسكنه فسيح جناته.. ونسأل الله أن يرسل في اليمن من يؤسس فيها ويعمل

لبشرى خروج الأخيار الذين بشر بهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

10. محاولات بناء تجمعات جهادية في المغرب منذ (1995م) وتجربة (الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب):

كما ذكرت آنفا فقد كانت التجربة الجهادية المسلحة في المغرب ضد الحسن الثاني التي قامت بها منظمة (الشبيبة المغربية)، بزعامة الشيخ عبد الكريم مطيع .. إحدى المحاولات المبكرة جدا في العالم العربية. بل لقد سبقت بواكير ميلاد الإرهاصات الفكرية للتيار الجهادي المعاصر. وكما ذكرت في بعض كتاباتي السابقة، فإن المغرب تأتي ضمن القليل من بلدان العالم العربي والإسلامي مثل بلاد وسط آسيا واليمن والجزائر وتركيا. حيث تتوفر فيها معطيات ثورة جهادية من حيث الأسباب والمعطيات.

فالمغرب الأقصى بلد مترامي الأطراف ، وعر المسالك، يتوفر على عدد من الأرياف والسلاسل الجبلية الوعرة، وتمتد سواحله لأكثر من (3000) كم، ويتحكم بمضيق جبل طارق. ويرزح شعبه تحت حالة من أشد حالات الفقر والعوز وجور السلطان. كما أن لهم تاريخا مجيدا في الجهاد والقتال والتاريخ الزاهر في البأس والشجاعة. وهو شعب

متدين بصرف النظر عن تسرب الفساد إلى بعض مدنه الكبرى عبر سياسة الحكومة في الإنفتاح ونشر الدعارة باسم السياحة. فمازال للإسلام حضوره وقداسته. وفيه صحوة إسلامية تعود إلى مطلع الستينيات وتتركب أيضا من معظم مكونات الصحوة الإسلامية المعاصرة ومدارسها، من السلفية إلى الإخوان، إلى الصوفية الحركية، إلى الجهاديين. وقد شهد عدد لا بأس به من شباب المغرب الجهاد في أفغانستان، وعادوا إلى بلدهم دون كبير مشاكل، حيث كانت سياسة الداهية الهالك الحسن الثاني، أن يستوعب الصحوة ولا يستفزها. وقد أثبتت سياسته تلك نجاحات كبيرة في تفريغ الصحوة من داخلها ودفعها أيضا في مجالات الديمقراطية المزيفة الناشئة في المغرب، وجعل كبار الدعاة هناك يتراوحون بين السجون التأديبية والإقامات الجبرية وكراسي البرلمان. وبعيد انفجار الثورة الجهادية المعاصرة في الجزائر، إثر إجهاض نجاحات الإنقاذ، كان المغرب المعبر الأساسي الذي نزل منه معظم الأفغان العرب الجزائريين إلى بلدهم.

وقد غض المغرب بداية الطرف عن ذلك كرد فعل على تأييد الحكومة الجزائرية لجبهة البوليساريو الانفصالية الداعية إلى استقلال الصحراء الغربية عن المغرب. ولذلك فقد تكونت عدد من الخلايا شرق المغرب وفي منطقة الريف وقدمت الكثير من معونات العبور ونقل السلاح من أوربا وتقديم الخدمات اللوجيستية للمجاهدين غرب الجزائر. وذلك

قبل أن تستحوذ القيادة المجرمة في الجماعة المسلحة على تلك القضية كما روينا.

وهكذا وبفعل تجربة المجاهدين الأفغان العرب المغاربة من جهة ورياح التأثير من الجزائر من جهة أخرى، بدأت بوادر تشكيل النويات الجهادية في المغرب، الذي توقعت له مراكز الدراسات الإستراتيجية المتابعة لشؤون الإسلام في شمال إفريقيا في أوربا ولاسيما في فرنسا.. توقعت أن تنطلق الثورة الإسلامية في شمال إفريقيا من المغرب أولا. وقد قرأت بعض التقارير الصادرة في فرنسا عدد تعبر عن دهشتها لانطلاقها من الجزائر قبل المغرب.

وقد جرت بعض المحاولات الجهادية غير الناضجة من قبل البعض بضرب بعض السياح الغربيين والقيام ببعض العمليات النادرة على بعض أعضاء الجالية اليهودية في المغرب والتي تستولي على مراكز النفوذ السياسي والإقتصادي والإعلامي فيه، وتدفع به في خطوات محمومة نحو التطبيع مع إسرائيل.

ومنذ منتصف التسعينات بدأت محاولات جادة لتشكل خلايا جهادية ونويات تنظيمات داخل المغرب وخارجها .. فقد وصلت رياح التيار الجهادي بقوة إلى المغرب على هامش الجهاد في الجزائر .. كما أن خطوات التطبيع اليهودي والتغريب الصليبي أخذت شكلا

جديا ومكشوفا مع وصول الملك مُحَّد السادس ولي عهد أبيه إلى الحكم بعد هلاك والده.

أواسط التسعينات.. تمكن عدد من شباب التيار الجهادي المغربي من تكوين نواة لتنظيم جهادي للعمل في المغرب .. ويبدو أن بوادره الأولى قد تشكلت في أوساط المهاجرين المغاربة في بعض الدول الأوربية، وقد كان فيهم بعض الأفغان العرب المغاربة، وانتقلت لعدة دول أخرى حيث تشكل الجالية المغربية المهاجرة في أوربا شريحة ضخمة ربما ناهزت خمسة ملايين مهاجر، يتخذ أكثرهم من فرنسا وبلجيكا وهولندا ودول وسط أوربا مهجرا أساسيا، فيما تتواجد جاليات ليست بالقلية في باقي الدول الأوربية، وقد أصدرت الجماعة منهجا وعدد من الأدبيات بصورة أقرب إلى السرية، ونشرتها في أوساط الجاليات المغربية في أوربا، ووزعت على نطاق محدود داخل المغرب. وقد اطلعت على بعض تلك الأدبيات، وهي في مجملها تسير وفق نفس منهج التيار الجهادي الذي ساد تلك الفترة.

ولما قامت الإمارة الإسلامية في أفغانستان أيام طالبان، ورحل كثير من الجهاديين من ملاذات أوربا إليها، قامت هذه المجموعة بافتتاح معسكر وعدد من المضافات لها في أفغانستان، وبدأت مشوار الإعداد العسكري والتربوي الشامل، وكذلك إعداد وتدريب الكوادر من القادمين من أوربا أو من المغرب ذاتها. وكانت حركة مبشرة.. وقد

شارك هؤلاء المجاهدون المغاربة كغيرهم في دعم الإمارة الإسلامية ومساندتها .. ولما جاء سبتمبر ضمهم الجمع الذي انخرط في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية، حيث أخذوا حظهم من البلاء، فاستشهد البعض وأسر آخرون وتفرق الباقون مع القليل الذي نجا من ذلك الأخدود. وأسأل الله أن يرعاهم ويفقهم، فقد كان منهم نماذج رائعة...

وفي أواخر (2003م) تناقلت وسائل الإعلام أنباء انفجارات هائلة استهدفت بعض الأهداف الغربية في الدار البيضاء، وقد نفذها إستشهاديون، وقد ذكرت وكالات الأنباء نقلا عن المصادر الحكومية المغربية الرواية الوحيدة للحدث. ونسبته إلى ما أسمته (السلفية الجهادية) .. كما ورد أن المسؤول عنها بعض من وصفتهم بالتكفيريين، على حد زعم تلك الوسائل ولم يمكنني معرفة المزيد عن ذلك..

ولكن المهم الجدير بالذكر أن أجهزة الأمن المغربية قامت على هامش تلك الأحداث التي لم يتوفر لي عنها روايات يمكن الوثوق بها .. قامت باعتقال مئات الشباب فيما عرف باسم (تيار السلفية الجهادية) وقد أصدرت المحاكم المغربية أحكاما كثيرة من أحكام الإعدام وفترات السجن الطويلة .. كما اعتقل في تلك الهجمة عدد من أبرز الدعاة السلفيين و الجهاديين في المغرب ممن لا علاقة لهم

بتلك الأحداث .. فيما بدا أنه عمليات إجهاض مبكر لأي إمكانية مفترضة لتكوّن ظاهرة جهادية تتوفر لها كافة المعطيات في ذلك البلد المنكوب بحكومة طاغوتية من أعتى حكومات البلاد العربية والإسلامية بطشا وجبروتا وعمالة لأعداء الإسلام من اليهود والصليبين..

وعلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالكثيرين من الإخوة المغاربة علاقات أخوة صداقة ، منذ أيام إقامتي في فرنسا ثم أسبانيا ثم بريطانيا لكثرة تواجد المغاربة في تلك البلاد وفي أوساط الصحوة الإسلامية في الغرب. ولقد عرفت منهم الكثيرين من الكوادر الرائعة، إذ ميزهم الإخلاص والصفاء والحماس المتقد ، وكانت آثار معاناة شعبهم من ذلك الفرعون الهالك الملك (الحسن الثاني) ثم ابنه الماجن الملك الحالي (مُحَمَّد الخامس) وأسرتهم ونظامهم الجاثم على صدور المؤمنين في المغرب بادية الآثار عليهم وعلى رغبتهم في العمل والجهاد.

وفي الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان تعرفت إلى الكثيرين نهم ، وخاصة من شباب الجماعة الناشئة (الجماعة المجاهدة في المغرب) وكانوا أنموذجا للشباب الصادق المتقد حماسا ورغبة في الإنتاج والعطاء..، وكنت أؤمل لتجربتهم الواعدة آمالا عريضة ، لةلا أن قدر الله كان أسبق إليهم في أفغانستان ، إذ التهم أخدود سبتمبر الكثير من كوادرهم ليتشرد من أبى في الأرض لاحقين بقافلة الفرارين بدينهم تقبل الله منهم ومن إخوانهم جميعا.

ولا أنسى أن أسجل بكل الاحترام والتقدير المساهمة الرائعة والأداء المتميز لبعض المجاهدين المغاربة في العملية البطولية التي أسفرت عن إخراج جيش دولة أسبانيا التي شكلت في حرب العراق – أيام حكومة الحزب اليميني بزعامة أثنار – ثالث أضلاع مثلث الحلفاء إضافة لأمريكا وبريطانيا. ورغم أني لم أستطع أن أعرف الجماعة التي انتمى إليها أولئك الأفذاذ ، إلا أن أمة الإسلام بكاملها مدينة لتلك الكوكبة من الإستشهاديين التي يعود إليها شرف بداية تصدع الحلف الأمريكي الصليبي. والمتأمل في تلك العملية إلى نهاياتها البطولية. يكتشف مدى ما في ذلك الشعب المغربي المسلم الكريم ، من طاقات خلاقة تثبت جدارتهم بأجدادهم العظام الذين حملوا مهمة الجهاد في مغرب أمة الإسلام والمسلمين على مر التاريخ الإسلامي المجيد.

11. تجربة الأفغان العرب اللبنانيين في جبال النبطية بقيادة الشهيد أبو عائشة اللبناني – رحمه الله – (1999م):

كان المجاهدون اللبنانيون من الأفغان العرب من ضمن الجنسيات التي حضرت منها أعداد قليلة إلى أفغانستان. وقد تميزوا بالإضافة إلى مشاركتهم الميدانية بالدماثة والأخلاق .. وكانوا من بين الجنسيات التي استطاع أصحابها العودة إلى بلادهم دونما كبير مشاكل .. وقد تعرض البعض منهم إلى الاعتقال والتحقيق والسجن إثر إقدام مجموعة صغيرة

منهم على اغتيال أحد قيادات الحركة الدينية الشاذة في لبنان والتي تنسب لمؤسسها (حركة الأحباش). وكان القتيل نائب في البرلمان اللبناني .. وبحسب روايات الإخوة اللبنانيين فإن تلك الحركة كانت تقدم خدمات كبيرة للاستخبارات السورية في لبنان وتؤذي الشباب المسلم، كما تميزت بالعدوانية، وطاردت شباب أهل السنة و الجهاديين في مساجدهم وآذتهم. ثم ألقي القبض على تلك المجموعة ونفذ فيها حكم الإعدام، بعد أن أبدى عناصرها بطولة وثباتا نادرا في تصريحاتهم في المحكمة وأمام الصحافة وأثناء عملية الإعدام.. حيث شيعة طائفة السنة أجسادهم الطاهرة في موكب مهيب جسد مشهدا لوحدة صف حركاتها المتعددة في لبنان..

ثم تابع بعض أفراد تلك المجموعة عمليات الدعوة لأفكارها الجهادية السلفية في مختلف المناطق اللبنانية ولاسيما في منطقة شمال لبنان قرب مدينة طرابلس وجبال النبطية، وكان هدفهم بحسب تصوراتهم التي رسمها أميرهم الأخ (أبو عائشة اللبناني) هي القيام بتأسيس حركة جهادية لشباب أهل السنة تعمل على إقامة ثورة إسلامية تهدف إلى تحكيم الشريعة في لبنان.. وتسعى على الأقل إلى إيجاد شوكة لأهل السنة في لبنان..

كان الأخ أبو عائشة اللبناني رحمه الله أحد الأفغان العرب القدماء أيام الجهاد الأفغاني .. وكان مهاجرا في الولايات المتحدة وقدم منها

إلى أفغانستان .. وعاد بعد انتهاء الجهاد الأفغاني إلى أمريكا ومنها إلى لبنان يحمل في صدره أفكارا وآمالا عن تأسيس حركة جهادية محلية لأهل السنة في لبنان ..

ونظرا لصداقة وعلاقة تعاون كانت لي به وبعض إخوانه أيام الجهاد الأفغاني، فقد بقي لي شيء من التواصل المتقطع ببعضهم في الفترات التالية، مما مكنني من الإطلاع على أهدافهم. وقد أرسلت له رسالة مع أحد أصدقائي الذي التقى به، ونقل إليه قناعتي بأن فكرته تمشي بعكس الجغرافية والسياسة والتاريخ ومعطيات الواقع ، وأن من الأفضل لهم أن يحاولوا العودة للاستفادة منس أجواء أفغانستان في أيام طالبان لمتابعة التأسيس والإعداد على مهل. كما أوصلت له وجهة نظري بأن معطيات لبنان السياسية والسكانية والإقليمية لا تسمح بأفكاره التي بدت لي غير موضوعية، ونصحته أن يحاول تطوير مشروعه الجهادي إلى فكرة إقليمية أوسع تأخذ بعين الاعتبار ما وصلت إليه الموجهة العالمية بين المسلمين والنظام العالمي الجديد، ولكنه – رحمه الله – بدا مصرا ومقتنعا ببرنامجه، وأرسل لي باختصار قوله: لقد جربتم في سوريا.. وجرب إخواننا في مصر وليبيا والجزائر .. ودعونا نجرب في لبنان..

وبعد مدة قصيرة يبدو أن كثافة حركة أنصاره الذين ازدادوا من أحاد إلى عشرات، رفع ثقتهم بأنفسهم ودفعهم للتحرك بشيء من

العلنية، حيث روى بعض أهالي المنطقة بأنهم كانوا يعرفون بتواجدهم في الجبال ، وأن بعضهم كان يتحرك بشكل شبه مكشوف .. فما لبث الجيش اللبناني أن طوق المنطقة وحصلت معارك إستمرت لعدة أيام .. قيل أن بعض وحدات الجيش السوري قد شارك فيها. وأسفرت عن استشهاد نحو خمسين من الإخوة .. بينهم أبو عائشة رحمه الله وبعض البارزين من إخوانه من قدماء الأفغان العرب واعتقل بعض من كان له علاقة معهم من مختلف المناطق اللبنانية بحسب ما بلغني عن بعض الإخوة ووسائل الإعلام فرج الله عنهم... ورحم الله الشهداء الأبرار.



أبرز التجارب الجهادية المعاصرة في وسط آسيا:

11- التجربة الجهادية في طاجيكستان (1992-2000م):

مع انتصارات الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان، انتعشت آمال المسلمين في وسط آسيا للتخلص من نير الإحتلال الروسي الذي بغى عليهم ومنعهم حتى من دينهم. وقد لعبت الأقلية الفرسوانية أو الطاجيكية كما يسمونها في شمال أفغانستان خلال مواجهتها للسوفيت دورا في إيصال بذور الثورة وشعلة الجهاد إلى ما راء نهر جيحون كما سعت عدد من الأحزاب الجهادية الأفغانية وعلى رأسها حزب الجمعية الإسلامية، والحزب الإسلامي الذي تزعمه حكمتيار إلى العمل على ذلك بإرسال نسح من القرآن الكريم، والكتب الدينية المترجمة، إلى الخلايا السرية من بذور الحركة الإسلامية في طاجيكستان ليحرضوهم على الجهاد.

ومع انهيار الإتحاد السوفيتي، كان الحلم الكبير لدى المخلصين من المجاهدين الأفغان والأفغان العرب هو عبور نهر جيحون لك يواصلوا الجهاد ضد موسكو، وهذا ما فعله البعض إثر انسحاب الجيش الأحمر الذي لعب بعض قادة الأحزاب الأفغانية ولاسيما رباني ومسعود دورا مخزيا في حفظ سلامته أثناء الانسحاب، بعد ما أذاق الأفغان ويلات القتل والدمار الكامل لبلادهم. ولكن عددا من المجاهدين العرب والأفغان والطاجيك.. عبروا النهر ليكونوا طلائع تجربة جهادية زاخرة

إستمرت منذ مطلع التسعينات وإلى نهاية القرن العشرين. ولا أمتلك عن تلك التجربة كبير تفاصيل إلا ما اطلعت عليه من بعض المهتمين بها..

وخلاصة ذلك أن المجاهدين استطاعوا أن يحرروا مناطق شاسعة من طاجيكستان امتدت من حدودها مع أفغانستان إلى حدودها مع أوزبكستان .. وتمكنوا أواخر التسعينات من تهديد العاصمة دوشنبيه ذاتها، حيث تهدد النظام الشيوعي المدعوم من روسيا فعليا بالسقوط، وبحسب شهادة أولئك المجاهدين من العاملين في تلك القضية، فقد تدخلت الإستخبارات الروسية (KGB) في اللحظات الأخيرة وأقنعت القائد الأفغاني الشهير مسعود ورئيس الرباني الغدر بالقواعد الخلفية لأولئك المجاهدين في شمال أفغانستان وأجبرتهم على الانسحاب عن العاصمة حيث استرد النظام أنفاسه .. وجاءت الطعنة التالية من الحركة الإسلامية الطاجيكية ذاتها وزعيمها الأستاذ (نوري) الذي التقى (يلتسن) في موسكو وصورته عدسات التلفزيون وهو يصافحه بحرارة. وجري الإتفاق بإشراف موسكو بين الحكومة الطاجيكية وحركة النهضة الإسلامية بزعامة نوري على تسوية يستلم بموجبها حزب النهضة بعض الوزارات ومقاعد البرلمان.. وهكذا جمد حزب النهضة جناحه العسكري الذي كان يشارك في حصار العاصمة. وأوجد هذا شرخا في صف الحركة الجهادية المكونة من الطاجيك والأوزبك

بالإضافة لبعض المجاهدين من وسط آسيا. الذي كان يتزعمهم المجاهد الكبير جمعة باي الأوزبكي.. الذي انسب إلى الجبال بمن معه وواصل القتال .. إلى أن اضطر إلى توقع تسوية تضمن له الانسحاب إلى أفغانستان واللجوء إلى نظام طالبان بأسلحته ومن بقي من جنوده.. وهذا ما تم سنة (2000م) حيث حضر إلى أفغانستان وانضم إلى مجاهدي الأوزبك وحركتهم التي أسسوها سنة (1998م) وأسموها (الحزب الإسلامي لأوزبكستان)، بزعامة مُحَّد طاهر جان. ليسدل الستار على حركة جهادية نوعية تبقى كتابة تفاصيلها أمانة في عنق من عايشوها عن قرب تلك الفترة ..

13- التجربة الجهادية في أوزبكستان (1998-2001م) :

تعتبر أوزبكستان القلب النابض للإسلام في آسيا الوسطى.. وقد استطاع المسلمون فيها أن يحافظوا على دينهم ودين آبائهم عن طريق نظام الحجرات السرية التي كانت تدرس الإسلام خفية، حيث تخرج منه آلاف الحفاظ وطلاب العلم من أوزبكستان وما جاورها من دول الجمهوريات السوفيتية. ويجاوز عدد سكان أوزبكستان (25) مليون نسمة. وفيها أكبر الحاضرات الإسلامية التاريخية مثل بخارى وطشقند وسمرقند وترمذ.

بقيت الصحوة الإسلامية فيها حركة سرية إلى أن انهار الإتحاد السوفيتي، وحصل ماسمى بعهد الانفتاح، ولبس الشيوعيون فيها لباس الديمقراطية كما زعم رئيسها كريموف عضو الحزب الشيوعي السابق الذي صار رئيسا للبلاد ولحزب ديمقراطي فيها، مستبدلا الولاء للأمريكان بالولاء للروس..

وقد قمع كريموف الصحوة الإسلامية التي شبت منذ (1990م) ودخل في صراع معها، مما أدى لهجرة الآلاف إلى دول الجوار. وبعد سنة (1995م) يمم عدد من الشباب المهاجر المجاهد وجهه شطر الشيشان حيث كان الأخ المجاهد الشهيد ابن الخطاب يعد لمشروع طويل الأمد لإزكاء شعلة الجهاد في القفقاس وسط آسيا والجمهوريات السوفيتية. في حين نزلت مجموعة كبيرة منهم إلى أفغانستان في عهد طالبان، والتحق آخرون بالمجاهدين الطاجيك وقائدهم الأوزبكي جمعة باي رحمه الله .. في حين استخفت مجموعات أخرى داخل أوزبكستان تجهز لانتفاضة جهادية..

تزعم المجموعة التي نزلت إلى جوار طالبان أحد الدعاة الشباب من جماعة التبليغ وكان متحمسا لمشروع جهادي واسع للانتفاضة على نظام كريموف وكان قد لمع نجمه نتيجة تصديه للرئيس كريموف أثناء احتفال خطابي حاشد. ثم فر إلى أفغانستان، وبايع أمير المؤمنين ملا مُحَمَّد عمر الذي تبنى مشروعهم واعتبره ظهيرا هاما في الشمال أفغاني

حيث تقطن جالية أوزبكية وتركمانية كبيرة يبلغ تعدادها نحو (5) ملايين نسمة ..

وبالتعاون مع بعض الأفغان العرب الذين تحمسوا للمشروع الجهادي الأوزبكي، وبدعم سخي من طالبان .. نمى مشروع الأوزبك بزعامة مُحَمَّد طاهر جان بسرعة، حيث تجمع تحت قيادته مئات المقاتلين الأشداء الشباب الذين تخرجوا بداية على يد بعض المدربين من الأفغان العرب ثم طوروا إمكانياتهم وصاروا من أكثر المجموعات الداعمة لطالبان تدريبا وتسليحا.

انضم جمعة باي بعد خروجه من طاجيكستان إلى مُحَمَّد طاهر جان وبايعه على الجهاد في أوزبكستان وصار نائبه ومسؤوله العسكري وذراعه الأيمن، وعاد بعد ذلك لتنظيم تواجد المجاهدين الأوزبك على حدود أوزبكستان ودخل طاجيكستان ثانية، ولكن محاولته كشفت، كاد يقتل مع جميع من معه على يد جيش قيرغيزستان ولكنهم استطاعوا أن يخطفوا مجموعة من الخبراء اليابانيين والأجانب وأدت المفاوضات إلى أن يتحصلوا على فدية بنحو (5) ملايين دولار ويعودوا أدراجهم إلى أفغانستان!! مما رفع أسهم الحركة عند طالبان.

وفي أواخر (1999م) نزل عدد من المجاهدين الأوزبك من الشيشان وبالتعاون مع مجموعات سرية هناك قاموا بعدة عمليات تفجير استهدفت منشآت حكومية في أوزبكستان. وردت الحكومة على ذلك

بحملة من الاعتقالات فر على أثرها مزيد من الجهاديين والأسر المهاجرة إلى أفغانستان. وقبض على عدد من الجهاديين الأوزبك في عدد من دول وسط آسيا وتركيا .. وسلموا إلى أوزبكستان وحكم على بعضهم بالسجن وعلى بعضهم بالإعدام. وتوافد من نجا منهم إلى أفغانستان، وتجمع أولئك الكوادر حول طاهر جان حيث شكلوا محكما ومنظما وحسن التجهيز. وأطلقوا على حركتهم اسم (الحزب الإسلامي لأوزبكستان).

ونظرا لضخامة الجالية الأوزبكية المهاجرة منذ أيام الإحتلال السوفيتي في عدد من الدول كتركيا ودول وسط آسيا وأوربا وباكستان وبعض البلاد العربية ولاسيما السعودية. حيث استطاع العديد منهم أن يحترفوا التجارة ويتولوا المناصب بعد أن حصل أجدادهم على الجنسية السعودية منذ أيام الملك فيصل. وقد أدت تلك الجاليات دعما ماديا وبشريا وقدرة على الاتصالات والعلاقات العامة لتك الجماعة الناشئة التي جهزت عدة مئات من المقاتلين المدربين.

أواسط سنة (2001م) قرار أمير المؤمنين ملا محمد عمر بناء على مشروع دراسة كنت قد قدمته له من أجل تشكيل لواء من جميع المجاهدين العرب والمسلمين من غير الأفغان (من الباكستان والعرب ومجاهدي وسط آسيا).. ووقع اختياره على (جمعه باي) المسؤول العسكري للأوزبك لرئاسة وإدارة ذلك المشروع الذي أطلقوا عليه أسم

اللواء (21) وربطوه بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (قول أوردو). وبطبيعة الحال استعان جمعه باي بإدارته العسكرية الأوزبكية لإدارة ذلك اللواء مع نخبة من القيادات من العرب والباكستان والتركستان.

وقويت مكانة الأوزبك جدا لدى طالبان، ووضع مُحَمَّد طاهر جان مشروعا طموحا لتكوين جيل من الدعاة وطلاب العلم الأوزبك لتتحرك ضمن الجالية الأوزبكية والتركمانية الأفغانية الضخمة العدد في شمال غرب أفغانستان. وكان البرامج يهدف لإعداد مئات الدعاة خلال سنتين كي يتولوا الدعوة ثم يشكلوا ميلشيات أوزبكية مجاهدة هدفها القتال إلى جانب طالبان ومن ثم الإعداد للجهاد في بلاد ما وراء النهر. وهو حلم الأفغان الكبير منذ رحيل الجيش الأحمر عن أفغانستان عبر نهر جيحون إلى داخل الإتحاد السوفيتي.

وقد علق أمير المؤمنين على ذلك المشروع آمالا كبيرة ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وهكذا، ومع بداية موسم القتال صيف (2001م). كلف أمير المؤمنين اللواء (21) بقيادة (جمعة باي) بمهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز وتخار. وفيما كان اللواء المشترك الذي زاد عدد مقاتليه على ثلاثة آلاف من المجاهدين الباكستان والأوزبك والعرب والتركستان يستعد لأخذ مواقعه والتحرك لميدان المعركة، جاءت أحداث سبتمبر وابتدأ الهجوم الأمريكي على أفغانستان. وقدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار

شريف على نقطة تجمع للمجاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع (12) من قادة اللواء من أبرز قياداته من العرب و الأوزبك قبل سقوط مزار شريف.

وتتابعت الكوارث. فبعد سقوط مزار شريف وعملية الخيانة في قندز والغدر بمجموعة من المجاهدين العرب الأوزبك في قلعة مزار شريف في الحادثة المشهورة .. قتل مئات من المجاهدين الأوزبك في الشمال وسقط آخرون في معارك الدفاع عن الإمارة في خط كابل ثم في معركة شاهي كوت الشهيرة قرب مدينة (زرمت) في بكتيا حيث قتل مئات الأمريكان في العملية التي أطلق عليها اسم (أنا كوندا). ثم تشرد الباقون إلى باكستان حيث قتل العديد منهم في الحملات المشتركة للجيش الباكستاني والقوات الأمريكية وأسر آخرون. وتوزع آخرون في مرحلة جديدة من الشتات في مرحلة أخدود ما بعد سبتمبر الذي ما زال يتقلب فيه من تبقى من التيار الجهادي إلى أن يأذن الله بالفرج. وهكذا طويت صفحة جهادية من أكثر الصفحات إشراقا وأملا في إحياء الجهاد في بلاد ما وراء النهر حيث بشر رسول الله ﷺ بخروج الرايات السود من هناك لتحمل رايات المهدي ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما كما تسير الأحداث باتجاه ذلك هذه الأيام.

ولقد واكبت شخصيا تجربة الأوزبك في عهد الطالبان من بواكيرها. وربطني بهم صداقة وإخوة وعلاقات عمل. وقد شاركت في برنامج إعداد بعض الكوادر لمشروعهم الكبير وكنت أتردد على مركزهم لإلقاء بعض المحاضرات .. وحضر بيتي عدد من إدارتهم لحضور سلسلة من الدروس التأهيلية. وقد مكنني ذلك من الإطلاع على جوانب مشروعهم الكبير المبشر كما مكنني من التعرف على صنف من خيرة المجاهدين عبادة وصفاء وأحسنهم خلقا وأكثرهم إنضباطا وطاعة، وأشدهم بأسا وثباتا. فرحم الله شهداءهم وفك أسراهم وحفظ المشردين منهم ومنح المجاهدين في أوزبكستان فرصة لحمل رايات الجهاد الظافرة إنه على ما يشاء قدير..

14. التجربة الجهادية مجاهدي الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية:

بعد قيام حركة طالبان بإعلان لإمارة الإسلامية بقليل، حضر أفغانستان عدد من الشباب التركستاني المسلم الذين كانوا قد فروا من الحكم الصيني الذي يحتل بلاد تركستان الشرقية ويطارد الشباب الملتزم مستمرا في محاولات الصين هوية ذلك الشعب اليوغوري المسلم..

ومثلهم مثل غيرهم من التجمعات المهاجرة والمجاهدة التي نزلت في جوار طالبان بدأوا يتجمعون حيث برز على رأسهم أميرهم الأخ

الشهيد أبو مُحَّمد التركستاني (حسن معصوم) رحمه الله – الذي كان قد خرج مطاردا من الصين بعد أن سجن هناك خمس أعوام.

وبعد أن بايع الشيخ أبو مُحَّمد التركستاني أمير المؤمنين ملا مُحَّمد عمر. لاقت هذه المجموعة دعما واحتراما منه .. ولكنه أمرهم بالتؤدة في حركتهم ، والاستخفاء قدر الإمكان لأن الصين كانت على أبواب بداية علاقات توازن مع طالبان تدرس تنفيذ عدد من المشاريع فيها وذلك يحدث توازنا في الصراع على المصالح في أفغانستان ووسط آسيا بين الصين والولايات المتحدة وقد أوشكت الصين على إعادة فتح سفارتها في كابل في عهد طالبان ونمت تلك المجموعة بسرعة لكون عدد من المهاجرين التركستان الشرقيين المتناثرين في دول وسط آسيا الأخرى وتركيا والسعودية وباكستان ليس بالقليل أيضا.

وسرعان ما أعدت المجموعة بالتعاون مع بعض المدربين من الأفغان العرب عدد من الكوادر والمدربين الذين مالبثوا أن أنشأوا لأنفسهم معسكرا مستقلا وشاركوا في القتال بفعالية إلى جانب طالبان..

كان أميرهم أبو مُحَّمد رحمه الله شعله من النشاط والإخلاص وحسن الخلق وقد انعكس هذا على النمو السريع لتجمعهم كما كان الشباب التركستاني الشرقي من ألين المجاهدين عريكة وأكثرهم إخلاصا وفدائية وحيا لطلب مختلف أنواع العلوم الشرعية والعسكرية.

نزل بعض المجهادين التركستان الذين تخرجوا من معسكرات هذه الحركة التي حملت نفس اسم المجموعة التي قامت بآخر المحاولات وانقرض معظم أعضائها (الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية) نزلوا إلى الصين للقيام عمليات الحشد والدعاية الذين لا يستطيعون الخروج نتيجة خطر السفر الذي تفرضه الحكومة الصينية على المسلمين التركستان.

كان مشروع التركستانيين الشرقيين واعدا خاصة في ظل النظام العالمي الجديد .. حيث كان الكونغرس الأمريكي قد تبنى مشروعا لتفكيك الصين سنة (1995م) وذلك باستخدام النزعات العرقية الدينية فيها وعلى رأس ذلك التيبت واليوغور المسلمين في شمال غرب الصين في تركستان التي احتلتها الصين وأطلقت عليها أسم (سيانغ يانغ) وتعني الأرض الجديد .. فكان مشروع الجهاد في الصين هو المشروع الوحيد الذي كان له أمل بأن لا يجد مقاومة من هجمة مكافحة الإرهاب. كما أن مجموعات من اليوغور المسلمين التيارات القومية والليبرالية قد استوطن أمريكا وأوربا وتركيا وبعض البلاد العربية وراح بعضها يخطب ود هذه المجموعة المسلحة الناشئة في أفغانستان ولكن قرب المجاهدين التركستان من الأفغان العرب وبيعتهم لأمير المؤمنين وشهودهم القتال إلى جانب طالبان ووقوع بعضهم في الأسر لدى قوات التحالف كاد يطبعهم بطابع المطاردين من أمريكا. وأنضم

قسم من المجاهدين التركستان إلى اللواء (21) للمجاهدين غير الأفغان وأخذوا مواقعهم إلى جانب المجاهدين من الجنسيات الأخرى في الجهاد إلى جانب طالبان وفيما كان مشروع المجاهدين التركستان أيضا يشق طريقه دوت انفجارات سبتمبر وأخذ المجاهدون التركستان مواقعهم إلى جانب إخوانهم من الأفغان وغير الأفغان.

وهكذا أخذ المجاهدون التركستانيون حظهم أيضا من الشهداء والأسرى والمشردين تقبل الله منهم وخرجت بقاياهم لتتابع سيرها في قافلة الفرارين بدينهم من الغرباء على الأرض الباكستانية.

ورغم أن فرصة المغادرة كانت متاحة أمام الشيخ أميرهم أبي مُحَّد التركستاني إلا أنه بقى وفيا لأمير المؤمنين وأفغانستان، وفيا لتركستان مصرا على القرب منها. وبقى في منطقة القبائل في سرحد شمال غرب باكستان وقبل كتابة هذه السطور بشهر وفي شهر نوفمبر..قام الجيش الباكستاني مدعوما بوحدات أمريكية بحملة تمشيط وتفتيش عن المجاهدين العرب والطالبان ومن منعهم معهم واشتبكت إحدى المجموعات المجرمة مع مجموعة من المجاهدين كان منهم أبو مُحَّد وإخوانه .. ليسقط شهيدا غريبا مع مجموعة من حراسه وأقرب إخوانه .. رحمهم الله وتقبلهم وأسكنهم فسيح جناته ..

وقد واكبت شخصيا بداية مشروع التركستان الشرقية منذ بدايته.. وكان أميرهم أبو مُحَّد جارا لي في (خوست) رحمه الله .. وقد دعاني

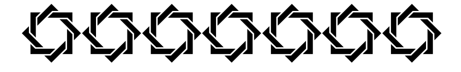
لإلقاء بعض الدروس في مركزهم مرارا.. ولما عزمت على بداية مشروع إنشاء معسكر في كابل استقبلني في (قرغة) في معسكره التابع لمعسكر القائد الطالبان سيف الرحمن منصور. حيث بدأت مشروع معسكري إلى جانبهم قبل أن يتطور معسكرنا (معسكر الغرباء) وينشأ مستقلا إلى جانب معسكرهم.

وقد جمعني ومجموعة معسكر الغرباء بالمجاهدين التركستان أكثر من رابطة .. وحضرنا بعض المشاهد الميدانية إلى جانب طالبان معا. وأتذكرهم اليوم ويعجز قلمي حقيقة عن أدائهم حقهم لما تحلوا به من كريم الصفات ، ويعتصر اليوم قلبي الألم والحزن على تلك الوجوه المنيرة والقلوب الطاهرة وأعجز أن أوفيهم حقهم من الوصف فقد كانوا أهلا لكل خير أحسبهم كذلك ولا أزكيهم على الله .. ولله در الشاعر الذي قال يخاطب تراب قبور الشهداء:

ثوى فيك الأحبة يا حبيبُ ... وقد يؤذي الثواء وقد يطيبُ
شموس في الظهيرة أطفأتها ... يد سكرى ولملمها الغروبُ
وجوه مازجت قلبي وغابت ... فيك فكيف عن قلبي تغيبُ
أ أُوغل خلفها غسلت بنورٍ ... وقلبي بعد تغمره الذنوبُ

فرحم الله من لاقاه شهيدا وتقبلهم في الصالحين .. وحفظ المشردين والباقين منهم ونصرهم وأعانهم على حمل مشاعل النور والإسلام. ليعود الأذان نديا حرا في ربوع (كاشغر) وكافة مدن التركستان. رحمهم الله من نسمات تحمل عطر رايات قتيبة بن مسلم الذي حمل نور الإسلام إلى بلادهم. وأنفاس آلاف الصالحين من التابعين ومن تبعهم بإحسان من الذين حملوا مشعل الإسلام إلى تلك الربوع.

اللهم لا تحرمنا صحبتهم في الجنة .. ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وارحمنا إذا صرنا إليك مثلهم يارب العالمين.



15- تجربة الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة في مواجهة أمريكا منذ (1996م):

كما لا يخفي فإن هذا العنوان يستأهل كتابا مستقلا. لكثرة جزئياته وأهمية التاريخية وليس في هذا الفصل العام حول التجارب التيار الجهادي خلال النصف الثاني من القرن العشرين محل ذلك .. ولكني ولكي يتم الفصل ويشمل أهم تلك التجارب ، لا بد وأن أعرض ولو موجزا إلى هذه التجربة التي اِخُتتِم بها ملف تلك التجارب في القرن العشرين وافتتح ملف الصراع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التاريخ والعالم وغير أبعاد المعركة ومعطياتها وأساليبها. وسأعرض لهذه التجربة من خلال فقرات رئيسية مختصرة والله المستعان وهو يهدي السبيل: ولعل الله ييسر لي أن أسهب في التفاصيل إن قدر الله لي التأريخ لتجربة الشوط الثاني للأفغان العرب مع طالبان (1996- 2001م).

وقبل أن أبدأ ذلك أشير إلى أني تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القاعدة ضمن تجارب التيار الجهادي. أو تصنيفها أم ضمن تجارب الظاهرة الجهادية ضد العدوان الخارجي. حتى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظاهرة الجهادية لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب. وبعد طول التأمل .. رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التيار الجهادي لاعتبارات عديدة من أهمها :

- المنهج الذي آل إلى تبنيه وإعلانه الشيخ أسامة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف. وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التيار الجهادي.

- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القاعدة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التيار الجهادي الذي التحقوا بالقاعدة عضويا ، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها.

- والأمر الثالث هو أن الشيخ أسامة جعل من مواجهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمواجهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التيار الجهادي في مواجهة الطغاة من حكام بلاد العالم العربي الإسلامي. حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإسلام، مستندا في ذلك إلى أصول عقيدة الحاكمية و عقائد السلفية الجهادية.

- والأمر الرابع أن الشيخ أسامة قد استطاع جر التيار الجهادي بكامله إلى الساحة التي اختارها والفكرة التي يراها للمواجهة وهي التحول من مواجه الأنظمة والحكومات إلى مواجهة من يسندها ضمن النظام العالمي الجديد وهي أمريكا وكبار حلفائها ..

- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت علينا ولأهدافها الخاصة عن علم وعمد .. فرضت على كافة التيار الجهادي وكثير من مكونات الظاهرة الجهادية الحاليين مسمى القاعدة وعممته عليهم راضين أم كارهين

وجعلته اسما شاملا لكافة مكونات التيار الجهادي وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

بعد طول تفكر وتشاور واستخارة ..

رأيت أن أحذف هذه الفقرة من الكتاب لثلاثة أسباب ، وهي :

أولا: أن تنظيم القاعدة ما يزال يخوض حربا مفتوحة مع أعداء الإسلام ، بقيادة أمريكا ، كما كل الأفغان العرب والتيار الجهادي وكل مخلص في هذه الأمة.

وربما يظن البعض أن في تناول تجربتها وخصائصها الآن ما يفيد العدو. ورغم أني لا أعتقد ذلك لأن الفقرة دراسية نقدية عامة للإفادة من الدروس والتجارب التي مضت. ولا تحتوي أي معلومات تعتبر أسرارا ، خاصة أن كما كبيرا من أسرى القاعدة هو في قبضة العدو أعاننا الله على تفريج كرباتهم . وأظن في عرضها فائدة للمسلمين والمجاهدين. إلا أن هذا كان أحد الأسباب في حذف الفقرة ، دفعا للخلاف حول هذه النقطة.

ثانيا: أن التجربة ما تزال مفتوحة ، وتختلف بهذا عما سبق من التجارب التنظيمية التي تناولتها ، والتي انتهت عمليا. وفي تأخير الكتابة عن تجربة ما تزال مستمرة فائدة دراستها فيما بعد أن الدراسة ستكون أشمل وأعمق.

وأرجو أن نكون قد حققنا النصر الموعود إلى حينها بإذن الله.

ثالثا : أن التجربة واسعة وتحتاج كي أوفيها حقها كتابا مفردا ، ربما يسر الله لي إخراجه فيما بعد. خاصة أني أفضل إطلاع بعض كبار الإخوان والشيوخ عليه ، وأخذ توصياتهم بعين الاعتبار قبل نشره. الذي أرجو أن يكون قريبا. وبعد تحقق النصر الشامل إن شاء الله.

وأعتذر للقراء التواقين للإطلاع على تجربة فذة لأبطال أماجد ، وأحباب عظم المصاب بفقدهم. سجل معظمهم أسماءهم في سجل الشهداء الخالدين ، كما أرجو وأعتقد إن شاء الله.

ثامنا: خلاصة الأساسيات العقدية والفكرية للتيار الجهادي (1960-2001م):

شكل التيار الجهادي مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة، وقد حملت معظم تنظيماته ورجاله قواسم مشتركة من الفكر والعقيدة الجهادية والمنهج السياسي الشرعي. سأورد أهم ملامحها بشكل موجز بصرف النظر عن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقرة للعرض وليست للنقاش، وبصرف النظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية التي حملها بعض الجهاديين ولم تكن سمة مشتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين. ومن أهم الملامح الفكرية عند الجهاديين:

- **حكم الأنظمة:**

إعتبر الجهاديون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي أنظمة ردة لكونها تشرع من دون الله وتحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي الكافرين من أعداء الإسلام والمسلمين. واعتبروا جميع الحكام في العالم العربي والإسلامي بناءً على ذلك كفاراً مرتدين خارجين عن ملة الإسلام.

كما اعتبروا المؤسسات والسلطات الثلاث - إن وجدت - أو ما يقوم مقامها في الأنظمة الديكتاتورية، مؤسسات كافرة. وهذه

السلطات هي: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية. واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين.

وتقف حدود التكفير العيني عند الجهاديين عند هذا المستوى حيث يعتبرون ما سوى ذلك من الأعوان ونواب هؤلاء ومساعديهم وموظفيهم أعوانا لا يحكم عليهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مع فكر الصحوة الإسلامية عامة خلال مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التنظيمات الإسلامية المنحى الديمقراطي وتضطر للحكم بالإسلام على تلك المؤسسات. ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق التي جهر به الجهاديون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هي نفس المعتقدات التي يحملها معظم رجال الصحوة الإسلامية من الإخوان والسلفيين والسروريين ودعاة الصحوة من علماء الجزيرة وغيرهم.

- **حكم الأعوان:**

اعتبر الجهاديون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمة ، وحارب الإسلاميين و الجهاديين كأفراد الجيش والشرطة وقوى الأمن .. طائفة ردة عامة تقاتل على أساس راية الردة العامة لإمامهم وقائدهم الذي

يأتمرون بأمره ويدافعون عنه. بحيث لا يحكم الجهاديون بالكفر العيني لآحاد هؤلاء إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- **مسألة التكفير:**

عقيدة أهل السنة والجماعة ويعتبرون كل من شهد أن لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله مسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإسلام. ويأخذون بشروط تكفير المتعين من تحقق الشروط وانتفاء الموانع. من الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد. وبهذا يفترقون عن جماعات التكفير والشواذ من بعض من الحق بالجهاديين.

- **علماء السلطان:**

يعتبر الجهاديون كل من وقف من علماء المسلمين إلى جانب تلك الحكومات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإسلام معتبراً من خرج عليهم من رجال وحركات الصحوة ولاسيما الجهاديين من الخوارج.. يعتبرونه من المنافقين. وقد دخل الجهاديون معهم في مساجلات طويلة، والجهاديون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السلطان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإسلام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل. ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العلماء كفار مرتدين مثل حكامهم ، لأنهم يعتبرون أولئك العلماء لا

عذر لهم بالجهل ولا التأويل ولا بالإكراه لأنهم يسعون برضاهم إلى ذلك النفاق ، الذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المسلمين ، وإجازة الصلح مع اليهود و بيع أقدس المقدسات المسلمين. وإلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسلاح على أولئك الحكام ومن ولاءهم من الغزاة الصليبيين ..

- **مسألة الديمقراطية:**

يعتبر الجهاديون الديمقراطية ،فلسفة ونظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإسلام جملة وتفصيلاً. ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كل أديان الكفر القديمة والحديثة. ويعتبر جمهور الجهاديين الديمقراطيين من الإسلاميين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السلطة التشريعية أو الوزرات والحكومات وهي السلطات التنفيذية. يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر. ولكنهم لا يحكمون عليهم بالكفر العيني ، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصحوة والمسلمين ، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتعاون على البر والإحسان. ويذهب القليل من الجهاديين إلى تكفير هؤلاء البرلمانيين والوزراء من الإسلاميين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات. ولا يعتبرون جهلهم

وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- **مسألة الشيعة والفرق من غير أهل السنة:**

يعتبر الجهاديون كافة تلك الفرق من ضمن الأمة الإسلامية أو ما يسمي بأهل القبلة. ويعتبرونها من الفرق التي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأمة على 73 فرقة واحدة ناجية هم أهل السنة والجماعة و الباقون في النار. فيعتبرونهم من فرق الضلال والزيغ والهوى والانحراف. وكما هو الموقف العام عند أهل السنة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية و النصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشيعة الزيدية : **مثل أكثرية** شيعة اليمن. ويعتبرونهم قريبين من أهل السنة على خلاف معهم. **الشيعة الجعفرية (الإمامية)**: وهم من مثل غالب شيعة إيران ، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشرق الأوسط ..

وغالب الجهاديين على اعتبارهم ضلالاً من أهل البدع. في حين ذهبت أقلية من الجهاديين إلى عدم إعطاء هذه المسألة أهمية لأسباب سياسية. في حين ذهب بعض الجهاديين إلى التصريح بكفر الشيعة.

إلا أن الجمهور من الجهاديين على اعتبارهم مسلمين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة ..

وقد تداخلت المسائل السياسية بالعقدية في هذه المسألة لدى الصحوة الإسلامية السنية عموماً ومنها الجهادية وليس هنا محل بسط ذلك.

- **مسألة السلفية والمذهبية:**

غلب على الجهاديين منذ أواخر الثمانينات المذهب السلفي نتيجة ما أسلفت شرحه. وجمهورهم وسط في مسألة المذهبية يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وعلمائها. وهم وسط في التقليد فلا يتعصبون لمذهب ، ولا يلتزمون به ، ولا ينتقصون من أقدار الأئمة ولا من القيمة العلمية لتراث المذاهب. وقد أثر التيار السلفي المتطرف في ظهور بعض (غلاة جهلة الجهاديين) من المتأخرين ممن ذهبوا مذهب محاربة التقليد والمذاهب لحد الشطط ولكنهم في الجهاديين قلة.

- **مسألة الصوفية:**

تأثر جمهور الجهاديين بمنهج ابن تيمية والمدرسة السلفية في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة ، واعتبارها من مناهج البدع والضلال ، وتشدد البعض في هذه المسألة ، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين.

- **الموقف من مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية:**

جمهور القدماء من الجهاديين على احترام مدارس الصحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق. وجمهور المتأخرين من الجهاديين على حالة عداء وخصومة وتناحر معهم ، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- **مسألة العلمانية:**

كافة الجهاديين على تكفير المذاهب العلمانية واعتبارها من مذاهب الإلحاد كما هو حال معظم قيادات وعلماء وجماعات الصحوة الإسلامية ، قبل الموجة الأمريكية الأخيرة وموضة الاعتدال المصطنع. ولكن جمهور الجهاديين على اعتبار أتباع الفكر العلماني من عامة المسلمين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التيارات العلمانية في العالم العربي الإسلامي ويعتبروهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الله ..

- **مسألة القومية العربية:**

كافة الجهاديين على اعتبار دعوى القومية والتعصب لها، من دعاوى الجاهلية ، والجهاديون أمميون ، يدعون إلى وحدة المسلمين ونظامهم الشامل. وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القومية ، لاسيما وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانية إلى القومية. ويعتبر الجهاديون الدعوات القومية من أسباب تمزيق الأمة.

- **مسألة الوطنية:**

كما في مسألة القومية ينبذ الجهاديون فكرة القطرية والوطنية والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانية ، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت على أساس قطري محلي وأتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك. رغم أن الفكر لديهم يقوم على أممية الإسلام ودعوة الجهاد.

- **القضية الفلسطينية:**

يؤمن كافة الجهاديين ، بل وعموم الصحوة الإسلامية بأن فلسطين جزء من العالم الإسلامي من النهر إلى البحر ومن الشمال

للجنوب.. وأنها حق واجب في عنق أجيال الأمة. وأن الجهاد فرض لاسترجاعها. وبهذا فهم يرفضون كافة مبادئ الصلح والتطبيع والسلام مع اليهود، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدة آلاف من اليهود الأصليين وأحفادهم. غرباء غزاة يجب أن يرحلوا.. و يعتبرون السلطة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات مثلها مثل باقي الحكومات المرتدة في العالم العربي والإسلامي. ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة.

- **مسألة الأقليات الدينية في العالم العربي والإسلامي:**

يعتبر الجهاديون أن هذه الأقليات وغالبها من النصارى يجب أن تعامل في حال قيام الدولة الإسلامية على أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب الفقه لدى أهل السنة. ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- **مسألة المواجهة مع أمريكا والصراع مع الغرب:**

لم تكن جميع التنظيمات الجهادية ،منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكرية على أفغانستان في نوفمبر2001م قد طرحت أو تبنت مسألة المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديين قد أولت مسألة المواجهة معها حيزا في كتاباتها ، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصحراء وإطلاق النظام العالمي الجديد ، وبدء الحملة الدولية الأمريكية على الإرهاب. وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة التي تقمع الإسلاميين والجهاديين ، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحركي.

ولقد حاول الشيخ أسامة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثاني للأفغان العرب، إقناع الجهاديين بالتحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كان يصفها، ولكن دون جدوى. فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصراع مع المرتدين الذين يمثلون العدو الأقرب والأخطر والذي يقف حائلا دون أي جهاد مع الأعداء الخارجيين. كما سيطرت عليهم فكرة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي كمفتاح لحل كل الأزمات.

ولكن أحداث سبتمبر وتداعياتها على الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهادي برمته ووضعه تحت مسمى القاعدة. ومطاردة الجهاديين من كل الأجناس في سياق ما أسمته الحرب على الإرهاب، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهادي ، وما كان من احتلال العراق بعد ذلك .. منذ 2001م وإلى اليوم ، وتتالي تداعيات الإنتفاضة ، وإعلان بوش للحملات الصليبية ...إلخ. جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديين هو مواجهة أمريكا وحلفاءها الغربيين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديين على الإتجاه الصحيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتجاه.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) .

۞۞۞۞۞۞۞

تاسعا: التيار الجهادي وقعر الأزمة في نهايات القرن العشرين (1995-2000م):

كانت الصحوة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة واتسعت فيها قاعدتها الشعبية ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي ... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984م) أمام الصحوة الإسلامية عموما والجهادية خصوصا قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992م) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية

والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس ... فانتشر معظم كوادر الجهاديين والمطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربا الغربية وما شابهها مثل كندا وأستراليا وغير.. أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان... ولكن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) وضعت خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب والتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر كما سنرى إن شاء الله ...

وهكذا تتابعت المؤتمرات الأمنية الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمر أو أكثر كل ستة أشهر فقد تطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع 1991م لمسألة الإرهاب وتفرغ مؤتمر شرم الشيخ 1994م لذلك.. وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العالمية إلى الآن وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات بما فيها الخاصة بدول المتوسط (!) وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية.. وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس ولعبت السعودية ووزيرها نايف بن عبد العزيز المتحمس

بشراسة لمكافحة الإرهاب دورا بارزا ... ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

- **الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الإرهاب (1990-2000م):**

1- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية التي تصفها أمريكا وأذيالها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية). واتخذت قرارات وإجراآت لمراجعة الأرصدة في البنوك ومراقبة الحوالات البنكية ومصارف الزكاة وأعمال اللجان الخيرية والمؤسسات الإنسانية الإسلامية واتخذت قرارات في مصادرة أموال ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة ... أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة وقلصت مواردها لحد كبير...

2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

فقد افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله باستخدام استخبارات (بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر). وكان قد سبقه قبل قليل حادثة وفاة الشيخ (تميم العدناني) في أمريكا في ظروف غامضة.. ثم اغتيل واختطف عدد من قيادات الجهاد

المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول. ثم اغتيل أنور شعبان أمير المجاهدين العرب في البوسنة واختطف أمير الجماعة الإسلامية (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وكان لاجئا في الدانمرك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر ثم اعتقل الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسجن أكثر من 200 سنة وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها وطال السجن حتى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية فاعتقل علي بالحاج في الجزائر واعتقل الشيخ (سفر الحوالي) والشيخ (سلمان العودة) ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصحوة في السعودية واختُطف جهاديون من دول متعددة من اذربيجان و تايلند والفلبين وبعض الدول العربية وباكستان وأُودعوا السجون أو لفهم المصير الغامض. وبدا أن الأمر يسير نحو عاصفة أمنية حقيقية.

3– اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فعلى اعتبار أن الدول العربية ومعظم الإسلامية لا تكن اعتبارا لحقوق إنسان ولا شرعية لقانون. فقد كانت خطة تسليم كل مطلوب أمني إلى بلاده أنجع السبل في تفكيك الجماعات الجهادية واستهلاك كوادرها وعناصرها. وهكذا تبادلت الدول العربية والإسلامية فيما

بينها كثيرا من المعتقلين الجهاديين الذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم. بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال وسلم إخوة أبرياء وأسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

4- إلغاء الملاذات الآمنة:

كان أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرئيس كلينتون سنة 1995م... حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنية للجهاديين في أوربا ومختلف دول العالم. وكان معظم كوادر الأفغان العرب والتيار الجهادي قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين أو استقروا في السودان أو اليمن أو إيران أو تركيا. واستقر بعض الجهاديين من شمال إفريقيا في سوريا والأردن فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان... فابتدأت حملة الضغط الأمريكية منذ عهد كلينتون تحت هذا العنوان .. فطرد الشيخ أسامة بن لادن و الجهاديين المصريين والليبيين ومعظم الباقين من السودان وسلمت الحكومة السودانية (الإسلامية)! بزعامة البشير والترابي أخوة ليبيين إلى بلدهم ليعدموا ! وطردت اليمن الجهاديين تحت تهديد اعتقال نسائهم وتوسطت قيادات إسلامية وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية على طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم. وقبضت سوريا والأردن وتركيا على أخوة جهاديين

وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون وتولى الأمريكان إخراج المجاهدين العرب من البوسنة ونزع سلاح من بقي منهم بعد أن أراقوا دماءهم في سبيل إخوة العقيدة والدين. وتولت حكومة البوسنة بنفسها اغتيال قياداتهم! وهكذا ضاقت على المجاهدين الأرض بما رحبت. منذ عام (1995م) وخلال ما تلاها من أعوام ..

5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقد عقدت الاتفاقيات الأمنية الدولية ذات التفاصيل العملية المعقدة ووضع برامج لمتابعة الاتصالات الروتينية وربط أجهزة الإستخبارات على مستوى المعلومات والاتصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

6- التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقد قامت الدول الغربية وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثالث لتصفية مجالات اللجوء السياسي وحقوق الأجانب وتوسيع قوانين مكافحة الإرهاب حتى شملت في بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية حيث أعرق الديمقراطيات الغربية مجالات الكتابة والنقد وخطب الجمعة التحريضية ضد الحكام الديكتاتوريين لتعتبر جرائم! في هوامش

ونصوص قانونية غير محددة قابلة للتفسيرات والتأويلات بحسب أهواء أجهزة الاستخبارات والقيادات الصليبية الحاقدة.

7- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين عزلهم :

منذ انطلقت الحملة الأمنية والعسكرية لمكافحة ما أسموه (الإرهاب). انطلقت معها جنبا إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لتشويه الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم بإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء. ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار ... إلى آخر التهم ... وقد خرجت الحملة الإعلامية بين الجهاديين والتكفير لعزلهم عن جماهيرهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أخبث الأوار وزودت هذه الحملة العالمية بأفتك أسلحتها. كما لعب الطفيليون من أوساط الصحوة الإسلامية (الديمقراطية) الذين صاروا خلال ذلك العقد جزءا من الملأ وحاشية السلاطين وبالتالي جزءا من مكونات النظام العالمي الجديد دورا بالغ السوء ... كما سنأتي على شيء من التفصيل في الفصل الخاص بالصحوة الجهادية إن شاء الله.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهادية إلى عناصر تعيش هاجس (الخوف والجوع)... فالمطاردات والاغتيالات والخطف والأسر

وإغلاق الملاذات... أدخلت أفراد الصحوة الجهادية في هواجس الخوف والمطاردة. وتكلفت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم التي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين.

ثم جعل الله لتلك الثلة من المؤمنين فرجا إلى حين في قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان فغدت مهجرا تجمع فيها خلاصة التيار الجهادي قيادة وقاعدة خلال الفترة (1996–2001م). ولذلك تركز برنامج مكافحة الإرهاب على ضربها وتدميرها وتدمير الأرضية التي آوتها ممثلة بحركة طالبان وأمير المؤمنين (ملا مُحَّمد عمر). وهذا ما نفذوه في سبتمبر 2001م لتبدأ المرحلة التالية من مسار الصحوة في عالم ما بعد سبتمبر كما سنرى إن شاء الله.

وقد فاقمت هذه الأوضاع والأزمات الخارجية المحيطة التيار الجهادي بالإضافة لأزماته الداخلية على مستوى التيار عامة والخاصة بكل تجربة بحسبها في قطرها. وبدأت تلك الأزمات تتضح شيأً فشيئاً للجميع بعد أن كان نذرها قد بدت للبعض منذ مطلع التسعينات ومنذ انطلاق النظام العالمي الجديد. ويمكن إيجاز تلك الأزمات بما يلي:

1- الأزمات الأمنية:

فقد أدى انتقال مستوى مكافحة الجماعات الجهادية من المستوى القطري إلى الإقليمي إلى العربي إلى الدولي. أدى إلى حصار تلك التنظيمات وإنزال خسائر فادحة بها وإجهاض معظم أساليب عملها واتصالاتها وتمويلها، فقد كانت معظم قيادات التنظيمات الجهادية العاملة في بلدها إذا ضاق بها الحال أمنياً في بلدها نتيجة عمليات الاعتقال والتعذيب وفشل التنظيمات الهرمية في الصمود أمام وسائل أجهزة الأمن الوحشية في الاعتقال والتحقيق وإجهاض العصابات محلياً. كانت تخرج إلى دول الجوار مستفيدة من هوامش أجواء الخلاف بين أنظمة الحكم في تلك الدول.. وقد استطاعت كثر منها أن تحصل لنفسها وقياداتها على هامش ملاذ آن بل قواعد حركة ودعم أحياناً. لقضيتها من قبل الدول المجاورة.. وقد ميز هذا مرحلة (1975-1995م) فقد لجأت الطليعة المقاتلة في سوريا وكذلك تنظيم الإخوان المسلمين خلال مواجهتهم لنظام حافظ أسد النصيري إلى العراق منذ وقت مبكر ثم لأردن، ولاقت هناك دعماً كبيراً من حكومتي البلدين، وصل إلى حد التدريب والتسليح والدعم المادي وتسهيل العبور على الحدود ، كما غضت تركيا الطرف عنهم كذلك واتخذوا من أراضيها مجالا للحركة والاتصالات.. واستطاع البعض ولو بحدود أقل بكثير الحصول على موطئ قدم لهم في لبنان وإن كان

بشكل محدود نتيجة سيطرة سوريا عليها. بل وصل دعم الجهاد في سوريا إلى أن تدعمه مصر في آخر عهد أنور السادات وتقدم خدمات في مجال التدريب كانت ستتطور لو لا مقتل السادات على أيدي الجهاديين سنة 1981م.

كما حصلت بالمقابل تنظيمات عراقية معارضة معظمها من الشيعة على مثل ذلك في سوريا..

واستطاع الجهاديون من مصر أن يتحركوا في معظم دول المنطقة بحرية وأن يتخذوها قاعدة اتصالات وتحصيل دعم بدء من دول الخليج ومروراً بسوريا والأردن واليمن وغيرها. ولم يجدوا أي مطاردة.

ومثل ذلك تحرك المطاردون من ليبيا في دول الجوار. وتلقى الجهاديون في المغرب دعماً في ليبيا وتحركوا في المنطقة بحرية..، وعبر الجهاديون في الجزائر من المغرب واتخذوها معبراً للسلاح والمقاتلين واستراحات الجرحى والمقاتلين. كما تحرك تنظيم الجهاد المصري من السودان 1990- 1997م واتخذ له مواطئ قدم في اليمن مع تنظيمات جهادية أخرى..، وتلقى بعض عناصره التدريب في لبنان في معسكرات حزب الله ، واستطاعت قيادات من الجماعة الإسلامية أن تتخذ من إيران ملجأ وملاذاً.. إلى آخر ما هنالك من الأمثلة.

ولم تقتصر تلك الهوامش على الجهاديين والإسلاميين.. فقد استفادت معظم المعارضات السياسية في تلك الحقيبة من هذه

الهوامش، وكذلك التنظيمات الفلسطينية القومية والوطنية والإسلامية.. ولكن بعد سقوط النظام العالمي القديم وسقوط الإتحاد السوفيتي وحلف (وارسو).. لم يعد هناك محاور صراع وصار السيد الآمر لتلك الأنظمة واحداً وهو أمريكا ، ولم يعد هناك هامش بين سيدين شرقي وغربي ، وتوجهت الأوامر من السيد الجديد والقطب الأوحد لتلك لأنظمة بإغلاق تلك الملاذات. فبدأت تغلق شيئاً فشيئاً، وتولي كبر التنسيق الأمني العربي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودية وأنشأ مؤتمر وزراء الداخلية العرب. وجعل مقره تونس، وصار لوزراء حرب الله ورسوله والمؤمنين (وزراء الداخلية) لقاء كل ستة أشهر، وصار لمعا وينهم لقاءات دائمة وصار لرؤساء استخباراتهم خطوط هواتف حمراء مفتوحة، وارتفع مستوى التنسيق ليصل إلى مستوى ربط (أرشيفات) المعلومات عبر الكومبيوتر ، وصارت مطاردة الجهاديين على المستوى الإقليمي بين بعض الدول. ثم ما لبثت أن تحولت إلى المستوى العربي. فابتعدت القيادات الجهادية والكوادر المطاردة بمراكز عملها إلى المستوى العالمي بعد انهيار الجهاد في أفغانستان.. واتخذت تلك التنظيمات المختلفة أسلوبا مطوراً للعمل عبر الملاذات الآمنة البعيدة ولاسيما من مناطق اللجوء السياسي في الغرب وبعض الدول الأوروبية، حيث كانت قوانين الحريات الشخصية تشكل سياج حماية للناشطين الإسلاميين و الجهاديين.

ولكن الضغوط الأمريكية ومطالبات الحكومات العربية والإسلامية ودخول عموم الدول الأوروبية وغيرها في ركاب الحملة الأمريكية التي تصرفت مثل ما يتصرف (مايسترو) فرقة موسيقية (سيمفونية) كبرى في كفاح الصحوة الإسلامية ، وطليعتها الجهادية جعل تلك الهوامش تلغى واحدة تلو الأخرى وتدخل أجهزة أمن تلك الدول في هجمة المطاردات أيضاً ، مما جعل كثيراً من الرموز يسقطون أسرى ومعتقلين، وسلم بعضهم لبلادهم وغادر من نجى إلى أفغانستان مع نهايات 1996م.

ولم تنته الأزمة الأمنية لأن أفغانستان التي شكلت ملاذاً، صارت مشكلة جديدة أيضاً ، ومنطقة حجر على الحركة والنشاط يسبب سياسة طالبان من نشاطهم كي لا تزداد الضغوط عليهم وأصبحت مكاناً للإقامة الجبرية. حيث يتخطف الناس من حولها عند كل محاولة للحركة، وقل من نجى من تلك المصائد من المطاردين. ولم تقتصر مسألة إلغاء الهوامش في عالم النظام العالمي الجديد على الجهاديين وتنظيماتهم. فقد تعدى ذلك إلى كافة التنظيمات التي تمارس حروب عصابات سرية في مختلف أنحاء العالم. وهكذا سلم (عبد الله أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستاني إلى حكومة أنقرة. وأسدل الستار على حرب عصابات استمرت أكثر من عشرين سنة ضد تركيا ، لأن النظام

العالمي أغلق أمامهم ملاذات سوريا والعراق ولبنان.. واضطر زعيمهم للترحل ثم اعتقل بجهود دولية شاركت في حتى (اليونان) ، عدو تركيا.

كما وجد (الجيش الجمهوري الأيرلندي) نفسه مضطراً لتسوية سياسية وإلى اللقاء السلاح.

وتقهقرت عصابات (الباسك) ومنظمة (إيتا) ، بعد أن أغلقت فرنسا الملاذات الضيقة عنها. فطورد قادتها في أوروبا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وهكذا بدأ ذو الخبرة من الجهاديين يكتشفون أن عالم النظام العالمي الجديد الذي بدأ يعد سقوط الإتحاد السوفيتي قد ألغى إمكانية الثورات القطرية والعمل من خلال الهوامش. فقد صار العالم الجديد أحادي القطب سيداً واحداً يفرض على الدول إغلاق الهوامش ، وخاصة في وجه الأصوليين من المتطرفين الإسلاميين أو الإرهابيين كما صار اسمهم في وسائل الإعلام. وأدرك الفاهمون منهم أن نظرية الحركة التي أقاموا عليها أعمالهم قد تحطمت مع معطيات هذا العالم.. فضلاً عما كانت السنوات العشر هذه قد أثبتت فشل الثورات القطرية التي أديرت من قبل قيادات غير ميدانية تديرها من المهجر، لعدم إمكانية إدارتها ميدانياً نتيجة عمليات البطش والاعتقال والتعذيب التي فعلتها الحكومات بلا حسيب ولا رقيب.

2- الأزمات المالية :

فقدت أدت سياسة تجفيف المنابع التي فرضتها أمريكا ونفذتها كافة دول العالم وعلى رأسها الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي إلى وقف معظم طرق الإمداد المالي من التبرعات التي كانت شريان الحياة الوحيد لاستمرار عمل تلك التنظيمات. ولاسيما عندما فرضت دول الخليج بناءاً على أوامر أسيادها سياسات الرقابة على طرق الزكاة وأموال الصدقات والتبرعات ، وأعمال الجمعيات الخيرية. وفرضت على البنوك وأنظمة تحويل الأموال رقابة صارمة كما على فعلت مع البنوك العالمية. وطبقت أمريكا والدول الغربية سياسات صارمة لمنع وصول أي أموال إلى التنظيمات الجهادية أو الجمعيات المتهمة بدعم التطرف كما أسموه ، وهكذا حصرت معظم قيادات الجهاديين في أفغانستان. وتركوا وراءهم مئات أو آلاف الأسر من الذين اعتقل معيلوهم ولم يتركوا لهم من يقوم بأمرهم..

كما وجدت الخلايا المتبقية في تلك البلاد نفسها في ضائقة مالية مقطوعة عن قياداتها المشردة ليس فقط تنظيمياً وإداريا وإنما مالياً كذلك ، فشلت عن إمكانية الحركة والنماء..

3- الأزمات التنظيمية الداخلية:

نتيجة الأزمات الأمنية والمالية تحولت معظم القيادات الجهادية إلى قيادات مهاجرة مشردة مقطوعة عن ساحة عملها. وولد هذا أزمات تنظيمية كثيرة.. فقد سبب ذلك شلل في الإدارة وعدم ديناميكية في الحركة. وأدت هذه المشكلة مع المشكلة الأمنية في الداخل والخارج بالإضافة للمشكلة المالية جراء تجفيف المنابع ، إلى توقف معظم التنظيمات الجهادية عن النمو البشري في داخل ساحات عملها. فأصبح عددها محدوداً وصارت تنفق خسائرها البشرية في الداخل والخارج من مخزون محدود ، فسارت نحو الانقراض. كما أدت الظروف الأمنية وحالات الاختفاء لمن تبقى بالداخل وفرار معظم الكوادر والقيادات القادرة على التوجيه ، إلى توقف برامج التربية والتكوين للعناصر المتبقية أو القليلة الملتحقة بتلك التنظيمات. فلا تجنيد عملياً، ولا برامج تربية ولا إعداد للمجندين. ولأن الأزمات والهزائم تولد عادة أحوال:

﴿ **فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ** ﴾ (القلم:30). ولأنه وكما قال عمر ﷺ : [**إن هذه الأيدي خلقت لتعمل وإنها إلا تجد لها في الخير عملا وجدت لها في الشر أعمالا**]. بدأت تتفشى ظاهرة الانشقاقات.

إذ حسب بعض اليافعين وبعض قيادات الدرجة الأولى أو الثانية في التنظيم ، أن السبب في حالات الجمود والعجز هو من عجز

القيادات القائمة في التنظيم. ولم يدركوا أن مشكلة قوادهم هو حظهم العاثر في قيادة تنظيمات (قطرية سرية هرمية) في زمن النظام العالمي الجديد ، خارج سياق التاريخ، وخارج جغرافية الأمة. فقد فرض النظام العالمي الجديد معطياته ، وصارت الأزمات أكبر من أن تحل. لقد انهار نظام العمل نفسه ، ولم يعد صالحاً. ولكن أولئك المنشقين ظنوا أن بإمكان عطارهم أن يصلح ما أفسد الدهر. فحصلت انشقاقات عديدة وظهر ما أسميته في بعض المحاضرات ظاهرة (التنظيمات الأميبية) ، من كثرة الانقسام والتشظي. حتى لحق ذلك تنظيمات وجماعات وليدة كانت تنقسم وتنشق على نفسها من مراحلها الأولى !! وحصلت هذه الانشقاقات في الداخل في ساحات المواجهة الأصلية للتنظيمات وكذلك في ساحات الخارج. وهكذا لم يعد لأشهر تلك التنظيمات من إمكانيات ، منذ مطلع التسعينات وخاصة منذ 1995م. إلا أن تصدر بعض النشرات المنخفضة المستوى في كل منحى ، والمحدودة الانتشار في كل اتجاه. وتحولت إلى تنظيمات إعلامية سيئة الأداء إعلامياً في غالب الأحيان. ولم يكن يسير عملياً في ساحة الجهاد ، إلا أحداث الجزائر المروعة التي ألحقت بفريضة الجهاد والتيار الجهادي أذى لا يقدر حجمه. حيث صارت تلك التجربة حقل تجارب للاستخبارات الجزائرية والعربية والغربية ، كما

فصلت ذلك في كتابي (شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989-1996م).

4. الأزمات الفكرية:

يعود وضع الأسس الفكرية للتيار الجهادي كما أسلفنا إلى منتصف الستينات حيث وضع أسسها الشيخ سيد قطب رحمه الله. ولم تضف مختلف الإضافات التي كتبت في إطار مكتبة الإخوان المسلمين أي جديد عمليا ، وكانت مجرد تكرار وتفاسير وإعادة صياغة. ولم تكن في معظمها ذات نفس جهادي. ويمكن تسجيل ما كتب من التفصيلات الفقهية السلفية ، عند ما طرح فقه الإمام ابن تيميه كأساس للفقه الجهادي على يد تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ، كحلقة فكرية ثانية في أواخر السبعينات. وكان الإضافة الثالثة ما طرحته مكتبة الأفغان العرب أواخر الثمانينات. وكان عملياً تكراراً للفكر القطبي الحركي ، والفقه السلفي من تراث المدرسة الوهابية ولم تحتو تلك المكتبة رغم شموليتها مفاهيما هامة يمكن أن تكون تطويراً يتناسب مع ما استجد من أحوال وما طرح من إشكاليات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية في العالمين العرب والإسلامي بعد قيام النظام العالمي الجديد. وبدأت ملامح أزمة فكرية في التيار الجهادي.

كان على رأس تلك الأزمات الفكرية ؛ أن أيا من التنظيمات الجهادية لم تقدم في أدبياتها مشروعاً متكاملاً على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والثقافية لبرنامجها لتغييري ، وبدت للجماهير ولاسيما للقطاع المثقف من الأمة وكأنها تسبح في الماضي في معزل عن مشاكل الأمة المعاصرة. وكان فقه الواقع مغيباً في طروحاتها وأدبياتها إلى حد كبير. ولم يحظ الواقع العربي والإسلامي وإشكالاته نتيجة الجمود الذي طبع عموم المدرسة السلفية المعاصرة – الجهادية السلفية – كجزء منه. وكان ثاني أكبر الأزمات هو التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدى طلاب العلم الشباب من الجهاديين. فقد سيطر في الصنف الثاني من التسعينات فقه التشدد والتزمت وبسبب جهل بعض المتسلقين على التيار الجهادي لغياب الكتاب الأصلاء فيه في تلك المرحلة ، وبسبب تفشى المنشورات التكفيرية على هامش التيار الجهادي والسلفي ، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات. حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المسلمين في تلك المرحلة. (وهذه إشكالية سآتي على تفصيلها في نهاية الفصل السابع والأخير من الجزء الأول إن شاء الله).

ولم تتح الظروف الأمنية الحرجة لكبار الجهاديين ورموزهم أن يتحركوا في ظروف مريحة تمكنهم من الكتابة والردود على تلك الظاهرة

الخطيرة ، كما سبب التحاق الكثير من العناصر الجديدة في بؤر تواجد الجهاديين ، ومعظمهم من شباب الواقع العربي المثقل بالإشكاليات والضغوطات النفسية ، مع عدم توفر ظروف مواتية للتربية الفكرية إشكالية كبيرة ، حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة ، ولاسيما في مختلف الملاذات في أوروبا وبعض البلدان كاليمن وباكستان وغيرها..

أما الإشكاليات الفكرية الأخرى فكانت في عدم تمكن الجهاديين من تحديد مفاهيم محددة وتفاصيل واضحة ، لمصطلحات ومسائل هامة طرحت بسبب مشروع المواجهة الجهادية مع الأنظمة الجاهلية ومن ذلك:

المفهوم الشرعي للجماعة الجهادية في قطرها، وهل هي بمثابة جماعة المسلمين ؟! ومسألة مشروعية تعدد الجماعات الجهادية في قطر واحد! وإن كان ذلك غير مشروع كما اعتقدت كثير من تلك الجماعات! فما مشروعية تعددها إذن في بلدان متجاورة أقيمت الحدود بينها من قبل الأعداء أصلاً ؟! وقد تطرف البعض من الجهاديين إلى الزعم بالحق في تصفية أي محاولة جديدة لإيجاد جماعة جهادية في بلد توجد فيه جماعة جهادية ، حفاظاً على وحدة صف الجهاد !!

كـذلك مسـألة البيعـة في التنظيمـات ؛ وتفاصـيل قيامهـا وحلهـا وتبعاتها من الحقوق والواجبات. فقد ذهب البعض إلى أنها مجرد عهد أو أقرب للقسم يتحلل معطيها من تبعاتها متى أراد ذلك. ويكفيه على أبعد حد صوم ثلاثة أيام كمن تعذر عليه وفاء النذر. في حين ذهب البعض إلى أن بيعة التنظيم مثل بين الإمام الأعظم لا يمكن للعنصر أن يخرج منها إلا أن يرى كفراً بواحا عنده فيه من الله برهان**!!**

وكذلك مسألة الشورى والإمارة في التنظيم: وحقوق الأمير وطريقة تعينه، ومدة ولايته، وطرق تغيره ، وحقوقه وواجباته. وكذلك موضوع الشورى ، وطريقة اتخاذ القرار في التنظيم ، وعلاقتها بصلا حيات الأمير ، والهيكليات المؤسساتية في الجماعة الجهادية وطرق إدارتها لاسيما في ظروف المطاردات الأمنية.

كـذلك إشـكالية المنـاهج السياسـية الشـرعية والفكريـة الـتي يختارهـا التنظـيم: مـع عـدم وجـود الكـوادر القـادرة علـى وضـعها في معظـم الأقطار. واستيراد ذلك من أفكار تنظيمات مجاورة.

بالإضـافة لإشـكالية متفرعـة عـن المنـاهج ، وهـي إشـكالية منـاهج التربية وآليات تطبيقها على العناصر الجدد. وما توجده الحالة الأمنية والسرية من إشكاليات لتنفيذ أي برامج تكوين وتربية.

إلى آخـر ذلـك ... حيـث لم تسـتطع التنظيمـات الجهاديـة نتيجـة الظروف الأمنية والمطاردات، وقلة الكوادر القادرة على التنظير، وشبة

انعدام وجود علماء أوحتى طلاب علم شرعيين أكفاء.. لم تستطع أن تحسم تلك الإشكالات والأزمات الفكرية. وانعكست بالتالي هذه الأزمات الفكرية في كثير من الأحيان على شكل أزمات تنظيمية أضافت مزيداً من الاختناق لسلسلة أزمات الجهاديين في العقد الأخير من القرن العشرين.

5- أزمات سياسية وإشكاليات في العلاقات العامة :

وسط الصحوة الإسلامية وكذلك مع أوساط المعارضات السياسية العلمانية ، حيث وقفت معظم أوساط الصحوة الإسلامية من صراع الجهاديين مع السلطات المرتدة القائمة، موقفاً يتراوح بين الحياد والوقوف موقف المتفرج ، وبين السلبية والعداء للجهاديين و تأييد مواقف الحكام الطغاة ، بدافع الحفاظ على مصالحهم الحزبية أو الشخصية !!

ونتيجة العقلية الثورية لمعظم الجهاديين وطبيعة الانفعال وردود الأفعال على الحصار اتسمت ردود أفعال الجهاديين على أوساط الصحوة وقياداتها وكبار علماء المسلمين في كثير من الأحوال بالتشنج والعنف. وقد كان لردود الأفعال هذه ما يبررها في معظم الأحوال ، تجاه قادة صحوة وعلماء يصفقون للكفر الحاكم ويمتدحونه، ويبررون الإحتلال وغزوات الصليبيين بدعوى الضرورة والاستعانة ، ويجوزون

التطبيع مع اليهود ...، أو يقفون من ذلك موقف البلادة والتفرج واللامبالاة !!.

ولكن واقع الحال وبصرف النظر عن تبريره أو عدم ذلك ، فقد كان واقع الحال هو عزلة الجهاديين في أوساط الصحوة. ولم يستطع قيادات الجهاديين إلا بعضهم وفي حالات نادرة الحفاظ على علاقات سياسية وطبيعية مع أوساط الصحوة. ودخلت الأدبيات الجهادية في ذلك العقد القاتم من الأزمات (1990-2000م) ، دخلت في معارك إعلامية ومهاترات مع مختلف أوساط الصحوة وأحزابها ورجالاتها..

وقل مثل ذلك وأشد منه عن أزمة العلاقات بين الجهاديين وبين أوساط المعارضات العلمانية الوطنية والقومية واليسارية في العالم العرب الإسلامي، فقد قامت علاقة الجهاديين بأولئك على أساس قاعدة التكفير والعداء ، كما هو حال معظم أوساط الصحوة الإسلامية مع الوسط العلماني ولاسيما في العالم العربي. ورغم أن معظم تلك القطاعات العلمانية وأحزابها ورجالها قد عانت وما زالت تعاني من قمع الحكومات ، وتقع مع الإسلاميين و الجهاديين في خندق الاضطهاد ، وكان بالإمكان أن يكسب الجهاديون منهم بعض الشخصيات المعتدلة تجاه الظاهرة الدينية ، أو حتى جرهم لميدان الحياد، إلا أن التشنج من جهة ، والتوجس من جهة ، وعدم الثقة والعداء التاريخي من جهة أخرى ، بالإضافة إلى عدم وجود الكوادر

السياسية المؤهلة في قيادات التيار الجهادي لإقامة مثل ذلك الحوار، وقيام قاعدة التواصل لدى الجهاديين على المفاصلة مطلقا دون اعتبار لهوامش فن الممكن.. وإنما على قاعدة (حمل السلم بالعرض) في سوق ازدحمت فيه الجماعات والشخصيات والبرامج والمناهج..

كل هذا أسفر عن حشد أكبر كمية من الأعداء في مواجهة الظاهرة الجهادية. وقد فاقم هذا من الأزمات والحصار.. ليسفر مع كل ما سبق من الأزمات عن الأزمة الشاملة، وعنوان ونتيجة كل تلك الأزمات هو الأزمة التالية:

أزمة الفشل في تحقيق الهدف وثبوت عقم الوسيلة:

كان هدف جميع التنظيمات الجهادية التي تحركت منذ الستينات وإلى انصرام القرن العشرين هو باختصار: (إسقاط الحكومات المرتدة القائمة في بلادها. وإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة على أنقاضه).

وأما وسيلتها في ذلك فكان العمل المسلح ضد تلك الحكومات عبر تنظيمات ؛ (قطرية المجال – سرية الأسلوب – هرمية البناء).

وباختصار أوصلت التجارب الجهاديين عبر نصف قرن من المحاولات ، ولاسيما بعد تفاقم أزمات العقد المنصرم إلى الفشل في تحقيق تلك الأهداف، وثبوت عقم تلك الوسيلة لأسباب كثيرة. أسباب أغلبها خارجي، نتيجة تكالب قوى الكفر العالمية والردة الملية

عليها. ونتيجة وقوف أكثر علماء الأمة إما في مواجهتها مثل ما فعلت جبهة علماء السلطان ، وأما موقف المتفرج الذي لا علاقة له في ذلك الصراع. وكذلك نتيجة إعراض عامة الشعوب الإسلامية عن القيام بواجبها في مواجهة كل أمواج الظلم والظلمات التي طغت على واقع المسلمين.. بالإضافة للإشكالات والأزمات الداخلية التي ابتليت بها التجارب الجهادية..

وهكذا فشلت كافة التجارب كما مر معنا في الاستعراض التاريخي لأهم تلك المحاولات. فشلت جميعها في تحقيق ذلك الهدف. وكان آخرها فشلا التجربة الجزائرية التي ختمت وبشكل مأساوي تلك التجارب.. كما أثبتت الوسيلة وهي (التنظيمات القطرية السرية الهرمية) عقمها ، وعدم إمكانيتها في تحقيق ذلك الهدف. ولاسيما بعد ما قام النظام العالمي الجديد، الذي أوصل أساليب تلك الوسائل للانهيار وجعلها من مخلفات الماضي ، في عالم العولمة ، الذي عولم عملية المواجهة وجعل تلك الأساليب والمحاولات والأهداف وتكتيكاتها من أرشيف التاريخ.

▪ المتنفس في رحاب طالبان والإمارة الإسلامية (1996–2001م) والفرصة الضائعة:

اجتمع في أفغانستان في ظل طالبان منذ مطلع 1997م عدد لا باس به من أبرز كوادر التيار الجهادي من قيادات التنظيمات والشخصيات التاريخية وطلاب العلم وأصحاب الخيرة والرأي والدراية فيه من مختلف الأقطار العربية. وكان جو الأمن والبحبوحة والاسترخاء وكل معطيات الأجواء المناسبة فرصة تاريخية وذهبية لكي يتفكر أولئك الرجال في حلحلة تلك الأزمات والخروج بتصورات تشكل بداية مرحلة جديدة من الانطلاق. فقد اعترف الجميع بوجود الأزمات وضرورة التطلع إلى حلها. وتعتبر المدة التي قضيناها إذاك وهي زهاء 5 سنوات كانت كافية نسبياً لتحقيق عملية إعادة البناء.

ولكن المفاجأة كانت في أن (الفكرة القطرية) و(الحزبية التنظيمية) برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة أيضا عبر معسكرات ومضافات وجماعات بنت تصوراتها على أساس (قطري – سري –هرمي) مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام منذ 1990م وعلى الأبعد منذ 1995م وما جرى في الجزائر وغيرها استحالة تحقيقه في ظل النظام العالمي الجديد.

ولست هنا بصدد التفصيل عن المرحلة ، ولكن أشير هنا إلى أن تلك العقلية (القطرية – الحزبية التنظيمية) أضاعت فرصة ذهبية على

التيار الجهادي. ولم يستطع دعاة الفكرة الأممية في المواجهة ، لا الشيخ أسامة والقاعدة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية على الأقل. ورغم أن الشيخ أسامة كان المرشح الأساسي لإقناع الآخرين بذلك إلا أنه فشل بذلك، وذلك لأسباب تعود عديدة كان من أهمها تصوراتهم القطرية والتنظيمية من جهة، وافتقار القاعدة للمنهجية الواضحة بحسب مقاييس الجهاديين وكذلك عم وضوح البنية المؤسساتية فيها. فكان هذين العاملين أهم العوامل في ضياع تلك الفرصة. فقد كان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد ، مستغلين الظروف المواتية ، والالتفاف جميعا حول مشروعية أمير المؤمنين (الملا مُحَّد عمر). ورمزية الشيخ أسامة العالمية. ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهود الساعية في ذلك والتي قام بها البعض من المستقلين الذين كنت واحداً منهم – حيث دعوت كبار القوم ولأكثر من مرة في عدة مناسبات لإقناعهم بذلك دون جدوى. وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وجاء سبتمبر ليضع حداً لتلك الفرصة الذهبية ويطوى في كنف الغيب سر ما إذا كانت ستتاح فرصة جديدة للجهاديين يكون الجيل القادم منهم قادراً على تحقيق ما عجز عنه أولئك السلف المجاهد الذي أدى دوراً ريادياً في مواجهة أعداء الإسلام وحلفائهم من المرتدين ،

ولكن الأزمات والمصائب كانت أكبر من إمكانياتهم في تحقيق الأهداف. ولعل في القدر القادم ما يبشر بتحقيق ما فات من الفرص، ولكل أجل كتاب.

عاشراً: الأفكار التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة منذ (1996-2001م):

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العشرين ، كان التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة. وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهادية قد وصلت إلى طريق مسدود. وأن الأزمات المتنوعة قد وصلت قمتها. وأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً..

فقد تتابع فشل المحاولات الجهادية، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى. وتفككت معظم التنظيمات. وساح من بقى على قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر المجاهدة ، أو الأنصار والموالين الذي ساعدوهم في حركاتهم بالإضافة إلى كم كبير من أسرا الشهداء ، من النساء والأطفال في أحوال إنسانية بالغة المأسوية. كما تزايدت الأزمات التي أشرنا إليها

سابقاً في كافة المجالات الفكرية والسياسية والمالية والتنظيمية.. إلى آخر قائمة الأزمات الخانقة.

وكانت خاتمة الصدمات والأزمات في الكارثة المروعة التي آلت إليها تجربة الجهاد في الجزائر بعد أن تمكنت أجهزة الاستخبارات من تفعيل بذور التطرف والجهل في صفوف بعض المجاهدين الجزائريين ، وذلك بزرع عملاء الاستخبارات، ليدفعوا بالقضية إلى متاهات التكفير والإجرام والمجازر الدموية. وشكلت أخبارها المفزعة المحزنة صدمة هائلة للجهاديين وأنصارهم وكل المؤمنين بفكرة العمل المسلح.

وهكذا.. بدأ كبار الجهاديين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عن الحلول والمخارج.. وقد شهدت مثل هذه المراجعات والمناقشات في الملاذ الآمن للجهاديين في أفغانستان ، بعدما هاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التيار الجهادي إلى الإمارة الإسلامية التي أنشأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديين إلى ثلاثة مدارس تجلت كل واحدة منها في محاولات عملية. ووجهة حركة جديدة. وكانت على ثلاثة أقسام محركة سميتها كما يلي:

1- مدرسة الاستسلام وإلقاء السلاح والمبدأ.

2- مدرسة الثبات على المبدأ والاستمرار في الأسلوب.

3- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها.

ولنتناول كل واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

1 - مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزماتنا كجهاديين جاءت نتيجة لحمل السلاح ، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب. فالحل هو في إلقاء السلاح والبحث عن طرق عمل أخرى..

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة التي صرح أصحابها بفحوى دعوتهم صراحة مع منتصف التسعينات تود إلى أواسط الثمانينات منذ بدأت الحركات الجهادية تتراجع وتواجه الأزمات والهزائم. وكانت غالباً ما تطرح في كل قطر إثركل هزيمة عملية لمحاولة من محاولات الجهاديين .. فقد كان أول من طرحها قيادة الإخوان المسلمين في سوريا إثر (فاجعة حماة) سنة 1982م. وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصلح مع النظام). وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء لمتابعة طرق أبواب (حافظ أسد) التي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً. وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق الباب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قد خطى خطوات فعلية نحو الاستسلام تحت مسمى الصلح. ونزل

العديد من عناصرها تحت عروض الدولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العملية أي تفاصيل سياسية، فقد كانت عمليات استسلام وتوبة فردية تقريباً ، نزل فيها بعض العناصر من الطليعة ، ثم من الإخوان بشكل فردي ، ووقعوا بيانات (توبة) كتب في أعلاها :

﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص:17)

ولكن الإخوان المسلمين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة) ، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي ، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسية والدولة والنظام. ولكن حكومة حافظ أسد ، ووفق مشورة شيطانية من بعض علماء السلطان فيها، وعلى رأسهم الشيخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره ، اشترطوا على الإخوان جملة من الشروط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العلني بخطئهم في حمل السلاح! وجرائمهم في مواجهة الدولة ! وكتابة أبحاث سياسية شرعية يدللون فيها بالآيات والأحاديث على خطأ مسلكهم !! ثم النزول تحت قانون العفو بشكل فردي و ليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسعودية والخليج والخارج كي يقبلوا .. واستمرت عروضهم بالصلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا (علي صدر الدين البيانوني) على وسائل الإعلام وشاشات الفضائيات يعرض الصلح ويعرض طلباته التي تقلصت إلى مطلب

واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الديمقراطية والتعددية السياسية)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا برامج. ومع ذلك ما زال النظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء. مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدولة والشعب والوطن. وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل وفعل في الثورة التي استشهد أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السورية في أنحاء العالم. تحت قانون العفو وكتب كل واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذ خرج من سوريا والجهاد إلى أن عاد. وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرة أخرى، وباستجواب آخرين. ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم ، وتحويل الضعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السياسية الإسلامية. وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون ، ورفضها الشيخ راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد على استراتيجية الثبات في مواجهة النظام التونسي وأشباهه من الحكومات الطاغوتية ولو سياسيا على الأقل !..

وفي الجزائر عرض النظام أواسط 1996م بعد أن فكك المجموعات المسلحة واخترقها وحرف مسارها إلى التكفير والإجرام والمجازر، وورط بعض فصائلها فيها ، وقام هو بنفسه بعض المجازر وألصقها بهم. فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني). حيث تبرع العديد من فقهاء السلاطين في السعودية وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للمسلمين بالاستسلام والنزول من الجبال. حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السلاح لمبادرات فردية.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات والطروحات الاستسلامية من ضمن التيار الجهادي كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) التي قامت بها الجماعة الإسلامية في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السلاح ونبذ العنف من طرف واحد ، دون طلب مقابل من الدولة إلا دعوتها للإفراج عن الإسلاميين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة 1996م وإلى أواسط 2003م حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصرية معها. وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإسلامية في مصر الإشارة لتلك المبادرة التي كان أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التاريخية للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج الجهاد المسلح واصفينه بالعنف ، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهية والفكرية للفكر الجهادي والسياسي الشرعي لأصول التيار الجهادي يطول

شرحها والتعليق عليها. ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأ تاريخياً ووصفه بأنه كان شهيد الفتنة. فصار الطاغوت المرتد شهيدا !! وصار جهاد أسياده اليهود فتنة. وسأحاول إن شاء الله العثور على سلسلة تلك الكتب والأبحاث لدراستها والرد عليها وتفنيد ما فيها إن أعان الله ثم سنح الوقت وكان في العمر بقية. فسد هذه الذرائع من أهم مواطن الدفاع عن التيار الجهادي بصرف النظر عن احترامنا لتاريخ الذي أقدموا عليها وعذرهم في ضروراتهم. ولكنه رد فكري على فكر مطروح بصرف النظر عن قدر أصحابه. حيث أنهم عرضوا ما عرضوا وهم أسرى ، خرجوا من السجون من الأسر الأصغر للأسر الأكبر. ولا عبرة لآراء فاقد الإرادة. وأعانهم الله في محنتهم ، وتقبل منهم ما أحسنوا وتجاوزوا عما قصروا به أو أكرهوا عليه.

ثم تتابعت طروحات هذه المدرسة و استعلن أصحابها بعد سبتمبر 2001م والهجمة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا. متخذين من مبادرة الجماعة الإسلامية وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل والإرتداد على الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهادي والأسس العقدية للسياسة الشرعية.تحت ضغط الآلة الإعلامية الرهيبة لأمريكا وأذنابها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السعودية على مجموعة من فقهاء الجهاديين وعلمائهم في السعودية ، وأكرهتهم

أو أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المجاهدين لها و للقوات الأمريكية على أرض الحرمين بإلقاء السلاح. حيث جندت وسائل الإعلام السعودي عشرات العلماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطروحات وهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم و الانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحل في إزالة سبب الأزمة بحسب تصورهم ، وهو (حمل السلاح). ومن الطبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته ، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمونه باسمه الصريح ، وهو(الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التبريرات والفقه الذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة (الصلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنية) وتارة (مبادرة نبذ العنف).. وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقل والواقعية. تعددت الأسماء والاستسلام واحد.

وكانت المصيبة هينة لو أن أصحاب تلك الأحوال أعاذنا الله مما استعاذ منه رسول الله ﷺ ؛ من الهم والحزن ومن العجز والفشل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدين وقهر الرجال. كانت المصيبة هينة لو امتلك القوم الصراحة والشجاعة و خرجوا للناس ليقولوا: (يا قومنا بذلنا وسعنا ، وقدمنا طاقتنا ، وخَذلنا من خَذلنا ولم نستطيع إلا ما

بلغ جهدنا ، وها نحن ندعو للهدنة أو للسلم أو حتى نعلن الاستسلام، فقد خسرنا الجولة وسيبعث الله لهذا الدين من يقوم بأمره وينصره ولعل فيما تستقبل الأجيال من فرص خير مما عرض لنا). فيحلوا جماعتهم أو تنظيماتهم وينسحبوا من ساحة المواجهة.

ولكن المصيبة كانت أعظم عند ما أطلقت الأسماء الجذابة على حقيقة الاستسلام و وجدت لها التبريرات. وبلغت الطامة مداها عند ما بدأ كتابهم وفقهاؤهم ينظرون ويفتون من أجل الخذلان والاستسلام للأعداء. وينقضون غزلهم وغزل غيرهم مما رسخه المجاهدون في سبيل الله وأثبتوه بدمائهم عبر السنين عبر مسار العذاب والعناء على درب الشهادة والثبات. حيث تقطع هذه الجهود المهينة الطريق على شباب الأمة القادم كي لا يسير على خطانا كي لا يحاول الكرة تلو الكرة عساه يحقق ما لم نوفق إلى تحقيقه. وهذا بالضبط ما قصد إليه العدو الماكر وأجهزة استخباراته ومراكز دراساته النفسية والأمنية. يريدون أن يقتلوا بذور الثورة على الظلم والاضطهاد، ومحاربة الكفر والاحتلال. وأن يئدوا أفكاره في مهدها. إنها محاولتهم لإطفاء نور الله بأموالهم جاهلين أو متجاهلين بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكم كنت أقف حائراً عندما أقرأ في آثار السيرة. أن أبا جهل بن هشام لعنه الله. لما أثخن في بدر، وعلا صدره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ليحز رأسه.. فسأله أبو جهل وهو في النزع الأخير: لمن

الدائرة اليوم ؟ فقال عبد الله بن مسعود له: لله ورسوله وقد أخزاك الله. فقال ذلك الجبار العنيد: بلغ مُحَّداً أني ما ندمت على عداوته ولا ساعتي هذه !! ثم هلك..

وكنت أعجب.. كيف يأبى ذلك الكافر وقد هزمت رأيته وأزهقت نفسه ورغم أنفه ، وهو يرتحل إلى جهنم ، يأبى إلا أن يثبت كبرياءً وثباتاً ، وعزة نفس وإخلاص لما كان عليه رغم أنه الضلال..

وأتمنى لو أسعفتنا رجولتنا ونخوتنا وكرامتنا. واحترامنا لدماء شهداؤنا، وعذابات أسرانا ومشردينا ، ودموع أراملنا وأيتامنا ، بل لو تأججت في صدورنا الحمية لديننا ورايتنا ، والحق الذين جاهدنا لأجله لنقول لأعدائنا إذ خسرنا بعض الجولات ، وانهزمنا في بعض المحطات والمعارك في هذه الحرب الأزلية المفتوحة، أن نقول لأعدائنا:

بلغوا فراعنتكم وأسيادكم ، من الطواغيت ، وأسيادهم من اليهود والنصارى : أننا ما ندمنا على عداوتهم ولا في أشد ساعات الاندحار والتضحيات. وأننا واثقون من أن نصر الله قادم. وسيحمل راياته الظافرة من سيسير على دربنا ، ويهتدي بخطانا كما اهتدينا بخطى القافلة السائرة من قبلنا ، الموصولة بتتابع السائرين والمجاهدين منذ قادها سيد المرسلين ﷺ. ونحن على الحق إن شاء الله سواءً كنا منتصرين أو مهزومين في هذه المواجهة العقيدية.

فكيف لا نجد مثل هذا الثبات والإباء الذين بذله كافر يستقبل النار!! كيف لا نجده ونحن سنستقبل الجنة إن شاء الله ؟! ونحن نؤمن أن الله مولانا ولا مولى لهم.

آه لو فقه الخائرون بشارته ﷺ لخباب رضي الله عنه حين جاءه يسأله أن يدعو لهم بالنصر ، وقد أنهكه ما نزل به وبإخوانه - رضي الله عنهم - من العذاب .. فحدثه عن تضحيات من سلف وبشره ، وقال له ولكنكم تستعجلون.

2- مدرسة الثبات والاستمرار على درب الجهاد والمواجهة:

وقد تبنى هذه الطريقة معظم الجهاديين ، من التنظيمات والجماعات الجهادية وكوادر ورموز التيار الجهادي وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب.. وقد كان هذا موقف معظم تلك الكتل والرجال الذين فاؤوا إلى أفغانستان في عهد طالبان. حيث عادت الهمم الشامخة والنفوس التواقة للعمل والعطاء عبر مسار الأعداد والحركة الدؤوبة. وقد رأى هؤلاء في الثبات فريضة شرعية لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ولكني لاحظت من أولئك الثابتين تقبل الله منهم أن ثباتهم كان ذا شقين :

1- ثبات إيجابي 2- ثبات سلبي.

فأما الثبات الإيجابي: فهو الثبات على المبادئ والقيم والراية والأمانة. من أجل كل الدواعي الشرعية الداعية لذلك. ولأجل ما تفرض دواعي الكرامة والعزة والإباء والحمية للمقدسات.

وأما الثبات السلبي: فهو ما لاحظته من ثبات أولئك الأخوة على طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التنظيمية بكل مقوماتها وطرقها. فقد استمرت التنظيمات بالعمل وفق مفهوم (القطرية والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق ، وهو الإطاحة بالأنظمة المرتدة لإقامة أئمة تحكم شرع الله في بلادها ، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التنظيمات ..

وبدا وكأن كل التغييرات الهائلة التي أحدثها انطلاق النظام العالمي الجديد وأنظمة مكافحة الإرهاب وانهيار الهوامش الأمنية والملاذات بين الدول وكل ما أسلفنا من الدروس والعبر لم تترك كبير أثر على أساليب عمل معظم الجهاديين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المرحلة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

3- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها:

وكان خلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل.. أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم

الحق الذي فيها. وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة ، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب ، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطق العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ 1996م. وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق. وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة..

نظرة في محاولات الجهاديين تجاوز أزمة التيار الجهادى خلال نهايات القرن العشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتها بخلاصة ما تكون عندي من أفكار، خلصت إلى النتيجة التالية في المدارس الثلاثة آنفة الذكر وهي على الشكل التالي:

أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسلام) وإلقاء السلاح وتنكب طريق الجهاد ، تمثل مدرسة ساقطة الأفكار شرعاً عقيمة النتيجة واقعاً. بما تدل عليه نصوص الشريعة ، وما تفيدنا به تجارب الماضي في بلادنا وفي تجارب الأمم كلها.

فما لم نحصله بالجهاد والسيف لن نحصل عليه بالهزيمة والاستسلام، لا على مستوى الأهداف ولا حتى على مستوى النجاة الشخصية.

ثانيا: أن مدرسة الثبات على طريقة الجهاديين ، وبحسب طريقتهم القديمة ، لن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفا رغم أن ظروف عملنا ومعطيات واقعنا قبل قيام النظام العالمي الجديد كانت أفضل وأكثر ملائمة. ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج التفكير ووسائل العمل من تحقيق الأهداف ، فما بالك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالمية لا يمكن العمل من خلالها بتلك الطرق بحال. وقد أثبتت السنوات الخمس (1996-2001م) عقم تلك الطرق وعدم تمكن التنظيمات الجهادية القديمة أو المحاولات الجديدة من البعض من تحقيق أي نتيجة أو تقدم ، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا من الشهداء والمأسورين ، من خلال المحاولات المحدودة التي قاموا بها، بالإضافة لتفاقم آثار حملات تجفيف المنابع والتشويه الإعلامي

والمطاردات الأمنية في عزل تلك الشراذم وما تبقى منها عن بلادها ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعيش على الذكريات وآمال الماضي ، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا: أن الدعوة التي طرحها الشيخ أسامة وعملت على أساسها القاعدة باتخاذ المعركة مع أمريكا تمثل بوابة إلى تصحيح مسار الجهاد وحشد الأمة و التحرك من خلال ذلك إلى ما يلي من أولويات في حلحلة إشكاليات واقع المسلمين. وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية ، ومناسبة ما استجد من ظروف النظام العالمي الجديد.

وقد رأيت فيها أملاً وفرصة تجديد وانطلاقة قوية لتصحيح مسار الجهاد والتيار الجهادي، إن وفقت إلى إحداث توجه جدي نحو التأصيل المنهجي اللازم لذلك ، والتطوير في الإدارة والأسلوب بما يتناسب مع المرحلة. وأملت أن يوفقوا إلى الطرق المناسبة الصائبة في الوسيلة إلى تحقيق ذلك كما وفقوا إلى التحديد الصائب للهدف والطريقة. فقد كان هذا التجديد الكبير والتحول في الهدف وطريقة العمل يحتاج إلى جهود كبيرة في تطوير منهج وأساسيات التفكير كما يحتاج إلى تطوير كبير في أساليب وضع تلك الأفكار على الأرض موضع التنفيذ.. ولكن الأحداث كانت أعجل من أن يمكن تحقيق ذلك وهو أمر يحتاج لوقت أطول.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت بضرورة إطلاق نظريات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الذي يقتضيه ذلك التحول في المواجهة.

وبعد تفكير طويل واستفادة من مخزون تسلسل وتطور تلك الأفكار عندي عبر عشر سنوات كما بينت في المقدمة. طرحت في ساحة أفغانستان ما اعتبرته بداية مدرسة جديدة في محاولات إصلاح مسار التيار الجهادي والعمل على إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(**دعوة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية**) التي تقوم نظرياتها على أسس ثلاثة:

أولاً – **الثبات** ، ثانياً– **التصحيح** ، ثالثاً– **التطوير**.

وعملت على مناقشة تلك الأفكار مع من استطعت مدارسته من قدماء التيار الجهادي وكوادره خلال فترة (1998– 1999م) ثم اقتنت بضرورة إنشاء نواة تجمع جهادي جديد لبلورة أفكار هذه الدعوة ووضعها موضع التنفيذ. وقد ابتدأت مع مطلع عام (2000م).

ثم جاءت أحداث سبتمبر.. وخلطت جميع الأوراق وبعثرت تداعياتها جميع الجهود وقلبت جميع الأوضاع ووضعت جميع الجهاديين بل الإسلاميين بل جميع المسلمين بل كل العالم ، أمام مرحلة جديدة بمعطيات جديدة قسمت العالم كله إلى معسكرين حددهما رئيس أمريكا وهم يطلق ما أسماه (الحملات الصليبية الجديدة) بكل

صراحة، فقد قال باختصار: (**من ليس مع أمريكا في حربها فهو ضدها .. ولا مكان للحياد**)..

ثم قتل في تداعيات أحداث سبتمبر وأسر معظم من تبقى من كوادر جيل التيار الجهادي الماضي فتلاشت الكيانات وتفككت ، وتبعثر من بقى من الأحياء وتناثروا.

ثم غزت أمريكا العراق ، ووضعت مخططات لاحتلال الشرق الأوسط والسيطرة على العالم الإسلامي وأوجدت أوضاعاً جديدة جعلت المدرسة الجهادية الوحيدة الممكنة عملياً هو جهاد صائل أمريكا وحلفائها كخيار وحيد وإجباري وأقنعتني بأن ما كنت قد توصل إليه سنة 1991م ، من ضرورة إحداث تحول في التيار الجهادي نحو العولمة ، وحصر الجهاد في مشروع مقاومة شاملة لأمريكا وأعوانها، وما تداعى لدي ولدى أمثالي ممن رأوا ذلك هو التصور الصحيح والذي فرضه الواقع الجديد كإمكانية وحيدة وإجبارية..

۞۞۞۞۞۞۞

منطلقات دعوة المقاومة وآلية استخراج نظرياتها

بعد أن غطى الجزء الأول الذي نشرف على أواخر فصوله هنا، كافة المقدمات التاريخية والسياسية والفكرية والمنهجية التي تبرر وتوضح منطق ما سيلي من أفكار سأفصلها في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله. وهي خلاصة نظريات المقاومة الإسلامية العالمية ودعوتها وطريقتها بحسب ما أعتقد أنها الوسيلة الناجعة للمواجهة في تلك المرحلة إن شاء الله. سأبين في الفقرة التالية الأصول التي انبثقت عنها نظريات عمل المقاومة الإسلامية العالمية كما أتصورها إن شاء الله والله الموفق.

المنطلقات الثلاثة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية ونظرياتها: الثبات، والتصحيح والتطوير:

تنبثق كافة نظريات دعوة المقاومة من خلال أسس ثلاثة خلاصتها ما يلي:

أولاً: الثبات:

الثبات على طريقة الجهاد كحل أوحد لمشاكل المسلمين عربهم وعجمهم في بلادنا وفي كل مكان. وقد أسلفت في الفصل الثاني من هذا الكتاب المبررات الشرعية والمنطقية والواقعية التي تثبت أن الجهاد المسلح هو الحل .. وأكرر هنا رداً على من زعم من (الجهاديين المتراجعين) وغيرهم من الإسلاميين أن وضع السلاح والعودة إلى الطرق التي يسمونها زوراً (مشروعة) أو (قانونية) ! هو تصور مردود شرعاً، ساقط عقلاً ومنطقاً. فليس لنا بعد أن أثبتت كل الأدلة الشرعية المستندة للواقع أن الجهاد ودفع هذا الصائل وقتال الحملات الغازية وأعوانها من المرتدين والمنافقين هو فرض عين على كل مسلم، ليس أوجب بعد توحيد الله منه ، وهو أشد فرضية من كافة فرائض الإسلام الأخرى بعد الإيمان ؛ لم يعد في وسع مسلم أن يتمحك

الأعذار ويبحث عن الحلول الأخرى إذ يقول الله تعالى: ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾.

فأما وقد تعينت الفريضة فالثبات على أدائها هو فريضة شرعية ليست محل بحث وأخذ ورد بحسب أفكار العقول وأهواء النفوس.

وحتى عقلا ومنطقا ، فكيف يسوغ رؤية الحل بإلقاء السلاح وقد نشرت أمريكا أكثر من مليون ونصف جندي أمريكي في ما تسميه (منطقة العمليات الوسطى) الممتدة من الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والقفقاس وأفغانستان شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي في المغرب غرباً ، عبر ما يقارب خمسة وعشرين بلداً تشتمل على كل العالم العربي ومعظم الإسلامي ؟ ، وهاجمتنا بكل أسلحة التكنولوجيا الحربية ، معلنة راية الحملة الصليبية ومجاهرة بأهدافها صراحة ، تلك الأهداف التي تشتمل على احتلال الأرض ونهب الثروات ، وتقسيم الدول وتبديل الأنظمة، وفرض تغير المناهج الثقافية والفكرية والدينية والتاريخية..! يريدون دمار بلادنا ، ونهب أموالنا ، وسفك دمائنا ، ومسخ مكونات شخصيتنا الدينية والقومية والحضارية ! كيف يسوغ مع ذلك أن لا يكون الثبات على مبدأ الجهاد وحمل السلاح هو مقتضى الدين والعقل.. هذه حقيقة تستوجب الإشارة والتأكيد ولا

تستدعي الإثبات والبرهان ، لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة ومن الثابت بالعقل بإجماع كل العقلاء وأكثر المجانين..

كيف لا يكون الجهاد هو الحل والثبات هو مقتضى الدين ؟! وقد تسابقت الأنظمة المرتدة العميلة إلى وضع كل إمكانياتها العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية والإعلامية وكل شئ في سبيل خدمة الغزاة.. لهدف واحد فقط هو رضا الغازي عنها وإبقاء أولئك الفراعنة وأبنائهم الذين يصطفون على عروش ولاية العهد في الملكيات والجمهوريات على حد سواء ؟.

كيف لا وقد اصطفت المعارضات السياسية لتلك الأنظمة تريد إسقاطها ، ليس لمقتضيات الدين والشرف والإباء العربي والإسلامي.! ولكن لكي تعرض على المحتل الغازي خدمات جليلة أكبر من تلك التي تقدمها الأنظمة المرتدة العميلة القائمة؟ ولو أردنا الاستطراد لإثبات مقومات الثبات وما يفرضه شرعاً وعقلاً لاحتاج المقام إلى مئات الصفحات.. ولكن تكفي الإشارة وما مضى من أدلة شرعية وواقعية..

فالثبات على مبدأ الجهاد والقتال ورفع السلاح في وجه العدو وأعوانه وعملائه من الكفار والمرتدين والمنافقين. هو الأساس الأول لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي ندعو إليها.

ثانياً: التصحيح:

إن من أساسيات معتقداتنا معشر أهل السنة والجماعة أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف ﷺ. فكل أفعال البشر وأقوالهم بمن فهم خيار المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاضعة لهذا الميزان. وهناك ثوابت في منهجنا الجهادي هي ثوابت من أصول ديننا ومعتقدنا. وهي غير قابلة للتبديل والتغير وليس لنا ولا لأحد أن يلعب بها. ثوابت تستند على أصول عقائدنا كمسلمين ، وأصول معتقدنا الجهادي كجهاديين ، مما استقر عليه منهاجنا. من أحكام توحيد الحاكمية، وأسس عقائد الولاء و البراء.. إلى آخر تفاصيل ذلك.

ولكن كل ما عدا ذلك من الأفكار والتصورات والآراء التي طرحت في التيار الجهادي والأحكام الاجتهادية والمفاهيم التي انبثقت عنها، وكل أساليب العمل التي جربت ، من وسائل حركة وبرامج واستراتيجيات ، فنجحت حينا وفشلت حينا.. ، كل ذلك التراث من المفاهيم والتجارب ، هو تراث يجب أن يخضع للتقييم والمراجعة الآن ، بعد أن تراكمت لدينا معطيات الفشل ، وحشرنا في قعر الأزمة بل الأزمات.

فتكرار الأساليب وتبني المفاهيم التي تبين من خلال المراجعة أنها من أسباب النكبات والنكسات والفشل، إما لخطئها وإما لأنها قد

صلحت في زمانها ، ولم تعد تصلح لتبدل الزمان والمكان والبشر، وطباعهم وقوانين حركتهم ومستوى تطور حياتهم؛ يجب أن تصحح أو تعدل أو تلغى ، بحسب ما يقوم الدليل الشرعي أو العقلي المنطقي على وجوب ذلك.

فالمسارات مثل الخطوط المستقيمة بين نقطتين ، لا يمكن بتكرار السير عليها إلا الوصول لنفس المحصلات والمحطات. والمقدمات المتكررة بحذافيرها ، لا يمكن إلا أن تؤدي إلى نفس النتائج. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالمحاسبة والمراجعة أثر كل نائبة فقال تعالى:

﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هم من عند أنفسكم** ﴾ (آل عمران 155) .

فأعادنا إلى أنفسنا لنتفكر في أخطائنا ومسارنا. وهذا يصح على كل سبيل ومسار، فردي أو جماعي.. أنفسكم ! "من عند أنفسكم"..!

وفي السنة **كما روي عنه ﷺ :" الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"**.

الكيس.. الذكي الفطن العاقل من بدأ بإعادة أسباب الخلل والفشل والخطأ إلى نفسه: فـ (دان نفسه) وتفكر في العاقبة والمآل.. فعجل لما بعد الموت بالخير الذي يرضى الله عنه. والله لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصاً لوجهه وكان صوابا.. إخلاص وإتباع للكتاب

والسنة. واحترام لسنن الله في هذه الأرض وإعداد للاستطاعة وهذا منهج الكيس العاقل.

وأما العاجز فمن أتبع نفسه هواها ، ومن أعظم دواعي الهوى إتباع المألوف ، وتقليد الكبراء ، والسير على ما اعتادت عليه النفوس، وعدم حملها على تغير مألوفها ومحبوبها.. وبعد هذا العجز يتمنى على الله الأماني.. أماني الانتصارات والنجاحات ، ولا يجنى من الشوك العسل. فالعجز لا يعطى إلا الفشل.

وهكذا اعتمدنا مبدأ التصحيح كأساس ثانٍ بعد الثبات. كمنطلق لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية القادمة بإذن الله. كي تقارع هذا العدوان والغزو القادم. وتقاوم وتسقط هذا الطغيان والكفر الحاكم.

ومن خلال مبدأ التصحيح وكأول حلقة في سلسلة مساره.. يأتي الفصل القادم كمساهمة أولى وطرح للحوار والمناقشة وهو (الفصل السابع) :

[حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً (1963-2003م) إنجازات يجب أن تستثمر، وأخطاء يجب أن تصحح ، وأساليب يجب أن تطور].

ثالثاً: التطوير:

إن من معجزات ديننا الحنيف ، ولأن نبيه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، ولأن شريعته خاتمة الشرائع.. جاءت قواعد أحكامه على نوعين:

- **ثابتة مفصلة:** لا مجال فيها للتغير والتبديل والتطوير.
- **عامة مجملة:** جاءت بخطوط عريضة، وقواعد عامة يسع ضمن إطارها الاجتهاد والتطوير والتغير بحسب تبدل معطيات الزمان والمكان والأشخاص والظروف..

فمثل أحكام العبادات وتفاصيلها ثابتة لا علاقة لها بتغير الزمان ولا المكان ولا الأشخاص.. ومثل أحكام المواريث لا تتبدل فالأب أب ، والأم أم ، وكذا الأخوة والأبناء ولا تتغير العلاقات بتغير الأزمنة، ولذا فصلت وثبتت أحكام الفرائض والمواريث. وكذا فصلت أحكام الطهارة ، فالطاهر طاهر، والنجس نجس ، والحدث حدث ، وحيض نساء آخر الزمان كحيض نساء أوله.. ولا تتبدل الأحكام.. إلى آخر ذلك من الثوابت. ولذلك جاءت أحكام هذه الأمور مفصلة جزئية كاملة تامة. ولكن كثيراً من أحكام العلاقات العامة ، وما يرتبط بحركة الإنسان ونشاطه مما تتغير ظروفه، قد ضبطت أحكامها بخطوط عريضة، ومن ذلك أحكام السياسية الشرعية.

فأحكام السياسة الشرعية :

أحكام مبنية على شريعة وسياسة ، والشريعة ثابتة وحلالها حلال، وحرامها حرام. والسياسة متحولة متبدلة. لأن مبناها على حركة البشر. وبتبدل أحوالهم تتبدل الأحكام والمواقف منهم. وقضايا الحركة والإدارات، والتنظيم والتدبير، وسياسة الناس ، وأساليب السلم والحرب.. كلها محل اجتهاد. وقد ملأ علماء الإسلام عبر مئات السنين المكتبة الإسلامية بنفيس الإنتاج والاجتهاد. وما يزال الباب مفتوحاً للأكفاء.

فجهاد الأعداء دين وفريضة ثابتة. ولكن كيفيته وأساليبه وأدواته ونظامه...، كلها متغيرات تركت الشريعة الباب فيها مفتوحاً للإبداع والعطاء البشري وفق ما يفتح الله على عباده.. والعبث بثبات الثابت لا يؤدي إلا إلى كوارث أقلها الفشل والهزيمة ، وأسوأها البوار عند الله تعالى جزاء على اللعب بمحكمات دينه تبارك وتعالى.

وتثبيت المتحول بتعطيل سنن الله تعالى في خلقه، والتضييق على عباده ، واختزال للآفاق التي وسعها الله سبحانه على عباده.

فمثلاً عند ما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة:123). تحرك رسول الله ﷺ بغاية الحركية والسعة ، فقاتل أعداءً قريبين وتجاوز عن بعضهم إلى

بعيدين. وهكذا بدا أن الذين يلونكم ليست تعني بالضرورة الأقرب مسافةً على وجه الإلزام الشرعي. وإنما تشتمل قرب الزمان وقرب الضرر والأذى. وهذا ما فهمه الفقهاء ولخصه الإمام الشافعي بقوله : في الأم (4/ 177):

[فإن اختلف حال العدو فكان بعض أنكى من بعض أو أخوف من بعض ، فليبدأ الإمام بالعدو الأخوف والأنكى ، ولا بأس أن يفعل. وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف لمن بدأ به لما لا يخاف من غيره مثلا. وتكون هذه بمنزلة الضرورة ، لأنه يجوز في الضرورة مالا يجوز في غيرها. وقد بلغ النبي ﷺ عن الحارث بن أبي ضرار أنه مجمع له ، فأغار النبي ﷺ عليه وقربه عدوا أقرب منه. وبلغه أن خالد بن أبي سفيان بن شح يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه عدوا أقرب].

فتجميدها على مفهوم المسافة والتتالي المباشر تثبيت لمتحول لا يؤدي إلا إلى الضيق والعنت. وهذا ما ألزم به البعض أنفسهم وقالوا لا نقاتل أمريكا وأعوانها حتى نقاتل العدو الأقرب وهم الحكام ، وجوبا ونصا. ولم يكن الأمر كذلك.

وقل أكثر من ذلك على الأدوات والأساليب والأسلحة والوسائل وطرق المواجهة... إلخ. فهي ليست ديناً ثابتاً ، وإنما وسائل متحولة متطورة.

ومن هنا كان الأساس الثالث لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي طرحناها هو التطوير.. تطوير فكرة الجهاد وأساليبه ووسائله.. وهذا المنطلق هو الذي ولد نظريات المقاومة في مناحي الحركة كلها والتي تشتمل على:

ا- الفكرة.

ب- الوسيلة.

ج-الأسلوب.

وبتفصيلها اشتملت على نظريات مطورة للعمل في المجالات الثمانية التي يقوم عليها العمل والحركة:

1 – **المنهج والعقيدة القتالية.**

2 - **السياسة وآفاقها.**

3 - **التربية وأبوابها وأساليبها.**

4 - **المواجهة العسكرية وأساليبها.**

5 - **التنظيم والحركة وبناء الكيانات الجهادية.**

6- **التدريب والإعداد وطرقها المناسبة.**

7- **تمويل الجهاد وطرق تحصيله.**

8- **الإعلام والتحريض وأدواته وأساليبه.**

وهي النظريات التي سنفصلها في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله.

وقد ولدت تلك النظريات من خلال آلية توليد ما نعتقده صواباً من خلال دروس وتجارب الماضي، وعبرة ما ثبت لدينا خطؤه ، أو عدم صلاحية استمرار العمل به.

وعلى كل حال وطالما أننا أثبتنا مبدأ التصحيح والتطوير لما سبق من تجارب وأساليب عمل وحركة ومفاهيم ومناهج ومبادئ اجتهادية ، فالمبدأ يبقى سارياً حتى على ما نطرح من أفكار وأساليب عمل وإدارات. نفترض صلاحيتها للمرحلة الحالية والمقبلة في المدى التطور. وهي أفكار من باب (الرأي والحرب والمكيدة) قابلة للتصحيح والتصويب أيضا.

وعلى السائرين على درب المقاومة والمجاهدة لأعداء الله أن يراجعوا أعمالهم في كل مرحلة ويحسب ظروف كل بلد أو مكان ويحسب زمان وتاريخ العمل ويحسب الأشخاص والأقوام العاملين ومن حولهم ويحسب تحول أحوال من حولهم من دوائر الأعداء وأنصار الأعداء والمجاهدين وأنصار الجهاد والعاملين المجاهدين وكل هذه متحولات تقتضي ديناميكية الحركة ورحابة الاجتهاد والتطوير..

وهكذا ونحن نتنسم هذه الروح وعبر دروس تجاربنا السابقة. أرجو أن تتسع الصدور ، وتتفتح الأفهام للحوار. وألفت النظر إلى أن هذه الطروحات تمثل دراسة نقدية من داخل الصف الجهادي ، فالحمد لله فإني ابن هذا المسار وأحد جنوده وأحد العاملين فيه وأرجوا أكون أحد شهداءه في سبيل الله إن شاء الله..

وقد حملت هذه المحاولة النقدية حنان المشفق وهو يتناول العلل ، مع جدية الباحث الذي يلتزم الإنصاف و الموضوعية والعملية. وارجوا أن أكون قد وفقت لما قصدته من الخير. فما كان من ذلك فهو من الله تعالى وما كان من قصور فهو من نفسي القاصرة والكمال لله..

وقد حرصت على منهج التقييم العام وتجاوزت عن ضرب الأمثلة المحرجة المباشرة قدر الإمكان. كي يؤلف هذا الكتاب أكبر كمية ممكنة من القلوب ولا يحرج أحداً وخاصة أخوة الجهاد ورفاق السلاح والمسار الطويل. فرحم الله من مضى ، وثبت من بقى وأعاننا على نكاية أعدائه وجمعنا وإياهم على خير..

وأعتقد أن هذه الطروحات ستصادف صدوراً رحبة حانية تغفر الزلة. و تأخذ بالنصيحة وتتجاوز عما تعتقده إساءة غير متعمدة. وأرجوا ألا يحمل الكتاب من ذلك شيئاً..

كما أعتقد أنه سيصادف صدوراً ضيقة ستتعامل معها بالتشنج، إما لرفض مبدأ النقد. وإما لمواقف مسبقة من المؤلف .. فسامحهم الله سلفاً ومن أحرى بالمغفرة والسماح من الإخوة المجاهدين في سبيل الله.

وأسأل الله تعالى العون على اقتحام هذه العقبات الصعبة في مثل هذه الأبحاث ، وأسأله الهدى لما يرضيه. ويجعل منه زاداً للمجاهدين في سبيله ويكتب لنا مثل أجور من انتفع بشيء من هذه النصائح ومضى لجهاد أعداء الله ، لا ينقص وأجورهم شيئاً.



الفصل السابع
حصاد التيار الجهادي في أربعين عاما
(1963- 2003م)

قال الله تعالى:

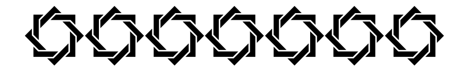
﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال رسول ﷺ عن هذه الآية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم﴾.

فقال رسول الله ﷺ: (**بل ائتمروا بالمعروف. وتناهوا عن المنكر. حتى إذا رأيت شحا مطاعا. وهوى متبعا ودنيا مؤثرة. وإعجاب كل ذي رأي**

برأيه ... فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام. فإن ورائكم " أيام الصبر". الصبر فيهن مثل قبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين. قلت يا رسول الله :أجر خمسين منهم. قال: أجر خمسين منكم).



الفصل السابع
حصاد التيار الجهادي في أربعين عاما
(1963- 2003م)

مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله:

لا شك أن هذا المبدأ هو من منهج القرآن ، وطروحات السنة ، وأساسيات الدين. كما أنه مسلك ثابت للصالحين. وطريقة معتمدة لدى كل العقلاء من كل ملة و دين. فقد نبه القرآن الكريم المؤمنين جماعات وأفراد، في أكثر من آية إلى اتباع هذا المنهج ، ولاسيما بعد الأزمات ودلالات الواقع على وجود أخطاء واعوجاجات ، أدت لنتائج من البلاء والنوازل أو العقوبات. فردهم إلى مراجعة أنفسهم. قال تعالى يخاطب صحابة رسول الله ﷺ بأسلوب صريح.

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165).

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:135).

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:2).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف:201) .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم:28 / 26) .

﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:43) .

والآيات كثيرة في هذا السياق. ومما في السنة الشريفة:

(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)...

وقد قال عمر ﷺ: "**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم** ".

وها نحن نرى اليوم هذا المبدأ معتمداً، لدى جميع الدول والحكومات ، والأحزاب السياسية، و الشركات الإقتصادية، وسوى ذلك من مختلف المؤسسات. فكل هذه المؤسسات إثر كل مرحلة أو خطة مرحلية ، تقيم أعمالها ، ونسب التقدم والتراجع ، وتجري حسابات الربح والخسارة ، وتدرس مستوى الأداء في المراحل التي انقضت. وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي ، حتى من غير مرورهم بأزمات أو خسارات. وأما في حال ذلك ، فإن أجراس الخطر تدق للشروع في البحث في أسباب

ذلك. فتبدل البرامج ، و تغير الإدارات ، وتحدد أماكن الخلل والتقصير والمسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون، أو حتى يحاكمون في حال ترتب على تقصيرهم ما يضر بالآخرين. بل إن التطرف يصل ببعضهم إلى الانتحار تعبيرا عن الشعور بالمسؤولية، أو للهروب من تبعاتها أمام أوساط لا تغفر التقصير وتبعاته على المجموع.. ومن أهم ما يدعو العقلاء إلى عمليات المحاسبة وتقييم المراحل الماضية ، تغير الظروف المحيطة ببرنامج عمل ما ، بشكل ينذر بعدم صلاحية البرامج والخطط التي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها. أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة. ويقصر المجال هنا عن ضرب الأمثلة الكثيرة ، من تجارب المسلمين وغيرهم ، وهي شواهد يعرفها كل من يعيش عصره ويحتك به ويطلع على ما يدور من حوله. خاصة من المثقفين ، بل حتى من عوام الناس في عالم اليوم.

الصحوة والجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم:

إذا ما عدنا لواقع الصحوة الإسلامية عموماً بمختلف مدارسها ، وإلى التيار الجهادي خصوصاً نجدهم أنهم من أبعد الناس عن هذا المنهج. فقد بدأت مساري في الإخوان المسلمين ، وعشت في هذه الصحوة وفي تيارها الجهادي خاصة ، واحتككت بالكثير من

شرائحها، واطلعت على كثير من دوائر الصحوة ، وخاصة بسبب كثرة أسفاري وعملي في مجال الفكر والكتابة والإعلام ... ورأيت وللأسف كيف أن أكبر الكوارث والانتكاسات والأخطاء ، وخصوصاً تلك التي أدت إلى فواجع على صعد كثيرة ، كانت تبرر ويغلق ملفها بأربع كلمات بكل برود: (**قدر الله وما شاء فعل**). وهكذا تستخدم هذه الجملة المقدسة الدالة على أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها الباطل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

ولست هنا أيضاً وأنا بصدد التقديم لهذا الفصل في مقام ضرب الأمثلة في مسار الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي ، وهي كثيرة ومريرة ، وتستأهل دراسةً مستقلة هادفة. ولكن الذي أريد أن أشير إليه وأؤكد عليه وهو ما فعلته في كثير من الكتابات والمحاضرات والمناقشات. ولاسيما منذ انصرام الجهاد الأفغاني وانطلاق النظام العالمي الجديد سنة 1990م. وقد كانت خلاصة ما اقتنعت به ؛ أنه إن كان قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشرعي و الديني والمنطقي العقلي عبر مسار الصحوة الذي أخذ عقوداً من الزمن منذ 1930م وإلى انصرام القرن العشرين ، وعبر مسار الصحوة الجهادية عبر نصف تلك العقود أيضاُ ، وهي مدة غير قليلة. فإن من غير المقبول أن نتجاوز ذلك ، وقد قام النظام العالمي الجديد ، وغيَّر موازين السياسة والواقع ، وابتدأ

في الدنيا واقع جديد. ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصحوة ، والتيار الجهادي فعل مثل تلك المراجعات اللازمة.

ثم جاءت فرصة الشوط الثاني في أفغانستان كما أشرت لذلك. وكانت هناك بوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى ، وهي الاعتراف بوجود أزمات وخلل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات. ولكن القدر كان أعجل من ذلك في سبتمبر 2001م. وما زال المبدأ قائماً بعد أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل النظام العالمي الجديد ، وهي المرحلة التي دعيت (عالم ما بعد سبتمبر) حيث انطلق (القرن الأمريكي) كما أراد المتطرفون الأمريكان وأعوانهم من اليهود والصليبيين في أوروبا والعالم..

الصحوة والتيار الجهادي والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح:

فالحاجة جد ماسة اليوم ،لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصحوة الإسلامية وقياداتها. وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعلماء. بتلك المراجعات. وبدراسة الأوضاع المستجدة. وتحليل أسباب الأزمات والنوازل الخارجية والداخلية ، ووضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم.

وفي هذا السياق أضع هذا الفصل من كتابي هذا مساهمة من قلب التيار الجهادي ، لتقييم هذا الواقع وأزماته ، بحثا عن الحل. راجياً من الله أن يتقبله برضاه ويهديني فيه للإخلاص والصواب والقبول. ويدخره لي ذخراً وأجراً ويتجاوز عن تقصيري وزللي.

فأظن أن الأمر أوضح من أن يدلل اليوم على أن الدنيا قد تغيرت وتبدل كل شئ بعد سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية. وأظن أن معظم الحلول والأساليب التي طرحت في الصحوة الإسلامية والجهادية لم يعد واقعياً ولا صالحاً. رغم أن قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

معوقات على طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان على هذه الأرض ، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد الناس. فدعوهم إلى دعوة الحق والفلاح الواضحة الصريحة التي يشهد بها العقل وتنساق من إليها الفطرة بقولهم ﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾. وجدوا القطاع الأكبر من بني البشر يقودهم الملأ والأعوان والكهان الذين استخفهم طغاتهم يجيبونهم : ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ** ﴾. والشواهد في دعوات الأنبياء كثيرة جداً على هذا الخلل الكامن في طباع أكثر النفوس البشرية الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

- **فالمعضلة الأولى** ، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس على البقاء على ما ألفت ، والتمسك بالواقع وتراث الماضي رفض التغير والتطوير. ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك..

- **وأما المعوق الثاني** ، فهو تقديس الرجال وتقليدهم في منهج الدين والدنيا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم.. وتقديس الهياكل و المؤسسات ، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً. على حساب الحق. وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصحوة الإسلامية. وحتى الجهادية وكم تشكى منها المصلحون في الدعوة. فقد

احتج الأستاذ العلم الشهيد سيد قطب على هذه الظاهرة و احتج عليه بقول يكتب بماء الذهب فقال: (**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**).

وقد صاح شيخ الجهاد ومؤسسه في سوريا الشيخ مروان حديد بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا ،الذين رفضوا جهاد البعثيين والنصيرية ، فقال لهم: (**لقد جعلتم من مصلحة التنظيم وثناً يعبد من دون الله**). وكثيراً ما كررها الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في وجه قيادة الإخوان المسلمين الذين وقفوا عائقاً في وجه توجه الشباب للجهاد في أفغانستان . . .

- **وأما المعوق الثالث** ، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة. لأنه سيحملهم نتائج أعمالهم. ويغير أحوالاً ، ستذهب على الأقل بمكاسبهم ومراكزهم فيستغلون المعوقين السابقتين من حب البشر لتقديس الموروث ورموزه ، وإلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه. ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم التي تكفل استمرار الفشل والكوارث. إلى أن تغرق السفينة بالكل ، وتغمر الأحزان الجميع، إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة، أملاً بأن تسلم قمرة القيادة، غير عابئ بمعظم السفينة التي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع.

تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة على واقع التيار الجهادي منذ 1960م وإلى أحداث سبتمبر2001م:

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول ؛ لو أننا وضعنا تلك المعوقات جانباً.. لا سيما وقد وصلنا إلى قعر الأزمة والكوارث كجهاديين بعد سبتمبر. وبكامل التسليم بقضاء الله تعالى والرضا بقدره خيره وشره. ثم التفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا ونحن نعتقد أننا نحمل خلاصة دعوة الحق ورايته الصافية. وقد قدم المئات من قياداتنا ، والآلاف من كوادرنا ومن قواعد هذا التيار الجهادي المبارك ، جهودهم بكل إخلاص وتضحية. فلما ذا كانت النتيجة هكذا ؟! وما هي حصتنا من قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا** ﴾ ؟! ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾! (آل عمران:165)

وإلى أي مدى من المنطقي والصحيح ألا نحتمل مسؤولية هذه النتائج ؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين على عوامل خارجية؟! ونردد مستريحين : قدر الله وما شاء فعل !!

وإلى أي مدى نحن مسؤولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة ؟!

ليس من هذا من أجل تحديد مسؤولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم

بالانتحار!!. وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم. وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصالحين: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر 10).

إننا نجد في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيص بكلمتين: (**لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين**).

لقد كانت نتيجة عمل التيار الجهادي وتنظيماته هي الفشل في تحقيق الأهداف ، وانكسار المواجهة ، وقائمة هائلة من الخسائر. وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف. والعقم في الوسائل. وهذا يقودنا لسؤال كبير..

هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة؟ ونستسلم للواقع ؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحق. وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحق. وبالتالي فإن الانتصار منزلتان. انتصار ظاهر وهو تحقيق الأهداف في إحقاق الحق ، وانتصار باطن وجوهري ، وهو الإصرار والاستمرار في السعي لتحقيق الحق. والدأب في السعي إلى ذلك، إلى أن يوافق من يختارهم الله من السائرين على الدرب قدر الله، ويجتمع لهم الإذن بحصول

النصر الظاهر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب.. خلوص السرائر له وحده سبحانه ، وصواب في المنهج ، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القدر بالنصر إلى صواب المنهج وتوفيق الوسيلة. تحقق النصر الكامل التام الشامل وهو حصول النصر الظاهر في الدنيا والقبول للعمل في الآخرة:

قال تعالى: ﴿فانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47) .

وقد جاء في الأثر : (إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان خاصاً لوجهه كان صوابا) ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف: الآية16)·

وبهذا نجد الآن أن أهل الصحوة الإسلامية ومنهم الجهاديون قد انقسموا فريقين ..

فريق منتصر أثخنته الجراح ولم تنحن هامته ولم تنكسر همته. يناطح القرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإسلام وسيكون إن شاء الله كذلك.

وفريق منبطح طأطأت هامته ، فانكسرت همته ، فانبطح تدوسه سلاسل دبابات أمريكا وأحذية جنودها ، ويصم أذنيه هدير طائراتها

وصواريخها ، عن سماع صوت الحق تعالى يصدح : الله أكبر.. حي على الفلاح ..﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ **بشرط مهم:** ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. ولكنه خائر القوى مهدود العزيمة! وهؤلاء يستسلمون الآن ، لقد سلموا بأنه القرن الأمريكي. والأمثلة صارخة الوضوح على استسلامهم.

ففي الصحوة الإسلامية عامة ، كما في التيار الجهادي ، ظهر مستسلمون. وفي قطاع الأمة الكبير ، أكثرهم مستسلمون.

ولذلك ولعلمي بمنهجية التيار الجهادي وبنيته ومساره ، بعد إيماني بموعود الله أقول باختصار..

نعم لقد فشلنا معشر الجهاديين ، ولكننا لم ننهزم. وإن كان في محصلة نتيجة مسارنا، إلى جانب قائمة الشهداء والأسرى والمشردين والمعذبين ، بندا أسودا قد سجل فيه بعض المستسلمين المهزومين من الجهاديين أسماءهم. كما حصل من بعض قيادات الجماعة الإسلامية في مصر. وبعض التائبين من الجهاد في السعودية ! ومن إخوان سوريا وغيرهم ..

ولكن هذا لا يغير من محصلة النتيجة التي يدل عليها دبيب الحياة في جسد الأمة التي خصها الله بوعد جليل:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(غافر:51). فذلك قدر الله كتبه من قال تبارك وتعالى:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة:21)

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات:173) .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:55)

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقدس ، لخصه الشعار الجليل:

(الله أكبر..الله أكبر.... لا إله إلا الله). ولأن الله أكبر ، ولأنه لا إله إلا الله .. فليعل هبل.. فالله أعلى وأجل.

- **أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (1960-2000م):**

أعتقد أن فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب ؛ اثنان خارجيان عنه ، سأذكرهما بإيجاز. وثالث متعلق به وهو ما سأفصل فيه في الفقرات التالية وهذه الأسباب هي:

1- شراسة هجمة الأعداء على الجهاديين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:

فقد استباح أعداء الإسلام في الداخل والخارج كل وسائل البطش والتنكيل بالجهاديين وجماعاتهم وقياداتهم وعناصرهم ، وتجاوزوا ذلك إلى البطش بأسرهم ، والتنكيل بآبائهم وأمهاتهم وأقربائهم ونسائهم وأطفالهم. وقد قام بالقسط الأكبر من هذا الجهد والبلاء أنظمة الردة الحاكمة في بلاد العالم العربي والإسلامي. ثم انضمت إليها قوى الكفر من الصليبيين واليهود وأنواع الملحدين بشكل صريح معلن ، بعد أن دعمتها وقدمت لها الخدمات والأدوات والدعم العسكري والأمني والإعلامي والمادي. فقد حارب أولئك الحكام الكفرة المرتدون وما زالوا، كل من وقف في وجههم مجاهداً بكل وسائل القتل والتعذيب والتصفية. بالقتل وبالسجون، وبالتشريد والمطاردة ، وبهتك الأعراض، وبأخذ الأقرباء رهائن للضغط على المجاهدين ، وبالتجويع والحصار... إلى آخر ما هو معروف.

ومنذ انطلاق المواجهات بدا ميزان القوى بين الجهاديين وهؤلاء الأعداء مختلا ، وما زال بالغ الاختلال عددا وعدةً ووسيلة. ولاسيما في ظل ما أشرنا إليه في الفصل السابق من انبطاح معظم الصحوة الإسلامية وقياداتها عن خوض المواجهة. وفساد القطاع الأكبر من العلماء أو انقماعهم وخورهم في جحور الرخصة. وخوارهم في زرائب

النفـاق والخـذلان ، إلا مـن رحـم الله وقليـل مـا هـم. وكـذلك في ظـل إعـراض الأمـة وعمـوم الشعوب المسلمة عـن البـذل والتضـحية في هـذه المعارك المصيرية. وهكذا أدت الحملات العسكرية والأمنية الطاغية مما أشرنا لطرف من وسائلها آنفا إلى اختلال ميزان القوى وعدم تمكن الجهاديين من تحقيق أهدافهم وكان هذا أحد الأسباب الخارجية..

2- الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان التي أحاطت بالمحاولات الجهادية:

ويمكـن تلخيص هـذا الواقـع المنكـوس في ثلاثـة منـاحي سـاهمت بمجموعها في خسارة الجهاديين ، طليعة هذه الأمة ، لكافة المواجهات حتى الآن. وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

أ– فساد الشريحة العظمى من علماء المسلمين:

توزع أكثر علماء المسلمين في هذا الزمان على قسمين ؛ إما علماء سـلطان وفقهـاء ضـلالة. وإمـا علمـاء منكفئـون في جحـور العجـز متعذرين بالرخصة والضعف وقلة الحيلة.

والشـواهد علـى ذلـك أسـود مـن أن يشـار إليهـا، وأكثـر مـن أن تحصى. وقد أشرنا لبعض أطراف هذه الظاهرة آنفا. فماذا أسوأ من أن يتـولى علمـاء هـذه الأمـة بأنفسـهم مواجهـة أبنائهـا مـن المجاهـدين. ويشـهدون علـيهم بأنهـم مجرمـون إرهـابيون خـوارج. وبغـاة مفسـدون في

الأرض. ويفتون بأنهم كلاب أهل النار في الآخرة ، وأما في الدنيا فحكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض! حيث يشهدون على حكامهم الفراعنة الطغاة ، المشرعون من دون الله ، الحاكمون بغير ما أنزل الله ، المظاهرون لأعداء الله بالسنان واللسان والجنان ... بأنهم أولياء أمور شرعيون ! مسلمون مؤمنون ! تجب طاعتهم ! وأنهم أهدى من الذين آمنوا وجاهدوا سبيلا ؟!!

بل هل هناك أدهى وأنكى من أن يسبغ علماء المسلمين الخونة ، الشرعية على قوى الاحتلال الغازية ويعطونهم صفة المستأمنين والذميين، بل الموادعين والمناصرين. هؤلاء الذين جاؤوا بخيلهم ورجلهم يحتلون البلاد وينهبون العباد ويحاربون الله ورسوله ويظهرون في الأرض الفساد.. حتى قال العلامة السعودي المنافق (**عبد المحسن العبيكان**) فض الله فاه: **أن الأمريكان لا يضربون إلا من يعتدي عليهم في العراق ! وأن الكفار لو عينوا على المسلمين حاكما ، فهم ولي أمر شرعي !!!!!!!!!!!!**

والشواهد السوداء المنكرة تحتاج إلى كتب كثيرة لا تستوعبها المجلدات. من أقوال وشهادات وفتاوى الضلال التي يستعلن بها علماء السوء ، وفقهاء البنتاغون اليوم في كل بلاد وأقطار العالم العربي والإسلامي..

وأما شريحة القلة الصالحة من علمائنا.. فهم الساكتون عن الحق الشياطين الخرس.. أصحاب أعذار الذلة وقلة الأعوان ، والرخصة بأن لا يكلف المرء نفسه مالا يطيق.

وهكذا ترك العلماء واجبهم في الأمر والنهي والبيان. وتقلبوا بين منازل كتمان الحق و أو تبديله وتغيره والشراء بدين الله وعهد الله ثمناً قليلاً..

وهذا نكص العلماء عن قيادة الصحوة ، وقعدوا عن قيادة الجهاد. فتاهت الصحوة الإسلامية بسببهم. فراحوا يعيبون عليها تيهها! وخرجت الأمة من المعركة تبعاً لذلك. وكان هذا السبب القاتل في تعطل صمام الصلاح والأمان في الأمة من أهم أسباب انفراد العدو بالجهاديين وخسارتهم للمعركة.

ب- فساد معظم قيادات مدارس الصحوة الإسلامية:

أحجمت الغالبية الساحقة من قيادات الصحوة عن دخول المعركة ، بل لقد دخلوا بدلا عن ذلك الميادين التي رسمها لهم العدو نفسه. ليصبح أكبر دعاة الصحوة ، دعاةً للدين الأمريكي باسم الديمقراطية والإعتدال ، والسعي إلى تبديل المناهج لتنافي العنف والتطرف ، وليصبح العديد أكبر رموز الصحوة جزءاً من مؤسسات السلطات المرتدة الحاكمة الكافرة وللأسف .. وزراء ومشرعين في البرلمانات ، وجلساء موائد السلاطين في كل مناسبة.

وهكذا ومنذ أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات ولاسيما بعد انطلاق النظام العالمي الجديد.. وخاصة منذ انطلاق عالم ما بعد سبتمبر.. صار معظم قيادات الصحوة الإسلامية من أهم مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكري ، وفي نصرة أوليائه من الحكام المرتدين وأنظمتهم ، وفي إنجاح خطة عزل الأمة عن تأييد المجاهدين لهؤلاء الأعداء..

ج- **انغماس أكثرية الشعوب الإسلامية في الفساد وعدم نصرتهم للمجاهدين :**

تتميز حياة عامة المسلمين في هذا الزمان بالبعد عن الله ، وفي الانغماس في حياة العبث والفسوق والعصيان ، وفي البعد عن طاعة

الله ، واستحقاق أكثرهم لسخط الله وعقابه. فكيف تنتظر نصرتهم للمجاهدين وقيامهم بفريضة جهاد أعداء الله ؟!.

وقد أسهبت في الفصل الأول في وصف أحوال وواقع المسلمين اليوم بما يغني عن التكرار هنا.

والخلاصة أن واقع حياة أكثر المسلمين هو واقع الفسوق والعصيان والجبن والخذلان ، والوهن ؛ حب الدنيا وكراهية الموت، بسبب ضلال أمرائهم ، وفساد علمائهم ، وعجز وتردي أحوال أكثر من يوصفون بقيادات صحوتهم... فأنى لهم أن يرتقوا إلى ذروة سنام الإسلام ليجاهدوا في سبيل الله وينصرون الله ورسوله..

أنى للساهرين على برامج (الفيديو كلوب) و(أكاديمي ستار) أن يدفعوا أعداءهم ؟ أنى لجمهور يتربى على برامج القنوات الفضائية مثل (روتانا) وأشباهها أن ينصروا دين الله. أنى لهؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أن يقفوا إلى جانب المجاهدين ويبذلوا التضحيات ؟!

إن وصف واقع المسلمين المخزي يحتاج للمجلدات الكثيرة. وإن وصف طريق الإصلاح والنجاح يحتاج لبرامج جادة لا صلاح ما فسد من أحوال المسلمين في كل مجال..

فأكثر المعتقدات فاسدة. وغالب الأفكار ضالة. وسلوك الأكثرية منحرف. والعادات والتقاليد مستوردة من الكفار. وأكثر المكاسب من الحرام. وقد عم الزنا والفجور. والخلاعة والاختلاط والسفور. وتقنن

أكل الربا ، وفشا أكل أموال الناس بالباطل. وظهر الغش والخداع والرذيلة والتبرج. وغدا التسابق في ميادين الميوعة والسفه مألوفا. وصار التيه في ميادين الرفاهية والعبث والبذخ طابع حياة الميسورين ، والحسد والضغينة والنفاق طابع أكثر المعوزين.

وصار المصلون في الناس قلة ، وأكثر الصائمين يفطرون في رمضان على موائد المرح والسهر على المعاصي والفوازير وبرامج الكفر بالله ، وآخر مخترعاتهم فيما أسموه الخيام الرمضانية. حيث تفطر الجموع على ألحان الاوركسترا ، وهز بطون الراقصات ، والمسابقات الفنية والجوائز .. إلى قرب السحر ، حيث يأكلون ما لذ وطاب ثم ينقلبون نائمين جيفا ، يفتتحون نهارهم بترك صلاة الفجر بعد ما ملؤوا ليلهم بالموبقات !!. وصار لا يؤدي من الناس الزكاة إلا أقلهم. ولا يحج فهم رغم الاستطاعة إلا النادر منهم. وأكثرهم نزهة وفخرا وتجارة ..

فأين القوم الذين يسمون (مسلمين) ، من حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأركان الإسلام ؟! وأين هم من منازل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله ؟!. وماذا بقي مما يدل على إيمانهم بالله واليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره؟!

ولا يظن ظان ، أو يدلس مبطل ، أنا نعتقد كفر أمثال هؤلاء الفساق من المسلمين ، كلا ! ولكنه توصيف لأحوال أتت بهذه

النتائج. فهم بشكل عام مسلمين ، والله أعلم بحال كل منهم.

وليسوا إلا ضلالا فجارا مناكيد ، أصلحهم الله أو أراح منهم.

وهذه حالة أكثرية المسلمين مع الأسف ، وهو ما أخبر بحصوله رسول الله ﷺ في آخر الزمان. (أنظر مسك الختام، في آخر الكتاب). ومهما تكن هذه الحقيقة مؤلمة ومهما أنكرها و أنكر واقعتها علماء السوء والمشايخ العصريون من أصحاب القبة البيضاء وربطة العنق الأوروبية! واللحى المنتوفة .. من دعاة الإسلام الأمريكي، والجمهور المعجب بـ (ولاويل) العلامة الحليق المهرج عمرو خالد ..

و إلا فما ذا تحتاج هذه الشعوب الإسلامية حتى تتحرك ؟!

هل تحتاج جوعاً أكثر مما هي فيه حتى تتحرك ؟ فهذا أول ما يحرك الإنسان أي إنسان للثورة. وهؤلاء لا يخرجون يقاتلون عن جوعهم وجوع أبنائهم !! ولله در أبي ذر رضي الله عنه عندما قال: عجبت لرجل يبات جائعا ولا يخرج بسيفه على الناس !

أم يحتاجون ذلاً أكثر مما هم فيه ، وهم في حالة من الذل تأباها حتى فطرة أكثر الحيوانات ، فتجدها تركل وتنطح أو تهبش أو تعض! إذا ما أوذيت تدافع عن نفسها. وهؤلاء لا يتحركون من ذلهم !!

وهل يحتاجون انتهاك للأعراض أكثر مما حصل ويحصل؟! أم هل يحتاجون غزواً خارجياً واحتلالاً ؟! أم عسفاً وظلماً وقهراً ؟! وهل ينقص الأمة من كل هذا شيء حتى تتحرك؟!

والعجيب اليوم ، أن المظاهرات ومسيرات الرفض لاحتلال بلاد المسلمين من قبل شعوب الكافرين هي أكثر مما خرج في بلاد العرب والمسلمين الذين غزا الكفرة ديارهم! فهم في أوربا بالملايين ، وفي بلادنا بالآلاف ، أو المئات والعشرات غالبا !

بل تندهش لما تجد المصادمات بين عشرات آلاف المتظاهرين في اليابان وكوريا وغيرها مع شرطة بلادهم حتى لا يذهب جنودهم لاحتلالنا، في حين ينزل هؤلاء الجنود في مطارات بلادنا المجاورة للعراق وفلسطين وغيرها من البلاد المختلفة وينعمون بكل الهدوء والدعة، بل بالترحيب أحياناً لا أقول من الحكام فحسب بل من بعض الشعوب! بل وحتى بالتمتع بعاهراتنا المرخصات بنص القانون والدستور.

وحتى لا يستغرب مستغرب ، فقد جاء في الأخبار خبر طريف ، مفاده أن مجموعة من راقصات مصر المسجلات رسميا (كفنانات) وعددهن يربو على 5000 راقصة ، تظاهرن احتجاجا على سماح الحكومة المصرية للراقصات المستوردات من روسيا ودول أوربا الشرقية ، بالعمل في (كباريهات) مصر. لرخص أجورهن. وأكثرهن بالطبع عاهرات كحال تلك المتظاهرات!!

وقد رد وزير مصري على احتجاج أحد الإسلاميين على أخذ ضريبة الدخل ، من العاهرات المسجلات رسميا. فقال الوزير باللهجة المصرية: (ما هيه بتكسب ؟ والقانون عندنا بيقول: في كل كسب ضريبة!!).

وتحتج منظمات حقوق الإنسان الكافرة العلمانية الأجنبية على منع المسلمات من الحجاب في فرنسا. غيرة على الحرية الشخصية. ويقوم كبير علماء المسلمين شيخ الأزهر في مصر، المنكوس طنطاوي ليفتي بأن منع الحجاب شأن فرنسي داخلي لدولة ذات سيادة ولا يجوز التدخل به!! وأن الحجاب واجب على المسلمات في بلاد المسلمين وليس في البلاد الأجنبية !! ثم يعتمد حسني مبارك هذه الفتوى في خطابه ، ويطلب من المسلمين في فرنسا الموضوعية والحوار!. لا بارك الله فيه ولا في شيخه الحمار ..

إننا اليوم من أمة وقف كبير هيئة كبار علمائها ابن باز يفتي بجواز بالتطبيع مع اليهود، حتى قام (بيريز) في الكنيست ينوه باعتداله ويثني عليه ، وأعضاء الكنيست من الحاخامات والمجرمين يصفقون له!

وهاهي مآسي الإنتفاضة في فلسطين لم تقدم لها الأمة إلا بضع تظاهرات ما لبثت أن قمعت ، ولم تتكرر. ثم تكرر المشهد في احتلال العراق!! ومن قبل ذلك ذبحت البوسنة أمام سمع المسلمين وبصرهم ، واغتصبت أكثر من 60000 مسلمة ، وضعت منهن من الزنا 30000

ابن سفاح ، أخذتهم مؤسسات التنصير ! في حين كان الحوار دائرا على صفحات جريدة (المسلمون) السعودية حول جواز أن تضرب المغتصبة بطنها حتى تسقط جنينها ، وحرمة وحل ذلك !! والشيشان .. وكشمير .. ووزيرستان .. و !!

وهاهي الفضائيات اليوم تضع الأحداث بحذافيرها في كل بيت من بيوت المسلمين .. فماذا تحتاج هذه الشعوب حتى تتحرك ؟!

فهل يرجى من مثل هذه الشعوب اليوم نصرة لدين الله حتى ينصرها الله تعالى ، وهو القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:7)

﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾..؟ ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ؟! والله إن على أكثر القلوب اليوم أقفالها وسلاسلها.. ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ونعوذ بالله من أسباب سخطه.

ذات يوم سألت أحد قادة جماعة الجهاد في مصر، أيام جمعنا الجهاد ضد الروس في أفغانستان ؛ لم فشل الجهاد في مصر؟ فقال: " يا أخي أنت تعرف أن من أهم مقومات حرب العصابات معطيات الأرض ومعطيات الشعب. والمشكلة عندنا في مصر، أن الأرض مسطحة والشعب المصري أيضاً شعب مسطح.. فكيف تقوم حرب عصابات جهادية ؟! ". ومع العذر من صلحاء المسلمين في مصر

وأرجو أن لا يحزنوا لهذا الشاهد ، لقد أثبتت كل الشعوب في مصر كما في غيرها ، أنهم شعوب مسطحة، قد سطح حكامُها علماءَها وصحوتَها بالسيف والسوط والذهب ، وسطحت الصحوةُ والعلماءُ شعوبَها ، فلم يبرز فيها مقاوماً إلا قلة ممن أنعم الله عليهم.

وها هي بلدي العزيزة سوريا المنكوبة ، بلاد الشام ، عقر دار الإسلام ، قد حول النصيرية عاصمتها دمشق إلى ماخور للزناة باسم السياحة. لتوفر الاستجمام لعرابيد الزناة القادمين من أطراف الأرض ولاسيما من دول الجوار ..كي لا يتكبدوا عناء السفر إلى بانكوك ، ويضربوا لها أكباد الـ (بوينغ). ولا داعي لمزيد من الإحراج !

وقل مثل ذلك عن المغرب ، وتركيا .. وفنادق دبي .. ومواخير جزر المالديف .. وغيرها وصولا إلى جزيرة بالي الأندونيسية !

وتبقى الحقيقة كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سوء فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد: من الآية11) .

إن الحقيقة المرة تثبت كل يوم ، أنه لم يعد لأكثر المسلمين من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه. ولم يعد من المسلمين ،على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، ممن وصفهم بالفرقة الناجية إلا القلة ، ولا ينتسب إلى طائفتهم المنصورة المجاهدة التي تقاتل على هذا الدين إلا قليل الآخرين من الرجال والنساء المتناثرين هنا وهناك

يعبدون الله قابضين على الجمر معزولين متهمين مطاردين.. فأنى لمثل هذه الشعوب أن تنصر الله ورسوله، وأن تجاهد مع المجاهدين ؟!

رغم أني لا أنسى أن أنوه بكثرة المقهورين الرافضين لهذه الأحوال، المحصورين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. يطيعون الله في أنفسهم .. ويجأرون إلى الله من جور الحكام وحصار فتاوى العلماء الضالين لهم .. ففرج الله كربتهم. ولكن ما وصفت هو حال الأكثرية الساحقة ..

فهناك حقيقة مؤلمة يجب الإشارة إليها ؛ وهي أن انتصار المجاهدين على الأعداء . وانتصار الجهاديين في مشاريعهم وتحقيقهم أهدافهم بالحكم بما أنزل الله ، هو في حقيقته انتصار للأمة والشعوب. ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها.

فهل أحوال هذه الشعوب المسماة (إسلامية) اليوم ، تستأهل فرج الله بنصر طليعتهم المجاهدة لتعمهم هذه النعمة ؟ اللهم كلا..!.

وهل أحوال علمائهم وقادة صحوتهم ، تستأهل مثل فرج الله هذا ونصره لهذه الأمة؟ اللهم كلا ..!

وهل واقع حكامهم المرتدين الظالمين الكافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون ؟ اللهم كلا..!

وأعتقد أن هذا يفسر ما نحن فيه (وما ربك بظلام للعبيد).

وهكذا انتصر معظم الجهاديين حيث قام جهادً نصراً خاصاً بهم. لقد استشهدوا ولاقوا ربهم شهداء ﴿ فرحين بما آتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾. إن شاء الله تعالى.

لقد أعطى الله المقبولين المخلصين منهم النصر الأعظم. وقربهم إليه. وخلصهم من هذا الواقع المنكود.

فالنصر الظاهر المشهود، بهزيمة الأعداء الكافرين ، وانهيار الطغاة المرتدين ، واندحار الظلمة والفاسقين ، وتحكيم شرع رب العالمين في الأمة؛ هو نعمة تتنزل من الله على هذه الشعوب لما تستأهلها وهذا ما تقتضيه السنن ، وتدل عليه شواهد التاريخ.

لقد عم الخطب والعطب. ونحن نسير إلى أن يعم الظلم والفساد الأرض ومن عليها حتى يقيض الله لها الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن سارت وتسير اليوم لتمتلئ ظلماً وجورا. وهكذا وقف المجاهدون في سبيل الله وحيدين في ساحة المواجهة وخسروا معاركهم وهزموا في مواجهاتهم. وهذا الوصف ليس عذراً الأحد كي يقول ؛ إذن ما الفائدة في الجهاد إذا كانت أحوال الأمة تستأهل الهزيمة ؟

فهذه الفكرة نزغة شيطان ونفس ضعيفة. وهذا يوضحه أمران:

أولهما : أن الجهاد فريضة متعينة اليوم ، وهي عبادة شخصية ، على كل فرد مسلم أن يؤديها ، طائعة نفسه أم كارهة. مثلها مثل

الصلاة والزكاة والصيام وكل عبادة. فهو مثاب على أدائها. مآخذ على تركها. آثم بالإعراض عنها. كافر بجحودها.

بل إن مواجهة صائل الكافرين والمرتدين وأعوانهم اليوم آكد في فرضيته من كل الفرائض بعد توحيد الله كما سبق وأسلفنا البراهين في الفصل الثاني..

والأمر الثاني: أن أداء المجاهدين لهذه الفريضة يحرك مكامن الصلاح في قطاع الصحوة وقواعدها. ثم في قادتها وعلمائها. ثم يبدأ مسار الصلاح حتى يتعدى عبر طريق التضحيات الجسام ، ومسار العذاب، والثمن الذي يجب أن تدفعه الأمة ، فيسري الصلاح ، وتبدأ الأمة خطاها الصحيحة إلى أن تستأهل نصر الله..

وما أظن إلا أن يشاء ربي.. أن تنصر الأمة ويتنزل بها الفرج ، وتعلوا راية دينها وتحكم شريعة ربها ، لمجرد تضحيات من سموا إلى علا المجد. وارتقوا إلى مستويات الشهادة من الاستشهاديين والمقاومين هنا وهناك. من أولئك الذين يقدمون أنفسهم قرابين لهذا الدين حيث وفقهم الله.

إن هؤلاء ينتصرون نصراً شخصياً ذاتياً عاجلاً ، ويمهدون الطريق لنصر الأمة .. لما تتحرك الأمة ! بفعل عمل متراكم سيأخذ زمناً طويلا ، على مسار مرير تعطره دماء الشهداء ، وترويه دموع الأيامى والثاكلات، وتحدوه آهات المعذبين المضحين في سبيل دينهم وأمتهم..

لا أقول دماء آلاف ، ولا مئات آلاف.. وإنما دماء ملايين الشهداء من هذه الأمة ، حتى نستأهل الفرج والنصر والظفر. ونستأهل موعود الله.

لقد قدم زهرة شباب جيلنا وسعهم ، وقدمنا معهم وسعنا .. والحمد لله ونسأله القبول ..

أذكر الآن أنني عندما كنا في كابل أيام طالبان ، لطالما ردّدت على مسامع زوجتي ، وهي تودعني على باب الدار باكية وقد أحضرتْ أطفالي الأربعة لأقبّلهم قبل أن أخرج إلى خط القتال الطاحن قرب كابل التي كنا نسكنها وندافع عنها. حيث يُسمع دوي القنابل ، وأزيز رصاص المعارك من البيت الذي يبعد 12 كيلومتر فقط عن ساحتها ! فأقول لها:

إنه ليعز علي بكاؤك، ويقطع قلبي هذه النظرة الحائرة في عيون الصغار. ولكني راض مرتاح الضمير لأني أعلم أن خروجي وخروج أمثالي. سيجعل دموعك ودموع مثيلاتك تختصر وتوفر علينا دموع ملايين الباكيات القادمات. وهذه الحسرة في عيون أبنائي ستوفر على ملايين أطفال المسلمين تجرع مرارة اليتم ولوعة التشريد إن شاء الله . إننا نحمل عن الأمة عبئ مصائبها لعلها تُختصر عليهم ..

وكم مرة انسللت من فراشي قبيل أذان الفجر لأتابع أعمالي في التدريب والإعداد والرباط .. فتمسك زوجتي بِكُمي قائلة: انتظر واصبر قليلا فالوقت مبكر جدا. فأقول لها : لو علمت أن أعداءنا ينامون ويُنظِروننا لانتظرت. ولكنهم دائبون في حربنا ولسنا أقل منهم. وقدوتنا ﷺ من قال الله له: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:121) .

فقاتل الله الرياء ، وأعوذ بالله من الفخر. وما أذكر هذا من كثير من الذكريات العزيزة إلا لتحفيز المسلمين بإعلامهم بأحوالنا ، وتشويقهم إليها. ولأنها صور رائعة قرأنا عن مثيلاتها في أخبار من سلف فحفزتنا .. ثم عشناها – والحمد لله – فأود أن أصفها لمن فاتته فلعلهم يتحفزون.

وإلا فأنا أقل من أعرف من المجاهدين حالا وسعيا وقد خاب من افترى. ولا أقول إلا ما كان يقوله السلطان المجاهد نور الدين زنكي (الشامي – الحلبي)، لما كان يرى رحيل الشهداء من حوله في جهاد الصليبيين ، فيتحسر ويقول: (**لو كان لله بي حاجة لأخذني ، وإنما الأعمال بالنيات**). وكم أنا حقيق بهذا القول وقد مضى جلٌّ من أعرف ومن أعددتهم للجهاد وبوأتهم مقاعد للقتال ، أو صحبتهم فيه!

ولكني كاتب وعليَّ أمانة. ولو كان من أعرف من المجاهدين المخلصين كتابا وأدباء ، وكتبوا عن أحوالهم ، لأطاروا ألباب من كان

له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .. فليس هذا محل فخر. وأي فخر ؟!.. وهل يمكن لرجل من هذه الأمة أن يرفع رأسا بفخر، وقد خرج صبايا المسلمين ونساؤهم يفجرن أنفسهن باليهود في فلسطين وبالروس في الشيشان ..؟!! ألا لا نامت أعين الجبناء ، ولا تهنأ القاعدون على فراش .. ولا متع الله الخونة بطعام ولا شراب ولا ولد ..

نعم .. لقد خرج إبراهيم ذات يوم من مخبئه ليلا يتجول في أحياء الكوفة متخفيا ، وكان قد خرج وأخوه مُحَّد الملقب بالنفس الزكية وهما إمامان جليلان من آل البيت - عليهم رضوان الله – خرجوا على أبي جعفر المنصور يقاتلون عماله الظلمة في المدينة والكوفة. ثم تواريا اختفيا عن أنظار عماله وجواسيسه.

فرأى إبراهيم ذات ليلة وقد خرج يتجول امرأة تنبش في المزبلة ، وتأخذ منها طائرا ميتا. فسألها عنه، فقالت أنها ستطعمه أيتاما عندها. فقال لها : قد علمتِ أنه ميتة حرام . فقالت له : قد حلَّت لنا.

فبكى رضي الله عنه وقال لها: **إن أمثالك سيخرجونني غدا لتضرب عنقي !**

وهذا ما كان .. ولم يكف خروجه لحل المشكل ! فخرج وقتل شهيدا يرحمه الله.

ومثل هذا بل أشنع منه هو الذي أخرجنا لتضرب أعناقنا. ولنتلظى بحر دمع نسائنا .. وحرمان أطفالنا. وليس عندنا لهم إلا قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(لأعراف:196) عملا بأمره سبحانه : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (النساء:9) . وليس عندي قول أسدُّ مما أسلفت ، عندما يسألنا الناس لمن نترك أهلنا ؟!.

ولكن هل كفت جهودنا وجهود أمثالنا لحل المشكل ؟ بل المشاكل المتراكمة من الكفر والمظالم ؟!

لا ..لم تكف .. لم تكف جهود أمثالنا.. وليست بكافية والله أعلم.

إن جيلنا هذا ومن سيأتي بعدهم ، سيدفعون فواتير هائلة من تبعات القعود والنكوص ومسار الفساد في كل منحى عبر مئات السنين التي مضت . وخاصة في هذا القرن الأخير. حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من حال أسود لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ ولا المؤمنين.

ومهما ظن الظانون من المصلحين المزعومين ، والعلماء الواهمين القاعدين ؛ مهما ظنوا وزعموا ، أن حملاتهم العالمية الكلامية لدحر العدوان ستحل المشكل. وأنه بغير الجهاد والتضحيات يمكن للأمة أن تنهض ، فهم واهمون ، لأنهم تركوا مقتضى شواهد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ودروس التاريخ ، وراحوا يبحثون عن الحلول في متاهات الفكر والفلسفات الضالة !!

بل العجب أنهم يبحثون عن نصرة دين الله في ميادين سخطه والشرك به !! في أجهزة حكم السلاطين ! وإدارات المحتلين الغزاة الكافرين ! وبحمل أفكارهم ودعوتهم. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والله غالب على أمره ولكن المنافقين لا يعلمون.

وهكذا تضافرت الأسباب الخارجية الثلاثة ؛ قوة بأس الأعداء وهجمتهم ، وفساد أحوال أكثر العلماء والدعاة ونخبتهم ، ثم انتكاس أحوال غالبية الشعوب المسلمة. لتكون سبباً رئيسياً في عدم حصول النصر والفرج وعدم انتصار مشروع الجهاديين. وعدم تحقيق أهدافهم.

لقد خُذل ذلك الرهط المبارك ، وأحيط به ، وخسر المعارك والحروب السالفة. وفي موعود الله أمل فيما نستقبل من أيام إن شاء الله.

ولكن هل لنا بصفتنا جهاديين أن نلقى أسباب الخسارة والهزائم والفشل المتكرر فقط على تلك الأسباب الخارجية آنفة الذكر..؟! كلا!! هناك أسباب داخلية خاصة بالتيار الجهادي ذاته، بسبب القصور والحال الذي اعتراه ، ساهمت بشكل رئيسي في النتائج التي حصلت. وهو ما سنتناوله في هذا الفصل.. إن شاء الله.

وقبل أن نخوض في وجوه الخلل وأسباب الفشل الداخلية في التيار الجهادي يجدر بنا أن نذكر إيجابيات ذلك التيار وإنجازاته عبر تلك السنين العامرة بالإنجازات والتضحيات.

الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت:

على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء ، لمختلف الجماعات والتنظيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي. أنجز الجهاديون إنجازات عظيمة. وحققوا انتصارات كثيرة تسجل في سجلهم المشرف. وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النهائية التي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا. ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التالية:

1 – الإنجازات الفكرية والمنهجية:

فقد استطاع التيار الجهادي عبر علمائه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلامية المختلفة ، أن يقدموا التيار الجهادي كمدرسة رئيسية ومتميزة في الصحوة الإسلامية المعاصرة. وتمكنوا من تحديد ملامح منهجها ، عبر الكتب والمؤلفات والمحاضرات ، وأن يخطوا بمداد أولئك العلماء والمفكرين والقادة معالم الطريق للسائرين

خلفهم على ذلك الدرب المنير. وقد أضفت دماء آلاف الشهداء ممن قدموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين على تلك الأفكار وذلك المنهج حياة. وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله على طريقتهم.

2 – الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً ، ثم بفضل تلك التجارب، وما قدم الشهداء والصابرون في سبيل الله على ذلك الدرب. وما لعبه التراث الفكري والجهود الإعلامية والدعوية للجهاديين على مختلف الأصعدة، وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية. صار للجهاديين جمهور متميز في الأمة عامة وفي الصحوة خاصة ، وصارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربهم من جموع هذه الأمة.

3 – الإنجازات العسكرية:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديين. فقد استطاع المجاهدون في سبيل الله في هذا الزمان سواءً من الجهاديين من التيار الجهادي ، أومن مختلف مكونات الظاهرة الجهادية من المجاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليين. وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفردية. استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين في

سبيل الله منهم ، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكري.

فقد قدمت بعض التجارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى ، كتلك التي حصلت في سوريا والجزائر وطاجيكستان .. وقدموا نماذج لمواجهات نوعية واستطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأعداء ..

فقد تمكن المجاهدون من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت. كان فهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم، واستطاع جند الله المجاهدون أن يردوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة..

كما استطاعوا الجهاديون أن يلعبوا دوراً هاماً في مواجهة الهجمة الصليبية المعاصرة على المسلمين في عدد من القضايا ، كان من أهمها الدور الذي لعبوه في الجهاد في كل ساحات المواجهات المفتوحة مع الأعداء الخارجين. من الفلبين إلى أندونيسيا إلى كشمير إلىإريتريا إلى الصومال... إلى العراق حاليا. وكان من أبرزها وأهمها ما قدمه الجهاديون من مشاركتهم الظافرة في الجهاد في الشيشان ضد الملاحدة الروس ، حيث ما تزال المعركة مستمرة. وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضد الصليبيين الصرب والكروات المدعومين من مختلف القوى

الصليبية العالمية حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الذي استهدف المسلمين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كان في المشاركة في الجهاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل ، ثم أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدولة العظمى الكبرى (الإتحاد السوفيتي) ويفككوا أوصالها ويطووا علمها ، ويجعلوها أثراً بعد عين.. حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإسلام من جديد، بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان ، وتنصيب أمير للمؤمنين ، رغم كل محاولات المنع والإجهاض. حيث قدمت الإمارة وأميرها على مدى 6 سنين نموذجاً للحكم بالشريعة رغم أنف النظام العالمي الجديد، ونموذجاً للحصن الذي يمتنع به المؤمنون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربهم.. ثم ما كان من النموذج الفذ الذي أفتتح به المجاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم.. بنقل المواجهة إلى عقر قلبها النابض.

ثم كان صمود المجاهدين الأبطال من الأفغان العرب في معارك أفغانستان وساحات المواجهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحرب العالمية على الإرهاب.

وهاهم المجاهدون ثم ما تبع ذلك اليوم يتابعون في ساحات المواجهة مع الصليبيين وأعوانهم في أكثر من مجال.. وهاهي ساحة

الجهاد في العراق مستعرة وبوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة.. وإن غداً لناظرة قريب..

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكرية الجهادية حتى يتحقق موعود الله لهذه الأمة بالظفر والتمكين ورفع رايات هذا الدين إن شاء الله تعالى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد على أربعين سنة ، بآلاف المعارك والمواجهات ، التي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج أنه ورغم مرحلة الانحطاط التي يعيشها عموم المسلمين، إلا أن معجزة رسول الله ﷺ وإخباره بأنه ما تزال عصابة من أمته ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. هي معجزة مستمرة ، وما تزال متحققة. ولها رجالها حتى في أسود مراحل تاريخ هذه الأمة. ولو عرف الجهاديون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم ، وشمر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلفوا لهذه الأمة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التجارب ، وعبر الدروس ، وقصص الأبطال الميامين ، ونماذج الشهداء الربانيين والمجاهدين الصابرين.. ولكن وللأسف لقد طوت الأيام تلك الصحف ، واندثرت عبر الأيام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة. فرحم الله أصحابها و أجزل لهم المثوبة.. وكما قال عمر ﷺ عندما سأل عن

شهداء الفتوح فقصوا عليه قصص من عرفوا، ثم قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد ، فقال ﷺ ما ضرهم أن لم يعرفهم الناس إذ عرفهم الله تعالى.

4- الإنجازات السياسية:

رغم أن الهدف النهائي الذي رفعه الجهاديون وهو إسقاط أنظمة الجاهلية وإقامة النظام الإسلامي على أنقاضها لم يتحقق في كافة الساحات التي عملوا بها كافةً. ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات. حقق الجهاديون إنجازات سياسية كثيرة. من أهمها:

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجاهلية ، وكشف بطلانها ونزع الشرعية عنها.
- فضح مشاريع التطبيع مع اليهود والغرب الذي سعت فيه الأنظمة التي همت بذلك ، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإسلام على الطريقة الصليبية.
- كذلك استطاع الجهاديون مواجهة انحرافات الصحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.
- واستطاعوا بفضل الله. الإثبات للغزاة المحتلين أن الأمة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

ومن الإنجازات السياسية التي تتضافر نتائجها مع الوقت حتى توافق قدر الله تعالى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإسلام الزائلة والدفاع عنها وتوسيع رفقتها حتى تقوم الخلافة الراشدة الموعودة التي بشر بها رسول الله ﷺ وهي لا شك ولا ريب قائمة وآتية وعبر الجهاد ولا شك وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث. والحق لا يولد من الضلال. والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرذيلة. وصدق رسول الله ﷺ : (بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحد. وجعل رزقي تحت ظل رمحي. وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم).

الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً :

قد يسأل سائل ؛ إذا كنتم تعتقدون بأن التيار الجهادي قد تمكن من كل تلك الإنجازات التي وردت في الفقرة السالفة؟ فلم ذكر الأخطاء إذن. وأقول: أن ذلك بقصد العافية. وكما قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

ولكي نقترب أكثر من تحقيق الهدف المنشود الذي انطلق الجهاديون من أجله. وهذا لا يكون إلا بالتصحيح والتطوير وتحسين المسار بعد توفيق الله.

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدو. وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هي معروفه لأبناء الصف ذاته ، وهم المعنيين بالإصلاح فيه. فليس فيها كشف سر. لاسيما وأن أكثرها دروس قد مضت ومضى أصحابها. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ولم يترك علماء السلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العالمية نقيصة حقيقية أو مختلقة ، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا.

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها.. ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها. كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة ومعظمها طارئ على التيار الجهادي كي يتم تصحيحها. وهي معرفةً واجبة حتى على قواعد التيار الجهادي فضلاً عن كوادرهم والكبار منهم.. وهذا لا يكون همساً ولا سراً .

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحرية والصدق والمصداقية والمصارحة. بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة. لأنهم رجال.. رجال في قمة الرجولة، امتلكوا القرار بالمواجهة في زمن نكصت فيه الهمم. فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهم ، وفق أساليب

بالية جربت وثبت فشلها ، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً..

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية ، بعد التوكل على الله وطلب العافية و الشفاء منه.

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن. وكشف العيوب والعلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها. حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء ولو كان مرا ، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاءِ العمل الجهادي من علله بها. وكذلك على مستوى الصحوة كلها ، مدرسة مدرسة ، وجماعة جماعة ، وعلى مستوى المسؤولية الكلية عن الصحوة. وبدون هذه الموضوعية لا يتم – والله أعلم – شفاء ، لأنها السنن التي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان ولدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي على بدنه. ثم لما يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة ! ولما يسألهم عن علته ، لا يذكروها أو يذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الله . لأن الحنان والحب الذي مورس عليه هو من النوع القاتل. حنان جاهل ومتخلف..

وقد يكون لفت النظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً ، بل قد يكون مرفوضاً إذا ولد شعوراً بنية غير صالحة. فلو قال لك الطبيب أن ولدك قد ألم به (الجرب).. ستتألم وتتقبلها بصدر رحب وتسأله عن العلاج وتنفذه. ولو كان الطبيب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القصد.. وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لرفض الملاحظة.. وربما أعدت إليه صفة الجرب ، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه..

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كل تجمع ومدرسة.

والفقير إليه تعالى ولله الحمد. واحد من أبناء هذا التيار الجهادي.. وهو من بقية من تبقى من جيل قد تحطم وقضى أكثره.. وأسأل الله أن يكون ذلك لخير أراده الله لمزيد من العطاء ولأداء الأمانة وليس لأنا سقطنا من عينه تبارك وتعالى فلم يختارنا فيمن اختار..

ولطالما كنت وما زلت محامياً ومدافعاً وبكل حماس بل و شراسة أحياناً عن هذا التيار ورجاله وأعماله. وذلك في مواجهات غارات

الخصوم من أعداء هذه المدرسة المباركة (التيار الجهادي). وفيما كتبت وحاضرت أكبر برهان على ذلك ولله الحمد. ولكني هنا لست في ذاك المقام ، إني هنا في مقام النصيحة الداخلية ، والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا ، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحسب ما أعتقد. والله الموفق وهو يهدى السبيل.

وهو ما سأحاول استخراجه بحسب ما يوفق الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب. إن شاء الله تعالى.

لقد انتقدنا نحن- معشر الجهاديين - مدارس العمل غير الإسلامي الأخرى ، ورفضناها ، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء. ثم انتقدنا كافةً مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية ، من دعوية وإصلاحية ، وإخوانية ، وسلفية.. وغيرها. بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصحوة. لنثبت أن الجهاد هو الحل. أو من باب دفع الغارة المغرضة.

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة ، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا. قبل أن يحاسبنا الله تعالى على التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا. وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأمة. ولاسيما من يأتي بعدنا لأننا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت. ولم نعطهم دروس تجارب دفعنا زكي الدماء ثمناً لها..

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب.. فأما الإخلاص – اللهم عونك – فكل بحسب ضميره ﴿ بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة:14-15).

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة. ثم منطق عقل ودروس تجارب.. لعل الله وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا. ثم يقربنا من النصر على أعدائه.

أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار و تجارب التيار الجهادي بحسب تصوري والله تعالى أعلم:

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح. ويسقط تارة ويقوم أخرى.. ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصحيح أحياناً. ويضعف تارة ويشتد أخرى. ثم نجده لا يصل إلى هدفه في النهاية. ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة.

1- خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار (خلل التفكير).

2- خطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح (**خلل البنية**).

3- خطاء في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق (**خلل الأسلوب**).

وهـذا مـا حصـل غالبـاً لمعظـم تجـارب العمـل الجهـادي وتيـاره عـبر نصف القرن المنصرم تقريباً.. وأشير هنا إلى أني بصدد التقييم العام. وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين.. ولكني أحاول التقييم ، معتبراً التيار الجهادي، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب. وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء التي حصلت في مسار التيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها.. ولكن قد تكون بعض التجارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة. ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر. أو كما يرددون كثيراً (قدر الله وما شاء فعل). فليحمدوا الله إذن على العافية التامة التي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا.

فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبس بها معظم مدارس التيار الجهادي. ولوكنت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتجارب التي خضتها حتى لا يحزن أحد. ولكني بصدد التعميم للفائدة.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي كانت على ثلاثة أنواع:

(1) – أخطاء في المنهج والتفكير.

(2) – أخطاء في البنية والهياكل.

(3)– أخطاء في أسلوب المسير و طريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل وشيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء التي تلبسنا بها معشر العاملين في التيار الجهادي عبر مسير مبارك استمر زهاء أربعة عقود وأسأل الله أن يتقبل من كل منا ما أحسن ويتجاوز له عما أساء إن أهل التقوى وأهل المغفرة.

أولا– أخطاء المنهج والتفكير:

ولعل هذا أحد أهم المجالات التي قل فيها مجال الخلل بشكل عام، وذلك بفضل الله تعالى على المجاهدين وبركة قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:69) .

وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسيات الفكرية المنهجية لدى التيار الجهادي وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتنظيمات والتجارب الجهادية قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكري المنهجي ، بحسب ما أعتقد والله أعلم. ومن أهم تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

1 – تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين:

فكما سبق وعرضت فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام.

أ- المرحلة الفكرية الحركية.

ب- مرحلة الفكر الجهادي السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمة في الفكر الجهادي. وذكرت إيجابيات ذلك التكامل. ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التجارب. مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي. وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية ، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي. ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي ، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما

شديدة ومتطرفة ، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري) ، يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم ، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم. مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقاً. ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السلطان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديين بالتكفير. وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين. فكيف تم ذلك ؟!

لقد تم ذلك عندما جرى الخلط (بين **العقيدة السلفية**) و**المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه ، هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب. وبين (**منهج التيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين). ولاسيما من علماء السعودية ومن تربي على مدرستهم. ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية.

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السلفية التقليدية) وعقائدها وفقهها. ثم مقارنتها مع (السلفية المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكرية والعقدية. يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السلفية المعاصرة وفروعها في العالم العربي والإسلامي. ثم تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب ، تصل في تنوعها وتراثها الفقهي وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان. ضمن ما عرف (بالتيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة. ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه. وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السابقة. وذلك أن التيار الجهادي الحركي مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حل إشكالاته الفقهية الحركية كما قلت في الفقه السلفي والعقيدة السلفية.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية. فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشا على الفكر الإخواني والقطبي. كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد

الأفغاني في شوطها الأول ، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات. وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتصدي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاء آت الأمة في هذا العصر هي إعراض العلماء الراسخين عن الجهاد وعن مواقف الحق. وعن التصدي لنوازل الأمة السياسية الشرعية الكبرى من مسائل الحاكمية والولاء و البراء و تطبيقها على واقع هذه الحكومات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال. مما انعكس على التيار والظاهرة الجهادية بأنه كان تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة ، ولدت أصلاً في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل. بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث انتقلت إلى التيار الجهادي. وزاد الطينة بلة أن الجهاديين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله. فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم ، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السلفية المعاصرة. ففتحت الباب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهية في بعض الأحيان. أدت إلى بروز ذلك على شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم ، فأمكن أن يستخدمها جهال التيار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها

متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط. وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهم أولويات عمليات الترميم في التيار الجهادي في المرحلة المقبلة إن شاء الله.

2- غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية):

هذه المشكلة فرع من سابقتها. وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة..

فالأصل الذي قام عليه التيار الجهادي هو حشد الأمة للجهاد في سبيل الله. ودفع مختلف أنواع الصائلين عنها ، ومع أن الواجب على المجاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا على منهج الطائفة المنصورة علماً وعملاً. وبالتالي أن تكون عقائدهم على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان. وهم سلفنا الصالح الذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم. وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمية ، وقد أسقطها غالب الذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزمان من سلفيين جهاديين وغير

جهاديين من الذين يحتكرون هذه الراية وهذا المسمى الشريف. هذه اللفتة هي أن واقع الأمة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصحابة وما تلا ذلك من خير القرون ، بل ولا يشبه واقع معظم التاريخ الإسلامي. فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديين والسلفيين.

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخلافة وما شهده الواقع العربي والإسلامي من التغريب والأزمات الداخلية والخارجية.

والأصل أننا معنيون كجهاديين باستيعاب الأمة ، وجمهور سواد الأمة ، وتوجههم لأداء فريضة الجهاد ضد مختلف أنواع الصائلين من الأعداء الخارجين وأذنابهم من الحكومات الطاغوتية.. ومعلوم أن الملتزمين بدينهم من هذه الأمة وغالبية علماءها وأوساط الصحوة والمتدينين فيها على مستوى الأمة ليسوا بأغلبيتهم على المنهج السلفي. رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا.

فمعظم الملتزمين وعلماء الأمة (بسعتها كأمة إسلامية) ، وغالبيتهم الساحقة هم من أتباع الفقه المذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي ، كما أن كثيراً منهم هم على غير المنهج السلفي في الاعتقاد وغالبهم من الأشاعرة هذا في أوساط العلماء وطلبة العلم. وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلك للأوساط. وهذا حال أهل السنة منذ أكثر من ألف سنة. ومن المعلوم أن التيار السلفي المعاصر غير الجهادي ، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهية

كثيرة مع هذه الأوساط. وصلت إلى حد الجدليات البيزنطية عبر العقود بل والقرون..

ولا شك أن مشكلة نزول الصائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السير مع عقيدة أهل السنة والجماعة في الجهاد مع أمراء المسلمين وعامتهم برهم وفاجرهم ، عالمهم و جاهلهم. وأن مصلحة تأليف القلوب وجميع الصفوف على الجهاد مقدمة بلا شك ولا جدال على المصلحة من إثارة أكثر تلك الجدليات الفقهية والعقدية ، خاصة الآن ونحن في هد الحال. وهذا من صميم منهج السلف الذي يدعيه هؤلاء. وشواهد ذلك كثيرة جدا.

إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم ، جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإسلامية والمتدينة ، واشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم ؛ تعجيزية. وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد. وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التيار الجهادي شعبيته. وجعله نخبوياً. وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الولاء والبراء على كثير من المسلمين ، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صف واحد ، أو على الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم. أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك. وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدماً بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد. وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية ، وعلى منهج السلف الصالح ، وبين كوننا محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم. وندعوهم للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي فيها النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ولكن وللأسف ، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أننا في واد وإخوتنا هؤلاء في واد آخر. بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكار عجباً.. ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشيخ عبد الله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق ، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا ! قال لي يوما في سياق الحوار : (**إن الجهاد يجب أن**

يكون سلفي الراية ، وأن تكون قيادته سلفية التركيب ، وأحكامه سلفية المنهج ، وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة ، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظاهرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف. حتى أن بعض الجهاديين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهادي لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً..كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع.. ويصلى على البدعة! ولا أدري من قال لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع ! ناهيك عن أن كل ما في الأمر أني كنت آخذ بفتوى من قال من العلماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قال الإمام ابن عبد البر وغيره.. وكنت لا أرفع في الركوع والرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان ، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل. ونحن وإياهم في وئام كبير وجهاد دفع متعين. وكان كبار قادة المجاهدين العرب من أمثال الشهيد عبد الله عزام رحمه الله ، والشيخ أسامة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثون

المجاهدين عليه وقد لاقوا في هذا المجال الكثير من العنت.. وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة وإلا فالأمثلة كثيرة..

فكم كان يتعرض من الأئمة الإعلام ، من تلبس بشيء من التأويل أو سوى ذلك من أئمة أهل السنة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلك الأوساط. وكم انتهكت حرمة المذاهب الأربعة وبعض أئمتها ولاسيما الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله وغيره بدعوى الانتصار للمنهج السلفي والعقيدة السلفية.. ورغم أني في ذات اعتقادي على منهج السلف من دون تعصب وتضييق وكنت معروفا بهذا. إلا أن كثيراً من إخواننا هؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً حتى بذلك..

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشاكل التيار السلفي وليست من مشاكل التيار الجهادي ولكنها تعدت إليه. حتى أن أحد كبار المجاهدين من الأفغان العرب وكان سلفيا جدا ، وهو سروري سابق. نهرني لأني قلت بعد ذكر الإمام النووي رحمه الله.. وقال لا تقل رحمه الله . فقلت وماذا أقول ؟ فقال : قل غفر الله له ، فإنه لم يكن على السنة!

وذات مرة ، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هؤلاء المجاهدين وبعضهم قادة في جماعاتهم ، لأني ذكرت في السياق الإمام حسن البنا، وكذلك الشيخ سعيد حوى ، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة بقولي رحمه الله.. وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخوان. وقالوا لماذا

تترحم على أهل البدع ؟! فقلت إن مذهب أهل السنة الترحم على من مات وظاهرة من المسلمين. فرد على أحد الإخوة الكبار حفظه الله قائلا : كان الإمام سفيان لا يرى الترحم على من مات على البدعة!! فقلت له رحمه الله وكان غيره من أئمة السلف يرى ذلك. ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها ومستواها وقرائن إحسان المخطئ ومقام ذكر الرحمة.. ولكن لم يكن هناك أي فائدة من الحوار الذي لو طال فستسجل عندهم مع المبتدعة ، بل مع المحامين عن البدع ! ولله الأمر.

لقد كان من أبسط الأمور على أحدهم أن ينهي الحوار بقوله: لقد أبلغتك مقتضى دعوة التوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا وأنكر كذا وكذا..

وكم انقطعت من علاقات ، وقامت من خصومات بين هؤلاء وبين كثير من المجاهدين فضلا عن المسلمين بسبب هذا النهج. وكان هذا من أكبر العلل التي طرأت على المنهج الجهادي بسبب التأثر بسلبيات التيار السلفي..

وأكرر قولي الآنف الذكر ، بأن الفوائد العظيمة التي جناها التيار الجهادي فكريا من المنهج السلفي أكثر من أن تحصى. ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كان هذا بعضها.. ولم أتخيل حقيقة كيف يمكن لهؤلاء الذين لم يستطيعوا التفاهم حتى مع الجهاديين ،

والإسلاميين. كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبية ، بكل ما ستحتويه كلمة شعبية من التعدد واختلاف والمشارب.

3- أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء و البراء والحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة. نجد أن مكتبة التيار الجهادي ، وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات. وحتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها.. نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً ، وأحادية الطرح نوعاً.. فالكتب معدودة. والنشرات محدودة. ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء ، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب. وما كان يمكن أن يكتب فيها ، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص مشاهد ، وسير رجال وشهداء... ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات. وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا على مسائل الحاكمية وأصول قواعد الولاء و البراء والعقائد. فالإبداع فيه قليل ، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد على النقول والإعادة لفقه الإمام ابن

تيمية وبعض أئمة المدرسة السلفية وتراث المدرسة علماء الدعوة الوهابية رحمهم الله تعالى..

ومع أن النوازل كثيرة. والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة. وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية .. والثقافة العامة التي تلزم المجاهد ، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة ، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي.. ولكن التيار الجهادي عموماً تميز بقلة كتابه. وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني. وقد حالت المطاردات الأمنية ، وظروف عدم الاستقرار ، بينهم وبين العطاء في هذا المجال. ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج التدريب والعمل وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء والبراء.

4- ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي:

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى. خصوصاً بعد التسعينات. ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع ،

ومستهم البأساء والضراء والنقص في الأموال والأنفس ، وتقاذفتهم المهاجر و الملاذات في أقطار الأرض الأربعة ..

وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا بأس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام 1965-1985م تقريباً 0 لم يسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود. والملاحظ أيضاً أن اعتماد التيار الجهاد في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية. وإنما على كتب التراث ، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى ، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل.

وبعد 1985م غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت. إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية. وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء والبراء والعقيدة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه. وقد زهد بها كثير من الجهاديين في هذه المرحلة 1996-

2001م رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن ، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة. إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية واقبلوا عليها ، ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها. ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل والأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة.

وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي ، والالتزام الديني ، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات. وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات. وانعكست الضغوط النفسية، وآثار المطاردات الأمنية ، ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عموماً، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية ، ومنابذة قياداتها للجهاديين ، وانغماس أكثرهم في ركاب علماء السلاطين وأجهزة الطواغيت..

أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين مع غياب منهج التربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة ، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين

في مجالات العبادة و النسك وحسن الخلق ، ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة. وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً..

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التربية مادةً وتطبيقاً. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديين قد اختصر الإسلام وعقائده وشعائره في فريضة الجهاد، وظنها كل الدين. واختصر الجهاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته التي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإسلام ، اختصره بالقتال. واختصر القتال بما يقضيه من صبر ومصابرة وإعداد وأخلاقيات. بشهود المعارك ذاتها. وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصبر و المصابرة ، وتحمل الرباط الطويل. فقد اختصروا مفهوم القتال على إطلاق النار..

وكنت وكثير من قدماء الأخوة.. نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهادية قد بدأت في أواخر القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوناته التربوية. وهذا ما جاء مع أحداث سبتمبر وتداعياتها من بعد.

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 216).

5- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها. وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا. والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين .. وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي ، بل وفي العالم أجمع. وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً..

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية ، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام ، وعدم إدراك العصر التي هي فيه. وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات

الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية. تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع. فإن باقي مدارس الصحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسلفية ، وكذلك المدرسة الجهادية ، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع. فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع ، وأما التيار الجهادي ، فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب ويحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات..

وعلى اعتبار أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكري والأمني حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً. وإنما في مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد. وحتى في عالم المواجهة العسكرية والأمنية أصبح للمستوى المعرفي والعلمي في المواجهة دوركبير. ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس على مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله. ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع ، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النصوص العامة. وما يضطر إليه الواقع.

وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح الناس ، من معنا ومن علينا. واضطراب في تحديد أولويات المعركة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً ، وضيق مجالات الشورى والإستفاده من الكوادر.. وتفضيل كثير الأمراء للإمعات ، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي. وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية والمصيرية. ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد على مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشرع وفهم الواقع. وعلى افتراض وجود الفهم الشرعي الصحيح في كثير من الحالات. فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

6- عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة. ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (التوبة: 123). وحمله على الأنظمة المرتدية الحاكمة. مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو طبيعتها ومسارها

وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التيار الجهادي أصلاً بسبب أزمة المواجهة مع الجاهلية الجاثمة على صدور المسلمين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدة. وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهادي المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التنظيمات الجهادية واشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك. وقد أيد هذا الإتجاه حكم شرعي وواقع قائم. فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع على المسلمين عامة والإسلاميين خاصة والجهاديين على وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية. وهو يقتضي ويوجب المواجهة عقلاً ومنطقاً. وكذلك فإن الحكم الشرعي والأمر بالجهاد هو من مقتضى نصوص كثيرة ، منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾. ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجهاد. قرابة ثلاثين سنة (1960–1990م).

ولكن ومع قيام العولمة في كل شيء مع انطلاق النظام العالمي الجديد.. وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العالمية والمحلية المرتدة الحاكمة والدولية، وقوى النفاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المواجهة ، وتطور أساليب مطاردة

الجهاديين من المحلية إلى الإقليمية إلى العالمية. كان على الجهاديين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم ، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدولية اليهودية الصليبية العالمية وحلفاؤها. بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها. ولكن جمود المناهج والفهم ، في معظم التيار الجهادي ، لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة الصائل حقه المتوجب. وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار. وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن ، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين. وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النص ، أو في فهم السنة الحركية التي تبينه، من مقتضى حروب الرسول ﷺ، وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم. وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي. وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

7- عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية :

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي اعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية. ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها ، ومن ذلك:

** **الجماعة المجاهدة**: ما هي؟ وما هو تعريفها ؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات ؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة ؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات و شرعية وجودها؟

****الإمارة والشورى والقرارات**: ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة ؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة ؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها؟ وهل هي إمارة خاصة أم عامة ؟.

****البيعة والسمع والطاعة**: ما هي طبيعة هذه البيعة ؟ وما فحوى عقدها ؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل ؟ وبناءً على ماذا؟

وما ذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم ؟ إلى آخر تلك المسائل.. التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة

واختلفت من تنظيم لآخر. وفي حين اعتبر أكثير الجهاديين في مناهجهم أن جماعتهم هي جماعة من جماعات المسلمين ، وأنها إمارة جهاد. وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات. إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المسلمين في قطرها. وصرح بعض أكابر التيار الجهادي بأن جماعتهم هي الجماعة الشرعية الوحيدة في البلد الفلاني ، وبالتالي قاوموا بشتى السبل ميلاد جماعات أخرى ، أو استمرار وجود سابقات عليها . بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المجاهدة توحيد صف الجهاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أخرى! ووجد بعض الشواذ الذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتيار الجهادي من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التيار الجهادي نتيجة غيبة العلماء عنه. كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات. فقد ولدت إشكالات واقعية في التنظيمات. وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنية وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصلا التيار الجهادي حفظه الله ، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها. فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان !! وبالتالي سحب على أمير الجماعة

حقوق الإمام الأعظم! فلما سألته ماذا لو رأى عقماً بواحاً. أو فوضى بواحة. أو إفلاساً بواحاً. وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا ! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة. فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب ؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار التي عنده؟. إلى آخر ذلك من المسائل..

لقد كان هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه ؟ وفي العمل على أسس لم تتحدد..

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المسلمين العامة بشكلها الطبيعي . فأمير المؤمنين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المسلمين حتى ولولم يبايعه ما لم يخرج عليه. ولا يستطيع العنصر في الأمة أن ينسحب منها. ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامة لأمير المؤمنين من الحقوق والواجبات ما يترتب على العنصر في جماعة ما جهادية أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السياسي للأمة إشكاليات كثيرة. ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة ، انفتحت إشكالات

أخرى لا حل لها. وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأمة بسبب غياب دار الإسلام والإمامة والشريعة وتوابع ذلك. وكانت هذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج التي طرحت وعجزها ، ليس في التيار الجهادي وحسب. وإنما على مستوى تنظيمات الصحوة كلها.

(ثانيا) – أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي:

النوع الثاني من الأخطاء والعلل التي ظهرت في أساليب عمل التيار الجهادي هي الخلل والقصور في البني التنظيمية وطبيعة الهياكل. وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك .. الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب. وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كل التنظيمات والجماعات الجهادية بنت بناءها على أساس أنها تنظيمات **(سرية – هرمية – قطرية)**.

1 – المشاكل التي تأتت عن السرية:

كان اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمواجهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة. ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإسلامي. فهو

مبدأ شرعي له أدلته وسابقاته التاريخية بدء من السيرة النبوية ومروراً بتجارب كثيرة عبر التاريخ الإسلامي. كما في لست معترضا عليه حركياً ، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفى. ولكني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المواجهة الأمنية إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدة ومن ورائها من قوى الكفر العالمية ، بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار على الفشل العبثي في نهاية المطاف. فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المجاهدة في السرية. فقد ولد هذا لها إشكاليات في التربية والإعداد ، وفي التجنيد التمدد ، وفي ضعف الدعاية العامة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإسلام منذ ظهورها وعبر تاريخ المسلمين، أن منهج التربية قام أساساً على علاقة المربي بالأتباع. والتي تقوم على التماس المباشر. وهو الوسيلة الأساسية لنقل العلوم والمعارف. وشرح المنهج وتقديم القدوة والسمت والسلوك. ونقل مختلف مجالات التأثير. وهكذا كان الرسول ﷺ للصحابة. والصحابة للتابعين. وهؤلاء لتابعيهم من العلماء وورثة الأنبياء. ثم لهؤلاء بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهذا. فكيف تتم التربية؟! وإذا استحالت التربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي على المنهج ولا على برامج الإعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التربية على لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشرعية والفكرية والمنهجية والسياسية والإعداد العسكري والأمني..الخ. وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً ، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنية إلى أن ينقطع أحياناً. وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجهاد على مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية. فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات الإسلامية العلنية أو شبه العلنية. فكان أداءها الجهادي عالياً يتناسب مع مستويات التربية التي تلقاها أولئك الكوادر. ولكن مع انقراض الطبقة الأولى والتالية تم التالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجهاد يستهلك كوادره بالاستشهاد والاعتقال والهجرة من الساحة ، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة. وغالباً ما كانت من عوام الناس ومن جيل الشباب الذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلامية. خاصة وأن الحركات الإسلامية من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضد اللحاق بالعمل الجهاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كل التجارب الجهادية. إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر

الجديدة غير المؤهلة تربوياً. وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانياً. وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها ، لعدم استمرار مشروع التربية. ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها. ولكن للأسف لم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنية والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التجنيد.. فمعظم الجماعات الجهادية بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المعركة. فكونت هياكلها وجندت معظم أفرادها. ثم ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإعداد لأولى ، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزمات. حيث يجد التنظيم الجهادي نفسه مجبراً إما على دخول المعركة والاستمرار في الإعداد والبناء من خلالها. وإما على أن تصفيه الحملات الأمنية دون مقابل. فيدخلون المعركة. ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء. ويحتاج التنظيم للتجنيد. ويحتاج التجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها. ولكن السرية والمشاكل الأمنية لا تسمح بهذا فيضعف التجنيد وتقل الأعداد. ويتحول التنظيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عصابات متفككة تستهلكها المعركة شيئاً فشيئاً ، إذا لم ينجح التنظيم في تطور حرب

عصابات ينقلها من مرحلة إلى أخرى حتى يتسع التجنيد. ولكن الذي حصل في كل التجارب السابقة بلا استثناء ، أن إعداد الكوادر الجهادية والأعضاء كان قليلاً. ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة ، أهمها الإشكال الأمني وأسلوب السرية. وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المجاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن 1500 مجاهد عامل ، هذا غير الأنصار. في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء 12 مليون نسوة. وفي مصر لم يزد تنظيم الجهاد عن 2000 عنصر. والجماعة الإسلامية ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد . هذا من أمة كانت تعد أكثر من 60 مليون نسمة. وفي ليبيا ، لم يزد عدد المجاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ 4 مليون نسمة. وفي بعض البلدان كتونس. لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا..

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور. وانعكاس ذلك على ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الذي يقوم أساسا على الإتصال بالجماهير بالوسائل العلنية.

2 – المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية:

بنيت جميع التنظيمات الإسلامية السياسية والجهادية وما شابها بأسلوب هرمي. فغالباً ما تبدأ الدعوة بأفراد قلائل. يحددون أسس منهجهم وأهدافهم ، وبرنامج عملهم. ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم. فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه. وهكذا يبدأ رأس الهرم. تستمر عمليات التجنيد والحشد. ويكون كل واحد من هؤلاء مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة.. ويتتابع النظام. وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التنظيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيث الإحكام والسيطرة. لأن الأوامر تصدر والبرامج تقرر. وتنزل من الأعلى للأسفل. ثم تتابع بعض الطريقة. وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني ، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاستخباراتية خصوصاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات الطاغوتية ، ثم قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهادية استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنفسي. وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير لاستخراج المعلومات! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلاديين المتحفزين

لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل ، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كل التجارب ، عدة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم على أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال. وتعاد الكرة ثم تعاد. لتشتمل الحملة الأمنية الجسد الأعظم من التنظيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ ، الذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر. ولقد حاولت التنظيمات الجهادية التي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية ، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد. وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التنظيمية فيها لإدارة أعمالهم. وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة التي عملت أيضاً بنفس الأسلوب.. ثم اضطرت التنظيمات الجهادية مثلها مثل كل العصابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة. حيث وفرت لها

بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها . ولكن التعاون الأمني كما سبق وبينا ، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي ، ضيق ثم الغى تلك الملاذات. ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليات البطش والتعذيب والخطف والتسليم. وأدت إلى تآكل التنظيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال والتفكك..

3 – مشكلة القطرية:

معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية والجماعات المكونة للتيار الجهادي التي عملت خلال الصنف الثاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها. وذلك نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والواقعية التي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كل مناحي النشاط البشري ومنها الجماعات الجهادية ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان التي تتوفر على مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السكان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عصابات جهادية يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح. فقد فتت مخططات التجزئة التي قام بها الإستعمار الغربي خلال الحملات

الصليبية الثانية العالم الإسلامي والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصادية.

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة الطاغوت الخاص بها ضمن السياج الذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العشرين. وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عصابات متكاملة في غالب البلدان. فماذا يعمل تنظيم جهادي على مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا ، ضمن المعطيات القطرية ؟! وحتى تلك الدول الكبيرة كمصر والسعودية ، لم توفر لها المعطيات القطرية العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر. وكانت النتيجة النهائية نتيجة تظافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات. وصفيت كل تلك المحاولات بلا استثناء عبر 40 سنة ومن خلال عشرات التجارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسية من مشاكل البنية والهياكل. كان هناك إشكالات بنيوية أخرى من أهمها.

4 – مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا ، اضطرت القيادات الرئيسية للتنظيمات ، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهجرة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنية.

واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم ، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتصالات الخارجية ، المراسلين.. الهاتف .. الفاكس! وأوجدت هذه الطريقة مقاتل للتنظيمات. ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكرية. وتحولت القيادات الخارجية إلى قيادات سياسية وإعلامية وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى.. ولقد شهدت بنفسي عدداً من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (الثورة الجهادية في سوريا) التي عايشتها من الداخل نموذجاً على هذه المشكلة. فقد استقرت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا. وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل سوريا ، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير. وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ . ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف .ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين ؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج. والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهادية من خلال احتكاكي بأصحابها وقياداتها في عدد من الدول العربية. وقد وجدت لديهم

نفس المشكلة. لقد كان على تلك القيادات أن تتحول إلى رموز شعبية تحرك الجماهير وقيادات سياسية إعلامية ، تاركة المجال للعمل العسكري والقرارات الميدانية للقيادات الميدانية. ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات. ولم تثق بقيادات ميدانية شابة. وكان لديها الحق في بعض الحالات. ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً. وكانت بسبب طبائع الأشياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظروف.

5- مشكلة التمويل:

كانت التنظيمات الجهادية محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات.. وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية. فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية. وولد هذا إشكاليات كبيرة. ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات التي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكرية والأمنية ، واحتياجات أسر الشهداء والمطاردين والأسرى... إلخ.

فقد اعتمدت التنظيمات الجهادية إما على دعم جماعات وتنظيمات سياسية دخلت المواجهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا) ، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشباب ويستشهد المجاهدون. وستحتاج

لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة التي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التنظيمات الجهادية على دعم بعض الجماعات الإسلامية من أقطار أخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجهاد في غير بلادهم غالباً كما كان حال معظم المحسنين للجماعات الجهادية من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التعاون الخليجي ولاسيما السعودية والكويت !

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحكومات والأنظمة ذات الأغراض الخاصة في ذلك الدعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين. ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع. وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج. سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا. وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل.

6- مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات التي رافقت العمل في معظم التنظيمات الجهادية. وأدت في كثير من

الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التنظيمات وتفشي الظاهرة التي أسميتها (التنظيمات الأميبية) التي تنقسم وتنقسم وما تلبث أن تنقسم..

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة. حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه. واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما.. وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كل طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط. وقد تلاقت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نوعين ؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجية العامة والهامة. وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات. ولكن كل هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية إما في مخابئ داخل بلادها ، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً. حيث آل الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى. وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين على الله في ظروف بالغة المأسوية. وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضرورات الأمر

الواقع. وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري على كافة الأصعدة.

7- مشكلة ضعف الأمن الداخلي في التيار الجهادي:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عصابات تعمل بأسلوب أمني. هو مبدأ و نموذج عمل وافد على المجتمعات العربية والإسلامية التي عملت بسبب مكوناتها التاريخية والاجتماعية بطرق تقوم كلها على أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الذي اضطررنا إليه اضطراراً نتيجة القمع. فالمجمعات العربية والإسلامية مجمعات مفتوحة. تعتمد التربية فيها على التماس مع الجمهور، ويعتمد الحشد فيها على الخطابة والجهر بالدعوة والتأثير في الناس. وتتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة. وجب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم ، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري وهدر الوقت ، وحرية الحركة ، وحضارة البداوة والعفوية ، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التحولات الصناعية والمدنية.

فأسلوب التخفي والعصابات والسرية، وطريقة عمل المافيات ، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة و الأوامر الصارمة الموجزة ، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات. وعقوبة المخطئ، بل

وتصفية المفسد في نظام عمل العصابات... كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنا. ولم تستطع التنظيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها. وطبعت الصفات الاجتماعية العامة و العلل الموروثة عمل تلك التنظيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب.

وكان على رأس تلك الإشكالات انعدام الحسن الأمني. وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب. وقد لاحظت أن معظم المجاهدين الأبطال الذين عرفت الكثيرين منهم ، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان. كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة ، وعدم دقة الحركة ، وعدم احترام أمن الاتصالات المختلفة ، من الحركة والهواتف والفاكسات ، والإنترنيت من بعد ، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها و دمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب. حتى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا ، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أركثيرين استطاعوا أن يعملوا بها و يأخذوا بأسبابها.

(ثالثا) – أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء على التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تعالى أعلم فمن ذلك:

1- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

2- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لذلك ، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسياسية وعدم التحكم في وحدة اتجاه المعركة تجاه العدو الأساسي المتمثل في الحكومات الطاغوتية والصائل الخارجي المتحالف معها.

3- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومات الأمنية تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل ، والعدل والظالم ، هو من مخزون الأمة. ولم تعجز الحكومات عن الزج بأبناء الشعب من قوات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين ، في هذه المعركة اللامتناهية. فيما بقيت قوى

ومصالح الصائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال. فضار اللعب في ملاعب حددها العدو الأكبر وبطرق رسمها هو وحقق فيها أهدافه. واستنزف الجهاديون قواهم فيها دون جدوى.

4- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهة ، يمكن حشد الناس عليها ضد الحكومات التي يواجهها الجهاديون. واقتصر الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها. وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح ، وتصدي علماء السلطان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم. حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم. وأننا مجموعة خوارج ، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون. ولم يتمكن الجهاديون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صراع شعبية سهلة الفهم تثير تأييد العامة. فقد كان هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشعوب بها حول الجهاديين ، من قبيل مشاكل الجوع والظلم ، وهدر الكرامات واحتلال المقدسات ، والنهب الاستعماري ، والاحتلال السياسي والاقتصادي. إلى آخر ذلك من الشعارات التي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصحوة السياسية استغلالها وتحولوا لتيارات شعبية. وكلها مسائل شرعية في أساسها ويمكن طرحها

بأسلوب إسلامي وجهادي. ولكن الجهاديين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكرية للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكمية والولاء والبراء. وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النخبة ويصعب على العوام هضمها.

5- أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبياً. فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً ، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات محدودة جداً. ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلاً. بل إن كثيراً من شعوب بعض الدول لم تكن تعرف عن الجهاديين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هي أهدافهم.

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكر السلفي غير الجهادي ، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمة والشفقة والتعاطف. واعتمدوا نبذ الناس ومفارقتهم في كل شيء مما عزل الجهاديين وساعد الحملات الإعلامية على رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهادية أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً..

رابعا – أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أخرى في أسلوب عمل التيار الجهادي:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة على غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

1- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التربية والفتوى والكتابة والتوجيه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاها أو علم.. فما من مسلم إلا وعنده علم.

2- انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات . حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

3- انخفاض مستويات التربية العبادية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهاد من الشباب. وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التجمعات الجهادية. وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجهاد الأول وكتب الله أن يرى تلك النوعيات من متأخري الجهاديين.

4- تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية. فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع ، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

5- اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحض. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية. فقد اعتمد الغالبية (التربية الإنكشارية) وثقافة المدافع على الطريقة العثمانية. وساهمت تلك الطريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل و تخريج عينات لا تنتمي إلى التيار الجهادي الذي عرفناه قبل عقدين من الزمن ، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه.

6- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي ، بعد منتصف التسعينات ، فقد أدت الظروف العامة ، من المطاردات والقهر والكبت والظلم.. وعلل الصحوة الإسلامية وبلاء علماء السلطان ، وطغيان الحكومات ، وغزوات الأعداء الخارجين ، وما يجري في الأمة من نكبات. مع إعراض أكثرها عن دينهم. أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية، وحب التشدد والتنطع ، والتعبير عن التدين بالتشدد ، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة ، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة.

7- تفشى روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع. وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كل تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيات والتأهيل عن النخبة المحدودة بالدائرة الأولى في بعض التجمعات الجهادية.

8- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف ، وتدني القدرة على إصلاح الخلل داخل التجمعات

الجهادية إلا في دائرة محدودة جداً. وانعدام تحقق الشورى في الأوساط العامة، وانحصارها بالنخبة في معظم التجمعات ، على عكس ما كانت عليه في السنة النبوية ومنهج السلف الصالح.

9- تفشي ظاهرة (المجاهد على كيفه) في المتأخرين من الجهاديين. وهذا من آثار منهج (هم رجال ونحن رجال). خاصة في أفغانستان في شوطيها.. لا مذهب.. لا جماعة.. لا أمير، لا منهج ، لا ضوابط ، حر مطلقاً ، لا منتمي ، متمرد لا يمكن ضبطه ، ولا مرجع لديه.

10- تفشى ظاهرة جهاديين لم يجاهدوا !! ومع ذلك تصدروا كرموز وموجهين ومفتين للجهاديين..! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيار الجهادي متعصبين جداً لمنهجه ورموزه بالكلام، ولكن لا يجاهدون بالفعل ، وخاصة في أوساط الصحوة في بلاد الغرب ، وأوساط أخرى.

11- تفشي ظاهرة من أرادوا الإعداد ولم يريدوا الخروج ! على عكس من لو أرادوا الخروج لأعدوا له.. ولكن هؤلاء أعدوا ولم يخرجوا.! آلاف المتدربين بلا فائدة ، لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا ارفع التدريب. وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عقيدة قتالية.

12- العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدولية والإقليمية وعدم قدرة القيادات المرحلية على صناعة مشروع ذاتي. كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى. وتجربة البوسنة.

13- نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التيار الجهادي. فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سجون الطواغيت. وفيهم العلماء والدعاة وكبار الإسلاميين وقادة المجاهدين وخيرة كوادرهم. ثم تراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدول الغربية كذلك .. ولم يبد التيار الجهادي أي حراك في اتجاه القيام بعمليات تهدف إلى سراحهم !! وكأنهم نسيا منسيا.

14- فقدان القدرة على (الردع). ردع مختلف صنوف الأعداء حتى آل أمرنا لأن نكون مرهوبين رغم أنهم يسموننا إرهابيين!

وهكذا ..

طويت مرحلة تاريخية هامة من مراحل أهم مدارس الصحوة الإسلامية وأكثرها أثرا في واقع المسلمين. وهي مدرسة التيار الجهادي، التي استغرقت تجاربها وعطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزمن. وقد حاولت في هذين الفصلين السادس والسابع. أن أسجل خلاصة مسارها وخصائصها ، ودروس تجاربها. وعرضت لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة. وكذلك عرضت للأسباب الداخلية

والخارجية التي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله.

وباختتام هذا الفصل ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب الذي تعرض لجذور ما نعيشه من أحداث ، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأمة من تجارب الصراع مع الروم ، بلاء هذه الأمة ومحنتها الأزلية.

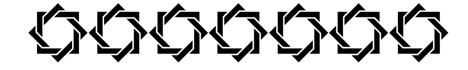
وخلاصة مسار صحوتها الإسلامية والجهادية وما حفلت به من تجارب وعبر. تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين ، ونلج عالم ما بعد سبتمبر.. عالم الحملات الصليبية الصهيونية الكبرى على عالمنا الإسلامي الكبير..

هذا القرن الذي يريدونه أمريكيا صهيونيا .. حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها ، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق ..

هذا القرن الذي علينا أن نفتتحه بإطلاق المقاومة الإسلامية العالمية لهذا الصائل على الدين والمقدسات والأنفس والأعراض والأموال..وكل مقومات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المقاومة التي لا تنطلق على هدى وبصيرة ، بغير معرفة جذور هذا الصراع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته ..

هذه المقاومة التي يجب أن تنطلق على أسس من الهدى والبصيرة والأسس المتكاملة ، التي تبني على ما مضى من عبر ودروس. وتنطلق وفق ما يناسب المرحلة من منهج وأساليب. في ضوء ثوابت هذا الدين والعقيدة الجهادية القتالية لهذه الأمة. وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف. وهو ما سأحاول أن أضع على طريقه بعض المعالم في الجزء الثاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.



تم بحمد الله

الجزء الأول

(الجذور – التاريخ – التجارب)

ويليه

الجزء الثاني

(الدعوة – المنهج – الطريقة) من كتاب

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

بيت المقدس